

تأليف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى
الحنفي الخلوتي البروسوي
المتوفى ١١٢٧ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

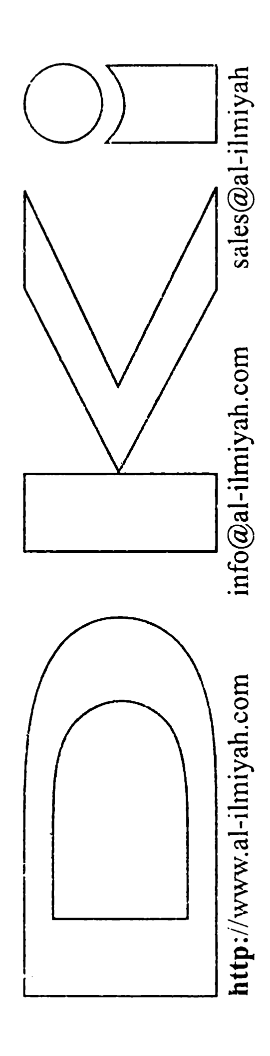
عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الجزء السابع

المحتوى:

منها أول سورة الروم - إلى آخر سورة الصافات





الكتاب : روح البيان في تفسير القرآن

Title : RŪḤ AL-BAYĀN FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Qur'an

المؤلف : الشيخ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧ هـ)

Author : Al-Shaykh Ismail Al-Burusawi (D. 1127 H.)

المحقق : عبداللطيف حسن عبدالرحمن

Editor : Abdullatif Hassan Abdulrahman

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	(10Vols./10Parts) 5344 (١٠أجزاء/١٠ مجلدات)	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2018 A.D. - 1439 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon لبنان	بلد الطباعة
Edition	4th (2 Colors) الرابعة (لونان)	الطبعة

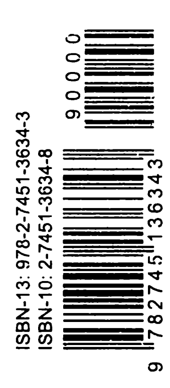
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon, Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ١٢/١١/٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN-13: 978-2-7451-3634-3
ISBN-10: 2-7451-3634-8



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبياناً لكل شيء وهدى، فإنه لم يكن من شأنه أن يترك الإنسان سدى، ونظمه في عقد الحفظ تنويراً للصدور وتزييناً للنحور، معجزة باقية على ممر الزمان والدهور، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم من بين الأنبياء والرسل، وروعي بنفث الروع الذي هو ألذ النزل، وعلى آله وأصحابه مجتلى ربيع القلوب الذي هو حضرة القرآن، ومن تبعهم من العرب والعجم والروم وسائر أصناف الإنسان «وبعد» فإن الملك القدير، منّ على عبده الفقير، الشيخ إسماعيل حقي نزيل بلدة بروسا، صينت عن المكاره والبوسى، فضحك بمداد أمداده وجوه القراطيس، وتبسم بأزهار فيضه جمال الكراريس، حتى جاء المجلد الثاني محتاجاً في الوصول في غاية الأمر، إلى برهة من الزمان وتنفس من العمر، مع ما يكنفه من استجماع الشرائط وارتفاع الموانع، لا سيما الإمداد الملكوتي والفيض الجبروتي الجامع، فاسأل الله تعالى عناق هذه الأمنية، قبل إدراك المنية. وأن يصرف عني يد مصارعة الحوادث الملقية على التراب، وكف مصادمة النوائب الداعية إلى الهدم والخراب مع أني أقول متى أصبح وأمسى، ويومي خير من أمسي. وقد دنا من أم الدنيا الفطام والفصال، وحان انقطاع الأعصاب والأوصال، ولم يبق من عمر الإنسان، من حيث اقتراب الزمان، وإلا صبابة كصبابة المساء، وبقية الإناء، لكن الله إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه، وفتح بيد التسهيل بابه، فهو المرجو في كل دعاء، ومنه حصول كل رجاء.

يا رب از ابر هدايت برسان باراني　　　پيشتر زانكه چو كردى زميان بر خيزم

٣٠ ـ سورة الروم

مكية إلا قوله: ﴿فسبحان الله﴾ وآيها ستون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿الم﴾ [أبو الجوزاء از ابن عباس رضي الله عنهما نقل كرده كه حروف مقطعه آيت ربانيه اندهر حرفى اشارت است بصفتى كه حق را بدان ثنا كويند چنانكه الف ازين كلمه كنايتست از الوهيت ولام از لطف وميم از ملك وكفته اند الف اشارت باسم الله است ولام بلام جبريل وميم باسم محمد. يعني: الله جل جلاله بواسطة جبرائيل عليه السلام وحى فرستاد بحضرت محمد ﷺ].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالألف إلى إلفة طبع المؤمنين بعضهم ببعض وباللام يشير إلى لؤم طبع الكافرين وبالميم إلى مغفرة رب العالمين فبالمجموع يشير إلى أن إلفة المؤمنين لما كانت من كرم الله وفضله بأن الله ألف بين قلوبهم انتهت إلى غاية حصلت إلفة ما بينهم وبين أهل الكتاب إذ كانوا يوماً ما من أهل الإيمان وإن كانوا اليوم خالين عن ذلك وإن لؤم الكافرين لما كان جبلياً لهم غلب عليهم حتى أنهم من لؤم طبعهم يعادي بعضهم بعضاً كمعاداة أهل الروم وأهل فارس مع جنسيتهم في الكفر وكانوا مختلفين في الإلفة متفقين على العداوة وقتل بعضهم بعضاً وإن مغفرة رب العالمين لما كانت من كرمه العميم وإحسانه القديم انتهت إلى غاية سلمت الفريقين ليتوب على العاتي من الحزبين ويعم للطائفتين خطاب إن الله يغفر الذنوب جميعاً انتهى. وفي «كشف الأسرار»: ألم ألف بلايانا من عرف كبريانا ولزم بابنا من شهد جمالنا ومكن من قربتنا من أقام على خدمتنا [اى جوانمرد دل باتوحيد او سپار وجان باعشق ومحبت او پردار وبغير او التفات مكن هركه بغير او باز نكرد تيغ غيرت دمار از جان اوبر آرد وهركه ازبلاى او بنالد دعوى دوستى درست نيايد. مردى بود در عهد پيشين مهترى از سلاطين دين اورا عامر بن قيس ميكفتند چنين مى آيدكه درنماز نافله پايهاى او خون سياه بكرفت كفتند پايها ببر تا اين فساد زيادت نشود كفت پسر عبد القيس كه باشدكه اورا بر اختيار حق اختيارى بود پس چون در فرائض ونوافل وى خلل آمد روى سوى آسمان كرد كفت پادشاها كرچه طاقت بلا دارم طاقت باز ماندن از خدمت نمى آرم پاى مى برم تا از خدمت باز نمانم آنكه كفت كسى را بخوانيد تا آيتى از قرآن برخواند چون بينيدكه در وجد وسماع حال بر ما بكردد شما بر كار خود مشغول باشيد پابها ازوى جدا كردند وداغ نهادند وآن مهتر دروجد وسماع آن چنان رفته بودكه ازان ألم خبر نداشت پس چون مقرى خاموش شد وشيخ بحال

خود باز آمد كفت اين پاى بريده بطلا بشوييد وبمشك وكافور معطر كنيدكه بردركاه خدمت هركز بربى وفايى كامى ننهاده است]. يقول الفقير: الألف من الم إشارة إلى عالم الأمر الذي هو المبدأ لجميع التعينات واللام إشارة إلى عالم الأرواح الذي هو الوسط بين الوجوديات والميم إشارة إلى عالم الملك الذي هو آخر التنزلات والاسترسالات. فكما أن فعل بالنسبة إلى أهل النحو مشتمل على حروف المخارج الثلاثة التي هي الحلق والوسط والفم. فكذا الم بالإضافة إلى أهل المحو محتو على حروف المراتب الثلاث التي هي الجبروت والملكوت والملك وفرق بين كلمتيها اللفظيتين كما بين كلمتيها المعنويتين إذ كلمة أهل المحو مستوية مرتبة وكلمة أهل النحو منحية غير مرتبة. ثم أسرار الحروف المقطعة والمتشابهات القرآنية مما ينكشف لأهل الله بعد الوصول إلى غاية المراتب وإن كان بعض لوازمها قد يحصل لأهل الوسط أيضاً فلا يطمع في حقائقها من توغل في الرسوم واشتغل بالعلوم عن المعلوم نسأل الله تعالى أن ينجينا من ورطات العلاقات الوجودية المانعة عن الأمور الشهودية.

﴿**غلبت الروم في أدنى الأرض**﴾ الغلبة القهر كما في «المفردات» والاستعلاء على القرن بما يبطل مقاومته في الحرب كما في «كشف الأسرار». والروم: تارة يقال للصنف المعروف وتارة لجمع رومي كفارسي وفرس وهم بنو روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام والروم الأول منهم بنو روم بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام. والفرس بسكون الراء قوم معروفون نسبوا إلى فارس بن سام بن نوح. وأدنى إلفه منقلبة عن واو لأنه من دنا يدنو وهو يتصرف على وجوه فتارة يعبر به عن الأقل والأصغر فيقابل بالأكثر والأكبر وتارة عن الأحقر والأذل فيقابل بالأعلى والأفضل وتارة عن الأول فيقابل بالآخر وتارة عن الأقرب فيقابل بالأبعد وهو المراد في هذا المقام أي: أقرب أرض العرب من الروم إذ هي الأرض المعهودة عندهم وهي أطراف الشام أو في أقرب أرض الروم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف إليه وهي أرض جزيرة ما بين دجلة والفرات، والمعنى بالفارسية: [مغلوب شدند روميان يعني فارسيان برايشان غلب بردند درنزديكترين زمين كه عرب را باشد نسبت بزمين روم] وكان ملك الفرس يوم الغلبة ابرويز بن هرمز بن انوشروان بن قباذ صاحب شيرين وهو المعروف بخسرو وتفسير ابرويز بالعربية مظفر وتفسير انوشروان مجدد الملك وآخر ملوك الفرس الذي قتل في زمن عثمان رضي الله عنه هو يزدجر بن شهريار بن ابرويز المذكور وكان ملك الروم هرقل كسبحل وزبرج وهو أول من ضرب الدنانير وأول من أحدث البيعة. قيل: فارس والروم قريش العجم وفي الحديث: «لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله أصحاب فارس».

ـ روي ـ أن النبي عليه السلام كتب إلى قيصر ملك الروم يدعوه إلى الإسلام فقرأ كتابه ووضعه على عينيه ورأسه وختمه بخاتمه ثم أوثقه على صدره ثم كتب جواب كتابه إنا نشهد أنك نبي ولكنا لا نستطيع أن نترك الدين القديم الذي اصطفاه الله لعيسى عليه السلام فعجب النبي عليه السلام فقال: «لقد ثبت ملكهم إلى يوم القيامة أبداً» وقال لفارس: «نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها» والروم ذات قرون كلما ذهب قرن خلف قرن هيهات إلى آخر الأبد كما في «كشف الأسرار» وأما قوله: «إذا هلك قيصر لا قيصر بعده» فمعناه إذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك لم يبق إلا ببلاد الروم كما في «إنسان العيون» وكتب إلى كسرى ملك فارس وهو خسرو المذكور وكسرى معرب خسرو فمزق كتابه ورجع الرسول بعدما أراد

قتله فدعا عليه النبي عليه السلام أن يمزق كل ممزق فمزق الله ملكهم فلا ملك لهم أبداً ﴿وهم﴾ أي: الروم ﴿من بعد غلبهم﴾ أي: من بعد مغلوبيتهم على يد فارس فهو من إضافة المصدر إلى المفعول والفاعل متروك والأصل بعد غلبة فارس إياهم والغلب والغلبة كلاهما مصدر ﴿سيغلبون﴾ سيغلبون فارس.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

﴿في بضع سنين﴾ البضع بالفتح قطع اللحم وبالكسر المنقطع عن العشرة ويقال ذلك لما بين الثلاث إلى العشر وقيل بل هو فوق الخمس دون العشر. وفي «القاموس» ما بين الثلاث إلى التسع. وفي «كشف الأسرار» البضع اسم للثلاث والخمس والسبع والتسع. وفي «تفسير المناسبات»: وذلك من أدنى العدد لأنه في المرتبة الأولى وهو مرتبة الأحاد وعبر بالبضع ولم يعين إبقاء للعباد في ربقة نوع من الجهل تعجيزاً لهم انتهى [كفته اندكه ملك فارس يعني خسرو پرويز شهريار وفرخان را كه دو اميرى بودند ودوبرادر بالشكر كران فرستاد وملك روم يعني هرقل چون خبر يافت ازتوجه عسكر فارس خنس نام اميرش مهتر كرد بر لشكر خويش وفرستاد هردو لشكر بازرعات بهم رسيدند] وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلب الفرس على الروم وأخذوا من أيديهم بعض بلادهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون لأن فارس كانوا مجوساً وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم فشق ذلك على المسلمين واغتموا فأنزل الله الآية وأخبر أن الأمر يكون على غير ما زعموا فقال أبو بكر رضي الله عنه للمشركين: لا يقرّنّ الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال أبيّ بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه والمناحبة المخاطرة فناحبه على عشرة ناقة شابة من كل واحد منهما يعني: [ضمان از يكديكر بستند هرآن يكى كه راست كوى بود آن ده شتربستاند ازان ديكر] وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: البضع ما بين الثلاث إلى التسع» فزايده في الخطر وماده في الأجل فجعلاهما مائة ناقة إلى تسع سنين فلما خشي أبي أن يخرج أبو بكر مهاجراً إلى المدينة أتاه فلزمه فكفل له عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما فلما أراد أبي أن يخرج إلى أحد أتاه محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ولزمه فأعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد ومات أبي من جرح برمح رسول الله بعد قفوله أي: رجوعه من أحد وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين [وآن چنان بودكه چون شهريار وفرخان بر بعضى بلاد روم مستولى كشتند پرويز بغمازىء ارباب غرض بردو برادر متغير كشت وخواستند كه يكى را بدست ديكر هلاك كند وهردو بر صورت حال واقف شده كيفيت بقيصر روم عرضه كردند ودين ترسايى اختيار نمودند سپهدار لشكر روم شدند وفار سيانرا مغلوب ساخته بعضى از بلاد ايشان بكر فتند وشهرستان روميه آنكه بنا كرند] ووقع ذلك يوم الحديبية. وفي الوسيط فجاءه جبريل بهزيمة فارس وظهور الروم عليهم ووافق ذلك يوم بدر انتهى وأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي فجاء به رسول الله فقال: تصدق به [أبو بكر رضي الله عنه آن همه بصدقه بداد بفرمان رسول] وكان ذلك قبل تحريم القمار بقوله تعالى: ﴿ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ

﴿وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] والقمار أن يشترط أحد المتلاعبين في اللعب أخذ شيء من صاحبه إن غلب عليه والتفصيل في كراهية الفقه. والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب. ثم إن القراءة المذكورة هي القراءة المشهورة. ويجوز أن يكون غلبت على البناء للفاعل على أن الضمير لفارس والروم مفعوله أي: غلبت فارس الروم وهم أي: فارس من بعد غلبهم للروم سيغلبون على البناء للمفعول أي: يكونون مغلوبين في أيدي الروم ويجوز أن يكون الروم فاعل غلبت على البناء للفاعل أي: غلبت الروم أهل فارس وهم أي: الروم بعد غلبهم سيغلبون على المجهول أي: يكونون مغلوبين في أيدي المسلمين فكان ذلك في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه غلبهم على بلاد الشام واستخرج بيت المقدس لما فتح على يد عمر رضي الله عنه في سنة خمس عشرة أو ست عشرة من الهجرة واستمر بأيدي المسلمين أربعمائة سنة وسبعاً وسبعين سنة ثم تغلب عليه الفرنج واستولوا عليه في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من الهجرة واستمر بأيديهم إحدى وتسعين سنة إلى أن فتحه الله على يد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في يوم الجمعة سابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فامتدحه القاضي محيي الدين بن البركة قاضي دمشق بقصيدة منها:

فتوحكم حلبا بالسيف في صفر ... مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال وفتح القدس في رجب كما تقدم فقيل له: من أين لك هذا فقال: أخذته من تفسير ابن مرجان في قوله تعالى: **﴿الم * غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾** وكان الإمام أبو الحكم بن مرجان الأندلسي قد صنف تفسيره المذكور في سنة عشرين وخمسمائة وبيت المقدس يومئذٍ بيد الإفرنج لعنهم الله تعالى واستخرج الشيخ سعد الدين الحموي من قوله تعالى: **﴿في أدنى الأرض﴾** مغلوبية الروم سنة ثمانمائة فغلب تيمور على الروم. يقول الفقير: لا يزال ظهور الغالبية أو المغلوبية في البضع سواء كان باعتبار المئات أو باعتبار الآحاد وقد غلب أهل الإسلام مرة في تسع وثمانين بعد الألف كما أشار إليه غالبون المفهوم من سيغلبون وغلبهم الكفار في السابعة والتسعين بعد الألف على ما أشار إليه أدنى الأرض يقال ما من حادثة إلا إليها إشارة في كتاب الله بطريق علم الحروف ولا تنكشف إلا لأهله قال علي كرم الله وجهه:

العلم بالحرف سر الله يدركه ... من كان بالكشف والتحقيق متصفا

﴿لله﴾ وحده **﴿الأمر من قبل ومن بعد﴾** أي: في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين. والمعنى أن كلاً من كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس **﴿ويومئذٍ﴾** أي: يوم إذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم **﴿يفرح المؤمنون﴾** [شاد خواهند شدن مؤمنان]. قال الراغب: الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية ولم يرخص في الفرح إلا في قوله ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] وقوله **﴿ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾** أي: بتغليب من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفرة فالنصرة في الحقيقة لكونها منصباً شريفاً ليست إلا للمؤمنين. وقال بعضهم يفرح المؤمنون بقتل الكفار بعضهم بعضاً لما فيه من كسر شوكتهم

وتقليل عددهم لا بظهور الكفار كما يفرح بقتل الظالمين بعضهم بعضاً. وفي «كشف الأسرار»: اليوم ترح وغداً فرح. اليوم عبرة وغداً خبرة. اليوم أسف وغداً لطف. اليوم بكاء وغداً لقاء [هرچندكه دوستانرا امروز درين سراى بلا وعنا همه دردست واندوه همه حسرت وسوز اما آن اندوه وسوزرا بجان ودل خريدار آيد وهرچه معلوم ايشانست فداى آن دردمى كنند. چنانكه آن جوانمرد كفته اكنون بارى بنقدى دردى دارم كه آن درد بصدهزار درمان ندهم داود پيغمبر عليه السلام چون آن زلت صغيره ازوى برفت واز حق بدو عتاب آمد تازنده بود سربر آسمان نداشت ويكساعت از تضرع نياسود با اين همه مكفت الهي خوش معجونى كه اينست وخوش دردى كه اينست الهى تخمى ازين كريه واندوه در سينهٔ من بنه تاهر كز ازين دردخالى نباشم. اي مسكين توهميشه بى درد بودهٔ از سوز درد زدكان خبر ندارى ازان كريه پرشادى وازان خنده پر اندوه نشانى نديدهٔ]:

من كريه بخنده درهمى پيوندم پنهان كريم وبآشكارا خندم

اى دوست كمان مبركه من خرسندم آكاه نهٔ كه من نياز مندم

﴿ينصر من يشاء﴾ أن ينصره من ضعيف وقوي من عباده استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ ﴿وهو العزيز﴾ المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء أن ينصر عليه كائناً من كان ﴿الرحيم﴾ المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره أي: فريق كان أو لا يعز من عادى ولا يذل من والى كما في «المناسبات» وهو محمول على أن المراد بالنصر نصر المؤمنين على المشركين في غزوة بدر كما أشير إليه من الوسيط. وفي «الإرشاد» المراد من الرحمة هي الرحمة الدنيوية إما على القراءة المشهورة فظاهر لأن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الدنيوية وإما على القراءة الأخيرة فلأن المسلمين وإن كانوا مستحقين لها لكن المراد بها نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾.

﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله وهو ويومئذٍ الخ في معنى الوعد إذ الوعد هو الإخبار بإيقاع شيء نافع قبل وقوعه وقوله ويومئذٍ الخ من هذا القبيل ومثل هذا المصدر يجب حذف عامله والتقدير وعد الله وعداً يعني انظروا وعد الله ثم استأنف تقرير معنى المصدر فقال: ﴿لا يخلف الله وعده﴾ لا هذا الذي في أمر الروم ولا غيره مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم المشركون وأهل الاضطراب ﴿لا يعلمون﴾ صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم في شؤون الله تعالى.

﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لأهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها وتنكير ظاهراً للتحقير والتخسيس أي: يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً من الدنيا. قال الحسن: كان الرجل منهم يأخذ درهماً ويقول وزنه كذا ولا يخطىء وكذا يعرف رداءته بالنقد. وقال الضحاك: يعلمون بنيان قصورها وتشقيق أنهارها وغرس أشجارها ولا فرق بين عدم العلم وبين العلم المقصور

على الدنيا. وفي «التيسير» قوله: ﴿**لا يعلمون**﴾ نفي للعلم بأمور الدين وقوله: ﴿**يعلمون**﴾ إثبات للعلم بأمور الدنيا فلا تناقض لأن الأول نفي الانتفاع بالعلم بما ينبغي والثاني صرف العلم إلى ما لا ينبغي ومن العلم القاصر أن يهيىء الإنسان أمور شتائه في صيفه وأمور صيفه في شتائه وهو لا يتيقن بوصوله إلى ذلك الوقت ويقصر في الدنيا في إصلاح أمور معاده ولا بد له منها ﴿**وهم عن الآخرة**﴾ التي هي الغاية القصوى والمطلب الأسنى ﴿**هم غافلون**﴾ لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي إلى معرفتها من أحوالها ولا يتفكرون فيها. ﴿**وهم**﴾ الثانية تكرير للأولى للتأكيد يفيد أنهم معدن الغفلة عن الآخرة أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للأولى.

وفي الآية تشبيه لأهل الغفلة بالبهائم المقصور إدراكاتها من الدنيا على الظواهر الحسية دون أحوالها التي هي من مبادىء العلم بأمور الآخرة وغفلة المؤمنين بترك الاستعداد لها وغفلة الكافرين بالجحود بها. قال بعضهم: من كان عن الآخرة غافلاً كان عن الله أغفل ومن كان عن الله غافلاً فقد سقط عن درجات المتعبدين [در خبراست كه فردا در انجمن رستاخيز وعرصهء عظمى دنيارا بيارند بصورت پيره زنى آراسته كويد بار خدايا امروز مر اجزاى كمتر بنده كن از بندكان خود از دركاه عزت وجناب جبروت فرمان آيدكه اى ناچيز خسيس من راضى نباشم كه كمترين بندهء از بندكان خودرا باچون تو جزاى وى دهم آنكه كويد «كوني ترابا» يعني خاك كرد ونيست شوچنان نيست شودكه هيچ جاى بديد نيايد. وكفته اند طالبان دنيا سه كروه اند. كروهى دردنيا از وجه حرام كردكنند چون دست رسد بغصب وقهر بخود مى كشند واز سر انجام وعاقبت آن نيند يشندكه ايشان اهل عقابند وسزاى عذاب مصطفى عليه السلام كفت كسى كه در دنيا حلال جمع كند از بهر تفاخر وتكاثر تاكردن كشد وبر مردم تطاول جوايد رب العزة ازوى اعراض كند ودر قيامت باوى بخشم بوداوكه دردنيا حلال جمع كرد برنيت تفاخر حالش اينست پس اوكه حرام طلب كند وحرام كيرد وخورد حالش خود چون بود. كروه دوم دنيا بدست آرند ازوجه مباح چون كسب وتجارات وچون معاملات ايشان اهل حسابند در مشيت حق در خبرست كه «من نوقش في الحساب عذب». كروه سوم از دنيا بسد جوعت وستر عورت قناعت كنند مصطفى عليه السلام «ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يكنه وثوب يواري عورته وجرف الخبز والماء» يعني از كسر الخبز ايشانرا نه حسابست ونه عتاب ايشانندكه چون سر ازخاك بركنند رويهاى ايشان چون ماه چهارده بود]. قال بعضهم: الآية وصف المدعين الذين هم عارفون بالأمور الظاهرة والأحكام الدنيوية محجوبون عن معاملات الله غافلون عما فتح الله على قلوب أوليائه الذين غلب عليهم شوق الله وأذهلهم حب الله عن تدابير عيش الدنيا ونظام أمورها ولذلك قال عليه السلام: «أنتم أعلم بأمور دنياكم وأنا أعلم بأمور آخرتكم».

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿**غلبت الروم**﴾ فيه إشارة إلى أن حال أهل الطلب يتغير بحسب الأوقات ففي بعض الأحوال يغلب فارس النفس على روم القلب للطالب الصادق فينبغي أن لا يزل هذا قدمه عن صراط الطلب ويكون له قدم صدق عند ربه بالثبات واثقاً ﴿**وهم من بعد غلبهم سيغلبون**﴾ أي: سيغلب روم القلب على فارس النفس بتأييد الله ونصرته ﴿**في بضع سنين**﴾ من أيام الطلب ﴿**لله الأمر من قبل**﴾ يعني غلبة فارس النفس على روم القلب أولاً

كانت بحكم الله وتقديره وله في ذلك حكمة بالغة في صلاح الحال والمآل ألا يرى أن فارس نفس جميع الأنبياء والأولياء في البداية غلبت على روم قلبهم ثم غلبت روم قلبهم على فارس نفسهم **﴿ومن بعد﴾** يعني غلبة روم القلب على فارس النفس أيضاً بحكم الله فإنه يحكم لا معقب لحكمه **﴿ويومئذٍ﴾** يعني يوم غلبت الروم **﴿يفرح المؤمنون﴾** يعني الروح والسر والعقل **﴿بنصر الله﴾** القلب على النفس وبنصر الله المؤمنين على الكافرين **﴿وهو العزيز﴾** فبعزته يعز أولياءه ويذل أعداءه **﴿الرحيم﴾** برحمته ينصر أهل محبته وهم أرباب القلوب **﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس﴾** من ناسي ألطافه **﴿لا يعلمون﴾** صدق وعده ووفاء عهده لأنهم **﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾** يجدون ذوق حلاوة عسل شهوات الدنيا بالحواس الظاهرة **﴿وهم عن الآخرة﴾** وكمالاتها ووجدان شوق شهواتها بالحواس الباطنة وأنها موجبة للبقاء الأبدي وإن عسل شهوات الدنيا مسموم مهلك **﴿هم غافلون﴾** لاستغراقهم في بحر البشرية وتراكم أمواج أوصافها الذميمة انتهى، قال الكمال الخجندي:

جهان وجمله لذاتش بزنبور عسل ماند

که شيرينيش بسيارست وزان افزون شر وشورش

عصمنا الله وإياكم من الانهماك في لذات الدنيا.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾ الواو للعطف على مقدر، والتفكر تصرف القلبُ في معاني الأشياء لدرك المطلوب وهو قبل أن يتصفى اللب والتذكر بعده ولذا لم يذكر في كتاب الله تعالى مع اللب إلا التذكر. قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها قوله: **﴿في أنفسهم﴾** ظرف للتفكر وذكره في ظهور استحالة كونه في غيرها لتصوير حال المتفكر فهو من بسط القرآن نحو يقولون بأفواههم والمعنى أقصر كفار مكة نظرهم على ظاهر الحياة الدنيا ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا أنه تعالى **﴿ما خلق الله السموات﴾** الأجرام العلوية وكذا سموات الأرواح **﴿والأرض﴾** الأجرام السفلية وكذا أرض الأجسام **﴿وما بينهما﴾** من المخلوقات والقوى ملتبسة بشيء من الأشياء **﴿إلا﴾** ملتبسة **﴿بالحق﴾** والحكمة والمصلحة ليعتبروا بها ويستدلوا على وجود الصانع ووحدته ويعرفوا أنها مجالي صفاته ومرائي قدرته وإنما جعل متعلق الفكر والعلم هو الخلق دون الخالق لأن الله تعالى منزه عن أن يوصف بصورة في القلب ولهذا روى «تفكروا في آلاء الله تعالى ولا تتفكروا في ذات الله»، وفي «المثنوي»:

عالم خلقست باسوى جهات بى جهت دان عالم امر وصفات

بى تعلق نيست مخلوقى بدو آن تعلق هست بيچون اى عمو

اين تعلق را خرد چون پى برد بستهٔ فصلست ووصلست اين خرد

زين وصيت كرد مارا مصطفى بحث كم جوييد در ذات خدا

آنكه در ذاتش تفكر كردنيست در حقيقت آن نظر درذات نيست
هست آن پندار اوزيرا براه صد هزاران پرده آمد تا اله
هريكى در بردهٔ موصول جوست وهم او آنست كه آن عين هوست
پس پيمبر دفع كرد اين وهم ازو تا نباشد در غلط سودا بزاو
در عجائبهاش فكر اندر رويد از عظيمى وزمهابت كم شويد
چونكه صنعش ريش وسبلت كم كند حد خود داند زصانع تن زند
جزكه لا احصى نكويد ازجان كز شمار وحد برونست آن بيان

ثم إنه لما كان معنى الحق في أسماء الله تعالى هو الثابت الوجود على وجه لا يقبل الزوال والعدم والتغير كان الجاري على ألسنة أهل الفناء من الصوفية في أكثر الأحوال هو الاسم الحق لأنهم يلاحظون الذات الحقيقية دون ما هو هالك في نفسه وباطل في ذاته وهو ما سوى الله تعالى ﴿**وأجل مسمى**﴾ عطف على الحق أي: وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من أن تنتهي إليه وهو وقت قيام الساعة ﴿**وإن كثيراً من الناس**﴾ مع غفلتهم عن الآخرة وإعراضهم عن التفكر فيما يرشدهم إلى معرفتها ﴿**بلقاء ربهم**﴾ أي: بلقاء حسابه وجزائه بالبعث والباء متعلق بقوله: ﴿**لكافرون**﴾ أي: منكرون جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية وأن الآخرة لا تكون بحلول الأجل المسمى.

﴿**أولم يسيروا**﴾ أهل مكة والسير المضي في الأرض ﴿**في الأرض فينظروا**﴾ أي: أقعدوا في أماكنهم ولم يسيروا فينظروا أي: قد ساروا وقت التجارات في أقطار الأرض وشاهدوا ﴿**كيف كان عاقبة الذين من قبلهم**﴾ من الأمم المهلكة كعاد وثمود والعاقبة إذا أطلقت تستعمل في الثواب كما في قوله تعالى: ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة كما في هذه الآية وهي آخر الأمر، وبالفارسية: [سرانجام] ثم بين مبدأ أحوال الأمم ومآلها فقال: ﴿**كانوا أشد منهم قوة**﴾ يعني: أنهم كانوا أقدر من أهل مكة على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة ﴿**وأثاروا الأرض**﴾ يقال ثار الغبار والسحاب انتشر ساطعاً وقد أثرته فالإثارة تحريك الشيء حتى يرتفع غباره، وبالفارسية: [برانكيختن كرد وشورانيدن زمين وميغ آوردن باد] كما في «تاج المصادر»، والثور اسم البقر الذي يثار به الأرض فكأنه في الأصل مصدر جعل في موضع الفاعل والبقر من بقر إذا شق لأنها تشق الأرض بالحراثة ومنه قيل لمحمد بن الحسين بن علي الباقر لأنه شق العلم ودخل فيه مدخلاً بليغاً. والمعنى وقلبوا الأرض للزراعة والحراثة واستنباط المياه واستخراج المعادن ﴿**وعمروها**﴾ العمارة نقيض الخراب أي: عمروا الأرض بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها ﴿**أكثر مما عمروها**﴾ أي: عمارة أكثر كما وكيفا وزماناً من عمارة هؤلاء المشركين. يعني: أهل مكة إياها كيف لا وهم أهل واد غير ذي زرع لا تنشط لهم في غيره ﴿**وجاءتهم رسلهم بالبينات**﴾ بالمعجزات والآيات الواضحات فكذبوهم فأهلكهم الله تعالى ﴿**فما كان الله**﴾ بما فعل بهم من العذاب والإهلاك ﴿**ليظلمهم**﴾ من غير جرم يستدعيه من جانبهم ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ بما اجترأوا على اكتساب المعاصي الموجبة للهلاك.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أي: عملوا السيئات، وبالفارسية: [بدكردند يعنى كافر شدند] ﴿السوأى﴾ أي: العقوبة التي هي أسوء العقوبات وأفظعها وهي العقوبة بالنار فإنها تأنيث الأسوأ كالحسنى تأنيث الأحسن أو مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوأى. وقيل السوأى اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة وإنما سميت سوأى لأنها تسوء صاحبها، قال الراغب: السوء كل ما يعم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجة من فوات مال وفقد حميم وعبر بالسوأى عن كل ما يقبح ولذلك قوبل بالحسنى قال: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى﴾ كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦] انتهى. والسوأى مرفوعة على أنها اسم كان وخبرها عاقبة وقرىء على العكس وهو أدخل في الجزالة كما في «الإرشاد» ﴿أن كذبوا بآيات الله﴾ علة لما أشير إليه من تعذيبهم الدنيوي والأخروي أي: لأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله ومعجزاته الظاهرة على أيديهم ﴿وكانوا بها يستهزئون﴾ عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلة وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده. وحاصل الآيات: أن الأمم السالفة المكذبة عذبوا في الدنيا والآخرة بسبب تكذيبهم واستهزائهم وسائر معاصيهم فلم ينفعهم قوتهم ولم يمنعهم أموالهم من العذاب والهلاك فما الظن بأهل مكة وهم دونهم في العدد والعدد وقوة الجسد.

واعلم أن طبع القلوب والموت على الكفر مجازاة على الإساءة كما قال ابن عيينة أن لهذه الذنوب عواقب سوء لا يزال الرجل يذنب فينكت على قلبه حتى يسوّد القلب كله فيصير كافراً والعياذ بالله، وفيه إشارة إلى طلبة العلم الذين يشرعون في علوم غير نافعة بل مضرة مثل الكلام والمنطق والمعقولات فيشوش عليهم عقيدتهم على مذهب أهل السنة والجماعة وإن وقعوا في أدنى شك وقعوا في الكفر:

علم بى دينان رهاكن جهل را حكمت مخوان

ازخيـالات وظـنـون اهـل يـونـان دم مـزن

فمن كان له نور الإيمان الحقيقي بالسير والسلوك ينظر كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من حكماء الفلاسفة أنهم كانوا أشد منهم قوة في علم القال وأثاروا الأرض البشرية بالرياضة والمجاهدة وعمروها بتبديل الأخلاق والاستدلال بالدلائل العقلية والبراهين المنطقية أكثر مما عمروها المتأخرون لأنهم كانوا أطول أعماراً منهم فوسوس لهم الشيطان وغرهم بعلومهم العقلية واستبدت نفوسهم بها وظنوا أنهم غير محتاجين إلى الشرائع ومتابعة الأنبياء وجاءتهم رسلهم بالمعجزات الظاهرة فنسبوها إلى السحر والنيرنج واعتمدوا على مسولات أنفسهم من الشبهات بحسبان أنها من البراهين القاطعة فأهلكهم الله في أودية الشكوك والحسبان فما كان الله ليظلمهم بالابتلاء بهذه الآفات بأن يكلهم إلى وساوس الشيطان وهواجس نفوسهم ولا يرسل إليهم الرسل ولم ينزل معهم الكتب ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتكذيب الأنبياء ومتابعة الشيطان وعبادة الهوى ثم كان عاقبة أمر الفلاسفة لما أساءوا بتكذيب الأنبياء السوأى بأن صاروا أئمة الكفر وصنفوا الكتب في الكفر وأوردوا فيها الشبهات على بطلان ما جاء به الأنبياء من الشرائع والتوحيد وسموها الحكمة وسموا أنفسهم الحكماء فالآن بعض المتعلمين من الفقهاء إما لوفور حرصهم على العلم والحكمة وإما لخباثة الجوهر ليتخلصوا من تكاليف الشرع

يطالعون تلك الكتب ويتعلمونها وبتلك الشبهات التي دونوا بها كتبهم يهلكون في أودية الشكوك ويقعون في الكفر وهذه الآفة وقعت في الإسلام من المتقدمين والمتأخرين منهم وكم من مؤمن عالم قد فسدت عقدتهم بهذه الآفة وأخرجوا ربقة الإسلام من عنقهم فصاروا من جملتهم ودخلوا في زمرتهم ولعل هذه الآفة تبقى في هذه الأمة إلى قيام الساعة فإن في كل يوم يزداد تقل طلبة علوم الدين من التفسير والحديث والمذهب وتكثر طلبة علوم الفلسفة والزندقة ويسمونها الأصول والكلام:

علم دين فقهست وتفسير وحديث هركه خواند غير ازين كردد خبيث

وقد قال الشافعي رحمه الله: من تكلم تزندق ثم وبال هذه جملة إلى قيام الساعة يكتب في ديوان من سن هذه السنة السيئة ومن أوزار من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء على أن كذبوا بالقرآن وسموا الأنبياء عليهم السلام أصحاب النواميس وسموا الشرائع الناموس الأكبر عليهم لعنات الله تترى كذا في «تأويلات» حضرة الشيخ نجم الدين قدس سره.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿الله يبدأ الخلق﴾ يخلقهم أولاً في الدنيا وهو الإنسان المخلوق من النطفة ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت إحياء كما كانوا أي: يحييهم في الآخرة ويبعثهم وتذكير الضمير باعتبار لفظ الخلق ﴿ثم إليه﴾ أي: إلى موقف حسابه تعالى وجزائه ﴿ترجعون﴾ تردون لا إلى غيره والالتفات للمبالغة في الترهيب. وقرىء بياء الغيبة والجمع باعتبار معنى الخلق.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ويوم تقوم الساعة﴾ التي هي وقت إعادة الخلق ورجعهم إليه للجزاء. والساعة جزء من أجزاء الزمان عبر بها عن القيامة تشبيهاً لها بذلك لسرعة حسابها كما قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] أو لما نبه عليه قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿يبلس المجرمون﴾ يسكنون سكوت من انقطع عن الحجة متحيرين آيسين من الاهتداء إلى الحجة أو من كل خير. قال الراغب الإبلاس الحزن المعترض من شدة اليأس ومنه اشتق إبليس ولما كان المبلس كثيراً ما يلزم السكوت وينسى ما يعينه. قيل: أبلس فلان إذا سكت وانقطعت حجته ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ أوثانهم التي عبدوها رجاء الشفاعة ﴿شفعاء﴾ يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه في علم الله وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع أي: لم يكن لكل واحد منهم شفيع أصلاً وكتب في المصحف شفعواء بواو قبل الألف كما كتب علمواء بني إسرائيل في الشعراء والسوأى بالألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ يكفرون بآلهتهم حيث يئسوا منهم. يعني: [چون ازمطلوب نا اميد كردند ازايشان بيزار شوند].

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿يوم تقوم الساعة﴾ أعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه ﴿يومئذٍ﴾ [آن هنكام] ﴿يتفرقون﴾

تهويل له أثر تهويل. وفيه رمز إلى أن التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم وإعادتهم ورجوعهم لا المجرمين خاصة. والمعنى: يتفرق المؤمنون والكافرون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً. قال الحسن رحمه الله: لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقن يوم القيامة هؤلاء في أعلى عليين وهؤلاء في أسفل سافلين [يكى در درجهء وصلت يكى در دركه فرقت آن بر سرير محبت واين بر حصير محنت آنرا انواع ثواب واين را أصناف عقاب جمعى ازدولت تلاقى نازان وبرخى برآتش فراق كدازان]:

يكى خندان بصدر عشرت يكى نالان بصد عسرت
يكى در راحت وصلت يكى در شدت هجرت

قال أبو بكر بن طاهر قدس سره: يتفرق كل إلى ما قدر له من محل السعادة ومنزل الشقاوة ومن كان تفرقته إلى الجمع كان مجموع السر ثم لا يألف الخلق أبداً فينقلب إلى محل السعداء ومن كان تفرقته إلى الفرق كان متفرق السر ثم لا يألف الحق أبداً فيرجع إلى محل أهل الشقاوة، ثم فصل أحوال الفريقين وكيفية تفرقهم فقال:

﴿**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة**﴾ عظيمة وهي كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة والمراد بها الجنة، قال الراغب: الروض مستنقع الماء والخضرة وفي روضة عبارة عن رياض الجنة وهي محاسنها وملاذها انتهى. وخص الروضة بالذكر لأنه لم يكن عند العرب شيء أحسن منظراً ولا أطيب نشراً من الرياض. ففيه تقريب المقصود من إفهامهم. والمعنى بالفارسية: [پس ايشان در مر غزارهاى مشتمل برازهار وانهار] ﴿**يحبرون**﴾ يسرون سروراً تهللت له وجوههم، يعني: [شادمان كردانيده باشند چنان شادمانى كه اثر آن بر صفحات وجنات ايشان ظاهر باشد] فالحبور السرور يقال حبره إذا سره سروراً تهلل له وجهه. وفي «المفردات» يفرحون حتى يظهر عليهم حبار نعيمهم أي: أثره يقال حبر فلان بقي بجلده أثر من قرح. والحبر العالم لما يبقى من أثر علومه في قلوب الناس ومن آثار أفعاله الحسنة المقتدى بها وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين رضي الله عنه بقوله: «العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة» ويقال التحبير التحسين الذي يسربه يقال للعالم حبر لأنه يتخلق بالأخلاق الحسنة. وللمداد حبر لأنه يحسن به الأوراق فيكون الحبرة كل نعمة حسنة. قال في «الإرشاد»: واختلف فيه الأقاويل لاختلاف وجوه. فعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد يكرمون. وعن قتادة ينعمون. وعن ابن كيسان يحلون. وعن أبي بكر بن عياش يتوّجون [متوج سازندشان]. وعن وكيع يسرون بالسماع، يعني: [آواز خوش شنوانند ايشانرا وهيچ لذت برابر سماع نيست. در خبراست كه ابكار بهشت تغنى كنند بأصواتي كه خلائق مثل آن نشنيده باشد واين افضل نعيم بهشت بود از ابى درداء رضي الله عنه را پرسيدندكه مغنيات بهشت بچه چيز تغنى كنند فرموده كه بالتسبيح. از يحيى بن معاذ رازى رضي الله عنه را پرسيدندكه از آوزها كدام دوستر دارى فرمود مزامير انس في مقاصير قدس بالحان تحميد في رياض تمجيد].

ـ وروي ـ أن في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع يهب الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً وفي الحديث: «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء

والأرض والفردوس أعلاها سمواً وأوسطها محلاً ومنها يتفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني رجل حبب إليّ الصوت فهل في الجنة صوت حسن؟ فقال: «أي نعم والذي نفسي بيده إن الله سبحانه ليوحي إلى شجرة في الجنة أن أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتاً لم يسمع الخلائق مثله قط من تسبيح الرب وتقديسه» [فردا دوستان خدا در روضات بهشت ميان رياحين انس بشادى وطرب سماع كنند فرمان آيد بداود عليه السلام كه يا داود بآن نغمه؟ دلپذير وصوت شوق انكيز كه ترا داده ايم زبور بخوان. أي: موسى تلاوت تورات كن. أي: عيسى بتلاوت انجيل مشغول شو. اي درخت طوبى آواز دل آراى بتسبيح ما بكشاي. اي اسرافيل توقرآن آغازكن]. قال الأوزاعي: ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم [اى ماه رويان فردوس چه نشينيد خيزيد ودوستانرا اقبال كنيد. أي تلهاى مشك اذفر وكافور معنبر برسر مشتاقان ما نثار شويد. أي درويشان كه دردنيا غم خورديد اندوه بسر آمدودرخت شادى ببر آمد خيزيد وطرب كنيد در حظيرهٔ قدس وخلوتكاه انس بنازيد. أي مستان مجلس مشاهده. أي مخمور خمر عشق. أي عاشقان سوخته كه سحر كاهان در ركوع وسجود چون خون ازديدها روان كرده ودلها باميد وصال ما تسكين داده كاه آن آمدكه در مشاهده ما بياساييد بارغم ازخود فرونهيد وبشادى دم زنيد. أي طالبان ساكن شويد كه نقد تزديكست. أي شب روان آرام كيريد كه صبح نزديكست. أي مشتاقان طرب كنيدكه ديدار نزديكست] فيكشف الحجاب ويتجلى لهم تبارك وتعالى في روضة من رياض الجنة ويقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي فهذا محل كرامتي فسلوني:

روزى كه سرا پرده برون خواهى كرد دانم كه زمانه را زبون خواهى كرد
كر زيب وجمال ازين فزون خواهى كرد يا رب چه جكر هست كه خون خواهى كرد

[حاصل سخن آنكه شريفترين لذتي بعد ازمشاهده انوار تجلى دربهشت سماع خواهد بود وازينجا كفته آن عزيز در شرح مثنوى كه سماع منادى است كه درماندكان بيابان محنت افزاى دنيارا از عشرت آباد بهشت نورانى ياد ميدهد]:

مؤمنان كويند كاثار بهشت نغز كردانيد هر آواز زشت
ما همه اجزاء آدم بوده ايم دربهشت آن لحن را بشنوده ايم
كرچه برما ريخت آب وكل شكى ياد ما آيد ازانها اندكى
پس نى وچنك ورباب وسازها چيزكى ماند بدان آوزها
عاشقان كين نغمهارا بشنوند خزؤ بكذا رند وسوى كل روند

قال بعض العارفين: إن الله تعالى بجوده وجلاله يطيب أوقات عشاقه بكل لسان في الدنيا وكل صوت حسن في الآخرة ورب روضة في الدنيا للعارف العاشق الصادق يرى الحق فيها ويسمع منه بغير واسطة وربما كان بواسطة فيسمعه الحق من ألسنة كل ذرة من العرش إلى الثرى أصواتاً قدوسية وخطابات سبوحية. قال جعفر: فابدأ به في صباحك وبه فاختم في مسائك فمن كان به ابتداؤه وإليه انتهاؤه لا يشقى فيما بينهما. قال البقلي رحمه الله: وصف الله أهل الحبور بالإيمان والعمل الصالح فأما إيمانهم فشهود أرواحهم مشاهد الأزل في أوائل

ظهورها من العدم. وأما أعمالهم الصالحة فالعشق والمحبة والشوق فآخر درجاتهم في منازل الوصال الفرح بمشاهدة الله والسرور بقربه وطيب العيش لسماع كلامه يطربهم الحق بنفسه أبد الآبدين في روح وصاله وكشف جماله.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ﴿ولقاء الآخرة﴾ أي: البعث بعد الموت صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بأمره ﴿فأولئك﴾ الموصوفون بالكفر والتكذيب ﴿في العذاب محضرون﴾ مدخلون على الدوام لا يغيبون عنه أبداً. قال بعضهم: الإحضار إنما يكون على إكراه فيجاء به على كراهة أي: يحضرون العذاب في الوقت الذي يحبر فيه المؤمنون في روضات الجنان فيكونون على عذاب وويل وثبور كما يكون المؤمنون على ثواب وسماع وحبور. فعلى العاقل أن يجتنب عن القيل والقال ويكسب الوجد والحال من طريق صالحات الأعمال فإن لكل عمل صالح أثراً ولكل ورع وتقوى ثمرة فمن حبس نفسه في زاوية العبادة والطاعة وتخلى في خلوة الذكر والفكر تفرج في رياض الجنان بما قاسى بالأعضاء والجنان. ومن أغلق باب سمعه عن سماع الملاهي وصبر عنه فتح الله له باب سماع الأغاني في الجنة وإلا فقد حرم من أمثل اللذات.

به ازروى زيباست آواز خوش ... كه آن حظ نفس است واين قوت روح

كما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة وأشار بالإحضار إلى أن جهنم سجن الله تعالى فكما أن المجرم في الدنيا يساق إلى السجن وهو كاره له فكذا المجرم في العقبى يساق ويجرّ إلى النار بالسلاسل والأغلال فيذوق وبال كفره وتكذيبه وحضوره محاضر أهل الهوى من أهل الملاهي وربما يحضر في العذاب من ليس بمكذب الحاقاً له في بعض الأوصاف وإن كان غير مخلد فيه وربما تؤدي الجراءة على المعاصي والإصرار عليها إلى الكفر والعياذ بالله تعالى. فيا أهل الشريعة عليكم بترك المحرمات الموجبة للعقوبات. ويا أهل الطريقة عليكم بترك الفضلات المؤدية إلى التنزلات ولا يغرنكم أحوال أبناء الزمان فإن أكثرهم إباحيون غير مبالين ألا ترى إلى مجامعهم المشحونة بالأحداث ومجالسهم المملوءة بأهل الملاهي كأنهم المكذبون بلقاء الآخرة فلذا قصروا همتهم على الأمور الظاهرة يطلبون العشق والحال في الأمر الزائل كالمتغنى والمزمّر ويعرضون عن الذكر والتوحيد الباقي لذته وصفوته مدى الدهر ولعمري أن من عقل لا يستن بسنن الجهلاء وأهل الارتكاب ولا يرفع إلى مجالسهم قدماً ولو خطوة خوفاً من العذاب فإنه تعالى قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣] وأي نار أعظم من نار البعد والفراق إذ هي دائمة الإحراق نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لسدّ خلل الدين والإعراض عن متسامحات الغافلين ويجعلنا ممن تعلق بحبل الشرع المبين وعروة الطريق القويم المتين ويحيينا بالحياة الطيبة إلى آخر الأعمار ويعيدنا من الأجداث والوجوه أقمار ولا يخيبنا في رجاء شفاعات الأعالي إنه الكريم المتعالي.

﴿فسبحان الله﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها. والسبح المر السريع في الماء أو في الهواء والتسبيح تنزيه الله وأصله المر السريع في عبادة الله جعل عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية والسبوح والقدوس من أسماء الله تعالى وليس في كلامهم فعول سواهما. وسبحان

هنا مصدر كغفران موضوع موضع الأمر مثل فضرب الرقاب والتسبيح محمول على حقيقته وظاهره الذي هو تنزيه الله عن السوء والثناء عليه بالخير. والمعنى: إذا علمتم أيها العقلاء المميزون أن الثواب والنعيم للمؤمنين العاملين والعذاب والجحيم للكافرين المكذبين فسبحوا الله أي: نزهوه عن كل ما لا يليق بشأنه تعالى **﴿حين تمسون وحين تصبحون﴾** الحين بالكسر وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر ويتخصص بالمضاف إليه كما في هذا المقام. والإمساء الدخول في المساء كما أن الإصباح الدخول في الصباح والمساء والصباح ضدان. قال بعضهم: أول اليوم الفجر ثم الصباح ثم الغداة ثم البكرة ثم الضحى ثم الضحوة ثم الهجير ثم الظهر ثم الرواح ثم المساء ثم العصر ثم الأصيل ثم العشاء الأولى ثم العشاء الأخيرة عند مغيب الشفق. والمعنى: سبحوه تعالى وقت دخولكم في المساء وساعة دخولكم في الصباح.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾ يحمده خاصة أهل السموات والأرض ويثنون عليه أي: احمدوه على نعمه العظام في الأوقات كلها فإن الإخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على أهل التمييز من خلق السموات والأرض في معنى الأمر على أبلغ وجه. وتقديم التسبيح على التحميد لأن التخلية بالمعجمة متقدمة على التحلية بالمهملة كشرب المسهل متقدم على شرب المصلح وكالأساس متقدم على الحيطان وما يبنى عليها من النقوش **﴿وعشياً﴾** آخر النهار من عشى العين إذا نقص نورها ومنه الأعشى وهو معطوف على حين تمسون أي: سبحوه وقت العشي وتقديمه على قوله **﴿وحين تظهرون﴾** أي: تدخلون في الظهيرة التي هي وسط النهار لمراعاة الفواصل وتغيير الأسلوب لأنه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة وتوسيط الحمد بين أوقات التسبيح للإشعار بأن حقها أن يجمع بينها كما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨] وقوله عليه السلام: «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» وقوله عليه السلام: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» وتخصيص التسبيح والتحميد بتلك الأوقات للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته وأحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتماً وفي الحديث «من سرّه أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل **﴿فسبحان الله حين تمسون﴾**» الآية.

وحمل بعضهم التسبيح والتحميد في الآية على الصلاة لاشتمالها عليهما. والسبحة الصلاة ومنه سبحة الضحى وقد جاء في القرآن إطلاق التسبيح بمعنى الصلاة في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣]. قال القرطبي وهو من أجلاء المفسرين أي: من المصلين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية جامعة للصلوات الخمس ومواقيتها. تمسون صلاة المغرب والعشاء. وتصبحون صلاة الفجر. وعشياً صلاة العصر. وتظهرون صلاة الظهر فالمعنى فصلوا لله في هذه الأوقات. واتفق الأئمة على أن الصلاة المفروضة في اليوم والليلة خمس وعلى أنها سبع عشرة ركعة، الظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث،

والعشاء أربع، والفجر ركعتان. قيل فرضت الصلوات الخمس في المعراج أربعاً إلا المغرب ففرضت ثلاثاً وإلا الصبح ففرضت ركعتين وإلا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الأربع في السفر. وتجب الصلاة بأول الوقت لغير معذور وعليه بآخره بالاتفاق. وعند أبي حنيفة إذا طلعت الشمس وهو في صلاة الفجر بطلت صلاته وليس كذلك إذا خرج الوقت في بقية الصلاة والزائد على قدر واجب في الصلاة في قيام ونحوه نفل بالاتفاق كما في «فتح الرحمٰن» وفي الحديث «ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه من الصلاة لتعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد» وفي الحديث «من حافظ على الصلوات الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان». والجماعة سنة مؤكدة أي: قوية تشبه الواجب في القوة لقوله عليه السلام: «الجماعة من سنن الهدى لا يتخلف عنها إلا منافق» وأكثر المشايخ على أنها واجبة وتسميتها سنة لأنها ثابتة بالسنة لكن إن فاتته جماعة لا يجب عليه الطلب في مسجد آخر كذا في الفقه. قال أبو سليمان الداراني قدس سره: أقمت عشرين سنة لم أحتلم فدخلت مكة فأحدثت بها حدثاً فما أصبحت إلا احتلمت وكان الحدث فاتته صلاة العشاء بجماعة، وفي «المثنوي»:

هرچه آيد برتو از ظلمات غم ... آن زبى شرمى وكستاخيست هم

فلكل عمل أثر وجزاء وأجر:

دزانكه شاكررا زيادت وعده است ... آنچنانكه قرب مزد سجده است

كفت واسجد واقترب يزدان ما ... قرب جان شد سجدهٔ ابدان ما

﴿**يخرج الحي من الميت**﴾ كالإنسان من النطفة والطير من البيضة وأيضاً المؤمن من الكافر والمصلح من المفسد والعالم من الجاهل. وأيضاً القلب الحي بنور الله من النفس الميتة عن صفاتها وأخلاقها الذميمة إظهاراً للطفه ورحمته ﴿**ويخرج الميت من الحي**﴾ النطفة والبيضة من الحيوان. وأيضاً الكافر والمفسد والجاهل من المؤمن والمصلح والعالم. وأيضاً القلب الميت عن الأخلاق الحميدة الروحانية من النفس الحية بالصفات الحيوانية الشهوانية إظهاراً لقهره وعزته ﴿**ويحيي الأرض**﴾ بالمطر والنبات ﴿**بعد موتها**﴾ قحلها ويبسها ﴿**وكذلك**﴾ مثل ذلك الإخراج ﴿**تخرجون**﴾ من القبور أحياء إلى موقف الحساب فإنه أيضاً يعقب الحياة الموت. تلخيصه الإبداء والإعادة في قدرته سواء. قال مقاتل: يرسل الله يوم القيامة ماء الحياة من السماء السابعة من البحر المسجور بين النفختين فينشر عظام الموتى وذلك قوله تعالى: ﴿**وكذلك تخرجون**﴾ فكما ينبت النبات من الأرض بالمطر فكذا ينبت الناس من القبور بمطر البحر المسجور كالمني ويحيون به.

والإشارة: إن الله يحيي أرض القلوب بعد إماتته إياها وكذلك تخرجون من العدم إلى الوجود بالقدرة وفي الحديث «من قال حين يصبح ﴿**فسبحان الله حين تمسون**﴾ إلى قوله ﴿**وكذلك تخرجون**﴾ أدرك ما فات من ليلته ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في يومه». وفي «كشف الأسرار» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون» هذه الآيات الثلاث من سورة الروم وآخر سورة الصافات «دبر كل صلاة يصليها كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد

تراب الأرض فإذا مات أجرى له بكل حسنة عشر حسنات في قبره وكان إبراهيم خليل الله عليه السلام يقولها في كل يوم وليلة ست مرات» يعني: مضمونها بلغة السريان إذ لم تكن العربية يومئذٍ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿ومن آياته﴾ أي: ومن علامات الله الدالة على البعث. وقال الكاشفي: [واز نشانهاى قدرت خداى تعالى] ﴿أن خلقكم﴾ يا بني آدم في ضمن خلق آدم لأنه خلقه منطوياً على خلق ذرياته انطواء إجمالياً والخلق عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجسام ﴿من تراب﴾ لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه في ذاتكم وصفاتكم وإنما خلق الله الإنسان من التراب ليكون متواضعاً ذلولاً حمولاً مثله والأرض وحقائقها دائمة في الطمأنينة والإحسان بالوجود ولذلك لا تزال ساكنة وساكتة لفوزها بوجود مطلوبها فكانت أعلى مرتبة وتحققت في مرتبة العلو في عين السفل وقامت بالرضى ﴿ثم إذا أنتم﴾ [پس اكنون شما] ﴿بشر﴾ [مردمانيد آشكارا] أي: آدميون من لحم ودم عقلاء ناطقون. قال في «المفردات»: البشرة ظاهر الجلد وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر. واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع وخص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر ﴿تنتشرون﴾ الانتشار [پراكنده شدن]. قال الراغب: انتشار الناس تصرفهم في الحاجات. والمعنى فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشراً تنتشرون في الأرض فدل بدء خلقكم على إعادتكم وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى في أوائل سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥] أي: إن كنتم في شك من البعث بعد الموت فانظروا إلى ابتداء خلقكم وقد خلقناكم بالأطوار لتظهر لكم قدرتنا على البعث فتؤمنوا به وأنشد بعضهم:

خلقت من التراب فصرت شخصاً ... بصيراً بالسؤال وبالجواب
وعدت إلى التراب فصرت فيه ... كأني ما برحت من التراب

قال الشيخ سعدي قدس سره:

بامرش وجود ازعدم نقش بست ... كه داندجزا وكردن از نيست هست
دكرره بكتم عدم دربرد ... واز آنجا بصحراى محشر برد

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن التراب أبعد الموجودات إلى الحضرة لأنا إذا نظرنا إلى الحقيقة وجدنا أقرب الموجودات إلى الحضرة عالم الأرواح لأنه أول ما خلق الله الأرواح ثم العرش لأنه محل استواء الصفة الرحمانية ثم الكرسي ثم السماء السابعة ثم السموات كلها ثم فلك الأثير ثم فلك الزمهرير أعني الهواء ثم الماء ثم التراب وهو جماد لا حس فيه ولا حركة وليس له قدرة على تغيير ذاته وصفاته فلما وجدنا ذاته متغيرة عن وصف الترابية صورة ومعنى متبدلة كتغير صورته بصورة البشر وتبدل صفته بصفة البشرية علم أنه

محتاج إلى مغير ومبدل وهو الله سبحانه وأشار بقوله: ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ يعني كنتم تراباً جماداً ميتاً أبعد الموجودات عن الحضرة جعلتكم بشراً بنفخ الروح المشرف بإضافة من روحي وهو أقرب الموجودات إلى الحضرة فأي آية أظهر وأبين من الجمع بين أبعد الأبعدين وأقرب الأقربين بكمال القدرة والحكمة ثم جعلتكم مسجود الملائكة المقربين وجعلتكم مرآة مظهرة لجميع صفات جمالي وجلالي ولهذا السر جعلتكم خلائف الأرض انتهى. يقول الفقير: والخليفة لا بد له من الانتقال من موطن إلى موطن إعطاء لأحكام الإسلام فالموطن الدنيوي هو من آثار الاسم الظاهر والانتقال إلى الموطن البرزخي من أحكام الاسم الباطن فلما صار الغيب شهادة بالنسبة إلى الموطن الأول في ابتداء الظهور وأوله فكذلك تصير الشهادة غيباً بالنسبة إلى الموطن الثاني والموطن الحشري في انتهاء الظهور وثانيه. يعني أن الدنيا تصير غيباً راجعاً إلى حكم الاسم الباطن عند ظهور البعث والحشر كما كانت شهادة قبله راجعة إلى حكم الاسم الظاهر وأن الأخرى تصير شهادة بعده كما كانت غيباً قبله فهي كالقلب الآن وسينقلب الأمر فيكون القلب قالباً والقالب قلباً نسأل الله الانتقال بالكمال التام والظهور في النشأة الآخرة بالوجود المحيط العالم.

﴿ومن آياته﴾ الدالة على البعث وما بعده من الجزاء ﴿أن خلق لكم﴾ أي: لأجلكم ﴿من أنفسكم﴾ [ازتن شما] ﴿أزواجاً﴾ [زنان وجفتان] فإن خلق أصل أزواجكم حواء من ضلع آدم متضمن لخلقهن من أنفسكم والأزواج جمع زوج وهو الفرد المزاوج لصاحبه وكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى وزوجة لغة رديئة وجمعها زوجات كما في «المفردات» ويجوز أن يكون معنى من أنفسكم من جنسكم لا من جنس آخر وهو الأوفق بقوله: ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: لتميلوا إلى تلك الأزواج وتألفوا بها فإن المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر.

بجنس خود كند هرجنس آهنك ندارد هيچكس ازجنس خود ننك
بجنس خويش دارد ميل هرجنس فرشته بافرشته انس باانس

يقول الفقير: ذهب العلماء من الفقهاء وغيرهم إلى جواز المناكحة والعلوق بين الجن والإنس فقد جعل الله أزواجاً من غير الجنس والجواب أن ذلك من النوادر فلا يعتبر وليس السكون إلى الجنية كالسكون إلى الإنسية وإن كانت متمثلة في صورة الإنس ﴿وجعل بينكم﴾ وبين أزواجكم من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة أو رابطة قرابة ورحم ﴿مودة﴾ محبة ﴿ورحمة﴾ شفقة. وعن الحسن البصري المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١] أي: في حق عيسى عليه السلام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المودة للكبير والرحمة للصغير ﴿إن في ذلك﴾ أي: فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم ﴿لآيات﴾ عظيمة ﴿لقوم يتفكرون﴾ في صنعه وفعله فيعلمون ما في ذلك من الحكم والمصالح. قال في «برهان القرآن»: ختم الآية بقوله: ﴿يتفكرون﴾ لأن الفكر يؤدي إلى الوقوف على المعاني المذكورة. يقول الفقير: لعل الوجه في الختم به أن إدراك ما ذكر ليس مما يختص بخواص أهل التفكر وهم العلماء بل يدركه من له أدنى شيء من التفكر. والتفكر دون التذكر ولذا لم يذكر التذكر في القرآن إلا مع أولي الباب. وفي الآية إشارة إلى ازدواج الروح والنفس فإنه تعالى خلق النفس من الروح وجعلها زوجه كما

خلق حواء من آدم وجعلها زوجه لتسكن الأرواح إلى النفوس كما سكن آدم إلى حواء ولو لم تكن حواء لاستوحش آدم في الجنة كذلك الروح لو لم تكن النفس خلقت منه ليسكن إليها استوحش من القالب ولم يسكن فيه وجعل بين الروح والنفس إلفة واستئناساً ليسكنا في القالب ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ بالفكر السليم في الإنسان كيف أودع الله فيه سراً من المعرفة التي كل المخلوقات كانت في الخلقية تبعاً له كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿ومن آياته﴾ الدالة على ما ذكر ﴿خلق السموات والأرض﴾ على عظمتها وكثافتها وكثرة أجزائها بلا مادة فهو أظهر قدرة على إعادة ما كان حياً قبل ذلك فهذه من الآيات الآفاقية ثم أشار إلى شيء من الآيات الأنفسية فقال: ﴿واختلاف ألسنتكم﴾ أي: لغاتكم من العربية والفارسية والهندية والتركية وغيرها بأن جعل لكل صنف لغة. قال الراغب: اختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات واختلاف النغمات فإن لكل لسان نغمة يميزها السمع كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر انتهى. فلا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه، يعني: [دريست وبلند وفصاحت ولكنت وغير آن]. قال وهب: جميع الألسنة اثنان وسبعون لساناً منها في ولد سام تسعة عشر لساناً وفي ولد حام سبعة عشر لساناً وفي ولد يافث ستة وثلاثون لساناً ﴿وألوانكم﴾ بالبياض والسواد والأدمة والحمرة وغيرها. قال الراغب: في الآية إشارة إلى أن أنواع الألوان من اختلاف الصور التي يختص كل إنسان بهيئة غير هيئة صاحبه مع كثرة عددهم وذلك تنبيه على سعة قدرته يعني أن اختلاف الألوان إشارة إلى تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وحلاها ألا ترى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وإن كانا في غاية التشابه [اكربرين وجه نبودي امتياز بين الأشخاص مشكل بودي وبسيار از مهمات معطل ماندى]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان آدم مؤلفاً من أنواع تراب الأرض ولذلك كان بنوه مختلفين منهم الأحمر والأسود والأبيض كل ظهر على لون ترابه وقابليته وتصور صورة كل رجل على صورة من أجداده إلى آدم يحضر أشكالهم عند تصوير صورته في الرحم كما أشار إليه بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٨] ﴿إن في ذلك﴾ أي: فيما ذكر من خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان ﴿لآيات﴾ عظيمة في نفسها كثيرة في عددها ﴿للعالمين﴾ بكسر اللام أي: المتصفين بالعلم كما في قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وخص العلماء لأنهم أهل النظر والاستدلال دون الجهال المشغولين بحطام الدنيا وزخارفها فلما كان الوصول إلى معرفة ما سبق ذكره إنما يمكن بالعلم ختم الآية بالعالمين. وقرىء بفتح اللام ففيه إشارة إلى كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على أحد من الخلق من ملك وأنس وجن وغيرهم. وفي الآية إشارة إلى اختلاف ألسنة القلوب وألسنة النفوس فإن لسان القلوب يتحرك بالميل إلى العلويات وفي طلبها يتكلم ولسان النفوس يتحرك بالميل إلى السفليات وفي طلبها يتكلم كما يشاهد في مجالس أهل الدنيا ومحافل أهل الآخرة، ومن

كلمات مولانا قدس سره:

مارا چه ازين قصه كه كاو آمد وخر رفت اين وقت عزيزست ازين عربده بازآى

وأيضاً إشارة إلى اختلاف الألوان أي: الطبائع منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ومنكم من يريد الله في أن ذلك لآيات للعارفين الذين عرفوا حقيقة أنفسهم وكماليتها فعرفوا الله ورأوا آياته بإراءته إياهم لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]. ثم إن الله تعالى خلق الآيات وأشار إليها مع وضوحها تنبيهاً للناظرين وتعليماً للجاهلين وتكميلاً للعالمين فمن له بصر رآها ومن له بصيرة عرفها. يقال الأمم على اختلاف الأزمان والأديان متفقة على مدح أخلاق أربعة: العلم، والزهد، والإحسان، والأمانة، والمتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة. ثم إن المعتبر هو العلم بالله الناظر إلى عالم الملكوت وهذا العلم من الآيات الكبرى وصاحبه يشاهد الشواهد العظمى بالبصيرة الأجلى بل يعلم الكائنات قبل وجودها ويخبر بها قبل حصول أعيانها وفي زماننا قوم لا يحصى عددهم غلب عليهم الجهل بمقام العلم ولعبت بهم الأهواء حتى قالوا إن العلم حجاب ولقد صدقوا في ذلك لو اعتقدوا أي: والله حجاب عظيم يحجب القلب عن الغفلة والجهل. قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره: السماء رحمة للأرض وبطن الأرض رحمة لظهرها والآخرة رحمة للدنيا والعلماء رحمة للجهال والكبار رحمة للصغار والنبي عليه السلام رحمة للخلق والله تعالى رحيم بخلقه. وأجناس العلوم كثيرة منها: علم النظر، وعلم الخبر، وعلم النبات، وعلم الحيوان، وعلم الرصد، إلى غير ذلك من العلوم ولكل جنس من هذه العلوم وأمثالها فصول تقومها وفصول تقسمها فلننظر ما نحتاج إليه في أنفسنا مما تقترن به سعادتنا فنأخذه ونشتغل به ونترك ما لا نحتاج إليه احتياجاً ضرورياً مخافة فوت الوقت حتى تكون الأوقات لنا إن شاء الله تعالى. والذي يحتاج من فصول هذه الأجناس فصلان: فصل يدخل تحت جنس النظر وهو علم الكلام ونوع آخر يدخل تحت جنس الخبر وهو الشرع والعلوم الداخلة تحت هذين النوعين التي يحتاج إليها في تحصيل السعادة ثمانية وهي الواجب والجائز والمستحيل والذات والصفات والأفعال وعلم السعادة وعلم الشقاوة فهذه الثمانية واجب طلبها على كل طالب نجاة نفسه وعلم السعادة والشقاوة موقوف على معرفة الواجب والمحظور والمندوب والمكروه والمباح. وأصول هذه الأحكام الخمسة ثلاثة: الكتاب والسنة والمتواترة والإجماع كذا في مواقع النجوم للشيخ الأكبر قدس سره الأطهر وفقكم الله وإيانا لهذه العلوم النافعة وشرح صدورنا بالفيوض والأسرار وجعلنا مستضيئين بين شمس وقمر إلى نهاية الأعمار وفناء الدار.

﴿**ومن آياته**﴾ أي: ومن أعلام قدرته تعالى على مجازاة العباد في الآخرة ﴿**منامكم**﴾ مفعل من النوم أي: نومكم الذي هو راحة لأبدانكم وقطع لأشغالكم ليدوم لكم به البقاء إلى آجالكم ﴿**بالليل**﴾ كما هو المعتاد ﴿**والنهار**﴾ أيضاً على حسب الحاجة كالقيلولة ﴿**وابتغاؤكم من فضله**﴾ وطلب معاشكم فيهما فإن كلاً من المنام وطلب القوت يقع في الليل والنهار وإن كان الأغلب وقوع المنام في الليل والطلب في النهار. وفيه إشارة إلى الحياة بعد الممات فإنها نظير الانتباه من المنام والانتشار للمعاش، وفي «المثنوي»:

نوم ما چون شداخ الموت أي: فلان زين برادر آن برادررا بدان

وقدم الليل على النهار لأن الليل لخدمة المولى والنهار لخدمة الخلق ومعارج الأنبياء عليهم السلام كانت بالليل ولذا قال الإمام النيسابوري: الليل أفضل من النهار. يقول الفقير: الليل محل السكون وهو الأصل والنهار محل الحركة وهو الفرع كما أشار إليه تعالى في قوله: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» إذ الخلق يقتضي حركة معنوية وكان ما قبل الخلق سكوناً محضاً يعني عالم الذات البحت. قال بعض الكبار: لم يقل تعالى وبالنهار ليتحقق لنا أن يريد أننا في منام في حال يقظتنا المعتادة أي: أنتم في منام ما دمتم في هذه الدار يقظة ومناماً بالنسبة لما أمامكم فهذا سبب عدم ذكر الباء في قوله والنهار والاكتفاء بباء الليل انتهى يعني لو قيل بالنهار كان لا يتعين فيه ذلك لجواز أن يكون الجار والمجرور معمولاً لمحذوف معطوف على المبتدأ تقديره ويقظتكم بالنهار ثم حذف لدلالة معموله أو مقابله عليه كقوله:

علفتها تبناً وماءً بارداً

أي وسقيتها ماء بارداً ﴿إن في ذلك﴾ الأمر العظيم العلي المرتبة من إيجاد النوم بعد النشاط والنشاط بعد النوم الذي هو الموت الأصغر وإيجاد كل من الملوين بعد إعدامهما والجد في الابتغاء مع المفاوتة في التحصيل ﴿لآيات﴾ عديدة على القدرة والحكم لا سيما البعث ﴿لقوم يسمعون﴾ أي: شأنهم أن يسمعوا الكلام من الناصحين سماع من انتبه من نومه فجسمه مستريح نشيط وقلبه فارغ عن مكدر للنصح مانع قبوله. وفيه إشارة إلى أن من لم يتأمل في هذه الآيات فهو نائم لا مستيقظ فهو غير مستأهل لأن يسمع، قال الشيخ سعدي قدس سره:

كسى راكه پندار در سربود   مپندار هركزكه حق بشنود
زعلمش ملال آيد ازوعظ ننك   شقايق بباران نرويد بسنك
كرت در درياى فضلست خيز   بتذكير درپاى درويش ريز
نه بينى كه درپاى افتاده خار   برويد كل وبشكفد نوبهار

وقال الحافظ:

چه نسبت است برندى صلاح وتقوى را   سماع وعظ كجا نغمهٔ رباب كجا

قال في «برهان القرآن»: ختم الآية بقوله: ﴿يسمعون﴾ فإن من سمع أن النوم من صنع الله الحكيم لا يقدر أحد على اجتلابه إذا امتنع ولا على دفعه إذا ورد تيقن أن له صانعاً مدبراً. قال الخطيب: معنى يسمعون هٰهنا يستجيبون لما يدعوهم إليه الكتاب.

واعلم أن النوم فضل من الله للعباد ولكن للعباد أن لا يناموا إلا عند الضرورة وبقدر دفع الفتور المانع عن العبادة.

سرآنكه ببالين نهد هوشمند   كه خوابش بقهر آورد دركمند

وقد قيل في ذم أهل البطالة:

زسنت نه بينى درايشان اثر   مكر خواب پيشين ونان سحر

ومن آداب النوم: أن ينام على الوضوء قال عليه السلام: «من بات طاهراً بات في شعاره ملك لا يستيقظ ساعة من الليل إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً» وإذا استطاع الإنسان أن يكون على الطهارة أبداً فليفعل لأن الموت على الوضوء شهادة ويستحب أن يضطجع على يمينه مستقبلاً للقبلة عند أول اضطجاعه فإن بدا له أن ينقلب إلى جانبه الآخر فعل ويقول حين يضطجع: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء

وهو السميع العليم» وكان عليه السلام يقول: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها» ويقول عندما قام من نومه: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا ورد إلينا أرواحنا وإليه البعث والنشور».

ثم اعلم أن حالة النوم وحالة الانتباه إشارة إلى الغفلة ويقظة البصيرة فوقت الانتباه كوقت انتباه القلب في أول الأمر. ثم الحركة إلى الوضوء إشارة إلى التوبة والإنابة. ثم التكبيرة الأولى إشارة إلى التوجه الإلهي فحاله من الانتباه إلى هنا إشارة إلى عبوره من عالم الملك وهو الناسوت ودخوله في عالم الملكوت. ثم الانتقال إلى الركوع إشارة إلى تجاوزه إلى الجبروت. ثم الانتقال إلى السجدة إشارة إلى وصوله إلى عالم اللاهوت وهو مقام الفناء الكلي وعند ذلك يحصل الصعود الكلي إلى وطنه الأصلي. ثم القيام من السجدة إشارة إلى حالة البقاء فإنه رجوع إلى الورى ففي صورة النزول عروج كما أن في صورة العروج نزولاً والركوع مقام قاب قوسين وهو مقام الذات الواحدية والسجدة مقام أو أدنى وهو مقام الذات الأحدية والحركات الست وهي الحركة من القيام إلى الركوع ثم منه إلى القومة ثم منها إلى السجدة الأولى ثم منها إلى الجلسة ثم منها إلى السجدة الثانية ثم منها إلى القيام إشارة إلى خلق الله السموات والأرضين في ستة أيام فالركعة الواحدة من الصلاة تحتوي على أول السلوك وآخره وغيره من الصور والحقائق الدنيوية والأخروية والعلمية والعينية والكونية والإلهية.

ثم اعلم أن توارد الليل والنهار إشارة إلى توارد السيئة والحسنة فكما أن الدنيا لا تبقى على الليل وحده أو النهار وحده بل هما على التعاقب دائماً فكذا العبد المؤمن لا يخلو من نور العمل الصالح وظلمة العمل الفاسد والفكر الكاسد فإذا كان يوم القيامة يلقي الله الليل في جهنم والنهار في الجنة فلا يكون في الجنة ليل كما لا يكون في النار نهار يعني أن النهار في الجنة هو نور إيمان المؤمن ونور عمله الصالح بحسب مرتبته والليل في النار هو ظلمة كفر الكافر وظلمة عمله الفاسد فكما أن الكفر لا يكون إيماناً فكذا الليل لا يكون نهاراً والنار لا تكون نوراً فيبقى كل من أهل النور والنار على صفته الغالبة عليه وأما القلب وحاله بحسب التجلي فهو على عكس حاله الغالب فإن نهاره المعنوي لا يتعاقب عليه ليل وإن كان يطرأ عليه استتار في بعض الأوقات فهو استتار رحمة لا استتار رحمة كحال المحجوبين وكذا سمع أهل القلب لا يقصر على أمر واحد بل يسمعون من شجرة الموجودات كما سمع موسى عليه السلام فهم القوم السامعون على الحقيقة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿**ومن آياته يريكم البرق**﴾ أصله أن يريكم فلما حذف أن لدلالة الكلام عليه سكن الياء كما في «برهان القرآن». وقيل غير ذلك كما في التفاسير. والبرق لمعان السحاب وبالفارسية: [درخش]. وفي إخوان الصفاء البرق نار وهواء ﴿**خوفاً**﴾ مفعول له بمعنى الإخافة كقوله فعلته رغماً للشيطان أي: إرغاماً له. والمعنى يريكم ضوء السحاب إخافة من الصاعقة خصوصاً لمن كان في البرية من أبناء السبيل وغيرهم [وصاعقه آوازيست هائل كه با او آتشى باشد بى زبانه ودودكه بهرجا رسد بسوزد] ﴿**وطمعاً**﴾ أي: إطماعاً في الغيث لاسيما لمن كان مقيماً. فإن

قلت المقيم يطمع لضرورة سقي الزروع والكروم والبساتين ونحوها وأما المسافر فلا. قلت: يطمع المسافر أيضاً في الأرض القفر ﴿وينزل من السماء﴾ [از آسمان يا ازابر] ﴿ماء﴾ [آبى را]. قال في إخوان الصفاء: المطر هو الأجزاء المائية إذا التأم بعضها مع بعض وبردت وثقلت رجعت نحو الأرض ﴿فيحيي به﴾ أي: بسبب ذلك الماء وهو المطر ﴿الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ أي: يبسها. فإن قيل ما الأرض؟ يقال: جسم غليظ أغلظ ما يكون من الأجسام واقف في مركز العالم مبين لكيفية الجهات الست فالمشرق حيث تطلع الشمس والمغرب حيث تغيب والشمال حيث مدار الجدي والجنوب حيث مدار سهيل والفوق ما يلي المحيط والأسفل ما يلي مركز الأرض. فإن قيل ما النبات؟ يقال: ما الغالب عليه المائية ويقول الفرس: إذا زخرت الأودية أي: كثرت بالماء كثر الثمر وإذا اشتد الرياح كثر الحب.

واعلم أن الثمر والشجر من فيض المطر والكل آثار شؤونه تعالى في الأرض. وغرس معاوية نخلاً بمكة في آخر خلافته فقال: ما غرستها طمعاً في إدراكها ولكن ذكرت قول الأسدي:

ليس الفتي بفتى لا يستضاء به ... ولا تكون له في الأرض آثار

﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ [علامتهاست برقدرت الهي] ﴿لقوم يعقلون﴾ يفهمون عن الله حججه وأدلته. قال الكاشفي: [مر كروهى راكه تعقل كنند در تكون حادثات حق تابر ايشان ظاهر كردد كمالات قدرت صانع در هر حادثهء] فكما أنه تعالى قادر على أن يحيي الأرض بعد موتها كذلك قادر على أن يحيي الموتى ويبعث من في القبور. قال في «برهان القرآن» ختم بقوله: ﴿يعقلون﴾ لأن العقل ملاك الأمر في هذه الأبواب وهو المؤدي إلى العلم انتهى. قال بعض العلماء: العاقل من يرى بأول رأيه آخر الأمور ويهتك عن مهماتها ظلم الستور ويستنبط دقائق القلوب ويستخرج ودائع الغيوب. قال حكيم: العقل والتجربة في التعاون بمنزلة الماء والأرض لا يطيق أحدهما بدون الآخر إنباتاً، وفي «المثنوي»:

بس نكوكفت آن رسول خوش جواز ... ذرهٔ عقلت به از صوم ونماز
زانكه عقلت جو هرست اين دو عرض ... اين دودر تكميل آن شد مفترض
تاجلا باشد مران آيينه را ... كه صفا آيد ز طاعت سينه را
ليك كر آيينه از بن فاسدست ... صيقل اورا دير باز آرد بدست
اين تفاوت عقلها را نيك دان ... در مراتب از زمين تا آسمان
هست عقلى همچو قرص آفتاب ... هست عقلى كمتر از زهره شهاب
هست عقلى چون چراغ سرخوشى ... هست عقلى چون ستاره آتشى
عقل جزوى عقل را بدنام كرد ... كام دنيا مرد را بى كام كرد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ أي: برق شواهد الحق عند انحراق سحاب حجب البشرية وظهور تلألؤ أنوار الروحانية أولها البروق ثم اللوامع ثم الطوالع ثم الإشراق ثم التجلي فبنور البرق يرى شهوات الدنيا أنها نيران فيخاف منها ويتركها ويرى مكروهات تكاليف الشرع على النفس أنها جنان فيطمع فيها ويطلبها ﴿وينزل من السماء﴾ الروح ﴿ماء﴾ الرحمة ﴿فيحيي به الأرض﴾ القلوب ﴿بعد موتها﴾ بالمعاصي والذنوب واستغراقها في بحر الدنيا وتموج شهواتها برياح الخذلان ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ لا

يبيعون الآخرة بالأولى ولا قربات المولى بنعيم جنة المولى انتهى اللهم اجعلنا من المشتغلين بذكرك وحسن طاعتك واصرفنا عن الميل إلى ما سوى حضرتك إنك أنت محيي القلوب بفيوض الغيوب.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض**﴾ أي: قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه من الهيئات إلى الأجل المقدر لقيامهما وهو يوم القيامة ﴿**بأمره**﴾ أي: بإرادته تعالى والتعبير عن الإرادة بالأمر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والأسباب. والأمر لفظ عام للأفعال والأقوال كلها كما في «المفردات». ﴿**ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض**﴾ متعلق بدعاكم إذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إليّ. والمعنى ثم إذا دعاكم بعد انقضاء الأجل وأنتم في قبوركم دعوة واحدة بأن قال: أيها الموتى اخرجوا [اى مرد كان بيرون آييد] والداعي في الحقيقة هو إسرافيل عليه السلام فإنه يدعو الخلق على صخرة بيت المقدس حين ينفخ في الصور النفخة الأخيرة ﴿**إذا أنتم**﴾ [آنكاه شما] ﴿**تخرجون**﴾ إذا للمفاجأة ولذلك ناب مناب الفاء في الجواب فإنهما يشتركان في إفادة التعقيب أي: فاجأتم الخروج منها بلا توقف ولا إباء ولذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ [طه: ١٠٨]. وفي الآية إشارة إلى سماء القلب وأرض النفس وقيامهما بالروح فإنه من عالم الأمر وإلى جذبة خطاب ارجعي فإنه تعالى إذا دعا النفس والقلب والروح بتلك الجذبة فتخرج من قبور أنانية الوجود إلى عرصة الهوية والشهود وهو حشر أخص الخواص فإن للحشر مراتب مرتبة العام وهي خروج الأجساد من القبور إلى المحشر يوم النشور ومرتبة الخاص وهي خروج الأرواح الأخروية من قبور الأجسام الدنيوية بالسير والسلوك في حال حياتهم إلى عالم الروحانية لأنهم ماتوا بالإرادة عن صفات الحيوانية النفسانية قبل أن يموتوا بالموت عن صورة الحيوانية ومرتبة الأخص وهي الخروج من قبور الأنانية الروحانية إلى الهوية الربانية وهي مقام الحبيب فيبقى مع الله بلا هو، وفي «المثنوي»:

هين كه اسرافيل وقتند اوليا	مرده را زيشان حياتست ونما
جان هريك مرده اندر كورتن	مى جهد زآواز شان اندر كفن
كويد اين آوازز آواز هاجداست	زنده كردن كار آواز خداست
ما بمرد ديم وبكلى كاستيم	بانك حق آمد همه بر خاستيم
بانك حق اندر حجاب وبى حجيب	آن دهد كو داد مريم را زجيب
اى فناتان نيست كرده زير پوست	باز كرديد از عدم ز آواز دوست
مطلق آن آواز خود از شه بود	كرچه از حلقوم عبد الله بود
كفته اورا من زبان وچشم تو	من حواسى ومن رضا وخشم تو

﴿**وله**﴾ أي: لله خاصة ﴿**من في السموات**﴾ من الملائكة ﴿**والأرض**﴾ من الإنس والجن خلقاً وملكاً وتصرفاً ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه ﴿**كل**﴾ أي: كل من فيها ﴿**له**﴾ تعالى وهو متعلق بقوله: ﴿**قانتون**﴾ القنوت الطاعة، يعني: [فرمان بردارى]. والمراد طاعة

الإرادة لا طاعة العبادة أي: منقادون لما يريده بهم من حياة وموت وبعث وصحة وسقم وعز وذل وغني وفقير وغيرها لا يمتنعون عليه تعالى في شأن من شؤونه، يعني: [تمرد نمى توانند كرد] أي: منقادون لما يريده بهم من حياة وموت وبعث وصحة وسقم فهم مسخرون تحت حكمه على كل حال. وفيه إشارة إلى أن من في سموات الروحانية من أرباب القلوب وأرض البشرية من أصحاب النفوس كل له مطيعون بأن تكون الطائفة الأولى مظهر صفات اللطف والفرقة الثانية مظهر صفات القهر ولذلك خلقهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وهو الذي يبدأ الخلق﴾ بمعنى المخلوق أي: ينشئهم في الدنيا ابتداء فإنه أنشأ آدم وحواء وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ثم يميتهم عند انتهاء آجالهم ﴿ثم يعيده﴾ تذكير الضمير باعتبار لفظ الخلق أي: ثم يعيدهم في الآخرة بنفخ صور إسرافيل فيكونون أحياء كما كانوا ﴿وهو﴾ أي: الإعادة وتذكير الضمير لأنها في تأويل أن يعيدوا لقوله: ﴿أهون عليه﴾ أي: أسهل وأيسر عليه تعالى من البدء بالإضافة أي: قدركم أيها الإنسان والقياس إلى أصولكم وإلا فهما عليه تعالى سواء إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون سواء هناك مادة أم لا يعني أن ابتداء الشيء أشد عند الخلق من إعادته وإعادته أهون من ابتدائه فتكون الآية وإرادة على ما يزعمون فيما بينهم ويعتقدون عندهم وإلا فما شق على الله ابتداء الخلق ليكون إعادتهم أهون عليه. قال الكاشفي: [أعاده باعتقاد شما آسانترست از ابداء پس چون ابداء اقرار داريد اعاده را چرا منكريد وابداء واعاده نزد قدرت او يكسانست]:

چون قدرت او منزه از نقصانست ... آوردن خلق وبردنش يكسانست
نسبت بمن وتو هرچه دشوار بود ... در قدرت پر كمال او آسانست

قال بعضهم: افعل هٰهنا بمعنى فعيل أي: أهون بمعنى هين مثل الله أكبر بمعنى كبير قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

أي عزيزة طويلة.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني الإعادة أهون عليه من البداءة لأن في البداءة كان بنفسه مباشراً للخليقة وفي الإعادة كان المباشر إسرافيل بنفخته والمباشرة بنفس الغير في العمل أهون من المباشرة بنفسه عند نظر الخلق وعنده سواء لأن أفعال الأغيار أيضاً مخلوقة. وفيه إشارة أخرى في غاية الدقة واللطافة وهي أن الخلق أهون على الله عند الإعادة منهم عند البداءة لأن في البداءة لم يكونوا متلوثين بلوث الحدوث ولا متدنسين بدنس الشركة في الوجود بأن يكونوا شركاء في الوجود مع الله فلعزتهم في البداءة باشر بنفسه وخلقهم وفي الإعادة لهوانهم باشر بنفسي غيره انتهى. قال في «القاموس»: هان هوناً بالضم وهواناً ومهانة ذل وهوناً سهل فهو هين بالتشديد والتخفيف وأهون ﴿وله﴾ أي: لله تعالى ﴿المثل الأعلى﴾ المثل بمعنى الصفة كما في قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى﴾ [الرعد: ٣٥]، ﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: الوصف الأعلى العجيب الشان من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها

فضلاً عما يساويها، وبالفارسية: [ومروراست صفت برترو صنعت بزركتر چون قدرت كامله وحكمت شامله ووحدت ذات وعظمت صفات] ومن فسره بقوله لا إله إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية يعني له الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره ﴿**في السموات والأرض**﴾ متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على ألسنة الخلائق أي: نطقاً وألسنة الدلائل أي دلالة ﴿**وهو العزيز**﴾ أي: القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن وإعادته ﴿**الحكيم**﴾ الذي يجري الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة. يقول الفقير: دلت الآية على أن السموات والأرض مشحونة بشواهد وحدته ودلائل قدرته تعالى:

زهر ذره بدورويى وراهيست ... بر اثبات وجود اوكواهيست

وذلك لأهل البصيرة فإنهم هم المطالعون جمال أنواره والمكاشفون عن حقيقة أسراره والعجب منك أنك إذا دخلت بيت غني فتراه مزيناً بأنواع الزين فلا ينقطع تعجبك عنه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت تنظر أبداً إلى الآفاق والأنفس وهي بيوت الله المزينة بأسمائه وصفاته وآثاره المتجلية بقدرته وعجيب آياته ثم أنت فيما شاهدته أعمى عن حقيقته لعمى باطنك وعدم دخولك في بيت القلب الذي بالتفكر المودع فيه يستخرج الحقائق وبالتذكر الموضوع فيه يرجع الإنسان إلى ما هو بالرجوع لائق وبالشهود الذي فيه يرى الآيات ويدرك البينات ولولا هداية الملك المتعال لبقي الخلق في ظلمات الضلال وسرادقات الجلال. قال بعض الكبار في سبب توبته: كنت مستلقياً على ظهري فسمعت طيوراً يسبحن فأعرضت عن الدنيا وأقبلت إلى المولى وخرجت في طلب المرشد فلقيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقال لي: اذهب إلى الشيخ عبد القادر قدس سره فإني كنت في مجلسه فقال: إن الله تعالى جذب عبداً إلى جنابه فأرسله إلي إذا لقيته قال: فلما جئت إليه قال: مرحباً بمن جذبه الرب إليه بألسنة الطير وجمع له كثيراً من الخير فجميع ما في العالم حجج واضحة وأدلة ساطعة ترشد إلى المقصود فعليك بتوحيد الله تعالى في الليل والنهار فإنه خير أوراد وأذكار قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وذكر الله سبب الحضور وموصل إلى مشاهدة المذكور ولكن الكل بعناية الله الملك الغفور ومن لم يجعل له نوراً فما له من نور:

ياذا الذي أنس الفؤاد بذكره ... أنت الذي ما أن سواك أريد

تفنى الليالي والزمان بأسره ... وهواك غض في الفؤاد جديد

قال ذو النون المصري قدس سره: رأيت في جبل لكام فتى حسن الوجه حسن الصوت وقد احترق بالعشق والوله فسلمت عليه فرد عليّ السلام وبقي شاخصاً يقول:

أعميت عيني عن الدنيا وزينتها ... فأنت والروح شيء غير مفترق

إذا ذكرتك وافي مقلتي أرق ... من أول الليل حتى مطلع الفلق

وما تطابقت الأحداق عن سنة ... إلا رأيتك بين الجفن والحدق

قلت: أخبرني ما الذي حبب إليك الانفراد وقطعك عن المؤانسين وهيمك في الأودية والجبال فقال حبي له هيمني وشوقي إليه هيجني ووجدي به أفردني ثم قال: ياذا النون أعجبك كلام المجانين قلت: إي والله واشجاني ثم غاب عني فلم أدر أين ذهب رضي الله عنه وجعل من حاله نصيباً لأهل الاعتقاد ومن طريقه سلوكاً لأهل الرشاد إنه العزيز الحكيم الجواد والرؤوف بالعباد الرحيم يوم التناد الموصل في الدارين إلى المراد.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿**ضرب لكم**﴾ يا معشر من أشرك بالله ﴿**مثلا**﴾ بين به بطلان الشرك ﴿**من أنفسكم**﴾ من ابتدائية أي: منتزعاً من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم وأعرفها عندكم يقال ضرب الدرهم اعتباراً بضربه بالمطرقة وقيل له: الطبع اعتباراً بتأثير السكة فيه وضرب المثل هو من ضرب الدرهم وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة لتبيين أحدهما بالآخر وتصويره. قال أبو الليث: نزلت في كفار قريش كانوا يعبدون الآلهة ويقولون في إحرامهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ثم صور المثل فقال: ﴿**هل لكم**﴾ [آياشمارا هست أى ازاد كان] ﴿**من ما ملكت أيمانكم**﴾ من العبيد والإماء ومن تبعيضية ﴿**من شركاء**﴾ من مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام ﴿**فيما رزقناكم**﴾ من الأموال والأسباب أي: هل ترضون لأنفسكم شركة في ذلك ثم حقق معنى الشركة فقال: ﴿**فأنتم**﴾ وهم أي: مماليككم ﴿**فيه**﴾ أي: فيما رزقناكم ﴿**سواء**﴾ متساوون يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم. قال في «الكواشي»: محل الجملة نصب جواب الاستفهام ﴿**تخافونهم**﴾ خبر آخر لأنتم داخل تحت الاستفهام الإنكاري كما في «الإرشاد» أي: تخافون مماليككم أن يستقلوا وينفردوا بالتصرف فيه ﴿**كخيفتكم أنفسكم**﴾ معنى أنفسكم هٰهنا أمثالكم من الأحرار كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] أي: بعضكم بعضاً. والمعنى خيفة كائنة مثل خيفتكم من أمثالكم من الأحرار المشاركين لكم فيما ذكر والمراد نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أي: لا ترضون بأن يشارككم فيما بأيديكم من الأموال المستعارة مماليككم وهم عندكم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه. وقال الكاشفي نقلاً عن بعض التفاسير: [چون حضرت مصطفى عليه السلام اين آيت بر صناديد قريش خواند كفتند «كلا والله لا يكون ذلك أبداً» آن حضرت فرمودكه شما بندكان خودرا درمال خود شركت نمى دهيد پس چكونه آفريد كانرا كه بند كان خدا اند در ملك او شريك مى سازيد]:

خلق چون بندكان سردرپيش ... مانده دربند حكم خالق خويش
جمله هم بنده اند وهم بندى ... نرسد بنده را خداوندى

وفي الآية دليل على أن العبد لا ملك له لأنه أخبر أن لا مشاركة للعبيد فيما رزقنا الله من الأموال وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا تجلى الله له بأنوار جماله وجلاله حيث اضمحل به آثار ظلمات أوصافه لا يكون شريكاً له تعالى في كمالية ذاته وصفاته بل الكمال في الحقيقة لله تعالى فلا يحسب أحد من أهل التجلي أن الله صار حالاً فيه أو صار هو بعضاً منه تعالى أو صار العبد حقاً أو الحق عبداً فمن كبريائه أن لا يكون جزءاً لأحد أو مثلاً ومن عظمته أن لا يكون أحد جزأه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] ﴿**كذلك**﴾ أي: مثل ذلك التفصيل الواضح ﴿**نفصل الآيات**﴾ أي: نبين ونوضح دلائل الوحدة لا تفصيلاً أدنى منه فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس فيكون في غاية البيان والإيضاح ﴿**لقوم**

يعقلون﴾ يستعملون عقولهم في تدبر الأمور والأمثال [أما جاهلان وستمكاران از حقيقت اين سخنها بى خبرند]. ثم اعرض عن مخاطبتهم وبين استحالة تبعيتهم للحق فقال:

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ أي: لم يعقلوا شيئاً بل اتبعوا ﴿أهواءهم﴾ [آرزوهاى خودرا]. والهوى ميل النفس إلى الشهوة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون ﴿بغير علم﴾ أي: حال كونهم جاهلين ما أتوا لا يكفهم عنه شيء فإن العالم إذا اتبع هواه ربما ردعه علمه ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ أي: خلق فيه الضلالة بصرف اختياره إلى كسبها، وبالفارسية: [پس كيست كه راه نمايد بسوى توحيد كمكردهٔ الله را] أي: لا يقدر على هدايته أحد ﴿وما لهم﴾ أي: لمن أضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى والمراد المشركون ﴿من ناصرين﴾ يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من آفاته أي: ليس لأحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع. قال في «كشف الأسرار»: [درين آيت اثبات إضلال از خداونداست وبعض آيات اثبات ضلال ازبنده است وذلك في قوله تعالى: ﴿قد ضلوا من قبل﴾ قدريان منكراند مر اضلال را از خداوند جل جلاله وكويند همه ازبنده است وجبريان منكراند مر ضلال را ازبنده كه ايشان بنده را اختيار نكويند وكويند همه ازالله است واهل سنت هردو اثبات كنند اضلال ازخداوند تعالى واختيار ضلال ازبنده وهرچه در قرآن ذكر اضلال وضلالست هم برين قاعده است كه يادكرديم وفي «المثنوي»]:

درهر آن كارى كه ميلستت بدان ... قدرت خودرا همى بينى عيان

درهر آن كارى كه ميلت نيست خواست ... اندران جبرى شدى كين ازخداست

انبيا دركار دنيا جبريند ... كافران دركار عقبى جبريند

انبيارا كار عقبا اختيار ... جاهلانرا كار دنيا اختيار

وفي الآية إشارة إلى أن العمل بمقتضى العقل السليم هدى والميل إلى التقليد للجهلة هوى فكما أن أهل الهدى منصورون أبداً فكذا أهل الهوى مخذولون سرمدا والى أن الخذلان واتباع الهوى من عقوبات الله المعنوية في الدنيا فلا بد من قرع باب العفو بالتوبة والسلوك إلى طريق التحقيق والإعراض عن الهوى والبدعة فإنهما شر رفيق، قال الشيخ سعدي قدس سره:

غبار هوى چشم عقلت بدوخت ... سموم هوس كشت عمرت بسوخت

وجود توشهريست پرنيك وبد ... تو سلطان دستور دانا خرد

هوا وهوس را نماند ستيز ... چوبينند سرپنجهٔ عقل تيز

واعلم أن من الهوى ما هو مذموم وهو الميل إلى الدنيا وشهواتها وإلى ما سوى الله ومنه ما هو ممدوح وهو الميل إلى العقبى ودرجاتها بل إلى الله تعالى بتجريد القلب عما سواه. قال بعضهم ناولت بعض الشبان من أرباب الأحوال دريهمات فأبى أن يأخذ فألححت عليه فألقى كفاً من الرمل في ركوته فاستقى من ماء البحر وقال كل فنظرت فإذا هو سويق سكره كثير فقال: من كان حاله معه مثل هذا يحتاج إلى دراهمك ثم أنشأ يقول:

بحق الهوى يا أهل ودي تفهموا لسان وجود بالوجود غريب
حرام على قلب تعرض للهوى يكون لغير الحق فيه نصيب

فعلى السالك أن يسأل الله الهداية إلى طريق الهوى والعشق والوصول إلى منزل الذوق في مقعد صدق فإن كل ما سوى الله تعالى هو وبال وصورة وخيال فمن أراد المعنى فلينتقل إليه من المبنى.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ الإقامة [برپاى كردن وراست كردن] كما في «تاج المصادر» والوجه الجارحة المخصوصة وقد يعبر به عن الذات كما في قوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾ [لقمان: ٢٢] والدين في الأصل الطاعة والجزاء واستعير للشريعة. والفرق بينه وبين الملة اعتباري فإن الشريعة من حيث إنها يطاع لها وينقاد دين ومن حيث إنها تملي وتكتب ملة. والإملال بمعنى الإملاء وهو أن يقول فيكتب آخر عنه وإقامة الوجه للدين تمثيل لإقباله على الدين واستقامته واهتمامه بترتيب أسبابه فإن من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه ومد إليه نظره وقوّم له وجهه مقبلاً عليه. والمعنى فإذا كان حال المشركين اتباع الهوى والإعراض عن الهدى فقوّم وجهك يا محمد للدين الحق الذي هو دين الإسلام وعد له غير ملتفت يميناً وشمالاً، وبالفارسية: [پس راست دار اى محمد روى خود دين را] ﴿حنيفاً﴾ أي: حال كونك مائلاً إليه عن سائر الأديان مستقيماً عليه لا ترجع له عنه إلى غيره ويجوز أن يكون حالاً من الدين. قال في «القاموس» الحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه. وفي «المفردات» الحنف ميل عن الضلال إلى الاستقامة وتحنف فلان تحرى طريق الاستقامة وسمت العرب كل من اختتن أو حج حنيفاً تنبيهاً على أنه على دين إبراهيم عليه السلام. ومن «بلاغات الزمخشري»: الجود والحلم حاتمي وأحنفي. والدين والعلم حنيفي وحنفي أي: الجود منسوب إلى حاتم الطائي والحلم إلى أحنف بن قيس كما أن الدين منسوب إلى إبراهيم الحنيف والعلم إلى أبي حنيفة رحمه الله. وقال بعضهم في الآية الوجه ما يتوجه إليه وعمل الإنسان ودينه مما يتوجه الإنسان إليه لتسديده وإقامته. فالمعنى أخلص دينك وسدد عملك مائلاً إليه عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة ﴿فطرة الله﴾ الفطرة الخلقة وزناً ومعنى وقولهم صدقة الفطرة أي: صدقة إنسان مفطور أي: مخلوق فيؤول إلى قولهم زكاة الرأس والمراد بالفطرة هٰهنا القابلية للتوحيد ودين الإسلام من غير إباء عنه وإنكار له. قال الراغب: فطرة الله ما فطر أي: أبدع وركز في الناس من قوتهم على معرفة الإيمان وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وانتصابها على الإغراء أي: الزموا فطرة الله والخطاب للكل كما يفصح عنه قوله منيبين إليه والإفراد في أقم لما أن الرسول إمام الأمة فأمره مستتبع لأمرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال به باتباع الهوى وتسويل الشيطان ﴿التي فطر الناس عليها﴾ صفة لفطرة مؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر فإن خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعاً فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها ديناً آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة «كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري» والاجتيال بالجيم الجول أي: استخفتهم فجالوا معها يقال اجتال الرجل الشيء ذهب به

وساقه كذا في «تاج المصادر»، قال ابن الكمال في كتابه المسمى بنكارستان:

بـر سـلامـت زايـد ازمـادر پـسـر آن سـقـامـت را يـذيـرد از پـدر
صدق محض است اين كه كفتم شاهدش در خبـر وارد شـد از خـيـر الـبـشـر

وهو قوله عليه السلام: «ما من مولود إلا وقد يولد على فطرة الإسلام ثم أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة هل تحسون فيها من جدعاء» يعني: [ببيني بريده] «حتى تكونوا أنتم تجدعونها» أي: تقطعون أنفها معناه كل مولود إنما يولد في مبدأ الخلقة وأصل الجبلة على الفطرة السليمة والطبع المتهيىء لقبول الدين فلو ترك عليها استمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها لأن هذا الدين حسنه موجود في النفوس وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية والتقليد:

بـابـدان يـاركـشـت هـمـسـر لـوط خـانـدان نـبـوتـش كـم شـد
سـك اصـحـاب كـهـف روزى چـنـد پـى نـيـكـان كـرفـت ومـردم شـد

فإن قلت: ما معنى قوله عليه السلام: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً» وقد قال: «كل مولود يولد على الفطرة»؟ قلت: المراد بالفطرة استعداده لقبول الإسلام كما مر وذلك لا ينافي كونه شقياً في جبليته أو يراد بالفطرة قولهم بلى حين قال الله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال النووي لما كان أبواه مؤمنين كان هو مؤمناً أيضاً فيجب تأويله بأن معناه والله أعلم أن ذلك الغلام لو بلغ لكان كافراً انتهى. ثم لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل ألا يرى أنه يقول فأبواه يهودانه فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين كما في «كشف الأسرار»، قال بعض الكبار: [هرآدمى كه باشد اورا البته سه مذهب باشد. يكى مذهب پدر ومادر وعوام شهر بود اينست «ما من مولود» الخ. دوم مذهب پادشاه ولايت بودكه اكر پادشاه عادل باشد بيشتر اهل ولايت عادل شوند واكر ظالم باشد ظالم شوند واكر زاهد باشد زاهد شوند واكر حكيم باشد حكيم شوند واكر حنفي مذهب باشد حنفي شوند واكر شافعي مذهب باشد شافعي شوند ازجهت آنكه همه كس را قرب پادشاه مطلوب باشد وهمه كس طالب ارادت ومحبت پادشاه باشند اينست معنى «الناس على دين ملوكهم» سوم مذهب يا ربود باكه صحبت دوستى مى ورزد هرآينه مذهب او كيرد ومعنى شرط صحبت مشابهت بيرون وموافقت اندرون اينست معنى «المرء على دين خليله»]:

عـن الـمـرء لا تـسـأل وابـصـر قـريـنـه فـكـل قـريـن بـالـمـقـارن يـقـتـدي

ونعم ما قيل:

نـفـس از هـمـنـفـس بـكـيـرد خـوى بـر حـذر بـاش ازلـقـاى خـبـيـث
بـاد چـون بـر فـضـاى بـد كـذرد بـوى بـدكـيـرد ازهـواى خـبـيـث

﴿لا تبديل لخلق الله﴾ تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى لوجوب الامتثال به أي: لا صحة ولا استقامة لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه بقبول الهوى واتباع وسوسة الشيطان.

وفي «التأويلات النجمية»: لا تحويل لما له خلقهم فطر الناس كلهم على التوحيد فأقام قلب من خلقه للتوحيد والسعادة وأزاغ قلب من خلقه للإلحاد والشقاوة انتهى. يقول الفقير:

عالم الشهادة مرآة اللوح المحفوظ فلصورها تغير وتبدل وأما رحم الأم فمرآة عالم الغيب ولا تبدل لصورها في الحقيقة ولذا «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه»:

مشكل آيد خلق را تغيير خلق آنكه بالذات است كى زائل شود

اصل طبعست وهمه اخلاق فرع فرع لا بد اصل را مائل شود

جعلنا الله وإياكم من المداوين لمرض هذا القلب العليل لا ممن إذا صدمه الوعظ والتذكير قيل لا تبديل ﴿ذلك﴾ الدين المأمور بإقامة الوجه له أو لزوم فطرة الله المستفاد من الإغراء أو الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو باعتبار الخبر ﴿الدين القيم﴾ المستوي الذي لا عوج فيه وهو وصف بمعنى المستقيم المستوي ﴿ولكن أكثر الناس﴾ كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ استقامته فينحرفون عنه انحرافاً وذلك لعدم تدبرهم وتفكرهم.

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿منيبين إليه﴾ حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لعمومه للأمة وما بينهما اعتراض وهو من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى. والمعنى الزموا على الفطرة أو فأقيموا وجوهكم للدين حال كونكم راجعين إليه تعالى وإلى كل ما أمر به مقبلين عليه بالطاعة [شيخ أبو سعيد خراز قدس سره فرموده كه انابت رجوع است از خلق بحق ومنيب اورا كويندكه جز حق سبحانه مرجعى نباشد].

تو مرجعى همه را من رجوع باكه كنم كرم تودرنپذيري كجا روم چه كنم

قال ابن عطاء قدس سره: راجعين إليه من الكل خصوصاً من ظلمات النفوس مقيمين معه على حد آداب العبودية لا يفارقون عرصته بحال ولا يخافون سواه. قال إبراهيم بن أدهم قدس سره: إذا صدق العبد في توبته صار منيباً لأن الإنابة ثاني درجة التوبة ﴿واتقوه﴾ أي: من مخالفة أمره وهو عطف على الزموا المقدر ﴿وأقيموا الصلاة﴾ أدوها في أوقاتها على شرائطها وحقوقها. قال الراغب إقامة الشيء توفية حقه ولم يأمر تعالى بالصلاة حيث أمر ولا مدح بها حيثما مدح إلا بلفظ الإقامة تنبيهاً على أن المقصود منها توفية شرائطها لا الإتيان بهيئاتها ﴿ولا تكونوا من المشركين﴾ المبدلين لفطرة الله تبديلاً. وقال الكاشفي: [ومباشيد از شرك آرندكان بترك نماز متعمداً خطاب با أمّت است. درتيسير ازشيخ محمد اسلم طوسى رحمه الله نقل ميكندكه حديثى بمن رسيده كه هرچه ازمن روايت كنند عرض كنيد بركتاب خداى تعالى اكر موافق بود قبول كنيد من اين حديث را كه «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر» خواستم كه بآيتى از قرآن موافقت كنم سى سال تأمل كردم تا اين آيه يافتم كه] ﴿وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾.

﴿من الذين فرقوا دينهم﴾ بدل من المشركين بإعادة الجار. والمعنى بالفارسية: [مباشيد از آنكه جدا كرده اند وپراكنده ساخته دين خودرا] وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدون على اختلاف أهوائهم وفائدة الإبدال التحذير عن الانتماء إلى ضرب من اضراب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين ﴿وكانوا شيعاً﴾ أي: فرقاً مختلفة يشايع كل منها أي: يتابع إمامها الذي هو أصل دينها ﴿كل حزب﴾ [هر كروهى]. قال في «القاموس»: الحزب جماعة الناس

﴿بما لديهم﴾ بما عندهم من الدين المعوج المؤسس على الزيغ والزعم الباطل ﴿فرحون﴾ مسرورون ظناً منهم أنه حق وأنى لهم ذلك:

هركسى را درخور مقدار خويش هست نوعى خوشدلى دركار خويش
ميكند اثبات خويش ونفى غير چه امام صومعه چه پير دير

اعلم أن الدين عند الله الإسلام من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا وإن اختلفت الشرائع والأحكام بالنسبة إلى الأمم والأعصار وأن الناس كانوا أمة واحدة ثم صاروا فرقاً مختلفة يهوداً ونصارى ومجوساً وعابدي وثن وملك ونجم ونحو ذلك. وقد روي أن أمة إبراهيم عليه السلام صارت بعده سبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة وهم الذين كانوا على ما كان عليه إبراهيم في الأصول والفروع. وأن أمة موسى عليه السلام صارت بعده إحدى وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة كانت على اعتقاد موسى وعمله. وأن أمة عيسى عليه السلام صارت بعده ثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا من وافقه في اعتقاده وعمله. وأن أمة محمد عليه السلام صارت بعده ثلاثاً وسبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة وهم الذين كانوا على ما كان عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه وهم الفرقة الناجية. وهذه الفرق الضالة كليات وإلا فجزئيات المذاهب الزائغة كثيرة لا تحصى كما قال بعضهم: [من درولايت پارس صد مذهب يافتم كه آن صد مذهب باين هفتاد وسه مذهب هيچ تعلق ندارد وبهيچ وجه باين نماند پس وقتى كه دريك ولايت صد مذهب باشد جز آن هفتاد وسه مذهب نظركن در عالم چند مذهب بود بدانكه اصل اين هفتاد ودو مذهب كه از اهل آتش اند شش مذهب است. تشبيه. وتعطيل. وجبر. وقدر. ورفض. ونصب اهل تشبيه خدايرا بصفات ناسزا وصف كردند وبمخلوقات ما نندكردند. واهل تعطيل خدايرا منكر شد ندو نفى صفات خدا كردند. واهل جبر اختيار وفعل بندكانرا منكر شدند وبندكىٔ خودرا بخداوند اضافت كردند. واهل قدر خدايى خدايرا بخود اضافت كردند وخودرا خالق افعال خود كفتند. واهل رفض دردوستىٔ علي رضي الله عنه غلو كردند ودر حق صديق وفاروق طعن كردند وكفتندكه هركه بعد از محمد عليه السلام بلا فصل بأعلى بيعت نكردند واورا خليفه وإمام ندانستند ازدائرهٔ ايمان بيرون رفتند. واهل نصب دردوستىٔ صديق وفاروق رضي الله عنهما غلو كردند ودرحق على طعن كردند وكفتند هركه بعد از محمد عليه السلام با صديق بيعت نكردند واورا خليفه وإمام ندانستند ازدائرهٔ ايمان بيرون رفتند وهريك ازين فرقهٔ شش كانه دوازده فرق شدند وهفتاد ودوفرقه آمدند. واين مذاهب حالا موجودست وجمله از قران واحاديث ميكويند وهريك اين چنين ميكويندكه از اوّل قرآن تا آخر قرآن بيان مذهب ماست اما مردم فهم نمى كنند. واصل خلاف از آنجا پيدا آمدكه مردمان شنيدند ازانبيا عليهم السلام كه اين موجوداترا خداوندى هست هركسى در خداوند وصفات خداوندى چيزى اعتقاد كردند وچنين كمان بردندكه اين جمله دلائل ايشان راست ودرست است وآن كمان ايشان خطابود زيرا جمله را اتفاق هست كه «طريق العقل واحد» چون طريق عقل دونمى شايد هفتاد وسه وبلكه زياده كى روا باشد واين سخن ترابيك حكايه معلوم سودچنانكه هيچ شبهت نماند ـ وحكايت ـ آوردندكه شهرى بودكه اهل آن شهر جمله نابينا بود وحكايت پيل شنيده بودند ميخواستندكه پيل را مشاهد كنند ودرين آرزو مى بودند ناكاه روزى كاروانى رسيد وبردر آن شهر فرو آمد ودرانكاروان پيلى

بود اهل آن شهر شنیدند پیل آورده اند آنچه عاقلترین ایشان بودند کفتندکه بیرون رویم وپیل را مشاهده کنیم. جماعتی ازان شهر بیرون آمدند وبنزدیك پیل آمدند. یکی دست دراز کردکوش پیل بدست وی آمد چیزی دید همچون سپری این کس اعتقاد کردکه پیل همچون سپرست. ویکی دیکردست دراز کرد وخرطوم پیل بدست او آمد چیزی دیدی همچون عمودی این کس اعتقاد کردکه پیل همچون عمودیست. ویکی دیکردست دراز کرد وپشت پیل بدست وی آمد چیزی دید همچون تخت این کس اعتقاد کردکه پیل همچون تختیست. ویکی دیکر دست دراز کرد وپای پیل بدست او آمد چیزی دید همچون عمادی این کس اعتقاد کردکه پیل همچون عمادیست. جمله شادمان شدند وباز کشتند وبشهر در آمدند هرکسی محله خود رفتند. سؤال کردندکه پیل را دیدید کفتندکه دیدیم کفتند چکونه دیدید وچه شکل بود. یکی در محله خود کفت پیل همچون سپر بود. ودیکر در محلهٔ خود کفت پیل همچون عمود بود واهل هر محله چنانکه شنیدند اعتقاد کردند. چون جمله بیکدیکر رسیدند همه خلاف یکدیکر کفته بودند جمله یکدیکررا منکر شدند ودلیل کفتن آغاز کردند هریك باثبات اعتقاد خود ونفی اعتقاد دیکران کرد وآن دلیل را دلیل عقلی ونقلی نام نهادند. یکی کفت که پیل را نقل کنندکه در روز جنك پیش لشکری دارند بایدکه پیل همچون سپری باشد. ودیکر کفت که نقل میکنند که پیل روز جنك خودرا برلشکر خصم می زند ولشکر خصم بدین شکست میشود پس بایدکه پیل همچون عمودی باشد. ودیکر کفت که نقل میکنندکه پیل هزار من بار برمیدارد وزحمتی بوی نمی رسد پس بایدکه پیل همچون عمادی باشد. ودیکر کفت نقل میکنندکه چندین کس برپیل مینشیند پس بایدکه پیل همچون تختی باشد. اکنون توباخود اندیشه کن که ایشان بدین دلائل هرکز بمدلول که پیل است کجا رسند وبترتیب این مقدمات هرکز نتیجه راست راکجا یابند جمله عاقلا نرا دانندکه هر چندین ازین نوع دلیل بیشتر کویند از معرفت پیل دور افتند وهرکز بمدلول که پیل است نرسند واین اختلاف ازمیان ایشان برنخیزد وبکله زیاده شود. چون عنایت حق دررسد ویکی ازمیان ایشان بیناشود وپیل را چنانکه پیل است ببیند وبداند وباایشان کویدکه این که شما ازپیل حکایت میکنید چیزی ازپیل دانستید وباقی دیکر ندانستید مرا خدای تعالی بینا کردانید کویند ترا خیالست ودماغ توخلل یافته است ودیوانکی ترا زحمت می دهد واکر نه بینا ماییم کس سخن بینارا قبول نکند مکراندك باقی برهمان جهل مرکب اصرار نمایند وازان رجوع نکنند. وآنکه درمیان ایشان سخن بینارا شنود وقبول کند وموافقت کند اورا کافر نام نهند «ولیس الخبر کالمعاینة» اکنون مذاهب مختلفه را همچون می دان که شنیدی این موجوداترا خداوندی هست وهریك درذات وصفات خداوندی چیزی اعتقاد کردند چون بایکدیکر حکایت کردند وقرآن واحادیث را آنچه موافق اعتقاد ایشان نبود تأویل کردند وباعتقاد خود راست کردند. پس هرکه ازسر انصاف تأمل کند وتقلید وتعصب را بکذارد بیقین داندکه این جملهٔ اعتقادات نه بدلیل نقلی ونه بدلیل عقلی درستست زیرا که دلائل عقلی ونقلی مقتضی یك اعتقاد بیش نباشد بس اعتقاد جمله بلا دلیل است وجمله مقلد انند واز مقلد کی روا باشدکه دیکریرا کویدکه اوکمراه وکافرست زیرا که درنادانی باهمه برابرند. پس مذهب مستقیم آنست که دروی تشبیه وتعطیل وجبر وقدر ورفض ونصب نباشد اسلامست ودرمذهب اهل سنت وجماعتست ازجهت آنکه معنی سنت وجماعة آنست سنت رسول وعقیدة الصحابة. واعتقاد

صحابه آنست كه خدايكيست. وموصوفست بصفات سزا. ومنزه است ازصفات ناسزا. وذات وصفات اوقديمست ولا غيره كالواحد من العشرة. واورا ضدّ وند ومثل وشريك وزن وفرزند وحيز ومكان نيست وامكان نداردكه باشد. واو ازچيزى نيست وبر چيزى نيست ودرچيزى نيست وبچيزى نيست بلكه همه چيزازوى است وقائم بوى است وباقى بوى است. واوديدنى نيست بچشم سر وديدار اودردنيا جائز نيست ودر آخرت اهل بهشت را هرآينه خواهد بود. وكلام اوقديمست. واو فاعل مختارست وخالق خير وشر وكفر وايمانست. وجزوى خالق ديكرنيست. خالق عباد وافعال عبادست. وعباد خالق افعال خود نيستند اما فاعل مختارند. وهيچ صفتى ز صفات مخلوقات بوى نماند. وهرچه در خاطر ووهم كسى آيد از خيال وامثال كه وى آنست وى آن نيست وى آفريدكارانست ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الزخرف: ١١] وفعل او از علت وغرض پاك ومنزه. وهيچ چيزى بروى واجب نيست. وفرستادن انبيا ازوى فضل است. وانبيا معصومند وغير انبيا كسى معصوم نيست. ومحمد عليه السلام ختم انبياست وبهترين ودانا ترين آدميانست. وبعد از محمد عليه السلام أبو بكر خليفه وإمام بحق بود. وبعد از أبو بكر عمر خليفه وامام بحق بود. وبعد ازو عثمان وامامت بعلى تمام شد. واجماع صحابه واجماع علما بعد ازصحابه حجتست. واجتهاد وقياس از علما درست است. ودرين جمله كه كفته شد أبو حنيفه وشافعى را اتفاقست].

واعلم أن الشيخين الكاملين من طائفة أهل الحق اسم أحدهما الشيخ أبو الحسن الأشعري من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومن ذهب إلى طريقه واعتقد موافقاً لمذهبه يسمونه الأشعرية واسم الآخر الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله وكل من اعتقد موافقاً لمذهب هذا الشيخ يسمونه الماتريدية. ومذهب أبي حنيفة موافق لمذهب الشيخ الثاني وإن جاء الشيخ الثاني بعد أبي حنيفة بمدة. ومذهب الشافعي موافق لمذهب الشيخ الأول في باب الاعتقاد وإن جاء بعد الشافعي بمدة والماتريديون حنفيون في باب الأعمال كما أن الأشاعرة شافعيون في باب الأعمال والتزام مذهب من المذاهب الحقة لازم لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] والاحتراز عن المذاهب الباطلة واجب لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وقد نهى عليه السلام عن مجالسة أهل الأهواء والبدع وتبرأ منهم. وفي الحديث «يجيء قوم يميتون السنة ويدغلون في الدين فعلى أولئك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين». وقد تفرق أهل التصوف على ثنتي عشرة فرقة فواحدة منهم سنيون وهم الذين أثنى عليهم العلماء والبواقي بدعيون وهم الخلوتية والحالية والأوليائية والشمراخية والحبية والحورية والإباحية والمتكاسلة والمتجاهلة والواقفية والإلهامية. وكان الصحابة رضي الله عنهم من أهل الجذبة ببركة صحبة النبي عليه السلام ثم انتشرت تلك الجذبة في مشايخ الطريقة وتشعبت إلى سلاسل كثيرة حتى ضعفت وانقطعت عن كثير منهم فبقوا رسميين في صورة الشيوخ بلا معنى ثم انتسب بعضهم إلى قلندر وبعضهم إلى حيدر وبعضهم إلى أدهم إلى غير ذلك وفي زماننا هذا أهل «الإرشاد» أقل من القليل. ويعلم أهله بشاهدين أحدهما ظاهر والآخر باطن فالظاهر استحكام الشريعة والباطن السلوك على البصيرة فيرى من يقتدي به وهو النبي عليه السلام ويجعله واسطة بينه وبين الله حتى لا يكون سلوكه على العمى. قال بعض الكبار: [هركه درچنين وقت افتدكه

اعتقادات بسيار واختلافات بى شمار باشد يادران شهر يادر ولايت دانايى نباشد مذهب مستقيم آنست كه دوازده چيزرا حرفت خود سازدكه اين دوازده چيز حرفت دانا يانست وسبب نور وهدايت. اول آنكه بانيكان صحبت دارد. دوم آنكه فرمان برداریء ايشان كند. سوم آنكه ازخداى راضى شود. چهارم آنكه باخلق خداى صلح كند. پنجم آنكه آزارى بخلق نرساند. ششم آنكه اكرتواند راحت رساندا‌ين شش چيزاست معنى «التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله» هفتم متقى وپر هيزكار وحلال خورباشد. هشتم ترك طمع وحرص كند. نهم آنكه باهيچكس بدنكويد مكر بضرورت وهركز بخود كمال دانايى نبرد. دهم آنكه اخلاق نيك حاصل كند. يازدهم آنكه پيوسته برياضات ومجاهدات مشغول باشد. دوازدهم آنكه بى دعوى باشد وهميشه نياز مندبودكه اصل جمله سعادات وتخم جمله درجات اين دوازده چيزست درهزكه اين دوازده چيزهست مردى ازمردان خدايست ورونده وسالك راه حق ودرهركه اين دوازده چيزنيست اكر صورت عوام دارد ودر لباس خواصست ديواست وكمراه كننده مردم است] الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا تكونوا من المشركين﴾ الملتفتين إلى غير الله ﴿من الذين فرقوا دينهم﴾ الذي كانوا عليه في الفطرة التي فطر الناس عليها من التجريد والتفريد والتوحيد والمراقبة في مجلس الأنس والملازمة للمكالمة مع الحق ﴿وكانوا شيعاً﴾ أي: صاروا فرقاً فريقاً منهم مالوا إلى نعيم الجنان وفريقاً منهم رغبوا في نعيم الدنيا بالخذلان وفريقاً منهم وقعوا في شبكة الشيطان فساقهم بتزيين حب الشهوات إلى دركات النيران ﴿كل حزب﴾ من هؤلاء الفرق ﴿بما لديهم﴾ من مشتهى نفوسهم ومقتضى طبائعهم ﴿فرحون﴾ فجالوا في ميادين الغفلات واستغرقوا في بحار الشهوات وظنوا بالظنون الكاذبة أن جذبتهم إلى ما فيه السعادة الجاذبة فإذا انكشف ضباب وقتهم وانقشع سحاب جهدهم انقلب فرحهم ترحاً واستيقنوا أنهم كانوا في ضلالة ولم يعرجوا إلا إلى أوطان الجهالة كما قيل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وإذا مس الناس﴾ [وچون برسد آدميان يعني مشركان مكه را] ﴿ضرّ﴾ سوء حال من الجوع والقحط واحتباس المطر والمرض والفقر وغير ذلك من أنواع البلاء. قال في «المفردات» المس يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى ﴿دعوا ربهم﴾ حال كونهم ﴿منيبين إليه﴾ راجعين إليه من دعاء غيره لعلمهم أنه لا فرج عند الأصنام ولا يقدر على كشف ذلك عنهم غير الله ﴿ثم إذا أذاقهم﴾ [پس چون بچشاند ايشانرا] ﴿منه﴾ من عنده ﴿رحمة﴾ خلاصاً وعافية من الضر النازل بهم وذلك بالسعة والغنى والصحة ونحوها ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ أي: فاجأ فريق منهم بالعود إلى الإشراك بربهم الذي عافاهم، وبالفارسية [آنكاه كروهى ازيشان بپروردكار خود شرك آرند يعنى در مقابلهء نجات ازبلا چنين عمل كنند] وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢] أي: مقيم على الطريق القصد أو متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ اللام فيه للعاقبة والمراد

بالموصول نعمة الخلاص والعافية ﴿فتمتعوا﴾ أي: بكفركم قليلاً إلى وقت آجالكم وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب. وفي «كشف الأسرار» [كوى برخوريد وروزكار فراسر بريد] وقال الكاشفي، يعني: [أي كافران برخوريد دوسه روز از نعمتهاى دينوى] ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة تمتعكم في الآخرة وهي العقوبة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى طبيعة الإنسان أنها ممزوجة من هداية الروح وإطاعته ومن ضلالة النفس وعصيانها وتمردها فالناس إذا أظلتهم المحنة ونالتهم الفتنة ومستهم البلية انكسرت نفوسهم وسكنت دواعيها وتخلصت أرواحهم من أسر ظلمة شهواتها ورجعت على وفق طبعها والمجبولة عليه إلى الحضرة ورجعت النفوس أيضاً بموافقة الأرواح على خلاف طباعها مضطرين في دفع البلية إلى الله مستغيثين بلطفه مستجيرين من محنهم مستكشفين للضر فإذا جاد عليهم بكشف ما نالهم ونظر إليهم باللطف فيما أصابهم ﴿إذا فريق منهم﴾ وهم النفوس المتمردة يعودون إلى عادتهم المذمومة وطبيعتهم الدنيئة وكفران النعمة ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ من النعمة والرحمة ثم هدّدهم بقوله: ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ جزاء ما تعملون على وفق طباعكم اتباعاً لهواكم.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿أم أنزلنا﴾ [آيافرستاده ايم] ﴿عليهم سلطاناً﴾ أي: حجة واضحة كالكتاب ﴿فهو يتكلم﴾ تكلم دلالة كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩] ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي: بإشراكهم به تعالى وصحته فتكون ما مصدرية أو بالأمر الذي بسببه يشركون في ألوهيته فتكون موصولة والمراد بالاستفهام النفي والإنكار أي: لم ننزل عليهم ذلك. وفيه إشارة إلى أن أعمال العباد إذا كانت مقرونة بالحجة المنزلة تكون حجة لهم وإن كانت من نتائج طباع نفوسهم الخبيثة تكون حجة عليهم فالعمل بالطبع هوى وبالحجة هدى فقد دخل فيه أفعال العباد صالحاتها وفاسداتها وإن كانوا لا يشعرون ذلك فيظنون بعض أعمالهم الخبيثة طيبة من غير سلطان يتكلم لهم بطيبها ونعوذ بالله من الخوض في الباطل واعتقاد أنه أمر تحته طائل:

ترسم نرسى بكعبه اى اعرابى ... كين ره كه توميروى بتركستانست

﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ أي: نعمة وصحة وسعة ﴿فرحوا بها﴾ بطراً وأشراً لا حمداً وشكراً وغرتهم الحياة الدنيا وأعرضوا عن عبودية المولى ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي: شدة من بلاء وضيق ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي: بشؤم معاصيهم ﴿إذا هم يقنطون﴾ فاجأوا القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، وبالفارسية: [آنكاه ايشان نوميد وجزع ميكنند يعنى نه شكر ميكذارند در نعمت ونه صبردارند برمحنت] وهذا وصف الغافلين المحجوبين وأما أهل المحبة والإرادة فسواء نالوا ما يلائم الطبع أو فات عنهم ذلك فإنهم لا يفرحون ولا يحزنون كما قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] فلما كان بهم من قوة الاعتماد على الله تعالى لا يقنطون من الرحمة الظاهرة والباطنة ويرون التنزلات من التلوينات فيرجعون إلى الله بتصحيح الحالات بأنواع الرياضات والمجاهدات ويصبرون إلى ظهور التمكينات والترقيات.

بصبر كوش دلاروز هجر فائده نيست ... طبيب سربت تلخ از براى فائده ساخت

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿أولم يروا﴾ أي: ألم ينظروا ولم يشاهدوا ﴿أن الله﴾ الرزاق ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي: يوسعه لمن يرى صلاحه في ذلك ويمتحنه بالشكر ﴿ويقدر﴾ أي: يضيقه لمن يرى نظام حاله في ذلك ويمتحنه بالصبر ليستخرج منهم بذلك معلومه من الشكر والكفران والصبر والجزع فما لهم لا يشكرون في السراء ولا يتوقعون الثواب بالصبر في الضراء كالمؤمنين. قال شقيق رحمه الله كما لا تستطيع أن تزيد في خلقك ولا في حياتك كذلك لا تستطيع أن تزيد في رزقك فلا تتعب نفسك في طلب الرزق.

رزق اكر بر آدمى عاشق نمى باشد چرا ... اززمين كندم كريبان چاك مى آيد چرا

﴿إن في ذلك﴾ المذكور من القبض والبسط ﴿لآيات لقوم يؤمنون﴾ فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة، قال أبو بكر محمد بن سابق:

فكم قوي قوي في تقلبه ... مهذب الرأي عنه الرزق ينحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه ... كأنه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على أن الاله له ... في الخلق سر خفي ليس ينكشف

ـ وحكي ـ أنه سئل بعض العلماء ما الدليل على أن للعالم صانعاً واحداً؟ قال: ثلاثة أشياء: ذل اللبيب، وفقر الأديب، وسقم الطبيب.

قال في «التأويلات النجمية»: الإشارة فيه إلى أن لا يعلق العباد قلوبهم إلا بالله لأن ما يسوءهم ليس زواله إلا من الله وما يسرهم ليس وجوده إلا من الله فالبسط الذي يسرهم ويؤنسهم منه وجوده والقبض الذي يسوءهم ويوحشهم منه حصوله فالواجب لزوم بابه بالأسرار وقطع الأفكار عن الأغيار انتهى؛ إذ لا يفيد للعاجز طلب مراده من عاجز مثله فلا بد من الطلب من القادر المطلق الذي هو الحق. قال إبراهيم بن أدهم قدس سره: طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر. فعلى العاقل تحصيل سكون القلب والفناء عن الإرادات فإن الله تعالى يفعل ما يريد على وفق علمه وحكمته. وفي الحديث «إنما يخشى المؤمن الفقر مخافة الآفات على دينه» فالملحوظ في كل حال تحقيق دين الله المتعال وتحقيقه إنما يحصل بالامتثال إلى أمر صاحب الدين وقد أمر بالتوكل واليقين في باب الرزق فلا بد من الائتمار وإخراج الأفكار من القلب فإن من شك في رازقه فقد شك في خالقه.

ـ كما حكي ـ أن معروفاً الكرخي قدس سره اقتدى بإمام فسأله الإمام بعد الصلاة وقال له: من أين تأكل يا معروف؟ فقال معروف: اصبر يا إمام حتى أقضي ما صليت خلفك ثم أجيب فإن الشاك في الرازق شاك في الخالق ولا يجوز اقتداء المؤمن الموقن بالمتزلزل المتردد ولذا قال تعالى: ﴿لقوم يؤمنون﴾ فإن غير المؤمن لا يعرف الآيات ولا يقدر على الاستدلال بالدلالات فيبقى في الشك والتردد والظلمات. قال هرم لأويس رضي الله عنه: أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام فقال هرم: كيف المعيشة بها قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة أي: لأن العظة كالصقر لا يصيد إلا الحي والقلب الذي خالطه الشك بمثابة الميت فلا يفيده التنبيه نسأل الله سبحانه أن يوقظنا من سنة الغفلة ولا يجعلنا من المعذبين

بعذاب الجهالة إنه الكريم الرؤوف الرحيم.

﴿فآت﴾ أعطِ يا من بسط له الرزق ﴿ذا القربى﴾ صاحب القرابة ﴿حقه﴾ من الصلة والصدقة وسائر المبرات يحتج أبو حنيفة رحمة الله بهذه الآية على وجوب النفقة لذوي الأرحام المحارم عند الاحتياج ويقيسهم الشافعي على ابن العم فلا يوجب النفقة إلا على الولد والوالدين لوجود الولاد ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ ما يستحقانه من الصدقة والإعانة والضيافة فإن ابن السبيل هو الضيف كما في «كشف الأسرار».

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن القرابة على قسمين: قرابة النسب، وقرابة الدين، فقرابة الدين أمس والمراعاة أحق وهم الإخوان في الله والأولاد من صلب الولاية من أهل الإرادة الذين تمسكوا بأذيال الأكابر منقطعين إلى الله مشتغلين بطلب الله متجردين عن الدنيا غير مستفزعين بطلب المعيشة فالواجب على الأغنياء بالله القيام بأداء حقوقهم فيما يكون لهم عوناً على الاشتغال بمواجب الطلب بفراغ القلب والمسكين من يكون محروماً من صدق الطلب وهو من أهل الطاعة والعبادة أو طالب العلم فمعاونته بقدر الإمكان وحسب الحال واجب وابن السبيل وهو المسافر والضيف فحقه القيام بشأنه بحكم الوقت فمن يكون همته في الطلب أعلى فهو من أقارب ذوي القربى وبإيثار الوقت عليه أولى فحقه آكد وتفقده أوجب انتهى. قال في «كشف الأسرار»: [قرابت دين سزاوار ترست بمواساة ازقرابت نسب مجرد زيرا كه قرابت نسب بريده كردد وقرابت دين روانيست كه هركز بريده كردد اينست كه مصطفى عليه السلام كفت «كل نسب وسبب ينقطع إلا نسبي وسببي» قرابت دين است كه سيد عالم صلوات الله عليه وسلامه اضافت باخود كردد ودينداران‌را نزديكان وخويشان خود شمرد بحكم اين آيت وهركه روى بعبادة الله آرد وبر وظائف طاعات مواظبت نمايد ونعمت مراقب برسردارد ودروقت ذكر الله نشيند چنانكه باكسب وتجارت نپردازد وطلب معيشت نكند كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] اورا برمسلمانان حق مواسات واجب شود اورا مراعات كنند ودل وى از ضرورت قوت فارغ دارند چنانكه رسول خدا كرد باصحاب صفهء وايشان بودندكه در صفه پيغمبر وطن داشتند وصفهء پيغمبر جاييست بمدينه كه آنرا قبا خوانند از مدينه تا آنجا دوفرسنك است رسول الله خدا روزى ما حضرى درپيش داست وبعضى اهل بيت خويش را كفت «لا أعطيكم وادع اصحاب الصفة تطوى بطونهم من الجوع» اين أصحاب صفه چهل تن بودند ازدنيا بيكباركى اعراض كرده واز طلب معيشت بر خاسته وباعبادت وذكر الله پرداخته وبرفتوح وتجريد روز بسر آورده وبيشترين ايشان برهنه بودند خويشتن را درميان پنهان كرده چون وقت نماز بودى آنكروه كه جامه داشتند نماز كردندى آنكه جامه برديكران دادندى واصل مذهب تصوف ازايشان كرفته اندازدنيا اعراض كردن وازراه خصومت بر خاستن وبر توكل زيستن وبيافته قناعت كردن وآز وحرص وشره بكذاشتن] قال الشيخ سعدي قدس سره:

بر اوج فلك چون پرد چره باز كه بر شهپرش بسته سنك آز
ندارند تن پروران آكهى كه پر معده باشد ز حكمت تهى

﴿ذلك﴾ أي: إيتاء الحق وإخراجه من المال ﴿خير﴾ من الإمساك ﴿للذين يريدون وجه الله﴾ أي: يقصدون بمعروفهم إياه تعالى خالصاً فيكون الوجه بمعنى الذات أو جهة التقرب إليه

لا جهة أخرى من الأغراض والأعواض فيكون بمعنى الجهة. قال في «كشف الأسرار»: المريد هو الذي يؤثر حق الله على نفسه. جنيد قدس الله روحه [مريديرا وصيت ميكرد وكفت چنان كن كه خلق را بارحمت باشى وخودرا بلاكه مؤمنان ودوستان از الله بر خلق رحمت اند وچنان كن كه درسايهٔ صفات خود نه نشينى تاديكران درسايهٔ تو بياسايند. ذو النون مصرى را پرسيدندكه مريد كيست ومراد كيست كفت «المريد يطلب والمراد يهرب». مريد مى طلبد وازو صدر هزارنياز. ومراد مى كريزد واورا صد هزارناز مريد بادل سوزان. مرادبا مقصود بربساط خندان. مريد در خبر آويخته. مراد درعيان آميخته. پيررا پرسيدند مريد به يا مراد از حقيقت تفريد جواب دادكه «لا مريد ولا مراد ولا خبر ولا استخبار ولا حد ولا رسم وهو الكل بالكل» اين چنانست كه كويند]:

اين جاى نه عشقست نه شوق نه يار خود جمله تويى خصومت ازره بردار

﴿وأولئك﴾ [آن كروه منفقان] ﴿هم المفلحون﴾ الفائزون بالمطلوب في الآخرة حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم. والمعنى لهم في الدنيا خير وهو البركة في مالهم لأن إخراج الزكاة يزيد في المال:

زكات مال بدركن كه فضلهٔ رزرا چو باغبان ببرد بيشتر دهد انكور

وفي الآخرة يصير لطاعة ربه في إخراج الصدقة من الفائزين بالجنة:

توانكرا چودل ودست كامرانت هست بخور ببخش كه دنيا وآخرت بردى

وعن علي رضي الله عنه أن المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام. وكان لقمان إذا مر بالأغنياء يقول: يا أهل النعيم لا تنسوا النعيم الأكبر وإذا مر بالفقراء يقول: إياكم أن تغبنوا مرتين. وعن علي رضي الله عنه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير إلا بما منع غني والله يسألهم عن ذلك. قال بعضهم: أول ما فرض الصوم على الأغنياء لأجل الفقراء في زمن الملك طهمورث ثالث ملوك بني آدم وقع القحط في زمانه فأمر الأغنياء بطعام واحد بعد غروب الشمس وبإمساكهم بالنهار شفقة على الفقراء وإيثاراً عليهم بطعام النهار وتعبداً وتواضعاً لله تعالى:

توانكرانرا وقفست وبذل ومهماني زكاة وفطرة وإعتاق وهدى وقرباني
توكى بدولت ايشان رسى كه نتوانى جزاين دو ركعت وآن هم بصد پريشانى
شرف نفس بجودست وكرامت بسجود هركه اين هردوندارد عدمش به زوجود

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وما﴾ [چيزى كه وآنچه] ﴿آتيتم﴾ [مى دهيد] ﴿من ربا﴾ كتب بالواو للتفخيم على لغة من يفخم في أمثاله من الصلاة والزكاة أو للتنبيه على أصله لأنه من ربا يربو زاد وزيدت الألف تشبيهاً بواو الجمع وهي الزيادة في المقدار بأن يباع أحد مطعوم أو نقد بنقد بأكثر منه من جنسه ويقال له ربا الفضل أو في الأجل بأن يباع أحدهما إلى أجل ويقال له ربا النساء وكلاهما محرّم. والمعنى من زيادة خالية من العوض عند المعاملة ﴿ليربوا في أموال الناس﴾ ليزيد

ويزكو في أموالهم، يعني: [تازيادتى درمال سود خوران بديد آيد] ﴿فلا يربوا عند الله﴾ لا يزيد عنده ولا يبارك له فيه كما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٦] وقال بعضهم: المراد بالربا في الآية هو أن يعطي الرجل العطية أو يهدي الهدية ويثاب ما هو أفضل منها فهذا ربا حلال جائز ولكن لا يثاب عليه في القيامة لأنه لم يرد به وجه الله وهذا كان حراماً للنبي عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦] أي: لا تعط ولا تطلب أكثر مما أعطيت كذا في «كشف الأسرار» يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿من ربا﴾ يشير إلى أنه لو قال المعطي للآخذ أنا لا أعطي هذا المال إياك على أنه ربا وجعله في حل لا يكون حلالاً ولا يخرج عن كونه ربا لأن ما كان حراماً بتحريم الله تعالى لا يكون حلالاً بتحليل غيره وإلى أن المعطي والآخذ سواء في الوعيد إلا إذا كانت الضرورة قوية في جانب المعطي فلم يجد بدّاً من الأخذ بطريق الرباء بأن لا يقرضه أحد بغير معاوضة ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ مفروضة أو صدقة سميت زكاة لأنها تزكو وتنمو ﴿تريدون وجه الله﴾ تبتغون به وجهه خالصاً أي: ثوابه ورضاه لا ثواب غيره ورضاه بأن يكون رياء وسمعة ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ أي: ذووا الأضعاف من الثواب كما قال تعالى: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦] ونظير المضعف المقوي لذوي القوة والموسر لذوي اليسار أو الذين أضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة وإنما قال: ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ فعدل عن الخطاب إلى الأخبار إيماء إلى أنه لم يخص به المخاطبون بل هو عام في جميع المكلفين إلى قيام الساعة.

قال سهل رحمه الله: وقع التضعيف لإرادة وجه الله به لا بإيتاء الزكاة وزكاة البدن في تطهيره من المعاصي وزكاة المال في تطهيره من الشبهات.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن في إنفاق المال في سبيل الله تزكية النفس عن لوث حب الدنيا كما كان حال أبي بكر رضي الله عنه حيث تجرد عن ماله تزكية لنفسه كما أخبر الله تعالى عن حاله بقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ [الليل: ١٧-٢٠] أي: شوقاً إلى لقاء ربه ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ أي: يعطون أضعاف ما يرجون ويتمنون لأنهم بقدر هممهم وحسب نظرهم المحدث يرجون والله تعالى بحسب إحسانه وكرمه القديم يعطي عطاء غير منقطع انتهى.

واعلم أن المال عارية مستردة في يد الإنسان ولا أحد أجهل ممن لا ينقذ نفسه من العذاب الدائم بما لا يبقى في يده وقد تكفل الله بأعواض المنفق، وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبركه دائم بهر پند ... دو فرشته خوش منادى ميكند
كاى خدايا منفقانرا سيردار ... هردر مشانرا عوض ده صد هزار
اى خدايا ممسكانرا درجهان ... تومده الا زيان اندر زيان
كرنماند ازجود دردست تومال ... كى كند فضل الهت پايمال
هركه كارد كردد انبارش تهى ... ليكش اندر مزرعه باشد بهى
وانكه درانبار ماند وصرفه كرد ... اشپش وموش وحوادثهاش خورد

وفي «البستان»:

پريشان كن امروز كنجينه چست ... كه فردا كليدش نه در دست تست
تو باخود ببر توشهٔ خويشتن ... كه شفقت نيايد زفرزند وزن

كنون بر كف ودست نه هرچه هست | كه فردا بدندان كزى پشت دست
بحال دل خستكان درنكر | كه روزى دلت خسته باشد مكر
فرومـاندكـانرا درون شاد كن | زروز فروماند كى ياد كن
نه خواهندهٔ بر در ديكران | بشكرانه خواهنده ازدر مران

﴿الله﴾ وحده ﴿الذي خلقكم﴾ أوجدكم من العدم ولم تكونوا شيئاً ﴿ثم رزقكم﴾ أطعمكم ما عشتم ودمتم في الدنيا. قال في «كشف الأسرار»: [يكى را روزى وجود ارزاقست ويكى را شهود رزاق عامهٔ خلق دربند روزىٔ وتهى معده اند طعام وشراب ميخواهند واهل خصوص روزى دل خواهند توفيق طاعات وإخلاص عبادات دون همت كسى باشدكه همت وى همه آن نان بود شربتى آب «من كانت همته ما يأكل فقيمته ما يخرج منه» نيكو سخنى كه آن خوانمرد كفت]:

اى توانكر بكنج خرسندى | زين بخيلان كناره كير وكنار
اين بخيلان عهدما همه بار | راح خوردند ومستراح انبار

﴿ثم يميتكم﴾ وقت انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ في النفخة الأخيرة ليجازيكم بما عملتم في الدنيا من الخير والشر فهو المختص بهذه الأشياء ﴿هل من شركائكم﴾ اللاتي زعمتم أنها شركاء الله ﴿من يفعل من ذالكم﴾ أي: الخلق والرزق والإماتة والإحياء ﴿من شيء﴾ أي: لا يفعل أحد شيئاً قط من تلك الأفعال [چون ازهيچكدام آن كار نيايدش بتانرا شريك كرفتن نشايد] ومن الأولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منهما مستعملة للتأكيد لتعجيز الشركاء ﴿سبحانه﴾ تنزه تنزيهاً بليغاً ﴿وتعالى﴾ تعالياً كبيراً ﴿عما يشركون﴾ عن إشراك المشركين.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿الله الذي خلقكم﴾ من العدم بإخراجكم إلى عالم الأرواح ﴿ثم رزقكم﴾ استماع كلامه بلا واسطة عند خطابه ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وهو رزق آذانكم ورزق أبصاركم مشاهدة شواهد ربوبيته ورزق قلوبكم فهم خطابه ودرك مراده من خطابه ورزق ألسنتكم إجابة سؤاله والشهادة بتوحيده ﴿ثم يميتكم﴾ بنور الإيمان والإيقان والعرفان ﴿هل من شركائكم﴾ من الأصنام والأنام ﴿من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى﴾ منزه بذاته وصفاته ﴿عما يشركون﴾ أعداؤه بطريق عبادة الأصنام وأولياؤه بطريق عبادة الهوى انتهى.

وفي الحديث القدسي «أنا أغنى الشركاء عن الشرك» يعني: أنا أكثر استغناء عن العمل الذي فيه شركة لغيري فافعل للزيادة المطلقة من غير أن يكون في المضاف إليه شيء مما يكون في المضاف ويجوز أن يكون للزيادة على من أضيف إليه يعني أنا أكثر الشركاء استغناء وذلك لأنهم قد يثبت لهم الاستغناء في بعض الأوقات والاحتياج في بعضها والله تعالى مستغن في جميع الأوقات «من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» بفتح الكاف أي: مع شريكه والضمير في تركته لمن يعني أن المرائي في طاعته آثم لا ثواب له فيها. قيل: الشرك على أقسام أعظمها اعتقاد شريك لله في الذات ويليه اعتقاد شريك لله في الفعل كقول من يقول العباد خالقون أفعالهم الاختيارية ويليه الشرك في العبادة وهو الرياء وهذا هو المراد في الحديث.

قال الشيخ أبو حامد رحمه الله: إذا كان مع الرياء قصد الثواب راجحاً فالذي نظنه والعلم

عند الله أن لا يحبط أصل الثواب ولكن ينقص منه فيكون الحديث محمولاً على ما إذا تساوى القصدان أو يكون قصد الرياء أرجح.

قال الشيخ الكلاباذي رحمه الله: العمل إذا صح في أوله لم يضره فساد بعد ولا يحبطه شيء دون الشرك لأن الرياء هو ما يفعل العبد من أوله ليرائي به الناس ويكون ذلك قصده ومراده عند أهل السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] ولو كان الأمر على ما زعم المعتزلة من إحباط الطاعات بالمعاصي لم يجز اختلاطها واجتماعها كذا في «شرح المشارق» لابن الملك. قال في «الأشباه» نقلاً عن «التاتارخانية»: لو افتتح الصلاة خالصاً لله تعالى ثم دخل في قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء أنه لو خلا عن الناس لا يصلي ولو كان مع الناس يصلي فأما لو صلى مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب أصل الصلاة دون الإحسان ولا يدخل الرياء في الصوم انتهى. فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الكشف والعيان حتى يلاحظ الله تعالى في كل فعل باشره من مأموراته ولا يلاحظ غيره من مخلوقاته ألا يرى أن الراعي إذا صلى عند الأغنام لا يلتفت إليها إذ وجودها وعدمها سواء فالرياء لها هواء والله تعالى خلق العبد وخلق القدرة على الحركة ورزقه القيام بأمره فما معنى الشركة.

اكر جز بحق ميرود جاده ات در آتش فشانند سجاده ات

نسأل الله سبحانه وتعالى الخلاص من الأغيار وإخراج الملاحظات والأفكار من القلب الذي خلق للتوجه إليه والحضور لديه.

ترابكو هردل كرده اند امانتدار زدزد امانت حق را نكاه دار مخسب

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿ظهر الفساد﴾ شاع ﴿في البر﴾ كالجدب وقلة النبات والربح في التجارات والريع في الزراعات والدر والنسل في الحيوانات ومحق البركات من كل شيء ووقوع الموتان بضم الميم كبطلان الموت الشائع في الماشية وظهور الوباء والطاعون في الناس وكثرة الحرق بفتحتين اسم من الإحراق وغلبة الأعداء ووجود الفتن والحرب ونحو ذلك من المضار ﴿والبحر﴾ كالغرق بفتحتين اسم من الإغراق وعمي دواب البحر بانقطاع المطر فإن المطر لها كالكحل للإنسان وإخفاق الغواصين أي: خيبتهم من اللؤلؤ فإنه يتكوّن من مطر نيسان فإذا انقطع لم ينعقد. وبيانه أنه إذا أتى الربيع يكثر هبوب الرياح وترتفع الأمواج ويضطرب البحر فإذا كان الثامن عشر من نيسان خرجت الأصداف من قعور بحر الهند وفارس ولها أصوات وقعقعة وبوسط كل صدفة دويبة صغيرة وصفحتا الصدفة لها كالجناحين وكالسور تتحصن به من عدو مسلط عليها وهو سرطان البحر فربما تفتتح أجنحتها تشم الهواء فيدخل السرطان مقصيه بينهما ويأكلها وربما يتحيل السرطان في أكلها بحيلة دقيقة وهو أن يحمل في مقصيه حجراً مدوراً كبندقة الطين ويراقب دابة الصدف حتى تشق عن جناحيها فيلقى السرطان الحجر بين صفحتي الصدفة فلا تنطبق فيأكلها ففي الثامن عشر من نيسان لا تبقى صدفة في قعور البحار المعروفة بالدر إلا

صارت على وجه الماء وتفتحت على وجه يصير وجه الماء أبيض كاللؤلؤ وتأتي سحابة بمطر عظيم ثم تتقشع السحابة وقد وقع في جوف كل صدفة ما قدر الله تعالى واختار من القطر إما قطرة واحدة وإما اثنتان وإما ثلاث وهلم جرا إلى المائة والمائتين وفوق ذلك ثم تنطبق الأصداف وتلحم وتموت الدابة التي كانت في جوف الصدفة في الحال وترسب الأصداف إلى قعر البحر حتى لا يحركها الماء فيفسد ما في بطنها وتلحم صفحتا الصدفة إلحاماً بالغاً حتى لا يدخل إلى الدرة ماء البحر فيصفرها وأفضل الدر المتكوّن في هذه الأصداف القطرة الواحدة ثم الاثنتان ثم الثلاث وكلما قل العدد كان أكبر جسماً وأعظم قيمة وكلما كثر العدد كان أصغر جسماً وأرخص قيمة والمتكون من قطرة واحدة هي الدرة اليتيمة التي لا قيمة لها والأخريان بعدها.

زبـر افـكـنـد قـطـرۀ سـوى يـم   ز صـلـب او افـكـنـد نـطـفـه درشـكـم
ازان قـطـره لـؤلـؤ لالا كـنـد   وزيـن صـورتـى سـروبـالا كـنـد

فالصدفة تنقلب إلى ثلاثة أطوار في الأول طور الحيوانية فإذا وقع القطر فيها ماتت الدويبة وصارت في طور الحجرية ولذلك غاصت إلى القرار وهذا طبع الحجر وهو الطور الثاني وفي الطور الثالث وهو الطور النباتي تشرس في قرار البحر وتمد عروقها كالشجر ذلك تقدير العزيز العليم ولمدة حملها وانعقادها وقت معلوم وموسم يجتمع فيه الغواصون والتجار لاستخراج ذلك هذا في البحر. وأما في البر ففي الثامن عشر من نيسان تخرج فراخ الحيات التي ولدت في تلك السنة وتصير من بطن الأرض إلى وجهها كالأصداف في البحر وتفتح أفواهها نحو السماء كما فتحت الأصداف فما نزل من قطر السماء في فمها أطبقت فمها عليه ودخلت بطن الأرض فإذا تم حمل الصدف في البحر وصار لؤلؤاً شفافاً صار ما دخل في فم فراخ الحيات داء وسماً فالماء واحد والأوعية مختلفة والقدرة صالحة لكل شيء وقد قيل في هذا المعنى:

أرى الإحـسـان عـنـد الـحـرّ دينـا   وعـنـد الـنـدل مـنـقـصـة وذمّـا
كـقـطـر الـمـاء فـي الأصـداف درّا   وفـي جـوف الأفـاعـي صـار سـمـا

كذا في خريدة العجائب وفريدة الغرائب للشيخ العلامة أبي حفص الوردي رحمه الله.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى بر النفس وبحر القلب وفساد النفس بأكل الحرام وارتكاب المحظورات وتتبع الشهوات وفساد القلب بالعقائد السوء ولزوم الشبهات والتمسك بالأهواء والبدع والاتصاف بالأوصاف الذميمة وحب الدنيا وزينتها وطلب شهواتها ومنافعها ومن أعظم فساد القلب عقد الإصرار على المخالفات كما أن من أعظم الخيرات صحة العزم على التوجه إلى الحق والإعراض عن الباطل انتهى. وأيضاً البر لسان علماء الظاهر وفساده بالتأويلات الفاسدة. والبحر لسان علماء الباطن وفساده بالدعاوى الباطلة:

مـاه نـاديـده نـشـانـهـا مـيـدهـنـد

﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي: بسبب شؤم المعاصي التي كسبها الناس في البر والبحر بمزاولة الأيدي غالباً. ففيه إشارة إلى أن الكسب من العبد والتقدير والخلق من الله تعالى فالطاعة كالشمس المنيرة تنتشر أنوارها في الآفاق فكذا الطاعة تسري بركاتها إلى الأقطار فهي من تأثيرات لطفه تعالى والمعصية كالليلة المظلمة فكما أن الليلة تحيط ظلمتها بالجوانب فكذا المعصية تتفرق شآمتها إلى الأقارب والأجانب فهي من تأثيرات قهره تعالى. وأول فساد ظهر

في البر قتل قابيل أخاه هابيل. وفي «البحر» أخذ الجلندي الملك كل سفينة غصباً وفي المثل أظلم من ابن الجلندي بزيادة ابن كما في «إنسان العيون» وكان من أجداد الحجاج بينه وبينه سبعون جداً وكانت الأرض خضرة معجبة بنضارتها لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذباً وكان لا تقصد الأسود البقر فلما وقع قتل المذكور تغير ما على الأرض وشاكت الأشجار أي: صارت ذات شوك وصار ماء البحر ملحاً مرّاً جدّاً وقصد بعض الحيوان بعضاً. وتعلقت شوكة بنبي فلعنها فقالت: لا تلعنني فإني ظهرت من شؤم ذنب الآدميين.

يقول الفقير:

چون عمل نيكو بود كلها دمد چو نكه زشت آيد برويد خارزار

كر بد وكر نيك باشد كارتو هرچه كارى بدر روى آنجام كار

﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ اللام للعلة والذوق وجود الطعم بالفم وكثر استعماله في العذاب يعني أفسد الله أسباب دنياهم بسوء صنيعهم ليذيقهم بعض جزاء ما عملوا من الذنوب والإعراض عن الحق ويعذبهم بالبأساء والضراء والمصائب وإنما قال بعض لأن تمام الجزاء في الآخرة ويجوز أن يكون اللام للعاقبة أي: كان عاقبة ظهور الشرور منهم ذلك نعوذ بالله من سوء العاقبة ﴿لعلهم يرجعون﴾ عما كانوا عليه من الشرك والمعاصي والغفلات وتتبع الشهوات وتضييع الأوقات إلى التوحيد والطاعة وطلب الحق والجهد في عبوديته وتعظيم الشرع والتأسف على ما فات وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠] أي: يتعظون فلم يتعظوا ففيه تنبيه على أن الله تعالى إنما يقضي بالجدوبة ونقص الثمرات والنبات لطفاً من جنابه في رجوع الخلق عن المعصية.

بارها پوشد پى اظهار فضل باز كيرد ازپى اظهار عدل

تاپشيمان ميشوى ازكار بد تاحيا دارى زالله الصمد

اعلم أن الله تعالى غير بشؤم المعصية أشياء كثيرة. غير صورة إبليس واسمه وكان اسمه الحارث وعزازيل فسماه ابليس. وغير لون حام بن نوح بسبب أنه نظر إلى سوأة أبيه فضحك وكان أبوه نوح نائماً فأخبر بذلك. فدعا عليه فسوده الله تعالى فتولد منه الهند والحبشة. وغير الصورة على قوم موسى فصيرهم قردة وعلى قوم عيسى فصيرهم خنازير. وغير ماء القبط ومالهم فصيرهما دماً وحجراً. وغير العلم على أمية بن أبي الصلت وكان من بلغاء العرب حيث كان نائماً فأتاه طائر وأدخل منقاره في فيه فلما استيقظ نسي جميع علومه. وغير اللسان على رجل بسبب العقوق حيث نادته والدته فلم يجب فصار أخرس. وغير الإيمان على برصيصا بسبب شرب الخمر والزنى بعدما عبد الله تعالى مائتين وعشرين سنة إلى غير ذلك. وقد قال كعب الأحبار لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام جاءه ميكائيل بشيء من حب الحنطة وقال: هذا رزقك ورزق أولادك قم فاضرب الأرض وابذر البذر قال: ولم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس عليهما السلام كبيضة النعام فلما كفر الناس نقص إلى بيضة الدجاجة ثم إلى بيضة الحمامة ثم إلى قدر البندقة وكان في زمن عزير عليه السلام على قدر الحمصة. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن ظهور الفاحشة في قوم وإعلانها سبب لفشوّ الطاعون والأوجاع. ونقص الميزان والمكيال سبب للقحط وشدة المؤونة وجور السلطان. ومنع الزكاة سبب لانقطاع المطر ولولا البهائم لم يمطروا. ونقض عهد الله وعهد رسوله سبب لتسلط العدو. وأخذ الأموال من

أيدي الناس وعدم حكم الأئمة بكتاب الله سبب لوقوع السيف والقتال بين الناس. وأكل الربا سبب للزلزلة والخسف فضرر البعض يسري إلى الجميع ولذا يقال: من أذنب ذنباً فجميع الخلق من الإنس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماؤه يوم القيامة فلا بد من الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والطاعة والإصلاح فإن فيه الفوز والفلاح.

قال ذو النون المصري قدس سره: رأيت رجلاً إحدى رجليه خارجة من صومعته يسيل منها الصديد فسألته عن ذلك فقال: زارتني امرأة فنامت بجنب صومعتي فحملتني نفسي على أن أنزل عليها بالفجور فساعدتني إحدى رجلي دون الأخرى فحلفت أن لا تصحبني أبداً وهذا حقيقة التوبة والندامة نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

توبهٔ كردم حقيقت باخدا نشكنم تاجان شدن ازتن جدا

كذا في «المثنوي» نقلاً عن لسان نصوح.

﴿قل﴾ يا محمد ﴿سيروا﴾ أيها المشركون وسافروا ﴿في الأرض﴾ في أرض الأمم المعذبة ﴿فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ أي: آخر أمر من كان قبلكم والنظر على وجهين يقال نظر إليه إذا نظر بعينه ونظر فيه إذا تفكر بقلبه وهٰهنا قال: فانظروا ولم يقل إليه أو فيه ليدل على مشاهدة الآثار ومطالعة الأحوال ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ أي: كان أكثر الذين من قبل مشركين فاهلكوا بشركهم وهو استئناف للدلالة على أن ما أصابهم لفشوّ الشرك فيما بينهم أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فإذا أصابهم العذاب بسبب شركهم ومعاصيهم فليحذر من كان على صفتهم من مشركي قريش وغيرهم إن أصروا على ذلك.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فأقم﴾ عدل يا محمد ﴿وجهك للدين القيم﴾ البليغ الاستقامة الذي ليس فيه عوج أصلاً وهو دين الإسلام وقد سبق معنى إقامة الوجه للدين في هذه السورة ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ يوم القيامة ﴿لا مرد له﴾ لا يقدر أحد على ردة ولا ينفع نفساً إيمانها حينئذٍ ﴿من الله﴾ متعلق بيأتي أو بمرد لأنه مصدر على معنى لا يرده الله تعالى لتعلق إرادته القديمة بمجيئه وقد وعد ولا خلف في وعده ﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم القيامة بعد محاسبة الله أهل الموقف ﴿يصدعون﴾ أصله يتصدعون فأدغمت التاء في الصاد وشددت. والصدع الشق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير صدع الأمر أي: فصله والصداع وهو الانشقاق في الرأس من الوجع ومنه الصديع للفجر لأنه ينشق من الليل والمعنى يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال:

﴿من﴾ [هركه] ﴿كفر﴾ بالله في الدنيا ﴿فعليه﴾ لا على غيره ﴿كفره﴾ وبال كفره وجزاؤه وهو النار المؤبدة ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿عمل صالحاً﴾ وحده وعمل بالطاعة الخالصة بعد التوحيد، وبالفارسية: [كارستوده كند] ﴿فلأنفسهم﴾ وحدها ﴿يمهدون﴾ أصل المهد إصلاح المضجع للصبي ثم استعير لغيره كما في «كشف الأسرار» يسوّون منزلاً في الجنة ويفرشون ويهيئون، وبالفارسية: [خويشتن را نشستكاه سازد در بهشت وبساط مى كسترانند] ومن التمهيد

تمهيد المضاجع في القبور فإن بالعمل الصالح يصلح منزل القبر ومأوى الجنة. يروى أن بعض أهل القبور في برزخ محمود مفروش فيه الريحان وموسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم القيامة وفي الحديث «إن عمل الإنسان يدفن معه في قبره فإن كان العمل كريماً أكرم صاحبه وإن كان لئيماً أسلمه» أي: إن كان عملاً صالحاً آنس صاحبه وبشره ووسع عليه قبره ونوره وحماه من الشدائد والأهوال وإن كان عملاً سيئاً فزع صاحبه وروّعه وأظلم عليه قبره وضيقه وعذبه وخلى بينه وبين الشدائد والأهوال والعذاب والوبال:

برك عيشى بكور خويش فرست كس نيارد زپس زپيش فرست

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿**ليجزي الذين آمنوا**﴾ به في الدنيا ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ وهي ما أريد به وجه الله تعالى ورضاه ﴿**من فضله**﴾ [ازبخشش خود] متعلق بيجزي وهو متعلق بيصدعون أي: يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي كلاً منهما بحسب أعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات أبرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما أن الإثابة عند أهل السنة بطريق التفضل لا الوجوب كما عند المعتزلة وأشير إلى جزاء الفريق الآخر بقوله: ﴿**إنه لا يحب الكافرين**﴾ فإن عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة. قال بعضهم: [دوست نميدارد كافرانرا تابا مؤمنان جمع كند بلكه ايشانرا جدا ساخته بدوزخ فرستد].

ـ روي ـ أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: ما خلقت النار بخلاً مني ولكن أكره أن أجمع أعدائي وأوليائي في دار واحدة نسأل الله تعالى دار أوليائه ونستعيذ به من دار أعدائه.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن النظر بالعبرة من أسباب الترقي في طريق الحق وذلك أن بعض السلاك استحلوا بعض الأحوال فسكنوا إليها وبعضهم استحسنوا بعض المقامات فركنوا إليها فأشركوا بالالتفات إلى ما سوى الحق تعالى فمن نظر من أهل الاستعداد الكامل إلى هذه المساكنات والركون إلى الملائمات يسير على قدمي الشريعة والطريقة لكي يقطع المنازل والمقامات ويجتهد في أن لا يقع في ورطة الفترات والوقفات كما وقع بعض من كان قبله فحرم من الوصول إلى دائرة التوحيد الحقاني.

اى برادر بى نهايت در كهيست هر كجا كه ميرسى بالله مأيست

ومنها: أنه لا بد للطالب من الاستقامة وصدق التوجه وذلك بالموافقة بالاتباع دون الاستبداد برأيه على وجه الابتداع ومن لم يتأدب بشيخ كامل ولم يتلقف كلمة التوحيد ممن هو لسان وقته كان خسرانه أتم ونقصانه أعم من نفعه.

زمن اى دوست اين يك پند بپذير برو فتراك صاحب دولتى كير
كه قطره تا صدف را درنيابد نكردد كوهر وروشن نتابد

ومنها: أن من أنكر على أهل الحق فعليه جزاء إنكاره وهو الحرمان من حقائق الإيمان والله تعالى لا يحب المنكرين إذ لو أحبهم لرزقهم الصدق والطلب ولما وقعوا بالخذلان في الإنكار والكفران.

مـغـزرا خـالـى كـن ازانـكـار يـار تـاكـه ريـحـان يـابـد ازكـلـزاريـار

وفي الحديث: «الأصل لا يخطىء» وتأويله أن أهل الإقرار يرجع إلى صفات اللطف وأهل الإنكار إلى صفات القهر لأن أصل خلقة الأول من الأولى والثاني من الثانية.

شـراب داد خـدا مـرمـرا وسـركـه تـرا چوقسمت است چه جنكست مرمر اوترا

نسأل الله العشق والاشتياق والسلوك إلى طريقة العشاق ونعوذ بالله من الزيغ والضلال على كل حال.

﴿ومن آياته﴾ علامات وحدته وقدرته ﴿أن يرسل الرياح﴾ [فروكشايد ازهوا بادها] أي الشمال والجنوب والصبا فإنها رياح الرحمة. وأما الدبور فإنها ريح العذاب ومنه قوله عليه السلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً». قال في «القاموس»: الشمال: بالفتح وبكسر ما مهبه بين مطلع الشمس وبنات نعش أو من مطلع الشمس إلى مسقط النسر الطائر ولا تكاد تهب ليلاً. والجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا. والصبا ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ومقابلتها الدبور والصبا موصوفة بالطيب والروح لانخفاضها عن برد الشمال وارتفاعها عن حر الجنوب وفي الحديث: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فلا تسبوها وسلوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها» وكان للمتوكل بيت يسميه بيت مال الشمال فكلما هبت الريح شمالاً تصدق بألف درهم.

ـ وذكر ـ في سبب مد النيل أن الله تعالى يبعث عليه الريح الشمالي فينقلب عليه من البحر فتصير كالسكر له فيزيد حتى يعم البلاد فإذا بلغ حد الريّ بعث الله عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر وليس في الدنيا نهر يضرب من الجنوب إلى الشمال ويمد في شدة الحر حين تنقص الأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل المبارك وهو أحلى من العسل وأزكى رائحة من المسك ولكنه يتغير بتغير المجاري. قال وكيع: لولا الريح والذباب لأنتنت الدنيا قيل: الريح تموج الهواء بتأثير الكواكب وسيلانه إلى إحدى الجهات. والصحيح عند أهل الشرع ما ذكر في الحديث من أنها من روح الله. والإشارة: أن الله تعالى يرسل رياح الرجاء على قلوب العوام فتكنس قلوبهم من غبار المعاصي وغثاء اليأس ويبشر بدخول نور الإيمان ثم يرسل رياح البسط على أرواح الخواص فيطهرها من وحشة القبض ودنس الملاحظات ويبشرها بدرك الوصال ويرسل رياح التوحيد فتهب على أسرار أخص الخواص ويطهرها من آثار الأغيار ويبشرها بدوام الوصال وذلك قوله تعالى: ﴿مبشرات﴾ أي: حال كون تلك الرياح مبشرات للخلق بالمطر ونحوه، وبالفارسية: [مژده دهند كان بباران تابفرياد شمارسد] ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ وهي: المنافع التابعة لها والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم بها وليذيقكم ﴿ولتجري الفلك﴾ في البحر بسوق الرياح ﴿بأمره﴾ فالسفن تجري بالرياح والرياح بأمر الله فهي في الحقيقة جارية بأمره. وفي «الأسرار المحمدية»: لا تعتمد على الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في توحيد الأفعال وجهل بحقائق الأمور ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح لا يتحرك بنفسه بل له محرك إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا يتحرك هو في نفسه أيضاً بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه سبحانه وتعالى ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني تجارة البحر. وفيه جواز ركوب البحر للتجارة وقد سبق شرائطه في آخر الجلد الثاني.

سـود دريـانـيـك بـودى كـرنـبـودى بـيـم مـوج
صحبت كل خوش بدى كرنيستى تشويش خار

ومن الأبيات المشهورة للعطار قدس سره:

بـدريـا در مـنـافـع بـى شـمـارسـت   اكـر خـواهـى سـلامـت دركـنـارسـت

﴿ولعلكم تشكرون﴾ وتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة فتوحدوه وتطيعوه:

مـكـن كـردن از شـكـر مـنـعـم مـپـيـچ   كـه روز پـسـيـن سـربـر آرى بـهـيـچ

ثم حذر من أخل بموجب الشكر فقال:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم﴾ كما أرسلناك إلى قومك ﴿فجاؤوهم بالبينات﴾ الباء تصلح للتعدية والملابسة أي: جاء كل رسول قومه بما يخصه من الدلائل الواضحة على صدقه في دعوى الرسالة كما جئت قومك بالبراهين النيرة ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ النقمة العقوبة ومنها الانتقام وهو بالفارسية: [كينه كشيدن] والفاء فصيحة أي: فكذبوهم فانتقمنا من الذين أجرموا من الجرم وهو تكذيب الأنبياء والإصرار عليه أي: عاقبناهم وأهلكناهم وإنما وضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه على مكان المحذوف وللاشعار بكونه علة للانتقام ﴿وكان حقاً﴾ [سراوار] ﴿علينا﴾ قال بعضهم: واجباً وجوب كرم لا وجوب إلزام. وفي «الوسيط»: واجباً وجوباً هو أوجبه على نفسه. وفي «كشف الأسرار»: هذا كما يقال عليّ قصد هذا الأمر أي: أنا أفعله وحقاً خبر كان واسمه قوله ﴿نصر المؤمنين﴾ وإنجاؤهم من شر أعدائهم وما أصابهم من العذاب نصر عزيز وإنجاء عظيم. وفيه إشعار بأن الانتقام للمؤمنين وإظهار لكرامتهم حيث جعلوا مستحقين على الله أن ينصرهم وفي الحديث: «ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم» ثم تلا قوله تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾.

ـ حكي ـ عن الشيخ أبي علي الروذباري قدس سره: أنه ورد عليه جماعة من الفقراء فاعتل واحد منهم وبقي في علته أياماً فمل أصحابه من خدمته وشكوا ذلك إلى الشيخ أبي علي ذات يوم فخالف الشيخ نفسه وحلف أن لا يتولى خدمته غيره فتولى خدمته بنفسه أياماً ثم مات ذلك الفقير فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه فلما أراد أن يفتح رأس كفنه عند إضجاعه في القبر رآه وعيناه مفتوحتان إليه وقال له: يا أبا علي لأنصرنك بجاهي يوم القيامة كما نصرتني في مخالفتك نفسك. ففي القصة أمور:

الأول: أن أحباب الله أحياء في الحقيقة وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار.

والثاني: ما أشار إليه النبي عليه السلام بقوله: «اتخذوا الأيادي عند الفقراء قبل أن تجيء دولتهم فإذا كان يوم القيامة يجمع الله الفقراء والمساكين فيقال تصفحوا الوجوه فكل من أطعمكم لقمة أو سقاكم شربة أو كساكم خرقة أو دفع عنكم غيبة فخذوا بيده وأدخلوه الجنة».

والثالث: أن الشفاعة من باب النصرة الإلهية. وفي الآية تبشير للنبي عليه السلام بالظفر

في العاقبة والنصر على ما كذبه وتنبيه للمؤمنين على أن العاقبة لهم لأنهم هم المتقون وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

سروش عالم غيبم بشارتي خوش داد   كه كس هميشه بكيتى دژم نخواهد ماند

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم﴾ يشير به إلى المتقدمين من المشايخ المنصوبين لتربية قومهم من المريدين ودلالتهم بالتسليك إلى حضرة رب العالمين ﴿فجاؤوهم بالبينات﴾ على لسان التحقيق في بيان الطريق لأهل التصديق فمن قابلهم بالتصديق وصل إلى خلاصة التحقيق ومن عارضهم بالإنكار والجحود ابتلاهم بعذاب الخلود في الأبعاد والجمود وذلك تحقيق قوله: ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ أي: أنكروا ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ المتقربين إلينا بأن ننصرهم بتقربنا إليهم انتهى اللهم اجعلنا من المنصورين مطلقاً ووجهنا إلى نحو بابك صدقاً وحقاً إنك أنت الناصر المعين ومحول القلوب إلى جانب اليقين.

﴿الله الذي يرسل الرياح﴾ رياح الرحمة كالصبا ونحوها ﴿فتثير سحاباً﴾ يقال ثار الغبار والسحاب انتشر ساطعاً وقد أثرته. قال في «تاج المصادر»، الإنارة: [برانكيختن كرد وشورانيدن زمين وميغ آوردن باد]. والسحاب اسم جنس يصح إطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها. قال في «المفردات»: أصل السحب الجر ومنه السحاب إما لجر الريح له أو لجره الماء. والمعنى فتنشره تلك الرياح وتزعجه وتخرجه من أماكنه، وبالفارسية: [برانكيز آن بادهان ابررا] وأضاف الإثارة إلى الرياح وإنما المثير هو الله تعالى لأنها سببها والفعل قد ينسب إلى سببه كما ينسب إلى فاعله ﴿فيبسطه﴾ [پس خداى تعالى بكستراند سحاب را] يعني يجعله متصلاً تارة ﴿في السماء﴾ في سمتها ﴿كيف يشاء﴾ سائراً وواقفاً مسيرة يوم أو يومين أو أقل أو أكثر من جانب الجنوب أو ناحية الشمال أو سمت الدبور أو جهة الصبا إلى غير ذلك ﴿ويجعله كسفاً﴾ تارة أخرى إلى قطعاً، بالفارسية: [پاره پاره هر قطعه در طرفي] جمع كسفة وهي قطعة من السحاب والقطن ونحو ذلك من الأجسام المتخلخلة كما في «المفردات» ﴿فترى الودق﴾ أي: المطر يا محمد ويا من من شأنه الرؤية. قيل: الودق في الأصل ما يكون خلال المطر كأنه غبار وقد يعبر به عن المطر ﴿يخرج﴾ بالأمر الإلهي ﴿من خلاله﴾ فرج السحاب وشقوقه في التارتين، يعني: [در وقتي كه متصل استه ودر وقتى كه متفرق]. قال الراغب: الخلل فرجة بين الشيئين وجمعه خلال نحو خلل الدار والسحاب وقيل: السحاب كالغربال ولولا ذلك لأفسد المطر الأرض.

- روي - عن وهب بن منبه أن الأرض شكت إلى الله عز وجل أيام الطوفان لأن الله تعالى أرسل الماء بغير وزن ولا كيل فخرج الماء غضباً لله تعالى فخدش الأرض وخددها، يعني: [خراشيدروى زمين را وسوراخ كردش] فقالت: يا رب إن الماء خددني وخدشني فقال الله تعالى فيما بلغني والله أعلم إني سأجعل للماء غربالاً لا يخدّدك ولا يخدشك فجعل السحاب غربال المطر ﴿فإذا أصاب به من يشاء من عباده﴾ الباء للتعدية والضمير للودق. والمعنى بالفارسية: [پس چون بر ساند خداى تعالى بارانرا در اراضي وبلاد هركه خواهد زبندكان خود ﴿إذا هم﴾ [آنكاه ايشان] ﴿يستبشرون﴾ [شادمان وخوشدل ميشوند] أي: فاجأوا الاستبشار والفرح بمجيء الخصب وزوال القحط.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وإن﴾ أي: وإن الشأن **﴿كانوا﴾** أي: أهل المطر **﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾** المطر **﴿من قبله﴾** أي: قبل التنزيل تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه **﴿لمبلسين﴾** أي: آيسين من نزوله خبر كانوا واللام فارقه وقد سبق معنى الإبلاس في أوائل السورة **﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾** الخطاب وإن توجه نحو النبي عليه السلام فالمراد به جميع المكلفين والمراد برحمة الله المطر لأنه أنزله برحمته على خلقه. والمعنى فانظروا إلى آثار المطر من النبات والأشجار وأنواع الثمار والأزهار والفاء للدلالة على سرعة ترتب هذه الأشياء على تنزيل المطر **﴿كيف يحيي﴾** أي: الله تعالى **﴿الأرض﴾** بالآثار **﴿بعد موتها﴾** أي: يبسها. قال في «الإرشاد»: كيف الخ في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر أي: فانظروا إلى الإحياء البديع للأرض بعد موتها والمراد بالنظر التنبيه على عظيم قدرته وسعة رحمته مع ما فيه من تمهيد أمر البعث **﴿إن ذلك﴾** العظيم الشأن الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها **﴿لمحيي الموتى﴾** لقادر على إحيائهم في الآخرة فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن إحياء الأرض إحياء لمثل ما كان فيها من القوى النباتية **﴿وهو على كل شيء قدير﴾** أي: مبالغ في القدرة على جميع الأشياء التي من جملتها إحياء قالب الإنسان بعد موته في الحشر ومن إحياء قلبه بعد موته في الدنيا لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على سواء رجع كل شيء إلى قدرته فلم يعظم عليه شيء فقدرة الله الكاملة بخلاف قدرة العبد فإنها مستفادة من قدرة الله تعالى.

تعالى الله زهى قيوم ودانا توانايى ده هر ناتوانا

وسيجيء أن الإنسان خلق من ضعف فالله تعالى أقدره وقواه.

اعلم أن الله سبحانه زين الأرض بآثار قدرته وأنوار فعله وحكمته فأنبت الخضرة وأضاء الزهر وتجلى في صورها لأعين العارفين الذين شاهدوا الله تعالى بنعت الحسن ولذا قال الشيخ المغربي:

مغربي زان ميكند ميلى بكلشن كاندر او
هرچه را رنكى وبويى هست رنك وبوى اوست

وسأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام: هل يصبغ ربك؟ قال: نعم يصبغ ألوان الثمار والرياحين الأحمر والأصفر والأبيض والصباغ يقدر بأن يسود الأبيض ولا يقدر بأن يبيض الأسود والله تعالى يبيض الشعر الأسود والقلب الأسود ومن أحسن من الله صبغة. خرج أبو حفص قدس سره إلى البستان ائتماراً بقوله تعالى:

﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ فأضافه مجوسي في بستان له فلما علم أن قلوب أصحابه نظرت إلى بستان المجوسي قال: اقرأوا ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الدخان: ٢٥] الآية ولما أراد أن يخرج أبو حفص أسلم المجوسي وثمانية عشر من أولاده وأقربائه فقال أبو حفص: إذا خرجتم لأجل التفرج فاخرجوا هكذا أشار قدس سره إلى أن هذا الخروج ليس مع النفس والهوى وإلا لم يكن له أثر محمود. ثم إنه يلزم للإنسان أن ينظر بعين ظاهره إلى زهرة

الدنيا وبعين قلبه إلى فنائها ويعتبر أيام الربيع بأنواع الاعتبار وفي الحديث: «إذا رأيتم الربيع فاذكروا النشور» أي: فإن خروج الموتى من القبور كخروج النبات من الأرض فيلزم أن يذكره عند رؤية الربيع ويذكر شمس القيامة عند اشتداد الحر وفي الحديث «إذا كان اليوم حاراً فإذا قال الرجل: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرني من حر جهنم قال الله تعالى لجهنم إن عبداً من عبيدي استجار بي من حرك وأنا أشهدك أني قد أجرته وإذا كان اليوم شديد البرد فإذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله تعالى: إن عبداً من عبيدي استجار بي من زمهريرك وإني أشهدك أني قد أجرته» قالوا: وما زمهرير جهنم؟ قال: «بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده» أي: يتفرق ويتفسخ. وينبغي أن يذكر بكاء العصاة على الصراط عند رؤية نزول المطر من السماء.

قالت رابعة القيسية: ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي يوم القيامة وما رأيت الثلوج إلا ذكرت تطاير الكتب وما رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر. وأن يذكر حمرة وجوه المشتاقين عند رؤية الريحان الأحمر. وبياض وجه المؤمنين عند رؤية الأبيض. وصفرة وجوه العصاة عند رؤية الأصفر. وغبرة وجوه الشبان والنسوان الحسان في القبر بعد سبعة أيام عند رؤية الريحان الأكهب وهو ما له لون غبرة.

وفي «كشف الأسرار» [كل زرد طبيبي است براى شفاى عالم واوخود بيمار. كل سرخ كويى مست است ازديدار او همه هشيار كشته واودر خمار. كل سپيد كويى ستم رسيده ايست ازدست روزكار جواني بباد داده وعمر رسيده بكنار دروقت اعتدال سال دو آفتاب برآيد از مطلع غيب يكى خورشيد جمال فلكي ويكى خورشيد جمال ملكي آن يكى بركل تابد كل شكفته كردد اين يكى بردل تابد دل افروخته كردد چون كل شكفته شد بلبل بروعاشق شود دل كه افروخته شد نظر خالق در وحاضر بود. كل باخر بريزد بلبل در هجر او ماتم كيرد. دل كربماند حق تعالى اورا در كنف الطاف وكرم كيرد، قلب المؤمن لا يموت أبداً]:

چشمى كه تراديد شد ازدرد معاف جانى كه ترا يافت شد ازمرك مسلم

وخرج ابن السماك قدس سره أيام الربيع فنظر إلى الأنوار فصاح وقال: يا منور الأشجار بأنواع الأنوار نوّر قلوبنا بذكرك وحسن طاعتك. وبعض الصالحين كانوا يبكون أيام الربيع شوقاً إلى الله تعالى ومنهم من يبكي خوفاً من الفراق.

ـ حكي ـ أن الشيخ الشبلي قدس سره خرج يوماً فوجده أصحابه تحت شجرة يبكي فقيل له في ذلك قال: مررت بهذه الشجرة فقطع منها غصن ووقع على الأرض وهو بعد أخضر لا خبر له بقطعه من أصله فقلت: يا نفس ماذا أنت صانعة أن لو قطعت من الحق ولا علم لك بذلك فجلس أصحابه يبكون. ويقال الربيع يدل على نعيم الجنة وراحتها والإنسان الكامل في الربيع يظهر تأسفاً وحسرة فلا يدري سبب ذلك وذلك أن الأرواح كلها كانت في صلب آدم عليه السلام حين كان في الجنة فلما تفرقت في أنفس أولاده فإذا رأت شبه الجنة أو زهرة أو طيباً ذكرت نعيم الجنة فأسفت على مفارقتها وجزعت على الخروج منها. ونظر بعض العلماء إلى الورد فبكى وقال: إن الميت يبكي في الأرض إلا بياض عينيه فإذا جاء الربيع وانفتح الورد انشق بياض عينيه وإذا تزوجت امرأته انشق قلبه بنصفين. ويقال في الآية: ﴿**كيف يحيي الأرض**﴾ يعني نفس المؤمن بعد يبوستها من الطاعات.

- روي - في الخبر «من أحيى أرضاً ميتة فهي له» فالله تعالى أحيى نفس المؤمن وقلبه فهو له لا للشيطان كذلك التائب إذا أحيى نفسه بالطاعة فهو للجنة لا للنار. ويقال يحيي النفوس بعد فترتها بصدق الإرادات ويحيي القلوب بعد غفلتها بأنوار المحاضرات ويحيي الأرواح بعد حجبتها بدوام المشاهدات.

أموت إذا ذكرتك ثم أحيى فكم أحيى عليكم وكم أموت

والقلب بستان العارف وجنته وحياته بمعرفة الله تعالى فمن نظر إلى أنواره استغنى عن العالم وأزهاره، وفي «المثنوي»:

صوفىٔ در باغ از بهر كشاد صوفيانه روى بر زانو نهاد
پس فرو رفت او بخود اندر نغول شد ملول از صورت خوابش فضول
كه چه خسبى آخر اندر رز ذمكر اين درختان بين وآثار خضر
امر حق بشنوكه كفت است انظروا سوى اين آثار رحمت آر رو
كفت آثارش دلست اى بو الهوس آن برون آثار آثارست وپس
باغها وميوها اندر دلست عكس لطف آن برين آب وكلست
چون حيات ازحق بكيرى اى روى پس غنى كردى زكل دردل روى

نسأل الله تعالى أن يفتح بصائرنا لمشاهدة آثار رحمته ومطالعة أنوار صفاته ويأذن لنا في دخول بستان أسرار ذاته والانتقال إلى حرم هويته من حريم آياته وبيناته إنه مفيض الخير والمراد ومحيي الفؤاد.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه﴾ اللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والريح ريح العذاب كالدبور ونحوها والفاء فصيحة والضمير المنصوب راجع إلى أثر الرحمة المدلول عليه بالآثار دلالة الجمع على واحده أو النبات المعبر عنه بالآثار فإنه اسم جنس يعم القليل والكثير. والمعنى وبالله لئن أرسلنا ريحاً مضرة حارة أو باردة فأفسدت زرع الكفار فرأوه **﴿مصفراً﴾** من تأثير الريح أي: قد اصفر بعد خضرته وقرب من الجفاف والهلاك. والاصفرار بالفارسية: [زرد شدن] والصفرة لون من الألوان التي بين السواد والبياض وهو إلى البياض أقرب **﴿لظلوا﴾** اللام لام جواب القسم الساد مسد الجوابين ولذلك فسر الماضي بالاستقبال أي: يظلون وظل يظل بالفتح أصله العمل بالنهار ويستعمل في موضع صار كما في هذا المقام. والمعنى الفارسية: [هر آينه باشند] **﴿من بعده﴾** أي: بعد اصفرار الزرع والنبت **﴿يكفرون﴾** من غير توقف وتأخير يعني أن الكفار لا اعتماد لهم على ربهم فإن أصابهم خير وخصب لم يشكروا الله ولم يطيعوه وأفرطوا في الاستبشار وإن نالهم أدنى شيء يكرهونه جزعوا ولم يصبروا وكفروا سالف النعم ولم يلتجئوا إليه بالاستغفار وليس كذلك حال المؤمن فإنه يشكر عند النعمة ويصبر عند المحنة ولا ييأس من روح الله ويلتجىء إليه بالطاعة والاستغفار ليستجلب الرحمة في الليل والنهار، وفي «المثنوي»:

چون فرود آيد بلا بى دافعى چون نباشد از تضرع شافعي

جز خضوع وبندكى واضطرار اندرين حضرت ندارد اعتبار
چونكه غم بينى تو استغفار كن غم بامر خالق آمد كار كن

وفي الآية إشارة إلى أن ريح الشقاوة الأزلية إذا هبت من مهب القهر والعزة على زروع معاملات الأشقياء وإن كانت مخضرة أي: على وفق الشرع تجعلها مصفرة يابسة تذروها الرياح كأعمال المنافق فيصيرون من بعد الإيمان التقليدي بالنفاق يكفرون بالله وبنعمته وهذا الكفر أقبح من الكفر المتعلق بالنعمة فقط نعوذ بالله من درك الشقاء وسوء الحال وسيئات الأقوال والأفعال.

﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ أي: من كان من الكفار كما وصفنا فلا تطمع يا محمد في فهمهم مقالتك وقبولهم دعوتك فإنك لا تسمع الموتى. والكفار في التشبيه كالموتى لانسداد مشاعرهم عن الحق وهم الذين علم الله قبل خلقهم أنهم لا يؤمنون به ولا برسله. وفي الآية دليل على أن الأحياء قد يسمون أمواتاً إذا لم يكن لهم منفعة الحياة.

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أجسادهم مفقودة وآثارهم بين الورى موجودة.

واعلم أن الكفر موت القلب كما أن العصيان مرضه فمن مات قلبه بالكفر بطل سمعه بالكلية فلا ينفعه النصح أصلاً ومن مرض قلبه بالعصيان فيسمع سمعاً ضعيفاً كالمريض فيحتاج إلى المعالجة في إزالته حتى يعود سمعه إلى الحالة الأولى ثم أشار تعالى إلى تشبيه آخر بقوله: ﴿ولا تسمع الصم﴾ جمع أصم والصمم فقدان حاسة السمع وبه شبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله كما في «المفردات» ﴿الدعاء﴾ أي: الدعاء، وبالفارسية: [خواندن] ﴿إذا ولوا﴾ أعرضوا عن الداعي حال كونهم ﴿مدبرين﴾ تاركين له وراء ظهورهم فارين منه وتقييد الحكم بإذا الخ لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على أنهم جامعون لخصلتي السوء ينبوّ أسماعهم عن الحق وإعراضهم عن الإصغاء إليه ولو كان فيهم إحداهما لكفتهم فكيف وقد جمعوهما فإن الأصم المقبل إلى التكلم ربما يتفطن منه بواسطة أوضاعه وحركات فمه وإشارات يده ورأسه شيئاً من كلامه وإن لم يسمعه أصلاً وأما إذا كان معرضاً عنه يعني: [كرى كه پشت بر متكلم دارد] فلا يكاد يفهم منه شيئاً ثم أشار إلى تشبيه آخر بقوله:

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وما أنت بهاد العمي﴾ جمع أعمى وهو فاقد البصر ﴿عن ضلالتهم﴾ متعلق بالهداية باعتبار تضمنها معنى الصرف سماهم عمياً إما لفقدهم المقصود الحقيقي من الأبصار أو لعمي قلوبهم كما في «الإرشاد»، وبالفارسية: [ونيستى توراه نماينده كوردلان ازكمراهىء ايشان يعنى قادرنيستى بر آنكه توفيق ايمان دهى مشركانرا] فإنهم ميتون والميت لا يبصر شيئاً كما لا يسمع شيئاً فكيف يهتدي ﴿إن﴾ ما ﴿تسمع﴾ مواعظ القرآن ونصائحه ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ فإن إيمانهم يدعوهم إلى التدبر فيها وتلقيها بالقبول. يعني أن الإيمان حياة القلب فإذا كان القلب حياً يكون له السمع والبصر واللسان ويجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للإيمان أي: إلا من

يشارف الإيمان بها ويقبل عليها إقبالاً حقيقياً ﴿فهم مسلمون﴾ تعليل لإيمانهم أي: منقادون لما تأمرهم به من الحق.

وفي «التأويلات النجمية»: مستسلمون لأحكام الشريعة وآداب الطريقة في التوجه إلى عالم الحقيقة انتهى فإن الأحكام والآداب كالجناحين للسالك الطائر إلى الله تعالى فالمؤمن مطلقاً سواء كان سالكاً إلى طريق الجنان أو إلى طريق قرب الرحمان يعرض عن النفس والشيطان ويقبل على داعي الحق بالوجه والجنان، قال حضرة الشيخ العطار قدس سره في الهي نامه:

يكى مر غيست اندر كوه پايه ... كه درسالى نهد چل روزخايه
بحد شام باشد جاى اورا ... بسوى بيضه نبود راى اورا
چوبنهد بيضه درچل روزبسيار ... شود از چشنم مردم نابديدار
يكى بيكانه مرغى آيد از راه ... نشيند بر سرآن بيضه آنكاه
چنان آن بيضه درزير پر آرد ... كه تاروزى از وبچه بر آرد
چنانش برورد آن دايه پيوست ... كه ندهد هيچ كس را آنچنان دست
چوجوقى بچهٔ اوپر بر آرند ... بيكده روى دريكديكر آرند
در آيد زود مادر شان بپرواز ... نشيند بر سر كوهى سر افراز
كند بانكى عجب ازدور ناكاه ... كه آن خيل بچه كردند آكاه
چو بنيوشند بانك مادر خويش ... شوند از مرغ بيكانه برخويش
بسوى مادر خود بازكردند ... وزان مرغ دكر ممتاز كردند
اكر روزى دكر ابليس مغرور ... كرفته زير پرهستى تومعذور
كه چون كردد خطاب خودبديدار ... بسوى حق شود زابليس بيزار

فعلى العاقل أن يرجع إلى أصله من صحبة الفروع ويجتهد في أن يحصل له سمع الروع قبل أن تنسدّ الحواس وينهدم الأساس.

﴿الله﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿**الذي خلقكم**﴾ أوجدكم أيها الإنسان ﴿**من ضعف**﴾ أي: من أصل ضعيف هو النطفة أو التراب على تأويل المصدر باسم الفاعل. والضعف بالفتح والضم خلاف القوة وفرقوا بأن الفتح لغة تميم واختاره عاصم وحمزة في المواضع الثلاثة والضم لغة قريش واختاره الباقون ولذا لما قرأه ابن عمر رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ بالفتح اقرأه بالضم ﴿**ثم**﴾ للتراخي في الزمان ﴿**جعل**﴾ خلق لأنه عدى لمفعول واحد ﴿**من بعد ضعف**﴾ آخر وهو الضعف الموجود في الجنين والطفل ﴿**قوة**﴾ هي القوة التي تجعل للطفل من التحرك واستدعائه اللبن ودفع الأذى عن نفسه بالبكاء. قال بعض العلماء أول ما يوجد في الباطن حول ثم ما يجربه في الأعضاء قوة ثم ظهور العمل بصورة البطش والتناول قدرة ﴿**ثم جعل من بعد قوة**﴾ أخرى هي التي بعد البلوغ وهي قوة الشباب ﴿**ضعفاً**﴾ آخر هو ضعف الشيخوخة والكبر ﴿**وشيبة**﴾ شيبة الهرم والشيب والمشيب بياض الشعر ويدل على أن كل واحد من قوله ضعف وقوة إشارة إلى حالة غير الحالة الأولى ذكره منكراً والمنكر متى أعيد ذكره معرفاً أريد به ما تقدم كقولك رأيت رجلاً فقال لي الرجل كذا ومتى أعيد منكراً أريد به غير الأول ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥-٦]

لن يغلب عسر يسرين هكذا حققه الإمام الراغب وتبعه أجلاء المفسرين.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿**خلقكم من ضعف**﴾ في البداية وهو ضعف العقل ﴿**ثم جعل من بعد ضعف قوة**﴾ في العقل بالبراهين والحجج ﴿**ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة**﴾ في الإيمان لمن كان العقل عقيله فيعقله بعلاقة المعقولات فينظر فيها بداعية الهوى بنظر مشوب بآفة الوهم والخيال فيقع في ظلمات الشبهات فتزل قدمه عن الصراط والدين القويم فيهلك كما هلك كثير ممن شرع في تعلم المعقولات لإطفاء نور الشريعة وسعى في إبطال الشريعة بظلمة الطبيعة يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. وأيضاً ﴿**خلقكم من ضعف**﴾ التردد والتحير في الطلب ﴿**ثم جعل من بعد ضعف قوة**﴾ في صدق الطلب ﴿**ثم جعل من بعد قوة**﴾ في الطلب ﴿**ضعفاً**﴾ في حمل القول الثقيل وهو حقيقة قول لا إله إلا الله فإنها توجب الفناء الحقيقي وتوجب الضعف الحقيقي في الصورة بحمل المعاتبات والمعاشقات التي تجري بين المحبين فإنها تورث الضعف والشيبة كما قال ﷺ: «شيبتني سورة هود وأخواتها» فإن فيها إشارة من المعاشقات بقوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] ﴿**يخلق**﴾ الله تعالى ﴿**ما يشاء**﴾ من الأشياء التي من جملتها ما ركب من الضعف والقوة والشباب والشيبة. يعني هذا ليس طبعاً بل بمشيئة الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**يخلق ما يشاء**﴾ من القوة والضعف في السعيد والشقي فيخلق في السعيد قوة الإيمان وضعف البشرية وفي الشقي قوة البشرية لقبول الكفر وضعف الروحانية لقبول الإيمان ﴿**وهو العليم**﴾ بخلقه ﴿**القدير**﴾ بتحويله من حال إلى حال. وأيضاً العليم بأهل السعادة والشقاوة والتقدير بخلق أسباب السعادة والشقاء فيهم.

واعلم أن نفس الإنسان أقرب إلى الاعتبار من نفس غيرهم ولذا أخبر عن خلق أنفسهم في أطوار مختلفة ليتغيروا ويتقلبوا وينتقلوا من معرفة هذا التغير والتقلب إلى معرفة الصانع الكامل بالعلم والقدرة المنزه عن الحدوث والإمكان ويصرفوا القوى إلى طاعته. قال بعضهم رحم الله امرأ كان قوياً فأعمل قوته في طاعة الله أو كان ضعيفاً فكف لضعفه عن معصية الله. قيل إذا جاوز الرجل الستين وقع بين قوة العلل وعجز العمل وضعف الأمل ووثبة الأجل فلا بد للشبان من دفع الكسل وسد الخلل وقد أثنى عليهم رسول الله عليه السلام خيراً حيث قال: «أوصيكم بالشبان خيراً ثلاثاً فإنهم أرق أفئدة ألا وإن الله أرسلني شاهداً ومبشراً ونذيراً فخالصني الشبان وخالفني الشيوخ»، يعني: [وصيت ميكنم شمارا به جوانا نكه بهتراند سه بار زيرا كه ايشان رحيم دل ترند آكاه باشيد خداى تعالى مرا فرستاد شاهد ومبشر ونذير دوستى كردند بامن جوانان ومخالفت كردند پيران] وأثنى على الشيوخ أيضاً حيث قال: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة ما لم يخضبها أو ينتفها» والمراد الخضاب بالسواد فإنه حرام لغير الغزاة وحلال لهم ليكونوا أهيب في عين العدو وأما الخضاب بالحمرة والصفرة فمستحب ودل قوله: ﴿**يخلق ما يشاء**﴾ على أن الله تعالى لو لم يخلق الشيب في الإنسان ما شاب وأما قول الشاعر:

أشاب الصغير وأفنى الكبيـ ـر كر الغداة ومر العشي

فمن قبيل الإسناد المجازي. ونظر أبو يزيد قدس سره إلى المرآة فقال: ظهر الشيب ولم يذهب العيب ولا أدري ما في الغيب.

يا عامر الدنيا على شيبه ... فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه ... وجسمه مستهدم يخرب

قال الشيخ سعدي قدس سره:

كنون بايد اى خفته بيدار بود ... چو مرك اندر آردز خوابت چه سود
چوشيب اندر آمد بروى شباب ... شبت روز شد ديده بركن زخواب
من آن روز بر كندم از عمر اميد ... كه افتادم اندر سياهى سپيد
دريغاكه بكذشت عمر عزيز ... بخواهد كذشت اين دمى چند نيز
فرو رفت جم را يكى نازنين ... كفن كرد چون كرمش ابريشمين
يدخمه در آمد پس از چند روز ... كه بروى بكريد بزارى وسوز
چو پوسيده ديدش حرير كفن ... بفكرت چنين كفت باخويشتن
من ازكرم بركنده بودم بزور ... بكندند ازو باز كرمان كور

ـ روي ـ أن عثمان رضي الله عنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته فقيل: تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه».

ـ روي ـ أن الحسن البصري رحمه الله رأى بنتاً على قبر تنوح وتقول: يا أبت كنت أفرش فراشك فمن فرشه الليلة يا أبت كنت أطعمك فمن أطعمك الليلة إلى غير ذلك فقال الحسن: لا تقولي كذلك بل قولي يا أبت وضعناك متوجهاً إلى القبلة فهل بقيت أو حولت عنها يا أبت هل كان القبر روضة لك من رياض الجنة أو حفرة من حفرة النيران يا أبت هل أجبت الملكين على الحق أو لا فقالت: ما أحسن قولك يا شيخ وقبلت نصيحته. فعلى العاقل أن يتذكر الموت ويتفكر في بعد السفر ويتأهب بالإيمان والأعمال مثل الصلاة والصيام والقيام ونحوها وأفضلها إصلاح النفس وكف الأذى عن الناس بترك الغيبة والكذب وتخليص العمل لله تعالى وذلك يحتاج إلى قوة التوحيد بتكريره وتكريره بصفاء القلب آناء الليل وأطراف النهار.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أي: القيامة سميت بها لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبداهة وصارت علماً لها بالغلبة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة. وفي «فتح الرحمٰن»: ويوم تقوم الساعة التي فيها القيامة ﴿يقسم المجرمون﴾ يحلف الكافرون يقال اقسم أي: حلف أصله من القسامة وهي إيمان تقسم على المتهمين في الدم ثم صار اسماً لكل حلف ﴿ما لبثوا﴾ في القبور وما نافية ولبث بالمكان أقام به ملازماً له ﴿غير ساعة﴾ أي: إلا ساعة واحدة هي جزؤ من أجزاء الزمان استقلوا مدة لبثهم نسياناً أو كذباً أو تخميناً ويقال ما لبثوا في الدنيا والأول هو الأظهر لأن لبثهم معني بيوم البعث كما سيأتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الصرف، وبالفارسية: [مثل اين بركشتن ازراستى در آخرت] ﴿كانوا﴾ في الدنيا بإنكار البعث والحلف على بطلانه كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ

أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ [النحل: ٣٨] ﴿يؤفكون﴾ يقال افك فلان إذا صرف عن الصدق والخير أي: يصرفون عن الحق والصدق فيأخذون في الباطل والإفك والكذب يعني كذبوا في الآخرة كما كانوا يكذبون في الدنيا، وبالفارسية: [كار ايشان دروغ كفتن است درين سرا ودران سرا].

واعلم أن الله تعالى خلق الصدق فظهر من ظله الإيمان والإخلاص وخلق الكذب فظهر من ظله الكفر والنفاق فأنتج الإيمان المتولد من الصدق أن يقول المؤمنون يوم القيامة الحمد لله الذي صدقنا وعده وهذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون ونحوه وأنتج الكفر المتولد من الكذب أن يقول الكافرون يومئذٍ والله ما كنا مشركين وما لبثوا غير ساعة ونحوه من الأكاذيب، قال الحافظ:

بصدق كوش كه خورشيد زايد ازنفست   كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست

يعني: أن آخر الصدق النور كما أن آخر الصبح الصادق الشمس وآخر الكذب الظلمة كما أن آخر الصبح الكاذب كذلك.

﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾ في الدنيا من الملائكة والانس رداً لهم وإنكاراً لكذبهم **﴿لقد﴾** والله قد **﴿لبثتم في كتاب الله﴾** وهو التقدير الأزلي في أم الكتاب أي: علمه وقضائه **﴿إلى يوم البعث﴾** [تاروز انكيختن] وهو مدة مديدة وغاية بعيدة لا ساعة حقيقة. وفي الحديث: «ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون» وهو محتمل للساعات والأيام والأعوام والظاهر أربعون سنة أو أربعون ألف سنة ثم أخبروا بوقوع البعث تبكيتاً لهم لأنهم كانوا ينكرونه فقالوا: **﴿فهذا﴾** الفاء جواب شرط محذوف أي: إن كنتم منكرين البعث فهذا **﴿يوم البعث﴾** الذي أنكرتموه وكنتم توعدون في الدنيا أي: فقد تبين بطلان إنكاركم **﴿ولكنكم﴾** من فرط الجهل وتفريط النظر **﴿كنتم﴾** في الدنيا **﴿لا تعلمون﴾** أنه حق سيكون فتستعجلون به استهزاء.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿فيومئذٍ﴾ أي: يوم القيامة **﴿لا ينفع الذين ظلموا﴾** أي: أشركوا **﴿معذرتهم﴾** أي: عذرهم وهو فاعل لا ينفع. والعذر تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه بأن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنباً أو فعلت ولا أعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة وأصل الكلمة من العذرة وهي الشيء النجس تقول عذرت الصبي إذا طهرته وأزلت عذرته وكذا عذرت فلاناً إذا أزلت نجاسة ذنبه بالعفو عنه كذا في «المفردات». وقال في «كشف الأسرار» أخذ من العذار وهو الستر **﴿ولا هم يستعتبون﴾** الاعتاب إزالة العتب أي: الغضب والغلظة، وبالفارسية: [خوشنود كردن] والاستعتاب طلب ذلك، يعني: [ازكسى خواستن كه ترا خوشنود كند] من قولهم استعتبني فلان فأعتبته أي: استرضاني فأرضيته. والمعنى لا يدعون إلى ما يقتضي أعتابهم أي: إزالة عتبهم وغضبهم من التوبة والطاعة كما دعوا إليه في الدنيا إذ لا يقبل حينئذٍ توبة ولا طاعة وكذا لا يصح رجوع إلى الدنيا لإدراك فائت من الإيمان والعمل، قال الشيخ سعدي قدس سره:

كنونت كه چشم است اشكى ببار   زبان دردهانست عذري بيار

كنون بايدت عذر تقصير كفت نه چون نفس ناطق ز كفتن بخفت
بشهر قيامت مرو تنكدست كه وجهى ندارد بحسرت نشست

وفي الآية: إشارة إلى أن القالب للإنسان كالقبر للميت فهم يستقصرون يوم البعث أيامهم الدنيوية الفانية المتناهية وإن طالت مدتهم بالنسبة إلى صباح الحشر فإنه يوم طويل. قال عليه السلام: «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة». واحتضر عابد فقال: ما تأسفي على دار الأحزان والغموم والخطايا والذنوب وإنما تأسفي على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وقد مضى ستة آلاف وليأتينّ عليها مئون من سنين ليس عليها موحد يعني قرب القيامة فإنه حينئذٍ ينقرض أهل الإيمان لما أراد الله من فناء الدنيا ثم ينتهي دور السنبلة وينتقل الظهور إلى البطون ثم بعد تمام مدة البرزخ وينفخ في الصور فيبعث أهل الإيمان على ما ماتوا عليه من التوحيد ويبعث أهل الكفر على ما هلكوا عليه من الإشراك وتكون الدنيا ومدتها وما تحويه من الأمور والأحوال نسياً منسياً فيا طوبى لمن صام طول نهاره حتى يطعمه الله في ذلك اليوم الطويل من نعم جناته ولمن قام طول ليلته فيقيمه الله في ظل عرشه إراحة له من الكدر ولمن وقع في نار محبته فيخلصه من نار ذلك اليوم ويحيطه بالنور فإنه لا يجتمع شدة الدنيا وحدة الآخرة للمؤمن المتقي، قال الشيخ العطار في الهي نامه:

مكر يكروز دربازار بغداد بغايت آتشى سوزنده افتاد
فغان برخاست از مردم بيكبار وزان آتش قيامت شد بديدار
بزه بر پيره زالى مبتلايى عصا دردست مى آمد زجايى
يكى كفتا مكر ديوانهٔ تو كه افتاد آتش اندر خانه تو
زنش كفتا تويى ديوانهٔ من كه حق هركز نسوزدخانهٔ من
بآخر چون بسوخت عالم جهانى نبود آن زال را زآتش زيانى
بد وكفتندهان اى زال دمساز بكو كزچه بدانستى تواين راز
چنين كفت آنكهى زال فروتن كه ياخانه بسوزد يادل من
چوسوخت ازغم دل ديوانهٔ را نخواهد سوخت آخر خانهٔ را

فعلى العاقل أن يكون على مراد الله في أحكامه وأوامره حتى يكون الله تعالى على مراده في إنجائه من ناره والاسترضاء لا يكون إلا في الدنيا فإنها دار تكليف فإذا جاء الموت يختم الفم والأعضاء وتنسد الحواس والقوى وطرق التدارك بالكلية فيبقى كل امرىء مرهوناً بعمله.

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي: وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كأنها في غرابتها كالأمثال وذلك كالتوحيد والحشر وصدق الرسل وسائر ما يحتاجون إليه من أمر الدين والدنيا مما يهتدي به المتفكر ويعتبر به الناظر المتدبر **﴿ولئن جئتهم﴾** [اكر بيارى تو اى محمد عليه السلام بديشان يعني بمنكران متعاندان] **﴿بآية﴾** من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك **﴿ليقولن الذين كفروا﴾** من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنهي عليه السلام والمؤمنين **﴿إن﴾** ما **﴿أنتم إلا مبطلون﴾** مزوّرون يقال أبطل الرجل إذا جاء بالباطل وأكذب إذا جاء بالكذب. وفي «المفردات» الإبطال يقال في إفساد الشيء وإزالته حقاً كان ذلك الشيء أو باطلاً قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] وقد يقال فيمن

يقول شيئاً لا حقيقة له قال تعالى: ﴿إن أنتم إلا مبطلون﴾

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿يطبع الله﴾ يختم بسبب اختيارهم الكفر، وبالفارسية: [مهرمى نهد خداى تعالى] ﴿على قلوب الذين لا يعلمون﴾ لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها وترهات فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق.

واعلم أن الطبع أن يصور الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو أعم من الختم وأخص من النقش والطابع والخاتم ما يطبع به ويختم والطابع فاعل ذلك وبه اعتبر الطبع والطبيعة التي هي السجية فإن ذلك هو نقش النفس بصورة ما أما من حيث الخلقة أو من حيث العادة وهو فيما ينقش به من جهة الخلقة أغلب وشبه إحداث الله تعالى في نفوس الكفار هيئة تمرنهم وتعودهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب إعراضهم عن النظر الصحيح بالختم والطبع على الأواني ونحوها في أنهما مانعان فإن هذه الهيئة مانعة عن نفوذ الحق في قلوبهم كما أن الختم على الأواني ونحوها مانع عن التصرف فيها ثم استعير الطبع لتلك الهيئة ثم اشتق منه يطبع فيكون استعارة تبعية.

﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذاهم قولاً وفعلاً ﴿إن وعد الله﴾ بنصرتك وإظهار دينك ﴿حق﴾ لا بد من إنجازه والوفاء به [نكه داريد وقت كارها را كه هركارى بوقتى بازيسته است] ﴿ولا يستخفنك﴾ أي: لا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً. قال في «المفردات»: لا يزعجنك ولا يزيلنك عن اعتقادك بما يوقعون من الشبه ﴿الذين لا يوقنون﴾ الإيقان [بى كمان شدن] واليقين أخذ من اليقين وهو الماء الصافي كما في «كشف الأسرار» أي: لا يوقنون بالآيات بتكذيبهم إياها وأذاهم بأباطيلهم التي من جملتها قولهم ﴿إن أنتم إلا مبطلون﴾ فإنهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم أمثال ذلك فظاهر النظم الكريم وإن كان نهياً للكفرة عن استخفافه عليه السلام لكنه في الحقيقة نهي له عن التأثر من استخفافهم على طريق الكناية.

- روي - أنه لما مات أبو طالب عم النبي عليه السلام بالغ قريش في الأذى حتى أن بعض سفهائهم نثر على رأسه الشريفة التراب فدخل عليه السلام بيته والتراب على رأسه فقام إليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله عليه السلام يقول لها: «لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك» وكذا أوذي الأصحاب كلهم فصبروا وظفروا بالمراد فكانت الدولة لهم ديناً ودنيا وآخرة، قال الحافظ:

دلادر عاشقى ثابت قدم باش   كه درايـن ره نباشد كار بى اجر

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿فاصبر﴾ يشير إلى الطالب الصادق فاصبر على مقاساة شدائد فطام النفس عن مألوفاتها تزكية لها وعلى مراقبة القلب عن التدنس بصفات النفس تصفية له وعلى معاونة الروح على بذل الوجود لنيل الجود تحلية له ﴿إن وعد الله حق﴾ فيما قال: «ألا من طلبني وجدني».

﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ يشير به إلى استخفاف أهل البطالة واستجهالهم أهل

الحق وطلبه وهم ليسوا أهل الإيقان وإن كانوا أهل الإيمان التقليدي يعني لا يقطعون عليك الطريق بطريق الاستهزاء والإنكار كما هو عادة أهل الزمان يستخفون طالبي الحق وينظرون إليهم بنظر الحقارة ويزرونهم وينكرون عليهم فيما يفعلون من ترك الدنيا وتجردهم عن الأهالي والأولاد والأقارب وذلك لأنهم لا يوقنون بوجوب طلب الحق تعالى ويجب على طالبي الحق أولاً التجريد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وبعد تجريد الظاهر يجب عليهم التفريد وهو قطع تعلق القلب من سعادة الدارين وبهذين القدمين وصل من وصل إلى مقام التوحيد كما قال بعضهم خطوتان وقد وصلت قال الشيخ العطار قدس سره:

مكرسنك وكلوخي بود درراه ... بدريايي در افتادند ناكاه
بزاري سنك كفتا غرقه كشتم ... كنون باقعر كويم سر كذشتم
وليكن آن كلوخ ازخود فناشد ... ندانم تاكجا رفت وكجاشد
كلوخي بي زبان آواز برداشت ... شنود آن راز اوهركو خبر داشت
كه ازمن در دوعالم تن نماندست ... وجودم يك سرسوزن نماندست
زمن نه جان ونه تن مي توان ديد ... همه درياست روشن مي توان ديد
اكر همرنك دريا كردي امروز ... شوي دروي توهم درشب افروز
وليكن تاتوخواهي بود خودرا ... نخواهي يافت جانرا وخردرا

وفي «المثنوي»:

آن يكي نحوي بكشستي درنشست ... روبكشيتبان نهاد آن خود پرست
كفت هيچ ازنحو خواندي كفت لا ... كفت نيم عمر توشد درفنا
دل شكسته كشت كشتيبان زتاب ... ليك اندم كرد خاموش از جواب
باد كشتي را بكردابي فكند ... كفت كشتيبان بآن نحوي بلند
هيچ داني آشنا كردن بكو ... كفت ني از من توسباهي مجو
كفت كل عمرت اي نحوي فناست ... زانكه كشتي غرق اين كردابهاست
محومي بايد نه نحو انيجا بدان ... كر تومحوي بي خطر درآب ران
آب دريا مرده را برسرنهد ... وربود زنده زدر يا كي رهد
چون بمردي تو زاوصاف بشر ... بحر اسرارت نهد بر فرق سر

تم تفسير سورة الروم وما يتعلق بها من العلوم بعون الله ذي الإمداد على كافة العباد يوم السبت السادس من شهر الله رجب المنتظم في شهور سنة تسع ومائة وألف من الهجرة.

٣١ ـ سورة لقمان

أربع وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾.

﴿الم﴾ أي: هذه سورة ألم. قال بعضهم الحروف المقطعات مبادىء السور ومفاتيح كنوز العبر. والإشارة هٰهنا بهذه الحروف الثلاثة إلى قوله: أنا الله ولي جميع صفات الكمال ومني الغفران والإحسان. وقال بعضهم: الألف إشارة إلى إلفة العارفين واللام إلى لطف صنعه مع المحسنين والميم إلى معالم محبة قلوب المحبين. وقال بعضهم يشير بالألف إلى آلائه وباللام إلى لطفه وعطائه وبالميم إلى مجده وثنائه فبآلائه رفع الجحد من قلوب الأولياء وبلطف عطائه أثبت المحبة في أسرار أصفيائه وبمجده وثنائه مستغن عن جميع خلقه بوصف كبريائه:

مــراورا رســد كــبــريــا ومــنــى   كه ملكش قد يمست وذاتش غنى

﴿تلك﴾ أي: هذه السورة وآياتها **﴿آيات الكتاب الحكيم﴾** أي: ذي الحكمة لاشتماله عليها أو المحكم المحروس من التغيير والتبديل والممنوع من الفساد والبطلان فهو فعيل بمعنى المفعل وإن كان قليلاً كما قالوا أعقدت اللبن فهو عقيد أي: معقد.

﴿هُدًى وَرَحۡمَةً لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾.

﴿هدى﴾ من الضلالة وهو بالنصب على الحالية من الآيات والعامل معنى الإشارة **﴿ورحمة﴾** من العذاب. وقال بعضهم سماه هدى لما فيه من الدواعي إلى الفلاح والإلطاف المؤدية إلى الخيرات فهو هدى ورحمة للعابدين ودليل وحجة للعارفين.

وفي «التأويلات النجمية» هدى يهدي إلى الحق ورحمة لمن اعتصم به يوصله بالجذبات المودعة فيه إلى الله تعالى **﴿للمحسنين﴾** أي: العاملين للحسنات والمحسن لا يقع مطلقاً إلا مدحاً للمؤمنين. وفي تخصيص كتابه بالهدى والرحمة للمحسنين دليل على أنه ليس يهدي غيرهم.

وفي «التأويلات»: المحسن من يعتصم بحبل القرآن متوجهاً إلى الله ولذا فسر النبي عليه السلام الإحسان حين سأله جبريل ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه» فمن يكون بهذا الوصف بكون متوجهاً إليه حتى يراه ولا بد للمتوجه إليه أن يعتصم بحبله وإلا فهو منزه عن الجهات فلا يتوجه إليه لجهة من الجهات انتهى. ولذا قال موسى عليه السلام: أين أجدك يا رب؟ قال: يا موسى إذا قصدت إليّ فقد وصلت إليّ إشارة إلى أنه ليس هناك شيء من الأين حتى يتوجه إليه.

صوفي چه فغانست كه من اين إلى اين　　اين نكته عيانست من العلم إلى العين
جامى مكن انديشه زنزديكى ودورى　　لا قرب ولا بعد ولا وصل ولا بين

ثم إن أريد بالحسنات مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى:

﴿**الذين يقيمون الصلاة**﴾ الخ صفة كاشفة للمحسنين وبيان لما عملوه من الحسنات فاللام في للمحسنين لتعريف الجنس وإن أريد بها جميع الحسنات الاعتقادية والعملية على أن يكون اللام للاستغراق فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لإظهار فضلها على غيرها ومعنى إقامة الصلاة أداؤها وإنما عبر عن الأداء بالإقامة إشارة إلى أن الصلاة عماد الدين. وفي «المفردات» إقامة الشيء توفية حقه وإقامة الصلاة توفية شرائطها لا الإتيان بهيئتها، يعني: [شرائط نماز دوقسم است قسمى را شرائط جواز كويند يعني فرائض وحدود وأوقات آن وقسمي را شرائط قبول كويند يعني تقوي وخشوع وإخلاص وتعظيم وحرمت آن قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وتاهردو قسم بجاى نيارد معنىء اقامت درست نشود ازينجاست كه رب العزه در قرآن هرجا كه بنده را نماز فرمايد ويابناى مدح كند ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] كويد «صلوا ويصلون» نكويد].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**يقيمون الصلاة**﴾ أي: يديمونها بصدق التوجه وحضور القلب والإعراض عما سواه انتهى أشار إلى معنى آخر لأقام وهو إدام كما قاله الجوهري وفي الحديث «إن بين يدي الخلق خمس عقبات لا يقطعها كل ضامر ومهزول» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما هي يا رسول الله قال عليه السلام: «أولاها الموت وغصته. وثانيتها القبر ووحشته وضيقه. وثالثتها سؤال منكر ونكير وهيبتهما. ورابعتها الميزان وخفته. وخامستها الصراط ودقته» فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذه المقالة بكى بكاء كثيراً حتى بكت السموات السبع والملائكة كلها فنزل جبريل وقال: يا محمد قل لأبي بكر حتى لا يبكي أما سمع من العرب كل داء له دواء إلا الموت ثم قال: «من صلى صلاة الفجر هان عليه الموت وغصته ومن صلى صلاة العشاء هان عليه الصراط ودقته ومن صلى صلاة الظهر هان عليه القبر وضيقه ومن صلى صلاة العصر هان عليه سؤال منكر ونكير وهيبتهما ومن صلى صلاة المغرب هان عليه الميزان وخفته» ويقال: من تهاون في الصلاة منع الله منه عند الموت قول لا إله إلا الله ﴿**ويؤتون الزكاة**﴾ أي: يعطونها بشرائطها إلى مستحقيها من أهل السنة فإن المختار أنه لا يجوز دفع الزكاة إلى أهل البدع كما في الأشباه. يقال: من منع الزكاة منع الله منه حفظ المال ومن منع الصدقة منع الله منه العافية كما قال عليه السلام: «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة ومن منع العشر منع الله منه بركة أرضه».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**ويؤتون الزكاة**﴾ تزكية للنفس. فزكاة العوام من كل عشرين ديناراً نصف دينار لتزكية نفوسهم من نجاسة البخل كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] فبإيتاء الزكاة على وجه الشرع ورعاية حقوق الأركان الأخرى نجاة العوام من النار. وزكاة الخواص من المال كله لتصفية قلوبهم من صدأ محبة الدنيا. وزكاة أخص الخواص بذل الوجود ونيل المقصود من المعبود كما قال عليه السلام: «من كان لله كان الله له»، وفي «المثنوي»:

چون شدى من كان لله ازوله　　من ترا باشم كه كان الله له

﴿وهم بالآخرة﴾ أي: بالدار الآخرة والجزاء على الأعمال سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا ﴿هم يوقنون﴾ فلا يشكون في البعث والحساب [والإيقان بي كمان شدن]، وبالفارسية: [ايشان بسراى ديكر بى كمانانند يعنى بعث وجزارا تصديق ميكنند] وإعادة لفظة هم للتوكيد في اليقين بالبعث والحساب ولما حيل بينه وبين خبره بقوله بالآخرة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ لخروجهم من الدنيا وتوجههم إلى المولى. والآخرة هي المنزل الثاني لمن يسير إلى الله بقدم الخروج من منزل الدنيا فمن خرج من الدنيا لا بد له أن يكون في الآخرة فيكون موقناً بها بعد أن كان مؤمناً بها انتهى.

يقول الفقير: لا شك عند أهل الله أن الدنيا من الحجب الجسمانية الظلمانية وأن الآخرة من الحجب الروحانية النورانية ولا بد للسالك من خرقها بأن يتجاوز من سير الأكوان إلى سير الأرواح ومنه إلى سير عالم الحقيقة فإنه فوق الأولين فإذا وصل إلى الأرواح صار الإيمان إيقاناً والعلم عياناً وإذا وصل إلى عالم الحقيقة صار العيان عيناً والحمد لله تعالى.

﴿أولئك﴾ المحسنون المتصفون بتلك الصفات الجليلة ﴿على هدى﴾ كائن ﴿من ربهم﴾ أي: على بيان منه تعالى بين لهم طريقهم ووفقهم لذلك. قال في «كشف الأسرار»: [برراست راهى اند وراهنمونى خداوند خويش ﴿على هدى﴾ بيان عبوديت است و ﴿من ربهم﴾ بيان ربوبيت بعد ازكزار ومعاملت وتحصيل عبادت ايشانرا بستود هم باعتقاد سنت همه بكزارد عبوديت هم باقرار ربوبيت]. وفي الآية دليل على أن العبد لا يهتدي بنفسه إلا بهداية الله تعالى ألا ترى أنه قال: ﴿على هدى من ربهم﴾ وهو رد على المعتزلة فإنهم يقولون: العبد يهتدي بنفسه. قال شاه شجاع قدس سره: ثلاثة من علامات الهدى: الاسترجاع عند المصيبة، والاستكانة عند النعمة، ونفي الامتنان عند العطية ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح. قال في «المفردات»: الفلاح الظفر وإدراك البغية وذلك ضربان دنيوي وأخروي. فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا، والأخروي أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، ولذلك قيل: لا عيش إلا عيش الآخرة ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «المؤمن لا يخلو عن قلة أو علة أو ذلة» يعني: ما دام في الدنيا فإنها دار البلايا المصائب والأوجاع ودل قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥] على أن الإنسان عند أرذل العمر يعود إلى حال الطفولية من الجهل والنسيان أي: إذا كان علمه حصولياً أما إذا كان حضورياً كالعلوم الوهبية لخواص المؤمنين فإنه لا يغيب ولا يزول عن قلبه أبداً لا في الدنيا ولا في برزخه ولا في آخرته فإن ذلك العلم الشريف الوهبي اللدني ليس بيد العقل الجزئي الذي من شأنه عروض النسيان له عند ضعف حال الشيخوخة ولذا لا يطرأ عليهم العته بالكبر بخلاف عوام المؤمنين والعلماء غالباً. فعلى العاقل أن يجتهد حتى يدخل في زمرة أهل الفلاح وذلك بتزكية النفس في الدنيا والترقي إلى مقامات المقربين في العقبى وهي المقامات الواقعة في جنات عدن والفردوس فالعاليات إنما هي لأهل الهمة العالية نسأل الله تعالى أن يلحقنا بالأبرار.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ

لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿ومن الناس﴾ أي: وبعض الناس فهذا مبتدأ خبره قوله ﴿من يشتري﴾ الاشتراء دفع الثمن وأخذ المثمن والبيع دفع المثمن وأخذ الثمن وقد يتجوز بالشراء والاشتراء في كل ما يحصل به شيء فالمعنى هٰهنا يستبدل ويختار ﴿لهو الحديث﴾ وهو ما يلهي عما يعني من المهمات كالأحاديث التي لا أصل لها. والأساطير التي لا اعتداد بها والأضاحيك وسائر ما لا خير فيه من الكلام. والحديث يستعمل في قليل الكلام وكثيره لأنه يحدث شيئاً فشيئاً.

قال أبو عثمان رحمه الله: كل كلام سوى كتاب الله أو سنة رسوله أو سيرة الصالحين فهو لهو. وفي «عرائس البيان»: الإشارة فيه إلى طلب علوم الفلسفة من علم الأكسير والسحر والنيرنجات وأباطيل الزنادقة وترهاتهم لأن هذه كلها سبب ضلالة الخلق.

وفي «التأويلات النجمية»: ما يشغل عن الله ذكره ويحجب عن الله سماعه فهو لهو الحديث. والإضافة بمعنى من التبيينية إن أريد بالحديث المنكر لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فأضيف العام إلى الخاص للبيان كأنه قيل: من يشتري اللهو الذي هو الحديث وبمعنى من التبعيضية إن أريد به الأعم من ذلك كأنه قيل: من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه. وأكثر أهل التفسير على أن الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة [مردى كافر دل وكافر كيش بود سخت خصومت بارسول خدا كرد] قتله رسول الله صبراً حين فرغ من وقعة بدر.

ـ روي ـ أنه ذهب إلى فارس تاجراً فاشترى كليلة ودمنة وأخبار رستم واسفنديار وأحاديث الأكاسرة فجعل يحدث بها قريشاً في أنديتهم ولعلها كانت مترجمة بالعربية ويقول إن محمداً يحدثكم بعاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن فيكون الاشتراء على حقيقته بأن يشتري بماله كتباً فيها لهو الحديث وباطل الكلام ﴿ليضل﴾ الناس ويصرفهم ﴿عن سبيل الله﴾ أي: دينه الحق الموصل إليه أو ليضلهم ويمنعهم بتلك الكتب المزخرفة عن قراءة كتابه الهادي إليه وإذا أضل غيره فقد ضل هو أيضاً ﴿بغير علم﴾ أي: حال كونه جاهلاً بحال ما يشتريه ويختاره أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ﴿ويتخذها﴾ بالنصب عطفاً على ليضل والضمير للسبيل فإنه مما يذكر ويؤنث أي: وليتخذها ﴿هزواً﴾ مهزوءاً بها ومستهزأة ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الاشتراء والإضلال ﴿لهم عذاب مهين﴾ لإهانتهم الحق بإيثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه، وبالفارسية: [عذابي خوار كننده كه سبى وقتل است دردنيا وعذاب خزي در عقبى].

﴿وإذا تتلى عليه﴾ أي: على المشتري افرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الأول باعتبار لفظ من وجمع في أولئك باعتبار معناه. قال في «كشف الأسرار»: هذا دليل على أن الآية السابقة نزلت في النضر بن الحارث ﴿آياتنا﴾ أي: آيات كتابنا ﴿ولى﴾ أعرض غير معتد بها ﴿مستكبراً﴾ مبالغاً في التكبر ودفع النفس عن الطاعة والإصغاء ﴿كأن لم يسمعها﴾ حال من ضمير ولى أو من ضمير مستكبراً والأصل كأنه فحذف ضمير الشأن وخففت المثقلة أي:

مشابهاً حاله حال من لم يسمعها وهو سامع. وفيه رمز إلى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها والخضوع لها ﴿**كأن في أذنيه وقراً**﴾ حال من ضمير لم يسمعها أي: مشابهاً حاله حال من في أذنيه ثقل مانع من السماع. قال في «المفردات» الوقر الثقل في الأذن. وفي «فتح الرحمٰن» الوقر الثقل الذي يغير إدراك المسموعات. قال الشيخ سعدي: [ازانراكه كوش ارادت كران آفريده است چه كندكه بشنود وانرا كه بكند سعادت كشيده اند چون كندكه نرود]. قال في «كشف الأسرار»: [آدميان دوكر وهند آشنايات وبيكانكان آشنايانرا قرآن سبب هدايت است بيكانكانرا سبب ضلالت كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ [البقرة: ٢٦] بيكانكان چون قرآن شنونند پشت بران كنند وكردن كشند كافر وارچنانكه رب العزة كفت] ﴿**وإذا تتلى عليه آياتنا ولى**﴾ الخ:

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت چو باطلان ز كلام حقت ملولى چيست

[آشنايان چون قرآن شنوندبنده وار بسجود درافتند وبادل تازه وزنده دران زارند چنانكه الله تعالى كفت] ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]:

ذوق سجده در دماغ آدمي ديورا تلخى دهد اواز غمى

﴿**فبشره بعذاب أليم**﴾ أي: فاعلمه بأن العذاب المفرط في الإيلام لا حق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ثم ذكر أحوال أضدادهم بقوله:

﴿**إن الذين آمنوا**﴾ بآياتنا ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ وعملوا بموجبها. قال في «كشف الأسرار»: الإيمان التصديق بالقلب وتحقيقه بالأعمال الصالحة ولذلك قرن الله بينهما وجعل الجنة مستحقة بهما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿**لهم**﴾ بمقابلة إيمانهم وأعمالهم ﴿**جنات النعيم**﴾ [بهشتهاى بانعمت ناز ويا نعمتهاى بهشت] كما قال البيضاوي أي: نعيم جنات فعكس للمبالغة. وقيل جنات النعيم إحدى الجنات الثمان وهي دار الجلال ودار السلام ودار القرار وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم كذا روى وهب بن منبه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿**خالدين فيها**﴾ حال من الضمير في لهم ﴿**وعد الله**﴾ أي: وعد الله جنات النعيم وعداً فهو مصدر مؤكد لنفسه لأن معنى لهم جنات النعيم وعدهم بها ﴿**حقاً**﴾ أي: حق ذلك الوعد حقاً فهو تأكيد لقوله لهم جنات النعيم أيضاً لكنه مصدر مؤكد لغيره لأن قوله ﴿**لهم جنات النعيم**﴾ وعد وليس كل وعد حقاً ﴿**وهو العزيز**﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن إنجاز وعده أو تحقيق وعيده. ﴿**الحكيم**﴾ الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة:

نه در وعده اوست نقض وخلاف نه در كار او هيچ لاف وكذاف

هذا، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بلهو الحديث في الآية المتقدمة الغناء، يعني: [تغنى وسرور فاسقانست در مجلس فسق وآيت درذم كسى فرود آمدكه بندكان مغنيان خرد يا كنيز كان مغنيات تافاسقانرا مطربى كند] فيكون المعنى من يشتري ذا لهو الحديث أو ذات لهو الحديث. قال الإمام مالك: إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردها بهذا العيب. قال في الفقه: ولا تقبل شهادة الرجل المغني للناس لاجتماع الناس في ارتكاب ذنب يسببه لنفسه ومثل هذا لا يحترز عن الكذب وأما من تغنى لنفسه لدفع الوحشة وإزالة الحزن فتقبل شهادته إذ به لا تسقط العدالة إذا لم يسمع غيره في الصحيح وكذا لا تقبل شهادة المغنية

سواء تغنت للناس أو لا إذ رفع صوتها حرام فبارتكابها محرماً حيث نهى النبي عليه السلام عن صوت المغنية سقطت عن درجة العدالة وفي الحديث «لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن ولا شراؤهن وثمنهن حرام» وقد نهى عليه السلام عن ثمن الكلب وكسب الزمارة، يعني: [ازكسب ناى زدن]. قالوا المال الذي يأخذه المغني والقوال والنائحة حكمه أخف من الرشوة لأن صاحب المال أعطاه عن اختيار بغير عقد. قال مكحول: من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيماً عليه حتى يموت لم أصل عليه إن الله يقول: ﴿ومن الناس﴾ الخ وفي الحديث «إن الله بعثني هدى ورحمة للعالمين وأمرني بمحو المعازف والمزامير والأوتار والصنج وأمر الجاهلية وحلف ربي بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من خمر متعمداً إلا سقيته من الصديد مثلها يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً ولا يتركها من مخافتي إلا سقيته من حياض القدس يوم القيامة» وفي الحديث «بعثت لكسر المزامير وقتل الخنازير». قال ابن الكمال: المراد بالمزامير آلات الغناء كلها تغليباً أي: وإن كانت في الأصل أسماء لذوات النفخ كالبوق ونحوه مما ينفخ فيه والكسر ليس على حقيقته بدليل قرينه بل مبالغة في النهي وفي الحديث: «من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة» قيل: وما الروحانيون يا رسول الله قال: «قراء أهل الجنة» أي: من الملائكة والحور العين ونحوهم.

قال أهل المعاني يدخل في الآية كل من اختار اللهو واللعب والمزامير والمعازف على القرآن وإن كان اللفظ يذكر في الاستبدال والاختيار كثيراً كما في «الوسيط». قال في «النصاب» ويمنع أهل الذمة عن إظهار بيع المزامير والطنابير وإظهار الغناء وغير ذلك. وأما الأحاديث الناطقة برخصة الغناء أيام العيد فمتروكة غير معمول بها اليوم ولذا يلزم على المحتسب إحراق المعازف يوم العيد.

واعلم أنه لما كان القرآن أصدق الأحاديث وأملحها وسماعه والإصغاء إليه مما يستجلب الرحمة من الله استحب التغني به وهو تحسين الصوت وتطييبه لأن ذلك سبب للرقة وإثارة للخشية على ما ذهب إليه الإمام الأعظم رحمه الله كما في «فتح القريب» ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفى حرفاً فهو حرام كما في «أبكار الأفكار». وعليه يحمل ما في «القنية» من أنه لو صلى خلف إمام للحسن في القراءة ينبغي أن يعيد وما في «البزازية» من أن من يقرأ بالألحان لا يستحق الأجر لأنه ليس بقارىء فسماع القرآن بشرطه مما لا خلاف فيه وكذا لا خلاف في حرمة سماع الأوتار والمزامير وسائر الآلات. لكن قال بعضهم حرمة الآلات المطربة ليست لعينها كحرمة الخمر والزنى بل لغيرها ولذا استثنى العلماء من ذلك الطبل في الجهاد وطريق الحج فإذا استعملت باللهو واللعب كانت حراماً وإذا خرجت عن اللهو زالت الحرمة. قال في «العوارف»: وأما الدف والشبابة وإن كان في مذهب الشافعي فيهما فسحة فالأولى تركهما والأخذ بالأحوط والخروج من الخلاف انتهى خصوصاً إذا كان في الدف الجلاجل ونحوها فإنه مكروه بالاتفاق كما في «البستان». وإنما الاختلاف في سماع الإشعار بالألحان والنغمات فإن كانت في ذكر النساء وأوصاف أعضاء الإنسان من الخدود والقدود فلكونه مما يهيج النفس وشهوتها لا يليق بأهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك خصوصاً إذا كان على طريقة اللهو والتغني بما يعتاده أهل الموسيقى «من يلالا» و«تنادرتن» وخرافات يستعملونها في مجالس أهل الشرب ومحافل أهل الفساد كما في «حواشي العوارف» للشيخ زين

الدين الحافي قدس سره. وقد أدخل الموسيقى في «الأشباه» في العلوم المحرمة كالفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وغيرها وإن كانت القصائد في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل إلى الإنكار. ومن ذلك قصائد الغزاة والحجاج ووصف الغزو والحج مما يثير العزم من الغازي وساكن الشوق من الحاج. وإذا كان القوال أمرد تنجذب النفوس بالنظر إليه وكان للنساء إشراف على الجمع يكون السماع عين الفسق المجمع على تحريمه. واللوطية على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث. وكما يمنع الشاب الصائم من القبلة لحليلته حيث جعلت حريم حرام الوقاع. ويمنع الأجنبي من الخلوة بالأجنبية يمنع السامع من سماع صوت الأمرد والمرأة لخوف الفتنة وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب في السماع فيصير السماع معلولاً تركن إليه النفوس طلباً للشهوات واستجلاء لمواطن اللهو والفضلات فينبغي أن يحذر السامع من ميل النفس لشيء من هواها. وسئل بعضهم عن التكلف في السماع فقال: هو على ضربين: تكلف في المستمع بطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبيس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكي المندوب إليه فإذا فعل لغرض صحيح كان مما لا بأس به كالقيام للداخل لم يكن في زمن النبي عليه السلام فمن فعله لتطييب قلب الداخل والمداراة ودفع الوحشة إن كان في البلاد عادة يكون من قبيل العشرة وحسن الصحبة. قالوا: لو قعد واحد على ظهر بيته وقرىء عليه القرآن من أوله إلى آخره فإن رمى بنفسه فهو صادق وإلا فليحذر العاقل من دخول الشيطان في جوفه وحمله عند السماع على نعرة أو تصفيق أو تحريق أو رقص رياء وسمعة. وفي سماع أهل الرياء ذنوب.

منها: أنه يكذب على الله وأنه وهب له شيئاً وما وهب له والكذب على الله من أقبح اللذات.

ومنها: أن يغر بعض الحاضرين فيحسن به الظن والإغرار خيانة لقوله عليه السلام: «من غشنا فليس منا».

ومنها: أن يحوج الحاضرين إلى موافقته في قيامه وقعوده فيكون متكلفاً مكلفاً للناس بباطله فيجتنب الحركة ما أمكن إلا إذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلاً إلى الإمساك وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة. والحاصل أن الميل عند السماع على أنواع:

منها: ميل يتولد من مطالعة الطبيعة للصوت الحسن وهو شهوة وهو حرام لأنه شيطاني.

چه مردسماعست شهوت پرست   بآواز خوش خفته خيزد نه مست

ومنها: ميل يتولد من النفس ومطالعة النغمات والألحان وهو هوى وهو حرام أيضاً لكونه شيطانياً حاصلاً لذي القلب الميت والنفس الحية ومن علامات موت القلب نسيان الرب ونسيان الآخرة والانكباب على أشغال الدنيا واتباع الهوى فكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف.

اكر مردى بازى ولهوست ولاغ   قوى تر بود ديوش اندر دماغ

ومنها ميل يتولد من القلب بسبب مطالعة نور أفعال الحق وهو عشق وهو حلال لأنه رحماني حاصل لذي قلب حي ونفس ميتة.

ومنها ميل يتولد من الروح بسبب مطالعة نور صفاته وهو محبة وحضور وسكون وهو حلال أيضاً.

ومنها ما يتولد من السر بسبب مشاهدة نور ذاته تعالى وهو أنس وهو حلال أيضاً ولذا قال الشيخ سعدي قدس سره:

نكويم سماع اى برادر كه چيست مكر مستمع را بدانم كه كيست

كر از برج معنى پرد طير او فرشته فروماند از سير او

فهو حال العاشق الصادق وأصحاب الحال هم الذين أثرت فيهم أنوار الأعمال الصالحة فوهبهم الله تعالى على أعمالهم بالمجازاة حالاً والوجد والذوق ومآلا الكشف والمشاهدة والمعاينة والمعرفة بشرط الاستقامة. قال زين الدين الحافي قدس سره: فمن يجد في قلبه نوراً يسلك به طريق من أباحه وإلا فرجوعه إلى من كرهه من العلماء أسلم. ومعنى السماع استماع صوت طيب موزون محرك للقلب وقد يطلق على الحركة بطريق تسمية المسبب باسم السبب وجبلت النفوس حتى غير العاقل على الإصغاء إلى ما يحب من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لسماع صوته.

بــه از روى خــوبــســت آواز خــوش كه اين حظ نفس است وآن قوت روح

وكان الأستاذ الإمام أبو علي البغدادي رحمه الله أوتي حظاً عظيماً وأنه أسلم على يده جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته وحسن صوته كما تغير حال بعضهم من سماع بعض الأصوات القبيحة. ونقل عن الإمام تقي الدين المصري أنه كان استاذاً في التجويد وأنه قرأ يوماً في صلاة الصبح: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠] وكرر هذه الآية فنزل طائر على رأس الشيخ يسمع قراءته حتى أكملها فنظروا إليه فإذا هو هدهد قالوا: الروح إذا استمع الصوت الحسن والتذ بذلك تذكر مخاطبة الحق إياه بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فحنّ إلى العود بالحضرة الربوبية وطار من الأوكار البشرية إلى الحضرة الصمدية:

چه كونه جان نپرد سوى حضرت متعال نداه لطف الهي رسدكه عبدي تعال

قال حضرة الشيخ أبو طالب المكي في «قوت القلوب»: إن أنكرنا السماع مجملاً مطلقاً غير مقيد مفصل يكون إنكارنا على سبعين صديقاً وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب القراء والمتعبدين إلا أنا لا نفعل ذلك لأنا نعلم ما لا يعلمون وسمعنا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون انتهى. فقد جوز الشيخ قدس سره السماع أي: سماع الصوت الحسن واستدل عليه بأخبار وآثار في كتابه وقوله يعتبر كما في «العوارف» لوفور علمه وكمال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وفتواه وتحريه الأصوب والأعلى لكن من أباحه لم ير إعلانه في المساجد والبقاع الشريفة فعليك بترك القيل والقال والأخذ بقوة الحال.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿خلق﴾ تعالى وأوجد ﴿السموات﴾ السبع وكذا الكرسي والعرش ﴿بغير عمد﴾ بفتحتين

جمع عماد كأهب وأهاب وهو ما يعمد به أي: يسند يقال عمدت الحائط إذا أدعمته أي: خلقها بغير دعائم وسواري على أن الجمع لتعدد السموات، وبالفارسية: [بيافريد آسمانها را بى ستون] **﴿ترونها﴾** استئناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى إياها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أو صفة لعمد أي: خلقها بغير عمد مرئية على أن التقييد للرمز على أنه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة.

واعلم أن وقوف السموات وثبات الأرض على هذا النظام من غير اختلال إنما هو بقدرة الله الملك المتعال ولله تعالى رجال خواص مظاهر القدرة هم العمد المعنوية للسموات والسبب الموجب لنظام العالم مطلقاً وهم موجودون في كل عصر فإذا كان قرب القيامة يحصل لهم الانقراض والانتقال من هذه النشأة بلا خلف فيبقى العالم كشبح بلا روح فتنحل أجزاؤه انحلال أجزاء الميت ويرجع الظهور إلى البطون ولا ينكر هذه الحال إلا مغلوب القال نعوذ بالله من الإنكار والإصرار **﴿وألقى في الأرض رواسي﴾** الإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه وتراه ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح. والرواسي جمع راسية من رسا الشيء يرسو أي: ثبت والمراد الجبال الثوابت لأنها ثبتت في الأرض وثبتت بها الأرض شبه الجبال الرواسي استحقاراً لها واستقلالاً لعددها وإن كانت خلقاً عظيماً بحصيات قبضهن قابض بيده فنبذهن في الأرض وما هو إلا تصوير لعظمته وتمثيل لقدرته وأن كل فعل عظيم يتحير فيه الأذهان فهو هين عليه والمراد قال لها: كوني فكانت فأصبحت الأرض وقد أرسيت بالجبال بعد أن كانت تمور موراً أي: تضطرب فلم يدر أحد مم خلقت **﴿أن تميد بكم﴾** الميد اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض يقال ماد يميد ميداً وميداناً تحرك واضطراب، وبالفارسية: [الميد، جنبيدن وخراميدن] والباء للتعدية. والمعنى كراهة أن تميل بكم فإن بساطة أجزائها تقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص، وبالفارسية [تازمين شمارا نه جنباند يعنى حركت ندهد ومضرب نسازد چه زمين برروى آب متحرك بود چون كشتي وبجبال راسيات آرام يافت] كما قال الشيخ سعدي قدس سره:

چومى كسترانيد فرش تراب ... چو سجادهٔ نيك مردان برآب
زمين ازتب لرزه آمد ستوه ... فرو كفت بردامنش ميخ كوه

[درموضح از ضحاك نقل ميكنندكه حق سبحانه نوزده كوه را ميخ زمين كرد تابر چاى بايستاد از جمله كوه قاف وابو قبيس وجودى ولبنان وسينين وطورسينا وفيران].

واعلم أن الجبال تزيد في بعض الروايات على ما فيه الموضح كما سبق في تفسير سورة الحجر. قال بعضهم: إن الجبال عظام الأرض وعروقها وهذا كقول من قال من أهل السلوك: الشمس والقمر عينا هذا التعين والكواكب ليست مركوزة فيه وإنما هي بانعكاس الأنوار في بعض عروقه اللطيفة وهذا لا يطلع عليه الحكماء وإنما يعرف بالكشف **﴿وبث﴾** [وپرا كنده كرد] **﴿فيها﴾** [در زمين] **﴿من كل دابة﴾** من كل نوع من أنواعها مع كثرتها واختلاف أجناسها. أصل البث إثارة الشيء وتفريقه كبث الريح التراب وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر فبث كل دابة في الأرض إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إياه والدب والدبيب مشي خفيف ويستعمل ذلك في الحيوان وفي الحشرات أكثر **﴿وأنزلنا من السماء﴾** من السحاب لأن السماء في اللغة ما علاك وأظلك **﴿ماء﴾** هو المطر **﴿فأنبتنا فيها﴾** في الأرض

بسبب ذلك الماء والالتفات إلى نون العظمة في الفعلين لإبراز مزيد الاعتناء بأمرهما **﴿من كل زوج كريم﴾** من كل صنف كثير المنفعة. قال في «المفردات»: وكل شيء يشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم، وبالفارسية: [ازهر صنف كياهى نيكو وبسيار منفعت] وكل ما في العالم فإنه زوج من حيث إن له ضداً ما أو مثلاً ما أو تركبا ما من جوهر وعرض ومادة وصورة. وفيه تنبيه على أنه لا بد للمركب من مركب وهو الصانع الفرد.

واعلم وفقنا الله جميعاً للتفكر في عجائب صنعه وغرائب قدرته أن عقول العقلاء وأفهام الأذكياء قاصرة متحيرة في أمر النباتات والأشجار وعجائبها وخواصها وفوائدها ومضارها ومنافعها وكيف لا وأنت تشاهد اختلاف أشكالها وتباين ألوانها وعجائب صور أوراقها وروائح أزهارها وكل لون من ألوان ينقسم إلى أقسام كالحمرة مثلاً كورديّ وأرجواني وسوسني وشقائقي وخمري وعنابي وعقيقي ودموي ولكيّ وغير ذلك مع اشتراك الكل في الحمرة ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها بعضاً واشتراك الكل في طيب الرائحة وعجائب أشكال أثمارها وحبوبها وأوراقها ولكل لون وريح وطعم وورق وثمر وزهر وحب وخاصية لا تشبه الأخرى ولا يعلم حقيقة الحكمة فيها إلا الله والذي يعرف الإنسان من ذلك بالنسبة إلى ما لا يعرفه كقطرة من بحر وقد أخرج الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام من الجنة فبكيا على الفراق سنين كثيرة فنبت من دموعهما نباتات حارة كالزنجبيل ونحوه فلم يضيع دموعهما كما لم يضيع نطفته حيث خلق منها يأجوج ومأجوج إذ لا يلزم أن يكون نزول النطفة على وجه الشهوة حتى يرد أنه لم يحتلم نبي قط وقد سبق البحث فيه.

﴿هذا﴾ الذي ذكر من السموات والأرض والجبال والحيوان والنبات **﴿خلق الله﴾** مخلوقة كضرب الأمير أي: مضروبه فأقيم المصدر مقام المفعول توسعاً **﴿فأروني﴾** أيها المشركون، والإراءة بالفارسية: [نمودن] يقال أريته الشيء وأصله أرأيته **﴿ماذا خلق الذين من دونه﴾** أي: من دون الله تعالى مما اتخذتموهم شركاء له تعالى في العبادة حتى استحقوا مشاركته في العبودية وماذا بمنزلة اسم واحد بمعنى أي: شيء نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا وصلته وأروني معلق عنه على التقديرين **﴿بل الظالمون في ضلال مبين﴾** إضراب عن تبكيتهم أي: كفار قريش إلى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر أي: في ذهاب عن الحق بين واضح وأبان بمعنى بان ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظالمون بإشراكهم. وفي «فتح الرحمٰن» بل هذا الذي قريش فيه ضلال مبين فذكرهم بالصفة التي تعم معهم أشباههم ممن فعل فعلهم من الأمم. قال الكاشفي: [بلكه مشركان در كمراهى آشكارانند كه عاجزرا باقادر ومخلوق را باخالق در پرستش شركت مى دهند]:

هركه هست آفريده اوبنده است ... بنده دربند آفريننده است
پس كجا بندۀ كه در بنده است ... لائق شركت خداونداست

واعلم أن التوحيد أفضل الفضائل كما أن الشرك أكبر الكبائر وللتوحيد نور كما أن للشرك ناراً وأن نور التوحيد أحرق لسيآت الموحدين كما أن نار الشرك أحرق لحسنات المشركين ولكون التوحيد أفضل العبادات وذكر الله أقرب القربات لم يقيد بالزمان والأوقات بخلاف سائر الأعمال من الصيام والصلوات فالخلاص من الضلالة إنما هو بالهداية إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله الحميد وفي الحديث: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله

ودمه وحسابه على الله» أي: في الآخرة فيما يخفيه من الإخلاص وغيره، ثم علم المشرك بالشرك الجلي وكذا عمله وإن كانا في صورة الحسنة كلاهما مردود مبعود وكذا علم المشرك بالشرك الخفي وعمله فإن عمل الرياء والسمعة يدور بين السماء والأرض ثم يضرب به على وجه صاحبه وأما المخلص وعمله فكلاهما محبوب مقرب عند الله تعالى.

ـ روي ـ أن المنزل الأول من منازل الأعمال المتقبلة المشروعة هو سدرة المنتهى ويتعدى بعض الأعمال إلى الجنة وبعضها إلى العرش وكل عمل غلبت عليه الصفات الروحانية وقواها إذا اقترن به علم محقق له اعتقاد حاصل عن تصور صحيح مطابق للمتصور مع حضور وجمعية وصدق فإنه يتجاوز العرش إلى عالم المثال فيدخر فيه لصاحبه إلى يوم الجمع وقد يتعدى من عالم المثال إلى اللوح فيتعين صورته فيه ثم يرد إلى صاحبه يوم الجمع ثم من تتعدى أعماله إلى مقام القلم ثم إلى العماد فانظر إلى الأعمال الصالحة ومقاماتها العلوية واعرض عن الشرك والأعمال السفلية قال الشيخ سعدي قدس سره:

ره راست روتا بمنزل رسى   تو برره نهٔ زين قبل واپسى
چوكاوى كه عصار چشمش به بست   دوان تابشب شب هم آنجا كه هست
كسى كربتابد زمحراب روى   بكفرش كواهى دهند اهل كوى
توهم پشت برقبله كن درنماز   كرت در خدانيست روى نياز

فإذا كان ما سوى الله تعالى لا يقدر على خلق شيء وإعطاء ثواب فلا معنى للقصد إليه بالعبادة ففروا إلى الله أيها المؤمنون لعلكم تنزلون منازل أهلها آمنون.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ [آورده اندكه قصهٔ لقمان حكيم ووصايا او نزد يهود شهرتى داشت عظيم وعرب در مهمى كه بديشان رجوع كردندى ازحكمتها ولقمان براى ايشان مثل زدندى حق سبحانه وتعالى ازحال وى خبر داد وفرمود، ولقد الخ] وهو على ما قال محمد بن إسحاق صاحب المغازي لقمان بن باغور بن باحور بن تارخ وهو آزر أبو إبراهيم الخليل عليه السلام وعاش ألف سنة حتى أدرك زمن داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعثه فلما بعث ترك الفتيا فقيل له في ذلك فقال: ألا أكتفي إذا كفيت؟ وقال بعضهم: هو لقمان بن عنقا بن سرون كان عبداً نوبياً من أهل ايلة أسود اللون ولا ضير فإن الله تعالى لا يصطفي عباده اصطفاء نبوة أو ولاية وحكمة على الحسن والجمال وإنما يصطفيهم على ما يعلم من غائب أمرهم ونِعْمَ ما قال المولى الجامي:

چه غم زمنقصت صورت اهل معنى را   چوجان زروم بود كوتن ازحبش مى باش

والجمهور على أنه كان حكيماً حكمة طب وحكمة حقيقة، يعني: [مردى حكيم بود ازنيك مردان بني إسرائيل خلق را پند دادى وسخن حكمت كفتى وليكن سبط أو معلوم نيست ولم يكن نبياً اما هزار پيغمبررا شاكردى كرده بود وهزار پيغمبر اورا شاكرد بودند درسخن حكمت]. وفي بعض الكتب قال لقمان: خدمت أربعة آلاف نبي واخترت من كلامهم ثماني

كلمات: إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك، وإن كنت في الطعام فاحفظ حلقك، وإن كنت في بيت الغير فاحفظ عينيك، وإن كنت بين الناس فاحفظ لسانك، واذكر اثنين، وانسى اثنين أما اللذان تذكرهما فالله والموت وأما اللذان تنساهما إحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك. ويؤيد كونه حكيماً لا نبياً كونه أسود اللون لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا حسن الشكل حسن الصوت. وما روي أنه قيل ما أقبح وجهك يا لقمان فقال: أتعيب بهذا على النقش أم على النقاش. وما قال عليه السلام حقاً.

أقول: لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه فمنّ عليه بالحكمة وهي إصابة الحق باللسان وإصابة الفكر بالجنان وإصابة الحركة بالأركان إن تكلم تكلم بحكمة وإن تفكر تفكر بحكمة وإن تحرك تحرك بحكمة كما قال الإمام الراغب: الحكمة إصابة الحق بالعلم والفعل. فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام. ومن الإنسان: معرفة الموجودات على ما هي عليه وفعل الخيرات وهذا هو الذي وصف به لقمان في هذه الآية.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله لم يستحق أن يسمى حكيماً لأنه لم يعرف أجل الأشياء وأفضلها والحكمة أجل العلوم وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم ولا أجل من الله ومن عرف الله فهو حكيم وإن كان ضعيف المنة في سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها ومن عرف الله كان كلامه مخالفاً لكلام غيره فإنه قلما يتعرف للجزئيات بل يكون كلامه جملياً ولا يتعرض لمصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع في العاقبة ولما كانت الكلمات الكلية أظهر عند الناس من أحوال الحكيم من معرفته بالله ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها حكيم وذلك مثل قول سيد الأنبياء عليه السلام: «رأس الحكمة مخافة الله»، «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»، «كن ورعاً تكن أعبد الناس» «وكن تقياً تكن أشكر الناس»، «البلاء موكل بالمنطق»، «السعيد من وعظ بغيره»، «القناعة مال لا ينفد»، «اليقين الإيمان كله» فهذه الكلمات وأمثالها تسمى حكمة وصاحبها يسمى حكيماً.

وفي «التأويلات النجمية»: الحكمة عدل الوحي قال عليه السلام: «أوتيت القرآن وما يعدله» وهو الحكمة بدليل قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢٠] فالحكمة موهبة للأولياء كما أن الوحي موهبة للأنبياء وكما أن النبوة ليست كسبية بل هي فضل الله يؤتيه من يشاء فكذلك الحكمة ليست كسبية تحصل بمجرد كسب العبد دون تعليم الأنبياء إياه طريق تحصيلها بل بإيتاء الله تعالى كما علمنا النبي عليه السلام طريق تحصيلها بقوله: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وكما أن القلب مهبط الوحي من إيحاء الحق تعالى كذلك مهبط الحكمة بإيتاء الحق تعالى كما قال تعالى: **﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾** وقال: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩] فثبت أن الحكمة من المواهب لا من المكاسب لأنها من الأقوال لا من المقامات والمعقولات التي سمتها الحكماء حكمة ليست بحكمة فإنها من نتائج الفكر السليم من شوب آفة الوهم والخيال وذلك يكون للمؤمن والكافر وقلما يسلم من الشوائب ولهذا وقع الاختلاف في أدلتهم وعقائدهم ومن يحفظ الحكمة التي أوتيت لبعض الحكماء الحقيقية لم تكن هي حكمة بالنسبة

إليه لأنه لم يؤت الحكمة ولم يكن هو حكيماً انتهى. قال في «عرائس البيان»: الحكمة ثلاث: حكمة القرآن وهي حقائقه، وحكمة الإيمان وهي المعرفة، وحكمة البرهان وهي إدراك لطائف صنع الحق في الأفعال وأصل الحكمة إدراك خطاب الحق بوصف الإلهام. قال شاه شجاع ثلاث من علامات الحكمة: إنزال النفس من الناس منزلتها، وإنزال الناس من النفس منزلتهم، ووعظهم على قدر عقولهم فيقوم بنفع حاضر. وقال الحسين بن منصور: الحكمة سهام وقلوب المؤمنين أهدافها والرامي الله والخطأ معدوم. وقيل: الحكمة هو النور الفارق بين الإلهام والوسواس ويتولد هذا النور في القلب من الفكر والعبرة وهما ميراث الحزن والجوع. قال حكيم: قوت الأجساد المشارب والمطاعم وقوت العقل الحكمة والعلم. وأفضل ما أوتي العبد في الدنيا الحكمة وفي الآخرة الرحمة والحكمة للأخلاق كالطب للأجساد. وعن علي رضي الله عنه: روّحوا هذه القلوب واطلبوا لها طرائف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان وفي الحديث: «ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدنيا وعيوب نفسه وإذا رأيتم أخاكم قد زهد فاقربوا إليه فاستمعوا منه فإنه يلقى الحكمة».

والزهد في اللغة ترك الميل إلى الشيء وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو بعض الدنيا والإعراض عنها وشرط الزاهد أن لا يحنّ إلى ما زهد فيه وأدبه أن لا يذم المزهود فيه لكونه من جملة أفعال الله تعالى وليشغل نفسه بمن زهد من أجله. قال عيسى عليه السلام: أين تنبت الحبة؟ قال: في الأرض فقال: كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب مثل الأرض وهو موضع نبع الماء. والتواضع سر من أسرار الله المخزونة عنده لا يهبه على الكمال إلا لنبيّ أو صديق فليس كل تواضع تواضعاً وهو أعلى مقامات الطريق وآخر مقام ينتهي إليه رجال الله وحقيقة العلم بعبودية النفس ولا يصح من العبودية رياسة أصلاً لأنها ضد لها. ولهذا قال أبو مدين قدس سره: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولا تظن أن هذا التواضع الظاهر على أكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضع وإنما هو تملق بسبب غاب عنك وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه فالتواضع شريف لا يقدر عليه كل أحد فإنه موقوف على صاحب التمكين في العالم والتحقق في التخلق كذا في «مواقع النجوم» لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر.

ـ روي ـ أن لقمان كان نائماً نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض وتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال: إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم عليّ أي: جزم فسمعاً وطاعة فإني أعلم إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان إن أصاب فبالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه ثم نام نومة أخرى فأعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها.

قال الكاشفي: [حق سبحانه وتعالى اوراپسنديد وحكمت را برو افاضه كرد بمثابهٔ كه ده هزار كلمه حكمت ازو منقولست كه هر كلمهٔ بعالمى ارزد] فانظر إلى قابليته وحسن استعداده لحسن حاله مع الله. وأما أمية بن أبي الصلت الذي كان يأمل أن يكون نبي آخر الزمان وكان من بلغاء العرب فإنه نام يوماً فأتاه طائر وأدخل منقاره في فيه فلما استيقظ نسي جميع علومه

لسوء حاله مع الله تعالى. ثم نودي داود بعد لقمان فقبلها فلم يشترط ما اشترط لقمان فوقع منه بعض الزلات وكانت مغفورة له. وكان لقمان يوازره بحكمته، يعني: [وزيرىء وى ميكند بحكمت] فقال له داود: طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى وأعطى داود الخلافة وابتلى بالبلية والفتنة.

درقصر عافيت چه نشينيم اى سليم مارا كه هست معركهاى بلا نصيب

وقال:

دائم كه شاد بودن من نيست مصلحت جزغم نصيب جان ودل ناتوان مباد

ولما كانت الحكمة من أنعام الله تعالى على لقمان ونعمة من نعمه طالبه بشكره بقوله: **﴿أن اشكر لله﴾** أي: قلنا له اشكر لله على نعمة الحكمة إذا آتاك الله إياها وأنت نائم غافل عنها جاهل بها **﴿ومن﴾** [وهركه] **﴿يشكر﴾** له تعالى على نعمه **﴿فإنما يشكر لنفسه﴾** لأن منفعته التي هي دوام النعمة واستحقاق مزيدها عائدة إليها مقصورة عليها ولأن الكفران من الوصف اللازم للإنسان فإنه ظلوم كفار والشكر من صفة الحق تعالى فإن الله شاكر عليم فمن شكر فإنما يشكر لنفسه بإزالة صفة الكفران عنها واتصافها بصفة شاكرية الحق تعالى. **﴿ومن كفر﴾** نعمة ربه فعليه وبال كفره **﴿فإن الله غني﴾** عنه وعن شكره **﴿حميد﴾** محمود في ذاته وصفاته وأفعاله سواء حمده العباد وشكروه أم كفروه ولا يحصى عليه أحد ثناء كما يثني هو على نفسه وعدم التعرض لكونه تعالى شكوراً لما أن الحمد متضمن للشكر وهو رأسه كما قال عليه السلام: «الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده» فإثباته له تعالى إثبات للشكر قال في «كشف الأسرار»: رأس الحكمة الشكر لله ثم المخافة منه ثم القيام بطاعته ولا شك أن لقمان امتثل أمر الله في الشكر وقام بعبوديته [لقمان ادبى تمام داشت وعبادت فراوان وسينهء آبادان ودلى پرنور وحكمت روشن برمردمان مشفق ودرميان خلق مصلح وهمواره ناصح خودرا پوشيده داشتى وبرمرك فرزندان وهلاك مال غم نخوردى وازتعلم هيچ نياسودى حكيم بود وحليم ورحيم وكريم] فلقمان ذو الخير الكثير بشهادة الله له بذلك فإنه قال: **﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** [البقرة: ٢٦٩]. وأول ما روي من حكمته الطبية أنه بينا هو مع مولاه إذ دخل المخرج فأطال الجلوس فناداه لقمان أن طول الجلوس على الحاجة يتجزع منه الكبد ويورث الناسور ويصعد الحرارة إلى الرأس فأجلس هوينا وقم هوينا فخرج فكتب حكمته على باب الحش. وأوّل ما ظهرت حكمته العقلية أنه كان راعياً لسيده فقال مولاه يوماً امتحاناً لعقله ومعرفته: اذبح شاة وائتني منها بأطيب مضغتين فأتاه باللسان والقلب. وفي «كشف الأسرار»: [آنچه ازجانور بدتراست وخبيث تربمن آر] فأتاه باللسان والقلب أيضاً فسأله عن ذلك فقال لقمان: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا [خواجه آن حكمت ازوى بپسنديد واورا آزاد كرد].

وفي بعض الكتب: أن لقمان خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فبينما هو يعظ الناس يوماً وهم مجتمعون عليه لاستماع كلمة الحكمة إذ مر به عظيم من عظماء بني إسرائيل فقال: ما هذه الجماعة؟ قيل له: هذه جماعة اجتمعت على لقمان الحكيم فأقبل إليه فقال له: ألست العبد الأسود الذي كنت ترعى بموضع كذا وكذا، وبالفارسية: [توآن بندهء سياه نيستى كه شبانىء رمهء فلان مى كردى] قال: نعم فقال: فما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث

وأداء الأمانة وترك ما لا يعني، يعني: [آنچه دردين بكار نيايد وازان بسر نشود بكذاشتن]. قال في «كشف الأسرار»: [لقمان سی سال باداود همی بود بيك جای وازپس داود زنده بود تابعهد يونس بن متى]. وكان عند داود وهو يسرد دروعاً لأن الحديد صار له كالشمع بطريق المعجزة فجعل لقمان يتعجب مما يرى ويريد أن يسأله وتمنعه حكمته عن السؤال فلما أتمها لبسها وقال نعم درع الحرب هذه فقال لقمان: إن من الحكمة الصمت وقليل فاعله أي: من يستعمله كما قال الشيخ سعدي: [هرآنچه دانی كه هرآينه معلوم توخواهدشد بپرسيدن او تعجيل مكن كه حكمت را زيان كند].

چو لقمان ديد كاندر دست داود ... همی آهن بمعجز موم كردد
نپرسيدش چه می سازی كه دانست ... كه بی پرسيدنش معلوم كردد

ومن حكمته أن داود عليه السلام قال له يوماً: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت بيد غيري فتفكر داود فيه صعق صعقة، يعني: [نعرهٔ زد وبيهوش شد ومراد ازيد غير قبضتين فضل وعدلست] كما في تفسير الكاشفي. قال لقمان: ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس. وقال ضرب الوالد كالسبار للزرع [درتفسير ثعلبي ازحكمت لقمان می آردكه روزی خواجهٔ وی اورا باغلامان ديكر بباغ فرستاد تاميوهٔ بيارد «وكان من أهون مملوك على سيده»]:

بود لقمان پيش خواجهٔ خويشتن ... درميان بندكانش خوارتن
بود لقمان در غلامان چون طفيل ... پرمعانی تيره صورت همچو ليل

غلامان ميوه را درراه بخورند وحوالهٔ خوردن آن بلقمان كردند خواجه بروخشم كرفت لقمان كفت ايشان ميوه خورده اند دروغ بمن بستند خواجه كفت حقيقت اين سخن بچه چيز معلوم توان كرد كفت آنكه مارا آب كرم بخورانی ودرصحرا پارهٔ بدوانی تاقی كنيم ازدرون هركه ميوه بيرون آيد خائن اوست]:

كشت ساقی خواجه از آب حميم ... مر غلامانرا وخوردند آن زبيم
بعد ازان می راند شان دردشتها ... ميدويدند آن نفر تحت وعلا
قی در افتادند ايشان ازعنا ... آب می آورد زيشان ميوها
چونكه لقمان را در آمد قی زناف ... می برآمد از درونش آب صاف
حكمت لقمان چودانداين نمود ... پس چه باشد حكمت رب ودود
يوم تبلى والسرائر كلها ... بان منكم كامن لا يشتهی
چون سقوا ماء حميماً قطعت ... جملة الاستار مما افضحت
هرچه پنهان باشد آن پيدا شود ... هركه او خائن بود رسوا شود

وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات قال: الحمد لله ملكت أمري قال: وما فعلت أمي؟ قال: قد ماتت قال: قد ذهب همي قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت قال: جدد فراشي قال: ما فعلت أختي؟ قال: ماتت قال: سترت عورتي قال: ما فعل أخي؟ قال: مات قال: انقطع ظهري وانكسر جناحي ثم قال: ما فعل ابني؟ قال: مات قال: انصدع قلبي. قال في «فتح الرحمان»: وقبر لقمان بقرية صرفند ظاهر مدينة الرملة من أعمال فلسطين بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين هي البلاد التي بين الشام وأرض مصر منها الرملة وغزة وعسقلان وعلى قبره مشهد وهو مقصود بالزيارة.

وقال قتادة قبره بالرملة ما بين مسجدها وسوقها وهناك قبور سبعين نبياً ماتوا بعد لقمان جوعاً في يوم واحد أخرجهم بنو إسرائيل من القدس فألجأوهم إلى الرملة ثم أحاطوهم هناك فتلك قبورهم.

جهان جاى راحت نشد اى فتى شدند انبيا اوليا مبتلا

﴿وإذ قال لقمان﴾ واذكر يا محمد لقومك وقت قول لقمان ﴿لابنه﴾ انعم فهو أبو أنعم أي: يكنى به كما قالوا ﴿وهو﴾ أي: والحال أن لقمان ﴿يعظه﴾ أي: الابن. والوعظ زجر يقترن بتخويف. وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والاسم العظة والموعظة، وبالفارسية: [ولقمان پند مى داد اورا وميكفت] ﴿يا بنيّ﴾ بالتصغير والإضافة إلى ياء المتكلم بالفتح والكسر وهو تصغير رحمة وعطوفة ولهذا أوصاه بما فيه سعادته إذا عمل بذلك، وبالفارسية: [اى پسرك من] ﴿لا تشرك بالله﴾ لا تعدل بالله شيئاً في العبادة، وبالفارسية: [انباز مكير بخداى] ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا منه ومن لا نعمة منه. وفي «كشف الأسرار» [بيدادى است برخويشتن بزرك] وعظمه أنه لا يغفر أبداً قال الشاعر:

الحمد لله لا شريك له ومن أباه فنفسه ظلما

وكان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما بخلاف ابن نوح وامرأته فإنهما لم يسلما وبخلاف ابنتي لوط وامرأته فإن ابنتيه أسلمتا دون امرأته ولذا ما سلمت فكانت حجراً في بعض الروايات كما سبق. قيل: وعظ لقمان ابنه في ابتداء وعظه على مجانبة الشرك. والوعظ زجر النفس عن الاشتغال بما دون الله وهو التفريد للحق بالكل نفساً وقلباً وروحاً فلا تشتغل بالنفس إلا بخدمته ولا تلاحظ بالقلب سواه ولا تشاهد بالروح غيره وهو مقام التفريد في التوحيد:

هركه در درياى وحدت غرقه باشد جان او جوهر فرد حقيقت يافت از جانان او

اللهم اجعلنا من المفرّدين.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ إلى آخره اعتراض في أثناء وصية لقمان تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك يقال وصيت زيداً بعمر وأمرته بتعهده ومراعاته، والمعنى: [وصيت كرديم مردم را به پدر ومادر ورعايت حقوق ايشان]. ثم رجح الأم ونبه على عظم حق والديه فقال: ﴿حملته أمه﴾ إلى قوله: ﴿عامين﴾ اعتراض بين المفسر والمفسر أي: التوصية والشكر. والمعنى بالفارسية: [برداشت مادر اورا درشكم] ﴿وهناً﴾ حال من أمه أي: ذات وهن والوهن الضعف من حيث الخلق والخلق ﴿على وهن﴾ أي: ضعفاً كائناً على ضعف فإنه كلما عظم ما في بطنها زادها ضعفاً إلى أن تضع ﴿وفصاله في عامين﴾ الفصال التفريق بين الصبي والرضاع ومنه الفصيل وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه. والعام: بالتخفيف السنة لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الشدة والجدب ولذا يعبر عن الجدب بالسنة والعام فيما فيه الرخاء أي: فطام الإنسان من اللبن يقع في تمام عامين من وقت الولادة وهي مدة الرضاع عند

الشافعي فلا يثبت حرمة الرضاع بعدها فالإرضاع عنده واجب إلى الاستغناء ويستحب إلى الحولين وجائز إلى حولين ونصف وهذا الخلاف بينهما في حرمة الرضاع كما أشير إليه أما استحقاق الأجرة فمقدر بحولين فلا تجب نفقة الإرضاع على الأب بعد الحولين بالاتفاق وتمام الباب في كتاب الرضاع في الفقه. قال في الوسيط: المعنى ذكر مشقة الوالدة بإرضاع الولد بعد الوضع عامين **﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾** تفسير لوصيناه أي: قلنا له اشكر لي أو علة له أي: لأن يشكر لي وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عليه السلام: لمن قال له من أبر «أمك ثم أمك ثم أمك» ثم قال بعد ذلك «ثم أباك» والمعنى اشكر لي حيث أوجدتك وهديتك بالإسلام واشكر لوالديك حيث ربياك صغيراً وشكر الحق بالتعظيم والتكبير وشكر الوالدين بالإشفاق والتوقير. وفي «شرح الحكم»: قرن شكرهما بشكره إذ هما أصل وجودك المجازي كما أن أصل وجودك الحقيقي فضله وكرمه فله حقيقة الشكر كما له حقيقة النعمة ولغيره مجازه كما لغيره مجازها وفي الحديث «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» فجعل شكر الناس شرطاً في صحة شكره تعالى أو جعل ثواب الله على الشكر لا يتوجه إلا لمن شكر عباده. ثم حق المعلم في الشكر فوق حق الوالدين. سئل الاسكندر وقيل ما بالك تعظم مؤدّبك أشد من تعظيمك لأبيك فقال: أبي حطني من السماء إلى الأرض ومؤدبي رفعني من الأرض إلى السماء.

قال الحافظ:

من ملك بودم وفردوس برين جايم بود   آدم آورد دريـــن ديـــر خــــراب آبـــادم

وقيل: لبرزجمهر ما بالك تعظيمك لمعلمك أشد من تعظيمك لأبيك؟ قال: لأن أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية. **﴿إليّ المصير﴾** تعليل لوجوب الامتثال بالأمر أي: إلى الرجوع لا إلى غيري فأجازيك على شكرك وكفرك. ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلي حيث لا حاكم ولا مالك سواه. قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه وفي الحديث: «من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده ومن مات والداه وهو لهما غير بار وهو حي فليستغفر لهما ويتصدق لهما حتى يكتب باراً لوالديه ومن زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة كان باراً» وفي الحديث: «من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمساً خمساً فإذا فرغ من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه وإن كان عاقاً لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطي الصديقين والشهداء» كذا في «الإحياء» و«قوت القلوب».

﴿وإن جاهداك﴾ المجاهدة استفراغ الجهد أي: الوسع في مدافعة العدو، وبالفارسية: [باكسى كار زاركردن در راه خداى] والمعنى وقلنا للإنسان إن اجتهد أبواك وحملاك، وبالفارسية: [واكر كشش وكوشش كنند پدو ومادر تو باتو] **﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به﴾** أي: بشركته تعالى في استحقاق العبادة **﴿علم فلا تطعهما﴾** في الشرك يعني أن خدمة الوالدين وإن كانت عظيمة فلا يجوز للولد أن يطيعهما في المعصية.

ون نـبـود خـويـش را ديـانـت وتـقـوى   قـطـع رحـم بـهـتـر از مـودت قـربـى

﴿وصاحبهما﴾ [ومصاحبت كن باايشان ومعاشرت] ﴿في الدنيا﴾ صحاباً ﴿معروفاً﴾ ومعاشرة جميلة يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم من الإنفاق وغيره وفي الحديث: «حسن المصاحبة أن يطعمهما إذا جاعا وأن يكسوهما إذا عريا» فيجب على المسلم نفقة الوالدين ولو كانا كافرين وبرهما وخدمتهما وزيارتهما إلا أن يخاف أن يجلباه إلى الكفر وحينئذٍ يجوز أن لا يزورهما ولا يقودهما إلى البيعة لأنه معصية ويقودهما منها إلى المنزل. وقال بعضهم: المعروف هٰهنا أن يعرفهما مكان الخطأ والغلط في الدين عند جهالتهما بالله. قال في «المفردات»: المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ما ينكر بهما ولهذا قيل للاقتصاد في الجود معروف لما كان ذلك مستحسناً في العقول بالشرع ﴿واتبع﴾ في الدين ﴿سبيل من أناب إليّ﴾ رجع بالتوحيد والإخلاص في الطاعة وهم المؤمنون الكاملون ﴿ثم إليّ مرجعكم﴾ مرجعك ومرجعهما ﴿فأنبئكم﴾ عند رجوعكم ﴿بما كنتم تعملون﴾ بأن أجازي كلاً منكم بما صدر عنه من الخير والشر، وبالفارسية: [پس آكاه كنم شمارا بياداش آن چيزكه مى كرديد] ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من العشرة المبشرة حين أسلم وحلفت أمه أن لا تأكل ولا تشرب حتى يرجع عن دينه [آورده اندكه مادر سعد سه روزنان وآب نخورد تادهن او بچوپى بشكافتند وآب دران ريختند وسعد ميكفت اكر اورا هفتاد روح باشد ويك بيك اكر قبض كنند يعني بفرض اكر هفتاد باربميرد من از دين اسلام بر نمى كردم] وقد سبقت قصته مع فوائد كثيرة في أوائل سورة العنكبوت.

واعلم أن أهم الواجبات بعد التوحيد بر الوالدين.

- روي - أن رجلاً قال: يا رسول الله إن أمي هرمت فأطعمها بيدي وأسقيها وأوضئها وأحملها على عاتقي فهل جازيتها حقها؟ قال عليه السلام: «لا ولا واحداً من مائة» قال: ولم يا رسول الله قال: «لأنها خدمتك في وقت ضعفك مريدة حياتك وأنت تخدمها مريداً مماتها ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً»، قال الشيخ سعدي:

جوانى سرازراى مادر بتافت ... دل درد مندش بآزر بتافت
چو بيچاره شد پيشش آورد مهد ... كه اى سست مهر وفراموش عهد
نه كريان ودرمانده بودى وخرد ... كه شبها زدست تو خوابم نبرد
نه در مهد نيروى حالت نبود ... مكس راندن ازخود مجالت نبود
توانى كه از يك مكس رنجهٔ ... كه امروز سالار سر پنجهٔ
بحالى شوى باز در قعر كور ... كه نتوانى ازخويشتن دفع مور
دكرديده چون بر فروزد چراغ ... چو كرم لحد خورد پيه دماغ
چو پوشيده چشمى نه بينى كه راه ... نداند همى وقت رفتن زچاه
توكر شكر كردى كه باديدهٔ ... وكرنه توهم چشم پوشيدهٔ

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أني أخاف عليكم تغير الأحوال عليكم بعدي لأمرتكم أن تشهدوا لأربعة أصناف بالجنة: أولهم امرأة وهبت صداقها لزوجها لأجل الله وزوجها راض، والثاني ذو عيال كثير يجتهد في المعيشة لأجلهم حتى يطعمهم الحلال، والثالث: التائب من الذنب على أن لا يعود إليه أبداً كاللبن لا يعود إلى الثدي، والرابع البار بوالديه» ثم قال عليه السلام: «طوبى لمن بر بوالديه وويل لمن

عقهما». وعن عطاء بن يسار أن قوماً سافروا فنزلوا برية فسمعوا نهيق حمار حتى أسهرهم فلما أصبحوا نظروا فرأوا بيتاً من شعر فيه عجوز فقالوا: سمعنا نهيق حمار وليس عندك حمار فقالت: ذاك ابني كان يقول لي يا حمارة فدعوت الله أن يصيره حماراً فذاك منذ مات ينهق كل ليلة حتى الصباح. وعن وهب لما خرج نوح عليه السلام من السفينة نام فانكشفت عورته وكان عنده حام ولده فضحك ولم يستره فسمع سام ويافث صنع حام فألقيا عليه ثوباً فلما سمعه نوح قال: غير الله لونك فجعل السودان من نسل حام فصار الذل لأولاده إلى يوم القيامة، قال الحافظ:

دخترانرا همه جنكست وجدل بامادر پسرانرا همه بدخواه پدر مى بينم

ثم إن الآية قد تضمنت النهي عن صحبة الكفار والفساق والترغيب في صحبة الصالحين فإن المقارنة مؤثرة والطبع جذاب والأمراض سارية. وفي الحديث: «لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم وليس منا» أي: لا تسكنوا مع المشركين في المسكن الواحد ولا تجتمعوا معهم في المجلس الواحد حتى لا تسري إليكم أخلاقهم الخبيثة وسيرهم القبيحة بحكم المقارنة:

باد چون برفضاى بد كذرد بوى بدكيرد از هواى خبيث

قال إبراهيم الخواص قدس سره داوء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر، وإخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع إلى الله تعالى عند السحر، ومجالسة الصالحين:

پى نيك مردان ببايد شتافت كه هركه اين سعادت طلب كرد يافت

وليكن تو دنبال ديو خسى ندانم كه در صالحان كى رسى

كذا في «البستان».

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾.

﴿يا بني﴾ [كفت لقمان فرزند خودرا كه انعم نام بود] بضم العين [اى پسرك من]. قال في «الإرشاد»: شروع في حكاية بقية وصايا لقمان أثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض. **﴿إنها﴾** أي: الخصلة من الإساءة أو الإحسان. وقال مقاتل وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبتاه إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فرد عليه لقمان فقال: **﴿يا بني إنها﴾** أي: الخطيئة. **﴿إن تك﴾** أصله تكون حذفت الواو لاجتماع الساكنين الحاصل من سقوط حركة النون بأن الشرطية وحذفت النون أيضاً تشبيهاً بحرف العلة في امتداد الصوت أو بالواو في الغنة أو بالتنوين. وقال بعضهم: حذفت تخفيفاً لكثرة الاستعمال فلا تحذف من مثل لم يصن ولم يخن فإن وصلت بساكن ردت النون وتحرك نحو لم يكن الذين الآية **﴿مثقال حبة من خردل﴾** المثقال ما يوزن به وهو من الثقل وذلك اسم لكل صنج. وفي «كشف الأسرار» يقال: مثقال الشيء ما يساويه في الوزن وكثر الكلام فصار عبارة عن مقدار الدنيا انتهى، والحبة بالفارسية: [دانه] والخردل من الحبوب معروف. والمعنى مقدار ما هو أصغر المقادير التي توزن بها الأشياء من جنس الخردل الذي هو أصغر الحبوب المقتاتة

﴿فتكن﴾ [پس باشد آن] أي: مع كونها في أقصى غايات الصغر ﴿في صخرة﴾ الصخر الحجر الصلب أي: في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة ما. وقال المولى الجامي في صخرة هي أصلب المركبات وأشدها منعاً لاستخراج ما فيها انتهى والمراد بالصخرة أية صخرة كانت لأنه قال بلفظ النكرة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الأرض على الحوت والحوت في الماء والماء على صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة التي ذكر لقمان ليست في السموات ولا في الأرض كذا في «التكملة» ﴿أو في السموات﴾ مع ما بعدها. وفي بعض التفاسير في العالم العلوي كمحدب السموات ﴿أو في الأرض﴾ مع طولها وعرضها. وفي بعض التفاسير في العالم السفلي كمقعر الأرض ﴿يأت بها الله﴾ أي: يحضرها فيحاسب عليها لأنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وبالفارسية: [بيارد خداى تعالى آثراً وحاضر كرداند وبرآن حساب كند] فالباء للتعدية. قال المولى الجامي في «شرح الفصوص»: إنها أي: القصة إن تك مثقال حبة بالرفع كما هو قراءة نافع وحينئذٍ كان تامة وتأنيثها لإضافة المثقال إلى الحبة وقوله: يأت بها الله أي: للاغتذاء بها ﴿إن الله﴾ من قول لقمان ﴿لطيف﴾ يصل علمه إلى كل خفي فإن أحد معاني اللطيف هو العالم بخفيات الأمور ومن عرف أنه العالم بالخفيات يحذر أن يطلع عليه فيما هو فيه ويثق به في علم ما يجهله.

برو علم يك ذره پوشيده نيست كه پيدا وپنهان بنزدش يكيست

﴿خبير﴾ عالم بكنهه. قال في شرح حزب البحر الخبير هو العليم بدقائق الأمور التي لا يتوصل إليها غيره إلا بالاختيار والاحتيال ومن عرف أنه الخبير ترك الرياء والتصنع لغيره بالإخلاص له فالله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ويحيط بأسرار الضمائر وبطون الخواطر ويحاسب عليها سواء كانت في صخرة النفوس أو في سماء الأرواح أو في أرض القلوب. وفيه تنبيه لأهل المراقبة والتحذير من الملاحظات لاطلاع الحق على نوادر الخطرات وبطون الحركات.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يا بني إنها﴾ يشير إلى المقسومات الأزلية من الأرزاق والإخلاصات الإنسانية والمواهب الإلهية ﴿إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة﴾ أي: صخرة العدم ﴿أو في السموات﴾ في الصورة والمعنى ﴿أو في الأرض﴾ في الصورة والمبني ﴿يأت بها الله﴾ لمن قدر له وقسم من أسباب السعادة والشقاوة إن شاء بطريق كسب العبد وإن شاء يجعل له مخرجاً في حصولها من حيث لا يحتسب ﴿إن الله لطيف﴾ بعباده ﴿خبير﴾ بإتيان ما قسم لهم بلطف ربوبيته فالواجب على العبد أن يثق بوعده ويتكل على كرمه فيما قدر له ويسعى إلى القيام بعبوديته انتهى. وفي بعض الكتب إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات انتهى.

يقول الفقير: هذا الحضور في مقام الهيبة من صفات المقربين. وكان إبراهيم عليه السلام إذا صلى يسمع غليان صدره وذلك من استيلاء الهيبة عليه وهذا الغليان يقال له برهان الصدر وقع لنبينا عليه السلام في مرتبة الأكملية فواعجبا لأمثالنا كيف لا ينجع فينا الوعظ ولا يأخذ بنا معاني اللفظ وليس إلا من الغفلة والنسيان وكثرة العصيان.

تا نيابى رتبۀ لقمانرا آتش هيبت نسوزد جانرا
جان عاشق همچو پروانه بود نزد شمع آيدا كر سوزان شود

ومن وصايا لقمان ما قال في «كشف الأسرار»: [لقمان پسر خويش را پندداد ووصيت كردكه اى پسر بسورها مروكة ترا رغبت دردنيا بديد آيد وأخرى بردل توفراموش كردد وكفت كه اى پسر كر سعادت آخرت ميخواهى وزهد دردنيا به تشييع جنازها بيرون شو ومرك راپيش چشم خويش دار ودر دنيا مباش كه عيال ووبال مردم شوى از دنيا قوت ضروري بردار وفضول بكذار وزاننك زنان تاتوانى بر حذر باش وبرزنان بد فرياد خواه بالله كه ايشان دام شيطانند وسبب فتنه] ﴿**يا بنيّ أقم الصلاة**﴾ التي هي أكمل العبادات تكميلاً لنفسك من حيث العمل بعد تكميلها من حيث العلم والاعتقادات لأن النهي عن الشرك فيما سبق قد تضمن الأمر بالتوحيد الذي هو أول ما يجب على الإنسان.

وفي «التأويلات النجمية» أدمها وإدامتها في أن تنتهي عن الفحشاء والمنكر فإن الله وصف الصلاة بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر فمن كان منتهياً عنهما فإنه في الصلاة وإن لم يكن على هيئتها ومن لم يكن منتهياً عنهما فليس في الصلاة وإن كان مؤدياً هيئتها انتهى. ومن وصايا لقمان ما قال في «كشف الأسرار»: [اى پسر روزه كه دارى چنان دار كه شهوت ببرد نه قوت ببرد وضعيف كند تا ازنماز بازمانى كه بنزديك خدانماز دوستر ازروزه] وذلك لأن الصوم والرياضات لإصلاح الطبيعة وتحسين الأخلاق وأما الصلاة فلإصلاح النفس التي هي مأوى كل شر ومعدن كل هوى وما عبد إله أبغض إلى الله من الهوى ﴿**وأمر بالمعروف**﴾ بالمستحسن شرعاً وعقلاً وحقيقته ما يوصل العبد إلى الله ﴿**وانه عن المنكر**﴾ أي: عن المستقبح شرعاً وعقلاً وتكميلاً لغيرك وحقيقته ما يشغل العبد عن الله ﴿**واصبر**﴾ الصبر حبس النفس عما يقتضي الشرع أو العقل الكف عنه ﴿**على ما أصابك**﴾ من الشدائد والمحن كالأمراض والفقر والهم والغم لا سيما عند التصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى الذين تأمرهم بالمعروف وتبعثهم على الخير وتنهاهم عن المنكر وتزجرهم عن الشر ﴿**إن ذلك**﴾ المذكور من الوصايا وهو الأمر والنهي والصبر ﴿**من عزم الأمور**﴾ العزم والعزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر وعزم الأمور ما لا يشوبه شبهة ولا يدافعه ريبة. وفي الخبر «من صلى قبل العصر أربعاً غفر الله له مغفرة عزماً» أي: هذا الوعد صادق عزيم وثيق وفي دعائه عليه السلام: «أسألك عزائم مغفرتك» أي: أسألك أن توفقني لَلأعمال التي تغفر لصاحبها لا محالة وأطلق المصدر أي: العزم على المفعول أي: المعزوم. والمعنى من معزومات الأمور ومقطوعاتها ومفروضاتها بمعنى مما عزمه الله أي: قطعه قطع إيجاب وأمر به العباد أمراً حتماً ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل أي: من عازمات الأمور وواجباتها ولازماتها من قوله فإذا عزم الأمر أي: جد. وفي هذا دليل على قدم هذه الطاعات والحث عليها في شريعة من تقدمنا وبيان لهذه الأمة أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ينبغي أن يكون صابراً على ما يصيبه في ذلك إن كان أمره ونهيه لوجه الله لأنه قد أصابه ذلك في ذات الله وشأنه. وإشارة إلى أن البلاء والمحنة من لوازم المحبة فلا بد للمريد الصادق أن يصبر على ما أصابه في أثناء الطلب مما ابتلاه الله به من الخوف من الأعداء في الظاهر والباطن والجزع من الجوع الظاهر عند قلة الغذاء للنفس ومن الباطن عند قلة الكشوف والمشاهدات التي هي غذاء للقلب ونقص من الأموال والأنفس من مفارقة الأولاد والأهالي والإخوان والأخدان والثمرات. يعني: ثمرات المجاهدات وبشر الصابرين على هذه الأحوال بأن عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون إلى

الحضرة. ومن وصايا لقمان على ما في «كشف الأسرار» [اى پسر مبادا كه ترا كارى پيش آيد از محبوب ومكروه كه تونيز در ضمير خود چنان دانى كه خير وصلاح تو در آنست پسر كفت اى پدر من أين عهد نتوانم داد تا آنكه بدانم كه آنچه كفتى چنانست كه توكفتى پدر كفت الله تعالى پيغمبر مى فرستاداست وعلم وبيان آنچه من كفتم باوى است تاهردو نزديك وى شويم وازوى بپرسيم هردو بيرون آمدند وبر مركوب نشستند وآنچه دربايست بود ازتوشه وزاد سفر برداشتند بيابانى درپيش بود مركوب همى راندند تاروز بنماز پيشين رسيد وكرما عظيم بود آب وتوشه سپرى كشت وهيچ نماند هر دو ازمركوب فرود آمدند وپياده بشتاب همى رفتند نا كاه لقمان درپيش نكرست سياهى ديد ودود بادل خويش كفت آن سياهى درخت است وآن دودنشان آبادانى ومردمانكه آنجا وطن كرفته اند همچنان رفتند بشتاب ناكاه پسر لقمان پاى بر استخوانى نهاد آن استخوان بزير قدم وى برآمد وبپشت پاى بيرون آمد پسر بيهوش كشت وبر جاى بيفتاد لقمان دروي آويخت واستخوان بدندان ازپاى وى بيرون كرد وعمامهٔ وى پاره كرد وبرپاى وى بست لقمان آن ساعت بكريست ويك قطره آب چشم برروى پسر افتاد وپسرروى فرا پدركرد وكفت اى باباى من بكريى بچيزى كه ميكويى كه بهتر من وصلاح من در آنست اى يدرچه بهتريست مارا درين حال وتوشه سپرى شد وما هردو درين بيابان متحير مانده ايم اكر توبروى ومرا درين حال بجاى مانى باغم وانديشه روى واكر با من اينجا مقام كنى برين حال هردو بميريم درين چه بهترست وچه خبرست پدر كفت كريستن من اينجا آنست كه مرا دوست داشتيد كه بهر حظى كه مرا ازدنياست من فداى توكردمى كه من پدرم ومهربانى پدران پرفرزندان معلومست واما آنچه توميكويى كه درين چه خيرست توچه دانى مكرآن بلاكه از توصرف كرده اند خود بزركتر ازين بلاست كه بتو رسانيده اند وباشدكه اين بلاكه بتو رسانيده اند آسانتر ازآنست كه ازتو صرف كرده اند ايشان درين سخن بودندكه لقمان فرا پيش نكرست وهيچ چيز نديد ازان سواد ودخان دال خويش كفت من اينجا چيزى ميديدم واكنون نمى بينم ندانم تا آن چه بودنا كاه شخصى را ديدكه مى آمد براسبى نشسته وجامهٔ پوشيده آوازدادكه لقمان تويى كفت آرى كفت حكيم تويى كفت چنين ميكويند كفت آن پسربى خردچه كفت اكر آن نبودى كه اين بلا بوى رسيد شمارا هردو بزمين فرو بردندى چنانكه آن ديكرانرا فروبردند لقمان روى باپسر كرد وكفت دريافتى وبدانستى كه هر چه بربنده رسد از محبوب ومكروه خيرت وصلاحت در آنست پس هردو برخاستند ورفتند. عمر خطاب رضي الله عنه از آنجا كفت من باك ندارم كه بامداد بر خيزم بر هر حال باشم بر محبوب يابر مكروه زيرا كه من ندانم خيرت من اندر چيست. موسى عليه السلام كفت بار خدايا ازبندكان توكيست بزرك كناهتر كفت آنكس كه مرامتهم دارد كفت آن كيست كفت استخارت كند وازمن بهترىٔ خويش خواهد آنكه بحكم من رضا ندهد] قال الصائب:

چون سرو در مقام رضا ايستاده ام   آسوده خاطرم زبهار وخزان خويش

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ التصعر: التواء وميل في العنق من خلقة أو داء أو من كبر في

الإنسان وفي الإبل. والتصعير إمالته عن النظر كبراً كما قال في «تاج المصادر» [التصعير: روى بكردانيدن ازكبر]. وخد الإنسان ما اكتنف الأنف عن اليمين والشمال أو ما جاوز مؤخر العينين إلى منتهى الشدق أو من لدن المحجر إلى اللحى كما في «القاموس». والمعنى أقبل على الناس بجملة وجهك عند السلام والكلام واللقاء تواضعاً ولا تحول وجهك عنهم ولا تغط شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون استحقاراً للناس خصوصاً الفقراء وليكن الغني والفقير عندك على السوية في حسن المعاملة. والإشارة لا تمل خدك تكبراً أو تجبراً معجباً بما فتح الله عليك فتكون بهذا مفسداً في لحظة ما أصلحته في مدة، قال الحافظ:

ببال وپر مرو ازره كه تير پرتابى ... هوا كرفت زمانى ولى بخاك نشست

﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ المرح: أشد الفرح والخفة الحاصلة من النعمة كالأشر والبطر أي: حال كونك ذا فرح شديد ونشاط وعجب وخفة أي: مشياً كمشي المرح من الناس كما يرى من كثيرهم لا سيما إذا لم يتضمن مصلحة دينية أو دنيوية، وبالفارسية: [مخرام چون جاهلان ومانند دنيا پرستان] ﴿إن الله لا يحب كل مختال﴾ الاختيال والخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة ومنه لفظ الخيل كما قيل إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة أي: لا يرضى عن المتكبر المتبختر في مشيته بل يسخط عليه، وبالفارسية: [هرخرامندهٔ كه متكبر انه رود] وهو بمقابلة الماشي مرحاً ﴿فخور﴾ هو بمقابلة المصعر خده وتأخيره لرعاية الفواصل. والفخر المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه والفخور الذي يعدد مناقبه تطاولاً بها واحتقاراً لمن عدم مثلها. والمعنى بالفارسية: [نازش كنندهٔ كه باسباب تنعم بر مردمان تطاول نمايد]. وفي الحديث: «خرج رجل يتبختر في الجاهلية عليه حلة فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»:

چو صبيان مباز وچو صنوان منازل ... برو مرد حق شو زروى نياز

قال بعض الحكماء: إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراهة له دونك. وإن افتخرت بثيابك وآلاتك فالجمال لها دونك. وإن افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لا فيك ولو تكلمت هذه الأشياء لقالت هذه محاسننا فمالك من الحسن شيء. فإن افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك. قال الحافظ:

قلندران حقيقت بنيم جو نخرند ... قباى اطلس آنكس كه از هنر عاريست

وإذا أعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه أو بقاءك وزواله أو فناءكما جميعاً فإذا راقك ما هو لك فانظر إلى قرب خروجه من يدك وبعد رجوعه إليك وطول حسابه عليك إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر.

ـ حكي ـ أنه حُمِلَ إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح به الملك فرحاً شديداً فقال لمن عنده من الحكماء: كيف ترى هذا؟ فقال: أراه فقراً حاضراً ومصيبة عاجلة قال: وكيف ذلك؟ قال: إن انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيراً إليه وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوماً فعظمت المصيبة على الملك وقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا.

إنما الدنيا كرؤيا فرّحت ... من رآها ساعة ثم انقضت

﴿واقصد في مشيك﴾ القصد ضد الإفراط والتفريط. والمعنى واعدل في المشي بعد

الاجتناب عن المرح فيه، وبالفارسية: [وميانه باش دررفتن خود] اى توسد بين الدبيب والإسراع فلا تمش كمشي الزهاد المظهرين الضعف في المشي من كثرة العبادات والرياضات فكأنهم أموات وهم المراؤون الذين ضل سعيهم ولا كمشي الشطار ووثوبهم وعليك بالسكينة والوقار وفي الحديث «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن» وقول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان إذا مشى أسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت. قال بعضهم إن للشيطان من ابن آدم نزغتين بأيتهما ظفر قنع الإفراط والتفريط وذلك في كل شيء يتصور ذلك فيه ﴿واغضض من صوتك﴾ يقال غض صوته وغض بصره إذا خفض صوته وغمض بصره. قال في «المفردات»: الغض النقص من الطرف والصوت، وبالفارسية: [فرو خوابانيدن چشم وفروداشتن اواز] والصوت هو الهواء المنضغط عند قرع جسمين. قال بعضهم: الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يسمى نفساً بفتح الفاء وإن خرج بالإرادة وعرض له تموّج بتصادم جسمين يسمى صوتاً وإذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بأسباب معلومة يسمى حروفاً. والمعنى وانقص من صوتك واقصر واخفض في محل الخطاب والكلام خصوصاً عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعند الدعاء والمناجاة. وكذلك وصية الله في الإنجيل لعيسى ابن مريم مُر عبادي إذا دعوني يخفضوا أصواتهم فإني أسمع وأعلم ما في قلوبهم، وبالفارسية: [فرو آور وكم كن آوز خويش يعنى فرياد كننده ونعره زننده ودراز زبان وسخت كوى مباش] واستثنى منه الجهر لإرهاب العدو ونحوه. وقال محمد بن طلحة في «العقد الفريد»: قد اختار الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في قلوبهم انتهى. وفي «الخلاصة» لا يجهر الإمام فوق حاجة الناس وإلا فهو مسيء كما في «الكشف». والفرق بين الكراهة والإساءة هو أن الكراهة أفحش من الإساءة.

وفي «إنسان العيون»: لا بأس برفع المؤذنين أصواتهم لتبليغ التكبير لمن بعد عن الإمام من المقتدين لما فيه من النفع بخلاف ما إذا بلغهم صوت الإمام فإن التبليغ حينئذٍ بدعة منكرة باتفاق الأئمة الأربعة ومعنى منكرة مكروهة. وفي «أنوار المشارق» المختار عند الأخيار أن المبالغة والاستقصاء في رفع الصوت بالتكبير في الصلاة ونحوه مكروه والحالة الوسطى بين الجهر والإخفاء مع التضرع والتذلل والاستكانة الخالية عن الرياء جائز غير مكروه باتفاق العلماء. وقد جمع النووي بين الأحاديث الواردة في استحباب الجهر بالذكر والواردة في استحباب الإسرار به بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى المصلون أو النائمون والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ولأنه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همة الفكر ويشنف سمعه ويطرد النوم ويزيد في النشاط وكان عليه السلام إذا سلم من صلاته قال بصوته الأعلى «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

ومن اللطائف أن الحَجَّاجَ سأل بعض جلسائه عن أرق الصوت عندهم فقال أحدهم: ما سمعت صوتاً أرق من صوت قارىء حسن الصوت يقرأ كتاب الله في جوف الليل قال إن ذلك لحسن. وقال آخر ما سمعت صوتاً أعجب من أن أترك امرأتي ماخضاً وأتوجه إلى المسجد بكيراً فيأتيني آتٍ فيبشرني بغلام فقال: واحسناه. فقال شعبة بن علقمة التميمي لا والله ما سمعت قط أحب إلي من أن أكون جائعاً فأسمع خفخفة الخوان فقال الحجاج أبيتم يا بني تميم

إلا حب الزاد ﴿إن أنكر الأصوات﴾ أوحشها وأقبحها الذي ينكره العقل الصحيح ويحكم بقبحه، وبالفارسية: [زشت ترين آوازها] ﴿لصوت الحمير﴾ جمع حمار. قال بعضهم: سمي حماراً لشدته من قولهم طعنة حمراء أي: شديدة وحمارة القيظ شدته وافراد الصوت مع إضافته إلى الجمع لما أن المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين أصوات سائر الأجناس. قال أبو الليث: صوت الحمار كان هو المعروف عند العرب وسائر الناس بالقبح وإن كان قد يكون ما سواه أقبح منه في بعض الحيوان وإنما ضرب الله المثل بما هو معروف عند الناس بالقبح لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار يتوحش من يسمعه ويتنفر منه كل التنفر.

والمعنى إن أنكر أصوات الناس حين يصوتون ويتكلمون لصوت من يصوّت صوت الحمار أي: يرفع صوته عند التصويت كما يرفع الحمار صوته. ففيه تشبيه الرافعين أصواتهم فوق الحاجة بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام عن لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وجعلهم حميراً وأصواتهم نهاقاً مبالغة شديدة في الذم والزجر عن رفع الصوت فوق الحاجة وتنبيه على أنه من المكاره عند الله لا من المحاب. قال الكاشفي: [يعني در ارتفاع صوت فضيلتي نيست چو صوت حمار باوجود رفعت مكروهست طباع را وموجب وحشت اسماع است. درعين المعاني آورده كه مشركان عرب برفع أصوات تفاخر ميكردندى بدين آيت رد كرد برايشان فخر ايشان].

يقول الفقير: إن الرد ليس بمنحصر في رفع الصوت بل كل ما في وصايا لقمان من نهي الشرك وما يليه رد لهم لأنهم كانوا متصفين بالشرك وسائر ما حكي من الأوصاف القبيحة آتين بالسيئات تاركين للصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزعين عند المصيبات والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك كنى عنه فيقال طويل الأذنين. قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: صوت كل شيء تسبيح إلا صوت الحمير فإنها تصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه منكراً وفي الحديث: «إذا سمعتم نهاق الحمير» وهو بالضم صوتها «فتعوّذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً وإذا سمعتم صياح الديكة» بفتح الياء جمع ديك «فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً» وفي الحديث دلالة على نزول الرحمة عند حضور أهل الصلاح فيستحب الدعاء في ذلك الوقت وعلى نزول الغضب عند أهل المصيبة فيستحب التعوذ كما في «شرح المشارق» لابن الملك.

يقول الفقير: ومن هنا قال عليه السلام: «يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب» أي: يقطع كمالها وينقصها مرور هذه الأشياء بين يدي المصلي. أما المرأة فلكونها أحب الشهوات إلى الناس وأشد فساداً للحال من الوسواس. وأما الكلب والمراد الكلب الأسود فلكونه شيطاناً كما قال عليه السلام: «الكلب الأسود شيطان» سمي شيطاناً لكونه أعقر الكلاب وأخبثها وأقلها نفعاً وأكثرها نعاساً ومن هذا قال أحمد بن حنبل: لا يحل الصيد به. وأما الحمار فلكون الشيطان قد تعلق بذنبه حين دخل سفينة نوح عليه السلام فهو غير مفارق عنه في أكثر الأوقات وهو السر في اختصاص الحمار برؤية الشيطان والله أعلم كما أن وجه اختصاص الديك برؤية الملك كون صياحه تابعاً لصياح ديك العرش كما ثبت في بعض الروايات الصحيحة فالملك غير مفارق عنه في غالب الحالات وفي الحديث «إن الله يبغض ثلاثة أصواتها نهقة الحمير

ونباح الكلب والداعية بالحرب». [ورد فيه ما فيه ازحضرت مولوى قدس سره وجه انكريت صوت حمار چنين نقل كرده اندكه درغالب او براى كاه وجوست. ويا بجهت اجراء شهوت. يا جنك بادرازكوش ديكر. وصدايى كه از غلبهٔ صفات بهيمى زايد زشت ترين صداها باشد وازينجا معلوم ميشودكه ندايى كه از صاحب اخلاق روحاني وملكي آيد خوبترين نداها خواهد بود نغمهاى عاشقانه پس دلكش است استماع نغمه ايشان خوش وحضرت رسالت عليه السلام آواز نرم را دوست داشتى وجهر صوت راكاره بودى] ودخل في الصوت المنكر العطسة المنكرة فلتدفع بقدر الاستطاعة وكذا الزفرات والشهقات الصادرة من أهل الطبيعة والنفس بدون غلبة الحال فإنها ممزوجة بالحظوظ مخلوطة بالرياء فلا تكون صيحة حقيقة بل صيحة طبيعة ونفس نعوذ بالله من شهوات الطبيعة وهوى النفس ومخالطة أهل الدعوى. قال بعضهم في الآية إشارة إلى الذي يتكلم في لسان المعرفة من غير إذن من الحق وقبل أوانه ومن تصدر قبل أوانه تصدى لهوانه. ثم من وصايا لقمان على ما في «كشف الأسرار» قوله: [أي پسر چون قدرت يابى برظلم بندكان قدرت خداى برغقوبت خود يادكن واز انتقام وى بينديش كه او جل جلاله منتقم است دادستان از كردن كشان وكين خواه از ستمكاران وبحقيقت دان كه ظلم تو ازان مظلوم فراكذرد وعقوبة الله بران ظلم برتو بماند وپاينده بود]، قال الشيخ سعدي قدس سره:

شنيدم كه لقمان سيه فام بود ... نه تن پرور ونازك اندام بود
يكى بندهٔ خويش پنداشتش ... ببغداد دركار كل داشتش
به سالى سرايى بپر داختش ... كس ازبندهٔ خواجه نشناختش
چوپيش آمدش بندهٔ رفته باز ... زلقمانش آمد نهيبى فراز
به پابش درافتاد وپوزش نمود ... بخنديد لقمان كه پوزش چه سود
بسالى زجورت جكر خون كنم ... بيك ساعت ازدل بدر چون كنم
وليكن ببخشايم اى نيك مرد ... كه سود تومارا زيانى نكرد
تو آباد كردى شبستان خويش ... مراحكمت ومعرفت كشت بيش
غلاميست درخيم اى نيك بخت ... كه فرمايمش وقتها كار سخت
دكرره نيازارمش سخت دل ... چو ياد آيدم سختئ كار كل
هرآنكس كه جور بزركان نبرد ... نسوزد دلش بر ضعيفان خرد
كه از حاكمان سخت آيد سخن ... تو برزير دستان درشتى مكن
مهازور مندى مكن بركهان ... كه بريك نمط مى نماند جهان

[لقمانرا كفتند ادب از كه آموختى كفت ازبى ادبان كه هرچه از ايشان درنظرم ناپسند آمد ازان فعل پرهيز كردم]:

نكويند ازسر بازيچه حرفى ... كزان پندى نكيرد صاحب هوش
وكر صد باب حكمت پيش نادان ... بخوانند آيدش بازيچه در كوش

وعن علي رضي الله عنه: الحكمة ضالة المؤمن فالتقفها ولو من أفواه المشركين، يعني: [مرد مؤمن هميشه طالب حكمت بود چنانكه طالب كم كردهٔ خويش بود] قال عيسى عليه السلام: لا تقولوا العلم في السماء من يصعد يأتي به ولا في تخوم الأرض من ينزل يأتي به ولا من وراء البحر من يعبر يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي الله بآداب

الروحانيين يظهر عليكم كما في «شرح منازل السائرين». ومن آداب الروحانيين ترك الأمور الطبيعية والقيام في مقام الصمدية [عابدى را حكايت كنند كه هرشب ده من طعام بخوردى وتابسحر ختمى درنماز بكردى صاحب دلى بشنيد وكفت اكر نيم من بخوردى وبخفتى بسيار ازين فاضلتر بودى:

اندرون از طعام خالى دار — تادرو نور معرفت بينى

تهى از حكمتى بعلت آن — كه پرى از طعام تابينى

واعلم أن الحكمة قد تكون متلفظاً بها كالأحكام الشرعية المتعلقة بظواهر القرآن وقد تكون مسكوتاً عنها كالأسرار الإلهية المستورة عن غير أهلها المتعلقة ببواطن القرآن فمن لج في الطلب من طريقه ولج في المعرفة بفضل الله تعالى وتوفيقه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾.

﴿ألم تروا﴾ ألم تعلموا يا بني آدم **﴿أن الله سخر لكم﴾** التسخير سياقة الشيء إلى الغرض المختص به قهراً **﴿ما في السموات﴾** من الكواكب السيارة مثل الشمس والقمر وغيرهما والملائكة المقربين بأن جعلها أسباباً محصلة لمنافعكم ومراداتكم فتسخير الكواكب بأن الله تعالى سيرها في البروج على الأفلاك التي دبر لكل واحد منها فلكاً وقدر لها القرانات والاتصالات وجعلها مدبرات العالم السفلي من الزماني مثل الشتاء والصيف والخريف والربيع ومن المكاني مثل المعدن والنبات والحيوان والإنسان وظهور الأحوال المختلفة بحسب سير الكواكب على الدوام لمصالح الإنسان ومنافعهم منها. قال الكاشفي: [رام ساخت براى نفع شما آنچه در آسمانهاست از آفتاب وماه وستاره تا از روشنىء ايشان بهره مندشويد]:

ز مشرق بمغرب مه وآفتاب — روان كرد وكسترد كيتى بر آب

[واز ستاركان تابدايشان راه بريد] كما قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] وتسخير الملائكة بأن الله تعالى من كمال قدرته وحكمته جعل كل صنف من الملائكة موكلين على نوع من المدبرات وعوناً لها كالملائكة الموكلين على الشمس والقمر والنجوم وأفلاكها والموكلين على السحاب والمطر. وقد جاء في الخبر «إن على كل قطرة من المطر موكلاً من الملائكة لينزلها حيث أمر» والموكلين على البحور والفلوات والرياح والملائكة الكتاب للناس الموكلين عليهم ومنهم المعقبات من بين أيديهم ومن خلفهم يحفظونهم من أمر الله حتى جعل على الأرحام ملائكة فإذا وقعت نطفة الرجل في الرحم يأخذها الملك بيده اليمنى وإذا وقعت نطفة المرأة يأخذها الملك بيده اليسرى فإذا أمر بمشجها يمشج النطفتين وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢] والملائكة الموكلين على الجنة والنار كلهم مسخرون لمنافع الإنسان ومصالحهم حتى الجنة والنار مسخرتان لهم تطميعاً وتخويفاً لأنهم يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وكذا سخر ما في سموات القلوب من الصدق والإخلاص والتوكل واليقين والصبر والشكر وسائر المقامات القلبية والروحانية والمواهب الربانية وتسخيرها بأن يسر لمن يسر له العبور عليها بالسير والسلوك المتداركة بالجذبة والانتفاع بمنافعها والاجتناب عن

مضارها ﴿وما في الأرض﴾ من الجبال والصحارى والبحار والأنهار والحيوانات والنباتات والمعادن بأن مكنكم من الانتفاع بها بوسط أو بغير وسط وكذا سخر ما في أرض النفوس من الأوصاف الذميمة مثل الكبر والحسد والحقد والبخل والحرص والشره والشهوة وغيرها وتسخيرها بتبديلها بالأخلاق الحميدة والعبور عليها والتمتع بخواصها محترزاً عن آفاتها ﴿وأسبغ عليكم﴾ أتم وأكمل ﴿نعمه﴾ جمع نعمة وهي في الأصل الحالة الطيبة التي يستلزها الإنسان فأطلقت للأمور اللذيذة الملائمة للطبع المؤدية إلى تلك الحالة الطيبة ﴿ظاهرة﴾ أي: حال كون تلك النعم محسوسة مشاهدة مثل حسن الصورة وامتداد القامة وكمال الأعضاء.

دهد نطفه را صورتى چون پرى   كه كر دست برآب صورتكرى

والحواس الظاهرة: من السمع والبصر والشم والذوق واللمس والنطق وذكر اللسان والرزق والمال والجاه والخدم والأولاد والصحة والعافية والأمن ووضع الوزر ورفع الذكر والأدب الحسن ونفس بلا ذلة وقدم بلا ذلة والإقرار والإسلام من نطق الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج والقرآن وحفظه ومتابعة الرسول والتواضع لأولياء الله والإعراض عن الدنيا ويبين آياته للناس وأنتم الأعلون يعني النصرة والغلبة وغير ذلك مما يعرفه الإنسان. ﴿وباطنة﴾ ومعقولة غير مشاهدة بالحس كنفخ الروح في البدن وإشراقه بالعقل والفهم والفكر والمعرفة وتزكية النفس عن الرذائل وتحلية القلب بالفضائل ولذا قال عليه السلام: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي» ومحبة الرسول وزينه في قلوبكم والسعادة السابقة وأولئك المقربون وشرح الصدر وشهود المنعم وإمداد الملائكة في الجهاد ونحوه وصحة الدين والبصيرة وصفاء الأحوال والولاية فإنها باطنة بالنسبة إلى النبوة والفطرة السليمة وطلب الحقيقة والاستعداد لقبول الفيض واتصال الذكر على الدوام والرضى والغفران وقلب بلا غفلة وتوجه بلا علة وفيض بلا قلة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة قال: «أما الظاهرة: فالإسلام وما حَسُنَ من خلقك وما أفضل عليك من الرزق وأما الباطنة فما ستر من سوء عملك ولم يفضحك به».

پس پرده بيند عملهاى بد   هم او پرده پوشد بآلاى خود

«يا ابن عباس يقول الله تعالى: إني جعلت للمؤمن ثلث صلاة المؤمنين عليه بعد انقطاع عمله أكفر به عنه خطاياه وجعلت له ثلث ماله ليكفر به عنه خطاياه وسترت عليه سوء عمله الذي لو قد أريته للناس لنبذه أهله فمن سواهم» ﴿ومن الناس﴾ أي: وبعض الناس فهو مبتدأ خبره قوله ﴿من يجادل﴾ ويخاصم يقال جدلت الحبل إذا أحكمت فتله ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه ﴿في الله﴾ في توحيده وصفاته ويميل إلى الشرك حيث يزعم أن الملائكة بنات الله. وقال الكاشفي: ﴿في الله﴾ [دركتاب خداى يعنى نضر بن الحارث كه ميكفت افسانهء پيشينيانست. ودر عين المعاني آورده كه يكى از يهود از حضرت رسالت پناه عليه السلام پرسيدكه خداى تو ازتو چيزست في الحال اورا صاعقه كرفت واين آيت آمدكه كسى بودكه مجادله كند در ذات حق] ﴿بغير علم﴾ مستفاد من دليل ﴿ولا هدى﴾ من جهة الرسول ﴿ولا كتاب﴾ أنزله الله تعالى ﴿منير﴾ مضيء له بالحجة بل يجادل بمجرد التقليد كما قال:

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى ﴿اتبعوا ما أنزل الله﴾ على نبيه

من القرآن الواضح والنور البين فآمنوا به ﴿**قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا**﴾ الماضين يريدون به عبادة الأصنام يقول الله تعالى في جوابهم: ﴿**أولو كان الشيطان يدعوهم**﴾ الاستفهام للإنكار والتعجب من التعلق بشبهة هي في غاية البعد من مقتضى العقل والضمير عائد إلى الآباء والجملة في حيز النصب على الحالية. والمعنى أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم بما هم عليه من الشرك ﴿**إلى عذاب السعير**﴾ فهم مجيبون إليه حسبما يدعوهم والسعر التهاب النار وعذاب السعير أي: الحميم كما في «المفردات». وفي الآية منع صريح من التقليد في الأصول أي: التوحيد والصفات والتقليد لغة وضع الشيء في العنق محيطاً به ومنه القلادة ثم استعمل في تفويض الأمر إلى الغير كأنه ربطه بعنقه واصطلاحاً قبول قول الغير بلا حجة فيخرج الأخذ بقوله عليه السلام لأنه حجة في نفسه. وفي «التعريفات»: التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقية فيه من غير نظير وتأمل في الدليل كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه انتهى. فالتقليد جائز في الفروع والعمليات ولا يجوز في أصول الدين والاعتقاديات بل لا بد من النظر والاستدلال لكن إيمان المقلد ظاهر عند الحنفية والظاهرية وهو الذي اعتقد جميع ما يجب عليه من حدوث العالم ووجود الصانع وصفاته وإرسال الرسل وما جاءوا به حقاً من غير دليل لأن النبي عليه السلام قبل إيمان الإعراب والصبيان والنسوان والعبيد والإماء من غير تعليم الدليل ولكنه يأثم بترك النظر والاستدلال لوجوبه عليه. قال في «فصل الخطاب»: من نشأ في بلاد المسلمين وسبح الله عند رؤية صنائعه فهو خارج عن حد التقليد يعني إن مثل هذا المقلد لو ترك الاستدلال لا يأثم كمن في شاهق جبل فإن تسبيحه عند رؤية المصنوعات عين الاستدلال فكأنه يقول الله خالق هذا النمط البديع ولا يقدر أحد غيره على خلق مثل هذا فهو استدلال بالأثر على المؤثر وإثبات للقدرة والإرادة وغير ذلك فالاستدلال هو الانتقال من المصنوع إلى الصانع لا ملاحظة الصغرى والكبرى وترتيب المقدمات للإنتاج على قاعدة المعقول وعلى هذا فالمقلد في هذا الزمان نادر. وفي الآية إشارة إلى أن من سلك طريق المعرفة بالعقل القاصر فهو مقلد لا يصح الاقتداء به.

خواهى بصوب كعبهٔ تحقيق ره برى — پى برپى مقلد كم كرده ره مرو

فلا بد من الاقتداء بصاحب ولاية عالم رباني واقف على أسرار الطريقة عارف بمنازل عالم الحقيقة مكاشف عن حقائق القرآن مطلع على معاني الفرقان فإنه يخرج بإذن الله تعالى من الظلمات الإنسانية إلى النور الرباني ويخلص من عذاب النفس الأمارة ويشرف بنعيم القلب فإن كان مطلبك أيها السالك هو المطلب الحقيقي فإن طريقه بعيد وبرازخ منازله كثيرة لا يقدر أهل الجدل وأرباب العقول المشوبة بالوهم والخيال والشبهات على دلالة تلك الطريق فأين الثريا من يد المتطاول فهم إنما يصيدون الريح لا العنقاء إذ العنقاء في قاف الوجود وحقائق الوجود لا يعرفها إلا أهل المعرفة والشهود نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم من العاملين بأحكام القرآن العظيم والمتأدبين بآداب الكلام القديم والواصلين إلى أنواره والمصاحبين بمن يتحقق بأسراره.

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾ من شرطية معناها بالفارسية [هركه ما] واسلم إذا عدي بإلى يكون بمعنى سلم وإذا عدي باللام تضمن معنى الإخلاص والوجه بمعنى الذات. والمعنى ومن يسلم نفسه إلى الله تسليم المتاع للعامل بأن فوض أمره إليه وأقبله بكليته عليه ﴿وهو محسن﴾ والحال أنه محسن في عمله آت به على الوجه اللائق الذي هو حسنه الوصفي المستلزم لحسنه الذاتي ولا يحصل ذلك غالباً إلا عن مشاهدة ولذا فسر النبي عليه السلام «الإحسان»: بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾. قال في «المفردات»: إمساك الشيء التعلق به وحفظه واستمسكت بالشيء إذا تحريت بالإمساك انتهى. والاستمساك بالفارسية [چنك درزدن] كما في «تاج المصادر». والعروة بالضم ما يعلق به الشيء من عروته بالكسر أي: ناحيته والمراد مقبض نحو الدلو والكوز. والوثقى الموثقة المحكمة تأنيث الأوثق كالصغرى تأنيث الأصغر والشيء الوثيق ما يأمن صاحبه من السقوط. والمعنى فقد تعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب وأقواه، وبالفارسية: [دست درزد استوارتر كوشهٔ وبدست آويز محكم] وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من أراد أن يترقى إلى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلى منه بحيث لا يخاف انقطاعه ﴿وإلى الله﴾ لا إلى أحد غيره ﴿عاقبة الأمور﴾ عاقبة أمر المتوكل وأمر غيره فيجازيه أحسن الجزاء، وبالفارسية [وبالله كردد سر انجام همه كار وچنان بود كه او خواهد].

﴿ومن كفر﴾ [وهركه نكردد چنك در عروهٔ وثقى نزند] ﴿فلا يحزنك كفره﴾ فإنه لا يضرك في الدنيا والآخرة يقال احزنه من المزيد ويحزنه من الثلاثي وأما حزن الثلاثي ويحزن المزيد فليس بشائع في الاستعمال ﴿إلينا﴾ لا إلى غيرنا ﴿مرجعهم﴾ رجوعهم ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه ﴿فننبئهم بما عملوا﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الموضعين باعتبار لفظه ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ أي: الضمائر والنيات المصاحبة بالصدر فيجازي عليها كما يجازي على الأعمال الظاهرة.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿نمتعهم﴾ أي: الكافرين بمنافع الدنيا ﴿قليلاً﴾ تمتيعاً قليلاً أو زماناً قليلاً، وبالفارسية: [برخور دارى دهم ايشانرا بنعمت وسرور زمانى اندك كه زود انقطاع يابد] فان ما يزول وإن كان بعد أمد طويل بالنسبة إلى ما يدوم قليل ﴿ثم نضطرهم﴾ الاضطرار حمل الإنسان على ما يضره وهو في التعارف حمل على أمر يكرهه أي: نلجئهم ونردهم في الآخرة قهراً، وبالفارسية: [پس بياريم ايشانرا به بيچاركى يعني ناچار بيايند] ﴿إلى عذاب غليظ﴾ يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو نضم إلى الإحراق الضغط والتضييق.

وفي «التأويلات النجمية»: غلظة العذاب عبارة عن دوامه إلى الأبد انتهى. والغليظ ضد الرقيق وأصله أن يستعمل في الأجسام لكن قد يستعار للمعاني كما في «المفردات».

﴿ولئن سألتهم﴾ أي: الكافرين ﴿من خلق السموات والأرض﴾ أي: الأجرام العلوية والسفلية ﴿ليقولن﴾ خلقهن ﴿الله﴾ لغاية وضوح الأمر بحيث اضطروا إلى الاعتراف به ﴿قل

﴿الحمد لله﴾ على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضاً **﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾** شيئاً من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم بأن يتركوا الشرك ويعبدوا الله وحده.

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿لله ما في السموات والأرض﴾ فلا يستحق العبادة فيهما غيره **﴿إن الله هو الغني﴾** بذاته وصفاته قبل خلق السموات والأرض وبعده لا حاجة به في وجوده وكماله الذاتي إلى شيء أصلاً وكلمة هو للحصر أي: هو الغني وحده وليس معه غني آخر دليله قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] **﴿الحميد﴾** المحمود في ذاته وصفاته وإن لم يكن له حامد فهو الحامد لنفسه:

اى غنى درذات خود ازما سواى خويشتن
خود توميكويى بحمد خود ثناى خويشتن

وفي الأربعين الإدريسية: يا حميد الفعال ذا المنّ على جميع خلقه بلطفه. قال السهروردي رحمه الله من داوم على هذا الذكر يحصل له من الأموال ما لا يمكن ضبطه. وفي الآيات أمور:

منها أن التفويض والتوكل وإخلاص القصد والإعراض عما سوى الله والإقبال على الله بالتوحيد والطاعة من موجبات حسن العاقبة وهي الجنة والقربة والوصلة كما أن الكفر والشرك والرياء والسمعة من أسباب سوء العاقبة وهي النار والعذاب الغليظ والفرقة والقطيعة، قال الشيخ العطار قدس سره:

زر وسيم وقبول كار وبارت نيايد دردم آخر بكارت
اكراخلاص باشد آن زمانت بكارآيد وكرنه واى جانت

وفي «البستان»:

شنيدم كه نا بالغى روزه داشت بصد محنت آورد روزى بچاشت
پدر ديده بوسيد وما درسرش فشاندند بادام وزر برسرش
چو بروى كذر كرديك نيم روز فتاد اندر روز آتش معده سوز
بدل كفت اكر لقمه چندى خورم چه داند پدر غيب يا مادرم
چو روى پسر درپدر بود وقوم نهان خورد وپيدا بسر برد صوم
پس اين پير ازان طفل نادانترست كه ازبهر مردم بطاعت درست.

فالتمسك بأحكام الدين هي العروة الوثقى لأهل اليقين فإنها لا تنفصم بخلاف سائر العرى.

ومنها: أن ليس لعمر الدنيا بقاء بل هي ساعة من الساعات. فعلى العاقل أن لا يغتر بالتمتع القليل بل يتأهب لليوم الطويل.

دريغاكه بكذشت عمر عزيز بخواهد كذشت اين دمى چندنيز
كنون وقت تخمست اكر پرورى كر اميد دارى كه خر من برى

ومنها: أن الله تعالى قدر المقادير ودبر الأمور فالكل يجري في الأفعال والأحوال على قضائه وقدره وليس على الناصح إلا التبليغ دون الجبر والحزن على عدم القبول فإن الحجر لا يصير مرآة بالصيقل.

توان پاك كردن ز ژنك آينه ولیكن نیاید زسنك آينه

ومنها أن عدم الجريان بموجب العلم من الجهل في الحقيقة.

كرهمه علم عالمت باشد بى عمل مدعى وكذابى

ومنها: أن الله تعالى خلق الخلق ليربحوا عليه لا ليربح عليهم فمنفعة الطاعات والعبادات راجعة إلى العباد لا إلى الله تعالى إذ هو غني عن العالمين لا ينتفع بطاعاتهم ولا يتضرر بمعاصيهم فهو يمنّ عليهم أن هداهم للإيمان والطاعات وليس لهم أن يمنوا عليه بإسلامهم جعلنا الله وإياكم من عباده المخلصين وحفظنا في حصنه الحصين من عونه وتوفيقه الرصين.

﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام﴾ جواب لليهود حين سألوا رسول الله ﷺ أو أمروا وفد قريش أن يسألوه عن قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شيء يعني أن علم التوراة وسائر ما أوتي الإنسان من الحكمة والمعرفة وإن كان كثيراً بالنسبة إليهم لكنه قطرة من بحر علم الله. وقال قتادة: قال المشركون القرآن يوشك أن ينفد وينقطع فنزلت. وقوله: ﴿من شجرة﴾ حال من الموصول وهي ماله ساق وتوحيدها لما أن المراد تفصيل الأحاد يعني أن كل فرد من جنس الشجر بحيث لا يبقى منه شيء لو برى قلماً وأصل القلم القص من الشيء الصلب كالظفر وخص ذلك بما يكتب به. وفي «كشف الأسرار»: سمي قلماً لأنه قط رأسه والإقليم القطعة من الأرض وتقليم الأظفار قطعها. والفرق بين القط والقدّ أن القط القطع عرضاً والقدّ القطع طولاً والقطع فصل الجسم بنفوذ جسم آخر فيه. والمعنى: لو ثبت أن الأشجار أقلام ﴿والبحر﴾ أي: والحال أن البحر المحيط بسعته وهو البحر الأعظم الذي منه مادة جميع البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه إلا الله تعالى والبحار التي على وجه الأرض خلجان منه وفي هذا البحر عرش إبليس لعنه الله وفيه مدائن تطفو على وجه الماء وأهلها من الجن في مقابلة الربع الخراب من الأرض وفي هذا البحر ينبت شجر المرجان كسائر الأشجار في الأرض وفيه من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمه إلا الله تعالى وهو أي: البحر مبتدأ خبره قوله ﴿يمده﴾ أي: يزيده وينصب فيه من مد الدواة جعلها ذات مداد وزاده فيها فلذا أغنى عن ذكر المداد ﴿من بعده﴾ أي: من بعد نفاده وفنائه ﴿سبعة أبحر﴾ نحو بحر الصين وبحر تبت كسكر على ما في «القاموس» وبحر الهند وبحر السند وبحر فارس وبحر الشرق وبحر الغرب والله أعلم. قال في «أسئلة الحكم»: إن الله زين الدنيا بسبعة أبحر وسبعة أقاليم انتهى ولم يتعرضوا لتعداد الأبحر فيما رأينا وقد استخرجناها من موضعها بطريق التقريب وأجرينا القلم فيها ويحتمل أن يكون المراد الأنهار السبعة من الفرات ودجلة وسيحان وسيحون وجيحان وجيحون والنيل لأن البحر عند العرب هو الماء الكثير. وقال الكاشفي: ﴿سبعة أبحر﴾ [هفت درياى ديكر مانند او] انتهى فيكون ذكر العدد للتكثير كما لا يخفى. وفي «الإرشاد» إسناد المد إلى الأبحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأطم لأنها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية وإليها تنصب الأنهار العظام أولاً ومنها تنصب إلى البحر المحيط ثانياً. والمعنى يمده الأبحر السبعة

مداً لا ينقطع أبداً وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله **﴿ما نفدت كلمات الله﴾** أي: ما فنيت متعلقات علمه وحكمته ونفدت تلك الأقلام والمداد وقد سبق تحقيقه في أواخر سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية وإيثار جمع القلة في الكلمات للإيذان بأن ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: لو أن ما في الأرض من الأشجار أقلام والبحر يصير مداداً وبمقدار ما يقابله ينفق القرطاس ويتكلف الكتاب حتى تنكسر الأقلام وتفنى البحار وتستوفى القراطيس ويفنى عمر الكتاب ما نفدت معاني كلام الله تعالى لأن هذه الأشياء وإن كثرت فهي متناهية ومعاني كلامه لا تتناهى لأنها قديمة والمحصور لا يفي بما لا حصر له انتهى وقد قصر من جعل الأرض قرطاساً. وفي الآية إشارة ظاهرة إلى قدم القرآن فإن عدم التناهي من خاصية القديم. وجاء في حق القرآن «ولا تنقضي عجائبه» أي: لا ينتهي أحد إلى كنه معانيه العجيبة وفوائده الكثيرة. وفي الآية إشارة أيضاً إلى أن كلمات الحكماء الإلهية وعلومهم لا تنقطع أبداً لأنها من عيون الحكمة كما أن ماء العين لا ينقطع عن عينه وكيف ينقطع وحكمة الحكيم تلقين من رب العالمين وفيض من خزائنه وخزائنه لا تنفد كما دلت عليه الآية ولبعض العارفين تجلي برقيّ يعطي في مقدار طرفة عين من العلوم ما لا نهاية له وإذا كان حاله هذا في جزء يسير من الزمان فما ظنك بحاله في مدة عمره **﴿إن الله عزيز﴾** لا يعجزه شيء **﴿حكيم﴾** لا يخرج عن علمه وحكمته أمر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما. وخاصية الاسم العزيز وجود الغنى والعز صورة ومعنى فمن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أغناه الله وأعزه فلم يحوجه إلى أحد من خلقه والتقرب بهذا الاسم في التمسك بمعناه وذلك برفع الهمة عن الخلائق وهو عزيز جداً. وخاصية الاسم الحكيم دفع الدواهي وفتح باب الحكمة من أكثر ذكره صرف عنه ما يخشاه من الدواهي وفتح له باب من الحكمة والتقرب بهذا الاسم تعلقاً أن تراعى حكمته في الأمور مقدماً ما جاء شرعاً ثم عادة فتسلم من معارض شرعي وتخلقاً أن تكون حكيماً والحكمة في حقنا الإصابة في القول والعمل وقد سبق في أول قصة لقمان.

واعلم أن في خلق البحار والأنهار والجزائر ونحوها حكماً ومصالح تدل على عظم ملكه تعالى وسعة سلطانه وليس من بر ولا بحر إلا وفيه خلق من الخلائق يعبد الله تعالى على أن الاسكندر وصل إلى جزيرة الحكماء وهي جزيرة عظيمة فرأى بها قوماً لباسهم ورق الشجر وبيوتهم كهوف في الصخر والحجر فسألهم مسائل في الحكمة فأجابوا بأحسن جواب وألطف خطاب لما أنهم من مظاهر الاسم الحكيم فقال لهم: سلوا حوائجكم لتقضى فقالوا له: نسألك الخلد في الدنيا فقال: وأنى به لنفسي ومن لا يقدر على نفس من أنفاسه كيف يبلغكم الخلد فقال كبيرهم: نسألك صحة في أبداننا ما بقينا فقال: وهذا أيضاً لا أقدر عليه قالوا فعرّفنا بقية أعمارنا فقال: لا أعرف ذلك لروحي فكيف بكم؟ فقالوا له: فدعنا نطلب ذلك ممن يقدر على ذلك وأعظم من ذلك وجعل الناس ينظرون إلى كثرة الجنود أي: جنود الاسكندر وعظمة موكبه وبينهم شيخ صعلوك لا يرفع رأسه فقال الإسكندر: مالك لا تنظر إلى ما ينظر إليه الناس؟ قال الشيخ: ما أعجبني الملك الذي رأيته قبلك حتى أنظر إليك وإلى ملكك فقال الاسكندر: وما ذاك؟ قال الشيخ: كان عندنا ملك وآخر صعلوك فماتا في يوم واحد فغبت عنهما مدة ثم جئت إليهما واجتهدت أن أعرف الملك من المسكين فلم أعرفه فتركهم وانصرف.

قال الشيخ العطار قدس سره:

چه ملكت اين وتوچه پادشاهى — كه باشير اجل بر مى نيايى
اكر تو في المثل بهرام زورى — بروزوا پسين بهرام كورى
حوملك اين جهان ملكى رونده است — بملك آن جهان شد هركه زنده است
اكر آن ملك خواهى اين فداكن — كه بابراهيم ادهم اقتداكن
رباط كهنه دنيا در انداخت — جهاندارى بدرويشى فروباخت
اكرچه ملك دنيا پادشاييست — ولى چون بنكرى اصلش كداييست

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿ما خلقكم﴾ قال مقاتل وقتادة: إن كفار قريش قالوا: إن الله خلقنا أطواراً نطفة علقة مضغة لحماً فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة فأنزل الله هذه الآية وقال: ما خلقكم أيها الإنسان مع كثرتكم. وقال الكاشفي: [نيست آفريدن شما اى اهل مكة] **﴿ولا بعثكم﴾** إحياؤكم وإخراجكم من القبور، وبالفارسية: [ونه برانكيختن شما بعدا ازمرك] **﴿إلا كنفس واحدة﴾** إلا كخلقها وبعثها في سهولة الحصول إذ لا يشغله شأن عن شأن لأنه يكفي لوجود الكل تعلق إرادته وقدرته قلوا أو كثروا ويقول: كن فيكون. وقال الكاشفي: يعني [حق سبحانه وتعالى در خلق اشيا بآلات وادوات احتياج ندارد بلكه اسرافيل را كويد بكوبر خيز نداز كورها بيك دعوت او همه خلائق از كور بابيرون آيند] ومثاله في الدنيا أن السلطان يضرب النقارة عند الرحيل فيتهيأ الكل في ساعة واحدة **﴿إن الله سميع﴾** يسمع كل مسموع فيدخل فيه ما قالوا في أمر الخلق والبعث مما يتعلق بالإنكار والاستبعاد **﴿بصير﴾** يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث. وقال بعضهم: بصير بأحوال الأحياء والأموات.

پس بقدرت چنين كس عجز راراه نيست
قدرت بى عجز ندادى بكس
قدرت بى عجز توداری وبس

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ألم تر﴾ ألم تعلم يا من يصلح للخطاب علماً قوياً جارياً مجرى الرؤية. **﴿أن الله﴾** بقدرته وحكمته **﴿يولج الليل في النهار﴾** الولوج الدخول في مضيق والإيلاج الإدخال أي: يدخل الليل في النهار ويضيفه إليه بأن يزيد من ساعات الليل في ساعات النهار صيفاً بحسب مطالع الشمس ومغاربها، يعني: [ازوقت نزول آفتاب بنقطه شتوى تازمان حلول أو بنقطه انقلاب صيفي از اجزاى شب مى كاهد ودر اجزاى روز مى افزايد تاروزى كه دراول جدى، اقصر أيام سنه دراول سرطان اطول ايام سنه ميشود] يعني يصير النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات. قال عبد الله بن سلام: أخبرني يا محمد عن الليل لِمَ سمي ليلاً قال: «لأنه منال الرجال من النساء جعله الله الفة ومسكناً ولباساً» قال: صدقت يا محمد ولِمَ سمي النهار نهاراً قال: «لأنه محل طلب الخلق لمعايشهم ووقت سعيهم واكتسابهم» قال: صدقت

﴿**ويولج النهار في الليل**﴾ أي: يدخله فيه ويضم بعض أجزائه إليه بأن يزيد من ساعات النهار في ساعات الليل شتاء بحسب المطالع والمغارب، يعني: [درباقى سنه ازاجزاى روز كم مى كند واجزاى شب را بدان زياده مى زاد تاشبى كه در آخر جوزا اقصر ليالى بود در آخر قوس اطول ليالى ميشود]، يعني: يصير الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات ووجدت مملكة في خط الاستواء لها ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن في سنة واحدة وفي بعضها ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد وممالك الأقاليم السبعة التي ضبط عددها في زمن المأمون ثلاثمائة وثلاث وأربعون مملكة منها ثلاثة أيام وهي أضيقها وثلاثة أشهر وهي أوسعها والمملكة سلطان الملك وبقاعه التي يتملكها ﴿**وسخر الشمس والقمر**﴾ [رام كرد رفتاب وماه راكه سبب منافع الخلق اند]. قال عبد الله بن سلام: أخبرني يا محمد عن الشمس والقمر أهما مؤمنان أم كافران؟ قال عليه السلام: «مؤمنان طائعان مسخران تحت قهر المشيئة» قال: صدقت قال فما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور قال: «لأن الله محا آية الليل وجعل آية النهار ومبصرة نعمة منه وفضلاً ولولا ذلك لما عرف الليل من النهار» والجملة عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر أمر متجدد في كل حين وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه ولا تجدد وإنما التعدد والتجدد في آثاره وقد أشير إلى ذلك حيث قيل: ﴿**كل**﴾ من الشمس والقمر ﴿**يجري**﴾ بحسب حركته الخاصة القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام جرياً مستمراً ﴿**إلى أجل مسمى**﴾ قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روي عن الحسن فإنهما لا ينقطع جريهما إلا حينئذٍ وذلك لأنه تموت الملائكة الموكلون عليهما فيبقى كل منهما خالياً كبدن بلا روح ويطمس نورهما فيلقيان في جهنم ليظهر لعبدة الشمس والقمر والنار أنها ليست بآلهة ولو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها فالجملة اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتها الخاصة بهما في فلكهما والأجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهراً فالجملة حينئذٍ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية إيلاج أحد الملوين في الآخر وكون ذلك بحسب انقلاب جريان الشمس والقمر على مداراتهما اليومية ﴿**وأن الله بما تعملون خبير**﴾ عالم بكنهه عطف على أن الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية فإن من شاهد ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه محيطاً بجلائل أعماله ودقائقها.

﴿**ذلك**﴾ المذكور من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها ﴿**بأن الله**﴾ أي: بسبب أن الله تعالى ﴿**هو الحق**﴾ الهيته فقط ﴿**وأن ما يدعون**﴾ يعبدون ﴿**من دونه**﴾ تعالى من الأصنام ﴿**الباطل**﴾ الهيته لا يقدر على شيء من ذلك فليس في عبادته نفع أصلاً والتصريح بذلك مع أن الدلالة على اختصاص حقية الهيته به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لإبراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد ﴿**وأن الله هو العلي**﴾ المرتفع عن كل شيء ﴿**الكبير**﴾ المتسلط عليه يحتقر كل في جنب كبريائه. قال في «شرح حزب البحر»: من علم أنه العلي الذي ارتفع فوق كل شيء علوه مكانة وجلالاً يرفع همته إليه ولا يختار سواه ويحب معالي الأمور ويكره سفسافها. وعن علي رضي الله عنه علو الهمة من الإيمان.

قال الحافظ:

همايى چون توعالى قدر حرص استخوان حيفست

دريغا سايهٔ همت كه برنا اهل افكندى

ومن عرف كبرياءه ونسي كبرياء نفسه تعلق بعروة التواضع والإنصاف ولزم حفظ الحرمة. وفي «الأربعين الإدريسية»: يا كبير أنت الذي لا تهتدي العقول لوصف عظمته. قال السهروردي: إذا أكثر منه المديان أدى دينه واتسع رزقه وأن ذكره معزول عن رتبة سبعة أيام كل يوم ألفاً وهو صائم فإنه يرجع إلى مرتبته ولو كان ملكاً ثم في قوله: ﴿وأن ما يدعون من دونه الباطل﴾ إشارة إلى أن كل ما يطلب من دونه تعالى هو الباطل فلا بد من تركه بالاختيار قبل الفوت بالاضطرار ومن المبادرة إلى طلب العلي الكبير قبل فوات الفرصة.

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف   كه فرصت عزيزاست والوقت سيف

نكه دار فرصت كه عالم دميست   دمى پيش دانا به از عالميست

نسأل الله التدارك.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ألم تر﴾ رؤية عيانية أيها الذي من شأنه الرؤية والمشاهدة ﴿أن الفلك﴾ بالفارسية [كشتى] ﴿تجري﴾ [مى رود]. قال في «المفردات» الجري المر السريع وأصله لمر الماء ولما يجري بجريه ﴿في البحر﴾ [دردريا] ﴿بنعمة الله﴾ الباء للصلة أي: متعلقة بتجري أو للحال أي: متعلقة بمقدر هو حال من فاعله أي: ملتبسة بنعمته تعالى وإحسانه في تهيئة أسبابه. وقال الكاشفي: [بمنت واحسان او آنرا بروروى آب نكه ميدارد بادرا براى رفتن او ميفرستد]. وفي «الأسئلة المفخمة» برحمة الله حيث جعل الماء مركباً لكم لتقريب المزار ﴿ليريكم﴾ [تابنمايد شمارا] ﴿من آياته﴾ أي: بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وبعض عجائبه وهو في الظاهر سلامتهم في السفينة كما قيل لتاجر ما أعجب ما رأيته من عجائب البحر قال: سلامتي منه وفي الحقيقة سلامة السالكين في سفينة الشريعة بملاحية الطريقة في بحر الحقيقة ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من أمر الفلك والبحر ﴿لآيات﴾ عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها ﴿لكل صبار﴾ مبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الأنفس والآفاق ﴿شكور﴾ مبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قيل لكل مؤمن وأنه وصفه بهما لأن أحسن خصاله الصبر والشكر والإيمان نصفان نصف للصبر ونصف للشكر.

واعلم: أن الصبر تحمل المشاق بقدر القوة البدنية وذلك في الفعل كالمشي ورفع الحجر كما يحصل للجسوم الخشنة وفي الانفعال كالصبر على المرض واحتمال الضرب والقطع وكل ذلك ليس بفضيلة تامة بل الفضيلة في الصبر عن تناول مشتهى لإصلاح الطبيعة والصبر على الطاعات لإصلاح النفس فالصبر كالدواء المر وفيه نفع.

طبيب شربت تلخ ازبراى فائده ساخت

والشكر تصور النعمة بالقلب والثناء على المنعم باللسان والخدمة بالأركان وجعل الصبر مبدأ والشكر منتهى يدل على كون الشكر أفضل من الصبر فإن من صبر فقد ترك إظهار الجزع

ومن شكر فقد تجاوز إلى إظهار السرور بما جزع له الصابر فكم من فرق بين حبس النفس على مقاساة البلاء وهو الصبر وبين عدم الالتفات إلى البلاء بل يراه من النعماء وهو الشكر وفي وصف الأولياء:

خوشا وقت شوريد كان غمش ... اكر زخم بينند اكر مرهمش
دمادم شراب الم در كشند ... وكر تلخ بينند دم در كشند
نه تلخ است صبرى كه برياد اوست ... كه تلخى شكر باشد ازدست دوست

﴿وإذا غشيهم﴾ غشيه ستره وعلاه والضمير لمن ركب البحر مطلقاً أو لأهل الكفر أي: علاهم وأحاط بهم ﴿موج﴾ هو ما ارتفع من الماء ﴿كالظلل﴾ كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما، وبالفارسية: [موج دريا كه دربزركى مانند سايبانها يا مثل كوهها يا ابراها] جمع ظلة بالضم، وبالفارسية: [سايبان] كما قال في «المفردات» الظلة شيء كهيئة الصفة وعليه حمل قوله تعالى: ﴿موج كالظلل﴾ وذلك موج كقطع السحاب انتهى. وفي «كشف الأسرار» كل ما أظلك من شيء فهو ظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهو جمع لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء ﴿دعوا الله﴾ [خوانند خدايرا] حال كونهم ﴿مخلصين له الدين﴾ أي: الدعاء والطاعة لا يذكرون معه سواه ولا يستغيثون بغيره لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد والإخلاص أفراد الشيء من الشوائب ﴿فلما نجاهم﴾ الله تعالى ﴿إلى البر﴾ وجاد بتحقيق مناهم بسبب إخلاصهم في الدعاء، وبالفارسية: [پس آن هنكام كه برهاند ايشانرا وبرساندبسلامت بسوى صحرا وبيابان] ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي: مقيم على الطريق القصد وهو التوحيد أو متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة. قال بعضهم لما كان يوم فتح مكة: أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وقال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح» فأما عكرمة فهرب إلى البحر فأصابتهم ريح عاصف فقال أهل السفينة: اخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هٰهنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص فما ينجيني في البر غيره اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلاجدن عفوّاً كريماً فسكنت الريح فرجع إلى مكة فأسلم وأحسن إسلامه.

قضا كشتى آنجا كه خواهد برد ... وكرنا خدا جامه برتن درد
كرت بيخ اخلاص در بوم نيست ... ازين در كسى چون تومحروم نيست
سلامت در اخلاص اعمال هست ... شود زورق زرق كاران شكست

﴿وما يجحد بآياتنا﴾ [وانكار نكنند نشانهاى قدرت مارا] ﴿إلا كل ختار﴾ غدار فإنه نقض للعهد الفطري أو رفض لما كان في البحر. والختر أسوء الغدر وأقبحه. قال في «المفردات» الختر غدر يختر فيه الإنسان أي: يضعف ويكسر لاجتهاده فيه ﴿كفور﴾ مبالغ في كفران نعم الله تعالى وإنما يذكر هذا اللفظ لمن صار عادة له كما يقال ظلوم وإنما وصف الكافر بهما لأنهما أقبح خصال فيه. وقد عدَّ النبي عليه السلام الغدر من علامات المنافق لكن قال علي رضي الله عنه: الوفاء لأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله تعالى كما أن التكبر على المتكبر صدقة. فعلى العاقل الوفاء بالعهد، وهو الخروج عن عهدة ما قيل عند الإقرار

بالربوبية بقوله: ﴿بلى﴾ حيث قال الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وهو للعامة العبادة رغبة في الوعد ورهبة من الوعيد وللخاصة الوقوف مع الأمر لا لغرض وقد يعرض للإنسان النسيان فينسى العهد فيصير مبتلى بحسب مقامه.

ـ حكي ـ أن الشيخ أبا الخير الأقطع سئل عن سبب قطع يده فقال: كنت أتعيش من سقط مائدة الناس فخطر لي الترك والتوكل فعهدت أن لا آكل من طعام الناس ولا من حبوب الأراضي فلم يفتح الله لي شيئاً من القوت قريباً من خمسين يوماً حتى غلب الضعف على القوى ثم فتح قرصتين مع شيء من الأدام ثم إني خرجت من بين الناس وسكنت في مغارة فيوماً من الأيام خرجت من المغارة فرأيت بعض الفواكه البرية فتناولت شيئاً منها حتى إذا جعلته في فمي تذكرت العهد وألقيته وعدت إلى المغارة ففي أثناء ذلك أخذ بعض اللصوص وقطاع الطريق فقطع أيديهم وأرجلهم في حضور أمير البلدة فأخذوني أيضاً وقالوا: أنت منهم حتى إذا كنت عند الأمير قطع يدي فلما أرادوا قطع رجلي تضرعت إلى الله تعالى وقلت يا رب إن يدي هذه جنت فقطعت فما جناية رجلي فعند ذلك جاء شخص إلى الأمير كان يعرفني فوصف له الحال حتى عفا بل اعتذر اعتذاراً بليغاً فهذه حال الرجال مع الله فالعبرة حفظ العهد ظاهراً وباطناً. قال الحافظ:

ازدم صبح ازل تاآخر شام ابد دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود

وأما الكفران فسبب لزوال الإيمان ألا ترى أن بلعم بن باعوراء لم يشكر يوماً على توفيق الإيمان وهداية الرحمٰن حتى سلب عنه والعياذ بالله تعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿يا أيها الناس﴾ نداء عام لكافة المكلفين وأصله لكفار مكة **﴿اتقوا ربكم﴾** [بپرهيزيد ازعذاب وخشم خداوند خويش] وذلك بالاجتناب عن الكفر والمعاصي وما سوى الله تعالى. قال بعض العارفين مرة يخوّفهم بأفعاله فيقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً﴾ [الأنفال: ٢٥] ومرة بصفاته فيقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ١٤] ومرة بذاته فيقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] **﴿واخشوا﴾** الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى عليه **﴿يوماً﴾**. قال في «التيسير» يجوز أن يكون على ظاهره لأن يوم القيامة مخوف **﴿لا يجزي﴾** فيه **﴿والد عن ولده﴾** أي: لا يقضي عنه شيئاً من الحقوق ولا يحمل من سيآته ولا يعطيه من طاعاته يقال جزاه دينه إذا قضاه. وفي «المفردات» الجزاء الغناء والكفاية كقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] والفارسية [وبترسيد از روزى كه دفع نكند عذاب را وباز ندارد پدر از پسر خويش] والولد ولو كان يقع على القريب والبعيد أي: ولد الولد لكن الإضافة تشير إلى الصلبي القريب فإذا لم يدفع عما هو الصق به لم يقدر أن يدفع عن غيره بالطريق الأولى. ففيه قطع لأطماع أهل الغرور المفتخرين بالآباء والأجداد المعتمدين على شفاعتهم من غير أن يكون بينهم جهة جامعة من الإيمان والعمل الصالح **﴿ولا مولود﴾** [ونه فرزندى] عطف على والد وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿هو جاز﴾** قاد ومؤدّ **﴿عن والده شيئاً﴾** ما من الحقوق وخص الولد والوالد بالذكر تنبيهاً على غيرهما والمولود خاص بالصلبي الأقرب

فإذا لم يقبل شفاعته للأب الأول الذي ولد منه لم يقبل لمن فوقه من الأجداد وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي ولقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة ولذا قالوا: إن هذا الخبر خاص بالكفار فإن أولاد المؤمنين وآباءهم ينفع بعضهم بعضاً قال تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] أي: بشرط الإيمان **﴿إن وعد الله﴾** بالحشر والجنة والنار والثواب والعقاب والوعد يكون في الخير والشر يقال وعدته بنفع وضر وعداً وميعاداً والوعيد في الشر خاصة **﴿حق﴾** كائن لا خلف فيه **﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾** يقال غره خدعه وأطعمه بالباطل فاغتر هو كما في «القاموس» والمراد بالحياة الدنيا زينتها وزخارفها وآمالها، يعني: [بمتاعهاى دلفريب او فريفته مشويد].

وفي «التأويلات النجمية»: أي: بسلامتكم في الحال وعن قريب ستندمون في المآل انتهى **﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾**. قال في «المفردات» الغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوات وشيطان وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين أي: ولا يخدعنكم الشيطان المبالغ في الغرور والخدعة بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي وينسيكم الرجوع إلى القبور ويحملكم على الغفلة عن أحوال القيامة وأهوالها.

وعذر فردارا عمر فردا بايد

كار امروز بفردا نكذارى زنهار روز چون يافته كاركن وعذر ميار

قال في «كشف الأسرار»: الغرة بالله حسن الظن به مع سوء العمل وفي الخبر: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة» ونعم ما قيل:

إن السفينة لا تجري على اليبس

فلا بد من الأعمال الصالحة فإن بها النجاة وبها يلتحق الأواخر بالأوائل. ففي الآية حسم لمادة الطمع في الانتفاع بالغير مع إهمال الإسلام أو الطاعات اعتماداً على صلاح الغير فإن يوم القيامة يوم عظيم لا ينفع فيه من له اتصال الولادة فما ظنك بما سواها ويشتغل كل أحد بنفسه إلا من رحمه الله تعالى. وعن كعب الأحبار تقول امرأة من هذه الأمة لولدها يوم القيامة: يا ولدي أما كان لك بطني وعاء وحجري وطاء وثديي سقاء كما قال الشيخ سعدي قدس سره:

نه طفلى زبان بسته بودى زلاف همى روزى آمد بجوفت زناف

چونافت بريدند روزى كسست به پستان مادر در آويخت دست

كنار وبرمادر دلپذير بهشت است وپستان ازوجوى شير

فاحمل عني واحداً فقد أثقلني ذنوبي فيقول هيهات يا أماه كل نفس بما كسبت رهينة فإذا حملت عنك فمن يحمل عني.

من وتو دو محتاج يك مائده نه ازمن نه از تو بمن فائده

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ليكون للوالدين على ولدهما دين فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول: أنا ولدكما فيودّ أن لو كان أكثر من ذلك» فلا يليق للمؤمن الإهمال في العبادة والتوبة والندم اغتراراً واعتماداً على مجرد الكرم.

ـ ذكر في الإسرائيليات ـ أن الكليم عليه السلام مرض فذكر له دواء المرض فأبى وقال: يعافيني بغير دواء فطالت علته، فأوحى الله إليه وقال: وعزتي وجلالي لا أبرئك حتى تتداوى،

أتريد أن تبطل حكمتي. فاتضح بهذا أن الأعمال أسباب ووسائل للجنات والدرجات وإن لم تكن عللاً موجبة فكما أن أهل الدنيا يباشرون الأسباب في تحصيل مرامهم فكذلك ينبغي لأهل الآخرة أن يباشروا الأعمال الصالحة في تحصيل الدرجات العالية والمطالب الأخروية. ومن هذا المقام ما حكي عن إبراهيم بن أدهم قدس سره أنه لما منع من دخول الحمام بلا أجرة تأوّه وقال: إذا منع من دخول بيت الشيطان بلا شيء فأنى يدخل بيت الرحمٰن بلا شيء؟ قال بعض الكبار: لا ينبغي للمؤمن أن يتطير ويعد نفسه من الأشقياء فيتكاسل في العمل بل ينبغي أن يحسن الظن بالله تعالى ويجاهد في طريقه فإن للاعتقاد تأثيراً بليغاً وقد وعد الله ووعد الشيطان ووعد الله تعالى صدق محض لأنه هو الولي ووعد الشيطان كذب محض لأنه هو العدو فالإصغاء لكلام الولي خير من استماع كلام العدو فلا تغتر بتغرير الشيطان والنفس ولا بالحياة الدنيا فإن دولتها ذاهبة وزينتها زائلة وليس لها لأحد وفاء.

برمرد هشيار دنيا خس است	كه هر مدتى جاى ديكر كسست
منه برجهان دل كه بيكانه ايست	چو مطرب كه هرروز درخانه ايست
نه لائق بود عشق بادلبرى	كه هربا مدادش بود شوهرى
مكن تكيه برملك وجاه وحشم	كه پيش ازتو بودست وبعد ازتوهم
همه تخت وملكى پذيرد زوال	بجز ملك فرمانده لا يزال
وغم وشادمانى نماند وليك	جزاى عمل ماند ونام نيك
عروسى بود نوبت ماتمت	كرت نيك روزى بود خاتمت
خدايا بحق بني فاطمة	كه برقول ايمان كنم خاتمه

نسأل الله سبحانه أن يختمنا على أفضل الأعمال الذي هو التوحيد وذكر رب العرش المجيد ويجعلنا في جنات تجري من تحتها الأنهار ويشرفنا برؤية جماله المنير في الليل والنهار آمين بجاه النبي الأمين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الساعة جزء من أجزاء الجديدين سميت بها القيامة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أي: عنده علم وقت قيام القيامة وما يتبعه من الأحوال والأهوال وهو متفرد بعلمه فلا يدري أحد من الناس في أي: سنة وفي أي: شهر وفي أي: ساعة من ساعات الليل والنهار تقوم القيامة.

ـ روي ـ أن الحارث بن عمرو من أهل البادية أتى النبي عليه السلام فسأله عن الساعة ووقتها وقال: إن أرضنا أجدبت وإني ألقيت حباتي في الأرض فمتى ينزل المطر وتركت امرأتي حبلى فحملها ذكر أم أنثى وإني أعلم ما عملت أمس فما أعمل غداً وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت فنزلت، يعني: [اين پنج علم در خزانهٔ مشيت حضرت آفريد كاراست وكليد اطلاع بدان بدست اجتهاد هيچ آدمى نداده اند] وإنما أخفى الله وقت الساعة ليكون الناس على حذر وأهبة كما روي أن أعرابياً قال للنبي عليه السلام: متى الساعة فقال عليه السلام: «وما أعددت لها» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال: «أنت مع من أحببت».

لـي حـبـيـب عـربـي مـدنـي قـرشـي كه بود دردو غمش مايه سودا وخوشى
ذره وارم بـهـوا دريء اورقـص كـنـان تاشد او شهرهٔ آفاق بخورشيد وشى

﴿وينزل الغيث﴾ عطف على ما يقتضي الظرف من الفعل تقديره أن الله يثبت عنده علم الساعة وينزل الغيث كما في «المدارك». وسمي المطر غيثاً لأنه غياث الخلق به رزقهم وعليه بقاؤهم فالغيث مخصوص بالمطر النافع أي: وينزله في زمانه الذي قدره من غير تقديم وتأخير إلى محله الذي عينه في علمه من غير خطأ وتبديل فهو متفرد بعلم زمانه ومكانه وعدد قطراته.

ـ روي ـ مرفوعاً «ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا السماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء» وفي الحديث: «ما سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا أعصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار» فمن أراد استجلاب الرحمة فعليه بالتوبة والندامة والتضرع إلى قاضي الحاجات بأخلص المناجاة.

تـو ازفشـانـدن تـخـم اميد دست مدار كه در كرم نكند ابرنوبهار امساك

﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ الرحم بيت منبت الولد ووعاؤه أي: يعلم ذاته أذكر أم أنثى حي أم ميت وصفاته أتام أم ناقص حسن أم قبيح سعيد أم شقي:

براحـوال نـابـوده عـلـمـش بـصـير بـراسـرار نـا كـفـتـه لـطـفـش خـبـير
قـديـمـى نـكـو كـار نـيـكـوپـسـنـد بـكـلـك قـضـا در رحـم نـقـش بـنـد
زبـر افـكـنـد قـطـره سـوى يـم زصـلـب آورد نـطـفـهٔ درشـكـم
ازان قـطـرهٔ لـؤلـؤى لالا كـنـد وزيـن صـورتـي سـرو بـالاكـنـد

﴿وما تدري نفس﴾ من النفوس، والدراية: المعرفة المدركة بضرب من الحيل ولذا لا يوصف الله بها ولا يقال الداري وأما قول الشاعر:

لا هـــم أدرى وأنـــت تـــدري

فمن تصرف أجلاف العرب أو بطريق المشاكلة كما في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] أي: ذاتك ﴿ماذا﴾ أي: أي شيء ﴿تكسب غداً﴾ الكسب ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ مثل كسب المال وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أن يجلب به منفعة به مضرة والغد اليوم الذي يلي يومك الذي أنت فيه كما أن أمس اليوم الذي قبل يومك بليلة أي: يفعل ويحصل من خير وشر ووفاق وشقاق وربما تعزم على خير فتفعل الشر وبالعكس وإذا لم يكن للإنسان طريق إلى معرفة ما هو أخص به من كسبه وإن أعمل حيله وأنفذ فيها وسعه كان من معرفة ما عداه مما لم ينصب له دليل عليه أبعد وكذا إذا لم يعلم ما في الغد مع قربه فما يكون بعده لا يعلمه بطريق الأولى.

نـدانـدكـسـى چـون شـود امـر او چـه حـاصـل كـنـد درپس عـمـر او
بجز حق كه علمش محيط كلست بـرابـر بـاومـاضـى مـسـتـقـبـلـسـت

﴿وما تدري نفس﴾ وإن أعملت حيلها ﴿بأي أرض﴾ مكان ﴿تموت﴾ من بر وبحر وسهل وجبل كما لا تدري في أي: وقت تموت وإن كان يدري أنه يموت في الأرض في وقت من الأوقات.

ـ روي ـ أن ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل: من هذا؟ قال: ملك الموت فقال: كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني في

بلاد الهند ففعل فقال الملك: كان دوام نظري إليه تعجباً منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك. قال في «المقاصد الحسنة»: كان رجل يقول: اللهم صلِ على ملك الشمس فيكثر ذلك فاستأذن ملك الشمس ربه أن ينزل إلى الأرض فيزوره فنزل ثم أتى الرجل فقال: إني سألت الله النزول من أجلك فما حاجتك؟ فقال: بلغني أن ملك الموت صديقك فسأله أن ينسىء في أجلي ويخفف عني الموت فحمله معه وأقعده مقعده من الشمس وأتى ملك الموت فأخبره فقال: من هو؟ فقال: فلان ابن فلان فنظر ملك الموت في اللوح معه فقال: إن هذا لا يموت حتى يقعد مقعدك من الشمس قال: فقد قعد مقعدي من الشمس فقال: فقد توفته رسلنا وهم لا يفرّطون فرجع ملك الشمس إلى الشمس فوجده قد مات. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة فإذا بقبر يحفر فأقبل حتى وقف عليه فقال: لمن هذا؟ قيل: لرجل من الحبشة فقال: «لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الأرض التي خلق منها تقول الأرض يوم القيامة يا رب هذا ما استودعتني» وأنشدوا:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته إليها حاجة فيطير

وفائدة هذا: تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظلمة وقضاء الدين وإثبات الوصية بما له وعليه في الحضر فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر فإنه لا يدري أين كتبت منيته من بقاع الأرض وأنشد بعضهم:

مشينا في خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

كما في «عقد الدرر» ﴿إن الله عليم﴾ يعلم الأشياء كلها ﴿خبير﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام: «مفاتيح الغيب خمس وتلا هذه الآية فمن ادعى علم شيء من هذه المغيبات الخمس فهو كافر بالله تعالى» وإنما عد هذه الخمس وكل المغيبات لا يعلمها إلا الله لما أن السؤال ورد عنها كما سبق في سبب النزول. وكان أهل الجاهلية يسألون المنجمين عنها زاعمين أنهم يعلمونها وتصديق الكاهن بما يخبره عن الغيب كفر لقوله عليه السلام: «من أتي كاهناً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد» والكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدّعي معرفة الأسرار وكان في العرب كهنة يدعون معرفة الأمور فمنهم من يزعم أنه له رئياً من الجن يلقي إليه الأخبار. قال أبو الحسن الآمدي في «مناقب الشافعي» التي ألفها: سمعت الشافعي يقول: من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن أبطلنا شهادته لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] إلا أن يكون الزاعم نبياً كذا في «حياة الحيوان». والمنجم إذا ادعى العلم بالحوادث الآتية فهو مثل الكاهن وفي الحديث: «من سأل عرّافاً لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» والعرّاف من يخبر عن المسروق ومكان الضالة والمراد من سأله على وجه التصديق لخبره وتعظيم المسؤول يعني إذا اعتقد أنه ملهم من الله أو أن الجن يلقون إليه مما يسمعون من الملائكة فصدقه فهو حرام وإذا اعتقد أنه عالم بالغيب فهو كفر كما في حديث الكاهن. وأما إذا سأل ليمتحن حاله ويخبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهو جائز فعلم أن الغيب مختص بالله تعالى. وما روي عن الأنبياء والأولياء من

الأخبار عن الغيوب فبتعليم الله تعالى إما بطريق الوحي أو بطريق الإلهام والكشف فلا ينافي ذلك الاختصاص علم الغيب مما لا يطلع عليه إلا الأنبياء والأولياء والملائكة كما أشار إليه بقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] ومنه ما استأثر لنفسه لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل كما أشار إليه بقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ومنه علم الساعة فقد أخفى الله علم الساعة لكن إماراتها بانت من لسان صاحب الشرع كخروج الدجال ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها وغيرها مما يظهر في آخر الزمان من غلبة البدع والهوى وكذا أخبر بعض الأولياء عن نزول المطر وأخبر عما في الرحم من ذكر وأنثى فوقع كما أخبر لأنه من قبيل الإلهام الصحيح الذي لا يتخلف وكذا مرض أبو العزم الأصفهاني في شيراز فقال: إن مت في شيراز فلا تدفنوني إلا في مقابر اليهود فإني سألت الله أن أموت في طرطوس فبرىء ومضى إلى طرطوس ومات فيها يعني أخبر أنه لا يموت في شيراز فكان كذلك. يقول الفقير: أخبر شيخي وسندي قدس سره في بعض تحريراته عن وقت وفاته قبل عشرين سنة فوقع كما قال وذلك من إمارات وراثته الصحيحة. فإن قيل: إذا أمكن العلم بالغيب لخلص عباده تعالى بتعليمه إياهم فلم لم يعلم الله نبيه الغيوب المذكورة في الآية؟ فالجواب أن الله تعالى إنما فعل ذلك إشعاراً بأن المهم للعبد أن يشتغل بالطاعة ويستعد لسعادة الآخرة ولا يسأل عما لا يهم ولا يشتغل بما لا يعنيه فافهم جداً واعمل لتكون عاقبتك خيراً.

تمت سورة لقمان يوم الأربعاء ثامن شعبان المبارك من شهور تسع ومائة وألف

٣٢ ـ سورة السجدة

مكية وآيها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾.

﴿الم﴾ [مرتضى علي كرم الله وجهه فرمودكه هر كتاب خدايرا خلاصهٔ بوده وخلاصهٔ قرآن حروف مقطعه است. وكفته اند الف ازاقصاى حلق آيد وآن اول مخارج است. ولام ازطرف لسان كفته شود وآن اوسط مخارج است. وميم را ازشفه كويند وآن آخر مخارج است واين سخن اشارتست بآن كه بنده بايدكه درمبادى وأواسط وأواخر أقوال وأفعال خود بذكر حق سبحانه وتعالى مستأنس باشد]. وقال البقلي رحمه الله: الألف إشارة إلى الأعلام واللام إلى اللزوم والميم إلى الملك أعلم من نفسه أهل الكون لزوم العبودية عليهم وملكهم قهراً وجبراً حتى عبدوه طوعاً وكرهاً فمن علم وقع في الاسم ومن عبد وقع في الصفة ومن تسخر لمراده كما أراد وقع في نور الذات.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالألف إلى أنه ألف المحبوب بقربتي فلا يصبرون عني وألف العارفون بتمجيدي فلا يستأنسون بغيري والإشارة في اللام لأني لأحبائي مدخر لقائي فلا أبالي أقاموا على صفائي أم قصروا في وفائي والإشارة في الميم ترك أوليائي مرادهم لمرادي فلذلك آثرتهم على جميع عبادي. وفي «كشف الأسرار» [كفته اندكه رب العزة جل جلاله چون نور فطرت مصطفى عليه السلام بيافريد انرا بحضرت عزت خود بداشت چنانكه خود خواست] فبقي بين يدي الله مائة ألف عام وقيل ألفي عام ينظر الله في كل يوم سبعين ألف نظرة يكسوه في كل نظرة نوراً جديداً وكرامة جديدة [ودران نظرها باسر فطرت او كفته بودندكه عزت قرآن مرتبت دار عصمت توخواهد بودآن خبردر نظرت اوراسخ كشته بود چون عين طينت او باسر فطرت او باين عالم آوردند واز دركاه عزت وحى منزل روى آورد اومى كفت ارجوك اين تحقيق آن وعد است كه مرا آن وقت دادند تسكين دل ويرا وتصديق انديشهٔ او آيت فرستادكه **﴿الم﴾** الف اشارتست بالله لام بجبرائيل ميم بمحمد. ميكويد بالهيت من وتقدس جبريل ومجد تو يا محمد اين وحى وآن فرآن آنست كه ترا وعده داده بوديم كه مرتبت دار نبوت ومعجز دولت توخواهد بود] وقال أهل التفسير: ألم خبر لمبتدأ محذوف أي: هذه السورة مسماة بألم.

﴿تنزيل الكتاب﴾ في هذا المقام وجوه من الاعراب الأوجه الأنسب بما بعده أنه مبتدأ

ومعناه بالفارسية: [فرو فرستادن قرآن] ﴿لا ريب فيه﴾ حال من الكتاب أي: حال كونه لا شك فيه عند أهل الاعتبار ﴿من رب العالمين﴾ خبر المبتدأ فإن كونه من رب العالمين حكم مقصود الإفادة وإنما كان منه لكونه معجزاً فلما أنكر قريش كونه منزلاً من رب العالمين قال:

﴿أم﴾ منقطعة أي: بل أ ﴿يقولون افتراه﴾ اختلق محمد القرآن فهذا القول منهم منكر متعجب منه لغاية ظهور بطلانه.

وفي «التأويلات النجمية»: إذا تعذر لقاء الأحباب فأعز الأشياء على الأحباب كتاب الأحباب.

ذوقي رسد ازنامهٔ تو روز فراقم　　كرنامهٔ طاعت نرسد روز قيامت

أنزل رب العالمين إلى العالمين كتاباً في الظاهر ليقرأ على أهل الظاهر فينذر به أهل الغفلة ويبشر به أهل الخدمة وكتاباً في الباطن على أهل الباطن ليتنور بأنواره بواطنهم ويتزين بأسراره سرائرهم فينذر به أهل القربة لئلا يلتفتوا إلى غيره ولا يستأنسوا بغيره فتسقطهم الغيرة عن القربة ويبشر به أهل المحبة بالوفاء بوعد الرؤية وباللقاء على بساط الوصلة وبالبقاء بعد الفناء في الوحدة فيتكلموا بالحق عن الحق للحق فإذا سمع أهل الباطن كلامهم في الحقائق من ربهم أنكر عليهم أهل الغفلة أنه من الله.

زدشيخ شهر طعنه بر اسرار اهل دل　　المرء لا يزال عدواً لما جهل

ثم أضرب عنه إلى بيان حقيقة ما أنكروه فقال: ﴿بل﴾ [نه چنين است كافران ميكويند بلكه] ﴿هو﴾ أي: القرآن ﴿الحق﴾ [سخن درست وراست است فرآمده] ﴿من ربك﴾ [از پرورد كار تو] ثم بين غايته فقال: ﴿لتنذر﴾ [تابيم كنى از عذاب الهى] ﴿قوماً﴾ هم العرب ﴿ما﴾ نافية ﴿أتاهم من نذير﴾ مخوف ﴿من قبلك﴾ أي: من قبل إنذارك أو من قبل زمانك إذ كان قريش أهل الفطرة وأضل الناس وأحوجهم إلى الهداية لكونهم أمة أمية وفي الحديث: «ليس بيني وبينه نبي» أي: ليس بيني وبين عيسى نبي من العرب أما إسماعيل عليه السلام فكان نبياً قبل عيسى مبعوثاً إلى قومه خاصة وانقطعت نبوته بموته وأما خالد بن سنان فكان نبياً بعد عيسى ولكنه أضاعه قومه فلم يعش إلى أن يبلغ دعوته وقد سبقت قصته على التفصيل فعلم من هذا أن أهل الفطرة ألزمتهم الحجة العقلية لأنهم كانوا عقلاء قادرين على الاستدلال لكنهم لم تلزمهم الحجة الرسالية ﴿لعلهم يهتدون﴾ بإنذارك إياهم والترجي معتبر من جهته عليه السلام أي: لتنذرهم راجياً لاهتدائهم إلى التوحيد والإخلاص فعلم منه أن المقصود من البعثة تعريف طريق الحق وكل يهتدي بقدر استعداده إلا أن لا يكون له استعداد أصلاً كالمصرين فإنهم لم يقبلوا التربية والتعريف وكذا من كان على جبلتهم إلى يوم القيامة.

توان پاك كردن زژنك آينه　　وليكن نيايد زسنك آينه

وأما قول «المثنوي»:

كرتوسنك صخره ومرمر شوى　　چون بصاحب دل رسى كوهر شوى

فلذلك في حق المستعد في الحقيقة ألا ترى أن أبا جهل رأى النبي عليه السلام ووصل إليه لكن لما رآه بعين الاحتقار وأنه يتيم أبي طالب لا بعين التعظيم وأنه رسول الله ووصل إليه وصول عناد وإنكار لا وصول قبول وإقرار لم يصر جوهراً وهكذا حال ورثته مع المقرين والمنكرين ثم إن الاهتداء إما اهتداء إلى الجنة ودرجاتها وذلك بالإيمان والإخلاص وإما اهتداء

إلي القربة والوصلة وذلك بالمحبة والترك والفناء والأول حال أهل العموم والثاني حال أهل الخصوص وهو أكمل من الأول فعليك بقبول «الإرشاد» لتصل إلى المراد وإياك ومتابعة أهل الهوى فإنهم ليسوا من أهل الهدى والميت لا يقدر على تلقين الحي وإنما يقدر الحي تلقين الميت.

ـ روي ـ أن الشيخ نجم الدين الأصفهاني قدس سره خرج مع جنازة بعض الصالحين بمكة فلما دفنوه وجلس الملقن يلقنه ضحك الشيخ نجم الدين وكان من عادته لا يضحك فسأله بعض أصحابه عن ضحكه فزجره فلما كان بعد ذلك قال: ما ضحكت إلا أنه لما جلس على القبر يلقن سمعت صاحب القبر يقول: ألا تعجبون من ميت يلقن حياً.

قال الصائب:

زبى دران علاج درد خود جستن بدان ماند   كه خاراز پابرون آرد كسى بانيش عقربها

وقال المولى الجامي:

بـلاف نـاخـلـفـان زمـانـه غـره مـشـو   مرو چو سامرى ازره ببانك كوساله

وقال الحافظ:

درراه عشـق وسوسه اهـر مـن بسـست   هش دار وكـوش دل بپيام سروش كـن

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المهتدين إلى جنابه اللائقين بحسن خطابه ويصوننا من الضلالة والصحبة بأربابها ويحفظنا من الغواية والاقتداء بأصحابها إنه الهادي والمرشد.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾.

﴿**الله**﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿**الذي خلق السموات والأرض**﴾ أي: الأجرام العلوية والسفلية ﴿**وما بينهما**﴾ من السحاب والرياح ونحوهما ﴿**في ستة أيام**﴾ [درمقدار شش از ايام دنيا]. وقال في «كشف الأسرار»: [درشش روز هرروزى ازان هزار سال] انتهى ولو شاء خلقها في ساعة واحدة لفعل ولكنه خلقها في ستة أيام ليدل على التأني في الأمور ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ [پس مستولى شد حكم اوبر عرش كه اعظم مخلوقاتست] وقد سبق تحقيق الآية مراراً ويكفي لك إرشاداً ما في سورة الفرقان إن كنت من أهل الإيمان فارجع إلى تفسيرها وما فيها من الكلام الأكبري قدس سره الخطير ﴿**ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع**﴾ أي ما لكم حال كونكم متجاوزين رضى الله تعالى أحد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه ﴿**أفلا تتذكرون**﴾ [آياپند پذير نمى شويد از مواعظ رباني ونصائح قرآني]. قال في «الإرشاد» أي: ألا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها فالإنكار متوجه إلى عدم الاستماع وعدم التذكر أو تسمعونها فلا تتذكرون بها فالإنكار متوجه إلى عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع. والفرق بين التذكر والتفكر أن التفكر عند فقدان المطلوب لاحتجاب القلب بالصفات النفسانية وأما التذكر فهو عند رفع الحجاب والرجوع إلى الفطرة الأولى فيتذكر ما انطبع في الأزل من التوحيد والمعارف.

﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض**﴾ التدبير التفكر في دبر الأمور والنظر في عاقبتها، وبالفارسية: [انديشه كردن درعاقبت كار] وهو بالنسبة إليه تعالى التقدير وتهيئة الأسباب وله

تعالى مدبرات سماوية كما قال فالمدبرات أمراً فجبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل بالقطر والنبات وملك الموت بقبض الأنفس وإسرافيل ينزل عليهم بالأمور. والمعنى يدبر الله تعالى أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها إلى الأرض وأضاف التدبر إلى ذاته إشارة إلى أن تدبير العباد عند تدبيره لا أثر له ﴿**ثم يعرج إليه**﴾ العروج ذهاب في صعود من عرج بفتح الراء يعرج بضمها صعد أي: يصعد ذلك الأمر إليه تعالى ويثبت في علمه موجوداً بالفعل ﴿**في يوم كان مقداره**﴾ [اندازه آن] ﴿**ألف سنة مما تعدون**﴾ أي: في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان. وقال بعضهم: ﴿**يدبر الأمر**﴾ [ميسازد كار دنيا يعني حكم ميكند بدان وميفرستد ملكي راكه موكلست بدان ﴿**من السماء**﴾] از آسمان ﴿**إلى الأرض**﴾ بسوى زمين پس ملك مى آيد وآن كار بجاى مى آرد پس عروج ميكند بسوى آسمان در روزى كه هست اندازه أو هزار سال از آنچه شما شماره ميكنيد سالى دوازده ماه وما هى سى روز يعنى فرشته فرو مى آيد از آسمان وبالا ميرود درمدتى كه اكر آدمى رود آيد جز هزار سال ميسر نشود زيرا كه از زمين تا آسمان پانصد سالى راهست پس مقدار نزول وعروج هزار سال بود وأما قوله في سورة المعارج: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فأراد به مدة المسافة بين سدرة المنتهى والأرض ثم عوده إلى السدرة فالملك يسيره في قدر يوم واحد من أيام الدنيا فضمير إليه حينئذٍ راجع إلى مكان الملك يعني المكان الذي أمره الله تعالى أن يعرج إليه. وقال بعضهم يدبر الله أمر الدنيا مدة أيام الدنيا فينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض ثم يعود الأمر والتدبير إليه حين ينقطع أمر الأمراء وحكم الحكام وينفرد الله بالأمر في يوم أي: يوم القيامة كان مقداره ألف سنة لأن يوماً من أيام الآخرة مثل ألف سنة من أيام الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: ٤٧] فمعنى خمسين ألف سنة على هذا أن يشتد على الكافرين حتى يكون كخمسين ألف سنة في الطول ويسهل على المؤمنين حتى يكون كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا فقيامة كل واحد على حسب ما يليق بمعاملته ففي الحشر مواقف ومواطن بحسب الأشخاص من جهة الأعمال والأحوال والمقامات.

يقول الفقير: قد اختلف العلماء في تفسير هذه الآية على وجوه شتى وسكت بعضهم تفويضاً لعلمها إلى الله تعالى حيث إن كل ما ذكر فيها يقبل نوعاً من الجرح ويشعر بشيء من القصور ولا شك عند العلماء بالله أن لليوم مراتب وأحكاماً في الزمان فيوم كالآن وهو الجزء الغير المنقسم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] ثم ينفصل منه اليوم الذي هو كألف سنة وهو يوم الآخرة ويوم الرب ثم ينفصل منه اليوم الذي هو كخمسين ألف سنة وهو يوم القيامة فالله تعالى يمتحن عباده بما شاء فيتقدر لهم اليوم بحسبه ومنهم من يكون حاله أسرع من لمح البصر كما قال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: ٥٠] وهو سر اليوم الشأني المذكور. ثم إن للملائكة مقامات علوية معلومة في عالم ملكوت فربما ينزل بعضهم من المصعد المعلوم إلى مسقط الأمر في أقل من ساعة بل في لمحة كجبريل عليه السلام فإنه كان ينزل من سدرة المنتهى التي إليها ينزل الأحكام ويصعد الأعمال إلى النبي عليه السلام كذلك وربما ينزل في أكثر منها وإنما يتفاوت النزول والعروج باعتبار المبدأ فإذا اعتبر السماء الدنيا التي هي مهبط أحكام السدرة قدر مدتهما بألف سنة وإذا اعتبر سدرة المنتهى التي

هي مهبط أحكام العرش قدرت بأكثر منها ولما كان القرآن يفسر بعضه بعضاً دل قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [المعارج: ٤] الآية على أن فاعل يعرج في آية سورة السجدة أيضاً الملك وإنما قال إليه أي: إلى الله مع كونه لم يكن للحق مكان ومنتهى يمكن العروج إليه إشارة إلى التقرب وشرف العندية المرتبية وحقيقته إلى المقام العلوي المعين له هذا ما سنح لي والعلم عند الله الملك العلي.

وفي «التأويلات النجمية»: هو الذي ﴿يدبر الأمر من السماء﴾ أي: أمركن طبق سماء الروح والقلب ﴿إلى الأرض﴾ أرض النفس والبدن بتدبير الأمر ﴿ثم يعرج إليه﴾ النفس المخاطبة بخطاب ارجعي إلى ربك ﴿في يوم﴾ طلعت فيه شمس القلب وأشرقت الأرض بنور جذبات الحق تعالى ﴿كان مقداره﴾ في العروج بالجذبة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] من أيامكم في السير من غير جذبة كما قال عليه السلام: «جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين» انتهى. وفي «كشف الحقائق»: للشيخ النسفي قدس سره: [بدانكه نفس جزؤى اوجى دارد حضيضي دارد اوج وى فلك نهم است كه فلك الأفلاك محيط عالمست وحضيض وى خاكست كه مركز عالمست ونزولى دارد وعروجى دارد ونزول وى آمدنست بخاك ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤] وعروج وى بازكشتن اسنت بفلك الأفلاك ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [المعارج: ٤] ومدت آمدن ورفتن از هزار سال كم نيست وازپنجاه هزار سال زياده نيست] تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة انتهى.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾

﴿ذلك﴾ الله العظيم الشأن المتصف بالخلق والاستواء وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير أمر الكائنات ﴿عالم الغيب﴾ ما غاب عن الخلق ﴿والشهادة﴾ ما حضر لهم ويدبر أمرهما حسبما يقتضيه. وقال الكاشفي: [داند امور دنيا وآخرت يا عالم بآنچه بوده باشد وخواهد بود]. وقال بعض الكبار: الغيب الروح والشهادة النفس والبدن ﴿العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الرحيم﴾ على عباده في تدبيره. وفيه إيماء إلى أنه تعالى يراعي المصالح تفضلاً وإحساناً لا إيجاباً.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾

﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ خبر آخر لذلك. قال الراغب: الإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير يقال أحسن إلى فلان والثاني: إحسان من فعله وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً وعلى هذا قول أمير المؤمنين رضي الله عنه: الناس على ما يحسنون أي: منسوبون إلى ما يعلمون من الأفعال الحسنة انتهى أي: جعل كل شيء خلقه على وجه حسن في الصورة والمعنى على ما يقتضيه استعداده وتوجبه الحكمة والمصلحة، وبالفارسية: [نيكو كرد هرچيزى راكه بيافريد يعنى بياراست بروجه نيكو بمقتضاى حكمت]:

كردن آنچه درجهان شايد ... كرده آنچنانكه مى بايد
ازتو رونق كرفت كار همه ... كه تويى آفريدكار همه
نقش دنيا بلوح خاك ازتست ... دل دانا وجان پاك ازتست

طوّل رجل البهيمة والطائر وطوّل عنقهما لئلا يتعذر عليهما ما لا بد لهما منه من قوتهما ولو تفاوت ذلك لم يكن لهما معاش وكذلك كل شيء من أعضاء الإنسان مقدر لما يصلح به معاشه فجميع المخلوقات حسنة وإن اختلفت أشكالها وافترقت إلى حسن وأحسن كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإنسان في خلقه حسن. قال البقلي: القبيح قبيح من جهة الامتحان وحسن من حيث صدر من أمر الرحمٰن. وقال الشيخ اليزدي: إن الله تعالى خلق الحسن والقبيح لكن القبيح كان في علمه أن يكون قبيحاً فلما كان ينبغي تقبيحه كان الأحسن والأصوب في خلقه تقبيحه على ما ينبغي في علم الله لأن المستحسنات إنما حسنت في مقابلة المستقبحات فلما احتاج الحسن إلى قبيح يقابله ليظهر حسنه كان تقبيحه حسناً انتهى.

يقول الفقير: لا شك أن الله تعالى خلق الحسن والقبح وإن كان كل صنعه وفعله جميلاً ومطلق الخلق قد مدح به ذاته كما قال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] لكنه لا يقال في مقام المدح أنه تعالى خالق القردة والخنازير والحيات والعقارب ونحوها من الأجسام القبيحة والضارة بل يقال خالق كل شيء فالقبيح ليس خلقه وإيجاده بل ما خلقه وإن كان قبح القبيح بالنسبة إلى مقابلة الحسن لا في ذاته وقد طلب عين الحمار بلسان الاستعداد صورته التي هو عليها وكذا الكلب ونحوه وصورتها مقتضى عينها الثابتة وكذا الحكم على الكلب بالنجاسة مقتضى ذاته وكل صورة وصفة في الدنيا فهي صورة كمال وصفة كمال في مرتبتها في الحقيقة ولو لم يظهر كل موجود في صورة التي هو عليها وفي صفته التي ألبسها الخلاق إليه بمقتضى استعداده لصار ناقصاً قبيحاً فأين القبح في الأشياء وقد خلقها الله بالأسماء الحسنى. **﴿وبدأ خلق الإنسان﴾** من بين جميع المخلوقات وهو آدم أبو البشر عليه السلام. **﴿من الطين﴾** الطين التراب والماء المختلط وقد سمي بذلك وإن زال عنه قوة الماء. قال الشيخ عبد العزيز النسفي رحمه الله: [خداوند تعالى قالب آدم را زخاك آفريد يعني از عناصر أربعه أما خاك ظاهر تربود خاكرا ذكر كردد وخاك آدم را ميان مكه وطائف مى پرورد وتربيت داد بروايتى چهل سال وبروايتى چهل هزار سال اينست معنى «خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً»]. وفي «كشف الأسرار»: [چه زيان دارد اين جوهر راكه نهادوى از كل بوده چون كمال وى دردل نهاده قيمت اوكه هست از روى تربت آن سركه با آدميان بود نه باعرش ونه باكرسى نه فافلك نه باملك زيرا كه همه بندكان مجرد بودند وآدميان همه بندكان بودند وهم دوستان] **﴿ثم جعل نسله﴾** ذريته سميت به لأنها تنسل من الإنسان أي: تنفصل كما قال في «المفردات» النسل الانفصال من الشيء والنسل الولد لكونه ناسلاً عن أبيه انتهى **﴿من سلالة﴾** أي: من نطفة مسلولة أي: منزوعة من صلب الإنسان. وقال الكاشفي: [از خلاصهٔ بيرون آورده از صلب] ثم أبدل منها قوله: **﴿من ماء مهين﴾** حقير وضعيف كما في «القاموس»، وبالفارسية: [از آب ضعيف وخوار] وهو المني.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ثم سواه﴾ أي: قوم النسل بتكميل أعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي. وقال

الكاشفي: [پس راست كرد قالب آدم را]. قال النسفي: [مراد: از تسويهء آدم برابرىء اركانست يعني اجزاى هر چهار برابر باشد وستويه قالب بمثابت نارست كه آهن را بتدبير بجايى رسانندكه شفاف وعكس پطير شود وقابل صورت كردد] ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ أضافه إلى نفسه تشريفاً وإظهاراً بأنه خلق عجيب ومخلوق شريف وأن له شأناً له مناسبة إلى حضرة الربوبية ولأجله من عرف نفسه فقد عرف ربه.

وفي «الكواشي» جعل فيه الشيء الذي اختص تعالى به ولذلك أضافه إليه فصار بذلك حياً حساساً بعد أن كان جماداً لا أن ثمة حقيقة نفخ. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الروح ليس بجسم يحل في البدن حلول الماء في الإناء ولا هو عرض يحل القلب أو الدماغ حلول السواد في الأسود والعلم في العالم بل هو جوهر لا يتجزأ باتفاق أهل البصائر فالتسوية عبارة عن فعل في المحل القابل وهو الطين في حق آدم عليه السلام والنطفة في حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج حتى ينتهي في الصفاء ومناسبة الأجزاء إلى الغاية فيستعد لقبول الروح وإمساكها والنفخ عبارة عما اشتعل به نور الروح في المحل القابل فالنفخ سبب الاشتعال وصورة النفخ في حق الله محال والمسبب غير محال فعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ وهو الاشتعال والسبب الذي اشتعل به نور الروح هو صفة في الفاعل وصفة في المحل القابل أما صفة الفاعل فالجود الذي هو ينبوع الوجود وهو فياض بذاته على كل موجود حقيقة وجوده ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل بالاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما والقابل هو الملونات دون الهواء الذي لا تلون له وأما صفة المحل القابل فالاستواء والاعتدال الحاصل في التسوية ومثال صفة القابل صقالة المرآة والروح منزهة عن الجهة والمكان وفي قوتها العلم بجميع الأشياء والاطلاع عليها وهذه مناسبة ومضاهاة ليست لغيرها من الجسمانية فلذلك اختصت بالإضافة إلى الله تعالى انتهى كلامه باختصار. قال الشيخ النسفي: [انسانرا چند روح است انسان روح طبيعي دارد ومحل وى خكرست دربهلوى راست است وروح حيواني دارد ومحل وى دلست دربهلوى چپ است وروح نفساني دارد ومحل وى دماغست وروح انساني دارد ومحل آن روح نفسانيست وروح قدسي دارد ومحل وى روح انسانيست روح قدسي بمثابهء نارست وروح انساني بمثابهء روغنست وروح نفساني بمثابهء فتيله است وروح حيواني بمثابهء زجاجه است وروح طبيعي بمثابهء مشكاتست اينست] معنى ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] الآية والمنفوخ هو الروح الإنساني والإنسان يشارك الحيوان في الروح الطبيعي والروح الحيواني والروح النفساني ويمتاز عنه بالروح الإنساني الذي هو من عالم الأمر وخواص الإنسان يشاركون عوامهم في الأرواح الأربعة المذكورة ويمتازون عنهم بالروح القدسي الذي ينفخه الله عند الفناء التام جعلنا الله وإياكم ممن حيي بهذا الروح وأوصلنا إلى أنواع الفتوح ﴿وجعل﴾ وخلق ﴿لكم﴾ لمنافعكم يا بني آدم ﴿السمع﴾ لتسمعوا الآيات التنزيلية الناطقة بالبعث وبالتوحيد ﴿والأبصار﴾ لتبصروا الآيات التكوينية المشاهدة فيهما ﴿والأفئدة﴾ لتعقلوا وتستدلوا بها على حقيقة الآيتين جمع فؤاد بمعنى القلب لكن إنما يقال فؤاد إذا اعتبر في القلب معنى التفؤد أي: التوقد ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أي: تشكرون رب هذه النعم شكراً قليلاً على أن القلة بمعنى النفي والعدم فهو بيان لكفرهم بتلك النعم وربها. وفيه إشارة إلى أن قليلاً من الإنسان يعرف نفسه بالمرآتية ليعرف ربه بالمحسنية المتجلي فيها وقد خلقه الله تعالى لمعرفة

ذاته وصفاته كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: ليعرفون وإنما يصل الإنسان إلى مرتبة المعرفة الحقيقية بدلالة الرسول ووراثته [حق سبحانه وتعالى همه عالم بيافريد فلك وملك وعرش وكرسي ولوح وقلم وبهشت ودوزخ وآسمان وزمين وباين آفريدها هيچ نظر مهر ومحبت نكرد رسول بايشان نفرستاد وپيغام بايشان نداد چون نوبت بخاكيان رسيدكه بركشيدكان لطف بودند ونواختكان فضل ومعادن انوار وأسرار بلطف وكرم خويشتن ايشانرا محل نظر خودكرد پيغمبر بايشان فرستاد تا مهتدى شوند وفرشتكانرا رقيب ونكهبان ايشان كرد سوز مهر درسينهاى ايشان نهاد وآتش عشق در دلها افكند وخطوط ايمان بر صفحهء دلهاى شان بنوشت ورقم محبت برضمير شان كشيد ونعيم دنيا وطيبات رزق كه افريد از بهر مؤمنان آفريد چنانكه كفت ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٣٢] كافركه دردنيا روزى ميخورد وبطفيل مؤمن ميخورد آنكه كفت ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢] روز قيامت خالص مر مؤمن را بود وكافررا يك شربت آب نبود] فعلى العاقل أن يعرف النعم والمنعم ويجتهد في خدمة الشكر حتى لا يكون من أهل البطالة وإذا كان من أهل الشكر للنعم الداخلة والخارجة من القوى والأعضاء وغيرهما فالله تعالى يشكر له أي: يقبل طاعته ويثني عليه عند الملأ الأعلى ويجازيه بأحسن الجزاء وهو الجنان ودرجاتها ونعيمها الأبدي لأهل العموم وقرباته ومواصلاته وتجليه السرمدي لأهل الخصوص نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين مدحهم بالشكر والطاعة في كل ساعة لا ممن ذمهم بتضييع الحقوق وإفساد الاستعداد والسعي في الأرض بالفساد.

﴿**وقالوا**﴾ أي: كفار قريش كأبي بن خلف ونحوه من المنكرين للبعث بعد الموت ﴿**أئذا**﴾ [آياچون] ﴿**ضللنا في الأرض**﴾. قال في «القاموس» ضل صار تراباً وعظاماً وخفي وغاب انتهى وأصله ضل الماء في اللبن إذا غاب وهلك. والمعنى هلكنا وصرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض بحيث لا نتميز منه، يعني: [خاك أعضاى ما ازخاك زمين متميز نباشد چنانكه آب درشير متميز نباشد] أو غبناً فيها بالدفن ذهبنا عن أعين الناس والعامل فيه نبعث أو يجدد خلقنا كما دل عليه قوله: ﴿**أئنا**﴾ [آياما] والهمزة لتأكيد الإنكار السابق وتذكيره ﴿**لفي خلق جديد**﴾ أي: أنبعث بعد موتنا وانعدامنا ونصير أحياءً كما كنا قبل موتنا يعني هذا منكر عجب فإنهم كانوا يقرون بالموت ويشاهدونه وإنما ينكرون البعث فالاستفهام الإنكاري متوجه إلى البعث دون الموت، وبالفارسية: [در آفرينش نو خواهم بود يعنى چون خاك شويم آفريدن نو بما تعلق نخواهد كرفت] ثم أضرب وانتقل من بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول إلى العاقبة وما يلقونه فيها من الأهوال فقال: ﴿**بل**﴾ [نه چنانست كه ميكويند بلكه] ﴿**هم**﴾ [ايشان] ﴿**بلقاء ربهم**﴾ لقاء الله عبارة عن القيامة وعن المصير إليه، يعني: [بآخرت كه سراى بقاست] ﴿**كافرون**﴾ جاحدون فمن أنكره لقي الله وهو عليه غضبان ومن أقره لقي الله وهو عليه رحمان.

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾

﴿**قل**﴾ بياناً للحق ورداً على زعمهم الباطل ﴿**يتوفاكم ملك الموت**﴾ التوفي أخذ الشيء تاماً وافياً واستيفاء العدد. قال في «الصحاح» توفاه الله قبض روحه والوفاة الموت. والملك

جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة. قال بعض المحققين: المتولي من الملائكة شيئاً من السياسة يقال له ملك بالفتح ومن البشر يقال له ملك بالكسر فكل ملك ملائكة وليس كل ملائكة ملكاً بل الملك هم المشار إليهم بقوله: فالمدبرات فالمقسمات والنازعات ونحو ذلك ومنه ملك الموت انتهى. والموت صفة وجودية خلقت ضداً للحياة. والمعنى يقبض عزرائيل أرواحكم بحيث لا يترك منها شيئاً بل يستوفيها ويأخذها تماماً على أشد ما يكون من الوجوه وأفظعها من ضرب وجوهكم وأدباركم أو يقبض أرواحكم بحيث لا يترك منكم أحداً ولا يبقى شخصاً من العدد الذي كتب عليهم الموت وأما ملك الموت نفسه فيتوفاه الله تعالى.

ـ كما روي ـ أنه إذا أمات الله الخلائق لم يبق شيء له روح يقول الله لملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم فيقول: يا رب أنت أعلم بمن بقي لم يبقَ إلا عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله: يا ملك الموت قد أذقت أنبيائي ورسلي وأوليائي وعبادي الموت وقد سبق في علمي القديم وأنا علام الغيوب أن كل شيء هالك إلا وجهي وهذه نوبتك فيقول إلهي ارحم عبدك ملك الموت والطف به فإنه ضعيف فيقول سبحانه وتعالى: ضع يمينك تحت خدك الأيمن واضطجع بين الجنة والنار ومت فيموت بأمر الله تعالى. وفي الآية رد للكافرين حيث زعموا أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة ﴿**الذي وكل**﴾ التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عنك، وبالفارسية: [وكيل كردن كسى را بر چيزى كماشتن وكاربا كسى كذاشتن] ﴿**بكم**﴾ أي: بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم ﴿**ثم إلى ربكم ترجعون**﴾ تردون بالبعث للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله.

واعلم أن الله تعالى أخبر هٰهنا ملك الموت هو المتوفى والقابض في موضع أنه الرسل أي: الملائكة وفي موضع أنه هو تعالى فوجه الجمع بين الآي أن ملك الموت يقبض الأرواح والملائكة أعوان له يعالجون ويعملون بأمره والله تعالى يزهق الروح فالفاعل لكل فعل حقيقة والقابض لأرواح جميع الخلائق هو الله تعالى وأن ملك الموت وأعوانه وسائط. قال ابن عطية: إن البهائم كلها يتوفى الله أرواحها دون ملك الموت كأنه يعدم حياتها وكذلك الأمر في بني آدم إلا أن لهم نوع شرف بتصرف ملك الموت والملائكة معه في قبض أرواحهم. قالوا إن عزرائيل يقبض الأرواح من بني آدم وهي في مواضع مختلفة وهو في مكان واحد فهو حالة مختصة به كما أن لوسوسة الشيطان في قلوب جميع أهل الدنيا حالة مختصة به. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: لقي جبريل ملك الموت بنهر بفارس فقال: يا ملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوباء هٰهنا عشرة آلاف وهٰهنا كذا وكذا فقال له ملك الموت تزوى لي الأرض حتى كأنها بين فخذيّ فالتقطهم بيديّ.

ـ وروي ـ أن الدنيا لملك الموت كراحة اليد أو كطست لديه يتناول منه ما يشاء من غير تعب. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في اليوم مرتين فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال: الآن يزاد بك عسكر الموتى.

ـ وروي ـ أن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فينزع أعوانه روح الإنسان ويخرجونها من جسده فإذا بلغت ثغرة النحر نزعها هو.

ـ وروي ـ في الخبر أن له وجوهاً أربعة فوجه من نار يقبض به أرواح الكافرين ووجه من ظلمة يقبض به أرواح المنافقين ووجه من رحمة يقبض به أرواح المؤمنين ووجه من نور يقبض به أرواح الأنبياء والصديقين فإذا قبض روح المؤمن دفعها إلى ملائكة الرحمة وإذا قبض روح الكافر دفعها إلى ملائكة العذاب. وكان ملك الموت يقبض الأرواح بغير وجع فأقبل الناس يسبونه ويلعنونه فشكا إلى ربه فوضع الله الأمراض والأوجاع فقالوا: مات فلان من وجع كذا وكذا. وفي الحديث «الأمراض والأوجاع كلها بريد الموت ورسل الموت فإذا جاء الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال: أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد أنا المخبر ليس بعدي خبر وأنا الرسول ليس بعدي رسول أجب ربك طائعاً أو مكرهاً فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له أجلاً ولا أكلت له رزقاً بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقي منكم أحداً» قال عليه السلام: «لو رأوا مكانه وسمعوا كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم». قال الكاشفي: [عجب إذ آدمي كه با وجود چنين حريفي دركمين چكونه لاف آسايش تواند زد]:

آسودكى مجوى كه از صدمت اجل ... كس را نداده اند برات مسلمي

وفي «البستان»:

بيا اى كه عمرت بهفتاد رفت ... مكر خفته بودى كه برباد رفت
كه يك لحظه صورت نبندد امان ... چو پيمانه پرشد بدور زمان

قال بعضهم لولا غفلة قلوب الناس ما أحال قبض أرواحهم على ملك الموت [خير نساج قدس سره بيمار بود ملك الموت خواست كه جان اوبر آرد مؤذن كفت وقت نماز شام كه الله أكبر الله أكبر خير نساج كفت يا ملك الموت باش تافريضهٔ نمازبكزارم كه اين فرمان برمن فوت ميشود وفرمان توفوت نمى شود چون نماز بكزارد سربسجود نهاد كفت الهي آن روز كه اين وديعت مى نهادى زحمت ملك الموت درميان نبود چه باشدكه امروز بى زحمت او بردارى اين بكفت وجان بداد]:

يا رب ارفانى كنى مارا بتيغ دوستى
مر فرشته مرك را باما نباشد هيچ كار
هركه ازجام توروزى شربت شوق توخورد
چون نماند آن شراب اودانند آن رنج خمار

قال بعض الكبار: ملك الموت هو المحبة الآلهية فإنها تقبض الأرواح عن الصفات الإنسانية وتميتها عن محبوباتها لقطع تعلق الروح الإنساني عما سوى الحق تعالى فلترجع إلى الله بجذبة ارجعي إلى ربك والموت باصطلاح أهل الحقيقة قمع هوى النفس فمن مات عن هواه حيى حياة حقيقة. قال الإمام جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه: الموت هو التوبة قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] فمن تاب فقد قتل نفسه.

مكن دامن ازكرد زلت بشوى ... كه ناكه زبالا به بندند چوى

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا

مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ولو ترى﴾ [واكر بينى اى بيننده] ﴿إذ المجرمون﴾ هم القائلون ﴿أئذا ضللنا﴾ الخ. قال في «الكواشي»: لو وإذ للماضي ودخلتا على المستقبل هنا لأن المستقبل من فعله كالماضي لتحقق وقوعه ﴿ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾ النكس قلب الشيء على رأسه، وبالفارسية: [سرفرو افكندن ونكونسار كردن] أي: مطرقوا رؤوسهم ومطأطئوها في موقف العرض على الله من الحياء والحزن والغم يقولون ﴿ربنا﴾ [اى پروردكار ما] ﴿أبصرنا وسمعنا﴾ أي: صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والمسموعة وكنا من قبل عمياً لا ندرك شيئاً ﴿فارجعنا﴾ فأردنا إلى الدنيا من رجعه رجعاً أي: رده وصرفه ﴿نعمل﴾ عملاً ﴿صالحاً﴾ حسبما تقضيه تلك الآيات ﴿إنا موقنون﴾ الآن، يعني: [بى كمانيم]. قال في «الإرشاد»: ادعاء منهم لصحة الأفئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كأنهم قالوا أيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئاً أصلاً وجواب لو محذوف أي: لرأيت أمراً فظيعاً فهذا الأمر مستقبل في التحقيق ماض بحسب التأويل كأنه قيل قد انقضى الأمر ومضى لكنك ما رأيته ولو رأيته لرأيت أمراً فظيعاً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أهل الدنيا من المجرمين وكان جرمهم أنهم نكسوا رؤوسهم في أسفل الدنيا وشهواتها بعد أن خلقوا رافعي رؤوسهم عند ربهم يوم الميثاق عند استماع خطاب ألست بربكم حيث رفعوا رؤوسهم وقالوا: بلى فلما ابتلوا بالدنيا وشهواتها وتزيينها من الشيطان نكسوا رؤوسهم بالطبع فيها فصاروا كالبهائم والأنعام في طلب شهوات الدنيا كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] لأن للأنعام ضلالة طبيعية جبلية في طلب شهوات الدنيا وما كانوا مأمورين بعبودية الله ولا منهيين عن الشهوات حتى يحصل لهم ضلالة مخالفة للأمر والنهي وللإنسان شركة مع الأنعام في الضلالة الطبيعية بميل النفس إلى الدنيا وشهواتها وله اختصاص بضلالة المخالفة فلهذا صار أضل من الأنعام فكما عاشوا ناكسي رؤوسهم إلى شهوات الدنيا ماتوا فيما عاشوا فيه ثم حشروا على ما ماتوا عليه ناكسي رؤوسهم عند ربهم وقد ملكتهم الدهشة وغلبتهم الخجلة فاعتذروا حين لا عذر واعترفوا حين لا اعتراف.

سر ازجيب غفلت بر آور كنون ... كه فردا نماند بخجلت نكون
كنونت كه چشمست اشكى ببار ... زبان دردهانست عذرى بيار
نه پيوسته باشد روان در بدن ... نه همواره كردد زبان در دهن

﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله ﴿ربنا أبصرنا﴾ أي: ونقول لو شئنا أي: لو تعلقت مشيئتنا تعلقاً فعلياً بأن نعطي كل نفس من النفوس البرّة والفاجرة ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح بالتوفيق لهما لأعطيناها إياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه إلى دار الجزاء ﴿ولكن حق القول مني﴾ ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو ﴿لأملأن﴾ [ناچار پركنيم] ﴿جهنم من الجنة﴾ بالكسر جماعة الجن والمراد الشياطين وكفار الجن ﴿والناس﴾ الذين اتبعوا إبليس في الكفر والمعاصي ﴿أجمعين﴾ يستعمل

لتأكيد الاجتماع على الأمر. وقال بعضهم: ﴿ولكن حق القول مني﴾ أي: سبقت كلمتي حيث قلت لإبليس عند قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: ٨٢] الآية ﴿لأملأن﴾ الخ.

وفي «التأويلات»: ﴿ولو شئنا﴾ في الأزل هدايتكم وهداية أهل الضلالة ﴿لآتينا كل نفس هداها﴾ بإصابة رشاش النور على الأرواح ﴿ولكن حق القول مني﴾ قبل وجود آدم وإبليس ﴿لأملأن﴾ الخ ولكن تعلقت المشيئة بإغواء قوم كما تعلقت بإهداء قوم وأردنا أن يكون للنار قطان كما أردنا أن يكون للجنة سكان إظهاراً لصفات لطفنا وصفات قهرنا لأن الجنة وأهلها مظهر لصفات لطفي والنار وأهلها مظهر لصفات قهري وإني فعال لما أريد.

وفي «عرائس البيان» إن جهنم فم قهره انفتح ليأخذ نصيبه ممن له استعداد مباشرة القهر كما أن الجنة فم لطفه انفتح فيأخذ نصيبه ممن له استعداد مباشرة لطفه فاللطيف يرجع إلى اللطيف والكثيف يرجع إلى الكثيف ولو شاء لجعل الناس كلهم عارفين به ولكن جرى القلم في الأزل بالوعد والوعيد كما قال ابن عطاء قدس سره: لو شئنا لوفقنا كل عبد لرضانا ولكن حق القول بالوعد والوعيد ليتم الاختيار. وسئل الشبلي قدس سره عن هذه الآية فقال: يا رب املأ نارك من الشبلي واعف عن عبيدك ليتروح الشبلي بتعذيبك كما يتروح جميع العباد بالعوافي وذلك أن من استوى عنده اللطف والقهر بالوصول إلى الأصل رأى مقصوده في كل واحد منهما كما رأى أيوب عليه السلام المبتلي في بلائه فطاب وقته وحاله وصفاً باله في عين الكدر.

ما بلا خواهيم وزاهد عافيت هرمتاعى را خريدارى فتاد

وعن الحسن قال: خطبنا أبو هريرة رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله يقول: «ليعتذرن الله إلى آدم ثلاث معاذير يقول الله يا آدم لولا أني لعنت الكذابين وأبغضت الكذب والخلف وأعذب عليه لرحمت اليوم ولدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ولكن حق القول مني لئن كذب رسلي وعصى أمري لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. ويقول الله يا آدم: اعلم أني لا أدخل من ذريتك النار أحداً ولا أعذب منهم بالنار أحداً إلا من قد علمت بعلمي أني لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى أشر مما كان فيه ولم يرجع ولم يتب ويقول الله قد جعلتك حكماً بيني وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أني لا أدخل منهم إلا ظالماً».

واعلم أن الله تعالى يملأ جهنم من الأقوياء كما يملأ الجنة من الضعفاء بدليل قوله عليه السلام: «إذا ملئت جهنم تقول الجنة ملأت جهنم من الجبابرة والملوك والفراعنة ولم تملأني من ضعفاء خلقك فينشىء الله خلقاً عند ذلك فيدخلهم الجنة فطوبى لهم من خلق لم يذوقوا موتاً ولم يروا سوءاً بأعينهم» رواه أنس رضي الله عنه. وقوله عليه السلام: «تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت» أي: فضلت «بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة إني لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطعهم فقال الله للنار أنت عذابي أعذبك من أشاء من عبادك ولكل واحدة منكما ملؤها» رواه أبو هريرة رضي الله عنه كذا في «بحر العلوم».

﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

﴿فذوقوا﴾ الفاء لترتيب الأمر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع إلى الدنيا ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلب وإما عن غفلة أو قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الإنسان ذمه الله به فهو ما كان أصله من تعمد كما في هذه الآية وأشار بالباء إلى أنه وإن سبق القول في حق التعذيب لكنه كان بسبب موجب من جانبهم أيضاً فإن الله قد علم منهم سوء الاختيار وذلك السبب هو نسيانهم لقاء هذا اليوم الهائل وتركهم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية بالاشتغال باللذات الدنيوية وشهواتها فإن التوغل فيها يذهل الجن والإنس عن تذكر الآخرة وما فيها من لقاء الله ولقاء جزائه ويسلط عليهم نسيانها وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المكر في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبا: ٣٣] أي: لقاء الله في يومكم هذا.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنكم كنتم في الغفلة والنائم لا يذوق ألم ما عليه من العذاب ما دام نائماً ولكنه إذا انتبه من نومه يذوق ألم ما به من العذاب فالناس نيام ليس لهم ذوق ما عليهم من العذاب فإذا ماتوا انتبهوا فقيل لهم: ذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴿إنا نسيناكم﴾ تركناكم في العذاب ترك المنسي بالكلية استهانة بكم ومجازاة لما تركتم.

وفي «التأويلات»: ﴿إنا نسيناكم﴾ من الرحمة كما نسيتمونا من الخدمة ﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾ أي: العذاب المخلد في جهنم فهو من إضافة الموصوف إلى صفته مثل عذاب الحريق ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي: بالذي كنتم تعملونه من الكفر والمعاصي وهو تكرير للأمر للتأكيد وإظهار الغضب عليهم وتعيين المفعول المطوي للذوق والإشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعن كعب الأحبار قال: إذا كان يوم القيامة تقوم الملائكة فيشفعون ثم تقوم الشهداء فيشفعون ثم تقوم المؤمنون فيشفعون حتى إذا انصرمت الشفاعة كلها خرجت الرحمة فتشفع حتى لا يبقى في النار أحد يعبأ الله به ثم يعظم بكاء أهلها فيها ويؤمر بالباب فيقبض عليهم فلا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم أبداً.

الـهـي زدوزخ دو چـشـم بـدوز بـنـورت كـه فـردا بـنـارت مـسـوز

﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ أي: إنكم أيها المجرمون لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملاً صالحاً ولو رجعناكم إلى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] وإنما يؤمن بها ﴿الذين إذا ذكروا بها﴾ وعظوا، بالفارسية: [پندداده شوند] ﴿خروا سجداً﴾. قال في «المفردات»: خر سقط سقوطاً سمع منه خرير والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من العلو فاستعمال الخرور في الآية تنبيه على اجتماع أمرين: السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح. وقوله بعد ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ تنبيه على أن ذلك الخرير كان تسبيحاً بحمد الله لا شيئاً آخر انتهى أي: سقطوا على وجوههم حال كونهم ساجدين خوفاً من عذاب الله ﴿وسبحوا﴾ نزهوه عن كل ما لا يليق به من الشرك والشبه والعجز عن البعث وغير ذلك ﴿بحمد ربهم﴾ في موضع الحال أي: ملتبسين بحمده

تعالى على نعمائه كتوفيق الإيمان والعمل وغيرهما ﴿وهم لا يستكبرون﴾ الظاهر أنه عطف على صفة الذين أي: لا يتعظمون عن الإيمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبراً كأن لم يسمعها وهذا محل سجود بالاتفاق. قال الكاشفي: [اين سجدهء نهم است بقول إمام اعظم رحمه الله وبقول إمام شافعي دهم حضرت شيخ اكبر قدس سره الأطهر اين را سجده تذكر كفته وساجد بايدكه متذكر كردد آن جيزى راكه ازان غافل شده وتصديق كند دلالات وجود واحد را كه آن دلالتها درهمه اشيا موجودست]:

همه ذرات ازمه تابماهى بوحدانينش داد كواهى

همه اجزاى كون از مغزتا پوست چووا بينى دليل وحدت اوست

وينبغي أن يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها ففي هذه الآية يقول: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك وكره مالك رحمه الله قراءة السجدة في قراءة صلاة الفجر جهراً وسراً فإن قرأ هل يسجد فيه قولان كذا في فتح الرحمٰن. قال في «خلاصة الفتاوى»: رجل قرأ آية السجدة في الصلاة إن كانت السجدة في آخر السورة أو قريباً من آخرها من بعدها آية أو آيتان إلى آخر السورة فهو بالخيار إن شاء ركع بها ينوي التلاوة وإن شاء سجد ثم يعود إلى القيام فيختم السورة وإن وصل بها سورة أخرى كان أفضل وإن لم يسجد للتلاوة على الفور حتى ختم السورة ثم ركع وسجد لصلاته سقط عنه سجدة التلاوة.

وفي «التأويلات»: ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن سجودك كما استكبر إبليس أن يسجد لك إلى قبلة آدم ولو سجد لآدم بأمرك لكان سجوده في الحقيقة لك وكان آدم قبلة للسجود كما أن الكعبة قبلة لنا في سجودنا لك انتهى.

قال بعض الكبار: وليس الإنسان بمعصوم من إبليس في صلاته إلا في سجوده لأنه حينئذٍ يتذكر الشيطان معصيته فيحزن ويشتغل بنفسه ويعتزل عن المصلي فالعبد في سجوده معصوم من الشيطان غير معصوم من النفس. فخواطر السجود كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية وليس للشيطان عليه من سبيل فإذا قام من سجوده غابت تلك الصفة عن إبليس فزال حزنه واشتغل بك. فعلى العاقل أن يسارع إلى الصلاة فريضة كانت أو نافلة حتى يحصل الرغم للشيطان والرضى للرحمان ويتقرب الروح إلى حضرة الملك المتعال ويجد لذة المناجاة وطعم الوصال.

ذوق سجده زائداست از ذوق سكر نزدجان هركرا اين ذوق نى بى مغز باشد درجهان

اللهم اجعلنا من أهل سجدة الفناء إنك سميع الدعاء.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿تتجافى جنوبهم﴾ استئناف لبيان بقية محاسن المؤمنين. والتجافي النبوّ والبعد أخذ من الجفاء فإن من لم يوافقك فقد جافاك وتجنب وتنحى عنك والجنوب جمع جنب وهو شق الإنسان وغيره. والمعنى ترتفع وتتنحى أضلاعهم ﴿عن المضاجع﴾ أي: الفرش ومواضع النوم جمع مضجع كمقعد بمعنى موضع الضجوع أي: وضع الجنب على الأرض، وبالفارسية:

[دور ميشود پهلوهاى ايشان از خوابكهها] وفي إسناد التجافي إلى الجنوب دون أن يقال يجافون جنوبهم إشارة إلى أن حال أهل اليقظة والكشف ليس كحال أهل الغفلة والحجاب فإنهم لكمال حرصهم على المناجاة ترتفع جنوبهم عن المضاجع حين ناموا بغير اختيارهم كأن الأرض ألقتهم من نفسها وأما أهل الغفلة فيتلاصقون بالأرض لا يحركهم محرك ﴿**يدعون ربهم**﴾ حال من ضمير جنوبهم أي: داعين له تعالى على الاستمرار ﴿**خوفاً**﴾ من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته ﴿**وطمعاً**﴾ في رحمته قال عليه السلام في تفسير الآية: قيام العبد من الليل يعني أنها نزلت في شأن المتهجدين فإن أفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل. قال الكاشفي: [چون پردهٔ شب فرو كذارند وجهانيان سربر بالين غفلت بنهند ايشان پهلو از پستر كرم وفراش نرم تهى كرده برقدم نياز بايستند ودر شب در از باحضرت خداوند رازكويند. از سهيل يمنى يعنى اويس قرنى رضي الله عنه منقولست كه درشبى ميكفت «هذه ليلة الركوع» وبيك ركوع بسر مى برد ودرشى ديكر ميفرمودكه «هذه ليلة السجود» وبيك سجده بصبح ميرسانيد كفتند اى اويس چون طاقت طاعت دارى سبب چيست كه شبها بدين درازى بريك حال مى كدرانى كفت كجاست شب درازى كاشكى ازل وابديكشب بودى تابيك سجده بآخر بردمى دران سجده نالهاى زار وكريهاى بيشمار كردمى]:

به نيم شب كه همه مست خواب خوش باشند
من وخيال تو ونالهاى درد آلود

وفي الحديث: «عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أحبته وأهله إلى صلاته فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين أحبته وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وإشفاقاً مما عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه من الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وإشفاقاً مما عندي حتى اهريق دمه» وفي الحديث «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام» قال ابن رواحة رضي الله عنه يمدح النبي عليه السلام:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات إن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وفي الحديث «إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء مناد بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرّحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس».

واعلم أن قيام الليل من علو الهمة وهو وهب من الله تعالى فمن وهب له هذا فليقم ولا يترك ورد الليل بوجه من الوجوه. قال أبو سليمان الداراني قدس سره: نمت عن وردي فإذا أنا بحوراء تقول يا أبا سليمان تنام وأنا أربي لك في الخيام منذ خمسمائة عام. وعن الشيخ أبي

بكر الضرير رضي الله عنه قال: كان في جواري شاب حسن الوجه يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءني يوماً وقال لي: يا أستاذ إني نمت عن وردي الليلة فرأيت كأن محرابي قد انشق وكأني بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن أوجهاً منهن وإذا فيهن واحدة شوهاء لم أر أقبح منها منظراً فقلت: لمن أنتن ولمن هذه فقلن نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلو مت في ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم أنشأت الشوهاء تقول:

اسأل لمولاك واردني إلى حالي ... فأنت قبحتني من بين أشكالي
لا ترقدنّ الليالي ما حييت فإن ... نمت الليالي فهنّ الدهر أمثالي

فأجابتها جارية من الحسان تقول:

أبشر بخير فقد نلت الغنى أبداً ... في جنة الخلد في روضات جنات
نحن الليالي اللواتي كنت تسهرها ... تتلو القرآن بترجيع ورنات
أبشر وقد نلت ما ترجوه من ملك ... بر يجود بأفضال وفرحات
غداً تراه تجلى غير محتجب ... تدني إليه وتحظى بالتحيات

قال: ثم شهق شهقة خر ميتاً رحمه الله تعالى. وفي «آكام المرجان»: ظهر إبليس ليحيى عليه السلام فقال له يحيى: هل قدرت مني على شيء؟ قال: لا إلا مرة واحدة فإنك قدّمت طعاماً لتأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها فقال له يحيى: لا جرم لا شبعت من طعام أبداً قال له الخبيث: لا جرم لا نصحت آدمياً بعدك:

باندازه خور زاد اكرمردمى ... چنين پرشكم آدمي يا خمي
ندارند تن پروران آكهى ... كه بر معده باشد زحكمت تهى

﴿ومما رزقناهم﴾ أعطيناهم من المال ﴿ينفقون﴾ في وجوه الخير والحسنات. قال بعضهم: هذا عام من الواجب والتطوع وذلك على ثلاثة أضرب: زكاة من نصاب، ومواساة من فضل، وإيثار من قوت.

بدونيك را بذل كن سيم وزر ... كه آن كسب خيراست وآن دفع شر
از آن كس كه خيرى بماند روان ... دمادم رسد رحمتش بر روان

﴿فلا تعلم نفس﴾ من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عمن عداهم ﴿ما أخفي لهم﴾ أي: لأولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة من التجافي والدعاء والإنفاق ومحل الجملة نصب بلا تعلم سدت مسد المفعولين ﴿من قرة أعين﴾ مما تقربه أعينهم إذا رأوه وتسكن به أنفسهم. وقال الكاشفي: [از روشنىء چشمها يعني چيزى كه بدان چشمها روشن كردد] وفي الحديث «يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بل ما اطلعتم عليه اقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين» ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي: جزواً جزاء بسبب ما كانوا يعملون في الدنيا من إخلاص النية وصدق الطوية في الأعمال الصالحة [بزركى فرموده كه چون عمل پنهان ميكردند جزا نيز پنهانست تاچنانچه كس را برطاعت ايشان اطلاع نبود كسى را نيز بمكافاة ايشان اطلاع نباشد].

روزى كه روم همره جانان بچمن ... نه لاله وكل بينم ونه سرو وسمن
زيرا كه ميان من واو كفته شود ... من دانم واو داند واو داند ومن

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**تتجافى جنوب**﴾ همم ﴿**هم عن المضاجع**﴾ عن مضاجع الدارين وتتباعد قلوبهم عن مضاجعات الأحوال فلا يساكنون أعمالهم ولا يلاحظون أحوالهم ويفارقون مألفهم ويهجرون في الله معارفهم يدعون ربهم بربهم لربهم خوفاً من القطيعة والإبعاد ﴿**وطمعاً**﴾ في القربات والمواصلات ﴿**ومما رزقناهم**﴾ من نعمة الوجود ﴿**ينفقون**﴾ ببذل المجهود في طلب المفقود وليردّ إليهم بالجود ما أخفي لهم من النقود كما قال تعالى: ﴿**فلا تعلم**﴾ الخ. وفي الحقيقة إن ما أخفي لهم إنما هو جمالهم فقد أخفي عنهم لعينهم فإن العين حق.

فاعلم أنه ما دام أن تكون عينكم الفانية باقية يكون جمالكم الباقي مخفياً عنكم لئلا تصيبه عينكم فلو طلع صبح سعادة التلاقي وذهب بظلمة البين من البين وتبدلت العين بالعين فذهب الجفاء وظهر الخفاء ودام اللقاء كما أقول:

مذ جاء هواكم ذاهباً بالبين لم يبق سوى وصالكم في البين
ما جاء بغير عينكم في عيني والآن محت عينكمولي عيني

وبقوله: ﴿**جزاء بما كانوا يعملون**﴾ يشير إلى أن عدم علم كل نفس بما أخفي لهم وحصول جهلهم به إنما كان جزاء بما كانوا يعملون بالإعراض عن الحق لإقبالهم على طلب غير الله وعبادة ما سواه انتهى.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿**أفمن**﴾ [آيا آنكس كه] ﴿**كان**﴾ في الدنيا ﴿**مؤمناً كمن كان فاسقاً**﴾ خارجاً عن الإيمان لأنه قابل به المؤمن وأيضاً أخبر أنه يخلد في النار ولا يستحق التخليد فيها إلا الكافر ﴿**لا يستوون**﴾ في الشرف والجزاء في الآخرة والتصريح به مع إفادة الإنكار نفي المشابهة للتأكيد وبناء التفصيل الآتي عليه والجمع للحمل على معنى من، قال الكاشفي: [آورده اندكه وليد بن عقبه باشير بيشهٔ مردى در مقام مفاخرت آمده كفت اى على سنان من از سنان توسخترست وزبان من از زبان توتيز تر على كفت خاموش باش أي: فاسق تراباً من چه زهرهٔ مساواة وچه ياراي مجادلاتست حق سبحانه وتعالى براى تصديق علي رضي الله عنه آيت فرستاد] فالمؤمن هو عليّ رضي الله عنه ودخل فيه من مثل حاله والكافر هو الوليد ودخل فيه من هو على صفته ولذلك أورد الجمع في لا يستوون. قال ابن عطاء: من كان في أنوار الطاعة والإيمان لا يستوي مع من هو في ظلمات الفسق والطغيان. وفي «كشف الأسرار» أفمن كان في حلة الوصال يجرّ أذياله كمن هو في مذلة الفراق يقاسي وباله أفمن كان في روح القربة ونسيم الزلفة كمن هو في هول العقوبة يعاني مشقة الكلفة أفمن أيد بنور البرهان وطلعت عليه شموس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان لا يستويان ولا يلتقيان:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

﴿**أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم**﴾ استحقاقاً ﴿**جنات المأوى**﴾ قال الراغب: المأوى مصدر أوى إلى كذا انضم إليه وجنة المأوى كقوله دار الخلود في كون الدار مضافاً إلى

المصدر. وفي «الإرشاد»: أضيفت الجنة إلى المأوى الحقيقي وإنما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة ولذلك سميت قنطرة لأنها معبر للآخرة لا مقر، وبالفارسية: [ايشانراست بوستانها وبهشتهاكه مأواى حقيقي است]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما جنة المأوى كلها من الذهب وهي إحدى الجنان الثمان التي هي دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم **﴿نزلاً﴾** أي: حال كون تلك الجنات ثواباً وأجراً، وبالفارسية: [در حالتى كه پيشكش باشد يعنى ما حضرى كه براى مهمانان آرند] وهو في الأصل ما يعد للنازل والضيف من طعام وشراب وصلة ثم صار عاماً في العطاء **﴿بما كانوا يعملون﴾** بسبب أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿أفمن كان مؤمناً﴾** بطلب الحق تعالى **﴿كمن كان فاسقاً﴾** بطلب ما سوى الحق **﴿لا يستوون﴾** أي: الطالبون لله والطالبون لغير الله فـ **﴿أما الذين آمنوا﴾** بطلب الحق **﴿وعملوا الصالحات﴾** بالإقبال على الله والإعراض عما سواه **﴿فلهم جنات المأوى نزلاً﴾** يعني أن جنات مأوى الأبرار ومنزلهم يكون نزلاً للمقربين السائرين إلى الله وأما مأواهم ومنزلهم ففي مقعد صدق عند مليك مقتدر.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وأما الذين فسقوا﴾ خرجوا عن الإيمان والطاعة بإيثار الكفر والمعصية عليهما **﴿فمأواهم﴾** اسم مكان أي: ملجأهم ومنزلهم **﴿النار﴾** مكان جنات المأوى للمؤمنين **﴿كلما﴾** [هركاه كه] **﴿أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾** عبارة عن الخلود فيها فإنه لا خروج ولا إعادة في الحقيقة كقوله: **﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾** [الإسراء: ٩٧] ونار جهنم لا تخبو يعني كلما قال قائلهم قد خبت زيد فيها ويروى أنه يضربهم لهيب النار فيرتفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم لهيب النار أو تتلقاهم الخزنة بمقامع، يعني: [بكرزهاى آتشين] فتضربهم فيهوون إلى قعرها سبعين خريفاً وهكذا يفعل بهم أبداً وكلمة في للدلالة على أنهم مستقرون فيها وإنما الإعادة من بعض طبقاتها إلى بعض **﴿وقيل لهم﴾** إهانة وتشديداً عليهم وزيادة في غيظهم **﴿ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به﴾** أي: بعذاب النار **﴿تكذبون﴾** على الاستمرار في الدنيا وتقولون لا جنة ولا نار. قال في «برهان القرآن» وفي سبأ. **﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾** [السجدة: ٢٠] لأن النار في هذه السورة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرها والكنايات لا توصف بوصف العذاب وفي سبأ لم يتقدم ذكر النار فحسن وصف النار وهذه لطيفة فاحفظها انتهى.

وفي «التأويلات»: **﴿وأما الذين فسقوا﴾** خرجوا عن سبيل الرشاد ووقعوا في بئر البعد والإبعاد **﴿فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾** لأنهم في هذه الصفة عاشوا وفيها ماتوا فعليها حشروا وذلك أن دعاة الحق لما كانوا في الدنيا ينصحون لهم أن يخرجوا من أسفل الطبيعة بحبل الشريعة برعاية آداب الطريقة حملهم الشوق الروحاني على التوجه إلى الوطن الأصلي العلوي فلما عزموا على الخروج من الدركات الشهوانية أدركتهم الطبيعة

النفسانية الحيوانية السفلية وإعادتهم إلى أسفل الطبيعة ﴿وقيل لهم﴾ يوم القيامة ﴿ذوقوا﴾ الخ لأنكم وإن كنتم معذبين في الدنيا ولكن ما كان لكم شعور بالعذاب الذي يجلل حواسكم الأخروية ولو كنتم تجدون ذوق العذاب لانتهيتم عن الأعمال الموجبة لعذاب النار كما أنكم لما ذقتم ألم عذاب النار في الدنيا احترزتم عنها غاية الاحتراز انتهى. فالاحتراق وصف الكافر والفاسق وأما المؤمن والمطيع فقد قال عليه السلام في حقه: «تقول جهنم للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» كما قال في «المثنوي»:

كويدش بكذر سبك اى محتشم ورنه زاتشهاى تومرد آتشم

وذلك النور هو نور التوحيد وله تأثير جداً في عدم الاحتراق.

ـ كما حكي ـ أن مجذوباً كان يصاحب الشيخ الحاجي بيرام قدس سره وكان يحبه فلما توفي الشيخ جاء المجذوب إلى الشيخ الشهير بآق شمس الدين لكونه خليفة الشيخ الحاجي بيرام فقال له شمس الدين يوماً: يا أخي ما لبست كسوة الشيخ الحاجي بيرام في حياته فكيف لو لبستها من يدنا فقبل ففرح شمس الدين مع مريديه فعملوا ضيافة وألبسوه كسوة فلما لبسها ألقى نفسه في نار كانت في ذلك المجلس فلبث فيها حتى احترقت الكسوة ولم يحترق المجذوب ثم خرج منها وقال: يا أيها الشيخ لا خير في كسوة تحرقها النار. قال بعض العارفين: لو كان المشتاقون دون جماله في الجنة واويلاه ولو كانوا في الجحيم معه واشوقاه فمن كان مع المحبوب فهو لا يحترق ألا ترى أن النبي عليه الصلاة والسلام نظر إلى جهنم وما فيها ليلة المعراج ولم يحترق منه شعرة وكما أن النار تقول للمؤمن ذلك القول كذلك الجنة تقول كذلك الجنة تقول له حين يذهب إلى مقامه جز يا مؤمن إلى مقامك فإن نورك يذهب بزينتي ولطافتي كما قال في «المثنوي»:

كويدش جنت كذركن همچو باد ورنه كردد هرچه من دارم كساد

وذلك لأن نور المؤمن نور التجلي والتجلي إما يكون للمؤمن لا للجنة فيغلب نوره على الجنة التي ليس لها نور التجلي ألا ترى أن من جلس للوعظ وفي المجلس من هو أعلى حالاً منه في العلم يحصل له الانقباض والكساد فلا يطلب إلا قيام ذلك من المجلس فإذا كان هذا حال العالم مع من هو أعلم منه في الظاهر فقس عليه حال العالم مع من هو أعلم منه في الباطن فمن عرف مراتب أهل الله تعالى يسكت عند حضورهم لأن لهم الغلبة في كل شأن ولهم المعرفة بكل مقام قدس الله أسرارهم.

﴿ولنذيقنهم﴾ أي: أهل مكة. والإذاقة بالفارسية: [چشانيدن] ﴿من العذاب الأدنى﴾ أي: الأقرب وهو عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من القحط سبع سنين بدعاء النبي عليه السلام حين بالغوا في الأذية حتى أكلوا الجيف والجلود والعظام المحترقة والعلهز وهو الوبر والدم بأن يخلط الدم بأوبار الإبل وشوي على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان وكذا ابتلوا بمصائب الدنيا وبلاياها مما فيه تعذيبهم حتى آل أمرهم إلى القتل والأسر يوم بدر ﴿دون العذاب الأكبر﴾ أي: قبل العذاب الأكبر الذي هو عذاب الآخرة فدون هنا بمعنى قبل. وفي «كشف الأسرار» وتبعه الكاشفي في تفسيره [فروتر از عذاب بزركتركه خلودست در آتش] وذلك لأنه في الأصل أدنى مكان من الشيء فيقال هذا دون ذلك إذا كان أحط منه قليلاً ثم استعير منه للتفاوت في الأموال، [والرتب درلباب ازتفسير نقاش نقل كرده كه ادنى غلاى

اسعارست واكبر خروج مهدي بشمشير آبدار وكفته اندخوارىٔ دنيا ونكو نسارىء عقبا يا افتادن دركناه ودور افتادن ازدركاه قرب الله]:

دور مـانـدن از وصـال او عـذاب اكـبـر اسـت

آتـش سـوز فـراق ازهـر عـذابـى بـدتـرسـت

وفي «حقائق البقلي»: العذاب الأدنى حرمان المعرفة والعذاب الأكبر الاحتجاب عن مشاهدة المعروف. وقال أبو الحسن الوراق: الأدنى الحرص على الدنيا والأكبر العذاب عليه ﴿لعلهم﴾ أي: لعل من بقي منهم وشاهده ولعل من مثله بمعنى كي ﴿يرجعون﴾ ويتوبون عن الكفر والمعاصي.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أرباب الطلب وأصحاب السلوك إذا وقعت لأحدهم في أثناء السلوك وقفة لعجب تداخله أو لملالة وسآمة نفس أو لحسبان وغرور قبول أو وقعت له فترة بالتفاته إلى شيء من الدنيا وزينتها وشهواتها فابتلاه الله إما ببلاء في نفسه أو ماله أو بيته من أهاليه وأقربائه وأحبائه لعلهم بإذاقة عذاب البلاء والمحن انتبهوا من نوم الغفلة وتداركوا أيام العطلة قبل أن يذيقهم العذاب الأكبر بالخذلان والهجران وقسوة القلب كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] الآية لعلهم يرجعون إلى صدق طلبهم وعلو محبتهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿ومن أظلم﴾ [وكيست ستمكارتر] ﴿ممن ذكر بآيات ربه﴾ أي: وعظ بالقرآن ﴿ثم أعرض عنها﴾ فلم يتفكر فيها ولم يقبلها ولم يعمل بموجبها وثم لاستبعاد الإعراض عنها مع غاية وضوحها وإرشادها إلى سعادة الدارين كقولك لصاحبك: دخلت المسجد ثم لم تصل فيه استبعاداً لتركه الصلاة فيه. والمعنى هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك التركيب على نفي الأعظم من غير تعرض لنفي المساوي ﴿إنا من المجرمين﴾ أي: من كل من اتصف بإجرام وإن هانت جريمته. ﴿منتقمون﴾ فكيف من كان أظلم من كل ظالم وأشد جرماً من كل مجرم، وبالفارسية: [انتقام كشيد كانيم هلاك وعذاب] يقال نقمت من الشيء ونقمته إذا أنكرته إما باللسان وإما بالعقوبة والنقمة العقوبة والانتقام [كينه كشيدن] فإذا نبه العبد بأنواع الزجر وحرك في تركه حدود الوفاق بصنوف من التأديب ثم لم يرتدع عن فعله واغتر بطول سلامته وأمن هواجم مكر الله وخفايا أمره أخذه بغتة بحيث لا يجد فرجة من أخذته كما قال: ﴿إنا من المجرمين﴾ أي: المصرين على جرمهم ﴿منتقمون﴾ بخسارة الدارين، قال الحافظ:

كمين كهست وتوخوش تيزميروى هش دار مـكـن كـه كـرد بـر آيـد زشـهـره عـدمـت

وفي الحديث: «ثلاثة من فعلهن فقد أجرم من عقد لواء في غير حق ومن عق لوالديه ومن نصر ظالماً».

واعلم أن الظلم أقبح الأمور ولذلك حرمه الله على نفسه فينبغي للعاقل أن يتعظ بمواعظ الله ويتخلق بأخلاقه ويجتنب عن أذية الروح بموافقة النفس والطبيعة وأذية عباد الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه استند إلى جدار الكعبة وقال: يا كعبة ما أعظم حرمتك على الله لكني لو هدمتك سبع مرات كان أحب إلي من أن أوذي مسلماً مرة واحدة. وعن وهب بن منبه

أنه قال: جمع عالم من علماء بني إسرائيل سبعين صندوقاً من كتب العلم كل صندوق سبعون ذراعاً فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قل لهذا العالم لا تنفعك هذه العلوم وإن جمعت أضعافاً مضاعفة ما دام معك ثلاث خصال حب الدنيا ومرافقة الشيطان وأذى مسلم فهذه الأسباب توقع الإنسان في ورطة الانتقام وانتقام الله لا يشبه انتقام غيره ألا ترى أنه وصف العذاب بالأكبر. وفي الحديث «إن في أهون باب منها سبعين ألف جبل من نار وفي كل جبل سبعون ألف واد من نار وفي كل واد سبعون ألف شعب من نار وفي كل شعب سبعون ألف مدينة من نار وفي كل مدينة سبعون ألف دار من نار وفي كل دار سبعون ألف قصر من نار وفي كل قصر سبعون ألف صندوق من نار وفي كل صندوق سبعون ألف نوع من العذاب ليس فيها عذاب يشاكل عذاباً» فسمع عمر رضي الله عنه فقال: يا ليتني كنت كبشاً فذبحوني وأكلوني ولم أسمع ذكر جهنم. وقال أبو بكر رضي الله عنه يا ليتني كنت طيراً في المفازة ولم أسمع ذكر النار. وقال علي رضي الله عنه يا ليت أمي لم تلدني ولم أسمع ذكر جهنم نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الوقوع في أسباب العذاب والوقوف في مواقف المناقشة وسوء الحساب وهو الذي خلق فهدى إلى طريق رضاه ومنه الثبات على دينه الموصل إلى جنته وقربته ووصلته ولقاه.

﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب**﴾ أي: التوراة ﴿**فلا تكن في مرية**﴾ أي: شك. وفي «المفردات» المرية التردد في الأمر وهو أخص من الشك ﴿**من لقائه**﴾ اللقاء [ديدن] يقال لقيه كرضيه رآه. قال الراغب يقال ذلك في الإدراك بالحس بالبصر وبالبصيرة وهو مضاف إلى مفعوله. والمعنى من لقاء موسى الكتاب فإنا ألقينا عليه التوراة.

يقول الفقير: هذا هو الذي يستدعيه ترتيب الفاء على ما قبلها. فإن قلت: ما معنى النهي وليس له عليه السلام في ذلك شك أصلاً. قلت فيه تعريض للكفار بأنهم في شك من لقائه إذ لو لم يكن لهم فيه شك لآمنوا بالقرآن إذ في التوراة وسائر الكتب الإلهية ما يصدق القرآن من الشواهد والآيات فإيتاء الكتاب ليس ببدع حتى يرتابوا فيه فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن موسى عليه السلام لما أوتي الكتاب وهو حظ سمعه فلا تشك يا محمد أن يحظى غداً حظ بصره بالرؤية ولكن بشفاعتك وبركة متابعتك واختصاصه في دعائه بقوله: اللهم اجعلني من أمة أحمد فإن الرؤية مخصوصة بك وبأمتك بتبعيتك ﴿**وجعلناه**﴾ أي: الكتاب الذي آتيناه موسى ﴿**هدى**﴾ من الضلالة، وبالفارسية: [راه نماينده] ﴿**لبني إسرائيل**﴾ لأنه أنزل إليهم وهم متعبدون به دون بني إسماعيل وعليهم يحمل الناس في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١]

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿**وجعلنا منهم**﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿**أئمة**﴾ جمع إمام بمعنى المؤتم والمقتدى به قولاً وفعلاً، وبالفارسية: [پيشوا] ﴿**يهدون**﴾ يرشدون الخلق إلى الحق بما في التوراة من الشرائع والأحكام والحكم ﴿**بأمرنا**﴾ إياهم بذلك أو بتوفيقنا لهم ﴿**لما صبروا**﴾ على الحق في جميع الأمور والأحوال وهي شرط لما فيها من معنى الجزاء نحو أحسنت إليك لما جئتني

والتقدير لما صبر الأئمة أي: العلماء من بني إسرائيل على المشاق وطريق الحق جعلناهم أئمة أو هي ظرف بمعنى الحين أي: جعلناهم أئمة حين صبروا ﴿وكانوا بآياتنا﴾ التي في تضاعيف الكتاب ﴿يوقنون﴾ لإمعانهم فيها النظر والإيقان [بى كمان شدن] ولا تشك أنها من عندنا كما يشك الكفار من قومك في حق القرآن. وفيه إشارة إلى أنه كما أن الله تعالى جعل التوراة هدى لبني إسرائيل فاهتدوا بها إلى مصالح الدين والدنيا كذلك جعل القرآن هدى لهذه الأمة المرحومة يهتدون به إلى الشرائع والحقائق وكما أنه جعل من بني إسرائيل قادة أدلاء كذلك جعل من هذه الأمة سادة أجلاء بل رجحهم على الكل بكل كمال فإن الأفضل أولى بإحراز الفضائل كلها.

قال الشيخ العارف أبو الحسن الشاذلي قدس سره: رأيت النبي ﷺ في النوم باهى موسى وعيسى عليهما السلام بالإمام الغزالي قدس سره وقال: أفي أمتكما حبر كذا قالا: لا ورضي الله عن جميع الأولياء والعلماء ونفعنا بهم فانظر ما أشرف علم هذه الأمة وما أعز معرفتهم ولذا يشرفون يوم القيامة بكل حلية.

ـ كما قال بعض الأخيار ـ رأيت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي رحمه الله في النوم بعد وفاته وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج فقلت له: ما هذا البياض؟ فقال: شرف الطاعة قلت: والتاج قال: عز العلم. قال بعض الكبار: من عدم الإنصاف عدم إيمان الناس بما جاء به الأنبياء المعصومون وعدم الإيمان بما أتى به الأولياء المحفوظون فإن البحر واحد فمن آمن بما جاء به الأصل من الوحي يجب أن يؤمن بما جاء به الفرع من الإلهام بجامع الموافقة وقد ثبت أن العلماء ورثة الأنبياء فعلومهم علومهم ففي الاتباع لهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم أجر كثير وثواب عظيم ونجاة من المهالك كما قال الحافظ:

يا رمردان خدا باش كه دركشتى نوح هست خاكى كه بآبى نخرد طوفانرا

﴿إن ربك هو يفصل﴾ يقضي ﴿بينهم﴾ بين الأنبياء وأممهم المكذبين أو بين المؤمنين والمشركين ﴿يوم القيامة﴾ فيميز بين المحق والمبطل [وهريك را مناسب اوجزا دهد] وكلمة هو للتخصيص والتأكيد وإن ذلك الفصل يوم القيامة ليس إلا إليه وحده لا يقدر عليه أحد سواه ولا يفوّض إلى من عداه ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمور الدين هنا أي: في الدنيا. قال بعض الكبار: إن الله تعالى تبارك وتعالى يحكم بين عباده لوجوه:

أولها: لعزتهم لأنهم عنده أعز من أن يجعل حكمهم إلى أحد من المخلوقين بل هو بفضله وكرمه يكون حاكماً عليهم.

وثانيها: غيرة عليهم لئلا يطلع على أحوالهم أحد غيره.

وثالثها: رحمة وكرماً فإنه ستار لا يفشي عيوبهم ويستر عن الأغيار ذنوبهم.

ورابعها: لأنه كريم ومن سنة الكرام أنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً.

وخامسها: فضلاً وعدلاً لأنه الخالق الحكيم الذي خلقهم وما يعملون على مقتضى حكمته ووفق مشيئته فإن رأى منهم حسناً فذلك من نتائج إحسانه وفضله وإن رأى منهم قبيحاً فذلك من موجبات حكمته وعدله وأنه ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] الآية.

وسادسها: عناية وشفقة فإنه تعالى خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم فلا يجوز من كرمه أن يخسروا عليه.

وسابعها: رحمة ومحبة فإنه تعالى بالمحبة خلقهم لقوله: «فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» وللمحبة خلقهم لقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] فينظر في شأنهم بنظر المحبة والرضى:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة

وثامنها: لطفاً وتكريماً فإنه نادى عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] فلا يهين من كرّمه.

وتاسعها: عفواً وجوداً فإنه تعالى عفو يحب العفو فإن رأى جريمة في جريدة العبد يحب عفوها وأنه جواد يحب أن يجود عليه بالمغفرة والرضوان.

وعاشرها: أنه تعالى جعلهم خزائن أسراره فهو أعلم بحالهم وأعرف بقدرهم فإنه خمر طينتهم بيده أربعين صباحاً وجعلهم مرآة يظهر بها جميع صفاته عليهم لا على غيرهم ولو كان الملائكة المقربين ألا ترى أنه تعالى لما قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] فما عرفوهم حق معرفتهم حتى قال تعالى فيهم عزة وكرامة ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] أي: من فضائلهم وشمائلهم فإنهم خزائن أسراري ومرآة جمالي وجلالي فأنتم تنظرون إليهم بنظر الغيرة وأنا أنظر إليهم بنظر المحبة والرحمة فلا ترون منهم إلا كل قبيح ولا أرى منهم إلا كل جميل فلا أرضى أن أجعلكم حاكماً بينهم بل بفضلي وكرمي أنا أفصل بينهم فيما كانوا فيها يختلفون فأحسن إلى محسنهم وأتجاوز عن مسيئهم فلا يكبر عليّ اختلافهم لعلمي بحالهم أنهم لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم.

فعلى العاقل أن يرفع الاختلاف من البين ولا يقع في البين فإن الله تعالى قد هدى بهداية القرآن إلى طريق القربات ولكن ضل عن الاتفاق الأعضاء والقوى في قطع العقبات اللهم ارحم إنك أنت الجواد الأكرم.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿أو لم يهد لهم﴾ تخويف لكفار مكة أي: اغفلوا ولم يبين لهم مآل أمرهم والفاعل ما دل عليه قوله: **﴿كم أهلكنا﴾** أي: كثرة إهلاكنا لأن كم لا يقع فاعلاً فلا يقال جاءني كم رجل **﴿من قبلهم من القرون﴾** مثل عاد وثمود وقوم لوط. والقرن اسم لسكان الأرض عصراً والقرون سكانها على الأعاصير **﴿يمشون في مساكنهم﴾** الجملة حال من ضميرهم يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديار الهالكين وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم وخراب منازلهم **﴿إن في ذلك﴾** الإهلاك وما يتعلق به من الآثار **﴿لآيات﴾** حججاً ومواعظ لكل مستبصر ومعتبر، وبالفارسية [عبرتهاست مر امم آتيه را] **﴿أفلا يسمعون﴾** آيات الله ومواعظه سماع تدبر واتعاظ فينتهوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب.

كسى راكه پندار درسر بود | مپندار هركز كه حق بشنود
زعلمش ملال آيد ازوعظ ننك | شقايق بباران نرويد زسنك

﴿أولم يروا أنا نسوق الماء﴾ السوق [راندن] والمراد سوق السحاب الحامل للماء لأنه هو الذي ينسب إلى الله تعالى وأما السقي بالأنهار فمنسوب إلى العبد وإن كان الإنبات من الله تعالى ولما كان هذا السوق وما بعده من الإخراج محسوساً حمل بعضهم الرؤية على البصرية ويدل عليه أيضاً آخر الآية وهو ﴿أفلا يبصرون﴾. وقال في «بحر العلوم» حملاً على المقصود من النظر أي: قد علموا أنا نسوق الماء، وبالفارسية: [آيا نمى بينند ونميدانندكه ما آب را در ابر ميرانيم] ﴿إلى الأرض الجرز﴾ أي: التي جرز نباتها أي: قطع وأزيل بالكلية لعدم المطر أو لغيره كالرعي لا التي لا تنبت لقوله: ﴿فنخرج﴾ من تلك الأرض ﴿به﴾ أي: بسبب ذلك الماء المسوق ﴿زرعاً﴾ [كشت زارها وغلات وأشجار] وهو في الأصل مصدر عبر به عن المزروع ﴿تأكل منه﴾ أي: من ذلك الزرع ﴿أنعامهم﴾ [چهار پايان ايشان] كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها ﴿وأنفسهم﴾ كالحبوب التي يقتاتها الإنسان والثمار ﴿أفلا يبصرون﴾ أي: لا ينظرون فلا يبصرون ذلك فيستدلون به على وحدته وكمال قدرته وفضله تعالى وأنه الحقيق بالعبادة وأن لا يشرك به بعض خلقه من ملك وإنسان فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع وأيضاً فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم وإحيائهم.

قال ابن عطاء في الآية نوصل بركات المواعظ إلى القلوب القاسية المعرضة عن الحق فتتعظ بتلك المواعظ. قال بعضهم: يسوق مياه معرفته من بحار تجلي جلاله إلى أرض القلوب الميتة فينبت نرجس الوصلة وياسمين المودة وريحان المؤانسة وبنفسج الحكمة وزهر الفطنة وورد المكاشفة وشقائق الحقيقة. وقال بعضهم: نسوق ماء الهداية إلى القلوب الميتة فنسقي حدائق وصلهم بعد جفاف عودها وزوال المأنوس من معهودها فيعود عودها مورقاً بعد ذبوله حاكياً لحالة حال حصوله فنخرج به زرعاً من الواردات التي تصلح لزينة النفوس ومن المشاهدات التي تصلح لتغذية القلوب ولا يخفى أن الهداية على أنواع فهداية الكافر إلى الإيمان وهداية المؤمن الفاسق إلى الطاعات وهداية المؤمن المطيع إلى الزهد والورع وهداية الزاهد المتورع إلى المعرفة وهداية العارف إلى الوصول وهداية الواصل إلى الحصول فعند الحصول تنبت حبة القلب بفيض الإلهام الصريح نباتاً لا جفاف لها بعده فمن هٰهنا يأخذ الإنسان الكامل في الحياة الباقية وينبغي لطالب الحق أن يجتهد في طريق العبودية فإن الفيض والنماء إنما يحصل من طريق العبادات ولذا جعل الله الطاعات رحمة على العباد ألا ترى أن الإنسان إذا صلى صلاة الفجر يقع في بحر المناجاة مع الله ولكن تنقطع هذه الحالة إلى صلاة الظهر بالنسبة إلى الإنسان الناقص إذ ربما يشتغل في البين بما ينقطع به المدد فصلاة الظهر إذا تجدد له حالته وهكذا فتكرر الصلوات في الليل والنهار كتكرر سقي الأرض والزرع صباحاً ومساءً وكذا الصوم فإن شهر رمضان يفتح فيه باب القلب ويغلق باب الطبيعة فيحصل للصائم صفة الصمدية فيكون كالملائكة في المحل ففي تكرر رمضان عليه إمداد له لتكميل تلك الصفة الإلهية وإنما لا يظهر أثر الطاعات في حق العوام لأنهم لا يؤدونها من طريقها وبشرائطها فالله تعالى قادر على أن ينقذهم من شهواتهم ويخرجهم من دائرة غفلاتهم ومن استعجز القدرة الإلهية فقد كفر. قال في «شرح الحكم» وإن أردت الاستعانة على تقوية رجائك فانظر لحال من كان مثلك ثم أنقذه الله وخصه بعنايته كإبراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض وابن المبارك وذي النون ومالك بن دينار وغيرهم من محرومي البداية ومرزوقي النهاية، وفي «المثنوي»:

سـايـهٔ حـق بـرسـر بـنـده بـود | عـاقـبـت جـوينـده يـابـنـده بـود
كـفـت پـيـغـمـبـر كه چـون كـوبـى درى | عـاقـبـت زان در بـرون آيـد سـرى
چـون نـشـينـى بـرسـر كـوى كـسـى | عـاقـبـت بـينـي تـوهـم روى كـسـى
چـون زچـاهـى مـيـكـنـى هـر روز خـاك | عـاقـبـت انـدر رسـى درآب پـاك
جـمـلـه داننـد ايـن اكـر تـو نـكـروى | هـرچـه مـيـكـاريـش روزى بـد روى

وقال في موضع آخر:

چـون صـلاى وصـل بـشـنيـدن كـرفـت | انـدك انـدك مـرده چـنـبيـدن كـرفـت
نـى كـم ازخـاكـسـت كـز عـشـوهٔ صـبـا | سـبـز پـوشـد سـر بـرآرد ازفـنـا
كـم زآب نـطـفـه نـبـود كـز خـطـاب | يـوسـفـان زايـنـد رخ چـون آفـتـاب
كـم زبـادى نـيـسـت شـد از امـركـن | در رحـم طـاوس ومـرغ خـوش سـخـن
كـم زكـوه وسـنـك نـبـود كـز ولاد | نـاقـهٔ كـان نـاقـه نـاقـه زاد زاد

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ويقولون﴾ وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون لكفار مكة إن لنا يوماً يفتح الله فيه بيننا أي: يحكم ويقضي يريدون يوم القيامة أو إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء ﴿متى هذا الفتح﴾ أي: في أي: وقت يكون الحكم والفصل أو النصر والظفر ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أنه كائن.

﴿قل﴾ تبكيتاً لهم وتحقيقاً للحق لا تستعجلوا ولا تستهزئوا فإن ﴿يوم الفتح﴾ يوم إزالة الشبهة بإقامة القيامة فإن أصله إزالة الإغلاق والإشكال أو يوم الغلبة على الأعداء ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ فاعل لا ينفع والموصول مفعوله ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون ويؤخرون فإن الأنظار بالفارسية [زمان دادن] أما إذا كان المراد يوم القيامة فإن الإيمان يومئذٍ لا ينفع الكافر لفوات الوقت ولا يمهل أيضاً في إدراك العذاب ولا في بيان العذر فإنه لا عذر له وأما إذا كان المراد يوم النصرة كيوم بدر فإنه لا ينفع إيمانه حال القتل إذ هو إيمان يأس كإيمان فرعون حين ألجمه الغرق ولا يتوقف في قتله أصلاً والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على أنه ليس مما ينبغي أن يسأل عنه لكونه أمراً بيناً غنياً عن الأخبار وكذا إيمانهم واستنظارهم يومئذٍ وإنما المحتاج إلى البيان عدم نفع ذلك الإيمان وعدم الإنظار ﴿فأعرض عنهم﴾ أي: لا تبال بتكذيبهم، وبالفارسية: [پس روى بكردان بطريق اهانت از ايشان تامدن معلوم يعني تانزول آية السيف] ﴿وانتظر﴾ النصرة عليهم وهلاكهم لصدق وعدي ﴿إنهم منتظرون﴾ الغلبة عليك وحوادث الزمان من موت أو قتل فيستريحوا منك أو إهلاكهم كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا فإنهم منتظرون فإن استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقد أنجز الله وعده فنصر عبده وفتح للمؤمنين وحصل أمانيهم أجمعين.

شكر خداكه هرچه طلب كردم ازخدا | برمنتهـاى همـت خـود كـامـران شـدم

قال بعضهم:

هركرا اقبال باشد رهنمون دشمنش كردد بزودى سر نكون

وفي الآية حث على الانتظار والصبر.

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وإشارة إلى أن أهل الأهواء ينكرون على الأولياء ويستدعون منهم إظهار الكرامات وعرض الفتوحات ولكن إذا فتح الله على قلوب أوليائه لا ينفع الإيمان بفتوحهم زمرة أعدائه إذ لم يقتدوا بهم ولم يهتدوا بهدايتهم فما لهم إلا الحسرات والزفرات فانتظار المقر المقبل لفتوحات الألطاف وانتظار المنكر المدبر لهواجم المقت وخفايا المكر والقهر نعوذ بالله تعالى.

وفي الحديث: «من قرأ ﴿الم * تنزيل﴾ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] أعطى من الأجر كأنما أحيى ليلة القدر» وفي الحديث: «من قرأ ألم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام» كما في «الإرشاد» وفي الحديث: «تجيء ألم تنزيل السجدة يوم القيامة لها جناحان تطاير صاحبها وتقول لا سبيل عليك» كما في «بحر العلوم».

- وروي - عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ألم السجدة وتبارك الذي بيده الملك ويقول: «هما تفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة فمن قرأهما كتب له سبعون حسنة ومحى عنه سبعون سيئة ورفع له سبعون درجة» وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان النبي عليه السلام يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١ - ٢] ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] كما في «كشف الأسرار».

ويسن عند الشافعي وأحمد أن يقرأ في فجر يوم الجمعة في الركعة الأولى ألم السجدة وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] وكره أحمد المداومة عليها لئلا يظن أنها مفضلة بسجدة وعند أبي حنيفة ومالك لا يسن بل كره أبو حنيفة تعيين سورة غير الفاتحة لشيء من الصلوات لما فيه من هجران الباقي كما في «فتح الرحمٰن». قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر إن من أدب العارف إذا قرأ في صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لأنه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف يقرأ بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقي إليه الحق في خاطره كما في «الكبريت الأحمر» نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن يقوم بكلامه آناء الليل وأطراف النهار ويتحقق بمعانيه ومناجاته في السر والجهار.

تمت سورة السجدة بعون الله تعالى يوم الأحد الرابع من شهر رمضان المنتظم في شهور سنة ألف ومائة وتسع

٣٣ ـ سورة الأحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ .

﴿يا أيها النبي﴾ من النبأ وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن وسمي نبياً لأنه منبىء أي: مخبر عن الله بما تسكن إليه العقول الزكية أو من النبوة أي: الرفعة لرفعة محل النبي عن سائر الناس المدلول عليه بقوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٧] ناداه تعالى بالنبي لا باسمه أي: لم يقل يا محمد كما قال يا آدم ويا نوح ويا موسى ويا عيسى ويا زكريا ويا يحيى تشريفاً فهو من الألقاب المشرفة الدالة على علو جنابه عليه السلام. وله أسماء وألقاب غير هذا وكثرة الأسماء والألقاب تدل على شرف المسمى وأما تصريحه باسمه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩] فلتعليم الناس أنه رسول الله وليعتقدوه كذلك ويجعلوه من عقائدهم الحقة [در أسباب نزول مذكور است كه أبو سفيان وعكرمة وأبو الأعور بعد از واقعة أحد از مكة بمدينه آمده در مركز نفاق يعني وثاق ابن أبي نزول كردند وروزى ديكر از رسول خدا در خواستند تا ايشانرا امان دهد وباوى سخن كويند رسول خدا ايشانرا امان داد باجمعى از منافقان برخاستند بحضرت مصطفى عليه السلام آمدند وكفتند «ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع يوم القيامة وتنفع لمن عبدها ونحن ندعك وربك» اين سخن بدان حضرت شاق آمد روى مبارك درهم كشيد عبد الله بن أبيّ ومقت بن قشير وجد بن قيس از منافقان كفتند يا رسول الله سخن اشراف عرب را باوركن كه صلاح كلى درضمن آنست فاروق رضي الله عنه حميت اسلام وصلابت دين دريافته قصد قتل كفره فرمود حضرت عليه السلام كفت أي عمر من ايشانرا بجان امان داده ام تونقض عهد مكن] فأخرجهم عمر رضي الله عنه من المسجد بل من المدينة وقال: اخرجوا في لعنة الله وغضبه فنزلت هذه الآية ﴿اتق الله﴾ في نقض العهد ونبذ الأمان وأثبت على التقوى وزد منها فإنه ليس لدرجات التقوى نهاية وإنما حملت على الدوام لأن المشتغل بالشيء لا يؤمر به فلا يقال للجالس مثلاً اجلس أمره الله بالتقوى تعظيماً لشأن التقوى فإن تعظيم المنادى ذريعة إلى تعظيم شأن المنادى له. قال في «كشف الأسرار» يأتي في القرآن الأمر بالتقوى كثيراً لتعظيم ما بعده من أمر أو نهي كقول ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] وقول لوط ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ [هود: ٧٨]. قال في الكبير: لا يجوز حمله على غفلة النبي عليه السلام لأن قوله النبي ينافي الغفلة لأن النبي خبير فلا يكون غافلاً. قال ابن عطاء: أيها المخبر عني خبر صدق والعارف بي معرفة حقيقية اتق الله في أن يكون لك الالتفات إلى شيء سواي.

واعلم أن التقوى في اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية وعند أهل الحقيقة هو الاحتراز بطاعة الله من عقوبته وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك. قال بعض الكبار المتقي إما أن يتقي بنفسه عن الحق تعالى وإما بالحق عن نفسه والأول هو الاتقاء بإسناد النقائص إلى نفسه عن إسنادها إلى الحق سبحانه فيجعل نفسه وقاية له تعالى والثاني هو الاتقاء بإسناد الكمالات إلى الحق سبحانه عن إسنادها إلى نفسه فيجعل الحق وقاية لنفسه والعدم نقصان فهو مضاف إلى العبد والوجود كمال فهو مضاف إلى الله تعالى. وفي «كشف الأسرار» [آشنا باتقوى كسانند كه بپناه طاعت شوند ازهرچه معصيتست واز حرام بپرهيزند خادمان تقوى ايشانندكه بپناه احتياط شوند واز هرچه شبهتست بپرهيزند عاشقان تقوى ايشانند كه از حسنات وطاعات خويش از روى ناديدن چنان پرهيز كنند كه ديكران از معاصى]:

ما سواي حق مثال كلخنست تقوى ازوى چون حمام روشنست

هركه درحمام شد سيماى او هست پيدا بررخ زيباى او

﴿ولا تطع الكافرين﴾ أي: المجاهرين بالكفر ﴿والمنافقين﴾ أي: المضمرين له أي: دم على ما أنت عليه من انتفاء الطاعة لهم فيما يخالف شريعتك ويعود بوهن في الدين وذلك أن رسول الله لم يكن مطيعاً لهم حتى ينهى عن إطاعتهم لكنه أكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه والإطاعة الانقياد وهو لا يتصور إلا بعد الأمر. فالفرق بين الطاعة والعبادة أن الطاعة فعل يعمل بالأمر لا غير بخلاف العبادة ﴿إن الله كان﴾ على الاستمرار والدوام لا في جانب الماضي فقط ﴿عليماً﴾ بالمصالح والمفاسد فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة ولا ينهاك إلا عما فيه مفسدة ﴿حكيماً﴾ لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾.

﴿واتبع﴾ في كل ما تأتي وما تذر من أمور الدين ﴿ما يوحى إليك من ربك﴾ في التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك أي: فاعمل بالقرآن لا برأي الكافرين. قال سهل: قطعه بذلك عن اتباع أعدائه وأمره بالاتباع في كل أحواله ليعلم أن أصح الطريق شريعة الاتباع والاقتداء لا طريقة الابتداع والاستبداد:

من بسر منزل عنقا نه بخود بردم راه قطع اين مرحله بامرغ سليمان كردم

﴿إن الله كان بما تعملون﴾ من الامتثال وتركه وهو خطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين ﴿خبيراً﴾ [آكاه وخبردار] فيرتب على كل منهما جزاءه ثواباً أو عقاباً فهو ترغيب وترهيب.

﴿وتوكل على الله﴾ أي: فوض جميع أمورك إليه ﴿وكفى بالله﴾ أي: الله تعالى ﴿وكيلاً﴾ حافظاً موكولاً إليه كل الأمور، وبالفارسية: [كار ساز ونكهبان وكفايت كننده مهمات]:

چون ره لطف عنايت كند جمله مهمات كفايت كند

قال الشيخ الزورقي في «شرح الأسماء الحسنى»: الوكيل هو المتكفل بمصالح عباده والكافي لهم في كل أمر ومن عرف أنه الوكيل اكتفى به في كل أمره فلم يدبر معه ولم يعتمد إلا عليه. وخاصيته نفي الحوائج والمصائب فمن خاف ريحاً أو صاعقة أو نحوهما فليكثر منه فإنه يصرف ويفتح له أبواب الخير والرزق. قال في «كشف الأسرار» أبو يزيد بسطامي قدس

سره [باكروه مريدان برتوكل نشسته بودند مدتى بكذشت كه ايشانرا فتوحى برنيامد وازهيچ كس رفقي نيافتند بى طاقت شدند كفتند أي شيخ اكر دستورى باشد بطلب رزقي رويم شيخ كفت اكر دانيد كه روزىٔ شما كجاست رويد وطب كنيد كفتند تا الله را خوانيم ودعا كنيم].

ارباب حاجتيم وزبان سؤال نيست   در حضرت كريم تمنا چه حاجتست

[كفتند أي شيخ پس برتوكل مى نشينيم وخاموش مى باشيم كفتا خدايرا آزمايش ميكنيد كفتند أي شيخ پس چاره وحيلت چيست شيخ كفت «الحيلة ترك الحيلة» يعني حيلت آنست كه اختيار ومراد خود در باقي كنيد تا آنچه قضاست خود ميرود أي جو انمرد حقيقت توكل آنست كه مرد از راه اختيار خود بر خيزد ديدهٔ تصرف را ميل در كشد خيمهٔ رضا وتسليم برسر كوى قضا وقدر بزندديدهٔ مطالعت بر مطالع مجارىء احكام كذارد تا از پردهٔ عزت چه آشكاراشود وبهر چه پيش آيد در نظارهٔ محول باشد نه در نظارهٔ حال چون مرد بدين مقام رسد كليد كنج مملكت دركنار وى نهند توانكر دل كردد]. فعلى العاقل أن يجتهد في ترك الالتفات إلى غير الله ويركب المشاق في طريق من يهواه فإن الأخذ بالعزائم نعت الرجل الحازم وأولو العزم من الرسل هم الذين لقوا الشدائد في تمهيد السبل. ما جنح إلى الرخص إلا من يقع في الغصص. من سلك هٰهنا ما توعر تيسر له في آخرته ما تعسر. فما أثقل ظهرك سوى وزرك. فهنا تحط الأثقال أثقال الأعمال والأقوال. فاحذر من الابتداع في حال الاتباع.

واعلم أن النعم لا يمكن العبد تحصيلها بالأصالة فالله يحصلها له بالوكالة والعاقبة للتقوى.

وقال بعض الكبار: من الأدب أن تسأل لأنه تعالى ما أوجدك إلا لتسأل فإنك الفقير الأول فاسأل من كريم لا يبخل فإنه ذو فضل عميم ومن اتبع هواه لم يبلغ مناه ومن قام بالخدمة مع طرح الحرمة والحشمة فقد خاب وما نجح وخسر وما ربح الخادم في مقام الإذلال فما له وللدلال إذا دخل الخادم على مخدومه واعترض ففي قلبه مرض فبالحرمة والتسليم والتوكل تنال الرغائب في جميع المناصب والله تعالى هو الخبير أي: العليم بدقائق الأمور وخفاياها ومن عرف أنه الخبير اكتفى بعلمه ورجع عن غيره ونسي ذكر غيره بذكره ويترك الدعوى والرياء والتصنع ويكون على إخلاص في العمل فإن الناقد بصير.

بروى ريا حرقه سهلست دوخت   كرش باغدا در توانى فروخت

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل التقوى والإخلاص ويلحقنا بأرباب الاختصاص ويفتح لنا باب الخيرات والفتوح ما مكث في هذا البدن الروح.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾.

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ جعل بمعنى خلق والرجل مخصوص بالذكر من الإنسان والتنكير ومن الاستغراقية لإفادة التعميم والقلب مضغة صغيرة في هيئة الصنوبرة خلقها الله في الجانب الأيسر من صدر الإنسان معلقة بعرق الوتين وجعلها محلاً للعلم وجوف الإنسان بطنه كما في اللغات وذكره لزيادة التقرير كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، والمعنى بالفارسية: [الله تعالى هيچ مردرا دو دل نيافريد در اندرون

وى زيرا كه قلب معدن روح حيواني ومنبع قوتهاست پس يكى بيش نشايد زيراكه روح حيواني يكيست] وفيه طعن على المنافقين كما قاله القرطبي يعني أن الله تعالى لم يخلق للإنسان قلبين حتى يسع أحدهما الكفر والضلال والإصرار والانزعاج والآخر الإيمان والهدى والإنابة والطمأنينة فما بال هؤلاء المنافقين يظهرون ما لم يضمروه وبالعكس. وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون يقولون إن لمحمد قلبين قلباً معنا وقلباً مع أصحابه فأكذبهم الله. وقال بعضهم: هذا رد ما كانت العرب تزعم من أن للعاقل المجرب للأمور قلبين ولذلك قيل لأبي معمر ذي القلبين وكان من أحفظ العرب وأدراهم وأهدى الناس إلى طريق البلدان وكان مبغضاً للنبي عليه السلام وكان هو أو جميل بن أسد يقول: في صدري قلبان أعقل بهما أفضل مما يعقل محمد بقلبه [كفت در سينه بن دودل نهاده اند تادانش ودر يافت من بيش از در يافت محمد باشد] وكان الناس يظنون أنه صادق في دعواه فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم فيهم وهو يعدو في الرمضاء وإحدى نعليه في يده والأخرى في رجله فلقيه أبو سفيان وهو يقول: أين نعلي أين نعلي ولا يعقل أنها في يده فقال له إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فعلموا يومئذٍ أنه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده.

ويقول الفقير: أمّا ما يقال بين الناس لفلان قلبان فليس على حقيقته وإنما يريدون بذلك وصفه بكمال القوة وتمام الشجاعة كأنه رجلان وله قلبان. وفي الآية إشارة إلى أن القلب خلق للمحبة فقط فالقلب واحد والمحبة واحدة فلا تصلح إلا لمحبوب واحد لا شريك له كما أشار إليه من قال:

دلـم خـانـهٔ مـهـريـارسـت وبـس ازان مـى نـكـنـجـد دروكـيـن كـس

فمن اشتغل بالدنيا قالباً وقلباً ثم ادعى حب الآخرة بل حب الله فهو كاذب في دعواه.

چمشيد جز حكايت جام از جهان نبرد زنـهـار دل مـبـنـد بـر اسـبـاب دنـيـوي

﴿وما جعل أزواجكم﴾ نساءكم جمع زوج كما أن الزوجات جمع زوجة والزوج أفصح وإن كان الثاني أشهر، وبالفارسية: [ونساخته زنان شمارا] ﴿اللائي﴾ جمع التي ﴿تظاهرون منهن﴾ أي: تقولون لهن أنتن علينا كظهور أمهاتنا أي: في التحريم فإن معنى ظاهر من امرأته قال لها: أنت عليّ كظهر أمي فهو مأخوذ من الظهر بحسب اللفظ كما يقال لبى المحرم إذا قال لبيك واقف الرجل إذا قال: أف وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب وكان طلاقاً في الجاهلية وكانوا يجتنبون المطلقة، يعني: [طلاق جاهليت اين بود كه بازن خويش ميكفتند] أنت عليّ كظهر أمي أي: أنت عليّ حرام كبطن أمي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وإنما جعلوا الكناية بالظهر عن البطن لأنه عمود البطن وقوام البنية ﴿أمهاتكم﴾ أي: كأمهاتكم جمع أم زيدت الهاء فيه كما زيدت في إهراق من أراق وشدت زيادتها في الواحدة بأن يقال أمه. والمعنى ما جمع الله الزوجية والأمومة في امرأة لأن الأم مخدومة لا يتصرف فيها والزوجة خادمة يتصرف فيها والمراد بذلك نفي ما كانت العرب تزعمه من أن الزوجة المظاهر منها كالأم. قال في «كشف الأسرار»: [چون اسلام آمد وشريعت راست رب العالمين براى اين كفارت وتحلت بديد كرد وشرع آنرا اظهار نام نهاد] وهو في الإسلام يقتضي الطلاق والحرمة إلى أداء الكفارة وهي عتق رقبة فإن عجز صام شهرين متتابعين ليس فيهما رمضان ولا شيء من الأيام المنهية وهي يوما العيد وأيام التشريق فإن عجز أطعم

ستين مسكيناً كل مسكين كالفطرة أو قيمة ذلك. وقوله: أنت عليّ كظهر أمي لا يحتمل غير الظهار سواء نوى أو لم ينو ولا يكون طلاقاً أو إيلاء لأنه صريح في الظهار. ولو قال: أنت عليّ مثل أمي فإن نوى الكرامة أي: إن قال: أردت أنها مكرمة عليّ كأمي صدق أو الظهار فظهار أو الطلاق فبائن وإن لم ينو شيئاً فليس شيء. ولو قال: أنت عليّ حرام كأمي ونوى ظهاراً أو طلاقاً فكما نوى. ولو قال: أنت عليّ حرام كظهر أمي ونوى طلاقاً وإيلاء فهو ظهار وعندهما ما نوى ولا ظهار إلا من الزوجة فلا ظهار من أمته لأن الظهار منقول عن الطلاق لأنه كان طلاقاً في الجاهلية ولا طلاق في المملوك. ولو قال لنسائه أنتن عليّ كظهر أمي كان مظاهراً منهن وعليه لكل واحدة كفارة وإن ظاهر من واحدة مراراً في مجلس أو مجالس فعليه لكل ظهار كفارة كما في تكرار اليمين فكفارة الظهار واليمين لا تتداخل بخلاف كفارة شهر رمضان وسجدة التلاوة أي: إذا تكررت التلاوة في موضع لا يلزم إلا سجدة واحدة ﴿**وما جعل أدعياءكم**﴾ جمع دعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعي ولداً ويتخذ ابناً أي: المتبني بتقديم الباء الموحدة على النون، وبالفارسية: [كسى را به پسرى كرفتن] وقياسه أن يجمع على فعلى كجرحى بأن يقال دعيا فإن أفعلاء مختص بفعيل بمعنى فاعل مثل تقي وأتقياء كأنه شبه فعيل بمعنى مفعول في اللفظ بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ﴿**أبناءكم**﴾ حقيقة في حكم الميراث والحرمة والنسب أي: ما جعل الله الدعوة والبنوة في رجل لأن الدعوة عرض والبنوة أصل في النسب ولا يجتمعان في الشيء الواحد وهذا أيضاً رد ما كانوا يزعمون من أن دعى الرجل ابنه فيجعلون له من الميراث مثل نصيب الذكر من أولادهم ويحرمون نكاح زوجته إذا طلقها ومات عنها ويجوز أن يكون نفي القلبين لتمهيد أصل يحمل عليه نفي الأمومة عن المظاهر منها والبنوة عن المتبني.

والمعنى: كما لم يجعل الله قلبين في جوف واحد لأدائه إلى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلاً لكل القوى وغير أصل كذلك لم يجعل الزوجة أمّاً والدعيّ ابنا لأحد يعني كون المظاهر منها أمّاً وكون الدعيّ ابناً أي: بمنزلة الأم والابن في الآثار والأحكام المعهودة بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد. وفيه إشارة إلى أن في القرابة النسبية خواص لا توجد في القرابة السببية فلا سبيل لأحد أن يضع في الأزواج بالظهار ما وضع الله في الأمهات ولا أن يضع في الأجانب بالتبني ما وضع الله في الأبناء فإن الولد سر أبيه فما لم يجعل الله فليس في مقدور أحد أن يجعله ﴿**ذلكم**﴾ [اين مظاهره را مطلقه ودعى را ابن خواندن] أو هو إشارة إلى الأخير فقط لأنه المقصود من سياق الكلام أي: دعاؤكم الدعي بقولكم هذا ابني. ﴿**قولكم بأفواهكم**﴾ فقط لا حقيقة له في الأعيان كقول الهازل فإذا هو بمعزل عن أحكام البنوة كما زعمتم والأفواه جمع فم واصل فم فوه بالفتح مثل ثوب وأثواب وهو مذهب سيبويه والبصريين وفوه بالضم مثل سوق وأسواق وهو مذهب الفراء حذفت الهاء حذفاً غير قياسي لخفائها ثم الواو لاعتلالها ثم أبدلت الواو المحذوفة ميماً لتجانسهما لأنهما من حروف الشفة فصار فم. قال الراغب وكل موضع علق الله فيه حكم القول بالفم فإشارة إلى الكذب وتنبيه على أن الاعتقاد لا يطابقه ﴿**والله يقول الحق**﴾ أي: الكلام المطابق للواقع لأن الحق لا يصدر إلا من الحق وهو أن غير الابن لا يكون ابناً ﴿**وهو يهدي السبيل**﴾ أي: سبيل الحق لا غيره فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله هذا. والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك وما فيه سهولة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والله يقول الحق﴾ فيما سمي كل شيء بازاء معناه ﴿وهو يهدي السبيل﴾ إلى اسم كل شيء مناسب لمعناه كما هدى آدم عليه السلام بتعليم الأسماء كلها وخصصه بهذا العلم دون الملائكة المقربين. قال بعض الكبار: اعلم أن آداب الشريعة كلها ترجع إلى ما نذكره وهو أن لا يتعدى العبد في الحكم موضعه في جوهر كان أو في عرض أو في زمان أو مكان أو في وضع أو في إضافة أو في حال أو في مقدار أو عدد أو في مؤثر أو في مؤثر فيه. فأما أولاها في الجوهر فهو أن يعلم العبد حكم الشرع في ذلك فيجربه فيه بحسنه. وأما أدب العبد في الأعراض فهو ما يتعلق بأفعال المكلفين من وجوب وحظر وإباحة ومكروه وندب. وأما أدبه في الزمان فلا يتعلق إلا بأوقات العبادات المرتبطة بالأوقات فكل وقت له حكم في المكلف ومنه ما يضيق وقته ومنه ما يتسع. وأما أدبه في المكان كمواضع العبادات مثل بيوت الله فيرفعها عن البيوت المنسوبة إلى الخلق ويذكر فيها اسمه. وأما أدبه في الوضع فلا يسمي الشيء بغير اسمه ليغير عليه حكم الشرع بتغيير اسمه فيحلل ما كان محرماً ويحرم ما كان محللاً كما في حديث «سيأتي على أمتي زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها» أي: فتحاً لباب استحلالها بالاسم وقد تفطن لما ذكره الإمام مالك رحمه الله فسئل عن خنزير البحر فقال: هو حرام فقيل له إنه من جملة سمك البحر فقال: أنتم سميتوه خنزيراً فانسحب عليه حكم التحريم لأجل الاسم كما سموا الخمر نبيذاً أو ابريزاً فاستحلوها بالاسم وقالوا إنما حرم علينا ما كان اسمه خمراً. وأما أدب الإضافة فهو مثل قول الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الكهف: ٨١] وذلك للاشتراك بين ما يحمد ويذم وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] لتخليص المحمدة فيه فإن الشيء الواحد يكتسب ذماً بالنسبة إلى جهة ويكتسب حمداً بالإضافة إلى جهة أخرى وهو هو بعينه وإنما يغير الحكم بالنسبة. وأما أدب الأحوال كحال السفر في الطاعة وحال السفر في المعصية فيختلف الحكم بالحال. وأما الأدب في الأعداد فهو أن لا يزيد في أفعال الطهارة على أعضاء الوضوء ولا ينقص وكذلك القول في أعداد الصلوات والزكوات ونحوها وكذلك لا يزيد في الغسل عن صاع والوضوء عن مد. وأما أدبه في المؤثر فهو أن يضيف القتل أو الغصب مثلاً إلى فاعله ويقيم عليه الحدود. وأما أدبه في المؤثر فيه كالمقتول قوداً فينظر هل قتل بصفة ما قتل به أو بأمر آخر وكالمغصوب إذا وجد بغير يد الذي باشر الغصب فهذه أقسام آداب الشريعة كلها فمن عرفها وأجراها كان من المهتدين إلى السبيل الحق والمحفوظين عن الضلال المطلق فاعرف.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾.

﴿ادعوهم لآبائهم﴾ يقال فلان يدعى لفلان أي: ينسب إليه ووقوع اللام هٰهنا للاستحقاق. قال بعضهم: [اين آيت براى زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي بود] سبي صغيراً وكانت العرب في جاهليتها يغير بعضهم على بعض ويسبي فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه ورباه كالأولاد وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب وكان يدعى زيد بن محمد وكذا يدعى المقداد بن عمرو البهراني المقداد بن الأسود

وسالم مولى أبي حذيفة سالم بن أبي حذيفة وغير هؤلاء ممن تبنى وانتسب لغير أبيه [ودر صحيح بخاري از ابن عمر منقولست كه نمى كفتيم إلا زيد بن محمد تا اين آيت آمد وما اورا زيد بن حارثة كفتيم] فالمعنى انسبوا الأدعياء إلى الذين ولدوهم فقولوا: زيد بن حارثة وكذا غيره، وبالفارسية: [مردانرا به پدران باز خوانيد] ﴿هو﴾ أي: الدعاء لآبائهم فالضمير لمصدر ادعوا كما في قوله: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] ﴿أقسط عند الله﴾ القسط بالكسر العدل وبالفتح هو أن يأخذ قسط غيره وذلك غير إنصاف ولذلك قيل قسط الرجل إذا جار وأقسط إذا عدل.

ـ حكي ـ أن امرأة قالت للحَجَّاج: أنت القاسط فضربها وقال: إنما أردت القسط بالفتح وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة المطلقة والمعنى بالغ في العدل والصدق، وبالفارسية: [راسترست ودادتر]. وفي «كشف الأسرار»: هو أعدل وأصدق من دعائهم إياهم لغير آبائهم ﴿فإن لم تعلموا﴾ [پس اكر ندانيد ونشناسيد] ﴿آباءهم﴾ [پدران ايشانرا تانسبت دهيد بآنها]. قال بعضهم متى عرض ما يحيل معنى الشرط جعلت أن بمعنى إذ وإذ يكون للماضي فلا منافاة هٰهنا بين حرفي الماضي والاستقبال. قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤] إن تفعلوا جزم بلم فإنها لما صيرته أي: المضارع ماضياً صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكأنه قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما أي: حرف الشرط ولم ﴿فإخوانكم في الدين﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين يعني من أسلم منهم ﴿ومواليكم﴾ وأولياؤكم فيه أي: فادعوهم بالإخوة الدينية والمولوية وقولوا: هذا أخي وهذا مولاي بمعنى الأخوة والولاية في الدين فهو من الموالاة والمحبة. قال بعضهم: [ايشانرا برادر مى خوانيد واكر شمارا مولاست يعنى آزاد كرده مولى ميخوانيد] ويدل عليه أن أبا حذيفة أعتق عبداً يقال له سالم وتبناه وكانوا يسمونه سالم بن أبي حذيفة كما سبق فلما نزلت هذه الآية سموه مولى أبي حذيفة ﴿وليس عليكم جناح﴾ أي: إثم يقال جنحت السفينة أي: مالت إلى أحد جانبيها وسمي الإثم المائل بالإنسان على الحق جناحاً ثم سمي كل إثم جناحاً. وقال بعضهم: إنه معرب كناه على ما هو عادة العرب في الإبدال ومثله الجوهر معرّب كوهر ﴿فيما أخطأتم به﴾ بقطع الهمزة لأن همزة باب الأفعال مقطوعة أي: فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده على سبق اللسان أو النسيان. وقال ابن عطية: لا تتصف التسمية بالخطأ إلا بعد النهي والخطأ العدول عن الجهة. وفرق بين الخاطىء والمخطىء فإن من يأتي بالخطأ وهو يعلم أنه خطأ فهو خاطىء فإذا لم يعلم فهو مخطىء يقال: أخطأ الرجل في كلامه وأمره إذا زل وهفا وخطأ الرجل إذا ضل في دينه وفعله ومنه ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ [الحاقة: ٣٧] والمعنى بالفارسية: [دران چيزى كه خطا كرديد بآن] ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ أي: ولكن الجناح فيما قصدت قلوبكم بعد النهي على أن ما في محل الجر عطفاً على ما أخطأتم أو ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح على أن محل ما الرفع على الابتداء محذوف الخبر وفي الحديث: «من دعي إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ بليغ المغفرة والرحمة يغفر لخطيئتي ويرحم. وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهم اغفر خطاياي فقال: يا ابن آدم استغفر العمد وأما الخطأ فقد تجاوز لك عنه.

يقول الفقير: هذا لا يخالف الآية لأن المخطىء إذا قصر ووقع في أسباب أدّته إلى الخطأ

كأن مظنة المغفرة ومحل الرحمة ثم المتبني بقوله هو ابني إذا كان مجهول النسب وأصغر سناً من المتبني ثبت نسبه منه وإن كان عبداً له عتق مع ثبوت النسب وإن كان لا يولد لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبي حنيفة خلافاً لصاحبيه فإنه لا يعتق عندهما لأن كلامه محال فيلغو وأما معروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وإن كان عبداً عتق.

واعلم أن من نفى نسب الدعي عنه لا يلزمه شيء إذ هو ليس بابن له حقيقة وأما إذا نفى نسب ولده الثابت ولادته منه فيلزمه اللعان لأنه قذف منكوحته بالزنى وإن كذب نفسه يحد واللعان باب من الفقه فليطلب هناك.

ثم اعلم أن النسب الحقيقي ما ينسب إلى النبي ﷺ فإنه النسب الباقي كما قال: «كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي» فحسبه الفقر ونسبه النبوة فينبغي أن لا يقطع الرحم عن النبوة بترك سننه وسيرته فإن قطع الرحم الحقيقي فوق قطع الرحم المجازي في الإثم إذ ربما يقطع الرحم المجازي إذا كان الوصل مؤدياً إلى الكفر أو المعصية كما قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ [لقمان: ١٥] الخ.

چون نبود خويش را ديانت وتقوى قطع رحم بهتر ازمودت قربى

وأما قطع الرحم الحقيقي فلا مساغ له أصلاً والأب الحقيقي هو الذي يقدر على التوليد من رحم القلب بالنشأة الثانية يعني في عالم الملكوت وهم الأنبياء والورثة من كمل الأنبياء فاعرف هذا وانتسب نسبة لا تنقطع في الدنيا والآخرة قال عليه السلام: «كل تقي نقي آلى» جعلنا الله وإياكم من هذا الآل.

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ يقال: فلان أولى بكذا أي: أحرى وأليق، وبالفارسية: [سراوارتر].

- روي - أنه عليه السلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نشاور آباءنا وأمهاتنا فنزلت، والمعنى النبي عليه السلام أحرى وأجدر بالمؤمنين من أنفسهم في كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهد به الإطلاق على معنى أنه لو دعاهم إلى شيء ودعتهم نفوسهم إلى شيء آخر كان النبي أولى بالإجابة إلى ما يدعوهم إليه من إجابة ما تدعوهم إليه نفوسهم لأن النبي لا يدعوهم إلا إلى ما فيه نجاتهم وفوزهم وأما نفوسهم فربما تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم وبوارهم كما قال تعالى حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] فيجب أن يكون عليه السلام أحب إليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها وآثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه في الخطوب والحروب ويتبعوه في كل ما دعاهم إليه، يعني: [بايدكه فرمان اورا ازهمه فرمانها لاز مترشناسند] وفي الحديث: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب» جمع جندب بضم الجيم وفتح الدال وضمها نوع من الجراد. والفراش جمع فراشة بفتح الفاء وهي دويبة تطير وتقع في النار، وبالفارسية: [پروانه] «يقعن فيها وهو يذب عنها»

أي: يدفع عن النار من الوقوع فيها «وأنا آخذ بحجزكم» بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجزة وهي معقد الإزار وحجزة السراويل موضع التكة «عن النار» أي: ادفع عن نار جهنم «وأنتم تفلتون» بتشديد اللام أي: تخلصون «من يدي» وتطلبون الوقوع في النار بترك ما أمرته وارتكاب ما نهيته وفي الحديث: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة» أي: في الشفقة «من أنفسهم ومن آبائهم» وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وماله والناس أجمعين». قال سهل قدس سره: من لم ير نفسه في ملك الرسول ولم ير ولايته عليه في جميع أحواله لم يذق حلاوة سننه بحال.

دردو عالم غيب وظاهر اوست دوست	دوستئ ديكران بربوى اوست
دوستئ اصل بايد كرد وبس	فرع را بهر چه دارد دوست كس
اصل دارى فرع كوهر كزمباش	تن بمان وجان بكيراى خواجه تاش

قال في «الأسئلة المقحمة»: والآية تشير إلى أن اتباع الكتاب والسنة أولى من متابعة الآراء والأقيسة حسبما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ﴿وأزواجه﴾ [وزنان او] ﴿أمهاتهم﴾ أي: منزلات منازلهن في وجوب التعظيم والاحترام وتحريم النكاح كما قال تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وأما فيما عدا ذلك من النظر إليهن والخلوة بهن والمسافرة معهن والميراث فهن كالأجنبيات فلا يحل رؤيتهن كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ولا الخلوة والمسافرة ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن. وعن أبي حنيفة رحمه الله كان الناس لعائشة رضي الله عنها محرماً فمع أيهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك انتهى وقد سبق وجهه في سورة النور في قصة الإفك فبان أن معنى هذه الأمومة تحريم نكاحهن فقط ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: لسنا أمهات النساء أي: بل أمهات الرجال وضعف ما قال بعض المفسرين من أنهن أمهات المؤمنين والمؤمنات جميعاً ولما ثبت التحريم خصوصاً لم يتعد عشيرتهن فلا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاته ولهذا قال الشافعي: تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين ثم إن حرمة نكاحهن من احترام النبي عليه السلام واحترامه واجب وكذا احترام ورثته الكمل وكذا قال بعض الكبار: لا ينكح المريد امرأة شيخه إن طلقها أو مات عنها وقس عليه حال كل معلم مع تلميذه وهذا لأنه ليس في هذا النكاح يمن أصلاً لا في الدنيا ولا في الآخرة وإن كان رخصة في الفتوى ولكن التقوى فوق أمر الفتوى فاعرف هذا. ورد مصحف أبيّ وقراءة ابن مسعود رضي الله عنهما [چنين بوده «وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم» مراد شفقت تمام ورحمت لا كلام است].

وقال بعضهم أي: النبي عليه السلام أب لهم في الدين لأن كل نبي أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية ولذلك صار المؤمنون إخوة. قال الإمام الراغب: الأب الوالد ويسمى كل من كان سبباً إلى إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أبا ولذلك سمي النبي عليه السلام أباً للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**﴾ وفي بعض القراآت وهو «أب لهم».

ـ وروي ـ أنه قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «أنا وأنت أبو هذه الأمة» وإلى هذا أشار بقوله: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» ﴿**وأولو الأرحام**﴾ أي: ذووا

القرابات ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ في التوارث كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالموالاة في الدين والمؤاخاة وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تؤلف قلوب قوم بإسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما قوي الإسلام وعز أهله وجعل التوارث بالقرابة ﴿في كتاب الله﴾ أي: في اللوح المحفوظ أو في القرآن المنزل وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم وهو متعلق بأولو وأفعل يعمل في الجار والمجرور ﴿من المؤمنين﴾ يعني الأنصار ﴿والمهاجرين﴾ [وازمهاجران كه حضرت پيغمبر ايشانرا بايكديكر برادرى داد] وهو بيان لأولي الأرحام أي: الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى ببعض بأن يرث بعضهم بعضاً من الأجانب أو صلة أولى أي: أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أي: أحق بهم في توليدهم من صلبه فالنبي بمنزلة أبيهم ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ يشير إلى أن أمهاتهم قلوبهم وهن أزواجه يتصرف في قلوبهم تصرف الذكور في الإناث بشرط كمال التسليم ليأخذوا من صلب النبوة نطفة الولاية في أرحام القلوب وإذا حملوا النطفة صانوها من الآفات لئلا تسقط بأدنى رائحة من روائح حب الدنيا وشهواتها فإنها تسقط الجنين فيرتدوا على أعقابهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ثم قال: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ يعني بعد أولوية النبي عليه السلام بالمؤمنين أولو الأرحام في الدين بعضهم أولى ببعض للتربية أو بعد النبي عليه السلام أكابرهم من المؤمنين الكاملين أولى بأصاغرهم من الطالبين ﴿في كتاب الله﴾ أي: في سنة الله وتقديره للتوالد في النشأة الثانية نيابة عن النبي عليه السلام ﴿من المؤمنين﴾ بالنشأة الأخرى ﴿والمهاجرين﴾ عما سوى الله انتهى ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾ استثناء من أعم ما تقدر الأولوية فيه من النفع كقولك القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية تريد أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية فالمراد بالأولياء من يوالونهم ويواخونهم وبفعل المعروف التوصية بثلث المال أو أقل منه لا بما زاد عليه أي: أنهم أحقاء في كل نفع منهم إلا في الوصية لأنه لا وصية لوارث ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً أي: الأقارب أحق بالميراث من الأجانب لكن فعل التوصية أولى للأجانب من الأقارب لأنه لا وصية لوارث ﴿كان ذلك﴾ أي: ما ذكر في الآيتين من أولوية النبي عليه السلام وتوارث ذوي الأرحام ﴿في الكتاب﴾ متعلق بقوله: ﴿مسطوراً﴾ يقال سطر فلان كذا أي: كتب سطراً سطراً وهو الصف من الكتابة أي: مثبتاً محفوظاً في اللوح أو مكتوباً في القرآن.

اعلم أنه لا توارث بين المسلم والكافر ولكن صحت الوصية بشيء من مال المسلم للذمي لأنه كالمسلم في المعاملات وصحت بعكسه أي: من الذمي للمسلم ولذا ذهب بعضهم إلى أن المراد بالأولياء هم الأقارب من غير المسلمين أي: إلا أن توصوا لذوي قرابتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان وذلك فإن القريب الغير المسلم يكون كالأجنبي فتصح الوصية له مثله وندبت الوصية عند الجمهور في وجوه الخير لتدارك التقاصير. وفي الزاهدي أنها مباحة كالوصية للأغنياء من الأجانب ومكروهة كالوصية لأهل المعصية ومستحبة كالوصية بالكفارات وفدية الصيامات والصلوات. وفي الآية إشارة إلى أن النفس إذا تزكت عن الأخلاق الذميمة وتبدلت عداوتها وصارت من الأولياء بعد أن كانت من الأعداء فيواسيها ويعمل معها معروفاً

برفق من الأرفاق كان ذلك المعروف في حق النفس مسطوراً في أم الكتاب وأما قبل التزكي فلا يرفق بها لأنها عدوة الله ولا بد للعدو من الغلظة وترك المواساة ولهذا لم تصح الوصية للحربي لأنه ليس من أهل البر فالوصية لمثله كتربية الحية الضارة لتلدغه، وفي «المثنوي»:

دست ظالم را ببر چه جاى آن ... كه بدست او نهى حكم وعنان
توبدان بزمانى اى مجهل داد ... كه نژاد كرك را او شير داد
نقش بى عهدست كان رو كشتنيست ... او دنى وقبله كاه او دنيست

ومن الأمثال: «كمجير أم عامر» وكان من حديثه أن قوماً خرجوا إلى الصيد في يوم حار فبينما هم كذلك إذ عرضت لهم أم عامر وهي الضبع فطردوها حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي فاقتحمت فخرج إليهم الأعرابي فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صيدنا وطريدتنا قال: كلا والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي بيدي فرجعوا وتركوه فقام إلى لقحة فحلبها وقرّب منها ذلك وقرب إليها ماء فأقبلت مرة تلغ من هذا ومرة من هذا حتى عاشت واستراحت فبينما الأعرابي قائم في جوف بيته إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه وتركته فجاء ابن عم له وإذا به على تلك الصورة فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها فقام أثرها فقال صاحبتي والله وأخذ سيفه وكنانته واتبعها فلم يزل حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول:

ومن يصنع المعروف مع غير أهله ... يلاق كما لاقى مجير أم عامر
أدام لها حين استجارت بقربه ... قراها بالبان اللقاح الغزائر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... غدا يصنع المعروف مع غير شاكر

كذا في «حياة الحيوان» نسأل الله العناية والتوفيق.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾.

﴿وإذ أخذنا من النبيين﴾ أي: واذكر يا محمد لقومك أو ليكن ذكر منك يعني لا تنس وقت أخذنا من الأنبياء كافة عند تحميلهم الرسالة **﴿ميثاقهم﴾** الميثاق عقد يؤكد بيمين أي: عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين الحق **﴿ومنك﴾** أي: وأخذنا منك يا حبيبي خاصة وقدم تعظيماً وإشعاراً بأنه أفضل الأنبياء وأولهم في الخلق وإن كان آخرهم في البعث وفي الحديث «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي: لا قول هذا بطريق الفخر **﴿ومن نوح﴾** شيخ الأنبياء وأول الرسل بعد الطوفان **﴿وإبراهيم﴾** الخليل **﴿وموسى﴾** الكليم **﴿وعيسى ابن مريم﴾** روح الله خصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين للإيذان بمزيد فضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع وأساطين أولي العزم من الرسل **﴿وأخذنا منهم﴾** أي: من النبيين **﴿ميثاقاً غليظاً﴾** أي: عهداً وثيقاً شديداً على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالات وأداء الأمانات وهذا هو الميثاق الأول بعينه والتكرير لبيان هذا الوصف.

﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع إلى ما ذكر من أخذ الميثاق وغاية له لا بأخذنا فإن المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بياناً قصدياً كما ينبىء عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى الغيبة. والمعنى: فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوا لقومهم يعني: [از راستىء ايشان درسخن كه باقوم كفته اند].

ـ روي ـ في الخبر أنه يسأل القلم يوم القيامة فيقول: ما فعلت بأمانتي؟ فيقول: يا رب سلمتها إلى اللوح ثم يصير القلم يرتعد مخافة أن لا يصدقه اللوح فيسأل اللوح فيقر بأن القلم قد أدى الأمانة وأنه قد سلمها إلى إسرافيل فيقول لإسرافيل: ما فعلت بأمانتي التي سلمها إليك اللوح؟ فيقول: سلمتها إلى جبريل فيقول لجبريل: ما فعلت بأمانتي؟ فيقول: سلمتها إلى أنبيائك فيسأل الأنبياء فيقولون: سلمناها إلى خلقك فذلك قوله: ﴿**ليسأل الصادقين عن صدقهم**﴾ قال القرطبي: إذا كان الأنبياء يسألون فكيف من سواهم.

دران روز كز فعل پرسند وقول   اولو العزم راتن بلرزد زهول
بجايى كه دهشت خورد انبيا   توعذر كنه را چه دادى بيا

وفي مسألة الرسل والله يعلم أنهم لصادقون التبكيت للذين كفروا بهم وإثبات الحجة عليهم ويجوز أن يكون المعنى ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن مصدق الصادق صادق. وفي «الأسئلة المقحمة»: ما معنى السؤال عن الصدق فإن حكم الصدق أن يثاب عليه لا أن يسأل عنه والجواب أن الصدق هٰهنا هو كلمة الشهادتين وكل من تلفظ بهما وارتسم شعائرهما يسأل عن تحقيق أحكامهما والإخلاص في العمل والاعتقاد بهما كما قال الراغب: ليسأل من صدق بلسانه عن صدق فعله ففيه تنبيه على أنه لا يكفي الاعتراف بالحق دون تحريه بالفعل.

ازعشق دم مزن چونكشتى شهيد عشق   دعوىٔ اين مقام درست ازشهادتست

وفي «المثنوي»:

وقت ذكر غز وشمشيرش دراز   وقت كروفر تيغش چون پياز

قال الجنيد قدس سره في الآية: ليسأل الصادقين عن صدقهم أي: عنده لا عندهم انتهى وهذا الذي فسره معنى لطيف فإن الصدق والإسلام عند الخلق سهل ولكن عند الحق صلب فنسأل الله أن يجعل صدقنا وإسلامنا حقيقياً ﴿**وأعد**﴾ [واماده كرد وساخت] ﴿**للكافرين**﴾ المكذبين للرسل ﴿**عذاباً أليماً**﴾ [عذابي دردناك ودردنماى] وهو عطف على ما ذكر من المضمر وعلى ما دل عليه ليسأل الخ كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين عذاباً أليماً.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم**﴾ في الأزل وهم في كتم العدم مختفون ﴿**ومنك**﴾ يا محمد أولا بالحبيبية ﴿**ومن نوح**﴾ بالدعوة ﴿**و**﴾ من ﴿**إبراهيم**﴾ بالخلة ﴿**و**﴾ من ﴿**موسى**﴾ بالمكالمة ﴿**و**﴾ من ﴿**عيسى ابن مريم**﴾ بالعبدية ﴿**وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً**﴾ بالوفاء وبغلظة الميثاق يشير إلى أنا غلظنا ميثاقهم بالتأييد والتوفيق للوفاء به ﴿**ليسأل الصادقين**﴾ في العهد والوفاء به ﴿**عن صدقهم**﴾ لما صدقوا إظهاراً لصدقهم كما أثنى عليهم بقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فكان سؤال تشريف لا سؤال تعنيف وسؤال إيجاب لا سؤال عتاب. والصدق أن لا يكون في أحوالك شوب ولا في أعمالك عيب ولا في اعتقادك ريب. ومن إمارات الصدق في المعاملة وجود الإخلاص من غير ملاحظة مخلوق. وفي الأحوال تصفيتها من غير مداخلة إعجاب. وفي القول السلامة من المعاريض. وفيما بينك وبين الناس التباعد من التلبيس والتدليس. وفيما بينك وبين الله إدامة التبري من الحول والقوة بل الخروج عن الوجود المجازي شوقاً إلى الوجود الحقيقي وأعد للكافرين المنكرين على هذه المقامات المعرضين عن هذه الكرامات عذاباً أليماً من الحسرات والغرامات انتهى.

قال البقلي: إن الله تعالى أراد بذلك السؤال أن يعرّف الخلق شرف منازل الصادقين فرب قلب يذوب من الحسرة حيث ما عرفهم وما عرف قدرهم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩] وصدقهم استقامة أسرارهم مع الحق في مقام المحبة والإخلاص. قال سهل: يقول الله لهم: لمن عملتم وماذا أردتم فيقولون: لك عملنا وإياك أردنا فيقول صدقتم فوعزته لقوله لهم في المشاهدة صدقتم ألذ عندهم من نعيم الجنة:

لذت شيرينىء كفتار جانان لذتيست كز دماغ جان كى بيرون شود پرحالتست

قال في «كشف الأسرار»: [مصطفى را عليه السلام پرسيدند كه كمال درچيست جواب داد كه كفتار بحق وكردار بصدق. وكفته اند صدق را دو درجه است يكى ظاهر ويكى باطن أما ظاهرسه چيزاست دردين صلابت ودرخدمت سنت ودرمعاملت خشيت. وآنچه باطنست سه چيزاست إنچه كويى كنى وبآنچه نمايى دارى وآنچه كه دارى دهى وپاشى]. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: اسوداد الوجوه من الحق المكروه كالغيبة والنميمة وإفشاء السر فهو مذموم وإن كان صدقاً فلذلك قال تعالى: ﴿**ليسأل الصادقين عن صدقهم**﴾ أي: هل أذن لهم في إفشائه أولا فما كل صدق حق انتهى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾.

﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ . ـ روي ـ أن النبي عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني قريظة وبني النضير على أن لا يكونوا عليه بل معه فنقض بنو النضير وهم حي من يهود خيبر عهودهم وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية يقال لها زهرة فذهب رسول الله ﷺ لحاجة ومعه الخلفاء فجلس إلى جانب جدار من بيوتهم فطمعوا فيه حتى صعد بعضهم على البيت ليلقي عليه صخرة فيقتله فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام مسرعاً إلى المدينة ولما نقضوا العهد أرسل إليهم رسول الله محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن اخرجوا من بلدي يعني: المدينة لأن قريتهم كانت من أعمالها فامتنعوا من الخروج بسبب عناد سيدهم حيي بن أخطب وكان حيي في اليهود يشبه بأبي جهل في قريش فخرج عليه السلام مع أصحابه لمحاربتهم فحاصرهم ست ليال وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم فمنهم من سار إلى خيبر ومنهم من سار إلى أذرعات من بلاد الشام ولما وقع إجلاؤهم من أماكنهم سار سيدهم حيي وجمع من كبرائهم إلى قريش في مكة يحرّضونهم على حرب رسول الله ويقولون: إنا سنكون معكم جملة واحدة ونستأصله فوافقهم قريش لشدة عداوتهم لرسول الله ثم جاءوا إلى غطفان وهو محركة حي من قيس وحرضوهم أيضاً على الحرب وأعلموهم أن قريشاً قد تابعوهم في ذلك فتجهزت قريش ومن اتبعهم من قبائل شتى وعقد اللواء في دار الندوة وكان مجموع الأحزاب من قريش وغطفان وبني مرة وبني أشجع وبني سليم وبني أسد ويهود قريظة والنضير قدر اثني عشر ألفاً وقائد الكل أبو سفيان ولما تهيأت قريش للخروج أتى ركب من خزاعة في أربع ليال حتى أخبروا رسول الله فجمع عليه السلام الناس وشاورهم في أمر العدو هل يبرزون من المدينة أو يقيمون فيها؟ فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: يا رسول الله إنا كنا إذا تخوفنا الخيل بأرض فارس خندقنا علينا وكان الخندق من مكايد الفرس وأول من فعله من ملوك

الفرس ملك كان في زمن موسى عليه السلام فاستحسن عليه السلام رأي سلمان فركب فرساً ومعه المهاجرون والأنصار وهم ثلاثة آلاف وأمر الذراري والنساء فرفعوا في الأطام وسبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن وطلب موضعاً ينزله فجعل سلعاً وهو جبل فوق المدينة خلف ظهره يعني ضرب معسكره بالفارسية: [لشكركاه] في أسفل ذلك الجبل على أن يكون الجبل خلف ظهره والخندق بينه وبين العدو وأمرهم بالجد في عمل الخندق على أن يكون عرضه أربعين ذراعاً وعمقه عشراً ووعدهم النصر إن صبروا فعمل فيه بنفسه مع المسلمين وحمل التراب على ظهره الشريف وكان في زمن عسرة وعام مجاعة في شوال من السنة الخامسة من الهجرة ولما رأى رسول الله ما بأصحابه من التعب قال:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فارحم الأنصار والمهاجره

[أنس رضي الله عنه كفت مهاجر وأنصار بدست خويش تير ميزدند وكار ميكردندكه مزدوران وچاكران نداشتند وسرما سخت بود وبخوش دلى آن رنج دشوارى ميكشيدند رسول خداكه ايشانرا چنان ديد وكفت]:

لا هم إن العيش عيش الآخرة ... فأكرم الأنصار والمهاجره

[ايشان جواب دادند كه]:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبدا

وإذ اشتد على الصحابة في حفر الخندق كدية أي: محل صعب شكوا ذلك إلى رسول الله فأخذ المعول وضرب فصار كثيباً مهيلاً قال سلمان وضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي وكان رجلاً قوياً يعمل عمل عشرة رجال حتى تنافس فيه المهاجرون والأنصار فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا فقال عليه السلام: «سلمان منا أهل البيت» ولذلك يشير بعضهم بقوله:

لقد رقى سلمان بعد رقه ... منزلة شامخة البنيان

وكيف لا والمصطفى قد عده ... من أهل بيته العظيم الشأن

قال سلمان فأخذ عليه السلام المعول من يدي وقال: «بسم الله» وضرب ضربة فكسر ثلث الحجارة وبرق منها برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح في جوف الليل المظلم فكبر رسول الله وقال: «أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة كأنها أنياب الكلاب» ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر وبرق منها برقة فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله وقال: «أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها» ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبرق منها برقة فخرج نور من قبل فارس فكبر رسول الله وقال: «أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب» وجعل يصف لسلمان أماكن فارس ويقول سلمان صدقت يا رسول الله هذه صفتها ثم قال رسول الله: «هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان» وعند ذلك قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير: ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا أي: تجاوزوا الرحل وتخرجوا إلى الصحراء وتذهبوا إلى البراري ما هذا إلا وعد غرور ولما فرغ رسول الله من حفر الخندق على المدينة، قال الكاشفي: [بعد ازشش روز كه مهم خندق سمت اتمام يافت] أقبلت

قريش ومن معهم [خندق را ديدنكه كفتند اين عرب را نبودست] فنزلوا بمجمع الأسيال ونقض بنو قريظة العهد بينه عليه السلام وبينهم بإغواء حيي وأرادوا الإغارة على المدينة بمعاونة طائفة من قريش ولما جاء خبر النقض عظم البلاء وصار الخوف على الذراري أشد الخوف على أهل الخندق فبعث عليه السلام ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون النكير تخوفاً على الذراري من العدو أي: بني قريظة وكانوا من يهود المدينة ومكث عليه السلام في الخندق قريباً من شهر وهو أثبت الأقاويل وكان أكثر الحال بينهم وبين العدو الرمي بالنبال والحصى وأقبل نوفل بن عبد الله فضرب فرسه ليدخل الخندق فوقع فيه مع فرسه فنزل إليه علي رضي الله عنه فضربه بالسيف فقطعه نصفين وكذا أقبل طائفة من مشاهير الشجعان وأكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به وفيهم عمرو بن ودّ وكان عمره إذ ذاك تسعين سنة فقال: من يبارز فقام إليه علي رضي الله عنه بعد الاستئذان من رسول الله فقال: يا ابن أخي لا أحب أن أقتلك فقال علي رضي الله عنه: أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك أي: أخذته الحمية وكان غيوراً مشهوراً بالشجاعة ونزل عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار وأقبل على علي رضي الله عنه فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها فقدّها ونفذ منها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي ضربة على موضع الرداء من العنق فسقط فكبر المسلمون فلما سمع رسول الله التكبير عرف أن علياً قتل عمراً لعنه الله وقال حينئذٍ «لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار» فلما قتل انهزم من معه. قال في «كشف الأسرار» [سه تن از كافران كشته شدند واز صحابهٔ رسول هيچ كس كشته نشد عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنه هنوز در اسلام نيامده بود بيرون آمد ومبارزت خواست أبو بكر فراپيش آمد عبد الرحمٰن چون روى پدر ديد بركشت پس يا أبو بكر كفتند اكر پسرت حرب كردى باتوچه خواستى كردن باوى ابو بكر كفت بآن خدايى كه يكانه ويكتاست كه بازنكشتمى تاويرا بكشتمى يا اومرا بكشتى] وفات منه عليه السلام ومن أصحابه في بعض أيام الخندق صلاة العصر ولذلك قال عليه السلام: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً» وهذا دعاء عليهم بعذاب الدارين من خراب بيوتهم في الدنيا فتكون النار استعارة للفتنة ومن اشتعال النار في قبورهم وقام عليه السلام في الناس فقال: «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإن لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» أي: السبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله ثم دعا عليه السلام على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم» ودعا أيضاً بقوله: «اللهم يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي» وقال له المسلمون: هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال: «نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» فاستجاب الله دعاءه يوم الأربعاء بين الظهر والعصر فأتاه جبريل فبشره أن الله يرسل عليهم ريحاً وجنوداً وأعلم عليه السلام أصحابه بذلك وصار يرفع يديه قائلاً شكراً شكراً وذلك قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم**﴾ ذكر النعمة شكرها أي: اشكروا أنعام الله عليكم بالنصرة ﴿**إذ**﴾ ظرف للنعمة. والمعنى بالفارسية [آنكاه كه] ﴿**جاءتكم**﴾ [آمد بشما] ﴿**جنود**﴾ لشكرها والمراد الأحزاب المذكورة من قريش وغطفان ونحوهما يقال للعسكر الجند اعتباراً بالغلظ من الجند وهي الأرض الغليظة التي فيها حجارة ثم يقال لكل مجتمع جند نحو الأرواح

جنود مجندة ﴿فأرسلنا عليهم﴾ من جانب الاسم القهار ليلاً عطف على جاءتكم ﴿ريحاً﴾ أي: ريح الصبا وهي تهب من جانب المشرق والدبور من قبل المغرب. قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت الصبا للدبور أي: الريح الغربية اذهبي بنا ننصر رسول الله فقالت: إن الحرائر لا تهيب بالليل فغضب الله عليها فجعلها عقيماً وفي الحديث: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» ﴿وجنوداً لم تروها﴾ وهم الملائكة وكانوا ألفاً.

ـ روي ـ أن الله تعالى بعث على المشركين ريحاً صبا باردة في ليلة ذات شتاء ولم تجاوز عسكرهم فأحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمرت الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور ونفثت في روعهم الرعب وكبرت في جوانب معسكرهم حتى سمعوا التكبير وقعقعة السلاح واضطربت الخيول ونفرت فصار سيد كل حي يقول لقومه يا بني فلان هلموا إليّ فإذا اجتمعوا قال النجاء النجاء أي: الإسراع الإسراع وحملوا ما وقع على السحر فانهزموا من غير قتال وارتحلوا ليلاً وتركوا ما استثقلوه من متاعهم ﴿وكان الله بما تعملون﴾ من حفر الخندق وترتيب الأسباب ﴿بصيراً﴾ رائياً ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم وعصمتكم من شرهم فلا بدَّ لكم من الشكر على هذه النعمة الجليلة باللسان والجنان والأركان [شكر زبان آنست كه پيوسته خدايرا يادميكند وزبان خود بذكرتر ميدارد وچون نعمتى تازه شود الحمد لله ميكويد. شكردل آنست كه همه خلق را خير خواهد ودرنعمت هيچ كس حسد نبرد. وشكرتن آنست كه اعضاى خود در ما خلق له استعمال كند وهمه اعضارا حق تعالى براى آخرت آفريد].

عطايست هر موى ازو برتنم چكونه بهرموى شكرى كنم

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى نعمه الظاهرة والباطنة:

أولها: نعمة الإيجاد من كتم العدم.

وثانيها: إذا أخرجكم من العدم جعلكم ارواحاً مطهرة إنسانية في أحسن تقويم لا حيواناً أو نباتاً أو جماداً.

وثالثها: يوم الميثاق شرفكم بخطاب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ثم وفقكم لاستماع خطابه ثم دلكم على إصابة جوابه.

ورابعها: أنعم عليكم بالنفخة الخاصة عند بعثكم إلى القالب الإنساني لئلا تتنزلوا بمنزل من المنازل السماوية والكوكبية والجنية والشيطانية والنارية والهوائية والمائية والأرضية والنباتية والحيوانية وغيرها إلى أن أنزلكم في مقام الإنسانية.

وخامسها: عجن طينة قالبكم بيده أربعين صباحاً ثم صوركم في الأرحاكم وسواكم ثم نفخ فيكم من روحه.

وسادسها: شرف روحكم بتشريف إضافته إلى نفسه بقوله «من روحي» وما أعطى هذا التشريف لروح من أرواح الملائكة المقربين.

وسابعها: أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً فبالهامات الربانية علمكم ما تحتاجون إليه من أسباب المعاش.

وثامنها: الهمكم فجوركم وتقواكم لتهتدوا إلى سبيل الرشاد للرجوع إلى الميعاد.

وتاسعها: أرسل إليكم الأنبياء والرسل ليخرجوكم من الظلمات الخلقية إلى نور الخالقية.

وعاشرها: أنعم عليكم بالإيمان ثم بالإيقان ثم بالإحسان ثم بالعرفان ثم بالعيان ثم بالعين ثم آتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وذكر نعمته استعمالها في عبوديته أداء شكر نعمته وشكر النعمة رؤية النعمة ورؤية النعمة أن تكون ترى نعم توفيقه لأداء شكره إلى أن تعجز عن أداء شكره فإن نعمته غير متناهية وشكرك متناه فرؤية العجز عن أداء الشكر حقيقة الشكر ومن الشكر أن تذكر ما سلف من الذي دفع عنك وأنت بصدده من أنواع البلاء والمحن والمصائب والمكائد فمن جملة ذلك قوله: ﴿إذ جاءتكم﴾ الخ يشير إلى جنود الشياطين وجنود صفات النفس وجنود الدنيا وزينتها فأرسلنا عليهم ريحاً من نكباء قهرنا وجنوداً لم تروها من حفظنا وعصمتنا وكان الله بما تعملون من الميل إلى الدنيا وشهواتها بصيراً بدفعها وعلاجها كم من بلاء صرفه عن العبد ولم يشعر وكم شغل كان بصدده فصده عنه ولم يعلم وكم أمر عوّقه والعبد يضج وهو يعلم أن في تيسيره هلاكه فيمنعه منه رحمة عليه والعبد يهتم ويضيق به صدره.

هرچه آمد ز آسمان قضا ... بقضا مى نكر بعين رضا

خوش دل شوز ما جراي قلم ... زانكه حق از توبحالت اعلم

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

﴿اذ جاؤوكم﴾ بدل من إذ جاءتكم ﴿من فوقكم﴾ من أعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصين الفزاري وعامر بن الطفيل ومعهم اليهود ﴿ومن أسفل منكم﴾ أي: من أسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن تابعهم من الجماعات المتفرقة وقائدهم أبو سفيان والفوق إشارة إلى الآفات السماوية والأسفل إلى المتولدات البشرية والكل بلاء وقضاء ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ عطف على ما قبله داخل في حكم التذكير. والزيغ الميل عن الاستقامة. قال الراغب: يصح أن يكون إشارة إلى ما تداخلهم من الخوف حتى أظلمت أبصارهم ويصح أن يكون إشارة إلى ما قال: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣] انتهى والبصر الجارحة الناظرة والمعنى وحين مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصاً لكثرة ما رأت من العدد والعدد فإنه كان مع قريش ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير، وبالفارسية: [وآنكه كه بكشت چشمها در چشم خانها ازبيم او خيره شد]. وقال بعضهم: المراد أبصار المنافقين لأنهم أشد خوفاً ولا حاجة إليه لأن من شأن ضعف الإنسانية التغير عند تراكم البلاء وترادف النكبات وهو لا ينافي قوة اليقين وكمال الاعتماد على الرب المعين كما دل عليه ما بعد الآية ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] كما سبق في سورة البقرة ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب أي: بلغت رأس الغلصمة من خارج رعباً وغماً لأن الرئة بالفارسية [شش] تنتفخ من شدة الفزع والغم فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهو مشاهد في مرض الخفقان من غلبة السوداء. قال قتادة: شخصت عن أماكنها فلولا أنه ضاق الحلقوم بها عن أن تخرج لخرجت. وقال بعضهم: كادت تبلغ فإن القلب إذا بلغ الحنجرة مات الإنسان فعلى هذا يكون الكلام تمثيلاً لاضطراب القلوب من شدة الخوف وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة.

واعلم أنهم وقعوا في الخوف من وجهين: الأول خافوا على أنفسهم من الأحزاب لأن الأحزاب كانوا أضعافهم، والثاني: خافوا على ذراريهم في المدينة بسبب أن نقض بنو قريظة العهد كما سبق وقد قاسوا شدائد البرد والجوع كما قال بعض الصحابة لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زاداً وربط عليه السلام الحجر على بطنه من الجوع وهو لا ينافي قوله: «إني لست مثلكم إني أبيت عند ربي يطعمني ربي ويسقيني» فإنه قد يحصل الابتلاء في بعض الأحيان تعظيماً للثواب. وأول بعض العارفين حديث ربط الحجر بأن لم يكن من الجوع في الحقيقة بل من كمال لطافته لئلا يصعد إلى الملكوت ويستقر في عالم الإرشاد فمن كانت الدنيا رشحة من فيض ديمه وقطرة من زواخر بحار نعمه لا يحتاج إليها ولكن الصبر عند الحاجة مع الوجدان من خواص من عصم بعصمة الرحمٰن.

در بزم احتشام توسياره هفت جام بر مطبخ نوال توا افلاك نه طبق

﴿وتظنون بالله﴾ يا من يظهر الإيمان على الإطلاق ﴿الظنونا﴾ أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون المثبتوا القلوب والأقدام أن الله تعالى ينجز وعده في إعلاء دينه أو يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال كما في وقعة أحد وظن الضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيه. والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار. وأثبت حفص في الظنونا والسبيلا والرسولا هذه الألفات اتباعاً لمصحف عثمان رضي الله عنه فإنها وجدت فيه كذلك فبقيت على حكمها اليوم فهي بغير الألف في الوصل وبالألف في الوقف. وقرىء الظنون بحذف الألف على ترك الإشباع في الوصل والوقف وهو الأصل والقياس وجه الأول أن الألف مزيدة في أمثالها لمراعاة الفواصل تشبيهاً لها بالقوافي فإن البلغاء من الشعراء يزيدونها في القوافي إشباعاً للفتحة.

﴿هنالك﴾ هو في الأصل للمكان البعيد لكن العرب تكنى بالمكان عن الزمان وبالزمان عن المكان فهو إما ظرف زمان أو ظرف مكان لما بعده أي: في ذلك الزمان الهائل أو في ذلك المكان الدحض الذي تدحض فيه الأقدام ﴿ابتلي المؤمنون﴾ بالحصر والرعب أي: عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ الزلة في الأصل استرسال الرجل من غير قصد يقال زلت رجله تزل والمزلة المكان الزلق وقيل للذنب من غير قصد زلة تشبيهاً بزلة الرجل والتزلزل الاضطراب وكذا الزلزلة شدة الحركة وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرر معنى الزلل. والمعنى حركوا تحريكاً شديداً وأزعجوا إزعاجاً قوياً وذلك أن الخائف يكون قلقاً مضطرباً لا يستقر على مكان. قال في «كشف الأسرار»: [اين جايست كه عجم كويند فلان كس را از جاى ببردند از خشم يا ازبيم يا ازخجل. قال الكاشفي يعني ازجاى برفتند بمثابة كه بددلان عزم سفر اين المفرّ نمودند وناشكيبان اوراق الفرار مما لا يطلق من سنن المرسلين تكرار مى فرمودند]:

آرام زدل شد ودل از جاى هوش از سررفت وقوت ازپاى

وقد صح أن من في قلبه مرض فر إلى المدينة وبقي مع رسول الله ﷺ أهل اليقين من المؤمنين وهذا وإن كان بياناً للاضطرار في الابتداء لكن الله تعالى هون عليهم الشدائد في الانتهاء حتى تفرقت عن قلوبهم الغموم وتفجرت ينابيع السكينة وهذا عادة الله مع المخلصين

[مصطفى عليه السلام كفت در فراديس اعلى بسى درجات ومنازلست كه بنده هركز بجهت خودبدان نتواند رسيد رب العزه بنده را بآن بلاهاكه دردنيا برسروى كما رد بدان رساند وكفته اندكه حق تعالى ذريت آدم را هزار قسم كردانيد وايشانرا بر بساط محبت اشراف داد همه را ازروى محبت خاست آنكه دنيارا بياراست وبرايشان عرضه كرد ايشان چون زخارف وزهرات ديدند مست وشيفتهٔ دنيا كشتند وبا دنيا بماندند مكريك طائفه كه همچنان بربساط محبت ايستاده وسر بكريبان دعوى فروبرده پس اين طائفه را هزار قسم كردانيد وعقبى برايشان عرض كرد وچون ايشان آن ناز ونعيم ابدى ديدند ظل ممدود وماء مسكوب وحور وقصور شيفتهٔ آن شدند وبآن بماندند مكريك طائفهٔ كه همچنان ايستاده بودند بربساط محبت طالب كنوز معرفت خطاب آمد از جانب جبروت ودركاه عزت كه شماچه ميجوييد ودرچه مانده ايد ايشان كفتند «وانك تعلم ما نريد» خداوندا زبان بى زبانان تويى عالم الأسرار والخفيات تويى خود دانى كه مقصودما چيست]:

مـارا زجـهـانـيـان شـمـارى دكـرسـت در سـربـجـز ازبـاداه خـمـارى دكـرسـت

[رب العالمين ايشانرا بسركوى بلا آورد ومفاوز ومهالك بلا بايشان نمود آن قسم هزار قسم كشتند همه روى از قبلهٔ بلا بكردانيدند اين نه كار ماست ومارا طاقت اين بار بلا كشيدن نيست مكريك طائفه كه روى نكردانيدند كفتند مارا خود آن دولت پس كه محمل اندوه توكشيم وغم وبلاى توخوريم]:

من كه باشم كه به تن رخت وفاى توكشم ديـده حـمـال كـنـم بـار جـفـاى تـو كـشـم
كرتوبر من به تن وجان ودلى حكم كنى هرسه رارقص كنان پيش هواى توكشم

قال الله تعالى في حقهم: «اولئك عبادي حقاً» [قدر درد اوكسى داندكه اورا شناسد اوكه ويرانشناسد قدر درد اوچه داند]:

جـامـيـا دل بـغـم ودردنـه انـدرره عـشـق كه نشد مردره آنكس كه نه اين دردكشيد

- روي - أنه أرسل أبو سفيان بعد الفرار كتاباً لرسول الله فيه باسمك اللهم فإني أحلف باللات والعزى وأساف ونائلة وهبل لقد سرت إليك في جميع وأنا أريد أن لا أعود أبداً حتى أستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق وفي لفظ قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وإنما تعرف ظل رماحها وسيوفها وما فعلت هذا إلا فراراً من سيوفنا ولقائنا ولك مني يوم كيوم أحد فأرسل له عليه السلام جواباً فيه «أما بعد» أي: بعد بسم الله الرحمٰن الرحيم «من محمد رسول الله إلى صخر بن حرب فقد أتاني كتابك وقديماً غرّك بالله الغرور أما ما ذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكثر فيه اللات والعزى وأساف ونائلة وهبل حتى أذكرك يا سفيه بني غالب» انتهى فاجتهدوا وقاسوا الشدائد في طريق الحق إلى أن فتح الله مكة واتسع الإسلام وبلاده وأهاليه.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وإذ يقول المنافقون﴾ [وآنكه كه دورويان كفتندن] وهو عطف على إذ زاغت وصيغته للدلالة على استحضار القول واستحضار صورته ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد. فإن قلت ما الفرق بين المنافق والمريض؟ قلت: المنافق من كذب الشيء تكذيباً لا يعتريه فيه شك والمريض من قال الله تعالى في حقه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: ١١] كذا في «الأسئلة المقحمة». قال الراغب: المرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وهو ضربان جسمي ونفسي كالجهل والجبن والنفاق ونحوها من الرذائل الخلقية وشبه النفاق والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرض إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمرض المانع عن التصرف الكامل وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وإما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميل بدن المريض إلى الأشياء المضرة ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ من الظفر وإعلاء الدين وهم لم يقولوا رسول الله وإنما قالوه باسمه ولكن الله ذكره بهذا اللفظ ﴿إلا غروراً﴾ أي: وعد غرور وهو بالضم [فريفتن] والقائل لذلك معتب بن قشير ومن تبعه وقد سبق.

﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ هم أوس بن قيظي ومن تبعه في رأيه، وبالفارسية: [وانرا نيز ياد كنيدكه كفتند كروهى ازمنافقان] ﴿يا أهل يثرب﴾ [اى مردان مدينه] هو اسم للمدينة المنورة لا ينصرف للتعريف وزنة الفعل وفيه التأنيث وقد نهى النبي عليه السلام أن تسمى المدينة بيثرب وقال هي طيبة أو طابة والمدينة كأنه كره هذا اللفظ لأن يثرب يفعل من التثريب وهو اللوم الذي لا يستعمل إلا فيما يكره غالباً ولذلك نفاه يوسف الصديق عليه السلام حيث قال لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ [يوسف: ٩٢] وكأن المنافقين ذكروها بهذا الاسم مخالفة له عليه السلام فحكى الله عنهم كما قالوا. وقال الإمام السهيلي: سميت يثرب لأن الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عبيل بن مهلاييل بن عوص بن عملاق بن لاود بن ارم وعبيل هم الذين سكنوا الجحفة وهي ميقات الشاميين فأجحفت بهم السيول فيها أي: ذهبت بهم فسميت الجحفة. وقال بعضهم: هي من الثرب بالتحريك وهو الفساد وكان في المدينة الفساد واللؤم بسبب عفونة الهواء وكثرة الحمى فلما هاجر رسول الله كره ذلك فسماها طيبة على وزن بصرة من الطيب وقد أفتى الإمام مالك رحمه الله فيمن قال تربة المدينة رديئة بضربه ثلاثين درة وبحبسه وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله يزعم أنها غير طيبة وفي الحديث: «من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله هي طيبة هي طيبة» وقوله عليه السلام حين أشار إلى دار الهجرة: «لا أراها إلا يثرب» ونحو ذلك من كل ما وقع في كلامه عليه السلام من تسميتها بذلك كان قبل النهي عن ذلك. وإنما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها وتزايد روائح الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم لأن ترابها يشفي الجذام وهو كغراب علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيئاتها وربما انتهى إلى تأكل الأعضاء وسقوطها عن تقرّح ﴿لا مقام لكم﴾ لا موضع إقامة لكم هٰهنا لكثرة العدو وغلبة الأحزاب يريدون المعسكر بالفارسية [لشكركاه] فهو مصدر من أقام ﴿فارجعوا﴾ أي: إلى منازلكم بالمدينة ومرادهم الأمر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع وترويجاً لمقالهم وإيذاناً بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم وقد ثبطوا الناس عن الجهاد والرباط لنفاقهم ومرضهم

ولم يوافقهم إلا أمثالهم فإن المؤمن المخلص لا يختار إلا الله ورسوله. وفي إشارة إلى حال أهل الفساد والإفساد في هذه الأمة إلى يوم القيامة نسأل الله تعالى أن يقيمنا على نهج الصواب ويجعلنا من أهل التواصي بالحق والصبر دون التزلزل والاضطراب ﴿**ويستأذن فريق منهم النبي**﴾ [ودستورىء رجوع ميطلبند از پيغمبر كروهى از منافقان] يعني: بني حارثة وبني سلمة ﴿**يقولون**﴾ بدل من يستأذن ﴿**إن بيوتنا**﴾ في المدينة ﴿**عورة**﴾ بجزم الواو في الأصل أطلقت على المختل مبالغة يقال عور المكان عوراً إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق وفلان يحفظ عورته أي: خلله والعورة أيضاً سوأة الإنسان وذلك كناية وأصلها من العار وذلك لما يلحق في ظهورها من العار أي: المذمة ولذلك سمى النساء عورة ومن ذلك العوراء للكلمة القبيحة. والمعنى: أنها غير حصينة متخرّقة ممكنة لمن أرادها فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع إلى العسكر وكان عليه السلام يأذن لهم ﴿**وما هي بعورة**﴾ أي: والحال أنها ليست كذلك بل هي حصينة محرزة ﴿**إن يريدون**﴾ ما يريدون بالاستئذان ﴿**إلا فراراً**﴾ من القتال.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾.

﴿**ولو دخلت عليهم**﴾ أسند الدخول إلى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقاً كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ﴿**من أقطارها**﴾ جمع قطر بالضم بمعنى الجانب أي: من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من أراد الخبث والفساد ﴿**ثم سئلوا**﴾ من جهة طائفة أخرى عند تلك النازلة ﴿**الفتنة**﴾ أي: الردة والرجعة إلى الكفر مكان ما سئلوا من الإيمان والطاعة ﴿**لآتوها**﴾ لأعطوها السائلين أي: أعطوهم مرادهم غير مبالين بما دهاهم من الداهية والغارة ﴿**وما تلبثوا بها**﴾ [التلبث، درنك كردن كالتمكث يعني درنك نكند باجابت فتنة] ﴿**إلا يسيراً**﴾ قدر ما يسمع السؤال والجواب من الزمان فضلاً عن التعلل باختلال البيوت عند سلامتها كما فعلوا الآن وما ذلك إلا لمقتهم الإسلام وشدة بغضهم لأهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه. قال الإمام الراغب: اليسير السهل ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠] ويقال في الشيء القليل ومنه ﴿**وما تلبثوا بها إلا يسيراً**﴾. وفي الآية إشارة إلى مرض القلوب وصحة النفوس. وخاصيتهما إذا وكلتا إلى حالتهما من فساد الاعتقاد وسوء الظن بالله ورسوله ونقض العهود والاغترار بتسويلات الشياطين والفرار من معادن الصدق والتمسك بالحيل والمكائد والكذب والتعلل بالأعذار الواهية وغلبات خوف البشرية والجبانة وقلة اليقين والصبر وكثرة الريب والجزع من احتمال خطر الأذية لو سئلوا الارتداد عن الإسلام والإشراك بعد الإقرار بالتوحيد لأجابوهم وجاءوا به وما تلبثوا بها يعني في الاحتراز عن الوقوع في الفتنة إلا يسيراً بل أسرعوا في إجابتها لاستيلاء أوصاف النفوس وغلباتها وتصدىء القلوب وهجوم غفلاتها ومن عرف طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين.

واعلم أن الله تعالى ذم المنافقين في أقوالهم وأفعالهم فإن للإنسان اختياراً في كل طريق سلكه فمن وجد شراً فلا يذم إلا نفسه ولم تجب الهداية على النبي عليه السلام في حق الكفار

والمنافقين فكيف على غيره من الورثة في حق العاصين كما قال عليه السلام: «إنما أنا رسول وليس إليّ من الهداية شيء ولو كانت الهداية إليّ لآمن كل من في الأرض وإنما إبليس مزين وليس إليه من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء».

مؤمن وكافر درين دير فنا — صورتى دارد زنقش كبريا
نقش كرچه آمدازدست قضا — ليك ميدان نقش را از مقتضا

فافهم جداً.

﴿ولقد كانوا﴾ أي: الفريق الذين استأذنوك للرجوع إلى منازلهم في المدينة وهم بنو حارثة وبنو سلمة ﴿عاهدوا الله﴾ العهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً والمعاهدة المعاقدة كما في «تاج المصادر». والمعنى بالفارسية [عهد كردند باخداى تعالى] ﴿من قبل﴾ أي: من قبل واقعة الخندق يعني يوم أحد حين هموا بالانهزام ثم تابوا لما نزل فيهم ما نزل كما سبق في آل عمران ﴿لا يولون الأدبار﴾ جواب قسم لأن عاهدوا بمعنى حلفوا كما في «الكواشي» [والتولية: بشت بكردانيدن] ودبر الشيء خلاف القبل وولاه دبره انهزم. والمعنى لا يتركون العدو خلف ظهورهم ولا يفرون من القتال ولا ينهزمون ولا يعودون لمثل ما في يوم أحد ثم وقع منهم هذا الاستئذان نقضاً للعهد، وبالفارسية: [پشتها برنكردانند دركار زارها] ﴿وكان عهد الله مسؤولاً﴾ مطلوباً مقتضى حتى يوفى يقال سألت فلاناً حقي أي: طالبته به أو مسؤولاً يوم القيامة يسأل عنه هل وفى المعهود به أو نقضه فيجازى عليه وهذا وعيد، قال الحافظ.

وفا وعهد نكو باشد اربيا موزى — وكرنه هركه توبينى ستمكرى داند

وقال في حق وفاء العشاق:

از دم صبح ازل تا آخر شام ابد — دوستى ومهر بريك عهدويك ميثاق بود

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد لهم: ﴿لن ينفعكم الفرار﴾ [سود نميدارد شمارا كريختن] ﴿إن فررتم من الموت﴾ [از مرك] ﴿أو القتل﴾ [يا ازكشتن] فإنه لا بد لكل شخص من الفناء والهلاك سواء كان بحتف أنف أو بقتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم ولا يتغير جداً والقتل فعل يحصل به زهوق الروح. قال الراغب أصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال قتل وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال موت انتهى. والحتف الهلاك قال علي كرم الله وجهه ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ وسمعته يقول: «مات حتف أنفه» وما سمعتها من عربي قبله وهو أن يموت الإنسان على فراشه لأنه سقط لأنفه فمات وكانوا يتخيلون أن روح المريض تخرج من أنفه فإن جرح خرجت من جراحته. ﴿وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً﴾ [التمتيع: برخوردارى دادن] أي: وإن نفعكم الفرار مثلاً فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعاً أو زماناً قليلاً، وبالفارسية: [وانكاه كه

كريزد زنده نكذارند شمارا مكر زمانى اندك چه آخر شربت فنا نوشيد نيست وخرقهء فوات پوشيدنى:

كه مينهد قدم اندر سراى كون وفساد　　كه بازروى براه عدم نمى آرد]

الموت كأس وكل الناس شاربه　　والقبر باب وكل الناس داخله

وعمر الدنيا كله قليل فكيف مدة آجال أهلها وقد قال من عرف الحال: مقدار عمرك في جنب عيش الآخرة كنفس واحد. وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل أطلب.

﴿قل من ذا الذي يعصمكم﴾ مذهب سيبويه على أن من الاستفهامية مبتدأ وذا خبره والذي صفة أو بدل منه، والمعنى بالفارسية: [آن كيست كه نكاه دارد شمارا] وذهب بعض النحاة إلى كون من خبراً مقدماً فالمعنى: [كيست آنكه] والعصمة الإمساك والحفظ ﴿من الله﴾ أي: من قضائه ﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ بالفارسية: [بدى] وهو كل ما يسوء الإنسان ويغمه والمراد هنا القتل والهزيمة ونحوهما ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ من عافية ونصرة وغيرهما مما هو من آثار الرحمة قرينة السوء من العصمة ولا عصمة إلا من السوء لأن معناه أو يصيبكم بسوء إن أراده بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلداً سيفاً ورمحاً أي: ومعتقلاً رمحاً والاعتقال أخذ الرمح بين الركب والسرج. وفي التاج: [الاعتقال: نيز بميان ساق وركاب برداشتن] ﴿ولا يجدون لهم﴾ أي: لأنفسهم ﴿من دون الله﴾ متجاوزين الله تعالى ﴿ولياً﴾ [دوستى كه نفع رساند] ﴿ولا نصيراً﴾ يدفع الضرر عنهم، وبالفارسية: [ونه يارى كه ضرر باز دارد].

واعلم أن الآية دلت على أمور:

الأول أن الموت لا بد منه. قال بعضهم: [عمر اكرچه دراز بود چون مرك روى نمود آزان درازى چه سود نوح عليه السلام هزار سال درجهان بسر برده است امروز پنج هزار سالست كه مرده است]:

دريغاكه بكذشت عمر عزيز　　بخواهد كذشت اين دمى چندنيز

قال بعضهم: إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء دنا الرحيل فأعدّ زاداً. قال الثوري: ينبغي لمن كان له عقل إذا أتى عليه عمر النبي عليه السلام أن يهيىء كفنه. قال حاتم الأصم: ما من صباح إلا ويقول الشيطان لي: ما تأكل وما تلبس وأين تسكن فأقول له: آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر.

والثاني: أن الفرار لا يزيد في الآجال ومن أسوأ حالاً ممن سعى لتبديل الأجال والأرزاق ورجا دفع ما قدر له أنه لاق وأنه لا يقيه منه واقٍ، قال علي كرم الله وجهه: إن أكرم الموت القتل والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش فلو لم يكن في القتل الذي يفر منه الإنسان إلا الراحة من سكرات الموت لكان في ذلك ما يوهب الثبات وإن لم ينظر إلى ما بعده وهو الفوز العظيم وذلك أن شهيد البحر لا ألم له أصلاً وأما شهيد البر فلا يجد من ألم الموت إلا كمس قرصة. قال بعضهم: الفار مسلم لنفسه والمقاتل مدافع عنها وإذا انقضت مدة الأجل فالمنية لا بد منها.

بروز أجل نيزه جوشن درد　　زپيراهنى بى اجل نكذرد

كرت زند كانى نبشتست دير　　نه مارت كز آيدنه شمشير وتير

أما تخشى أيها الفار، أن تدركك المنية فتكون من أصحاب النار؟ أما تخاف أن يأتيك سهم وأنت مول فيسكنك دار البوار؟ أما تخشى أن تؤسر فتفتن عن دينك أو ينوّع عذابك ولا شك عند كل ذي لب أن استقبال الموت إذا كان وقته خير من استدباره وقد اشتاق أهل الله إلى لقاء الله. قال المولى العارف في «المثنوي»:

پس رجال از نقل عالم شادمان وزبقا اش شادمان اين كودكان

چونكه آب خوش نديد آن مرغ كور پيش او كوثر نمايد آب شور

والثالث: أن من اتخذ الله ولياً ونصيراً نال ما يتمناه قليلاً وكثيراً ونصر أميراً وفقيراً وطاب له وقته مطلقاً وأسيراً فثبت ثبات الجبال وعامل معاملة الرجال. قال بعض العارفين في الآية إشارة إلى مدعي الطلب فإنهم يعاهدون الله من قبل الشروع في الطلب أنهم لا يولون أدبارهم عند المحاربة مع الشيطان وعند الجهاد مع النفس فلما شرعوا في الحرب والجهاد مع أحزاب النفس والشيطان وقد حمل كل حزب منهم أسلحتهم وأخذوا خدعات الحرب ومكايدها وهم الشجعان الأقوياء والأبطال المجربون وعساكر الطلاب المرضى القلوب وهم بعد أغمار غير مجربي القتال والحروب وإن كان لهم الأسلحة ولكنهم بمعزل عن استعمالها لضعفهم وعدم العلم بكيفية الاستعمال فإذا قام الحرب ودام الضرب غلب الأقوياء على الضعفاء وانهزم المرضى على الأصحاء.

چالش است وخمره خوردن نيست اين

فلم يساعدهم الصدق ولم يعاونهم العشق ولم يذكروا حقيقة قوله: **﴿وكان عهد الله مسؤولاً﴾** ولم يتفكروا في أن الفرار النافع إنما هو إلى الله لا من الله فمن فر من موت النفس وقتلها بالمجاهدة فلا يتمتع كالبهائم والأنعام في رياض الدنيا إلا قليلاً، ولا يجد بركة عمره بل يكون الفرار سبب قصر العمر نسأل الله سبحانه أن يعصمنا من الفرار من نحو بابه والإقبال على الأدبار عن جنابه أنه الولي النصير ذو الفضل الكثير.

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ قد لتأكيد العلم بالتعويق ومرجع العلم إلى توكيد الوعيد. والتعويق التثبيط بالفارسية [باز داشتن] يقال عاقه وعوقه إذا صرفه عن الوجه الذي يريده والعائق الصارف عما يراد منه خير ومنه عوائق الدهر والخطاب لمن أظهر الإيمان مطلقاً. والمعنى قد علم الله المثبطين للناس عن نصرة رسول الله ﷺ الصارفين عن طريق الخير وهم المنافقون أياً من كان منهم **﴿والقائلين لإخوانهم﴾** من منافقي المدينة فالمراد الإخوة في الكفر والنفاق **﴿هلم إلينا﴾** هلم صوت سمي به فعل متعد نحو احضر أو اقرب ويستوي فيه الواحد والجمع على لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وكلمة إلى صلة التقريب الذي تضمنه هلم. والمعنى: قربوا أنفسكم إلينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون عن العسكر متوجهون نحو المدينة فراراً من العدو **﴿ولا يأتون البأس﴾** أي: الحرب والقتال وهو في الأصل الشدة **﴿إلا﴾** إتياناً **﴿قليلاً﴾** فإنهم يعتذرون ويتأخرون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم لا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا إليه وهذا على تقدير عدم الفرار.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿**أشحة عليكم**﴾ حال من فاعل يأتون جمع شحيح وهو البخيل. قال الراغب: الشح بخل مع حرص وذلك فيما كان عادة يقال رجل شحيح وقوم أشحة أي: حال كونهم بخلاء عليكم بالمعاونة أو الإنفاق في سبيل الله على فقراء المسلمين [يا نمى خواهدكه ظفر وغنيمت شمارا باشد] ﴿**فإذا جاء الخوف**﴾ خوف العدو ﴿**رأيتهم ينظرون إليك**﴾ في تلك الحالة ﴿**تدور أعينهم**﴾ في أحداقهم يميناً وشمالاً ﴿**كالذي يغشى عليه من الموت**﴾ أي: دوراناً كائناً كدوران عين المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوفاً والتجاء بك يقال غشي على فلان إذا نابه ما غشي فهمه أي: ستره ﴿**فإذا ذهب الخوف**﴾ وجمعت الغنائم ﴿**سلقوكم**﴾ يقال سلقه بالكلام آذاه كما في «القاموس». قال في «تاج المصادر»: [السلق: بزبان آزردن] ومنه سلقوكم ﴿**بألسنة حداد**﴾ أي: جهروا فيكم بالسوء من القول وآذوكم. والحداد جمع حديد يقال لسان حديد نحو لسان صارم وماض وذلك إذا كان يؤثر تأثير الحديد، يعني: [برنجانند شمارا وسخنهاى سخت كويند بزبانهاى تيز يعنى تيز زبانى كنند] وقالوا وفروا قسمنا فإنا قد ساعدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم ربنا نصرتم عليه ﴿**أشحة على الخير**﴾ نصب على الحال من فاعل سلقوكم، يعني: [درحالتى كه سخت حريصند برغنيمت مشاحنه ومجادله ميكنند دروقت قسمت او بخيلند برمال اين جهان نمى خواهندكه رساند بشما كرم وفضل خدا] فهم عند الغنيمة أشح الناس وأجبنهم عند البأس. ﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بما ذكر من صفات السوء ﴿**لم يؤمنوا**﴾ بالإخلاص حيث أبطنوا خلاف ما أظهروا فصار أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله ﴿**فأحبط الله أعمالهم**﴾ أي: أظهر بطلانها إذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل لأنهم منافقون وفي هذا دلالة على أن المعتبر عند الله هو العمل المبني على التصديق وإلا فهو كبناء على غير أساس ﴿**وكان ذلك**﴾ الإحباط ﴿**على الله يسيراً**﴾ هيناً، بالفارسية: [آسان] لتعلق الإرادة به وعدمها بمنعه عنه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى مدعي الطلب إذا ارتدوا عن الطلب فإنهم لم يؤمنوا إيماناً حقيقياً في صدق الطلب وإلا لم يرتدوا عن الطلب فإن المشايخ قد قالوا: إن مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال تعالى: ﴿**فأحبط الله أعمالهم**﴾ لأنها لم تكن بإيمان حقيقي بل كانت بالتقليد والرياء والسمعة وكان ذلك الرد والإبطال على الله يسيراً. وقد قال بعض الكبار: إني لست بقطب الوجود ولكن مؤمن به فقيل له ونحن مؤمنون به أيضاً فقال بين إيمان وإيمان فرق فمن إيمان لا يزول كأصل الشجرة الراسخة ومن إيمان يزول كأصل النباتات الواهية وذلك لأن المحسن الموقن مأمون من الارتداد والريب بخلاف أهل الغفلة والمتعبد على حرف.

لا يزيل الماء نقشاً في الحجر بل يزيل النقش في وجه الورق

باش بر عشق خدا ثابت قدم رونمى كردان زوجه پاك حق

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ

عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

﴿**يحسبون الأحزاب لم يذهبوا**﴾ أي: هؤلاء المنافقون لجبنهم المفرط يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ففروا إلى المدينة والأحزاب هم الذين تحزبوا على النبي عليه السلام يوم الخندق وهم قريش وغطفان وبنو قريظة والنضير من اليهود [والتحزب، كروه كروه شدن] كما في «التاج» ﴿**وإن يأت الأحزاب**﴾ كرة ثانية إلى المدينة، وبالفارسية: [اكربيايند اين لشكرها نوبتى ديكر] ﴿**يودوا لو أنهم بادون في الأعراب**﴾ تمنوا أنهم خارجون من المدينة إلى البدو وحاصلون بين الأعراب لئلا يقاتلوا. والود محبة الشيء وتمني كونه وبدا يبدو بداوة إذا خرج إلى البادية وهي مكان يبدو ما يعن فيه أي: يعرض ويقال للمقيم بالبادية بادٍ فالبادون خلاف الحاضرين والبدو خلاف الحضر ﴿**يسألون**﴾ كل قادم من جانب المدينة ﴿**عن أنبائكم**﴾ عن أخباركم وعما جرى عليكم، يعني: [از آنچه كذشته باشد ميان شما ودشمنان] وهو داخل تحت الود أي يودون أنهم غائبون عنكم يسمعون أخباركم بسؤالهم عنها من غير مشاهدة ﴿**ولو كانوا فيكم**﴾ في الخندق هذه الكرة الثانية ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال، وبالفارسية: [واكر باشند درميان يعنى در مدينة ومقاتله با اعدادست دهد] ﴿**ما قاتلوا إلا قليلاً**﴾ رياء وخوفاً من التعيير من غير حسبة.

﴿**لقد كان لكم**﴾ أيها المؤمنون كما في «تفسير الجلالين» وهو الظاهر من قوله فيما بعد ﴿**لمن كان يرجو الله**﴾ الخ ﴿**في رسول الله أسوة حسنة**﴾. قال الراغب: الإسوة والأسوة كالقدوة والقدوة الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً أو قبيحاً وإن ساراً وإن ضاراً ويقال: تأسيت به أي: اقتديت. والمعنى: لقد كان لكم في محمد ﷺ خصلة حسنة وسنة صالحة حقها أن يؤتسى بها أي: يقتدى كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد فإنه قد شج فوق حاجبه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة يوم أحد وأوذي بضروب الأذى فوقف ولم ينهزم وصبر فلم يجزع فاستسنوا بسنته وانصروه ولا تتخلفوا عنه. وقال بعضهم: كلمة في تجريدية جرد من نفسه الزكية شيء وسمي قدوة وهي هو يعني أن رسول الله في نفسه أسوة وقدوة يحسن التأسي والاقتداء به كقولك في البيضة عشرون مناً حديداً أي: هي نفسها هذا القدر من الحديد ﴿**لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾ أي: يأمل ثواب الله ونعيم الآخرة أو يخاف الله واليوم الآخر. فالرجاء يحتمل الأمل والخوف ولمن كان صلة الحسنة أو صفة لها لا بدل من لكم فإن الأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه ﴿**وذكر الله كثيراً**﴾ أي: ذكراً كثيراً في جميع أوقاته وأحواله أي: وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله. قال الحكيم الترمذي: الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول وفعل. قال الشيخ سعدي:

درين بحر جز مرد ساعى نرفت — كم آن شد كه دنبال راعى نرفت
كساني كزين راه بركشته اند — بر فتند بسيار وسر كشته اند
خلاف پيمبر كسى ره كزيد — كه هركز بمنزل نخواهد رسيد
محالست سعدى كه راه صفا — توان رفت جزبرپى مصطفى

فمتابعة الرسول تجب على كل مؤمن حتى يتحقق رجاؤه ويثمر عمله لكونه الواسطة والوسيلة وذكر الرجاء اللازم للإيمان بالغيب في مقام النفس وقرن به الذكر الكثير الذي هو عمل ذلك المقام ليعلم أن من كان في البداية يلزم متابعته في الأعمال والأخلاق والمجاهدات بالنفس والمال إذ لو لم يستحكم البداية لم يفلح بالنهاية ثم إذا تجرد وتزكى عن صفات نفسه فليتابعه في موارد قلبه كالصدق والإخلاص والتسليم ليحتظى ببركة المتابعة بالمواهب والأحوال وتجليات الصفات في مقام القلب كما احتظى بالمكاسب والمقامات وتجليات الأفعال في مقام النفس وهكذا في مقام الروح حتى الفناء.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى ما سبقت به العناية لهذه الأمة في متابعة الرسول ﷺ كما أخبر بلفظ ﴿لقد كان﴾ أي: كان ﴿لكم﴾ مقدراً في الأزل أن يكون لكم عند الخروج من العدم إلى الوجود ﴿في رسول الله أسوة حسنة﴾ أي: اقتداء حسن وذلك فإن أول كل شيء تعلقت به القدرة للإيجاد كان روح رسول الله ﷺ لقوله: «أول ما خلق الله روحي» فالأسوة الحسنة عبارة عن تعلق القدرة بأرواح هذه الأمة لإخراجهم من العدم إلى الوجود عقيب إخراج روح رسول الله ﷺ من العدم إلى الوجود فمن أكرم بهذه الكرامة يكون له أثر في عالم الأرواح قبل تعلقه بعالم الأشباح وبعد تعلقه بعالم الأشخاص فأما أثره في عالم الأرواح فبتقدمه على الأرواح بالخروج إلى عالم الأرواح وبرتبته في الصف الأول بقرب روح رسول الله ﷺ أو في الصف الذي يليه وبتقدمه في قبول الفيض الإلهي وبتقدمه عند استخراج ذرات الذريات من صلب آدم في استخراج ذراته وبإحضارها في الحضرة وبتقدمه في استماع خطاب ألست بربكم وبتقدمه في إجابة الرب تعالى بقوله قالوا: بلى وبتقدمه في المعاهدة مع الله وبتأخره في الرجوع إلى صلب آدم وبتأخره في الخروج عن أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وفي الخروج عن الرحم وبتأخر تعلق روحه بجسمه فإن الله الذي هو المقدم والمؤخر في هذه التقدمات والتأخرات حكمة بالغة ولها تأثيرات عجيبة يطول شرحها وأما أثره في عالم الأشباح فاعلم أنه بحسب هذه المراتب في ظهور أثر الأسوة يظهر أثرها في عالم الأشباح عند تعلق نظر الروح بالنطفة في الرحم أولاً إلى أن تتربى النطفة بنظره في الأطوار المختلفة ويصير قالباً مسوياً مستعداً لقبول تعلق الروح به فمثل القالب المسوي مع الروح كمثل الشمعة مع نقش الخاتم إذا وضع عليها يقبل جميع نقوش الخاتم فالروح المكرم إذا تعلق بالقالب المسويّ يودع فيه جميع خواصه التي استفادها من تلك التقدمات والتأخرات الأسوتية فكل ما يجري على الإنسان من بداية ولادته إلى نهاية عمره من الأفعال والأقوال والأخلاق والأحوال كلها من آثار خواص أودعها الله في الروح فبحسب قرب كل روح إلى روح الرسول ﷺ وبعده عنه له أعمال ونيات تناسب حاله في الأسوة فأما حال أهل القرب منهم فبأن يكون عملهم على وفق السنة خالصاً لوجه الله تعالى كما قال: ﴿لمن كان يرجو الله﴾ وأما من هو دونهم في القرب والإخلاص فبأن يكون عملهم لليوم الآخر أي: للفوز بنعيم الجنان كما قال تعالى: ﴿واليوم الآخر﴾ أي: لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ثم جعل نيل هذه المقامات مشروطاً بقوله تعالى: ﴿وذكر الله﴾ كثيراً لأن في الذكر وهو كلمة لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً وهماً قدمان للسائرين لله تعالى وجناحان للطائرين بالله بهما يخرجون من ظلمات الوجود المجازي إلى نور الوجود الحقيقي انتهى كلام «التأويلات».

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ أي: الجنود المجتمعة لمحاربة النبي عليه السلام وأصحابه يوم الخندق. والحزب جماعة فيها غلظ كما في «المفردات» ﴿قالوا هذا﴾ البلاء العظيم ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية وقوله عليه السلام: «سيشتدّ الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم» وقوله عليه السلام: «إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر» ﴿وصدق الله ورسوله﴾ أي: ظهر صدق خبر الله ورسوله ﴿وما زادهم﴾ ما رأوه، وبالفارسية: [ونيفزود ديدن احزاب مؤمنانرا] ﴿إلا إيماناً﴾ بالله ومواعيده ﴿وتسليماً﴾ لأوامره ومقاديره. وقال الكاشفي: [وكردن نهادن احكام امر حضرت رسالت پناهى راكه سعادت دوسراى دران تسليم مندرجست]:

هركه دارد چون قلم سربر خط فرمان او   مى نويسد بخت طغراى شرف برنام او

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿من المؤمنين﴾ بالإخلاص ﴿رجال صدقوا﴾ اتوا الصدق في ﴿ما عاهدوا الله عليه﴾ من الثبات مع الرسول والمقاتلة لإعلاء الدين أي: حققوا العهد بما أظهروه من أفعالهم وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا لقوا حزباً مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا. قال الحكيم: الترمذي رحمه الله خص الله الإنس من بين الحيوان ثم خص المؤمنين من بين الإنس ثم خص الرجال من المؤمنين فقال: ﴿رجال صدقوا﴾ فحقيقة الرجولية الصدق ومن لم يدخل في ميادين الصدق فقد خرج من حد الرجولية.

واعلم أن النذر قربة مشروعة وقد أجمعوا على لزومه إذا لم يكن المنذور معصية وأما قوله عليه السلام: «لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً» فإنما يدل على أن النذر المنهي لا يقصد به تحصيل غرض أو دفع مكروه على ظن أن النذر يرد من القدر شيئاً فليس مطلق النذر منهياً إذ لو كان كذلك لما لزم الوفاء به وآخر الحديث: «وإنما يستخرج به من البخيل» وهو إشارة إلى لزومه لأن غير البخيل يعطي باختياره بلا واسطة النذر والبخيل إنما يعطي بواسطة النذر الموجب عليه وأما لو كان النذر وعدمه سواء عنده وإنما نذر لتحقيق عزيمته وتوكيدها فلا كلام في حسن مثل هذا النذر وأكثر نذور الخواص ما خطر ببالهم وعقده جنانهم فإن العقد اللساني ليس إلا لتتميم العقد الجناني فكما يلزم الوفاء في المعاقدة اللسانية فكذا في المعاقدة الجنانية فليحافظ فإنه من باب التقوى المحافظ عليها من أهل الله تعالى.

طريق صدق بياموز از رب صافي دل   براستى طلب ازاد كى چوسرو چمن
وفاكنيم وملامت كشيم وخوش باشيم   كه در طريقت ما كافريست رنجيدن

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين: والنحب النذر

المحكوم بوجوبه وهو أن يلتزم الإنسان شيئاً من أعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به يقال قضى فلان نحبه أي: وفى بنذره يعبر بذلك عمن مات كقولهم قضى أجله واستوفى أكله وقضى من الدنيا حاجته وذلك لأن الموت كنذر لازم في عنق كل حيوان ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء أي: فبعضهم من خرج عن عهدة النذر بأن قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر الخزرجي الأنصاري عم أنس بن مالك رضي الله عنه.

ـ روي ـ أن أنساً رضي الله عنه غاب عن بدر فشهد أحداً فلما نادى إبليس إلا أن محمداً قد قتل مر بعمر رضي الله عنه ومعه نفر فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قتل رسول الله قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم جال بسيفه فوجد قتيلاً وبه بضع وثمانون جراحة.

بى زخم تيغ عشق زعالم نمى روم بيرون شدن زمعركه بى زخم عارماست

﴿ومنهم﴾ أي: وبعضهم ﴿من ينتظر﴾ قضاء نذره لكونه موقتاً كعثمان وطلحة وغيرهما فإنهم مستمرون على نذورهم وقد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله والقتال إلى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون قضاء بعضها الباقي وهو القتال إلى الموت شهيداً وفي وصفهم بالانتظار إشارة إلى كمال اشتياقهم إلى الشهادة.

غافلان از مرك مهلت خواستند عاشقان كفتند نى نى زود باد

وفي «المثنوي»:

دانهٔ مردن مرا شيرين شدست بل هم أحياء پى من آمدست
صدق جان دادن بودهين سابقوا ازنبى برخوان رجال صدقوا
اى بسا نفس شهيد معتمد مرده در دنيا وزنده مى رود

﴿وما بدلوا﴾ عطف على صدقوا وفاعله فاعله أي: وما بدلوا عهدهم وما غيروه ﴿تبديلاً﴾ ما لا أصلاً ولا وصفاً بل ثبتوا راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم أصدق الشهادة.

ـ روي ـ أن طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله يوم أحد يحميه حتى أصيبت يده وجرح أربعاً وعشرين جراحة فقال عليه السلام: «أوجب طلحة الجنة» «وسماه النبي عليه السلام يومئذٍ طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود ويوم غزوة ذات العشيرة طلحة الفياض» وقتل يوم الجمل. وفي الآية تعريض بأرباب النفاق وأصحاب مرض القلب فإنهم ينقضون العهود ويبدّلون العقود.

فداى دوست نكرديم عمرو مال دريغ كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

﴿ليجزي الصادقين بصدقهم﴾ أي: وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولاً وفعلاً. قال في «كشف الأسرار»: في الدنيا بالتمكين والنصرة على العدو وإعلاء الراية وفي الآخرة بجميل الثواب وجزيل المآب والخلود في النعيم المقيم والتقديم على الأمثال بالتكريم والتعظيم ﴿ويعذب المنافقين﴾ بما صدر عنهم من الأقوال والأعمال المحكية ﴿إن شاء﴾ تعذيبهم أي: إن لم يتوبوا فإن الشرك لا يغفر البتة ﴿أو يتوب عليهم﴾ أي: يقبل توبتهم إن تابوا ﴿إن الله كان غفوراً﴾ ستوراً على من تاب محاء لما صدر

منه ﴿رحيماً﴾ منعماً عليه بالجنة والثواب. قال بعضهم إمارة الرجولية الصدق في العهد وهو أن لا يعبد غيره تعالى من الدنيا والعقبى والدرجات العليا إلى أن يصل إلى حضرة العلي الأعلى. فمن الصادقين من بلغ مقصده ونال مقصوده وهذا حال المنتهين. ومنهم من ينتظر البلوغ والوصول وهو في السير وهذا حال المتوسطين وما بدلوا تبديلاً بالإعراض عن الطلب والإقبال على طلب غير الله ليجزي الله الصادقين بصدقهم في الطلب وبقدم الصدق ينزلون عند ربهم ويعذب المنافقين إن شاء وهم مدعوا الطلب بغير قدم صدق بل بقدم كذب وتلبيس ورياء فهم في زي أهل الرقة ولباس القوم وفي سيرة أهل الرياء والنفاق كما قال بعضهم:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائه

فلا بد من التوبة والصدق والثبات حتى تظهر الآثار من المغفرة والرحمة والهداية [اى جوانمرد عنايت ازلى كوهر صادقانرا رنكى دهدكه هركه در ايشان نكرد اكر بيكانه بود آشنا كردد ورعاصى بود عارف كردد ور درويش بود توانكر كردد. إبراهيم أدهم قدس سره كفت وقتى كشش روم درباطن من سر برزد كفتم آياچه حالتست اين وازكجا افتاد اين كشش درباطن من همى سر درنهادم ورفتم تابدار الملك روم در سرايى شدم جمعى انبوه آنجا كرد آمده زنارهاى ايشان بديدم غيرت دين در من كار كرد پيراهن از سرتاپاى فرو دريدم ونعرهٔ چند كشيدم آن روميان فراز آمدند وهمى پرسيدندكه تراچه بود ودر توچه صفرا افتاد كفتم من اين زنارهاى شما نميتوانم ديد كفتند همانا تو از محمد يانى كفتم آرى من از محمد يانم كفتند كارى سهل است بماچنين رسيدكه سنك وخاك بنبوّت محمد كواهى ميداد واز روى جماديت اين زنارهاى ما حالت آن سنك وخاك دارد اكر باتو صدقى هست از خدا بخواه تا اين زنارهاى بنبوت محمد كواهى دهند تاما در دائرهٔ اسلام آييم ابراهيم سربر سجده نهاد ودر الله زاريد وكفت خداوندابر من ببخشاى وحبيب خويش را نصرت كن ودين اسلام را قوى كن هنوز آن مناجات تمام ناكرده كه هر زنارى بزبان فصيح ميكفت لا اله الا الله محمد رسول الله].

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿ورد الله الذين كفروا﴾ يعني الأحزاب وهو رجوع إلى حكاية بقية القصة أي: وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الذين كفروا حال كونهم ملتبسين ﴿بغيظهم﴾ وحسرتهم يعني: [خشمناك برفتند] والغيظ أشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه ﴿لم ينالوا خيراً﴾ حال بعد حال أي: حال كونهم لم يصيبوا ما أرادوا من الغلبة وسماها خيراً لأن ذلك كان عندهم خيراً فجاء على استعمالهم وزعمهم ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بما ذكر من إرسال الريح الشديدة والملائكة.

باد صبا ببست ميان نصرت ترا ديدى چراغ راكه كند باد ياورى

﴿وكان الله قوياً﴾ على إحداث كل ما يريده ﴿عزيزاً﴾ غالباً على كل شيء ثم أخبر بالكفاية الأخرى فقال:

﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ أي: عاونوا الأحزاب المردودة على رسول الله والمسلمين حين نقضوا العهد ﴿من أهل الكتاب﴾ وهم بنو قريظة قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس وسيد الأوس حينئذٍ سعد بن معاذ رضي الله عنه ﴿من صياصيهم﴾ من حصونهم جمع صيصة بالكسر وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وهي في مخلبته التي في ساقه لأنه يتحصن بها ويقاتل ﴿وقذف﴾ رمى وألقى ﴿في قلوبهم الرعب﴾ أي: الخوف والفزع بحيث سلموا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿فريقاً تقتلون﴾ يعني: رجالهم ﴿وتأسرون فريقاً﴾ يعني نساءهم وصبيانهم من غير أن يكون من جهتهم حركة فضلاً عن المخالفة والأسر الشد بالقيد وسمي الأسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذ مقيد وإن لم يكن مشدوداً ذلك.

﴿وأورثكم﴾ [وميراث داد شمارا] ﴿أرضهم﴾ مزارعهم وحدائقهم ﴿وديارهم﴾ حصونهم وبيوتهم ﴿وأموالهم﴾ نقودهم وأثاثهم ومواشيهم شبهت في بقائها على المسلمين بالميراث الباقي على الوارثين إذ ليسوا في الشيء منهم من قرابة ولا دين ولا ولاء فأهلكهم الله على أيديهم وجعل أملاكهم وأموالهم غنائم لهم باقية عليهم كالمال الباقي على الوارث ﴿وأرضاً﴾ [وشمارا داد زمينى راكه] يعني في علمه وتقديره ﴿لم تطؤوها﴾ بأقدامكم بعد كفارس والروم وما ستفتح إلى يوم القيامة من الأراضي والمماليك من وطىء يطأ وطئاً، بالفارسية: [بپاى سپردن]. ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ فقد شاهدتم بعض مقدوراته من إيراث الأرض التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما بعدها. قال الكاشفي: [پس قادر باشد برفتح بلاد وتسخير آن براى ملازمان سيد عباد:

لشكر عزم ترا فتح وظفر همراهست لا جرم هر نفس اقليم دكر مى كيرى]

ـ روي ـ أنه لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وكان وقت الظهيرة وصلى الظهر ودخل بيت زينب وقد غسلت شق رأسه الشريف أتى جبريل عليه السلام على فرسه حيزوم معتجراً بعمامة سوداء فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم قال جبريل: ما وضعت ملائكة الله السلاح منذ نزل بك العدو إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون وداقهم دق البيض على الصفا فأدبر بمن معه وسار حتى سطع الغبار، فأمر عليه السلام بلالاً رضي الله عنه فأذن في الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلينّ العصر إلا في بني قريظة وقد لبس عليه السلام الدرع والمغفر وأخذ قناة بيده الشريفة وتقلد السيف وركب فرسه اللحيف بالضم والناس حوله قد لبسوا السلاح وهم ثلاثة آلاف واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ودفع اللواء إلى علي رضي الله عنه وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق وأرسله متقدماً مع بعض الأصحاب ومر عليه السلام بنفر من بني النجار قد لبسوا السلاح فقال: هل مرّ بكم أحد؟ قالوا: نعم دحية الكلبي رضي الله عنه وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله يطلع عليكم الآن فقال ذلك جبريل فلما دنا علي رضي الله عنه من الحصون وغرز اللواء عند أصل الحصون سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه عليه السلام وحق أزواجه فسكت المسلمون وقالوا: السيف بيننا وبينكم فلما رأى علي رضي الله عنه رسول الله مقبلاً أمر قتادة الأنصاري أن يلزم اللواء ورجع إليه عليه السلام فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال: لعلك

سمعت منهم لي أذى قال: نعم قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا من حصونهم قال: يا إخوان القردة والخنازير لأن اليهود مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير في زمن داود عليه السلام عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونني فجعلوا يحلفون ويقولون ما قلنا يا أبا القاسم ما كنت فحاشاً، يعني: [توفحاش نبودى وهركز ناسزا نكفتى چونست كه امروزمارا ميكويى] ثم إن جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن منه بد عن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر إلى أن جاءوا بعد العشاء الأخيرة فصلوها هناك امتثالاً لقوله عليه السلام: «لا يصلينّ العصر إلا في بني قريظة» وقال بعضهم: نصلي ما يريد رسول الله منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وإنما أراد الحث على الإسراع فصلوها في أماكنهم ثم ساروا فما عابهم الله في كتابه ولا عنفهم رسول الله لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر فكل من الفريقين متأول ومأجور بقصده وهو دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب.

ومن هنا أخذ الصوفية ما ذكروا في آداب الطريقة إن الشيخ المرشد إذا أرسل المريد لحاجة فمر في الطريق بمسجد وقد حضرت الصلاة فإنه يقدم السعي للحاجة اهتماماً لا تهاوناً بالصلاة. وحاصر رسول الله ﷺ بني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الخوف الشديد وكان حيي بن أخطب سيد بني النضير دخل مع بني قريظة حصنهم حين رجعت الأحزاب فلما أيقنوا أن رسول الله غير منصرف حتى يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسد: يا معشر اليهود نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه النبي الذي تجدونه في كتابكم وأن المدينة دار هجرته وما منعني من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يكن من بني إسرائيل ولقد كنت كارهاً لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس يعني حيي بن أخطب فقالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره أي: القرآن فقال: إن أبيتم عليّ هذه الخصلة فهلموا فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف حتى لا نترك وراءنا نسلاً يخشى عليه إن هلكنا فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم إن لم نهلك فقال: فإن أبيتم فإن الليلة ليلة السبت وإن محمداً وأصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب منهم غفلة فقالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا فقال لهم عمرو بن سعدي فإن أبيتم فأثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية فقالوا: نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه القتل خير من ذلك ثم قال لهم رسول الله: تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس فرضوا به وعاهدوا على أن لا يخرجوا من حكمه فأرسل عليه السلام في طلبه وكان جريحاً في وقعة الخندق فجاء راكب حمار وكان رجلاً جسيماً فقال عليه السلام: «قوموا إلى سيدكم» فقام الأنصار فأنزلوه وبه ثبت الاستقبال للقادم فحكم بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عليه السلام وقال: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» أي: السموات السبع والمراد أن شأن هذا الحكم العلو والرفعة ثم استنزلهم وأمر بأن يجمع ما وجد في حصونهم فوجدوا فيها ألفاً وخمسائة سيف وثلاثمائة درع وألفي رمح وخمسمائة ترس وأثاثاً وأواني كثيرة وجمالاً ومواشي وشياهاً وغيرها وخمس ذلك وجعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار لأنه كان لهم منازل فرضي الكل بما صنع الله ورسوله وأمر بالمتاع أن يحمل وترك المواشي هناك ترعى

الشجر ثم غدا إلى المدينة فأمر بالأسارى وكانوا ستمائة مقاتل أو أكثر أن يكونوا في دار أسامة بن زيد رضي الله عنه والنساء والذرية وكانت سبعمائة في دار ابنة الحارث النجارية لأن تلك الدار كانت معدودة لنزول الوفود من العرب ثم خرج إلى سوق المدينة فأمر بالخندق فحفروا فيه حفائر فضرب أعناق الرجال وألقوا في تلك الخنادق وردوا عليهم التراب وكان المتولي لقتلهم علياً والزبير ولم يقتل من نسائهم إلا بنانة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه تحت الحصن فقتلته ولم يستشهد في هذه الغزوة إلا خلاد قال عليه السلام: «له أجر شهيدين» ثم بعث رسول الله سعد بن زيد الأنصاري بسبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً قسمها رسول الله على المسلمين ونهى عليه السلام أن يفرق بين أم وولدها حتى يبلغ أي: تحيض الجارية ويحتلم الغلام وقال: «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» واصطفى عليه السلام لنفسه منهم ريحانة بنت شمعون وكانت جميلة وأسلمت فأعتقها رسول الله وتزوجها ولم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع سنة عشر فدفنها بالبقيع وكانت هذه الوقعة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة. وفي الآية إشارة إلى أنه كما أن بني قريظة أعانوا المشركين على المسلمين فهلكوا فكذلك العلماء المداهنون أعانوا النفس والشيطان والدنيا على القلوب وأفتوا بالرخص لأرباب الطلب وفتروهم عن التجريد والمجاهدة وترك الدنيا والعزلة والانقطاع وقالوا: هذه رهبانية وليست من ديننا وتمسكوا بآيات وأخبار لها ظاهر وباطن فأخذوها بظاهرها وضيعوا باطنها فآمنوا ببعض هو على وفق طباعهم وكفروا ببعض هو على خلاف طباعهم أولئك أعوان النفوس والشياطين والدنيا فمن قاربهم هلك كما هلكوا في وادي المساعدات ونعوذ بالله من المخالفات وترك الرياضات والمجاهدات، وفي «المثنوي»:

اندرين ره مى تراش ومى خراش تادمى آخر دمى فارغ مباش

فإن البطالة لا تثمر إلا الحرمان والجد يفتح أبواب المراد من أي نوع كان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿يا أيها النبي﴾ الرفيع الشأن المخبر عن الله الرحمٰن. قال الكاشفي: [ارباب سير براندكه سال تاسع ازهجرت سيد عالم عليه السلام از ازواج طاهرات عزلت نمود وسوكند خوردكه يك ماه باايشان مخالطت نكند وسبب آن بودكه ازان حضرت ثياب زينت وزيادت نفقه ميطلبيدند واورا رنجه داشتند بسبب غيرت چنانكه عادت زنان ضرائر بود فخر عالم ملول وغمناك كشته بغرفهٔ درمسجدكه خزانهٔ وى بود تشريف فرمود بعد ازبيست ونه روزكه آن ماه بدان عدد تمام شده بود جبرائيل عليه السلام آيت تخيير فرود آوردكه].

﴿يا أيها النبي قل﴾ أمر وجوب في تخييرهن وهو من خصائصه عليه السلام **﴿لأزواجك﴾** نسائك وهن يومئذٍ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان وأم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية وسودة بنت زمعة العامرية وأربع من غير قريش زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية الهارونية وجويرية بنت الحارث الخزاعية

المصطلقية وكانت هذه بعد وفاة خديجة رضي الله عنها ﴿إن كنتن تردن الحياة الدنيا﴾ أي: السعة والتنعم فيها ﴿وزينتها﴾ [وآرايش چون ثياب فاخره وپيرايها بتكلف] ﴿فتعالين﴾ أصل تعالى أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المنخفض ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكنة ولم يرد حقيقة الإقبال والمجيء بل أراد أجبن على ما أعرض عليكن وأقبلن بإرادتكن واختياركن لإحدى الخصلتين كما يقال أقبل يكلمني وذهب يخاصمني وقام يهددني ﴿أمتعكن﴾ بالجزم جواباً للأمر، والتمتيع بالفارسية: [برخورداری دادن] أي: أعطكن المتعة، وبالفارسية: [پس بياييدكه بدهم شمارا متعهء طلاق چنانچه مطلقه را دهند] سوى المهر وأصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعاً قليلاً غير باق بل ينقضي عن قريب ويسمى التلذذ تمتعاً لذلك وهي درع وهو ما يستر البدن وملحفة وهي ما يستر المرأة عند خروجها من البيت وخمار وهو ما يستر الرأس وهي واجبة عند أبي حنيفة رضي الله عنه في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يسم لها مهر عند العقد ومستحبة فيما عداها والحكمة في إيجاب المتعة جبر لما أوحشها الزوج بالطلاق فيعطيها لتنتفع بها مدة عدتها ويعتبر ذلك بحسب السعة والإقتار إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فحينئذٍ يجب لها الأقل منه ولا ينقص عن خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة فلا ينقص عن نصفها ﴿وأسرحكن﴾ السرح شجر له ثمرة وأصله سرحت الإبل أن ترعيها السرح ثم جعل لكل إرسال في الرعي والتسريح في الطلاق مستعار من تسريح الإبل كالطلاق في كونه مستعاراً من طلاق الإبل وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية هو لفظ الطلاق عند أبي حنيفة وأحمد والطلاق والفراق والسراح عند الشافعي ومالك والمعنى أطلقكن ﴿سراحاً جميلاً﴾ طلاقاً من غير ضرار وبدعة. واتفق الأئمة على أن السنة في الطلاق أن يطلقها واحدة في طهر لم يصبها فيه ثم يدعها حتى تنقضي عدتها وإن طلق المدخول بها في حيضها أو طهر أصابها فيه وهي ممن تحبل فهو طلاق بدعة محرم ويقع بالاتفاق وجمع الثلاثة بدعة عند أبي حنيفة ومالك وقال أحمد هو محرم خلافاً للشافعي ويقع بلا خلاف بينهم.

واعلم أن الشارع إنما كره الطلاق ندباً إلى الإلفة وانتظام الشمل ولما علم الله أن الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة لعباده ليكونوا مأجورين في أفعالهم محمودين غير مذمومين إرغاماً للشيطان فإنهم في ذلك تحت إذن إلهي وإنما كان الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى لأنه رجوع إلى العدم إذ بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعد الائتلاف كان العدم فمن أجل هذه الرائحة كرهت الفرقة بين الزوجين لعدم عين الاجتماع كذا في «الفتوحات». وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من أول الأمر.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله﴾ أي: تردن رسوله وصحبته ورضاه وذكر الله للإيذان بجلالته عليه السلام عنده تعالى. ﴿والدار الآخرة﴾ أي: نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعاً ﴿فإن الله أعد للمحسنات﴾ [مرزنان نيكوكارانرا] ﴿منكن﴾ بمقابلة إحسانهن ومن

للتبيين لأن كلهن محسنات أصلح نساء العالمين ولم يقل لكن إعلاماً بأن كل الإحسان في إيثار مرضاة الله ورسوله على مرضاة أنفسهن. ﴿أجراً عظيماً﴾ لا يعرف كنهه وغايته وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف التسريح بالجميل ولما نزلت هذه الآية بدأ عليه السلام بعائشة رضي الله عنها وكانت أحب أزواجه إليه وقرأها عليها وخيرها فاختارت الله ورسوله.

ـ وروي ـ أنه قال لعائشة رضي الله عنها: إني ذاكر لك أمراً أحب أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك أي: تشاوري لما علم أن أبويها لا يأمرانها بفراقه عليه السلام قالت: وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية فقالت: أفي هذا استأمر أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة» [رسول را اين سخن ازو عجب آمد وبدان شاد شد واثر شادى بربشرهٔ مبارك وى پيدا آمد]. ثم اختارت الباقيات اختيارها فلما آثرنه عليه السلام والنعيم الباقي على الفاني شكر الله لهن ذلك وحرم على النبي التزوج بغيرهن فقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآية كما سيأتي. واختلف في أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق إليهن حتى يقع الطلاق باختيارهن أو كان تخييراً لهن بين الإرادتين على أنهن إن أردن الدنيا فارقهن عليه السلام كما ينبىء عنه قوله: ﴿فتعالين﴾ الخ فذهب البعض إلى الأول وقالوا: لو اخترن أنفسهن كان ذلك طلاقاً ولذا اختلف في حكم التخيير فإنه إذا خير رجل امرأته فاختارت نفسها في ذلك المجلس قبل القيام والاشتغال بما يدل على الإعراض بأن تقول اخترت نفسي وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة ورجعية عند الشافعي وثلاث تطليقات عند مالك ولو اختارت زوجها لا يقع شيء أصلاً وكذا إذا قامت من مجلسها قبل أن تختار نفسها انقطع التخيير باتفاقهم. واختلفوا فيما إذا قال أمرك بيدك فقال أبو حنيفة إذا قال أمرك بيدك في تطليقة فاختارت نفسها يقع طلقة رجعية وإن نوى الثلاث صح فلو قالت: اخترت واحدة فهي ثلاث وهو كالتخيير يتوقف على المجلس.

وفي الآية إشارتان:

الأولى: أن حب الدنيا وزينتها موجب للمفارقة عند صحبة النبي عليه السلام لأزواجه مع أنهن محال النطفة الإنسانية في عالم الصورة ليعلم أن حب الدنيا وزينتها آكد في إيجاب المفارقة عن صحبة النبي عليه السلام لأمته؛ لأن أرحام قلوبهم محل النطفة الروحانية الربانية فينبغي أن يكون أطيب وأزكى لاستحقاق تلك النطفة الشريفة فإن الطيبات للطيبين:

خاطرت كى رقم فيض پذيرد هيهات مكراين نقش پرا كنده ورق ساده كنى

والثانية: أن محبة الله ورسوله والدار الآخرة موجبة للاتصال بالنبي عليه السلام والوصلة إلى الله إن كانت خالصة لوجه الله فإن كانت مشوبة بنعيم الجنة فله نعيم الجنة بقدر شوب محبة الله محبة نعيم وله من الأجر العظيم بحسب محبة الله. فإن قال قائل: قد تحقق أن محبة الله إذا كانت مشوبة بمحبة غير الله توجب النقص من الأجر العظيم بقدر شوب محبة غير الله فكذلك هل يوجب النقص شوب محبة النبي عليه السلام من الأجر العظيم. قلنا لا توجب النقص من الأجر العظيم بل تزيد فيه لأن من أحب النبي عليه السلام فقد أحب الله كما أن من يطع الرسول فقد أطاع الله والفرق بين محبة النبي ومحبة الجنة أن محبته بالحق دون الحظ ومحبة الجنة بالحظ دون الحق فإن الجنة حظ النفس كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ

﴿أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١] ومحبة النبي ومتابعته مؤدية إلى محبة الله للعبد كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال المولى الجامي:

لي حبيب عربي مدني قرشي — كه بود در دوغمش مايهٔ شادى وخوشى
فهم رازش نكنم او عربي من عجمي — لاف مهرش چه زنم او قرشي من حبشي
ذره وارم بهوا دارئ اورقص كنان — تاشد او شهرهٔ آفاق بخورشيد وشى
كرچه صد مرحله دورست زپيش نظرم — وجهه في نظري كل غداة وعشي

﴿يا نساء النبي﴾ توجيه الخطاب إليهن لإظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن هٰهنا وفيما بعده بالإضافة إليه عليه السلام لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام ﴿من يأت منكن بفاحشة﴾ بسيئة بليغة في القبح وهي الكبيرة، وبالفارسية: [هركه بيايد ازشما بكارى نا پسنديده] ﴿مبينة﴾ ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين قيل هذا كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] لا إن منهن من أتت بفاحشة أي: معصية ظاهرة. قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني النشوز وسوء الخلق. قال الراغب: الفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال انتهى.

يقول الفقير: لعل وجه قول ابن عباس رضي الله عنهما أن الزلة منهن كسوء الخلق مما يعد فاحشة بالنسبة إليهن لشرفهن وعلو مقامهن خصوصاً إذا حصل بها أذية النبي ﷺ ولذا قال: ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أي: يعذبن ضعفي عذاب غيرهن أي: مثليه ﴿وكان ذلك﴾ أي: تضعيف العذاب ﴿على الله يسيراً﴾ لا يمنعه عنه كونهن نساء النبي بل يدعوه إليه لمراعاة حقه. قال في «الأسئلة المقحمة»: ما وجه تضعيف العذاب لزوجات النبي عليه السلام؟ الجواب لما كان فنون نعم الله عليهن أكثر وعيون فوائده لديهن أظهر من الاكتحال بميمون غرّة النبي عليه السلام وترداد الوحي إلى حجراتهن بإنزال الملائكة فلا جرم كانت عقوبتهن عند مخالفة الأمر من أعظم الأمور وأفخمها ولهذا قيل إن عقوبة من عصى الله تعالى عن العلم أكثر من عقوبة من يعصيه عن الجهل وعلى هذا أبداً. وحد الحر أعظم من حد العبد وحد المحصن أعظم من حد غير المحصن لهذه الحقيقة انتهى. وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به الأمم. والحاصل أن الذنب يعظم بعظم جانيه وزيادة قبحه تابعة لزيادة شرف المذنب والنعمة فلما كانت الأزواج المطهرة أمهات المؤمنين وأشراف نساء العالمين كان الذنب منهن أقبح على تقدير صدوره وعقوبة الأقبح أشد وأضعف. وفي «المثنوي»:

آنچه عين لطف باشد برعوام — قهر شد برعشق كيشان كرام

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الثواب والعقاب بقدر نفاسة النفس وخستها يزيد وينقص وأن زيادة العقوبة على الجرم من إمارات الفضيلة كحد الحر والعبد وتقليل ذلك من إمارات النقص. وذلك لأن أهل السعادة على صنفين: صنف منهم السعيد والآخر الأسعد فالسعيد من أهل الجنة والأسعد من أهل الله فإذا صدر من السعيد طاعة فأعطي بها أجراً واحداً من الجنة وإن صدر منه معصية فأعطي بها عذاباً واحداً من الجحيم وإذا صدر من الأسعد طاعة فأعطي أجره مرتين وذلك بأن يزيد له بها درجة في الجنة ومرتبة في القربة وإن صدر منه معصية يضاعف له العذاب ضعفين بنقص في درجة من الجنة ونقص في مرتبته من القربة أو عذاب من ألم مس النار وعذاب من ألم مس البعد وذل الحجاب ومن هنا دعاء السريّ السقطي قدس سره اللهم إن كنت تعذبني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب، وكان ذلك على الله يسيراً أن يضاعف

لهم العذاب ضعفين بخلاف الخلق لأن تضعيف العذاب في حقهم ليس بيسير لأنهم يتبعون به ويعسر عليهم ذلك انتهى عصمنا الله وإياكم من العذاب وشرفنا بجزيل الثواب.

ومن أسباب العذاب والتنزل عدم التوكل وترك القناعة بالواصل والسعي بلا حاصل. قال عبد الواحد بن زيد: سألت الله تعالى ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة فقيل لي: يا عبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء فقلت: وأين هي؟ فقيل لي: في بني فلان بالكوفة فخرجت فإذا هي قائمة تصلي وإذا بين يديها عكاز وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشتري وإذا الغنم مع الذئاب ترعى فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف الذئاب فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت: ارجع يا ابن زيد ليس الموعد هٰهنا إنما الموعد ثمة فقلت: رحمك الله من أعلمك أني ابن زيد فقالت: إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها اختلف فقلت لها: عظيني فقالت: واعجباً يوعظ لواعظ بلغني أنه ما من عبد أعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب بعداً وبعد الأنس وحشة ولهذا السر وعظ الله الأرواح المطهرة في القرآن وذلك من فضله، قال الصائب:

تازخاك پاى درويشى توانى سرمه كرد خاك در چشمت اكر درپادشاهى بنكرى

يعني أن جلاء البصر في الفقر والقناعة وترك زينة الدنيا لا في الدولة والسلطنة والنعيم الفاني فإن الدنيا كدر بما فيها. فعلى العاقل تخفيف الأثقال والأوزار وتكميل التجرد إلى آخر جزء من عمره السيار:

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ومن يقنت منكن﴾ ومن تدم على الطاعة، وبالفارسية: [وهركه مداومت كندبر طاعت از شماكه ازواج پيغمبريد]. قال الراغب: القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع **﴿لله ورسوله﴾** [مرخدا ورسول اورا] **﴿وتعمل صالحاً﴾** [وبكندكارى بسنديده] **﴿نؤتها أجرها﴾** [بدهيم اورا مزداو] **﴿مرتين﴾** مرة على الطاعة والتقوى وأخرى على طلبها رضى رسول الله بالقناعة وحسن المعاشرة. قال مقاتل: بحسنة عشرين **﴿وأعتدنا لها﴾** في الجنة زيادة على أجرها المضاعف. والإعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة. قال الراغب: الإعتاد ادّخار الشيء قبل الحاجة إليه كالإعداد وقيل أصله أعددنا فأبدلت تاء **﴿رزقاً كريماً﴾** أي: حسناً مرضياً. قال في «المفردات»: كل شيء يشرف في بابه فإنه كريم وفيه إشارة إلى أن الرزق الكريم في الحقيقة هو نعيم الجنة فمن أراده يترك التنعيم في الدنيا قال عليه السلام لمعاذ رضي الله عنه: «إياك والتنعيم فإن عباد الله ليسوا بمتنعمين» يعني: أن عباد الله الخلص لا يرضون نعيم الدنيا بدل نعيم الآخرة فإن نعيم الدنيا فانٍ.

شنيدم كه جمشيد فرخ شرشت بسر چشمۀ بربسنكى نبشت

برين چشمه چون ما بسى دم زدند برفتند چون چشم برهم زدند

وفي الآية إشارة إلى أن الطاعة والعمل الخالص من غير شوب بطمع الجنة ونحوها يوجب أجراً بمزيد في القربة وبتبعيتها يوجب أجراً آخر في درجات الجنة والعمل بالنفس يزيد

في وجودها وأما العمل وفق إشارة المرشد ودلالة الأنبياء والأولياء فيخلصها من الوجود وعلامة الخلاص من الوجود العمل بالحضور والتوجه التام لا بالانقلاب والاضطراب ألا ترى أن بعض المريدين دخل التنور اتباعاً لأمر شيخه أبي سليمان الداراني رحمه الله فلم يحترق منه شيء وكيف يحترق ولم يبق منه سوى الاسم من الوجود وهذا هو الشهود وهو الرزق الكريم فإن الكريم هو الله فيرزق المخلص من المشاهدات الربانية والمكاشفات والمكالمات مزيداً على القربة وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] ألا ترى أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يحترق في نار النمرود بل وجد الرزق الكريم من الله الودود لأن كل نعيم ظاهري لأهل الله فإنما ينعكس من نعيم باطني لهم وحقيقة الأجر إنما تعطي في النشأة الآخرة لأن هذه النشأة لا تسعها لضيقها نسأل الله القنوت والعمل ونستعيذ به من الفتور والكسل فإن الكسل يورث الغفلة والحجاب كما أن العمل يورث الشهود وارتفاع النقاب فإن التجليات الوجودية مظاهر التجليات الشهودية ومنه يعرف سر قوله عليه السلام: «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق» فكما أن الطهارة الصورية تجلب بخاصيتها الرزق الصوري فكذا الطهارة المعنوية تجذب بمقتضاها الرزق المعنوي فيحصل لكل من الجسم والروح غذاؤه ويظهر سر الحياة الباقية فإن أذواق الروح لا نهاية لها لا في الدنيا ولا في الآخرة، وفي «المثنوي»:

اين زمين وسختيان پردست وبس اصل روزى از خدا دان هرنفس
رزق ازوى جو مجو از زيد وعمرو مستى ازوى جو مجو از بنك وخمر
منعمى زوخواه نى از كنج ومال نصرت ازوى خواه نى ازعم وخال

اللهم اجعلنا من خلص العباد وثبت أقدامنا في طريق الرشاد بحق النون والصاد.

﴿يا نساء النبي﴾ [اى زنان پيغمبر] ﴿لستن كأحد من النساء﴾ [نيستيد شماچون هيچ كس اززنان ديكر]. وأصل أحد وحد بمعنى الواحد قلبت واوه همزة على خلاف القياس ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير. والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف بسبب صحبة النبي عليه السلام فإن المضاف إلى الشريف شريف ﴿إن اتقيتن﴾ مخالفة حكم الله ورضى رسوله وهو استئناف والكلام تام على أحد من النساء ويحتمل أن يكون شرطاً لخيريتهن وبياناً أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى لا باتصالهن بالنبي عليه السلام:

زهد وتقوى فضل را محراب شد

﴿فلا تخضعن بالقول﴾ عند مخاطبة الناس أي: لا تجبن بقولكن خاضعاً ليناً مثل قول المطمعات، وبالفارسية: [پس نرمى وفروتنى مكنيد درسخن كفتن ونياز مكوييد بامردان بيكانه]. والخضوع التطامن والتواضع والسكون والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فإذا أتى الرجل باب إنسان وهو غائب فلا يجوز للمرأة أن تلين بالقول معه وترفق الكلام له فإنه يهيج الشهوة ويورث الطمع كما قال: ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي: محبة فجور ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ بعيداً من التهمة والأطماع بجد وخشونة لا بتكسر وتغنج كما يفعله المخنث فالزنى من أسباب الهلاك المعنوي كالمرض من أسباب الهلاك الصوري وسببه الملاينة والمطاوعة.

هست نرمى آفت جان سمور وزدرشتى ميبردجان خارپشت

وفي الآية إشارة إلى أن أحوال أرباب القلوب الذين أسلموا أرحام قلوبهم لتصرفات ولاية المشايخ ليست كأحوال غيرهم من الخلق فالمتقي بالله من غيره لا يخضع لشيء من الدارين فإن الخضوع بالقول يجذب إلى الخضوع بالقلب والعمل وكثير من الصادقين يخضعون بالقول لأرباب الدنيا والأعمال الدنيوية لصلاح الآخرة ومصالح الدين بزعمهم فبالتدريج يقعون في ورطة الهلاك ويرجعون القهقرى إلى الدنيا ويستغرقون في بحر الفضلات لضعف الخالات فلا بد من ترك المساعدات وترك الشروع في شيء من أحوال الدنيا وأعمالها إلا بالمعروف وإلا فيكون مغلوباً بالمنكرات فنعوذ بالله من المخالفات.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وقرن﴾ [وآرام كيريد] ﴿في بيوتكن﴾ [درخانهاى خويش]. قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بفتح القاف في المضارع من باب علم وأصله اقررن نقلت حركة الراء الأولى إلى القاف وحذفت لالتقاء الساكنين ثم حذفت همزة الوصل استغناء عنها فصار قرن ووزنه الحالي فلن والأصل أفعلن والباقون بكسرها لما أنه أمر من وقر يقر وقاراً إذا ثبت وسكن واصله أو قرن فحذفت الواو تخفيفاً ثم الهمزة فاستغناء عنها فصار قرن ووزنه الحالي علن أو من قريقر بكسر القاف في المضارع فأصله اقررن نقلت كسرة الراء إلى القاف ثم حذفت فاستغني عن همزة الوصل فصار قرن ووزنه الحالي فلن. والمعنى: الزمن يا نساء النبي بيوتكن واثبتن في مساكنكن. والخطاب وإن كان لنساء النبي فقد دخل فيه غيرهن.

ـ روي ـ أن سودة بنت زمعة رضي الله عنها من الأزواج المطهرة ما خطت باب حجرتها لصلاة ولا لحج ولا لعمرة حتى أخرجت جنازتها من بيتها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل لها لم لا تحجين ولا تعتمرين؟ فقالت: قيل لنا ﴿وقرن في بيوتكن﴾

زبيكانكان چشم زن كور باد   چو بيرون شد ازخانه در كورباد

وفي الخبر: «خير مساجد النساء قعر بيوتهن» ﴿ولا تبرجن﴾ قال الراغب يقال ثوب متبرج صور عليه بروج واعتبر حسنه فقيل: تبرجت المرأة أي: تشبهت به في إظهار الزينة والمحاسن للرجال أي: مواضعها الحسنة فيكون المعنى [إظهار پيرايها مكنيد] ويدل عليه قوله في «تهذيب المصادر» [التبرج: بزن خويشتن را بيارأستن] قال تعالى: ﴿ولا تبرجن﴾ وأصل التبرج صعود البرج وذلك أن من صعد البرج ظهر لمن نظر إليه قاله أبو علي انتهى. وقيل: تبرجت المرأة ظهرت من برجها أي: قصرها ويدل على ذلك قوله ولا تبرجن كما في «المفردات». وقال بعضهم: ولا تتبخترن في مشيكن ﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي: تبرجاً مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وكان بين موت آدم وطوفان نوح ألف ومائتا سنة واثنتان وسبعون سنة كما في «التكملة». والجاهلية الأخرى ما بين محمد وعيسى عليهما السلام. قال ابن الملك الجاهلية الزمان الذي كان قبل بعثته عليه السلام قريباً منها سمي به لكثرة الجهالة انتهى.

ـ روي ـ أن بطنين من ولد آدم سكن أحدهما السهل والآخر الجبل وكان رجال الجبل صباحاً وفي نسائهم دمامة والسهل بالعكس فجاء إبليس وآجر نفسه من رجل سهلي وكان

يخدمه فاتخذ شيئاً مثل ما يزمر الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس بمثله فبلغ ذلك من في السهل فجاءوا يستمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة فتبرج النساء للرجال وتزينوا لهن فهجم رجل من أهل الجبل عليهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فأخبر أصحابه فتحولوا إليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله: ﴿**ولا تبرجن**﴾ الخ وذلك بعد زمان ادريس. قال الكاشفي: [اصح آنست كه جاهليت اولى درزمان حضرت ابراهيم عليه السلام بودكه زنان لباسها بمرواريد بافته پوشيده خودرا درميان طريق بمردان عرض كردندى].

وقيل: الجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان. وفي الحديث: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد» يعني في عصره عليه السلام لطهارة ذلك العصر بل حدثا بعده «قوم معهم سياط» يعني أحدهما قوم في أيديهم سياط «كأذناب البقر يضربون بها الناس» جمع سوط تسمى تلك السياط في ديار العرب بالمقارع جمع مقرعة وهي جلد طرفها مشدود عرضه كعرض الأصبع الوسطى يضربون بها السارقين عراة وقيل هم الطوافون على أبواب الظلمة كالكلاب يطردون الناس عنها بالضرب والسباب «ونساء» يعني ثانيهما نساء «كاسيات» يعني: في الحقيقة «عاريات» يعني في المعنى لأنهن يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها أو معناه عاريات من لباس التقوى وهن اللاتي يلقين ملاحفهن من ورائهن فتنكشف صدورهن كنساء زماننا. أو معناه كاسيات بنعم الله عاريات عن الشكر يعني نعيم الدنيا لا ينفع في الآخرة إذا خلا عن العمل الصالح وهذا المعنى غير مختص بالنساء «مميلات» أي: قلوب الرجال إلى الفساد بهن أو مميلات أكنافهن وأكفالهن كما تفعل الرقاصات أو مميلات مقانعهن من رؤوسهن لتظهر وجوههن «مائلات» أي: إلى الرجال أو معناه متبخترات في مشيهن «رؤوسهن كأسنمة البخت» يعني يعظمن رؤوسهن بالخمر والقلنسوة حتى تشبه أسنمة البخت أو معناه ينظرن إلى الرجال برفع رؤوسهن «المائلة» لأن أعلى السنام يميل لكثرة شحمه «لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها ليوجد مسيرة أربعين عاماً» ﴿**وأقمن الصلاة**﴾ التي هي أصل الطاعات البدنية ﴿**وآتين الزكاة**﴾ التي هي أشرف العبادات المالية أي: إن كان لكن مال كما في «تفسير أبي الليث» ﴿**وأطعن الله ورسوله**﴾ في سائر الأوامر والنواهي. وقال بعضهن: أطعن الله في الفرائض ورسوله في السنن ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس**﴾ الرجس الشيء القذر أي: الذنب المدنس لعرضكم وعرض الرجل جانبه الذي يصونه وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل: ﴿**أهل البيت**﴾ أي: يا أهل البيت والمراد به من حواه بيت النبوة رجالاً ونساء قال الراغب: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد وضيعة فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم تجوّز به فقيل: أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب وتعورف في أسرة النبي عليه السلام مطلقاً إذا قيل أهل البيت يعني أهل البيت متعارف في آل النبي عليه السلام من بني هاشم ونبه عليه السلام بقوله: «سلمان منا أهل البيت» على أن مولى القوم يصح نسبته إليهم. والبيت في الأصل مأوى الإنسان بالليل ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه وجمعه أبيات وبيوت لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومدر وصوف ووبر وبه شبه بيت الشعر وعبر عن مكان الشيء بأنه بيته الكل في«المفردات». ﴿**ويطهركم**﴾ من أدناس المعاصي ﴿**تطهيراً**﴾ بليغاً واستعارة الرجس

للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي عليه السلام من أهل بيته قاضية ببطلان مذهب الشيعة في تخصيصهم أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيه أي: الحسن والحسين رضي الله عنهم وأما ما تمسكوا به من أن النبي عليه السلام خرج ذات يوم غدوة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، يعني: [بروى ميزر معلم بود از موى سياه] فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فإنه يدل على كونهم من أهل البيت لا أن من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص. قال الكاشفي: [وازين جهت است كه آل عبا برپنج تن اطلاق ميكنند]:

آل العبــاء رسول الله وابنته والمرتضى ثم سبطاه إذا اجتمعوا

قال في «كشف الأسرار»: [رجس در افعال خبيثه است واخلاق دنيه افعال خبيثه فواحش است ما ظهر منها وما بطن وأخلاق دنيه هوا وبدعت وبخل وحرص وقطع رحم وامتثال آن رب العالمين ايشانرا بجاى بدعت سنت نهاد وبجاى بخل سخاوت وبجاى حرص قناعت وبجاى قطع رحم وصلت وشفقت آنكه كفت ﴿ويطهركم تطهيرا﴾ وشمارا پاك ميدارد ازآنكه بخود معجب باشيد يا خودرا بر الله دلالى دانيد يا بطاعات واعمال اخود نظري كنيد. پير طريقت كفت نظر دواست نظر انساني ونظر وحماني. نظر انساني آنست كه توبخودنكرى. ونظر رحماني آنست كه حق بتونكرد وتا نظر انسانى ازنهاد تورخت برنيارد نظر رحمانى بدلت نزول نكند أي مسكين چه نكرى توباين طاعت آلوده خويش وآنرا بدركاه بى نيازى چه وزن نهى خبر ندارى كه اعمال همه صديقان زمين وطاعات همه قدوسيان آسمان جمع كنى درميزان جلال ذي الجلال پرپيشه‌ نسنجند ليكن او جل جلاله بابى نيازى خود بنده را به بندكى مى پسند دوراه بندكى بوى مى نمايد] قال المولى الجامي:

كاهى كه تكيه بر عمل خود كنند خلق اورا مباد جز كرمت هيچ تكيه كاه

با او بفضل كاركن اى مفضل كريم كز عدل تو بفضل تو مى آورد پناه

وفي «التأويلات» ﴿وقرن في بيوتكن﴾ يخاطب به القلوب أن يقروا في وكناتهم من عالم الملكوت والأرواح متوجهين إلى الحضرة ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ لا تخرجوا إلى عالم الحواس راغبين في زينة الدنيا وشهواتها كما هو من عادات الجهلة ﴿وأقمن الصلاة﴾بدوام الحضور والمراقبة والعروج إلى الله بالسير فإن الصلاة معراج المؤمن بأن يرفع يديه من الدنيا ويكبر عليها ويقبل على الله بالإعراض عما سواه ويرجع عن مقام التكبر الإنساني إلى خضوع الركوع الحيواني ومنه إلى خشوع السجود النباتي ثم إلى القعود الجمادي فإنه بهذا الطريق أهبط إلى أسفل القالب فيكون رجوعه بهذا الطريق إلى أن يصل إلى مقام الشهود الذي كان فيه في البداية الروحانية ثم يتشهد بالتحية والثناء على الحضرة ثم يسلم عن يمينه على الآخرة وما فيها ويسلم عن شماله على الدنيا وما فيها مستغرق في بحر الألوهية بإقامة الصلاة وإدامتها ﴿وآتين الزكاة﴾ فالزكاة هي ما زاد على الوجود الحقيقي من الوجود المجازي فإيتاؤها صرفها وإفناؤها في الوجود الحقيقي بطريق ﴿وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ وهو لوث الحدوث ﴿أهل البيت﴾ بيت الوصول ومجلس الوحدة ويطهركم عن لوث الحدوث بشراب طهور تجلي صفات جماله وجلاله تطهيراً لا يكون بعده تلوث انتهى كما قالوا الفاني لا

يرد إلى أوصافه [پس اولياء كمل را خوف ظهور طبيعت نيست]:

تـابـنـده زخـود فـانـىء مـطـلـق نـشـود تـوحـيـد بـنـزد او مـحـقـق نـشـود
تـوحـيـد حـلـول نـيـسـت نـابـودن تـسـت ورنـه بـكـذاف آدمـى حـق نـشـود

حققنا الله وإياكم بحقائق التوحيد وأيدنا من عنده بأشد التأييد ومحا عنا نقوش وجوداتنا وطهرنا من أدناس أنانياتنا إنه الكريم الجواد الرؤوف بكل عبد من العباد.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

﴿واذكرن﴾ [وياد كنيد اى زنان پيغمبر] أي: للناس بطريق العظة والتذكير **﴿ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾** أي: من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلم والشرائع وقد سبق معنى الحكمة في سورة لقمان. وحمل قتادة الآيات على آيات القرآن والحكمة على الحديث الذي هو محض حكمة وهذا تذكير بما أنعم عليهن من كونهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع أنه الأنسب لكونها مهبط الوحي لعمومها جميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي ليعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعلماً وتعليماً.

قال في «الوسيط»: وهذا حث لهن على حفظ القرآن والأخبار ومذاكرتهن بها للإحاطة بحدود الشريعة والخطاب وإن اختص بهن فغيرهن داخل فيه لأن مبني الشريعة على هذين القرآن والسنة وبهما يوقف على حدود الله ومفترضاته انتهى.

ومن سنة القارىء أن يقرأ القرآن كل يوم وليلة كيلا ينساه ولا يخرج عن صدره فإن النسيان وهو أن لا يمكنه القراءة من المصحف من الكبائر. ومن السنة أن يجعل المؤمن لبيته حظاً من القرآن فيقرأ فيه منه ما تيسر له من حزبه ففي الحديث: «إن في بيوتات المسلمين لمصابيح إلى العرش يعرفها مقربوا ملائكة السموات السبع والأرضين السبع يقولون هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يتلى فيها القرآن» ومن السنة أن يستمع القرآن أحياناً من الغير. وكان عليه السلام يستمع قراءة أبيّ وابن مسعود رضي الله عنهما. وكان عمر رضي الله عنه يستمع قراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكان حسن الصوت واستماع القرآن في الصلاة فرض وفي خارجها مستحب عند الجمهور فعليك بالتذكير والتحفظ والاستماع.

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت چو باطلان زكلام حقت ملولى چيست

﴿إن الله كان لطيفاً﴾ بليغ اللطف والبر بخلقه كلهم **﴿خبيراً﴾** بليغ العلم بالأشياء كلها فيعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك أمر ونهى أو يعلم من يصلح لنبوته ومن يستأهل أن يكون من أهل بيته.

ـ روي ـ أنه تكلم رجل في زين العابدين رضي الله عنه وافترى عليه فقال زين العابدين: إن كنت كما قلت فاستغفر الله وإن لم أكن نستغفر الله لك فقام إليه الرجل وقبل رأسه وقال: جعلت فداءك لست كما قلت فاستغفر لي قال: غفر الله لك فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته. وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال لهم زين العابدين: مهلاً على الرجل ثم أقبل عليه وقال: بالله إلا ما سترت من أمرنا ألك حاجة نعينك

عليها فاستحيى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

قال بعض الكبار: القرابة طينية وهي ما كان من النسب ودينية وهي ما كان من مجانسة الأرواح في مقام المعرفة ومشابهة الأخلاق في مقام الطريقة ومناسبة الأعمال الصالحة في مقام الشريعة كما قال عليه السلام: «آل محمد كل تقي نقي» فأهل التقوى الحقيقية وهم العلماء بالله التابعون له عليه السلام في طريق الهدى من جملة أهل البيت وذوي القربى وأفضل الخلق عند الله وكذا السادات الصالحون لهم كرامة عظمى فرعايتهم راجعة إلى النبي عليه السلام.

ـ روي ـ أن علوية فقيرة مع بناتها نزلت مسجداً بسمرقند فخرجت لطلب القوت لبناتها فمرت على أمير البلد وذكرت أنها علوية وطلبت منه قوت الليلة فقال: ألك بينة على أنك علوية؟ فقالت: ما في البلد من يعرفني فأعرض عنها فمضت إلى مجوسي هو ضامن البلد فعرضت له حالها فأرسل المجوسي إلى بناتها وأكرم مثواهن فرأى أمير البلد في المنام كأن القيامة قد قامت وعند النبي عليه السلام لواء وإذا قصر من زمرد أخضر فقال: لمن هذا القصر يا رسول الله فقال عليه السلام: «لمؤمن موحد» فقال: أنا مسلم موحد قال عليه السلام: «ألك بينة على أنك مسلم موحد» فانتبه يبكي ويلطم وجهه وسأل عن العلوية وعرفها عند المجوسي وطلبها منه فأبى المجوسي فقال: خذ مني ألف دينار وسلمهن إليّ قال: لا يكون ذلك وقد أسلمنا على يد العلوية وقد أخبرنا النبي عليه السلام بأن القصر لنا.

ـ وروي ـ أنه كان ببغداد تاجر له بضاعة يسيرة فاتفق أنه صلى صلاة في جماعة فلما سلموا قام علوي وقال: إن لي بنية أريد تزويجها بحق جدي رسول الله ﷺ أعطوني ما أصلح به لها جهازها فأعطاه التاجر رأس ماله وكان خمسمائة درهم فلما كان الليل رأى التاجر رسول الله في المنام فقال له: يا فتى قد وصل إليّ ما أتحفتني فاقصد إلى مدينة بلخ فإن عبد الله بن طاهر بها فقل له إن محمداً يقرئك السلام ويقول: قد بعثت إليك ولياً له عندي يد فادفع إليه خمسمائة دينار فانتبه التاجر وأخبر بذلك امرأته فقالت: ومن يقوم بنفقتنا إلى أن ترجع من بلخ فقصد إلى خباز من جيرانه وقال: إن أعطيت أهلي كفايتهم مدة غيبتي أعطيتك إذا رجعت بدل كل درهم ديناراً فقال الخباز: إن الذي أمرك بالخروج إلى بلخ أوصاني بنفقة أهلك إلى رجوعك ففرح التاجر وخرج نحو بلخ فلما قرب استقبله عبد الله بن طاهر وقال: مرحباً برسول رسول الله إن الذي أرسلك إلي أوصاني بالإحسان إليك فأحسن ضيافته ثلاثة أيام ثم أعطاه خمسمائة دينار وفق أمره عليه السلام وأعطاه خمسمائة دينار لكونه رسول رسول الله وبعث معه جماعة أوصلوه إلى منزله، قال الشيخ سعدي:

زرونعمت اكنون بده كان تست ... كه بعد از توبيرون زفرمان تست
فرماندكانرا درون شاد كن ... زروز فروماندكى ياد كن
نه خواهندهٔ بردر ديكران ... بشكرانه خواهنده از درمران
جوانمردا كرراست خواهى وليست ... كرم پيشهٔ شاه مردان عليست
باحسانى آسوده كردن دلى ... به ازالف ركعت بهر منزلى
بقنطار زر بخش كردن زكنج ... نباشد چوقيراطى از دست رنج
برد هركسى بار درخورد زور ... كرانست پاى ملخ پيش مور

فإذا سمعت إلى هذا المقال فابسط يدك بالنوال إن كان لك مال وإلا فالعاقل الغيور يطير ويجود بهمته.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ . ـ روي ـ أنه لما نزل في نساء النبي عليه السلام الآيات المذكورة قالت نساء المؤمنين: فما نزل فينا ولو كان فينا خير لذكرنا فنزلت والمعنى: إن الداخلين في السلم بعد الحرب المنقادين لحكم الله من الذكور والإناث.

وفي «التأويلات النجمية»: المسلم هو المستسلم للأحكام الأزلية بالطوع والرغبة مسلماً نفسه إلى المجاهدة والمكابدة ومخالفة الهوى وقد سلم المسلمون من لسانه ويده **﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾** المصدقين بما يجب أن يصدق به من الفريقين.

وفي «التأويلات»: المؤمن من أمنه الناس وقد أحيى الله قلبه أولاً بالعقل ثم بالعلم ثم بالفهم عن الله تعالى ثم بنور الله تعالى ثم بالتوحيد ثم بالمعرفة ثم أحياه الله. قال في «بحر العلوم»: ومراد أصحابنا باتحاد الإيمان والإسلام أن الإسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول ما جاء به من عند الله والإذعان له وذلك حقيقة التصديق ولذلك لم يصح في الشرع أن يحكم على أحد بأنه مسلم وليس بمؤمن أو مؤمن وليس بمسلم فلا يمتاز أحدهما عن الآخر ولم يريدوا الاتحاد بحسب المفهوم لأن الإيمان هو تصديق الله فيما أخبر من أوامره ونواهيه ومواعيده والإسلام هو الخضوع والانقياد لألوهيته وهذا لا يحصل إلا بقبول الأمر والنهي والوعد والوعيد والإذعان لذلك فمن لم يقبل شيئاً من هذه الأربعة فقد كفر وليس بمسلم انتهى **﴿والقانتين والقانتات﴾** أي: المداومين على الطاعات القائمين بها.

وفي «التأويلات»: القنوت استغراق الوجود في الطاعة والعبودية **﴿والصادقين والصادقات﴾** في القول والعمل والنية.

وفي «التأويلات»: في عقودهم وعهودهم ورعاية حدودهم والصدق نور أهدى لقلوب الصديقين بحسب قربهم من ربهم **﴿والصابرين والصابرات﴾** على الطاعات وعن المعاصي.

وفي «التأويلات»: على الخصال الحميدة وعن الصفات الذميمة وعند جريان القضاء ونزول البلاء **﴿والخاشعين والخاشعات﴾** المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم.

وفي «التأويلات»: الخشوع إطراق السريرة عند توارد الحقيقة انتهى. قال بعضهم الخشوع انقياد الباطن للحق والخضوع انقياد الظاهر له. وفي «القاموس» الخشوع الخضوع أو هو في البدن والخشوع في الصوت **﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾** بما وجب في مالهم والمعطين للصدقات فرضاً أو نفلاً يقال تصدق على الفقراء إذا أعطاهم الصدقة وهي العطية التي بها تبتغي المثوبة من الله تعالى. وفي «المفردات» الصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به والزكاة للواجب وقيل يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبه الصدق في فعله.

وفي «التأويلات»: والمتصدقين والمتصدقات بأموالهم وأعراضهم حتى لا يكون لهم مع

أحد خصميه فيما ينال منهم، يعني: [بخشندكانند هم بمال وهم بنفس حق هيچ كس برخود نكذاشته وازراه خصومت باخلق برخاسته] وحقيقة الصدقة ما يكون بالأحوال على أرباب الطلب، قال الحافظ:

أي صاحب كرامت شكرانهٔ سلامت روزى تفقدى كن درويش بى نوارا

﴿والصائمين والصائمات﴾ الصوم المفروض أو مطلق الصوم فرضاً أو نفلاً.

وفي «التأويلات» الممسكين عما لا يجوز في الشريعة والطريقة بالقلب والقالب فيصوم القالب بالإمساك عن الشهوات ويصوم القلب بالإمساك عن رؤية الدرجات والقربات. وفي «المفردات» الصوم في الأصل الإمساك عن الفعل مطعماً كان أو كلاماً أو مشياً وفي الشرع إمساك المكلف بالنية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن تناول الأطيبين والاستمناء والاستقاءة ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ في الظاهر عن الحرام وفي الحقيقة عن تصرفات المكونات أي: والحافظاتها فحذف المفعول لدلالة المذكور عليه. وفي «المفردات» الفرج والفرجة الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوأة وكثر حتى صار كالصريح فيه ﴿والذاكرين الله﴾ ذكراً ﴿كثيراً والذاكرات﴾ أي: والذاكراته فترك المفعول كما في الحافظات أي: بقلوبهم وألسنتهم.

وفي «التأويلات النجمية»: بجميع أجزاء وجودهم الجسمانية والروحانية بل بجميع ذرات المكونات بل بالله وجميع صفاته. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أدبار الصلوات وغدواً وعشياً وفي المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا وراح من منزله ذكر الله انتهى. والاشتغال بالعلم النافع وتلاوة القرآن والدعاء من الذكر وفي الحديث: «من استيقظ من منامه وأيقظ امرأته فصليا جميعاً ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات». وعن مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً ﴿أعد الله لهم﴾ بسبب ما عملوا من الطاعات العشر المذكورة وجمعوا بينها وهو خبر إن والعطف بالواو بين الذكور والإناث كالمسلمين والمسلمات كالعطف بين الضدين لاختلاف الجنسين. وأما عطف الزوجين على الزوجين كعطف المؤمنين والمؤمنات على المسلمين والمسلمات فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع أي: عطفهما لتغاير الوصفين ﴿مغفرة﴾ لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات بما عملوا من الأعمال الصالحات.

وفي «التأويلات»: هي نور من أنوار جماله جعل مغفر الرأس روحهم يعصمهم مما يقطعهم عن الله ﴿وأجراً عظيماً﴾ على ما صدر عنهم من الطاعات وهو الجنة واليوم سهولة العبادة ودوام المعرفة وغداً تحقيق المسؤول ونيل ما فوق المأمول.

وفي «التأويلات» العظيم هو الله يعني أجراً من واهب ألطافه بتجلي ذاته وصفاته. وعن عطاء بن أبي رباح: من فوّض أمره إلى الله فهو داخل في قوله: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ ومن أقرّ بأن الله ربه ومحمداً عليه السلام رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله: ﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾ ومن أطاع الله في الفرائض والرسول في السنة فهو داخل في قوله: ﴿والقانتين والقانتات﴾ ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله: ﴿والصادقين والصادقات﴾ ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله: ﴿والصابرين والصابرات﴾ ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله:

﴿**والخاشعين والخاشعات**﴾. قال في «بحر العلوم»: بني الأمر في هذا على الأشد وليس هذا بمرضي عنه انتهى. يقول الفقير: بل بني على الأسهل فإنه أراد ترك الالتفات يميناً وشمالاً وهو أسهل بالنسبة إلى الاستغراق في الشهود. ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله: ﴿**والمتصدقين والمتصدقات**﴾ ومن صام من كل شهر أيام البيض فهو داخل في قوله: ﴿**والصائمين والصائمات**﴾ ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله: ﴿**والحافظين فروجهم والحافظات**﴾ ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله: ﴿**والذاكرين الله كثيراً والذاكرات**﴾. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ أي: العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذكرات» قالوا: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى تكسر أو تخضب دماً لكان ذاكر الله كثيراً أفضل منه درجة» وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان كعثمان فقال: «سيروا هذا جمدان سبق المفرّدون» قالوا: ومن مفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» أي: كثيراً والمفردون نقله البعض بكسر الراء وتشديدها والبعض الآخر بتخفيفها وإنما لم يقولوا من المفردون لأن مقصودهم من النبي عليه السلام كان أن يبين لهم ما المراد من الأفراد والتفريد لا بيان من يقوم به الفعل فبينه عليه السلام بقوله: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» يعني المراد من الأفراد هنا أن يجعل الرجل بأن لا يذكر معه غيره والمراد من كثرة ذكره أن لا ينساه على كل حال لا الذكر بكثرة اللغات. قال ابن ملك: وفي ذكره عليه السلام هذا الكلام عقيب قوله: «هذا جمدان» لطيفة وهي أن جمدان كان منفرداً ولم يكن مثله فكذا هؤلاء السادات منفردون ثابتون على السعادات. يقول الفقير: أشار عليه السلام بجمدان إلى جبل الوجود والسير فيه وقطع طريقه بتفريد التوحيد وهو تقطيع الموحد عن الأنفس كما أن تجريد التوحيد تقطيعه عن الآفاق جعلنا الله وإياكم من السائرين الطائرين لا من الواقفين الحائرين.

سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند سالكاً بي كشش دوست بجايى نرسند

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة**﴾. ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ خطب زينب بنت جحش بن رباب الأسدي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب لمولاه زيد بن حارثة وكانت زينب بيضاء جميلة وزيد أسود أفطس فأبت وقالت: أنا بنت عمتك يا رسول الله وأرفع قريش فلا أرضاه لنفسي وكذلك أبى أخوها عبد الله بن جحش فنزلت. والمعنى ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين فدخل فيه عبد الله وأخته زينب ﴿**إذا قضى الله ورسوله أمراً**﴾ مثل نكاح زينب أي: قضى رسول الله وحكم وذكر الله لتعظيم أمره والإشعار بأن قضاءه عليه السلام قضاء الله كما أن طاعته طاعة الله تعالى. ﴿**أن يكون لهم الخيرة**﴾ الخيرة بالكسر اسم من الاختيار أي: أن يختاروا ﴿**من أمرهم**﴾ ما شاؤوا بل يجب عليهم أن يجعلوا أراءهم واختيارهم تبعاً لرأيه عليه السلام واختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي. وقال بعضهم: الضمير الثاني للرسول أي: من أمره والجمع للتعظيم ﴿**ومن**﴾ [وهركه] ﴿**يعص الله**

ورسوله﴾ في أمر من الأمور ويعمل برأيه. وفي «كشف الأسرار» ومن يعص الله فخالف الكتاب ورسوله فخالف السنة ﴿فقد ضل﴾ طريق الحق وعدل عن الصراط المستقيم ﴿ضلالاً مبيناً﴾ أي: بين الانحراف عن سنن الصواب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن العبد ينبغي أن لا يكون له اختيار بغير ما اختاره الله بل تكون خيرته فيما اختاره الله له ولا يعترض على أحكامه الأزلية عند ظهورها له بل له الاحتراز عن شرّ ما قضى الله قبل وقوعه فإذا وقع الأمر فلا يخلو إما أن يكون موافقاً للشرع أو يكون مخالفاً للشرع فإن يكن موافقاً للشرع فلا يخلو إما أن يكون موافقاً لطبعه أو مخالفاً لطبعه فإن يكن موافقاً لطبعه فهو نعمة من الله يجب عليه شكرها وإن يكن مخالفاً لطبعه فيستقبله بالصبر والتسليم والرضى وإن يكن مخالفاً للشرع يجب عليه التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله تعالى من غير اعتراض على الله فيما قدّر وقضى وحكم به فإنه حكيم يفعل ما يشاء بحكمته ويحكم ما يريد بعزته انتهى. يقول الفقير: هذه الآية أصل في باب التسليم وترك الاختيار والاعتراض فإن الخير فيما اختاره الله واختاره رسوله واختاره ورثته الكمل والرسول حق في مرتبة الفرق كما أن الوارث رسول للخلافة الكاملة فكل من الرسول والوارث لا ينطق عن الهوى لفنائه عن إرادته بل هو وحي يوحى وإلهام يلهم فيجب على المريد أن يستسلم لأمر الشيخ المرشد محبوباً أو مكروهاً ولا يتبع هوى نفسه ومقتضى طبيعته وقد قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فيمكن وجدان ماء الحياة في الظلمات ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فقد يجعل في السكر السم ومن عرف أن فعل الحبيب حبيب وأن المبلي ليس لبلائه سواه طبيب لم يتحرك يميناً وشمالاً ورضى جمالاً وجلالاً، قال الحافظ:

عاشقانرا كردرآتش مى نشاند قهر دوست تنك چشمم كرنظر درچشمه كوثر كنم

واعلم أن الفناء عن الإرادة أمر صعب وقد قيل المريد من لا إرادة له يعني لا إرادة له من جهة نفسه فله إرادة من جهة ربه فهو لا يريد إلا ما يريد الله ولصعوبة إفناء الإرادة في إرادة الله وإرادة رسوله وإرادة وارث رسوله بقي أكثر السلاك في حجاب الوجود وغابوا عن الشهود وحرموا من بركة المتابعة ونماء المشايعة.

قال بعض الكبار: القهر عذاب ومن أراد أن يزول عنه حكم هذا القهر فليصحب الحق تعالى بلا غرض ولا شوق بل ينظر في كل ما وقع في العالم وفي نفسه فيجعله كالمراد له فيلتذ به ويتلقاه بالقبول والبشر والرضى فلا يزال من هذه حالته مقيماً في النعيم الدائم لا يتصف بالقهر ولا بالذلة وصاحب هذا المقام يحصل له اللذة بكل واقع منه أو فيه أو من غيره أو في غيره نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل التسليم وأرباب القلب السليم ويحفظنا من الوقوع في الاعتراض والعناد لما حكم وقضى وأراد.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وإذ تقول﴾. ـ روي ـ إنه لما نزلت الآية المتقدمة قالت زينب وأخوها عبد الله رضينا يا

رسول الله أي: بنكاح زيد فأنكحها عليه السلام إياه وساق إليها مهرها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر وبقيت بالنكاح معه مدة فجاء النبي عليه السلام يوماً إلى بيت زيد لحاجة فأبصر زينب فأعجبه حسنها فوقع في قلبه محبتها بلا اختيار منه والعبد غير ملوم على مثله ما لم يقصد المأثم ونظرة المفاجأة التي هي النظرة الأولى مباحة فقال عليه السلام عند ذلك: «سبحان الله يا مقلب القلوب ثبت قلبي» وانصرف وذلك أن نفسه كانت تمتنع عنها قبل ذلك لا يريدها ولو أرادها لخطبها وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها لزيد بعد مجيئه وكان غائباً ففطن، يعني: [بدانست كه چيزى دردل رسول افتاد وبآنكه درحكم ازلى زينب زن رسول باشد الله تعالى محبت زينب دردل رسول افكند ونفرت وكراهت دردل زيد] فأتى رسول الله تلك الساعة فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال: «ما لك أرأيت منها شيئاً» قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذيني بلسانها فمنعه عليه السلام من الفرقة وذلك قوله تعالى: ﴿**وإذ تقول**﴾ أي: واذكر وقت قولك يا محمد ﴿**للذي أنعم الله عليه**﴾ بالتوفيق للإسلام الذي هو أجل النعم وللخدمة والصحبة.

وفي «التأويلات النجمية»: بأن أوقعه في معرض هذه الفتنة العظيمة والبلية الجسيمة وقواه على احتمالها وأعانه على التسليم والرضى فيما يجري الله عليه وفيما يحكم به عليه من مفارقة الزوجة وتسليمها إلى رسول الله وبأن ذكر اسمه في القرآن من بين الصحابة وأفرد به ﴿**وأنعمت عليه**﴾ بحسن التربية والاعتقاق والتبني.

وفي «التأويلات»: بقبول زينب بعد أن أنعمت عليه بإيثارها عليه بقولك: أمسك الخ وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه مولاه عليه السلام وهو أول من أسلم من الموالي وكان عليه السلام يحبه ويحب ابنه أسامة شهد بدراً والخندق والحديبية واستخلفه النبي عليه السلام على المدينة حين خرج إلى بني المصطلق وخرج أميراً في سبع سرايا وقتل يوم مؤتة بضم الميم وبالهمزة ساكنة موضع معروف عند الكرك وقد سبق في ترجمته عند قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥] في أوائل هذه السورة. قال في «الإرشاد»: وإيراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر منه عليه السلام على زيد لا ينافي استحياءه منه في بعض الأمور خصوصاً إذا قارن تعيير الناس ونحوه كما سيجيء ﴿**أمسك عليك زوجك**﴾ [نكاه دار براى خود زن خودرا يعنى زينب] وإمساك الشيء التعلق به وحفظه ﴿**واتق الله**﴾ في أمرها ولا تطلقها ضراراً، يعني: [ازوى ضرر طلاقش مده] او تعللاً بتكبرها ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾ الموصول مفعول تخفي والإبداء الإظهار. يعنيك [ونكاه داشتى چيزى دردل كه الله آثرا پيدا خواست كر] وهو علم بأن زيداً سيطلقها وسينكحها يعني إنك تعلم بما أعلمتك أنها ستكون زوجتك وأنت تخفي في نفسك هذا المعنى والله يريد أن ينجز لك وعده ويبدي أنها زوجتك بقوله: ﴿**زوجناكها**﴾ وكان من علامات أنها زوجته إلقاء محبتها في قلبه وذلك بتحبيب الله تعالى لا بمحبته بطبعه وذلك ممدوح جداً ومنه قوله عليه السلام: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» وإنه لم يقل أحببت ودواعي الأنبياء والأولياء من قبيل الاذن الإلهي إذ ليس للشيطان عليهم سبيل. قال في «الأسئلة المقحمة»: قد أوحى إليه أن زيداً يطلقها وأنت تزوج بها فأخفى عن زيد سر ما أوحى إليه لأن ذلك السر يتعلق بالمشيئة والإرادة

ولا يجب على الرسل الاخبار عن المشيئة والإرادة وإنما يجب عليهم الاخبار والإعلام عن الأوامر والنواهي لا عن المشيئة كما أنه كان يقول لأبي لهب آمن بالله وقد علم أن الله أراد أن لا يؤمن أبو لهب كما قال تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد: ٣] لأن ذلك الذي يتعلق بعذاب أبي لهب إنما هو من المشيئة والإرادة فلا يجب على النبي إظهاره ولا الإخبار عنه ﴿وتخشى الناس﴾ تخاف لومهم وتعييرهم إياك به، يعني: [مى ترسى از سرزنش مردم كه كويند زن پسررا بخواست].

وفي «التأويلات النجمية»: أي: تخشى عليهم أن يقعوا في الفتنة بأن يخطر ببالهم نوع إنكار أو اعتراض عليه أو شك في نبوته بأن النبي من تنزه عن مثل هذا الميل وتتبع الهوى فيخرجهم من الإيمان إلى الكفر فكانت تلك الخشية إشفاقاً منه عليهم ورحمة بهم أنهم لا يطيقون سماع هذه الحالة ولا يقدرون على تحملها ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ وإن كان فيه ما يخشى. قال الكاشفي: [مقرراست كه حضرت رسالت عليه السلام ترسكار ترين خلق بوده زيرا كه خوف وخشيت نتيجه علمست ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] پس بحكم «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم» ازهمه عالميان أخشى بود ودر حديث آمده «الخوف رفيقي»]:

خوف وخشيت نتيجۀ علمست هركرا علم بيش خشيت بيش
هركرا خوف شد رفيق رهش باشد از جمله رهروان درپيش

وفي «كشف الأسرار»: إنما عوتب عليه السلام على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له قالت عائشة رضي الله عنها: لو كتم النبي عليه السلام شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية ﴿إذ تقول﴾ الخ وما نزل على رسول الله آية هي أشد عليه من هذه الآية.

وفي «التأويلات» يشير إلى أن رعاية جانب الحق أحق من رعاية جانب الخلق لأن الله تعالى في إبداء هذا الأمر وإجراء هذا القضاء حكماً كثيرة فأقصى ما يكون في رعاية جانب الخلق أن لا يضل به بعض الضعفاء فلعل الحكمة في إجراء هذه الحكم فتنة لبعض الناس المستحقين الضلالة والإنكار ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة وهذا كما قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] فالواجب على النبيّ إذا عرض له أمران في أحدهما رعاية جانب الحق وفي الآخر رعاية جانب الخلق أن يختار رعاية جانب الحق على الخلق فإن للحق تعالى في إجراء حكم من أحكامه وأصفاء أمر من أوامره حكماً كثيرة كما قال تعالى في إجراء تزويج النبي عليه السلام بزينب قوله: ﴿لكي لا يكون على المؤمنين﴾ ﴿فلما قضى زيد منها﴾ أي: من زوجه وهي زينب ﴿وطراً﴾. قال في «القاموس»: الوطر محركة الحاجة أو حاجة لك فيها همّ وعناية فإذا بلغتها فقد قضيت وطرك. وفي «الوسيط» معنى قضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء يقال قضى منها وطراً وإذا بلغ ما أراد من حاجة فيها ثم صار عبارة عن الطلاق لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها.

وفي «التأويلات» أما وطر زيد منها في الصورة استيفاء حظه منها بالنكاح ووطره منها في المعنى شهرته بين الخلق إلى قيام الساعة بأن الله تعالى ذكره في القرآن باسمه دون جميع

الصحابة وبأنه آثر النبي عليه السلام على نفسه بإيثار زينب. وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف طلق زيد زوجته بعد أن أمر الله ورسوله بإمساكه إياها والجواب ما هذا للوجوب واللزوم وإنما هو أمر للاستحباب. ﴿زوجناكها﴾ هلال ذي القعدة سنة أربع من الهجرة على الصحيح وهي بنت خمس وثلاثين سنة والمراد الأمر بتزوجها أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده ما روى أنس رضي الله عنه أنها كانت تفخر على سائر أزواج النبي عليه السلام وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات، يعني: [سيد عالم از نزول آيت بخانه زينب آمد بى دستورى وزينب كفت يا رسول الله بى خطبه وبى كواه حضرت فرموده كه] «الله المزوج وجبريل الشاهد» وهو من خصائصه عليه السلام وأجاز الإمام محمد انعقاد النكاح بغير شهود خلافاً لهما قاس الإمام محمد ذلك بالبيع فإن النكاح بيع البضع والثمن المهر فكما أن نفس العقد في البيع لا يحتاج إلى الشهود فكذا في باب النكاح ونظر الإمامان إلى المآل فإنه إذا لم يكن عند الشهود بدون الإعلان فقد يحمل على الزنى فالنبي عليه السلام شرط ذلك حفظاً عن الفسخ وصوناً للمؤمنين عن شبهة الزنى.

وروي أنها لما اعتدت قال رسول الله لزيد: «ما أجد أحداً أوثق من نفسي منك اخطب لي زينب».

قال زيد: فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها فقلت: يا زينب أبشري فإن رسول الله يخطبك ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن ﴿زوجناكها﴾ فزوجها رسول الله ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار وجعل زيد سفيراً في خطبتها ابتلاء عظيم له وشاهد بين على قوة إيمانه ورسوخه فيه.

اعتقاد من چوبيخ سرو دارد محكمى بيش باشد ازهواى عشق وسودانه كمى

﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج﴾ أي: ضيق ومشقة. قال في «المفردات»: أصل الحرج مجتمع الشجر وتصور منه ضيق بينها فقيل للضيق حرج وللإثم حرج واللام في لكي هي لام كي دخلت على كي للتوكيد. وقال بعضهم: اللام جارة لتعليل التزويج وكي حرف مصدري كأن ﴿في أزواج أدعيائهم﴾ في حق تزوج زوجات الذين دعوهم أبناء والأدعياء: جمع دعيّ وهو الذي يدعي ابناً من غير ولادة. ﴿إذا قضوا منهن وطراً﴾ أي: إذا لم يبق لهم فيهن حاجة وطلقوهن وانقضت عدتهن فإن لهم في رسول الله إسوة حسنة. وفيه دليل على أن حكمه عليه السلام وحكم الأمة سواء إلا ما خصه الدليل. قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتبني كحرمة الابن فبين الله أن حلائل الادعياء غير محرمة على المتبني وإن أصابوهن أي: وطئوهن بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم بنفس العقد ﴿وكان أمر الله﴾ أي: ما يريد تكوينه من الأمور ﴿مفعولاً﴾ مكوّناً لا محالة لا يمكن دفعه ولو كان نبياً كما كان تزويج زينب وكانت كالعارية عند زيد.

ولذا قال حضرة الشيخ افتاده افندي قدس سره: في اعتقادنا أن زينب بكر كعائشة رضي الله عنها لأن زيداً كان يعرف أنها حق النبي عليه السلام فلم يمسها وذلك مثل آسية وزليخا ولكن عرفان عائشة لا يوصف ويكفينا أن ميله عليه السلام إليها كان أكثر من غيرها ولم تلد أيضاً لأنها فوق جميع التعينات وكان عائشة رضي الله عنها تقول في حق زينب: هي التي كانت

تساويني في المنزلة عند رسول الله ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين وأتقى لله وأصدق في حديث وأوصل للرحم وأعظم صدقة من زينب [وازپس درويش نواز ومهماندار وبخشنده بود اورا أم المساكين ميكفتند واول زنى كه بعد ازرسول خدا ازدنيا بيرون شد زينب بود] ماتت بالمدينة سنة عشرين وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت بالبقيع ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وأبدل الله منها لزيد جارية في الجنة كما قال عليه السلام: «استقبلتني جارية لعساء وقد أعجبتني فقلت لها يا جارية أنت لمن؟ قالت: لزيد بن حارثة» قوله: استقبلتني أي: خرجت من الجنة واستقبلته عليه السلام بعد مجاوزة السماء السابعة ليلة المعراج. واللعس لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً وذلك مستملح قاله في «الصحاح». وأبدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن وهي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٥] وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة فصار اسمه يتلى في المحاريب، وزاد في الآية أن قال: وإذ تقول للذي أنعم الله عليه أي: بالإيمان فدل على أنه من أهل الجنة علم بذلك قبل أن يموت وهذه فضيلة أخرى. ثم إن هذا الإيثار الذي نقل عن زيد إنما يتحقق به السالك القوي الاعتقاد الثابت في طريق الرشاد فانظر إلى حال الأصحاب يفتح الله لك الحجاب.

ـ روي ـ أنه عليه السلام آخى بعد الهجرة بين عبد الرحمٰن بن عوف من المهاجرين وبين سعد بن الربيع من الأنصار وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمٰن: يا عبد الرحمٰن إني من أكثر الأنصار مالاً فأنا مقاسمك وعندي امرأتان فأنا مطلق إحداهما فإذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك كما في «إنسان العيون» ثم دار الزمان فصار كل أمر معكوساً فرحم الله امرأ نصب نفسه لرفع البدع والهوى وجانب جر الذيل إلى جانب الردى.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾.

﴿ما كان على النبي من حرج﴾ أي: ما صح وما استقام في الحكمة أن يكون عليه ضيق فمن زائدة بعد النفي وحرج اسم كان الناقصة **﴿فيما فرض الله له﴾** أي: قسم الله له وقدر كتزوج زينب من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لأرزاقهم. **﴿سنة الله﴾** اسم موضوع موضع المصدر مؤكد لما قبله من نفي الحرج أي: سن الله نفي الحرج سنة أي: جعله طريقة مسلوكة **﴿في الذين خلوا﴾** مضوا. قال في «المفردات»: الخلو يستعمل في الزمان والمكان لكن لما تصور في الزمان المضي فسر أهل اللغة قولهم خلا الزمان بقولهم مضى وذهب انتهى.

يقول الفقير: الخلو في الحقيقة حال الزمان والمكان لأن المراد خلوهما عما فيهما بموت ما فيهما فافهم **﴿من قبل﴾** من الأنبياء حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولابنه سليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية فلك التوسعة في أمر النكاح مثل الأنبياء الماضين **﴿وكان أمر الله﴾** [وهست كار خدا]

﴿قدراً مقدوراً﴾ قضاء مقضياً وحكماً مبتوتاً. قال في «المفردات»: القدر إشارة إلى ما بين به القضاء والكتابة في اللوح المحفوظ وهو المشار إليه بقوله: «فرع ربك من الخلق» والخلق والأجل والرزق والمقدور إشارة إلى ما يحدث حالاً فحالاً وهو المشار إليه بقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] وفيه إشارة إلى أن الله تعالى إذا قضى أمر نبي أو ولي لم يجعل عليه في ذلك من حرج ولا سبب نقصان وإن كان في الظاهر سبب نقصان ما عند الخلق والذي يجري على الأنبياء والأولياء قضاء مبرم مبني على حكم كثيرة ليس فيه خطأ ولا غلط ولا عبث.

پير ما كفت خطا برقلم صنع ترفت آفرين برنظر پاك خطا پوشش باد

﴿الذين يبلغون رسالات الله﴾ مجرور المحل على أنه صفة للذين خلوا. ومعناه بالفارسية [آنانكه ميرسانيدند پيغامهاى خدارا بامتان خود] والمراد ما يتعلق بالرسالة وهي سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خلقه أي: إيصال الخبر من الله إلى العبد ﴿ويخشونه﴾ في كل ما يأتون ويذرون لا سيما في أمر تبليغ الرسالة حيث لا يقطعون منها حرفاً ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ﴿ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ وفي وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعريض بما صدر عنه عليه السلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله: ﴿وتخشى الناس﴾ الآية. قال بعض الكبار: خشية الأنبياء من العقاب وخشية الأولياء من الحجاب وخشية عموم الخلق من العذاب. وفي «الأسئلة المقحمة» كيف قال ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ومعلوم أنهم خافوا غير الله وقد خاف موسى عليه السلام حين قال له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨] وكذلك قال يعقوب عليه السلام: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣] وكذلك خاف نبينا عليه السلام حين قيل له: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وكذلك أخبر الكتاب عن جماعة من الأنبياء أنهم خافوا أشياء غير الله والجواب أن معنى الآية لا يعتقدون أن شيئاً من المخلوقات يستقل بإضرارهم ويستبد بإيذائهم دون إرادة الله ومشيئته لما يعلمون أن الأمور كلها بقضاء الله وقدره فأراد بالخوف خوف العقيدة والعلم واليقين لا خوف البشرية الذي هو من الطباع الخلقية وخواص البشرية ونتائج الحيوانية ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ محاسباً لعباده على أعمالهم فينبغي أن يحاسب العبد نفسه قبل محاسبة الله إياه ولا يخاف غير الله لا في أمر النكاح ولا في غيره إذا علم أن رضى الله وحكمه فيه.

واعلم أن السواك والتعطر والنكاح ونحوها من سنن الأنبياء عليهم السلام وليس لنا عبادة شرعت من عهد آدم إلى الآن ثم تستمر تلك العبادة في الجنة إلا الإيمان والنكاح. قال بعض الكبار: من كان أتقى كانت شهوته أشد وذلك أن حرارة الشهوة الحقيقية إنما هي بعد نار العشق التي بعد نور المحبة فانظر كم من فرق بين شهوة أهل الحجاب وشهوة أهل الشهود فعروق أهل الغفلة ممتلئة بالدم وعروق أهل اليقضة ممتلئة بالنور ولا شك أن قوّة النور فوق قوة الدم فنسأل الله الهدى لا الحركة بالهوى.

ـ حكي ـ عن بعض الكبار أنه قال: كنت في مجلس بعض العارفين فتكلم إلى أن قال: لا مخلص لأحد من الهوى ولو كان فلاناً عنى به النبي عليه السلام حيث قال: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» فقلت له: أما تستحي من الله تعالى فإنه عليه السلام ما قال أحببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ما كان من عند الله بلا اختيار منه قال ثم حصل لي غم وهمّ فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال: لا تغتم فقد كفينا أمره

ثم سمعت أنه قتل في طريق ضيعة له. قال بعض الكبار:

من أراد فهم المعاني الغامضة في الشريعة فليتعمل في تكثير النوافل في الفرائض وإن أمكنه أن يكثر من نوافل النكاح فهو أولى إذ هو أعظم نوافل الخيرات فائدة لما فيه من الازدواج والإنتاج فيجمع بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شيء من العلم بالعالم الصادر عن الاسم الظاهر والباطن فيكون اشتغاله بمثل هذه النافلة أتم وأقرب لتحصيل ما يرونه فإنه إذا فعل ذلك أحبه الحق وإذا أحبه صار من أهل الله كأهل القرآن وإذا صار من أهل القرآن كان محلاً للقائه وعرشاً لاستوائه وسماء لنزوله وكرسياً لأمره ونهيه فيظهر له منه ما لم يره فيه مع كونه كان فيه وقال: كنت من أبغض خلق الله للنساء وللجماع في أول دخولي في الطريق وبقيت على نحو ثماني عشرة سنة حتى خفت على نفسي المقت لمخالفة ما حبب لرسول الله ﷺ فلما أفهمني الله معنى حبب علمت أن المراد أن لا يحبهن طبعاً وإنما يحبهن بتحبيب الله فزالت تلك الكراهة عني وأنا الآن من أعظم خلق الله شفقة على النساء لأني في ذلك على بصيرة لا عن حب طبيعي انتهى.

ـ وروي ـ أن جماعة أتوا منزل زكريا عليه السلام فإذا فتاة جميلة قد أشرق لها البيت حسناً قالوا: من أنت؟ قالت: أنا امرأة زكريا فقالوا لزكريا: كنا نرى نبي الله لا يريد الدنيا وقد اتخذت امرأة جميلة فقال: إنما تزوجت امرأة جميلة لأكف بها بصري وأحفظ بها فرجي فالمرأة الصالحة المعينة ليست من الدنيا في الحقيقة، قال الشيخ سعدي قدس سره:

زن خوب وفرمان بروپارسا كند مرد درويش را پادشا
كراخانه آبادوهمخوابه دوست خدارابرحمت نظر سوى اوست
چو مستور باشد زن خوبروى بديدار او در بهشتست شوى

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿ما كان محمد﴾ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. والمختار أنه لا يشترط في الإسلام معرفة أب النبي عليه السلام واسم جده بل يكفي فيه معرفة اسمه الشريف كما في هداية المريدين للمولى أخي چلبي يقال فلان محمود إذا حمد ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة كما في «المفردات».

قال الشيخ زكريا في «شرح المقدمة الجزرية»: هو البليغ في كونه محموداً وهو الذي حمدت عقائده وأفعاله وأقواله وأخلاقه سماه به جده عبد المطلب بإلهام من الله في سابع ولادته فقيل له: لِمَ سميت محمداً وليس من أسماء آبائك ولا قومك فقال: رجوت أن يحمد في السماء والأرض وقد حقق الله رجاءه وتفاؤله فكان عليه السلام بخصاله المحبوبة وشمائله المرغوبة محموداً عند الله وعند الملائكة المقربين وعند الأنبياء والمرسلين وعند أهل الأرض أجمعين وإن كفر به بعضهم فإن ما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل. وله ألف اسم كما أن لله تعالى ألف اسم وجميع أسمائه مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح والكمال فله من كل وصف اسم ألا ترى أنه الماحي لأن الله محابه الكفر أي: سورته التي كانت قبل بعثه. والحاشر لأنه الذي يحشر الناس على قدمه أي: على أثره وبعده. والعاقب وهو الآتي

عقيب الأنبياء. وأشار بالميم إلى أنه الختام لأن مخرجها ختام المخارج وكذا إلى بعثته عند الأربعين. قال الإمام النيسابوري كان من الاسم الشريف أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى كما أن محمد رسول الله اثنا عشر حرفاً مثل لا إله إلا الله وهو من أسرار المناسبة وكذا لفظ أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب لكمال مناسبتهم في أخلاقهم لتلك الحضرة المحمدية ولهذه المناسبة يلتقي نسبهم بنسبه. فعليّ يلتقي نسبه في الأب الثاني. وعثمان في الخامس. وأبو بكر في السابع. وعمر في التاسع. ومحمد باعتبار البسط لا بحساب أبجد ثلاثمائة وثلاثة عشر مثل عدد المرسلين فإنك إذا أخذت في بسط الميمين والميم المدغم «م ي م، حا، دال يظهر لك العدد المذكور، قال المولى الجامي:

محمدت چون بلا نهايه زحق ... يافت شد نام او ازان مشتق
مى نمايد بچشم عقل سليم ... حرف حايش عيان ميان دوميم
چون رخ حوركز كنارهٔ او ... كشته پيدا دو كوشواره او
ياد وحلقه ز عنبرين مويش ... آشكار از جانب رويش
دال آن كز همه فرودنشست ... دل بنازش كرفته برسر دست

وفي الحديث: «من ولد له مولود فسماه محمداً حباً لي وتبركاً باسمي كان هو ومولوده في الجنة» «ومن كان له ذو بطن فأجمع أن يسميه محمداً رزقه الله غلاماً». ومن كان لا يعيش له ولد فجعل لله عليه أن يسمي الولد المرزوق محمداً عاش» ومن خصائصه البركة في الطعام الذي عليه مسمى باسم محمد وكذا المشاورة ونحوها وينبغي أن يعظم هذا الاسم وصاحبه. [در مجمع اللطائف آورده كه اياز خاص پسرى داشت محمد نام واورا ملازم سلطان محمود ساخته بود روزى سلطان متوجّه طهارت خانه شده فرمودكه پسر ايازرا بكوييد تا آب طهارت بيارد اياز اين سخن شنوده در تأمل افتادكه ايا پسر من چه كناه كرده كه سلطان نام او برزبان نمى راند سلطان وضو ساته بيرون آمد ودر اياز نكريست اورا انديشه مند ديد پرسيدكه سبب اثر ملال كه برجبين تومى بينم چيست اياز از روى نياز بموقف عرض رسانيدكه بنده زاده را بنام نخواند برترسيدم كه مبادا ترك ادبى از صادر شده باشد وموجب انحراف مزاج همايون كشته سلطان تبسمى فرمود وكفت اى اياز دل جمع داركه از وصورتى كه مكروه طبع من باشد صدور نيافته بلكه وضو نداشتم واو محمد نام داشت مراشرم آمد لفظ محمد برزبان من كذرد وقتى كه بى وضو باشم چه اين لفظ نشانهء حضرت سيد انام است:

هزار بار بشويم دهن بمشك وكلاب ... هنوز نام توبردن ادب نمى دانم]

وكان رجل في بني إسرائيل عصى الله مائة سنة ثم مات فأخذوه فألقوه في مزبلة فأوحى الله تعالى إلى موسى أن أخرجه وصل عليه قال: يا رب إن بني إسرائيل شهدوا أنه عصاك مائة سنة فأوحى الله إليه أنه هكذا إلا أنه كان كلما نشر التوراة ونظر إلى اسم محمد قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء.

قال أهل التفسير لما نكح النبي عليه السلام زينب بعد انقضاء عدتها استطال لسان المنافقين وقالوا: كيف نكح زوجة ابنه لنفسه وكان من حكم العرب أن من تبنى ولداً كان ولده من صلبه في التوريث وحرمة نكاح امرأته على الأب المتبني وأراد الله أن يغير هذا الحكم فأنزل ﴿**ما كان محمد أبا أحد**﴾ [پدرهيچ كس] ﴿**من رجالكم**﴾ [از مردان شما] على الحقيقة يعني

بالنسب والولادة حتى يثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه أباً للطاهر والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا الرجال لأن الرجل هو الذكر البالغ، يعني: [ايشان بمبلغ رجال نرسيدند اورا في الحقيقة بسر صلبى نيست كه ميان وى وآن بسر حرمت مصاهرت باشد] ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم وكذا الحسن والحسين رضي الله عنهما لأنهما ابنا النبي عليه السلام بشهادة لفظه عليه السلام على أنهما أيضاً لم يكونا رجلين حينئذٍ بل طفلين أو المقصود ولده خاصة لا ولد ولده. قال في «الأسئلة المقحمة»: كان الله عالماً في الأزل بأن لا يكون لذكور أولاد رسوله نسل ولا عقب وإنما يكون نسبه لإناث أولاده دون ذكرانهم فقال: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ فعلى هذا كان الخبر من قبيل معجزاته على صدقه فإن المخبر عنه قد حصل كما أخبر وقد صدق الخبر انتهى وأبناء النبي عليه السلام على الصحيح ثلاثة: القاسم وبه يكنى إذ هو أول أولاده عاش سنتين ومات قبل البعثة بمكة، وعبد الله وهو الطيب الطاهر مات في الرضاع بعد البعثة ودفن بمكة وهما من خديجة رضي الله عنها، وإبراهيم من مارية القبطية ولد في ذي الحجة في ثمان من الهجرة عق عنه عليه السلام بكبشين يوم سابع ولاده وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن في الأرض ومات في الرضاع وهو ابن ثمانية عشرة شهراً ودفن بالبقيع وجلس عليه السلام على شفير القبر ورش على قبره ماء وعلم على قبره بعلامة ولقنه وقال: «يا بني قل الله ربي ورسول الله أبي والإسلام ديني» ومن هٰهنا ذهب بعضهم إلى أن الأطفال يسألون في القبر وأن العقل يكمل لهم فيسن تلقينهم وذهب جمع إلى أنهم لا يسألون وإن السؤال خاص بالمكلف. قال السيوطي: لم يثبت في التلقين حديث صحيح ولا حسن بل حديثه ضعيف باتفاق جمهور المحدثين ولهذا ذهب جمهور الأمة إلا أن التلقين بدعة حسنة وآخر من أفتى بذلك عز الدين بن عبد السلام وإنما استحبه ابن الصلاح وتبعه النووي نظراً إلى أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال وحينئذٍ فقول الإمام السبكي حديث التلقين أي: تلقين النبي عليه السلام لابنه ليس له أصل أي: أصل صحيح أو حسن كذا في «إنسان العيون» وبقية الكلام في السؤال والتلقين سبق في سورة ابراهيم عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية ﴿ولكن رسول الله﴾ الرسول والمرسل بمعنى واحد من أرسلت فلاناً في رسالة فهو مرسل ورسول. قال القهستاني الرسول فعول مبالغة مفعل بضم الميم وفتح العين بمعنى ذي رسالة اسم من الإرسال وفعول هذا لم يأت إلا نادراً وعرفاً هو من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان وهذا الفرق هو المعول عليه انتهى.

والمعنى ولكن كان رسول الله وكل رسول الله أبو أمته لكن لا حقيقة بل بمعنى أنه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الأبدية واجب التوقير والطاعة له ولذا حرمت أزواجه عليه السلام على أمته حرمة أمهاتهم فإنه من باب التعظيم وما زيد بن حارثة إلا واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم وبينه عليه السلام فحكم حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص. قال بعضهم: لم يسمه لنا أباً لأنه لو سماه أبا لكان يحرم نكاح أولاده كما حرمت على الأمة نساؤه لكونهن أمهاتها أو لأنه لو سماه أباً لكان يحرم عليه أن يتزوج من نساء أمته كما يحرم على الأب أن يتزوج بابنته وتزوج بنات أمته ليس بحرام.

قال في «كشف الأسرار»: [هر چند اسم پدری ازوبيفكند اما از همه پدران مشفق ومهر بانتربود قال عليه السلام: «أنا لكم مثل الوالد لولده» كفته اند شفقت او برامت از شفقت پدران افزون بود اما اورا پدرامت نخوانند ازبهر آنكه درحكم ازلى رفته كه روز قيامت دران عرصهٔ كبرى كه سرا پرده قهارى بزنند وبساط عظمت بكسترانند وترازوى عدل بياويزند وزندان عذاب از حجاب بيرون آرند جانها بكلو رسد زبانها فصيح كردد وعذرها همه باطل شود نسبها بريده كردد پدران همه از فرزندان بكريزند چنانكه رب العزت كفت ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٦] آدم كه پدر همكنانست فراپيش آيد بارخدايا آدم را بكذارد بافر زندان تودان كه چه كنى نوح هم آن كويد ابراهيم هم آن كويد وموسى وعيسى وديكر پيغمبران هم آن كويند از سياست قيامت وفزع اوهمه بكريزند وبخود درماند ندوبافر زندان نبردازند وكويند «نفسي نفسي» خداوندا مارا برهان وباقر زندان هرچه خواهى كن ومصطفى عربي عليه السلام رحمت وشفقت بكشاده كه بارخدايا امت من مشتى ضعيفان وبيچاركانند طاقت عذاب وعقاب تونداراندبرايشان ببخشاى ورحمت كن وبامحمد هرچه خواهى ميكن بحكم آنكه رازل رفته كه پدران ازفرزندان بكريزند آن روز اورا پدر نخوانند تا ازيشان نكريزد وازبهر ايشان شفاعت كند وديكر اورا پدر نخوانندكه اكر پدر بودى كواهى پدر مرپسر قبول نكند در شرع واوصلوات الله عليه درقيامت بعدالت امت كواهى خواهدداد] وذلك قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] **﴿وخاتم النبيين﴾** قرأ عاصم بفتح التاء وهو آلة الختم بمعنى ما يختم به كالطابع بمعنى ما يطبع به. والمعنى وكان آخرهم الذي ختموا به، وبالفارسية: [مهر پيغمبران يعنى بدو مهر كرده شد درنبوت وپيغمبرانرا بدو ختم كرده اند] وقرأ الباقون بكسر التاء أي: كان خاتمهم أي: فاعل الختم بالفارسية [مهر كنندهٔ پيغمبرانست] وهو بالمعنى الأول أيضاً. وفي «المفردات»: لأنه ختم النبوة أي: تممت بمجيئه وأياً ما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبياً ولم يكن هو عليه السلام خاتم النبيين كما يروى أنه في ابنه ابراهيم «لو عاش لكان نبياً» وذلك لأن أولاد الرسل كانوا يرثون النبوة قبله من آباهم وكان ذلك من امتنان الله عليهم فكانت علماء أمته ورثته عليه السلام من جهة الولاية وانقطع إرث النبوة بختميته ولا يقدح في كونه خاتم النبيين نزول عيسى بعده لأن معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبأ أحد بعده كما قال لعلي رضي الله عنه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وعيسى ممن تنبأ قبله وحين ينزل إنما ينزل على شريعة محمد عليه السلام مصلياً إلى قبلته كأنه بعض أمته فلا يكون إليه وحي ولا نصب أحكام بل يكون خليفة رسول الله. فإن قلت: قد روي أنه عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويزيد في الحلال ويرفع الجزية عن الكفرة فلا يقبل إلا الإسلام. قلت: هذه من أحكام الشريعة المحمدية لكن ظهورها موقت بزمان عيسى وبالجملة قوله: **﴿وخاتم النبيين﴾** يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم لأن النبي الذي بعده نبي يجوز أن يترك شيئاً من النصيحة والبيان لأنها مستدركة من بعده وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى بهم من كل الوجوه.

شمسهٔ نه مسند وهفت اختران ختم رسل خواجه پيغمبران

(نظم)

احمد مرسل كه نوشته قلم ... حمد بنام وى وحم هم
چو شده او مظهر الله هاد ... دره ارشاد وجودش نهاد
جملهٔ اسباب هدى از خدا ... كرد بتقرير بديعش ادا

﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي لشأنه ولا يعلم أحد سواه ذلك. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هي نص على أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله فمن رحمة الله بالعباد إرسال محمد إليهم ثم من تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له وقد أخبر الله في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عن أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب كما أجرى سبحانه على يدي الأسود العبسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله تعالى وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب ما جاء بها انتهى. ولما نزل قوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾ استغرب الكفار كون باب النبوة مسدوداً فضرب النبي عليه السلام لهذا مثلاً ليتقرر في نفوسهم وقال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». قال في «بحر الكلام»: وصنف من الروافض قالوا: بأن الأرض لا تخلو عن النبي والنبوة صارت ميراثاً لعلي وأولاده ويفرض على المسلمين طاعة علي وعلى كل من لا يرى إطاعته يكفر. وقال أهل السنة والجماعة: لا نبي بعد نبينا لقوله تعالى: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ وقوله عليه السلام: «لا نبي بعدي» ومن قال بعد نبينا نبي يكفر لأنه أنكر النص وكذلك لو شك فيه لأن الحجة تبين الحق من الباطل. ومن ادعى النبوة بعد موت محمد لا يكون دعواه إلا باطلاً انتهى. وتنبأ رجل في زمن أبي حنيفة وقال: امهلوني حتى أجيء بالعلامات فقال أبو حنيفة: من طلب منه علامة فقد كفر لقوله عليه السلام: «لا نبي بعدي» كذا في مناقب الإمام.

وفي «الفتوحات المكية»: وإنما لم يعطف المصلي السلام الذي سلم به على نفسه بالواو على السلام الذي سلم به على نبيه أي: لم يقل والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين بعد قوله السلام عليك أيها النبي لأنه لو عطفه عليه وقال والسلام علينا على نفسه من جهة النبوة وهو باب قد سده الله كما سد باب الرسالة عن كل مخلوق بمحمد إلى يوم القيامة وتعين بهذا أنه لا مناسبة بيننا وبين رسول الله فإنه في المرتبة التي لا ينبغي لنا فابتدأنا بالسلام علينا في طورنا من غير عطف والمقام المحمدي ممنوع دخوله لنا وغاية معرفتنا بالنظر إليه كما تنظر الكواكب في السماء وكما ينظر أهل الجنة السفلى إلى من هو في عليين. وقد وقع للشيخ أبي يزيد البسطامي في مقام النبي قدر خرم إبرة تجلياً لا دخولاً فاحترق. وفي «الفصوص» وشرحه للجامي لا نبي بعده مشرعاً أو مشرعاً له والأول هو الآتي بالأحكام الشرعية من غير متابعة لنبي آخر قبله كموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام والثاني هو المتبع لما شرعه له النبي المقدم

كأنبياء بني إسرائيل إذ كلهم كانوا داعين إلى شريعة موسى فالنبوة والرسالة منقطعتان عن هذا الموطن بانقطاع الرسول الخاتم فلم يبق إلا النبوة اللغوية التي هي الأنباء عن الحق وأسمائه وصفاته وأسرار الملكوت والجبروت وعجائب الغيب ويقال لها الولاية وهي الجهة التي تلي الحق كما أن النبوة هي الجهة التي تلي الحق فالولاية باقية دائمة إلى قيام الساعة.

يقول الفقير: كان له عليه السلام نوران: نور النبوة، ونور الولاية، فلما انتقل من هذا الموطن بقي نور النبوة في الشريعة المطهرة وهي باقية فكأن صاحب الشريعة حي بيننا لم يمت وانتقل نور الولاية إلى باطن قطب الأقطاب يعني ظهر فيه ظهوراً تاماً فكان له مرآة وهو واحد في كل عصر ويقال له قطب الوجود وهو مظهر التجلي الحقي. وأما قطب «الإرشاد» فكثير وهم مظاهر التجلي العيني. قال في «هدية المهديين»: أما الإيمان بسيدنا محمد عليه السلام فإنه يجب بأنه رسولنا في الحال وخاتم الأنبياء والرسل فإذا آمن بأنه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمناً.

وقال في «الأشباه» في كتاب السر: إذا لم يعرف أن محمداً عليه السلام آخر الأنبياء فليس بمسلم لأنه من الضروريات. وفي الآية إشارة إلى قطع نسبه عن الخلق لأنه نفي الأبوة لرجال الناس وإلى إثبات نسبه لأولاده وآله ففي قوله: ﴿من رجالكم﴾ تشريف لهم وإنهم ليسوا كرجالهم بل هم المخصوصون بزيادة الأنعام لا ينقطع حسبهم ونسبه كما قال عليه السلام: «كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي» أي: فإنه يختم باب التناسل برجل من أهل البيت من صلب المهدي خاتم الخلافة العامة وخاتم الولاية الخاصة ولا يلزم من ذلك أن يكون منهم أنبياء ولو جاء بعده نبي لجاء علي رضي الله عنه لأنه كان منه عليه السلام بمنزلة هارون من موسى فإذا لم يكن هو نبياً لم يكن الحسنان أيضاً نبيين لأنهما لم يكونا أفضل من أبيهما. قال بعض الكبار: الحسب في الحقيقة الفقر والنسب التقوى فمن أراد أن يرتبط برسول الله وأن يكون من آله المقبولين فليرتبط بهذين، [درعيون الاجوبه آورده كه صحت هر كتابى بمهراوست حق تعالى پيغمبررا مهر كفت تا دانند كه تصحيح دعوت محبت الهي جز بمتابعت حضرت رسالتپناهى نتوان كرد ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] وشرف بزركوارىء كتاب بمهر اوست شرف جمله أنبياء نيز بدان حضر تست وشاهد هر كتاب مهر اوست پس شاهد همه در محكمه قيامت او خواهد بود ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩] وچون كتاب را مهر كردند كتاب درجهان باقى شد چون نبوت بدان حضرت سمت اختتام يافت درنبوت بسته كشت وديكر چون ازهمه انبيا بمهر مخصوص بختميت ايشان نيز اختصاص يافت]، وفي «المثنوي»:

بهر اين خاتم شده است اوكه بجود مثل او نى بود ونى خواهند بود
چونكه درصنعت بود استاد دست نى تو كويى ختم صنعت برتو است

قال في «حل الرموز»: الختم إذا كان على الكتاب لا يقدر أحد على فكه كذلك لا يقدر أحد أن يحيط بحقيقة علوم القرآن دون الخاتم وما دام خاتم الملك على الخزانة لا يجسر أحد على فتحها ولا شك أن القرآن خزانة جميع الكتب الإلهية المنزلة من عند الله ومجمع جواهر العلوم الإلهية والحقائق اللدنية فلذلك خص به خاتم النبيين محمد عليه السلام ولهذا السر كان خاتم النبوة على ظهره بين كتفيه لأن خزانة الملك تختم من خارج الباب لعصمة الباطن وما في

داخل الخزانة. وفي الخبر القدسي: «كنت كنزاً مخفياً» فلا بد للكنز من المفتاح والخاتم فسمي عليه السلام بالخاتم لأنه خاتمه على خزانة كنز الوجود وسمي بالفاتح لأنه مفتاح الكنز الأزلي به فتح وبه ختم ولا يعرف ما في الكنز إلا بالخاتم الذي هو المفتاح قال تعالى: «فأحببت أن أعرف» فحصل العرفان بالفيض الحثي على لسان الحبيب ولذلك سمي الخاتم حبيب الله لأن أثر الختم على كنز الملك صورة الحب لما في الكنز [كفته اند معنىء خاتم النبيين آنست كه رب العزة نبوت همه انبيا جمع كرد ودل مصطفى عليه السلام را معدن آن كرد ومهرنبوت بران نهاد تا هيچ دشمن بموضع نبوت راه نيافت نه هواى نفس نه وسوسهء شيطان ونه خطرات مذمومه وديكر پيغمبرانرا اين مهر نبوت نبود لا جرم از خطرات وهواجس امين نبودند پس رب العالمين كمال شرف مصطفارا آن مهركه در دل وى نهاد نكذاشت تا درميان دو كتف وى آشكارا كرد تاهركسى كه نكرستى آنرا ديدى همچو خانه كبوترى]. وفي صفاته عليه السلام: بين كتفيه خاتم النبوة ووجه كونه بين كتفيه يعرف مما نقله الإمام الدميري في «حياة الحيوان» أن بعض الأولياء سأل الله تعالى أن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فأراه الحق تعالى هيكل الإنسان في صورة بللور وبين كتفيه شامة سوداء كالعش والوكر فجاء الخناس يتجسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه فوسوس إليه فذكر الله فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب وكان خاتمه مثل زرّ الحجلة وهو طائر على قدر الحمامة أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر. قال الترمذي وزرّها بيضها. قال الدميري والصواب حجلة السرير واحدة الحجال وزرّها الذي يدخل في عروتها وكان حول ذلك الخاتم شعرات مائلة إلى الخضرة مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله أو محمد نبي أمين أو غير ذلك كما قال في «السبعيات»: كان خاتم النبوة «تنجيخ هيصور توجه حيث شئت فإنك منصور» والتوفيق بين الروايات بتعدد الخطوط وتنوعها بحسب الحالات والتجليات أو بالنسبة إلى أنظار الناظرين ولكون ما بين الكتفين مدخل الشيطان كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لأنه يجري وسوسته مجرى الدم وعصم عليه السلام من وسوسته لقوله: «أعانني الله عليه فأسلم» أي: بالختم الإلهيّ وما أسلم قرين آدم فوسوس إليه لذلك. وفي «سفر السعادة»: أن النبي عليه السلام لما سحره اليهوديّ ووصل المرض إلى الذات المقدسة النبوية أمر بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة في كل متضرر في السحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة ومن لا حظ له في الدين والإيمان يشكل هذا العلاج وفي الحديث: «الحجامة في الرأس شفاء من سبع من الجنون، والصداع، والجذام، والبرص، والنعاس، ووجع الضرس، وظلمة يجدها في عينيه» والحجامة في وسط الرأس وكذا بين الكتفين نافعة. وتكره في نقرة القفاء فإنها تورث النسيان. قال بعضهم: الحجامة في البلاد الحارة أنفع من الفصد وروي أنه عليه السلام ما شكا إليه رجل وجعاً في رأسه إلا قال: «احتجم» ولا وجعاً في رجليه إلا قال: «أخضبه» وخير أيام الحجامة يوم الأحد والاثنين. وجاء في بعض الروايات النهي عن يوم الأحد واختار بعضهم يوم الثلاثاء وكرهه بعضهم وتكره يوم السبت والأربعاء إلا أن يكون قد غلب عليه الدم وخير أزمانها الربيع بعد نصف الشهر في السابع عشر والتاسع عشر والحادي والعشرين فالأولى أن تكون في الربع

الثالث من الشهر لأنه وقت هيجان الدم وتكره في المحاق وهو ثلاثة أيام من آخر الشهر ولا يستحب أن يحتجم في أيام الصيف في شدة الحر ولا في شدة البرد في أيام الشتاء وخير أوقاتها من لدن طلوع الشمس إلى وقت الضحى وتستحب الحجامة على الريق فإنها شفاء وبركة وزيادة في العقل والحفظ وعلى الشبع داء إلا إذا كان به ضرر فليذق أولاً شيئاً قليلاً ثم ليحتجم وإذا أراد الحجامة يستحب أن لا يقرب النساء قبل ذلك بيوم وليلة وبعده مثل ذلك ولا يدخل في يومه الحمام وإذا احتجم أو افتصد لا ينبغي أن يأكل على أثره مالحاً فإنه يخاف منه القروح أو الجرب ولا يأكل رأساً ولا لبناً ولا شيئاً مما يتخذ من اللبن ويستحب على أثره الخل ليسكن ما به ثم يحسو شيئاً من المرقة ويتناول شيئاً من الحلاوة إن قدر عليه كما في «بستان العارفين» والله الشافي وهو الكافي.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله﴾ بما هو أهله من التهليل والتحميد والتكبير ونحوها. والذكر إحضار الشيء في القلب أو في القول وهو ذكر عن نسيان وهو حال العامة أو إدامة الحضور والحفظ وهو حال الخاصة إذ ليس لهم نسيان أصلاً وهم عند مذكورهم مطلقاً ﴿ذكراً كثيراً﴾ في جميع الأوقات ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاء وفي عموم الأمكنة براً وبحراً سهلاً وجبلاً وفي كل الأحوال حضراً وسفراً صحة وسقماً سراً وعلانية قياماً وقعوداً وعلى الجنوب وفي الطاعة بالإخلاص وسؤال القبول والتوفيق وفي المعصية بالامتناع منها وبالتوبة والاستغفار وفي النعمة بالشكر وفي الشدة بالصبر فإنه ليس للذكر حد معلوم كسائر الفرائض ولا لتركه عذر مقبول إلا أن يكون المرء مغلوباً على عقله. وأحوال الذاكرين متفاوتة بتفاوت أذكارهم. فذكر بعضهم بمجرد اللسان بدون فكر مذكوره ومطالعه آثاره بعقله وبدون حضور مذكوره ومكاشفة أطواره بقلبه وبدون أنس مذكوره ومشاهدة أنواره بروحه وبدون فنائه في مذكوره ومعاينة أسراره بسره. وهذا مردود مطلقاً. وذكر بعضهم باللسان والعقل فقد يذكر بلسانه ويتفكر مذكوره ويطالع آثاره بعقله لكن ليس له الحضور والإنس والفناء المذكور وهو ذكر الأبرار مقبول بالنسبة إلى الأول. وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب فقط بدون الإنس والفناء المذكور وهو ذكر أهل البداية من المقربين مقبول بالنسبة إلى ذكر الأبرار وما تحته. وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب والروح والسر جميعاً وهو ذكر أرباب النهاية من المقربين من الأنبياء والمرسلين والأولياء الأكملين وهو مقبول مطلقاً وللإرشاد إلى هذه الترقيات قال عليه السلام: «إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: «تلاوة كتاب الله وكثرة ذكره» فبكثرة الذكر يترقى السالك من مرتبة اللسان إلى ما فوقها من المراتب العالية ويصقل مرآة القلب من ظلماتها وأكدارها. ثم إن ذكر الله وإن كان يشتمل الصلاة والتلاوة والدراسة ونحوها إلا أن أفضل الأذكار لا إله إلا الله فالاشتغال به منفرداً مع الجماعة محافظاً على الآداب الظاهرة والباطنة ليس كالاشتغال بغيره. [سلمى كويد مراد از ذكر كثير ذكر دلست چه دوام ذكر بزبان ممكن نيست]. وقال بعضهم: الأمر بالذكر الكثير إشارة إلى محبة الله تعالى يعني أحبوا الله لأن النبي عليه السلام قال: من أحب شيئاً أكثر من ذكره [نشان دوستى آنست كه نكذاردكه زبان از ذكر دوست يا دل ازفكر او خالى ماند]:

درهيچ مكان نيم زفكرت خالى درهيچ زمان نيم زذكرت غافل

فأوجب الله محبته بالإشارة في الذكر الكثير وإنما أوجبها بالإشارة دون العبارة الصريحة لأن أهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر تكفيه الإشارة وإنما لم يصرح بوجوب المحبة لأنها مخصوصة بقوم دون سائر الخلق كما قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] فعلى هذا بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] يشير إلى أحبوني أحببكم:

بدرياى محبت آشنا باش صدف سان معدن در صفا باش

﴿وسبحوه﴾ ونزهوه تعالى عما لا يليق به. قال في «المفردات»: السبح المر السريع في الماء أو في الهواء والتسبيح تنزيه الله وأصله المر السريع في عبادة الله وجعل عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية ﴿بكرة وأصيلا﴾ أي: أول النهار وآخره وقد يذكر الطرفان ويفهم منهما الوسط فيكون المراد سبحوه في جميع الأوقات خصوصاً في الوقتين المذكورين المفضلين على سائر الأوقات لكونهما مشهودين على ما دل عليه قوله عليه السلام: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وإفراد التسبيح من بين الأذكار لكونه العمدة فيها من حيث إنه من باب التحلية وفي الحديث: «أربع لا يمسك عنهن جنب سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فإذا قالها الجنب فالمحدث أولى فلا منع من التسبيح على جميع الأحوال إلا أن الذكر على الوضوء والطهارة من آداب الرجال. وفي «كشف الأسرار»: [وسبحوه أي: صلوا به بكرة يعني صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر] أين تفسير موافق آن خبرست كه مصطفى عليه السلام كفت «من استطاع منكم أن لا يغلب على صلاة قبل طلوع الشمس ولا غروبها فليفعل» ميكويد هركه تواند ازشماكه مغلوب كارهاً وشغل دنيوي نكردد برنماز بامدادپيش از برآمدن آفتاب ونماز ديكر پيش ازفروشدن آفتاب باچنين كند اين هردو نماز بذكر مخصوص كردد ازبهر آنكه بسيار افتد مردم را اين دو وقت تقصير كردن درنماز وغافل بودن ازان اما نماز بامداد بسبب خواب ونماز ديكر بسبب امور دنيا ونيز شرف اين دونماز درميان نمازها پيداست نماز بامداد شهود فرشتكانست لقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار [ونماز ديكر نماز وسطى است كه رب العزة كفت] ﴿وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وفي الحديث «ما عجت الأرض إلى ربها من شيء كعجيجها من دم حرام أو غسل من زنى أو نوم عليها قبل طلوع الشمس» والله تعالى يقسم الأرزاق وينزل البركات ويستجيب الدعوات فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس فلا بد من ترك الغفلة في تلك الساعة الشريفة وفي الحديث: «من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة» ومن هنا لم يزل الصوفية المتأدبون يجتمعون على الذكر بعد صلاة الصبح إلى وقت صلاة الإشراق فللذكر في هذا الوقت أثر عظيم في النفوس وهو أولى من القراءة كما دل عليه قوله عليه السلام: «ثم قعد يذكر الله» على ما في «شرح المصابيح» ويؤيده ما ذكر في «القنية» من أن الصلاة على النبي عليه السلام والدعاء والتسبيح أفضل من قراءة القرآن في الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها.

وذكر في «المحيط» أنه يكره الكلام بعد انشقاق الفجر إلى صلاته وقيل بعد صلاة الفجر أيضاً إلى طلوع الشمس وقيل إلى ارتفاعها وهو كمال العزيمة. قال بعض الكبار: إذا قارب طلوع الشمس يبتدىء بقراءة المسبعات وهي من تعليم الخضر عليه السلام علمها ابراهيم التيمي

وذكر أنه تعلمها من رسول الله ﷺ وينال بالمداومة عليها جميع المتفرق في الأذكار والدعوات وهي عشرة أشياء: سبعة سبعة الفاتحة والمعوذتان وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والصلاة على النبي عليه السلام وآله بأن يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم والاستغفار بأن يقول اللهم اغفر لي ولوالديّ ولجميع المؤمنين والمؤمنات وقوله سبعاً اللهم افعل بنا وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا وبهم يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم.

روي أن إبراهيم التيمي لما قرأ هذه بعد أن تعلمها من الخضر رأى في المنام أنه دخل الجنة ورأى الملائكة والأنبياء وأكل من طعام الجنة ومكث أربعة أشهر لم يطعم لكونه أكل من طعام الجنة ويلازم الذاكر موضعه الذي صلى فيه مستقبل القبلة إلا أن يرى انتقاله إلى زاوية فإنه أسلم لدينه كيلا يحتاج إلى حديث أو نحوه مما يكره في ذلك الوقت فإن حديث الدنيا ونحوه يبطل ثواب العمل وشرف الوقت فلا بد من محافظة اللسان عن غير ذكر الله ومحافظة القلب عن غير فكره فإن اللسان والقلب إذا لم يتوافقا كان مجرد ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح، وفي «المثنوي»:

ذكر آرد فكررا دراهتزاز ... ذكررا خورشيد اين افسرده ساز
اصل خود جذبه است ليك اى خواجه تاش ... كار كن موقوف آن جذبه مباش
زانكه ترك كار چون نازى بود ... نازكى درخورو جانبازى بود
نى قبول انديش ونى رد اي غلام ... امرراو نهى را مى بين مدام
مرغ جذبه ناكهان پرد زعش ... چون بديدى صبح شمع آنكه بكش
چشمها چون شد كذاره نوراوست ... مغزها مى بيند اودر عين پوست
بيند اندر ذره خورشيد بقا ... بيند اندر قطره كل بحررا

نسأل الله الحركات التي تورث البركات إنه قاضي الحاجات.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿هو الذي﴾ [اوست آن خداونديكه] ﴿يصلي عليكم﴾ يعتني بكم بالرحمة والمغفرة والتزكية [والاعتناء: عنايت ورعايت داشتن] ﴿وملائكته﴾ عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التأكيد بالمنفصل أي: ويعتني ملائكته بالدعاء والاستغفار فالمراد بالصلاة المعنى المجازي الشامل للرحمة والاستغفار وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم. وعن السدي قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: أيصلي ربنا فكبر هذا الكلام عليه فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي وإن صلاتي رحمتي التي تطفىء غضبي وقيل له عليه السلام ليلة المعراج: «قف يا محمد فإن ربك يصلي» فقال عليه السلام: إن ربي لغني عن أن يصلي فقال تعالى: «أنا الغني عن أن أصلي لأحد وإنما أقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرأ يا محمد ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ الآية فصلاتي رحمة لك ولأمتك» فكانت هذه الآية إلى قوله: ﴿رحيماً﴾ مما نزلت بقاب قوسين بلا وساطة جبريل عليه السلام.

وفي رواية لما وصلت إلى السماء السابعة قال لي جبريل: رويداً أي: قف قليلاً فإن ربك يصلي قلت: أهو يصلي؟ قال: نعم قلت: وما يقول؟ قال: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنكم إن تذكروني بذكر محدث فإني قد صليت عليكم بصلاة قديمة لا أول لها ولا آخر وإنكم لولا صلاتي عليكم لما وفقتم لذكري كما أن محبتي لو لم تكن سابقة على محبتكم لما هديتم إلى محبتي وأما صلاة الملائكة فإنما هي دعاء لكم على أنهم وجدوا رتبة الموافقة مع الله في الصلاة عليكم ببركتكم ولولا استحقاقكم لصلاة الله عليكم لما وجدوا هذه الرتبة الشريفة. وفي «عرائس البقلي» صلوات الله اختياره للعبد في الأزل بمعرفته ومحبته فإذا خص وجعل زلاته مغفورة وجعل خواص ملائكته مستغفرين له لئلا يحتاج إلى الاستغفار بنفسه لاشتغاله بالله وبمحبته.

قال أبو بكر بن طاهر: صلوات الله على عبده أن يزينه بأنوار الإيمان ويحليه بحلية التوفيق ويتوجه بتاج الصدق ويسقط عن نفسه الأهواء المضلة والإرادات الباطلة ويجعل له الرضى بالمقدور، قال الحافظ:

رضا بداده بده وزجبين كره بكشاى　　　كه برمن وتو در اختيار نكشا دست

﴿ليخرجكم﴾ الله تعالى بتلك الصلاة والعناية وإنما لم يقل ليخرجاكم لئلا يكون للملائكة منة عليهم بالإخراج ولأنهم لا يقدرون على ذلك لأن الله هو الهادي في الحقيقة لا غير ﴿من الظلمات إلى النور﴾ الظلمة عدم النور ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق ونحوها كما يعبر بالنور عن أضدادها أي: من ظلمات الجهل والشرك والمعصية والشك والضلالة والبشرية وصفاتها والخلقية الروحانية إلى نور العلم والتوحيد والطاعة واليقين والهدي والروحانية وصفاتها والربوبية بجذبات تجلي ذاته وصفاته. والمعنى برحمة الله وبسبب دعاء الملائكة فزتم بالمقصود ونلتم الشهود ونورتم بنور الشريعة وتحققتم بسر الحقيقة. وقال الكاشفي: [مراد از اخراج ادامت واستقامت است بر خروج چه دروقت صلاة خدا وملائكه بر ايشان در ظلمات نبوده اند] ﴿وكان﴾ في الأزل قبل إيجاد الملائكة المقربين ﴿بالمؤمنين﴾ بكافتهم قبل وجوداتهم العينية ﴿رحيماً﴾ ولذلك فعل بهم ما فعل من الاعتناء بصلاحهم بالذات وبواسطة الملائكة فلا تتغير رحمته بتغير أحوال من سعد في الأزل.

كرد عصيان رحمت حق را نمى آردبشور　　　مشروب دريا نكردد تيره ازسيلابها

ولما بين عنايته في الأولى وهي هدايته إلى الطاعة ونحوها بين عنايته في الآخرة فقال:

﴿تحيتهم﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول أي: ما يحيون به. والتحية الدعاء بالتعمير بأن يقال: حياك الله أي: جعل لك حياة ثم جعل كل دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة أو سبب حياة إما لدنيا وإما لآخرة ﴿يوم يلقونه﴾ يوم لقائه تعالى عند الموت أو عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة ﴿سلام﴾ تسليم عليهم من الله تعظيماً لهم:

خوشست ازتوسلامى بما در آخر عمر　　　چونامه رفت باتمام والسلام خوشست

أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] أو إخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة وشدة. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام: «إذا جاء ملك الموت إلى وليّ الله سلم عليه وسلامه

عليه أن يقول: السلام عليك يا ولي الله قم فاخرج من دارك التي خربتها إلى دارك التي عمرتها فإذا لم يكن ولياً لله قال له: قم فأخرج من دارك التي عمرتها إلى دارك التي خربتها».

يقول الفقير: عمارة الدنيا بزرع الحبوب وتكثير القوت وكري الأنهار وغرس الأشجار ورفع أبنية الدور وتزيين القصور وعمارة الآخرة بالاذكار والأعمال والأخلاق والأحوال كما قال المولى الجامي:

يادكن آنكه درشب اسرى ... يا حبيب خدا خليل خدا
كفت كوى ازمن اى رسول كرام ... امت خويش را ز بعد سلام
كه بود پاك وخوش زمين بهشت ... ليك آنجا كسى درخت نكشت
خاك اوپاك وطيب افتاده ... ليك هست از درختها ساده
غرس اشجار آن بسعى جميل ... بسمله حمد له است پس تهليل
هست تكبير نيزاز ان اشجار ... خوش كسى كش جزاين نباشد كار
باغ جنات تحتها الانهار ... سبز وخرم شود ازان اشجار

وفي الآية إشارة إلى أن التحية إذا قرنت بالرؤية واللقاء إذا قرن بالتحية لا يكونان إلا بمعنى رؤية البصر والتحية خطاب يفاتح به الملوك فبهذا أخبر عن علو شأنهم ورفعة درجتهم وأنهم قد سلموا من آفات القطيعة بدوام الوصلة. قال ابن عطاء: أعظم عطية المؤمنين في الجنة سلام الله عليهم من غير واسطة.

سلامت من دلخسته درسلام توباشد ... زهى سعادت اكردولت سلام تويابم

﴿**وأعد لهم**﴾ [وآماده كردخداى تعالى براى مؤمنان باوجود تحيت برايشان]﴿**أجراً كريماً**﴾ ثواباً حسناً دائماً وهو نعيم الجنة وهو بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك وإيثار الجملة الفعلية دون وأجرهم أجر كريم ونحوه لمراعاة الفواصل. وفيه إشارة إلى سبق العناية الأزلية في حقهم لأن في الإعداد تعريفاً بالإحسان السابق والأجر الكريم ما يكون سابقاً على العمل بل يكون العمل من نتائج الكرم:

قرب تو باسباب وعلل نتوان يافت ... بى سابقه فضل ازل نتوان يافت
برهرچه توان كرفتن اورا بدلى ... توبى بدلى ترا بدل نتوان يافت

ثم هذه الآية من أكبر نعم الله على هذه الأمة ومن أدل دليل على أفضليتها على سائر الأمم ومن جملة ما أوحي إليه عليه السلام ليلة المعراج «أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك» فإذا كانوا أقدم في الدخول للتعظيم كانوا أفضل وأكثر في الأجر الكريم ثم إن فقراء هذه الأمة أكبر شأناً من أغنيائهم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولاً فقال: يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك فقال: «مرحباً بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم» فقال: يا رسول الله إن الفقراء يقولون لك: إن الأغنياء ذهبوا بالخير كله هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه ويعتقون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخراً لهم فقال عليه السلام: «بلغ الفقراء عني أن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء أما الخصلة الأولى فإن في الجنة غرفاً من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والخصلة الثانية:

يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والخصلة الثالثة: إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها» فرجع الرسول إليهم وأخبرهم بذلك فقالوا: رضينا» يا رب رضينا ذكره اليافعي في «روض الرياحين».

صائب فريب نعمت ألوان نمى خوريم   روزى خود زخوان كرم مى خوريم ما

وقال:

افتد هماى دولت اكردر كمندما   ازهمت بلند رها مى كنيم ما

وقال الحافظ:

ازكران تابكران لشكر ظلمست ولى   از ازل تاابابد فرصت درويشانست

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿يا أيها النبي﴾ نداء كرامة وتعظيم لأن الشريف ينادي باللقب الشريف لا نداء علامة مثل يا آدم ونحوه **﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾** الشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة وهو حال مقدرة من كاف أرسلناك فإنه عليه السلام إنما يكون شاهداً وقت الأداء وذلك متأخر عن زمان الإرسال نحو مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي: مقدراً به الصيد غداً. والمعنى إنا أرسلناك بعظمتنا مقدر شهادتك على أمتك بتصديقهم وتكذيبهم تؤديها يوم القيامة أداء مقبولاً قبول قول الشاهد العدل في الحكم **﴿ومبشراً﴾** لأهل الإيمان والطاعة بالجنة ولأهل المحبة بالرؤية **﴿ونذيراً﴾** ومنذراً لأهل الكفر والعصيان بالنار ولأهل الغفلة بالحجاب **﴿وداعياً إلى الله﴾** أي: إلى الإقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الإيمان به من صفاته وأفعاله. وفيه إشارة إلى أن نبينا عليه السلام اختص برتبة دعوة الخلق إلى الله من بين سائر الأنبياء والمرسلين فإنهم كانوا مأمورين بدعوة الخلق إلى الجنة وأيضاً دعا إلى الله لا إلى نفسه فإنه افتخر بالعبودية ولم يفتخر بالربوبية ليصح له بذلك الدعاء إلى سيده فمن أجاب دعوته صارت الدعوة له سراجاً منيراً يدله على سبيل الرشد ويبصره عيوب النفس وغيها. **﴿بإذنه﴾** أي: بتيسيره وتسهيله فأطلق الإذن وأريد به التيسير مجازاً بعلاقة السببية فإن التصرف في ملك الغير متعسر فإذا أذن تسهل وتيسر وإنما لم يحمل على حقيقته وهو الإعلام بإجازة الشيء والرخصة فيه لانفهامه من قوله: **﴿أرسلناك﴾** **﴿وداعياً إلى الله﴾** وقيد به الدعوة إيذاناً بأنها أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة وإمداد من جانب قدسه كيف لا وهي صرف الوجوه عن سمت الخلق إلى الخلاق وإدخال قلادة غير معهودة في الأعناق. قال بعض الكبار: بإذنه أي: بأمره لا بطبعك ورأيك وذلك فإن حكم الطبع مرفوع عن الكمل فلا يدعون قولاً ولا عملاً إلا بالفناء في ذات الله عز وجل. **﴿وسراجاً منيراً﴾** السراج الزاهر بفتيلة، يعني: [آتش پاره كه در فتيله شمعست] والسراج المنير بالفارسية [چراغ روشن ودرخشان].

اعلم أن الله تعالى شبه نبينا عليه السلام بالسراج لوجوه:

الأول: أنه يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدي بأنواره إلى مناهج الرشد والهداية كما يهتدي بالسراج المنير في الظلام إلى سمت المرام كما قال بعضهم: [حق تعالى

پيغمبر مارا چراغ خواند زيرا كه ضوء چراغ ظلمت را محو كند ووجود آن حضرت نيز ظلمت كفررا از عرصهٔ جهان نابود ساخت]:

چـراغ روشـن از نـور خـدايـى جـهـا نـرا داده از ظـلـمـت رهـايـى

والثاني: [هرچه درخانه كم شود بنور چراغ باز توان يافت حقا يقي كه ازمر دم پوشيده بود بنور اين چراغ بر مقتبسان انوار معرفت روشن كشت]:

ازو جـانـرا بـدانـش آشـنـايـيـست وزو چـشـم جـهـانـرا روشـنـا يـيـست
در كـنـج مـعـانـى بـر كـشـاده وزان صـاحـب دلانـرا مـايـه داده

والثالث: [چراغ اهل خانه سبب امن وراحتست ودزدرا واسطهٔ خجلت وعقوبت آن حضرت دوستانرا وسيلهٔ سلامتست ومنكرانرا حسرت وندامت].

والرابع: أن السراج الواحد يوقد منه ألف سراج ولا ينقص من نوره شيء وقد اتفق أهل الظاهر والشهود على أن الله تعالى خلق جميع الأشياء من نور محمد ولم ينقص من نوره شيء وهذا كما روي أن موسى عليه السلام قال: يا رب أريد أن أعرف خزائنك فقال له: اجعل على باب خيمتك ناراً يأخذ كل إنسان سراجاً من نارك ففعل فقال: هل نقص من نارك قال: لا يا رب قال: فكذلك خزائني. وأيضاً علوم الشريعة وفوائد الطريقة وأنوار المعرفة وأسرار الحقيقة قد ظهرت في علماء أمته وهي بحالها في نفسه عليه السلام ألا ترى أن نور القمر مستفاد من الشمس ونور الشمس بحاله وفي «القصيدة البردية»:

فـإنـه شـمـس فـضـل هـم كـواكـبـهـا يـظـهـرن أنـوارهـا لـلـنـاس في الـظـلـم
تـو مـهـر مـنـيـرى هـمـه اخـتـرنـد تـو سـلـطـان مـلـكـى هـمـه لـشـكـرنـد

أي أن سيدنا محمداً عليه السلام شمس من فضل الله طلعت على العالمين والأنبياء أقمارها يظهرن الأنوار المستفادة منها وهي العلوم والحكم في عالم الشهادة عند غيبتها ويختفين عند ظهور سلطان الشمس فينسخ دينه سائر الأديان. وفيه إشارة إلى أن المقتبس من نور القمر كالمقتبس من نور الشمس، وفي «المثنوي»:

كـفـت طـوبـى مـن رآنـي مـصـطـفـى والـذي يـبـصـر لـمـن وجـهـي رأى
چـون چـراغ نـور شـمـعـى را كـشـيـد هـركـه ديـد آنـرا يـقـيـن آن شـمـع ديـد
هـمـچـنـيـن تـا صـد چـراغ ار نـقـل شـد ديـدن آخـر لـقـاى اصـل شـد
خـواه ازنـور پـسـيـن بـسـتـان تـوآن هـيـچ فـرقـى نـيـسـت خـواه ازشـمـعـدان

والخامس أنه عليه السلام يضيء من جميع الجهات الكونية إلى جميع العوالم كما أن السراج يضيء من كل جانب وأيضاً يضيء لأمته كلهم كالسراج لجميع الجهات إلا من عمي مثل أبي جهل ومن تبعه على صفته فإنه لا يستضيء بنوره ولا يراه حقيقة كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

- حكي - أن السلطان محمود الغزنوي دخل على الشيخ أبي الحسن الخرقاني قدس سره وجلس ساعة ثم قال: يا شيخ ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي فقال الشيخ هو رجل من رآه اهتدى فقال السلطان وكيف ذلك وأبا جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يخلص من الضلالة قال الشيخ في جوابه إنه ما رأى رسول الله وإنما رأى محمد بن عبد الله يتيم أبي طالب حتى لو كان

رأى رسول الله لدخل في السعادة أي: لو رآه عليه السلام من حيث إنه رسول معلم هاد لا من حيث إنه بشر يتيم.

والسادس: أنه عليه السلام عرج به من العالم السفلي إلى العالم العلوي ومن الملك إلى الملكوت ومن الملكوت إلى الجبروت والعظموت بجذبة «ادن مني» إلى مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩] وقرب. ﴿أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٩] إلى أن نوّر سراج قلبه بنور الله بلا واسطة ملك أو نبي ومن هنا قال: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» لأنه كان في مقام الوحدة فلا يصل إليه أحد إلا على قدمي الفناء عن نفسه والبقاء بربه فناء بالكلية وبقاء بالكلية بحيث لا تبقى نار نور الإلهية من حطب وجوده قدر ما يصعد منه دخان نفسي نفسي وما بلغ كمال هذه الرتبة إلا نبينا عليه السلام فإنه من بين سائر الأنبياء يقول أمتي أمتي وحسبك في هذا حديث المعراج حيث إنه عليه السلام وجد في كل سماء نفراً من الأنبياء إلى أن بلغ السماء السابعة ووجد هناك إبراهيم عليه السلام مستنداً إلى سدرة المنتهى فعبر عنه مع جبرائيل إلى أقصى السدرة وبقي جبرائيل في السدرة فأدلى إليه الرفرف فركب عليه فأداه إلى قاب قوسين أو أدنى فهو الذي جعل الله له نوراً فأرسله إلى الخلق وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥] فأذن له أن يدعو الخلق إلى الله بطريق متابعته فإنه من يطع الرسول حق إطاعته فقد أطاع الله والذين يبايعونه إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فإن يده فانية في يد الله باقية بها وكذلك جميع صفاته تفهم إن شاء الله وتنتفع بها ووصفه تعالى بالإنارة حيث قال: ﴿منيراً﴾ لزيادة نوره وكماله فيه فإن بعض السرج له فتور لا ينير. قال الكاشفي: ﴿منيراً﴾ [تأكيداست يعنى توچراغى نه چون چراغهاى ديكركه آن چگراغها كاهى مرده باشد وكاهى افروخته وازتو ازاول تا آخر وروشنى چراغها ببادى مقهور شود وهيچ كس نور ترا مغلوب نتواند ساخت] كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨]، وفي «المثنوي»:

هركه برشمع خدا آرد پفو ... شمع كى ميرد بسوزد پوز او

كى شود دريا زپوز سك نجس ... كى شود خورشيد ازپف منطمس

[ديكر چراغها بشب نور دهند نه بروز وتوشب ظلمت دنيارا بنور دعوت روشن ساختهٔ وروز قيامت را نيز به پرتو شفاعت روشن خواهى ساخت]:

شد بدنيا رخش چراغ افروز ... شب ما كشت ز التفاتش روز

باز فردا چراغ افروزد ... كه ازان جرم عاصيان سوزد

[دركشف الأسرار فرموده كه حق سبحانه آفتاب را چراغ خواندكه ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ [النبأ: ١٣]. وپيغمبر مارا نيز چراغ كفت. آن چراغ آسمانست. واين چراغ زمين. آن چراغ دنياست. واين چراغ دين. آن چراغ منازل فلكست. واين چراد محافل ملك. آن چراغ آب وكلست. واين چراغ جان ودل بطلوع. آن چراغ ازخواب بيدارشوند. وبظهور اين چراغ از خواب عدم برخاسته بعرصه كاه وجود آمده اند]:

ازظلمات عدم راه كه بروى برد ... كرنشدى نورتو شمع روان همه

[وإشارات بهمين معنى فرموده ازاقليم عدم مى آمدى وپيش رو آدم چراغى بود بردستش همه ازنور تخستينست]. وقال بعضهم: المراد بالسراج الشمس وبالمنير القمر جمع له الوصف

بين الشمس والقمر دل على ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ٦١] وإنما حمل على ذلك لأن نور الشمس والقمر أتم من نور السراج ويقال سماه سراجاً ولم يسمه شمساً ولا قمراً ولا كوكباً لأنه لا يوجد يوم القيامة شمس ولا قمر ولا كوكب ولأن الشمس والقمر لا ينقلان من موضع إلى موضع بخلاف السراج ألا ترى أن الله تعالى نقله عليه السلام من مكة إلى المدينة.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾.

﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف على المقدر أي: فراقب أحوال أمتك وبشر المؤمنين ﴿بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ أي: على مؤمني سائر الأمم في الرتبة والشرف أو زيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والإحسان.

- وروي - أن الحسنة الواحدة في الأمم السالفة كانت بواحدة وفي هذه الأمة بعشر أمثالها إلى ما لا نهاية له. وقال بعضهم: ﴿فضلاً كبيراً﴾ يعني: [بخششى بزرك زياده ازمردكار ايشان يعنى دولت لقاكه بزركتر عطايى وشر يفتر جزاييست]. وفي «كشف الأسرار»: [داعي را اجابت وسائر را عطيت ومجتهدرا معونت وشاكررا زيادت ومطيع را مثوبت وعاصى را اقالت ونادم را رحمت ومحب را كرامت ومشتاق را لقاء ورؤيت]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله عليه السلام علياً ومعاذاً فبعثهما إلى اليمن وقال: «اذهبا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فإنه قد نزل عليّ» وقرأ الآية كما في «فتح الرحمٰن». ودل الآية والحديث وكذا قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الذاريات: ٥٥] على أنه لا بأس بالجلوس للوعظ إذا أراد به وجه الله تعالى وكان ابن مسعود رضي الله عنه يذكر عشية كل خميس وكان يدعو بدعوات ويتكلم بالخوف والرجاء وكان لا يجعل كله خوفاً ولا كله رجاء ومن لم يذكر لعذر وقدر على الاستخلاف فله ذلك ومنه إرسال الخلفاء إلى أطراف البلاد فإن فيه نفع العباد كما لا يخفى على ذوي الرشاد.

﴿ولا تطع الكافرين﴾ من أهل مكة ﴿والمنافقين﴾ من أهل المدينة ومعناه الدوام أي: دم وأثبت على ما أنت عليه من مخالفتهم وترك إطاعتهم واتباعهم. وفي «الإرشاد» نهى عن مداراتهم في أمر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الإنذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن النهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ﴿ودع أذاهم﴾ أي: لا تبال بإيذائهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والإنذار. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قسم رسول الله قسمة فقال رجل من الأنصار: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر بذلك فاحمر وجهه فقال: «رحمه الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر».

صد هزاران كيميا حق آفريد كيميايى همچو صبر آدم نديد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا تطع﴾ الخ أي: لا تتخلق بخلق من أخلاقهم ولا توافق من أعرضنا عنه وأغفلنا قلبه عن ذكرنا وأضللناه من أهل الكفر والنفاق وأهل البدع والشقاق وفيه إشارة إلى أرباب الطلب بالصدق أن لا يطيعوا المنكرين الغافلين عن هذا الحديث فيما يدعونهم إلى ما يلائم هوى نفوسهم ويقطعون به الطريق عليهم ويزعمون أنهم ناصحوهم

ومشفقون عليهم وهم يحسنون صنعاً ﴿ودع أذاهم﴾ بالبحث والمناظرة على إبطالهم فإنهم عن سمع كلمات الحق لمعزولون فتضيع أوقاتك ويزيد إنكارهم. ﴿وتوكل على الله﴾ في كل الأمور خصوصاً في هذا الشأن فإنه تعالى يكفيكهم والعاقبة لك. ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ موكولاً إليه الأمور في كل الأحوال فهو فعيل بمعنى المفعول تمييز من فاعل كفى وهو الله إذ الباء صلة والتقدير وكفى الله من جهة الوكالة فإن أهل الدارين لا يكفي كفاية الله فيما يحتاج إليه فمن عرف أنه تعالى هو المتكفل بمصالح عباده والكافي لهم في كل أمر اكتفى به في كل أمره فلم يدبر معه ولم يعتمد إلا عليه.

ـ روي ـ أن الحجاج بن يوسف سمع ملبياً يلبي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية وكان إذ ذاك بمكة فقال: عليّ بالرجل فأتى به إليه فقال: ممن الرجل؟ قال: من المسلمين فقال: ليس عن الإسلام سألتك قال: فعمّ سألت؟ قال: سألتك عن البلد قال: من أهل اليمن قال: كيف تركت محمد بن يوسف يعني أخاه قال: تركته عظيماً جسيماً لباساً ركاباً خراجاً ولاجاً قال: ليس عن هذا سألتك قال: فعمّ سألت؟ قال: سألتك عن سيرته قال: تركته ظلوماً غشوماً مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق فقال له الحجاج: ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني؟ قال: أترى مكانه منك أعز مني بمكاني من الله وأنا وافد بيته مصدق نبيه فسكت الحجاج ولم يحسن جواباً وانصرف الرجل من غير إذن فتعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم بك أعوذ وبك ألوذ اللهم فرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة فخلص من يد الحجاج بسبب توكله على الله في قوله الخشن وبعدم إطاعته وانقياده للمخلوق.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم﴾. قال في «بحر العلوم»: أصل النكاح الوطىء ثم قيل للعقد نكاح مجازاً تسمية للسبب باسم المسبب فإن العقد سبب الوطىء المباح وعليه قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: ٣] أي: لا يتزوج ونظيره تسمية النبات غيثاً في قوله رعينا الغيث لأنه سبب للنبات والخمر إثماً لأنها سبب لاكتساب الإثم. وقال الإمام الراغب في «المفردات» أصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع ومحال أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد لأن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشاً اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه انتهى. وفي «القاموس» النكاح الوطىء والعقد والمعنى إذا تزوجتم ﴿المؤمنات﴾ وعقدتم عليهن وخص المؤمنات مع أن هذا الحكم الذي في الآية يستوي فيه المؤمنات والكتابيات تنبيهاً على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيراً لنطفته ويجتنب عن مجانبة الفواسق فما بال الكوافر فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو أولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات وقد قيل: الجنس يميل إلى الجنس، وفي «المثنوي»:

جنس سوى جنس صدپره برد ... بر خيالش بندهارا بر درد
آن يكى را صحبت اخيار خار ... لا جرم شد پهلوى فجار جار

﴿ثم طلقتموهن﴾ أصل الطلاق التخلية من وثاق يقال أطلقت الناقة من عقالها وطلقها وهي طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير طلقت المرأة نحو خليتها فهي طالق أي: مخلاة عن حبالة النكاح ﴿من قبل أن تمسوهن﴾ أي: تجامعوهن فإن لمس أي: اللمس كناية عن الوطىء وفائدة ثم إزاحة ما عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب فلا تفاوت في الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يطلقها وهي بعيدة منه. قالوا فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح كما قال بعضهم: إنما النكاح عقدة والطلاق يحلها فكيف تحل عقدة لم تعقد فلو قال متى تزوجت فلانة أو كل امرأة أتزوجها فهي طالق لم يقع عليه طلاق إذا تزوج عند الشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة يقع مطلقاً لأنه تطليق عند وجود الشرط إلا إذا زوجها فضولي فإنها لم تطلق كما في «المحيط» وقال مالك: إن عين امرأة بعينها أو من قبيلة أو من بلد فتزوجها وقع الطلاق وإن عمم فقال: كل امرأة أتزوجها من الناس كلهم لم يلزمه شيء ثم إن حكم الخلوة التي يمكن معها المساس في حكم المساس عند أبي حنيفة وأصحابه والخلوة الصحيحة غلق الرجل الباب على منكوحته بلا مانع وطىء من الطرفين وهو ثلاثة: حسي كمرض يمنع الوطأ ورتق وهو انسداد موضع الجماع بحيث لا يستطاع، وشرعي كصوم رمضان دون صوم التطوع والقضاء والنذور والكفارة في الصحيح لعدم وجوب الكفارة بالإفساد وكإحرام فرض أو نفل فإن الجماع مع الإحرام يفسد النسك ويوجب دماً مع القضاء، وطبعي كالحيض والنفاس إذ الطباع السليمة تنفر منها فإذا خلا بها في محل خال عن غيرهما حتى عن الأعمى والنائم بحيث أمنا من اطلاع غيرهما عليهما بلا إذنهما لزمه تمام المهر لأنه في حكم الوطىء ولو كان خصياً وهو مقطوع الأنثيين أو عنيناً وهو الذي لا يقدر على الجماع وكذا لو كان مجبوباً وهو مقطوع الذكر خلافاً لهما وفرض الصلاة مانع كفرض الصوم للوعيد على تركها والعدة تجب بالخلوة ولو مع المانع احتياطاً لتوهم شغل الماء ولأنها حق الشرع والولد.

واعلم أن الحيض والنفاس والرتق من الأعذار المخصوصة بالمرأة وأما المرض والإحرام والصوم فتعتبر في كل من الرجل والمرأة وتعد مانعاً بالنسبة إلى كليهما كما في «تفسير أبي الليث». ومعنى الآية بالفارسية: [پس چون طلاق دهيد زنانرا قبل از دخول ياپيش از خلوت صحيحه] ﴿فما لكم عليهن﴾ [پس نيست شمارا برين مطلقات] ﴿من عدة﴾ أيام ينتظرن فيها وعدة المرأة هي الأيام التي بانقضائها تحل للزوج ﴿تعتدونها﴾ محله الجر على أنه صفة عدة أي: تستوفون عددها أو تعدونها وتحصونها بالاقراء إن كانت من ذوات الحيض أو بالأشهر إن كانت آيسة. وفي الإسناد إلى الرجال دلالة على أن العدة حقهم كما أشعر به فما لكم. فدلت الآية على أنه لا عدة على غير المدخول بها لبراءة رحمها من نطفة الغير فإن شاءت تزوجت من يومها وكذا إذا تيقن بفراغ رحم الأمة من ماء البائع لم يستبرىء عند أبي يوسف وقالا: إذا ملك جارية ولو كانت بكراً أو مشرية ممن لا يطأ أصلاً مثل المرأة والصبي والعنين والمجبوب أو شرعاً كالمحرم رضاعاً أو مصاهرة أو نحو ذلك حرم عليه وطؤها ودواعيه كالقبلة والمعانقة والنظر إلى فرجها بشهوة أو غيرها حتى يستبرىء بحيضة أو يطلب براءة رحمها من الحمل كذا في «شرح القهستاني» ﴿فمتعوهن﴾ أي: فأعطوهن المتعة وهي: درع وخمار وملحفة كما سبقت في هذه السورة وهو محمول على إيجاب المتعة إن لم يسم لها مهر عند العقد وعلى

استحبابها إن سمي ذلك فإنه إن سمى المهر عنده وطلق قبل الدخول فالواجب نصفه دون المتعة كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: فالواجب عليكم نصف ما سميتم لهن من المهر ﴿وسرحوهن﴾ قد سبق معنى التسريح في هذه السورة والمراد هنا اخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن من عدة ﴿سراحاً جميلاً﴾ أي: من غير ضرار ولا منع حق. وفي «كشف الأسرار»: معنى الجميل أن لا يكون الطلاق جور الغضب أو طاعة لغيره وأن لا يكون ثلاثاً بتاً أو لمنع صداق انتهى. ولا يجوز تفسير التسريح بالطلاق السني لأنه إنما يتسنى في المدخول بها والضمير لغير المدخول بها.

وفي «التأويلات النجمية»: وفي الآية إشارة إلى كرم الأخلاق يعني إذا نكحتم المؤمنات ومالت قلوبهن إليكم ثم آثرتم الفراق قبل الوصال فكسرتم قلوبهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن ليكون لهن عليكم تذكرة في أيام الفرقة وأوائلها إلى أن تتوطن نفوسهن على الفرقة وسرحوهن سراحاً جميلاً بأن لا تذكروهن بعد الفراق إلا بخير ولا تستردوا منهن شيئاً تفضلتم به معهن فلا تجمعوا عليها الفراق بالحال والإضرار من جهة المال انتهى.

وينبغي للمؤمن أن لا يؤذي أحداً بغير حق ولو كلباً أو خنزيراً ولا يظلم ولو بشق تمرة ولو وقع شيء من الأذى والجور يجب الاستحلال والإرضاء ورأينا كثيراً من الناس في هذا الزمان يطلقون ضراراً ويقعون في الإثم مراراً يخالعون على المال بعد الخصومات كأنهم غافلون عما بعد الممات، قال المولى الجامي:

هزار كونه خصومت كنى بخلق جهان
زبكه درهوس سيم وآرزوى زرى
تراست دوست زروسيم وخصم صاحب اوست
كه كيرى از كفش آنرا بظلم وحيله كرى
نه مقتضاى خرد باشد ونتيجه عقل
كه دوست را بكذارى وخصم را بيرى

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾.

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك﴾ [الإحلال: حلال كردن] وأصل الحل حل العقدة ومنه استعير قولهم حل الشيء حلالاً كما في «المفردات»، والمعنى بالفارسية: [بدرستى كه ما حلال كرده مايم براى تو] ﴿أزواجك﴾ نساءك ﴿اللاتي آتيت أجورهن﴾ الأجر يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد وهو ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً وهو هٰهنا كناية عن المهر أي: مهورهن لأن المهر أجر على البضع أي: المباشرة وإيتاؤها أما إعطاؤها

معجلة أو تسميتها في العقد وأياً ما كان فتقييد الإحلال له عليه السلام بالإيتاء ليس لتوقف الحل عليه ضرورة أنه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل أو المتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لإيتاء الأفضل له ﴿**وما ملكت يمينك**﴾ [وحلال ساخته ايم برتو آنچه مالك شده است دست راست تو يعنى مملوكات ترا] ﴿**مما أفاء الله عليك**﴾ [الإفاءة: مال كسى غنيمت دادن] وقيل للغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة فيء تشبيهاً بالفيء الذي هو الظل تنبيهاً على أن أشرف أعراض الدنيا يجري مجرى ظل زائل.

قال الفقهاء: كل ما يحل أخذه من أموال الكفار فهو فيء فالفيء اسم لكل فائدة تفيء إلى الأمير أي: تعود وترجع من أهل الحرب والشرك فالغنيمة هي ما نيل من أهل الشرك عنوة والحرب قائمة فيء والجزية فيء ومال أهل الصلح فيء والخراج فيء لأن ذلك كله مما أفاء الله على المسلمين من المشركين وحقيقة ﴿**أفاء الله عليك**﴾ فيئاً لك أي: غنيمة وتقييد حلال المملوكة بكونها مسبية لاختيار الأولى له عليه السلام فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها هكذا قالوا وهو لا يتناول مثل مارية القبطية ونحوها فإن مارية ليست سبية بل أهداها له عليه السلام سلطان مصر الملقب بالمقوقس.

وقد قال في «إنسان العيون»: إن سرارية عليه السلام أربع: مارية القبطية أم سيدنا إبراهيم رضي الله عنه وريحانة، وجارية وهبتها له عليه السلام زينب بنت جحش، وأخرى واسمها زليخا القرظية انتهى.

وكون ريحانة بنت يزيد من بني النضير سرية أضبط على ما قاله العراقي وزوجة أثبت عند أهل العلم على ما قاله الحافظ الدمياطي. وأما صفية بنت حيي الهارونية من غنائم خيبر. وجويرية بنت الحارث بن أبي صوار الخزاعية المصطلقية وإن كانتا من المسبيات لكنه عليه السلام أعتقهما فتزوجهما فهما من الأزواج لا من السرايا على ما بين في كتب السير فالوجه أن المعنى مما أفاء الله أي: أعاده عليك بمعنى صيره لك ورده لك بأي جهة كانت هدية أو سبية. واستفتى من المولى أبي السعود صاحب التفسير هل في تصرف الجواري المشتراة من الغزاة بلا نكاح نوع كراهية إذ في القسمة الشرعية بينهم شبهة فأفتى بأنه ليس في هذا الزمان قسمة شرعية وقع التنفيل الكلي في سنة تسعمائة وثمان وأربعين فإذا أعطى ما يقال له بالفارسية [پنج يك] لا يبقى شبهة والنفل ما ينفله الغازي أي: يعطاه زائداً على سهمه وهو أن يقول الإمام أو الأمير من قتل قتيلاً فله سلبه أو قال للسرية ما أصبتم فهو لكم أو ربعه أو خمسه وعلى الإمام الوفاء به.

﴿**وبنات عمك وبنات عماتك**﴾ البنت والابنة مؤنث ابن والعم أخ الأب والعمة أخته. والمعنى وأحللنا لك نساء قريش من أولاد عبد المطلب. وأعمامه عليه السلام اثنا عشر وهم: الحارث، وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة، وحمزة، والمقوم بفتح الواو وكسرها مشددة، وجحل بتقديم الجيم على الحاء واسمه المغيرة والجحل السقاء الضخم وقيل بتقديم الحاء المفتوحة على الجيم وهو في الأصل الخلخال، والعباس، وضرار، وأبو لهب، وقثم، والغيداق واسمه مصعب أو نوفل وسمي بالغيداق لكثرة جوده ولم يسلم من أعمامه الذين أدركوا البعثة إلا حمزة والعباس. وبنات أعمامه عليه السلام: ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب وكانت تحت المقداد، وأم الحكم بنت الزبير وكانت تحت النضر بن الحارث، وأم هانىء بنت أبي طالب واسمها فاختة، وجماعة بنت أبي طالب، وأم حبيبة، وآمنة، وصفية بنات العباس بن عبد

المطلب، وأروى بنت الحارث بن عبد المطلب. وعماته عليه السلام ست وهن: أم حكيم واسمها البيضاء، وعاتكة، وبرة، وأروى، وأميمة، وصفية ولم تسلم من عماته اللاتي أدركن البعثة من غير خلاف إلا صفية أم الزبير بن العوام أسلمت وهاجرت وماتت في خلافة عمر رضي الله عنه. واختلف في إسلام عاتكة وأروى ولم يتزوج رسول الله من بنات أعمامه دينا وأما بنات عماته دينا فكانت عنده منهن زينب بنت جحش بن رباب لأن أمها أميمة بنت عبد المطلب كما في «التكملة». ﴿**وبنات خالك وبنات خالاتك**﴾ الخال أخ الأم والخالة أختها والمراد نساء بني زهرة يعني أولاد عبد مناف بن زهرة لا إخوة أمه ولا أخواتها لأن آمنة بنت وهب أم رسول الله لم يكن لها أخ فإذا لم يكن له عليه السلام خال ولا خالة فالمراد بذلك الخال والخالة عشيرة أمه لأن بني زهرة يقولون: نحن أخوال النبي عليه السلام لأن أمه منهم ولهذا قال عليه السلام لسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه: «هذا خالي» وإنما أفرد العم والخال وجمع العمات والخالات في الآية وإن كان معنى الكل الجمع لأن لفظ العم والخالة وإن كان يعطي المفرد معنى الجنس استغني فيه عن لفظ الجمع تخفيفاً للفظ، ولفظ العمة والخالة وإن كان يعطي معنى الجنس ففيه الهاء وهي تؤذن بالتحديد والافراد فوجب الجمع لذلك ألا ترى أن المصدر إذا كان بغير هاء لم يجمع وإذا حدد بالهاء جمع هكذا ذكره الشيخ أبو علي رضي الله عنه كذا في التكملة ﴿**اللاتي هاجرن معك**﴾ صفة للبنات والمهاجرة في الأصل مفارقة الغير ومتاركته استعملت في الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان والمعنى خرجن معك من مكة إلى المدينة وفارقن أوطانهن والمراد بالمعية المتابعة له عليه السلام في المهاجرة سواء وقعت قبله أو بعده أو معه وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه للتنبيه على الأليق له عليه السلام فالهجرة وصفهن لا بطريق التعليل كقوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣] ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة وأن من هاجر معه منهن يحل له نكاحها ومن لم تهاجر لم تحل ويعضده قول أم هانىء بنت أبي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وهم الذين أسلموا بعد الفتح أطلقهم رسول الله حين أخذهم ولفائدة التقييد بالهجرة أعاد هنا ذكر بنات العم والعمات والخال والخالات وإن كن داخلات تحت عموم قوله تعالى عند ذكر المحرمات من النساء ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] وأول بعضهم الهجرة في هذه الآية على الإسلام أي: أسلمن معك فدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة ﴿**وامرأة مؤمنة**﴾ بالنصب عطف على مفعول أحللنا إذ ليس معناه إنشاء الإحلال الناجز بل إعلام مطلق الإحلال المنتظم لما سبق ولحق. والمعنى: وأحللنا لك أيضاً أي: أعلمناك حل امرأة مؤمنة أية امرأة كانت من النساء المؤمنات فإنه لا تحل له المشركة وإن وهبت نفسها. قال في «كشف الأسرار»: اختلفوا في أنه هل كان يحل للنبي عليه السلام نكاح اليهودية والنصرانية بالمهر فذهب جماعة إلى أنه كان لا يحل له ذلك لقوله: ﴿**وامرأة مؤمنة إن وهبت**﴾ تلك المرأة المؤمنة ﴿**نفسها للنبي**﴾ أي: لك والالتفات للإيذان بأن هذا الحكم مخصوص به لشرف نبوته. والهبة أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض والحرة لا تقبل الهبة ولا البيع ولا الشراء إذ ليست بمملوكة فمعناه إن ملكته بعضها بلا مهر بأي عبارة كانت من الهبة والصدقة والتمليك والبيع والشراء والنكاح والتزويج ومعنى الشرط إن اتفق ذلك أي: وجد اتفاقاً ﴿**إن أراد النبي أن**

يستنكحها﴾ شرط للشرط الأول في استيجاب الحل فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها فإنها جارية مجرى القبول والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه والمعنى أراد النبي أن يتملك بعضها كذلك أي: بلا مهر ابتداء وانتهاء **﴿خالصة لك﴾** مصدر كالكاذبة أي: خلص لك إحلال المرأة المؤمنة خالصة أي: خلوصاً أو حال من ضمير وهبت أي: حال كون تلك الواهبة خالصة لك **﴿من دون المؤمنين﴾** فإن الإحلال للمؤمنين إنما يتحقق بالمهر أو بمهر المثل إن لم يسم عند العقد ولا يتحقق بلا مهر أصلاً **﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾** أي: أوجبنا على المؤمنين **﴿في أزواجهم﴾** في حقهن **﴿و﴾** في حق **﴿ما ملكت أيمانهم﴾** من الأحكام **﴿لكي لا يكون عليك حرج﴾** متعلق بخالصة ولام كي دخلت على كي للتوكيد أي: لئلا يكون عليك ضيق في أمر النكاح فقوله قد علمنا الخ اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج وبين متعلقه وهو خالصة لك من دون المؤمنين مقرر لما قبله من خلوص الإحلال المذكور لرسول الله وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان أنه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه ﷺ تكرمة له وتوسعة عليه أي: قد علمنا ما ينبغي أن يفرض عليهم في حق أزواجهم ومملوكاتهم وعلى أي: حد وعلى أي: صفة يحق أن يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص كالنكاح بلا مهر وولي وشهود ونحوها وفسروا المفروض في حق الأزواج بالمهر والولي والشهود والنفقة ووجوب القسم والاقتصار على الحرائر الأربع وفي حق المملوكات بكونهن ملكاً طيباً بأن تكون من أهل الحرب لا ملكاً خبيثاً بأن تكون من أهل العهد وفي الحديث: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» أي: احفظوا الصلوات الخمس والمماليك بحسن القيام بما يحتاجون إليه من الطعام والكسوة وغيرها وبغير تكليف ما لا يطيقون من العمل وترك التعذيب قرنه عليه السلام بأمر الصلاة إشارة إلى أن حقوق المماليك واجبة على السادات وجوب الصلوات.

جوانمرد وخوشخوى وبخشنده باش	چو حق برتو پاشد تو بر خلق پاش
حق بنده هركز فرامش مكن	بدستت اكر نوشد وكركهن
چو خشم آيدت بركناه كسى	تأمل كنش در عقوبت بسى
كه سهلست لعل بدخشان شكست	شكسته نشايد دكرباره بست

﴿وكان الله غفوراً﴾ أي: فيما يعسر التحرز عنه **﴿رحيماً﴾** منعماً على عباده بالتوسعة في مظانّ الحرج ونحوه. واختلف في أنه هل كان عنده عليه السلام امرأة وهبت نفسها منه أولاً. فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما كانت عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين وقال آخرون بل كان عنده موهوبة نفسها. واختلفوا فيها فقال قتادة: هي ميمونة بنت الحارث الهلالية خالة عبد الله بن عباس رضي الله عنه حين خطبها النبي عليه السلام فجاءها الخاطب وهي على بعيرها فقالت البعير: وما عليه لرسول الله وقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الأنصارية.

يقول الفقير: ذهب الأكثر إلى تلقيبها بأم المساكين والملقبة به ليست زينب هذه في المشهور وإن كانت تدعى به في الجاهلية بل زينب بنت جحش التي كانت تعمل بيدها وتتصدق على الفقراء والمساكين فسميت به لسخاوتها ويدل عليه قوله عليه السلام خطاباً لأزواجه «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً» أي: أول من يموت منكن بعد موتي من كانت أسخى وهي زينب بنت جحش بالاتفاق ماتت في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه كما سبق. وأما زينب بنت

خزيمة فإنها ماتت في حياته عليه السلام كما قال الكاشفي: [اكر واهبه‌ء زينب بوده باشدكه اشهرست وواقع است در رمضان المبارك سال سوم ازهجرت وهشت ماه درحرم محترم آن حضرت بود ودر ربيع الآخر درسال چهارم وفات كرد]. وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك كزبير بنت جابر من بني أسد واسمها غزية فالأكثرون على أنه لم يقبلها وقيل بل قبلها ثم طلقها قبل أن يدخل بها. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن للإسلام وترغبهن فيه حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك ما فعلنا ولكنا نسيرك إليهم قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثاً لا يطعمونني ولا يسقونني وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوقفوني في الشمس واستظلوا فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوقفوني في الشمس إذا أنا بأبرد شيء على صدري فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع مني ورفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد مراراً ثم رفع مراراً فشربت منه حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء على ثيابي فقالوا: انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه فقلت: لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا فقالوا: إن كنت صادقة لدينك خير من ديننا فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك وأقبلت إلى النبي عليه السلام فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها. وفي ذلك أن من صدق في حسن الاعتماد على الله وقطع طمعه عما سواه جاءته الفتوحات من الغيب.

هركه باشد اعتمادش بر خدا آمد از غيب خدايش صد غذا

وقال عروة بن الزبير: هي أي: الواهبة نفسها خولة بنت حكيم من بني سليم وكانت من المهاجرات الأول فأرجأها فتزوجها عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت عائشة رضي الله عنها: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله فدل أنهن كن غير واحدة. وجملة من خطبه عليه السلام من النساء ثلاثون امرأة منهن من لم يعقد عليه وهذا القسم منه من دخل به ومنه من لم يدخل به ومنهن من عقد عليه وهذا القسم أيضاً منه من دخل به ومنه من لم يدخل به. وفي لفظ جملة من دخل عليه ثلاث وعشرون امرأة والذي دخل به منهن اثنتا عشرة. وقال أبو الليث في «البستان» جميع ما تزوج من النساء أربع عشرة نسوة: خديجة ثم سودة ثم عائشة ثم حفصة ثم أم سلمة ثم أم حبيبة ثم جويرية ثم صفية ثم زينب ثم ميمونة ثم زينب ثم بنت خزيمة ثم امرأة من بني هلال وهي التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام ثم امرأة من كندة وهي التي استعاذت منه فطلقها ثم امرأة من بني كليب. قال في «إنسان العيون»: لا يخفى أن أزواجه عليه السلام المدخول بهن اثنتا عشرة امرأة: خديجة ثم سودة ثم عائشة ثم حفصة ثم زينب بنت خزيمة ثم أم سلمة ثم زينب بنت جحش ثم جويرية ثم ريحانة ثم أم حبيبة ثم صفية ثم ميمونة على هذا الترتيب في التزوج. ومن جملة التي لم يدخل بهن عليه السلام التي ماتت من الفرح لما علمت أنه عليه السلام تزوج بها غراء أخت دحية الكلبي. ومن جملتهن سودة القريشية التي خطبها عليه السلام فاعتذرت ببنيها وكانوا خمسة أو ستة فقال لها خيراً. ومن جملتهن التي تعوذت منه عليه السلام وهي أسماء بنت معاذ الكندية قلن لها: إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله منه فلما دخل عليها رسول الله قالت: أعوذ بالله منك ظننت

أن هذا القول كان من الأدب فقال عليه السلام: «عذت بمعاذ عظيم الحقي بأهلك» ومتعها ثلاثة أثواب. ومن جملتهن التي اختارت الدنيا حين نزلت آية التخيير وهي فاطمة بنت الضحك وكانت تقول: أنا الشقية اخترت الدنيا. ومن جملتهن قتيلة على صيغة التصغير زوجه إياها أخوها وهي بحضرموت ومات عليه السلام قبل قدومها عليه وأوصى بأن تخير فإن شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين وإن شاءت الفراق فتنكح من شاءت فاختارت الفراق فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت. وفي الحديث: «ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحي» جاءني جبريل عليه السلام من ربي عز وجل.

﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾

﴿ترجي من تشاء منهن﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وأبو جعفر ترجي بياء ساكنة والباقون ترجىء بهمزة مضمونة. والمعنى واحد إذ الياء بدل من الهمزة وذكر في «القاموس» في الهمزة أرجأ الأمر أخره وترك الهمزة لغة وفي الناقص الإرجاء التأخير وهو بالفارسية: [واپس افكندن]. قال في «كشف الأسرار»: الإرجاء تأخير المرأة من غير طلاق والمعنى تؤخر يا محمد من تشاء من أزواجك وتترك مضاجعتها من غير نظر إلى نوبة وقسم وعدل **﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾** يقال أوى إلى كذا أي: انضم وآواه غيره إيواء أي: وتضمها إليك وتضاجعها من غير التفات إلى نوبة وقسمة أيضاً فالاختيار بيديك في الصحبة بمن شئت ولو أياماً زائدة على النوبة وكذا في تركها أو تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت كما في «بحر العلوم» **﴿ومن ابتغيت﴾** أي: وتؤوي إليك أيضاً من ابتغيتها وطلبتها **﴿ممن عزلت﴾** أي: طلقتها بالرجعة. والعزل الترك والتبعيد **﴿فلا جناح﴾** لا إثم ولا لوم ولا عتاب ولا ضيق. **﴿عليك﴾** في شيء مما ذكر من الأمور الثلاثة كما في «كشف الأسرار» [درين هرسه برتوتنكى نيست]. وقال في «الكواشي»: من مبتدأ بمعنى الذي أو شرط نصب بقوله ابتغيت وخبر المبتدأ وجواب الشرط على التقديرين فلا جناح عليك وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض وهو إما أن يطلق وإما أن يمسك وإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق فإما أن لا يبتغي المعزولة أو يبتغيها. والجمهور على أن الآية نزلت في القسم بينهن فإن التسوية في القسم كانت واجبة عليه فلما نزلت سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن وكان ذلك من خصائصه عليه السلام.

ـ ويروى ـ أن أزواجه عليه السلام لما طلبن زيادة النفقة ولباس الزينة هجرهن شهراً حتى نزلت آية التخيير فأشفقن أن يطلقهن وقلن يا نبي الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت ودعنا على حالنا فأرجأ خمساً: أم حبيبة، وميمونة، وسودة، وصفية، وجويرية، فكان يقسم لهن ما شاء وآوى إليه أربع: عائشة، وحفصة، وزينب، وأم سلمة، فكان يقسم بينهن سواء. ويروى أنه عليه السلام لم يخرج أحداً منهن عن القسم بل كان يسوي بينهن مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة فإنها رضيت بترك حقها من القسم ووهبت ليلتها لعائشة وقالت: لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك **﴿ذلك﴾** أي: ما ذكر من تفويض الأمر إلى مشيئتك **﴿أدنى أن تقر**

أعينهن﴾ [نزديكتراست بآنكه روشن شود چشمهاى ايشان] فأصله من القر بالضم وهو البرد وللسرور دمعة قارة أي: باردة وللحزن دمعة حارة أو من القرار أي: تسكن أعينهن ولا تطمح إلى ما عاملتهن به. قال في «القاموس»: قرت عينه تقر بالكسر والفتح قرة وتضم وقروراً بردت وانقطع بكاؤها أو رأيت ما كانت متشوفة إليه وقر بالمكان يقر بالكسر والفتح قراراً ثبت وسكن كاستقر ﴿ولا يحزن﴾ [واندو هناك نشوند] ﴿ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾ [وخوشنود باشند بآنچه دهى ايشانرا يعنى چون همه دانستندكه آنچه توميكنى از ارجاء وايواء وتقريب وتبعيد بفرمان خداست ملول نميشوند] قوله كلهن بالرفع تأكيد لفاعل يرضين وهو النون أي: أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لأنه حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضيلاً منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن ويذهب التنافس والتغاير فرضين بذلك فاخترنه على الشرط ولذا قصره الله عليهن وحرم عليه طلاقهن والتزوج بسواهن وجعلهن أمهات المؤمنين كما في «تفسير الجلالين» ﴿والله﴾ وحده ﴿يعلم ما في قلوبكم﴾ من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في إحسانها ﴿وكان الله عليماً﴾ مبالغاً في العلم فيعلم ما تبدونه وما تخفونه ﴿حليماً﴾ لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فإنه إمهال لا إهمال.

نـه كـردن كـشـانـرا بـكـيـرد بـفـور نـه عـذر آورانـرا بـرانـد بـجـور
وكـر خـشـم كـيـرد بـكـردار زشـت چـو بـاز آمـدى مـا جـرا در نـوشـت
مـكـن يـك نـفـس كـار بـد اى بـسـر چـه دانـى چـه آيـد بـآخـر يـسـر

وفي «التأويلات النجمية»: لما انسلخت نفسه عليه السلام عن صفاتها بالكلية لم يبق له أن يقول يوم القيامة نفسي نفسي ومن هنا قال: «أسلم شيطاني على يدي» فلما اتصفت نفسه بصفات القلب وزال عنها الهوى حتى لا ينطق بالهوى اتصفت دنياه بصفات الآخرة فحل له في الدنيا ما يحل لغيره في الآخرة لأنه نزع من صدره في الدنيا غل ينزع من صدره غيره في الآخرة كما قال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال في حقه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١] يعني نزع الغل منه فقال الله تعالى له في الدنيا ﴿ترجي من تشاء﴾ الخ أي: على من تتعلق به إرادتك ويقع عليه اختيارك فلا حرج عليك ولا جناح كما يقول لأهل الجنة ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] ﴿وكان الله عليماً﴾ في الأزل بتأسيس بنيان وجودك على قاعدة محبوبيتك ومحبيتك ﴿حليماً﴾ فيما صدر منك فيحلم عنك ما لم يحلم عن غيرك انتهى. قيل إنما لم يقع ظله عليه السلام على الأرض لأنه نور محض وليس للنور ظل. وفيه إشارة إلى أنه أفنى الوجود الكونيّ الظليّ وهو متجسد في صورة البشر ليس له ظلمة المعصية وهو مغفور عن أصل. قال بعض الكبار: ليس في مقدور البشر مراقبة الله في السر والعلن مع الأنفاس فإن ذلك من خصائص الملأ الأعلى. وأما رسول الله عليه السلام فكان له هذه المرتبة فلم يوجد إلا في واجب أو مندوب أو مباح فهو ذاكر الله على أحيانه. وما نقل من سهوه عليه السلام في بعض الأمور فهو ليس كسهو سائر الخلق الناشىء عن رعونة الطبع وغفلته حاشاه عن ذلك بل سهوه تشريع لأمته ليقتدوا به فيه كالسهو في عدد الركعات حيث إنه عليه السلام «صلى الظهر ركعتين ثم سلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: صليت ركعتين فقام وأضاف إليهما ركعتين» وبعض سهوه عليه السلام ناشىء عن الاستغراق

والانجذاب ولذلك كان يقول: «كلميني يا حميراء». والحاصل أن حاله عليه السلام ليس كأحوال أفراد أمته ولذا عامل الله تعالى به ما لم يعامل بغيره إذ هو يعلم ما في القلوب والصدور ويحيط بأطراف الأمور نسأل منه التوفيق لرضاه والوسيلة لعطاه وهو المفيض على كل نبي وولي والمرشد في كل أمر خفي وجلي.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾.

﴿لا يحل لك النساء﴾ بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وإذا جاز التذكير بغيره في قوله وقال نسوة، كان معه أجوز. والنساء والنسوان والنسوة بالكسر جموع المرأة من غير لفظها أي: لا تحل واحدة من النساء مسلمة أو كتابية لما تقرر أن حرف التعريف إذا دخل على الجمع يبطل الجمعية ويراد الجنس وهو كالنكرة يخص في الإثبات ويعم في النفي كما إذا حلف لا يتزوج النساء ولا يكلم الناس أو لا يشتري العبيد فإنه يحنث بالواحد لأن اسم الجنس حقيقة فيه **﴿من بعد﴾** أي: من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن بين الدنيا والآخرة فاخترنك لأنه نصابك من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمتك منهن أو من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى. وإنما حرّم على أمته الزيادة على الأربع بخلافه فإنه عليه السلام في بذرقة النبوة وعصمة الرسالة قد يقدر على أشياء لا يقدر عليها غيره وقد افترض الله عليه أشياء لم يفترضها على أمته لهذا المعنى وهي قيام الليل وإنه إذا عمل نافلة يجب المواظبة عليها وغير ذلك. وسرّ الاقتصار على الأربع أن المراتب أربع: مرتبة المعنى، ومرتبة الروح، ومرتبة المثال، ومرتبة الحس ولما كان الوجود الحاصل للإنسان إنما حصل له بالاجتماع الحاصل من مجموع الأسماء الغيبية والحقائق العلمية والأرواح النورية والصور المثالية والصور العلوية والسفلية والتوليدية شرع له نكاح الأربع وتمامه في كتب التصوف **﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾** تبدل بحذف أحد التاءين والأصل تتبدل وبدل الشيء الخلف منه وتبدله به وأبدله منه وبدله اتخذه بدلاً كما في «القاموس». قال الراغب: التبدل والإبدال والتبديل والاستبدال جعل الشيء مكان آخر وهو أعم من العوض فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت ببدله انتهى. وقوله: **﴿من أزواج﴾** مفعول تبدل ومن مزيدة لتأكيد النفي تفيد استغراق جنس الأزواج بالتحريم. والمعنى لا يحل لك أن تتبدل بهؤلاء التسع أزواجاً أخر بكلهن أو بعضهن بأن تطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى، وبالفارسية: [وحلال نيست ترا آنكه بدل كنى بديشان اززنان ديكر يعني يكى را ازايشان طلاق دهى وبجاى او ديكرى رانكاح كنى] أراد الله لهنّ كرامة وجزاء على ما اخترن رسول الله والدار الآخرة لا الدنيا وزينتها ورضين بمراده فقصر رسوله عليهن ونهاه عن تطليقهن والاستبدال بهن **﴿ولو أعجبك حسنهن﴾** الواو عاطفة لمدخولها على حال محذوفة قبلها ولو في أمثال هذا الموقع لا يلاحظ لها جواب، والإعجاب [شكفتى نمودن وخوش آمدن].

قال الراغب: العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء وقد يستعار للروق فيقال: أعجبني كذا أي: راقني والحسن كون الشيء ملائماً للطبع وأكثر ما يقال الحسن بفتحتين في تعارف العامة في المستحسن بالبصر. والمعنى ولا يحل لك أن تستبدل

بهن حال كونك لو لم يعجبك حسن الأزواج المستبدلة وجمالهن ولو أعجبك حسنهن أي: حال عدم إعجاب حسنهن إياك وحال إعجابه أي: على كل حال ولو في هذه الحالة فإن المراد استقصاء الأحوال، وبالفارسية: [بشكفت آردترا خوبى ايشان]. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد أراد رسول الله أن يخطبها فنهاه الله عن ذلك فتركها فتزوجها أبو بكر بإذن رسول الله فهي ممن أعجبه حسنهن. وفي «التكملة» قيل: يريد حبابة أخت الأشعث بن قيس انتهى وفي الحديث «شارطت ربي أن لا أتزوج إلا من تكون معي في الجنة» فأسماء أو حبابة لم تكن أهلاً لرسول الله في الدنيا ولم تستأهل أن تكون معه في مقامه في الجنة فلذا صرفها الله عنه فإنه تعالى لا ينظر إلى الصورة بل إلى المعنى.

چون ترا دل اسير معنى بود ... عشق معنى ز صورت اولى بود
حسن معنى نمى شود سپرى ... عشق آن باشد از زوال برى
اهل عالم همه درين كارند ... بحجاب صور كرفتارند

وفي الحديث: «من نكح امرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها» ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء، يعني: [حلال نيست بر تو زنان پس ازين نه تن كه دارى مكر آنچه مالك آن شود دست تو يعني بتصرف تودرآيد وملك توكردد] فإنه حل له أن يتسرى بهن. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ملك من هؤلاء التسع مارية القبطية أم سيدنا ابراهيم رضي الله تعالى عنه. وقال مجاهد: معنى الآية لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية إلا ما ملكت يمينك أحل الله له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ يقال رقبته حفظته والرقيب الحافظ وذلك إما لمراعاة رقبة المحفوظ وإما لرفعه رقبته. والرقيب هو الذي لا يغفل ولا يذهل ولا يجوز عليه ذلك فلا يحتاج إلى مذكر ولا منبه كما في «شرح الأسماء» للزورقي أي: حافظاً مهيمناً فتحفظوا ما أمركم به ولا تتخطوا ما حد لكم.

وفي الآية الكريمة أمور:

منها: أن الجمهور على أنها محكمة وأن رسول الله عليه السلام مات على التحريم.

ومنها: أن الله لما وسع عليه الأمر في باب النكاح حظيت نفسه بشرب من مشاربها موجب لانحراف مزاجها كمن أكل طعاماً حلواً حاراً صفراوياً فيحتاج إلى غذاء حامض بارد دافع للصفراء حفظاً للصحة فالله تعالى من كمال عنايته في حق حبيبه غذاه بحامض ﴿لا يحل لك النساء﴾ الآية لاعتدال المزاج القلبي والنفسي فهو من باب تربية نفس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

ومنها: أنه تعالى لما ضيق الأمر على الأزواج المطهرة في باب الصبر بما أحل للنبي عليه السلام ووسع أمر النكاح عليه وخيره في الأرجاء والإيواء إليه كان أحمض شيء في مذاقهن وأبرد شيء لمزاج قلوبهن فغذاهن بحلاوة ﴿لا يحل لك النساء﴾ وسكن بها برودة مزاجهن حفظاً لسلامة قلوبهن وجبراً لانكسارها فهو من باب تربية نفوسهن.

ومنها: أن فيها ما يتعلق بمواعظ نفوس رجال الأمة ونسائها ليتعظوا بأحوال النبي عليه السلام وأحوال نسائه ويعتبروا بها **﴿وكان الله على كل شيء﴾** من أحوال النبي عليه السلام وأحوال أزواجه وأحوال أمته **﴿رقيباً﴾** يراقب مصالحهم.

ومنها: أن المراد بهؤلاء التسع عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وصفية وميمونة وزينب وجويرية. أما عائشة رضي الله عنها فهي بنت أبي بكر رضي الله عنه تزوجها عليه السلام بمكة في شوال وهي بنت سبع وبنى بها في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة وهي بنت تسع وقبض عليه السلام عنها وهي بنت ثماني عشرة ورأسه في حجرها ودفن في بيتها وماتت وقد فارقت سبعاً وستين سنة في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة بالبقيع ودفنت به ليلاً وذلك في زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة من خلافة معاوية وكان مروان استخلف على المدينة أبا هريرة رضي الله عنه لما ذهب إلى العمرة في تلك السنة.

وأما حفصة رضي الله عنها فهي بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمها زينب أخت عثمان بن مظعون أخوه عليه السلام من الرضاعة تزوجها عليه السلام في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة قبل أحد بشهرين وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبني البيت وبلغت ثلاثاً وستين وماتت بالمدينة في شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذٍ وحمل سريرها وحمله أيضاً أبو هريرة رضي الله عنه.

وأما أم حبيبة رضي الله عنها واسمها رملة فهي بنت أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية وتنصر عبيد الله هناك وثبتت هي على الإسلام وبعث رسول عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة فزوجه عليه السلام إياها وأصدقها النجاشي عن رسول الله أربعمائة دينار وجهزها من عنده وأرسلها في سنة سبع.

وأما سودة رضي الله عنها فهي بنت زمعة العامرية وأمها من بني النجار لأنها بنت أخي سلمى بن عبد المطلب.

وأما أم سلمة واسمها هند فهي بنت أبي أمية المخزومية تزوجها عليه السلام ومعها أربع بنات ماتت في ولاية يزيد بن معاوية وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه.

وأما صفية رضي الله عنها فهي بنت حيي سيد بني النضير من أولاد هارون عليه السلام قتل حيي مع بني قريظة واصطفاها عليه السلام لنفسه فأعتقها فتزوجها وجعل عتقها صداقها وكانت رأت في المنام أن القمر وقع في حجرها فتزوجها عليه السلام وكان عمرها لم يبلغ سبع عشرة ماتت في رمضان سنة خمس وخمسين ودفنت بالبقيع.

وأما ميمونة رضي الله عنها فهي بنت الحارث الهلالية تزوجها عليه السلام وهو محرم في عمرة القضاء سنة سبع وبعد الإحلال بنى بها بسرف ماتت سنة إحدى وخمسين وبلغت ثمانين سنة ودفنت بسرف الذي هو محل الدخول بها وهو ككتف موضع قرب التنعيم.

وأما زينب رضي الله عنها فهي بنت جحش بن رباب الأسدية وقد سبقت قصتها في هذه السورة.

وأما جويرية فهي بنت الحارث الخزاعية سبيت في غزوة المصطلق وكانت بنت عشرين سنة ووقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع آواق فأدى عليه السلام عنها ذلك وتزوجها وقيل إنها كانت بملك اليمين فأعتقها عليه السلام وتزوجها توفيت بالمدينة سنة ست وخمسين وقد بلغت سبعين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم وهو والي المدينة يومئذٍ.
وهؤلاء التسع مات عنهن ﷺ وقد نظمهن بعضهم فقال:

توفي رسول الله عن تسع نسوة إليهن تعزي المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست ذكرهن ليعذب

ومنها: أن الآية دلت على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء وعن أبي هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي عليه السلام: «أنظر إليها فإن في أعين نساء الأنصار شيئاً» قال الحميدي: يعني الصغر وذلك أن النظر إلى المخطوبة قبل النكاح داع للإلفة والإنس وأمر النبي عليه السلام أم سلمة خالته من الرضاعة حين خطب امرأة أن تشَم هي عوارضها أي: أطراف عارضي تلك المرأة لتعرف أن رائحتها طيبة أو كريهة وعارضاً الإنسان صفحتا خدّيه. وبالأعذار يجوز النظر إلى جميع الأعضاء حتى العورة الغليظة وهي تسعة:

الأول: تحمل الشهادة كما في الزنى يعني أن الرجل إذا زنى بامرأة يجوز النظر إلى فرجهما ليشهد بأنه رآه كالميل في المكحلة.

والثاني: أداء الشهادة فإن أداء الشهادة بدون رؤية الوجه لا يصح.

والثالث: حكم القاضي.

والرابع: الولادة للقابلة.

والخامس: البكارة في العنة والرد بالعيب.

والسادس، والسابع: الختان والخفض فالختان للولد سنة مؤكدة والخفض للنساء وهو مستحب وذلك أن فوق ثقبة البول شيئاً هو موضع ختانها فإن هناك جلدة رقيقة قائمة مثل عرف الديك وقطع هذه الجلدة هو ختانها وفي الحديث: «الختان سنة للرجال مكرمة للنساء ويزيد لذتها ويجف رطوبتها».

والثامن: إرادة الشراء.

والتاسع: إرادة النكاح ففي هذه الأعذار يجوز النظر وإن كان بالشهوة لكن ينبغي أن لا يقصدها فإن خطب الرجل امرأة أبيح له النظر إليها بالاتفاق فعند أحمد ينظر إلى ما يظهر غالباً كوجه ورقبة ويد وقدم وعند الثلاثة لا ينظر غير الوجه والكفين كما في «فتح الرحمٰن».

ومنها أن من علم أنه تعالى هو الرقيب على كل شيء راقبه في كل شيء ولم يلتفت إلى غيره. قال الكاشفي: [وكسى كه ازسر رقيبى حق آكاه كردد اورا ازمراقبه چاره نيست]:

چو دانستي كه حق دانا وبيناست نهان واشكار خويش كن راست

والتقرب بهذا الاسم تعلقاً من جهة مراقبته تعالى والاكتفاء بعلمه بأن يعلم أن الله رقيبه وشاهده في كل حال ويعلم أن نفسه عدو له وأن الشيطان عدو له وأنهما ينتهزان الفرص حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة فيأخذ منها حذره بأن يلاحظ مكانها وتلبيسها ومواضع انبعاثها حتى يسد عليها المنافذ والمجاري ومن جهة التخلق أن يكون رقيباً على نفسه كما ذكر وعلى

من أمره الله بمراقبته من أهل وغيره. وخاصية هذا الاسم جمع الضوال والحفظ في الأهل والمال فصاحب الضالة يكثر من قراءته فتنجمع عليه ويقرأه من خاف على الجنين في بطن أمه سبع مرات وكذلك لو أراد سفراً يضع يده على رقبة من يخاف عليه المنكر من أهل وولد يقوله سبعاً فإنه يأمن عليه إن شاء الله ذكره أبو العباس الفاسي في «شرح الأسماء الحسنى» نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا في الليل والنهار والسر والجهار ويجعلنا من أهل المراقبة إلى أن تخلو منا هذه الدار.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ [آورده اندكه چون حضرت پيغمبر عليه السلام زينب را رضي الله عنها بحكم رباني قبول فرموده وليمه ترتيب نمود ومردم را طلبيده دعوتي مستوفى داد وچون طعام خورده شد بسخن مشغول كشتند وزينب دركوشهء خانه روى بديوار نشسته بود حضرت عليه السلام ميخواست كه مردمان بروند آخر خود از مجلس برخاست وبرفت صحابه نيز برفتند وسه كس مانده همچنان سخن ميكفتند حضرت بدرخانه آمد وشرم ميداشت كه ايشانرا عذر خواهد وبعد ازانتظار بسياركه خلوت شدآيت حجاب نازل شد].

ـ وروي ـ أن ناساً من المؤمنين كانوا ينتظرون وقت طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون إلى حين إدراكه ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله يتأذى من ذلك فقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾** حجراته في حال من الأحوال **﴿إلا أن يؤذن لكم﴾** إلا حال كونكم مأذوناً لكم ومدعواً **﴿إلى طعام﴾** [پس آن هنكام در آييد] وهو متعلق بيؤذن لأنه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وإن أذن به كما أشعر به قوله: **﴿غير ناظرين إناه﴾** حال من فاعل لا تدخلوا على أن الاستثناء وقع على الظرف والحال كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي إلا حال الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين إناه أي: غير منتظرين وقت الطعام أو إدراكه وهو بالقصر والكسر مصدر أنى الطعام إذا أدرك. قال في «المفردات»: الأنا إذا كسر أوله قصر وإذا فتح مد وأنى الشيء يأنى قرب أناه ومثله آن يئين أي: حان يحين. وفيه إشارة إلى حفظ الأدب في الاستئذان ومراعاة الوقت وإيجاب الاحترام **﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا﴾** استدراك من النهي عن الدخول بغير إذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى الطعام هو الدعوة إليه أي: إذا أذن لكم في الدخول ودعيتم إلى الطعام فادخلوا بيوته على وجوب الأدب وحفظ أحكام تلك الحضرة **﴿فإذا طعمتم﴾** الطعام وتناولتم فإن الطعم تناول الغذاء، وبالفارسية [پس چون طعام خورديد] **﴿فانتشروا﴾** فتفرقوا ولا تمكثوا، وبالفارسية: [پس پرا كنده شويد از خانهاى او] هذه الآية مخصوصة بالداخلين لأجل الطعام بلا إذن وأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لأمر مهم **﴿ولا مستأنسين﴾** [الاستئناس: أنس كرفتن] وهو ضد الوحشة والنفور **﴿لحديث﴾**

الحديث يستعمل في قليل الكلام وكثيره لأنه يحدث شيئاً فشيئاً وهو عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أي: ولا تدخلوا طالبين الأنس لحديث بعضهم أو لحديث أهل البيت بالتسمع، وبالفارسية: [ومنشينيد آرام كرفتكان براى سخن بيكديكر].

وفي «التأويلات النجمية»: إذا انتهت حوائجكم فأخرجوا ولا تتغافلوا ولا يمنعكم حسن خلقه من حسن الأدب ولا يحملنكم فرط احتشامه على الإبرام عليه وكأن حسن خلقه جسرهم على المباسطة معه حتى أنزل الله هذه الآية. ﴿**إن ذلكم**﴾ أي: الاستئناس بعد الأكل الدال على اللبث ﴿**كان يؤذي النبي**﴾ [مى رنجاند وآزرده كند پيغمبررا] لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله فيما لا يعنيه. والأذى ما يصل إلى الإنسان من ضرر إما في نفسه أو في جسمه أو فتياته دنيوياً كان أو أخروياً ﴿**فيستحيي منكم**﴾ محمول على حذف المضاف أي: من إخراجكم بدليل قوله: ﴿**والله لا يستحيي من الحق**﴾ فإنه يستدعي أن يكون المستحيي منه أمراً حقاً متعلقاً بهم لأنفسهم وما ذلك إلا إخراجهم. يعني أن إخراجكم حق فينبغي أن لا يترك حياء ولذلك لم يتركه الله ترك الحي وأمركم بالخروج والتعبير عن عدم الترك بعدم الاستحياء للمشاكلة وكان عليه السلام أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء وهو التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته. والحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيراً من فعله. قال الراغب: الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركه لذلك.

ـ روي ـ أن الله تعالى يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه فليس يراد به انقباض النفس إذ هو تعالى منزه عن الوصف بذلك وإنما المراد به ترك تعذيبه وعلى هذا ما روي أن الله تعالى حيي أي: تارك للمقابح فاعل للمحاسن. ثم في الآية تأديب للثقلاء. قال الأحنف: نزل قوله تعالى: ﴿**فإذا طعمتم فانتشروا**﴾ في حق الثقلاء فينبغي للضيف أن لا يجعل نفسه ثقيلاً بل يخفف الجلوس وكذا حال العائد فإن عيادة المرضى لحظة قيل للأعمش ما الذي أعمش عينيك قال: النظر إلى الثقلاء قيل:

إذا دخل الثقيل بأرض قوم فما للساكنين سوى الرحيل

وقيل: مجالسة الثقيل حمى الروح. وقيل لأنوشروان: ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل ولا يحمل مجالسة الثقيل قال: يحمل الحمل بجميع الأعضاء والثقيل تنفرد به الروح. قيل: من حق العاقل الداخل على الكرام قلة الكلام وسرعة القيام. ومن علامة الأحمق الجلوس فوق القدر والمجيء في غير الوقت. وقد قالوا: إذا أتى باب أخيه المسلم يستأذن ثلاثاً ويقول في كل مرة السلام عليكم يا أهل البيت ثم يقول: أيدخل فلان ويمكث بعد كل مرة مقدار ما يفرغ الآكل من أكله ومقدار ما يفرغ المتوضيء من وضوئه والمصلي بأربع ركعات من صلاته فإن أذن دخل وخفف وإلا رجع سالماً عن الحقد والعداوة. ولا يجب الاستئذان على من أرسل إليه صاحب البيت رسولاً فأتى بدعوته. قال في «كشف الأسرار» [أدب نهايت قال است وبدايت حال حق جل جلاله أول مصطفى را عليه السلام بأدب بيارست پس بخلق فرستاد، كما قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». عام را هرعضوى از اعضاى ظاهر أدبي بايد والا هالكند. وخاص را هر عضوى از اعضاى باطن أدبي بايد والا هالكند. وخاص الخاص درهمه اوقات ادب بايد قال المولى الجامي]:

أدبوا النفس أيها الأحباب طرق العشق كلها آداب

مـــايــهٔ دولــت ابــد ادبــــســـت   بــايــه رفــعــت خــرد ادبــســت
چــيــســـت آن داد بــنــدكــى دادن   بــر حـــدود خـــداى ايـــســـتـــادن
قــول وفــعــل از شــنــيــدن وديــدن   بـــمـــوازيـــن شــرح ســنــجــيــدن
بــاحــق وخــلــق وشــيــخ ويــار ورفــيــق   ره ســپــردن بــمــقــتــضــاى طــريــق
حـــركـــات جـــوارح واعـــضـــا   راســت كــردن بــحــكــم ديــن هــدا
خـــطـــرات وخـــواطـــر واوهـــام   پــاك كــردن ز شــوب نــفــس تــمــام
ديــن وإســلام در ادب طــلــبــيــســت   كــفــر وطــغــيــان زشــوم بــى ادبيــسـت

ومن الله التوفيق للآداب الحسنة والأفعال المستحسنة **﴿وإذا سألتموهن متاعاً﴾** الماعون وغيره **﴿فاسألوهن﴾** أي: المتاع **﴿من وراء حجاب﴾** من خلف ستر، وبالفارسية: [ازپس پرده] ويقال خارج الباب **﴿ذلكم﴾** أي: سؤال المتاع من وراء الحجاب **﴿أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾** أي: أكثر تطهيراً من الخواطر النفسانية والخيالات الشيطانية فإن كل واحد من الرجل والمرأة إذا لم ير الآخر لم يقع في قلبه شيء. قال في «كشف الأسرار»: نقلهم عن مألوف العادة إلى معروف الشريعة ومفروض العبادة وبين أن البشر بشر وإن كانوا من الصحابة وأزواج النبي عليه السلام فلا يأمن أحد على نفسه من الرجال والنساء ولهذا شدد الأمر في الشريعة بأن لا يخلو رجل بامرأة ليس بينهما محرمية كما قال عليه السلام: «لا يخلوّن رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان». وكان عمر رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه وكان يقول: لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت.

ـ وروي ـ أنه مرَّ عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال: احتجبن فإن لَكُنَّ على النساء فضلاً كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب: إنك يا ابن الخطاب لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، يعني: [اكر مراد الله بود خود فرمايد وحاجت بغيرت تو نباشد تادرين حديث بودند بروفق قول عمر رضي الله عنه آيت حجاب فرود آمد **﴿وإذا سألتموهن﴾**] الخ.

وعن عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي عليه السلام كن يخرجن الليل لحاجتهن وكان عمر يقول للنبي: احجب نساءك فلم يكن يفعل فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي عشياً وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن تنزل آية الحجاب فأنزلها الله تعالى وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال [وبعد از نزولش حكم شد تاهمه زنان پرده فرو كذا شتند] ولم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله متنقبة كانت أو غير متنقبة، يعني: [بعد از نزول آيت حجاب هيچ كس را روا نبود كه درزنى از زنان رسول نكر ستندا كر در نقاب بودى يابى نقاب] واستدل بعض العلماء بأخذ الناس عن أزواج النبي عليه السلام من وراء الحجاب على جواز شهادة الأعمى إذا تيقن الصوت وهو مذهب مالك وأحمد ولم يجزها أبو حنيفة سواء كانت فيما يسمع أو لا خلافاً لأبي يوسف فيما إذا تحملها بصيراً فإن العلم حصل له بالنظر وقت التحمل وهو العيان فأداؤه صحيح إذ لا خلل في لسانه وتعريف المشهود عليه يحصل بذكر نسبه ولأبي حنيفة أنه يحتاج في أدائها إلى التمييز بين الخصمين وهو لا يفرق بينهما إلا بالنغمة وهي لا تعتبر لأنها تشبه نغمة أخرى ويخاف عليه التلقين من الخصم والمعرفة بذكر النسب لا تكفي لأنه ربما يشاركه غيره في الاسم والنسب

وهذا الخلاف في الدَّين والعقار لا في المنقول لأن شهادته لا تقبل فيه اتفاقاً لأنه يحتاج إلى الإشارة والدين يعرف ببيان الجنس والوصف والعقار بالتحديد وكذا قال الشافعي: تجوز شهادة الأعمى فيما رآه قبل ذهاب بصره أو يقر في إذنه فيتعلق به حتى يشهد عند قاض به ﴿وما كان لكم﴾ أي: وما صح وما استقام لكم ﴿أن تؤذوا رسول الله﴾ أي: أن تفعلوا في حياته فعلاً يكرهه ويتأذى به ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه﴾ [زنان اوراكه مدخول بها باشد] ﴿من بعده﴾ أي: من بعد وفاته أو فراقه ﴿أبداً﴾ فإن فيه تركاً لمراعاة حرمته فإنه أب وأزواجه أمهات ويقال لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة كما قال عليه السلام: «شارطت ربي أن لا أتزوج إلا من تكون معي في الجنة» ولو تزوجن لم يكنّ معه في الجنة لأن المرأة لآخر أزواجها لما روي أن أم الدرداء رضي الله عنها قالت لأبي الدرداء رضي الله عنه عند موته: إنك خطبتني من أبويّ في الدنيا فأنكحاك فإني أخطبك إلى نفسي في الآخرة فقال لها: لا تنكحي بعدي فخطبها معاوية بن أبي سفيان فأخبرته بالذي كان وأبت أن تتزوجه.

- وروي - عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال لامرأته: إن أردت أن تكوني زوجي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها.

- وروي - في خبر آخر بخلاف هذا وهو أن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن المرأة منا إذا كان لها زوجان لأيهما تكون في الآخرة؟ فقال: «إنها تخير فتختار أحسنهما خلقاً منها» ثم «قال يا أم حبيبة إن حسن الخلق ذهب بالدنيا والآخرة» والحاصل: أنه يجب على الأمة أن يعظموه عليه السلام ويوقروه في جميع الأحوال في حال حياته وبعد وفاته فإنه بقدر ازدياد تعظيمه وتوقيره في القلوب يزداد نور الإيمان فيها وللمريدين مع الشيوخ في رعاية أمثال هذا الأدب إسوة حسنة لأن الشيخ في قومه كالنبي في أمته كما سبق بيانه عند قوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. وفي الآية إشارة إلى أن قوى النفس المحمدية من جهة الراضية والمرضية والمطمئنة بطبقاتها بكلياتها متفردة بالكمالات الخاصة للحضرة الأحمدية دنيا وآخرة فافهم سر الاختصاص والتشريف. ثم إن اللاتي طلقهن النبي عليه السلام اختلف فيهن ومن قال بحلهن فلأنه عليه السلام قطع العصمة حيث قال: «أزواجي في الدنيا هن أزواجي في الآخرة» فلم يدخلن تحت الآية والصحيح أن من دخل بها النبي عليه السلام ثبتت حرمتها قطعاً فخص من الآية التي لم يدخل بها لما روى أن الأشعث بن قيس تزوج المستعيذة في أيام خلافة عمر رضي الله عنه فهمّ برجمهما فأخبر بأنه عليه السلام فارقها قبل أن يمسسها فترك من غير نكير. وسبب نزول الآية أن طلحة بن عبيد الله التيمي قال: لئن مات محمد لأتزوجن عائشة وفي لفظ تزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا يعني يمنعنا من الدخول على بنات عمنا لأنه وعائشة كانا من بني تيم بن مرة فقال: لئن مات لأتزوجن عائشة من بعده فنزل فيه قوله تعالى: ﴿وما كان لكم﴾ الآية. قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لأن طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة أجل مقاماً من أن يصدر منه ذلك حتى رأيت أنه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبته كما في «إنسان العيون» ﴿إن ذلكم﴾ يعني إيذاءه ونكاح أزواجه من بعده ﴿كان عند الله عظيماً﴾ أي: ذنباً عظيماً وأمراً هائلاً [زيرا كه حرمت آن حضرت لازمست درحيات او وبعد از وفات او بلكه حيات وممات او دراداى حقوق تعظيم يكسانست چه خلعت خلافت ولباس شفاعت كبرى پس از وفات بر بالاى اعتدال او دوخته اند]:

قباى سلطنت هر دو كون تشريفست که جز بقامت زيباى او نيامد راست

ثم بالغ في الوعيد فقال:

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

﴿**إن تبدوا**﴾ على ألسنتكم [يعني آشكارا كنيد] ﴿**شيئاً**﴾ مما لا خير فيه كنكاحهن.

وفي «التأويلات النجمية»: من ترك الأدب وحفظ الحرمة وتعظيم شأنه ﷺ ﴿**أو تخفوه**﴾ في صدوركم، يعني: [بز بان نياريد زيرا كه نكاح عائشة رضي الله عنها در دل بعض كذشته بود وبز بان نياورده] كذا قال الكاشفي: ﴿**فإن الله كان بكل شيء عليماً**﴾ بليغ العلم بظاهر كل شيء وباطنه فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وعمم ذلك ليدخل فيه نكاحهن وغيره. قال في «كشف الأسرار»: [چون ميدانى كه حق تعالى بر اعمال واحوال تو مطلع است ونهان وآشكاراى توميداند ومى بيند پيوسته بردركاه او باش افعال خودرا مهذب داشته باتباع علم وغذاى حلال ودوام ورد وأقوال خودرا رياضت داده بقراءت قرآن ومداومت عذر ونصيحت خلق واخلاق خود پاك داشته از هرچه غبار راه دين است وسد منهج طريقت چون بخل وريا وطمع است وآرايش سخا وتوكل وقناعت وكلمهٔ «لا إله إلا الله» برهر دو حالت مشتمل است «لا إله» نفى آلايش است و«إلا الله» اثبات وآرايش چون بنده كويد «لا إله» هرچه آلايش است وحجاب راه ازبيخ بكند آنكه جمال «إلا الله» روى نمايد وبنده را بصفات آرايش بيارايد واورا آراسته وپيراسته فرا مصطفى بردتا ويرا بامتى قبول كند واكراثر «لا إله» بروى ظاهر نبود وجمال خلعت «إلا الله» بروى نبيند اورا بامتى فرا نپذيرد وكويد سحق سحقا]، قال المولى الجامي:

«لا» نهنكيست كائنات آشام عرش تا فرش او كشيده بكام
هر كجا كرده آن نهنك آهنك ازمن وما نه بوى مانده نه رنك
كرچه «لا» داشت تيركىٔ عدم دارد «الا» فروغ نور قدم
چون كنند «لا» بساط كثرت طى دهد «إلا» زجام وحدت مى
تا نسازى حجاب كثرت دور ندهد آفتاب وحدت نور
كرزمانى زخود خلاص شوى مهبط فيض نور خاص شوى
جذب آن فيض يابد استيلا هم ز «لا» وار هى هم از «الا»
هركه حق داد نور معرفتش كائن بائن بود صفتش
جان بحق تن بغير حق كائن تن زحق جان زغير حق بائن

﴿**لا جناح عليهن في آبائهن**﴾ استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم.

ـ روي ـ أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أونكلمهن أيضاً أي: كالأباعد من وراء حجاب فنزلت ورخص الدخول على نساء ذوات محارم بغير حجاب، يعني: [هيچ كناهى نيست برزنان درنمودن روى بپدران خويش] ﴿**ولا أبنائهن**﴾ [ونه بپسران خويش] ﴿**ولا إخوانهن**﴾ [ونه ببرادران ايشان] ﴿**ولا أبناء أخواتهن**﴾ [ونه بپسران

برادران ايشان] ﴿ولا أبناء إخوانهن﴾ [ونه بپسران خواهران ايشان] فهؤلاء ينظرون عند أبي حنيفة إلى الوجه والرأس والساقين والعضدين ولا ينظرون إلى ظهرها وبطنها وفخذها وأبيح النظر لهؤلاء لكثرة مداخلتهن عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهن وإنما لم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم أباً في قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] أو لأنه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة أن يصفاهن لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم لجواز النكاح بينهم وكره وضع الخمار عندهما وقد نهى عن وصف المرأة لزوجها بشرة امرأة أخرى ومحاسنها بحيث يكون كأنه ينظر إليها فإنه يتعلق قلبه بها فيقع بذلك فتنة ﴿ولا نسائهن﴾ يعني المؤمنات فتنظر المسلمة إلى المسلمة سوى ما بين السرة والركبة وأبو حنيفة يوجب ستر الركبة فالمراد بالنساء نساء أهل دينهن من الحرائر فلا يجوز للكتابيات الدخول عليهن والتكشف عندهن أو المراد المسلمات والكتابيات وإنما قال ولا نسائهن لأنهن من أجناسهن فيحل دخول الكتابيات عليهن وقد كانت النساء الكوافر من اليهوديات وغيرهن يدخلن على نساء النبي عليه السلام فلم يكن يحتجبن ولا أمرن بالحجاب وهو قول أبي حنيفة وأحمد ومالك ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ من العبيد والإماء فيكون عبد المرأة محرماً لها فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً وأن ينظر إليها كالمحارم وقد أباحت عائشة النظر لعبدها وقالت لذكوان: إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر وقيل من الإماء خاصة فيكون العبد حكمه حكم الأجنبي معها.

قال في «بحر العلوم» وهو أقرب إلى التقوى لأن عبد المرأة كالأجنبي خصياً كان أو فحلاً وأين مثل عائشة وأين مثل عبدها في العبيد لا سيما في زماننا هذا وهو قول أبي حنيفة وعليه الجمهور فلا يجوز لها الحج ولا السفر معه وقد أجاز رؤيته إلى وجهها وكفيها إذا وجد الأمن من الشهوة ولكن جواز النظر لا يوجب المحرمية وقد سبق بعض ما يتعلق بالمقام في سورة النور فارجع لعلك تجد السرور ﴿واتقين الله﴾ فيما أمرتن من الاحتجاب واخشين حتى لا يراكن غير هؤلاء ممن ذكر وعليكن بالاحتياط ما قدرتن، قال الكاشفي: [پس عدول كرد از غيبت بخطاب بجهت تشديد وامر فرمودكه اى زنان در پس حجاب قرار كيريد وبترسيد ازخداى وپردهٔ شرم ازپيش برنداريد] ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ لا يخفى عليه خافية من الأقوال والأفعال ولا يتفاوت في علمه والأوقات والأحوال.

چونكه خدا شد بخفايا كواه ... كرد شمارا همه لحظه نكاه
ديده بپوشيد زنا محرمان ... دور شويد ازره وهم وكمان
درپس زانوى حيا ووقار ... خوش بنشينيد بصبر وقرار

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالآية إلى تسكين قلوبهن بعد فطامهن عن مألوفات العادة ونقلهن إلى معروف الشريعة ومفروض العبادة فمنّ عليهن وعلى أقربائهن بإنزاله هذه الرخصة لأنه ما أخرجهن وما خلى سبيل الاحتياط لهن مع ذلك فقال: ﴿واتقين الله﴾ فيهن وفي غيرهن بحفظ الخواطر وميل النفوس وهمها ﴿إن الله كان على كل شيء﴾ من أعمال النفوس وأحوال القلوب ﴿شهيداً﴾ حاضراً وناظراً إليها. قال أبو العباس الفاسي: الشهيد هو الحاضر الذي لا يغيب عنه معلوم ولا مرئي ولا مسموع ومن عرف أنه الشهيد عبده على المراقبة فلم يره حيث نهاه ولم يفقده حيث أمره واكتفى بعلمه ومشاهدته عن غيره فالله تعالى لا

يغيب عنه شيء في الدنيا والآخرة وهو يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم.

ذرهٔ نيست درمكين ومكان كه نه علمش بود محيط برآن
عدد ريك دربيابانها عدد بركها ببستانها
همه نزديك اوبود ظاهر همه در علم اوبود حاضر

وخاصية هذا الاسم الرجوع عن الباطل إلى الحق حتى أنه إذا أخذ من الولد العاق من جبهته شعر وقرىء عليه أو على الزوجة كذلك الفا فإنه يصلح حالها كما في شرح الأسماء للفاسي نسأل الله سبحانه أن يصلح أحوالنا وأقوالنا وأفعالنا ويوجه إلى جنابه الكريم آمالنا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿**إن الله وملائكته**﴾. اعلم أن الملائكة عند أهل الكشف من أكابر أهل الله على قسمين:

قسم تنزلوا من مرتبة الأرواح إلى مرتبة الأجسام فلهم أجسام لطيفة كما أن للبشر أجساماً كثيفة وهم المأمورون بسجود آدم عليه السلام ويدخل فيهم جميع الملائكة الأرضية والسماوية أصاغرهم وأكابرهم كجبريل وغيره بحيث لا يشذ منهم فرد أصلاً.

وقسم بقوا في عالم الأرواح وتجردوا عن ملابس الجسمانية لطيفة كانت أو كثيفة وهم المهيمون الذين أشير إليهم بقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] وهم غير مأمورين بالسجود إذ ليس لهم شعور أصلاً لا بأنفسهم ولا بغيرهم من الموجودات مطلقاً لاستغراقهم في بحر شهود الحق.

والإنسان أفضل من هذين القسمين في شرف الحال ورتبة الكمال لأنه مخلوق بقبضتي الجمال والجلال بخلاف الملائكة فإنهم مخلوقون بيد الجمال فقط كما أشير إليه بقوله:

ملائك را چه سود ازحسن طاعت چو فيض عشق بر آدم فرو ريخت

وذلك لأن العشق يقتضي المحنة وموطنها الدنيا ولذا أهبط آدم من الجنة والمحنة من باب التربية وهي من آثار الجلال والمراد بالملائكة هٰهنا هو القسم الأول لأنهم يشاركون مؤمني البشر في الجمال والوجود الجسماني فكما أن مؤمني البشر كلهم يصلون على النبي فكذا هذا القسم من الملائكة مع أن مقام التعظيم يقتضي التعميم كما لا يخفى على ذي القلب السليم فاعرف واضبط أيها اللبيب الفهيم﴿**يصلون على النبي**﴾ أي: يعتنون بما فيه خيره وصلاح أمره ويهتمون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله تعالى بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار. فقوله يصلون محمول على عموم المجاز إذ لا يجوز إرادة معنيي المشترك معاً فإنه لا عموم للمشترك مطلقاً أي: سواء كان بين المعاني تنافٍ أم لا. قال القهستاني: الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن الإنس والجن القيام والركوع والسجود والدعاء ونحوها ومن الطير والهوام التسبيح اسم من التصلية وكلاهما مستعمل بخلاف الصلاة بمعنى أداء الأركان فإن مصدرها لم يستعمل فلا يقال صليت تصلية بل صلاة، وقال بعضهم: الصلاة من الله تعالى بمعنى الرحمة لغير النبي عليه السلام وبمعنى التشريف بمزيد الكرامة للنبي والرحمة عامة والصلاة خاصة كما دل العطف على التغاير في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وقال بعضهم: صلوات الله على غير النبي رحمة وعلى النبي ثناء ومدحة قولاً وتوفيق وتأييد فعلاً وصلاة الملائكة على غير النبي استغفار وعلى النبي إظهار

للفضيلة والمدح قولاً والنصرة والمعاونة فعلاً وصلاة المؤمنين على غير النبي دعاء وعلى النبي طلب الشفاعة قولاً واتباع السنة فعلاً. ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ اعتنوا أنتم أيضاً بذلك فإنكم أولى به ﴿وسلموا تسليماً﴾ بأن تقولوا اللهم صل على محمد وسلم أو صلى الله عليه وسلم بأن يقال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم لقوله عليه السلام: «إذا صليتم عليّ فعمموا» وإلا فقد نقصت الصلاة عليه ﷺ كما في شرح القهستاني. وقال الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة لم أقف عليه أي: على هذا الحديث بهذا اللفظ ويمكن أن يكون بمعنى صلوا عليّ وعلى أنبياء الله فإن الله بعثهم كما بعثني انتهى. وخص اللهم ولم يقل يا رب ويا رحمٰن صلِ لأنه اسم جامع دال على الألوهية وعلامة الإسلام في قوله لا إله إلا الله فناسب ذكره وقت الصلاة عليه ﷺ لأنه عليه السلام جامع لنعوت الكمال مشتمل على أسرار الجمال والجلال. وخص اسم محمد لأن معناه المحمود مرة بعد أخرى فناسب مقام المدح والثناء. والمراد بآله الأتقياء من أمته فدخل فيه بنو هاشم والأزواج المطهرة وغيرهم جميعاً. قال في شرح «الكشاف» وغيره معنى قوله: اللهم صل على محمد اللهم عظمه في الدنيا بإعلاء دينه وإعظام ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته وإظهار فضله عن الأولين والآخرين وتقديمه على كافة الأنبياء والمرسلين ولما لم يكن حقيقة الثناء في وسعنا أمرنا أن نكل ذلك إليه تعالى فالله يصلي عليه بسؤالنا.

سلام من الرحمٰن نحو جنابه لأن سلامي لا يليق ببابه

فإن قلت فما الفائدة في الأمر بالصلاة؟ قلت: إظهار المحبة للصلاة كما استحمد فقال: قل الحمد لله إظهاراً لمحبة الحمد مع أنه هو الحامد لنفسه في الحقيقة ومعنى سلم اجعله يا رب سالماً من كل مكروه كما قال القهستاني. وقال بعضهم: [التسليم هنا بمعنى: آفرين كردن] ويجيء بمعنى [پاك ساختن، وسپردن وفروتنى كردن وسلامت دادن].

وفي «الفتوحات المكية» أن السلام إنما شرع من المؤمنين لأن مقام الأنبياء يعطي الاعتراض عليهم لأمرهم الناس بما يخالف أهواءهم فكأن المؤمن يقول: يا رسول الله أنت في أمان من اعتراضي عليك في نفسي وكذلك السلام على عباد الله الصالحين، فإنهم كذلك يأمرون الناس بما يخالف أهواءهم بحكم الإرث للأنبياء وأما تسليمنا على أنفسنا فإن فينا ما يقتضي الاعتراض واللوم منا علينا فنلزم نفوسنا التسليم فيه لنا ولا نعترض كما يقول الإنسان قلت لنفسي كذا فقالت: لا ولم نقف على رواية عن النبي عليه السلام في تشهده الذي كان يقوله في الصلاة هل كان يقول مثلنا السلام عليك أيها النبي أو كان يقول السلام عليّ أو كان لا يقول شيئاً من ذلك ويكتفي بقوله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فإن كان يقول مثل ما أمرنا نقول في ذلك وجهان: أحدهما أن يكون المسلم عليه هو الحق وهو مترجم عنه كما جاء في سمع الله لمن حمده. والوجه الثاني أنه كان يقام في صلاته في مقام الملائكة مثلاً ثم يخاطب نفسه من حيث المقام الذي أقيم فيه أيضاً من كونه نبياً فيقول: السلام عليك أيها النبي فعل الأجنبي فكأنه جرد من نفسه شخصاً آخر انتهى كلام الفتوحات. قالوا: السلام مخصوص بالحي والنبي عليه السلام ميت. وأجيب بأن المؤمن لا يموت حقيقة وإن فارق روحه جسده فالنبي عليه السلام مصون بدنه الشريف من التفسخ والانحلال حي بالحياة البرزخية ويدل عليه قوله: «إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام»، وفي الحديث: «ما من مسلم يسلم

عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام» ويؤخذ من هذا الحديث أنه حي على الدوام في البرزخ الدنيوي لأنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم على النبي في ليل أو نهار. فقوله رد الله عليّ روحي أي: أبقى الحق فيّ شعور خيالي الحسي في البرزخ وإدراك حواسي من السمع والنطق فلا ينفك الحس والشعور الكلي عن الروح المحمدي وليس له غيبة عن الحواس والأكوان لأنه روح العالم وسره الساري. قال الإمام السيوطي: وللروح بالبدن اتصال بحيث يسمع ويشعر ويرد السلام فيكون عليه السلام في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هناك وإنما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكاناً لم يكن أن تكون في غيره وهذا غلط محض وقد رأى النبي موسى عليهما السلام ليلة المعراج قائماً يصلي عليه وهو في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان ولولا لطافة الروح ونورانيتها ما صح اختراق بعض الأولياء الجدران ولا كان قيام الميت في قبره والتراب عليه أو التابوت فإنه لا يمنعه شيء من ذلك عن قعوده وقد صح أن الإنسان يمكن أن يدخل من الأبواب الثمانية للجنة في آن واحد لغلبة الروحانية مع تعذره في هذه النشأة الدنيوية. وقد مثل بعضهم بالشمس فإنها في السماء كالأرواح وشعاعها في الأرض وفي الحديث: «ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» ولعل المراد أن يرد السلام بلسان الحال لا بلسان المقال لأنهم يتأسفون على انقطاع الأعمال عنهم حتى يتحسرون على رد السلام وثوابه. قال الشيخ المظهر التسليم على الأموات كالتسليم على الأحياء وأما قوله عليه السلام: «عليكم السلام تحية الموتى» أي: بتقديم عليكم فمبني على عادة العرب وعرفهم فإنهم كانوا إذا سلموا على قبر يقدمون لفظ عليكم فتكلم عليه السلام على عادتهم. وينبغي أن يقول المصلي اللهم صل على محمد وعلى آل محمد بإعادة كلمة على فإن أهل السنة التزموا إدخال على على الآل رداً على الشيعة فإنهم منعوا ذكر على بين النبي وآله وينقلون في ذلك حديثاً وهو «من فصل بيني وبين آلي بعلي لم ينله شفاعتي» قاله القهستاني والعصام وغيرهما. وقال محمد الكردي: هذا غير ثابت وعلى تقدير الثبوت فالمراد به علي بن أبي طالب بأن يجعل علياً من آله دون غيرهم فيكون فيه تعريض للشيعة فإنهم الذين يفصلون بينه وبين آله به لفرط محبتهم له ولذا قال عليه السلام لعلي: «هلك فيك اثنان محب مفرط ومبغض مفرط» فالمحب المفرط الروافض والمبغض الخوارج ونحن فيما بين ذلك انتهى كلامه. ولا يقول في الصلاة وارحم محمداً فإنه يوهم التقصير إذ الرحمة تكون بإتيان ما يلام عليه وهو الأصح كما ذكره شرف الدين الطيبي في «شرح المشكاة». وقال في «الدر» الصحيح إنه يكره. قال الشيخ علي في «أسئلة الحكم»: حرمت الصدقة على رسول الله وعلى آله لأن الصدقة تنشأ عن رحمة الدافع لمن يتصدق عليه فلم يرد الله أن يكون مرحوم غيره ولهذا نهى بعض الفقهاء عن الترحم في الصلاة عليه تأدباً لتلك الحضرة وإن كانت الرواية وردت به كما ذكره صدر الشريعة. ويتصل به قراءة الفاتحة لروحه المطهرة فالشافعي وأصحابه منعوا ذلك لروحه ولأرواح سائر الأنبياء عليهم السلام لأن العادة جرت بقراءة الفاتحة لأرواح العصاة فيلزم التسوية بأرواحهم مع أن في الدعاء بالترحم التحقير وجوزه أبو حنيفة وأصحابه لأنه عليه السلام دعا لبعض الأنبياء بالرحمة كما قال: «رحم

الله أخي موسى» «ورحم الله أخي لوطاً» وقال بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني» وقال في تعليم السلام: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» فليس أحد مستغنياً عن الرحمة. وأيضاً فائدة القراءة ونحوها عائدة إلينا كما قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: الصلاة على النبي في الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلي لمحمد ﷺ بظهر الغيب وقد ورد في الحديث الصحيح: «إن من دعا لأخيه بظهر الغيب قال له الملك ولك بمثله» وفي رواية «ولك بمثليه» فشرع ذلك رسول الله وأمر الله به في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ ليعود هذا الخير من الملك إلى المصلي انتهى. وفي الدعاء أيضاً حكمة جليلة. قال بعض الكبار: أما الوسلية فهي أعلى درجة في الجنة أي: جنة عدن وهي لرسول الله حصلت له بدعاء أمته فعلى ذلك الحق سبحانه حكمة أخفاها فإنا بسببه نلنا السعادة من الله وبه كنا خير أمة أخرجت للناس وبه ختم الله لنا كما ختم به النبيين وهو عليه السلام بشر كما أمر أن يقول ولنا وجه خاص إلى الله نناجيه منه ويناجينا وكذلك كل مخلوق له وجه خاص إلى الله فأمرنا عن أمر الله أن ندعو له بالوسيلة حتى ينزل فيها بدعاء أمته وهذا من باب الغيرة الإلهية إن فهمت.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بهذا الاختصاص إلى كمال العناية في حق النبي وفي حق أمته. أما في حق النبي فإنه يصلي عليه صلاة تليق بتلك الحضرة المقدسة عن الشبه والمثال مناسبة لحضرة نبوته بحيث لا يفهم معناها سواها. وأما في حق أمته فهو إنه تعالى أوجب على أمته الصلاة عليه ثم جازاهم بكل صلاة عليه عشر صلوات من صلاته وبكل سلام عشراً لأن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذه عناية مختصة بالنبي وأمته. ولصلاة الله على عباده مراتب بحسب مراتب العباد ولها معان كالرحمة والمغفرة والوارد والشواهد والكشوف والمشاهدة والجذبة والقرب والشرب والري والسكر والتجلي والفناء في الله والبقاء بالله فكل هذا من قبيل الصلاة على العبد.

وقال بعضهم: صلوات الله على النبي تبليغه إلى المقام المحمود وهو مقام الشفاعة لأمته وصلوات الملائكة دعاؤهم له بزيادة مرتبته واستغفارهم لأمته وصلوات الأمة متابعتهم له ومحبتهم إياه والثناء عليه بالذكر الجميل وهذا التشريف الذي شرف الله به نبينا عليه السلام أتم من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له لأنه لا يجوز أن يكون الله تعالى مع الملائكة في هذا التشريف وقد أخبر تعالى عن نفسه بالصلاة على النبي ثم عن الملائكة.

عقل دور انديش ميداندكه تشريفي چنين هيچ دين پرورنديد وهيچ پيغمبر نيافت
يصلي عليه الله جل جلاله بهذا بدا للعالمين كماله
بجامه خانهٔ دين خلعت درود وسلام چوكشت دوخته برقامت تو آمدراست
نشان حرمت صلوا عليه بر نامت نوشته اندوچنين منصبي شريف تراست

[بعد از نزول آيت صلوات هردو رخسار مبارك آن حضرت از غايت مسرت برافروخته كشت وفرمودكه تهنيت كوييد مراكه آيت بر من فرود آمدكه دوستراست نزديك من از دنيا وهرچه دراوست]:

نوری از روزن اقبال در آفتاد مرا كه ازان خانهٔ دل شد طرب آباد مرا

عن الأصمعي قال: سمعت المهدي على منبر البصرة يقول: إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال: ﴿إن الله﴾ الخ آثره ﷺ من بين الرسل واختصكم بها من بين الأمم

فقابلوا نعمة الله بالشكر وإنما بدأ تعالى بالصلاة عليه بنفسه إظهاراً لشرفه ومنزلته وترغيباً للأمة فإنه تعالى مع استغنائه إذا كان مصلياً عليه كان الأمة أولى به لاحتياجهم إلى شفاعته وتقوية لصلوات الملائكة والمؤمنين فإن صلاة الحق حق وصلاة غيره رسم والرسم يتقوى بمقارنة الحق.

ازكنه وصف توكه تواندكه دم زند وصفى سزاى تونكند خداى تو

وإشارة إلى أنه عليه السلام مجلى تام لأنوار الجمال والجلال ومظهر جامع لنعوت الكمال به فاض الجود وظهر الوجود. ثم ثنى بملائكة قدسه فإنهم مقدمون في الخلقة وأهل عليين في الصورة خائفون كبني آدم من نوازل القضاء ومستعيذون بالله من مثل واقعة إبليس وهاروت وماروت فاحتاجوا إلى الصلاة على النبي عليه السلام ليحصل لهم جمعية الخاطر والحفظ من المحن والبليات ببركة الصلوات. وأيضاً ليظهر لصلوات المؤمنين رواج بسبب موافقة صلواتهم كما ورد في آمين. وأيضاً لما خلق آدم رأوا أنوار محمد عليه السلام على جبينه فصلوا عليه وقتئذٍ فلما تشرف بخلقة الوجود قيل لهم: هذا هو الذي كنتم تصلون عليه وهو نور في جبين آدم فصلوا عليه وهو موجود بالفعل في العالم. ثم ثلث بالمؤمنين من برية جنه وإنسه في المؤمنين محتاجون إلى الصلاة عليه أداء لبعض حقوق الدعوة والأبوة فإنه عليه السلام بمنزلة الأب للأمة وقد أجاد في التعليم والتربية و«الإرشاد» وبالغ في لوازم الشفقة على العباد وثناء المعلم واجب على المتعلم وشكر الأب لازم على الابن.

ميان باغ جهان از زلال فيض حبيب نهال جان مرا صد هزار نشو ونماست

وأيضاً في الصلوات شكر على كونه أفضل الرسل وكونهم خير الأمم. وأيضاً فيها إيجاب حق الشفاعة على ذمة ذلك الجناب فإن الصلوات ثمن الشفاعة فإذا أدوا الثمن هذا اليوم يرجى أن يحرزوا المثمن يوم القيامة:

بضاعت بچندانكه آرى برى اكر مفلسى شر مسارى برى

ألا أيها الإخوان صلوا وسلموا على المصطفى في كل وقت وساعه

فإن صلاة الهاشمي محمد تنجي من الأهوال يوم القيامه

وبقدر صلواتهم عليه تحصل المعارفة بينهم وبينه. وعلامة المصلي يوم القيامة أن يكون لسانه أبيض. وعلامة التارك أن يكون لسانه أسود وبهما تعرف الأمة يومئذٍ. وأيضاً فيها مزيد القربات وذلك لأن بالصلوات تزيد مرتبة النبي فتزيد مرتبة الأمة لأن مرتبة التابع تابعة لمرتبة المتبوع كما أشار إليه حضرة المولى جلال الدين الرومي في المعراجية بقوله:

صلوات برتو آردم كه فزوده باد قربت چه بقرب كل بكردد همه جزؤها مقرب

وأيضاً فيها إثبات المحبة ومن أحب شيئاً أكثر ذكره. قال بعضهم: صيغة المضارع يعني: ﴿يصلون﴾ [دلالت بر آن ميكندكه ملائكه پيوسته دركفتن صلواتند پس درود دهنده متشبه باشد بديشان وبحكم «من تشبه بقوم فهو منهم» از طهارت وعصمت كه لوازم ذات ملائكه است محتظى كردد وبا عالم روحانى آشنايى يابد]:

يا سيد انام درود وصلات تو ورد زبان ماست مه وسال وصبح وشام

نزديك تو چه تحفه فرستيم ما زدور دردست ما همين صلاتست والسلام

قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره: الصلاة على محمد أفضل العبادات لأن الله

تولاها هو وملائكته ثم أمر بها المؤمنين وسائر العبادات ليس كذلك يعني أن الله تعالى أمر بسائر العبادات ولم يفعله بنفسه. قال الصديق الأكبر رضي الله عنه: الصلاة عليه أمحق للذنوب من الماء البارد للنار وهي أفضل من عتق الرقاب لأن عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والسلام على النبي عليه السلام في مقابلة سلام الله وسلام الله أفضل من ألف حسنة. قال الواسطي صل عليه بالأوقار ولا تجعل له في قلبك مقدار أي: لا تجعل لصلواتك عليه مقدراً تظن أنك تقضي به من حقه شيئاً بصلواتك عليه استجلاب رحمة على نفسك به وفي الحديث: «إن لله ملكاً أعطاه سمع الخلائق وهو قائم على قبري إذا مت إلى يوم القيامة فليس أحد من أمتي يصلي عليّ صلاة إلا سماه باسمه واسم أبيه قال: يا محمد صلى عليك فلان كذا وكذا ويصلي الرب على ذلك الرجل بكل واحدة عشراً» وفي الحديث: «إذا صليتم عليّ فأحسنوا عليّ الصلاة فإنكم تعرضون عليّ بأسمائكم وأسماء آبائكم وعشائركم وأعمامكم» ومن إحسان الصلوات حضور القلب وجمع الخاطر. وقد قال بعضهم: إنما تكون الصلوات على النبي طاعة وقربة ووسيلة واستجابة إذا قصد بها التحية والتوسل والتقرب إلى حضرة النبوة الأحمدية فإنه بهذه المناسبة يحصل له التقرب إلى الحضرة الأحدية ألا ترى أن التقرب إلى القمر كالتقرب إلى الشمس فإنه مرآتها ومطرح أنوارها وفي الحديث «من صلى واحدة أمر الله حافظه أن لا يكتب عليه ثلاثة أيام». ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت لذلك ثم رأته بعد ذلك في النور والرحمة فسألته عن ذلك فقال: مر رجل بالمقبرة فصلى على النبي عليه السلام وأهدى ثوابها للأموات فجعل نصيبي من ذلك المغفرة فغفر لي.

ـ وحكي ـ عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: بينا أنا أطوف بالبيت إذ رأيت رجلاً لا يرفع قدماً إلا وهو يصلي على النبي عليه السلام فقلت: يا هذا إنك تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي عليه السلام فهل عندك في هذا شيء؟ فقال: من أنت عافاك الله فقلت: أنا سفيان الثوري فقال: لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال: خرجت أنا وأبي حاجين إلى بيت الله الحرام حتى إذا كنا في بعض المنازل مرض أبي ومات واسود وجهه وازرقت عيناه وانتفخ بطنه فبكيت وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات أبي في أرض غربة هذه الموتة فجذبت الإزار على وجهه فغلبتني عيناي فنمت فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أطيب ريحاً فدنا من أبي فكشف الإزار عن وجهه ومسح على وجهه فصار أشد بياضاً من اللبن ثم مسح على بطنه فعاد كما كان ثم أراد أن ينصرف فقمت إليه فأمسكت بردائه وقلت: يا سيدي بالذي أرسلك إلى أبي رحمة في أرض غربة من أنت؟ فقال: أو ما تعرفني؟ أنا محمد رسول الله كان أبوك هذا كثير المعاصي غير أنه كان يكثر الصلاة عليّ فلما نزل به ما نزل استغاث بي فأغثته وأنا غياث لمن يكثر الصلاة عليّ في دار الدنيا فانتبهت فإذا وجه أبي قد ابيض وانتفاخ بطنه قد زال.

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
شفع نبيك في ذلي ومسكنتي ... واستر فإنك ذو فضل وذو كرم

قال كعب بن عجرة رضي الله عنه: لما نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ قمنا إليه فقلنا أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك يا رسول الله قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» كما في «تفسير التيسير» وهي الصلاة التي تقرأ في التشهد الأخير على ما هو الأصح ذكرها الزاهدي رواية عن محمد. والمعنى اللهم صل على محمد صلاة كاملة كما دل عليه الإطلاق. وقوله وعلى آل محمد من عطف الجملة أي: وصل على آله مثل الصلاة على إبراهيم وآله فلا يشكل بوجوب كون المشبه به أقوى كما هو المشهور ذكره القهستاني. وقال في «الضياء المعنوي»: هذا تشبيه من حيث أصل الصلاة لا من حيث المصلى عليه لأن نبينا أفضل من إبراهيم فمعناه اللهم صل على محمد بمقدار فضله وشرفه عندك كما صليت على إبراهيم بقدر فضله وشرفه وهذا كقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠] يعني: اذكروا الله بقدر نعمه وآلائه عليكم كما تذكرون آباءكم بقدر نعمهم عليكم وتشبيه الشيء بالشيء يصح من وجه واحد وإن كان لا يشبهه من كل وجه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] من وجه واحد وهو تخليقه عيسى من غير أب انتهى [ودر شرح مشكاة مذكوراست كه تشبيهي كه در كما صليت واقع شده نه ازقبيل الحاق ناقص است بكامل بلكه ازباب بيان حال ما لا يعرف است بما يعرف يعني بسبب نزول آيت ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] درود إبراهيم وآل أوميان أهل ايمان اشتهار تام داشت وهمه دانسته بودندكه خداى بر ابراهيم درود وبركت فرستاده پس حضرت پيغمبر فرمودكه ازخداى درخواهيدكه فرستد بر من صلواتي مشهور ومعروف مانند صلوات ابراهيم وكويند كاف در «كما» براى تأكيد وجود آيدنه براى قرآن دروقوع چنانچه ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] زيرا كه تر بيت واقعست از والدين ورحمت مطلوب الوقوع براى ايشان پس فائده كاف تأكيداست دروجود رحمت يعنى ايجاد كن رحمت ايشانرا ايجادى محقق ومقرراست پس ميكويد ارسال كن صلوات را بر حبيب خود ووجود ده آنرا همچنانچه قبل ازين وجود داده بودى براى خليل خود] وهذا المعنى قريب مما في الضياء المعنوي كما سبق [وكفته اند حضرت پيغمبر درضمن اين تشبيه مر امت خودرا طريق تواضع تعليم فرموده وبتكريم آباء اشارتى نموده يعنى با آنكه صلوات من اكمل واشرفست از درود ابراهيم آنرا دررتبه أقوى وأرفع ميدارم وحرمت ابويت ويرا فرو نمى كذا رم ومانند اين در كسر نفس ونفى غائله تكبر بسيار ازان حضرت مروى ومذكرو است چنانچه] «أنا أول من ينشق عنه الأرض ولا فخر وأنا حبيب ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر ولا تفضلوني على موسى. ولا تخيروني على إبراهيم. ولا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس» وإنما صلينا على إبراهيم وعلى آل إبراهيم لأنه حين تم بناء البيت دعوا للحجاج بالرحمة فكافأناهم بذلك. وقال الإمام النيسابوري: لأنه سأل الله أن يبعث نبياً من ذرية إسماعيل فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] ولذا قال عليه السلام: «انا دعوة أبي إبراهيم» فكافأه وشكره وأثنى عليه مع نفسه بالصلاة التي صلى الله وملائكته عليه وهذه الصلاة من الحق عليه هي قرة عين لأنه أكمل مظاهر الحق ومشاهد تجلياته ومجامع أسراره. وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام جنة عريضة مكتوب على أشجارها لا إله إلا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عنها فأخبره بقصتها فقال: يا رب أجر على لسان أمة محمد ذكري فاستجاب الله دعاءه وضم في الصلاة مع محمد عليهما السلام. وأيضاً أمرنا بالصلاة على إبراهيم لأن قبلتنا قبلته ومناسكنا

مناسكه والكعبة بناؤه وملته متبوعة الأمم فأوجب الله على أمة محمد ثناءه.

يقول الفقير: كان إبراهيم عليه السلام قطب التوحيد الذاتي وصلوات الله عليه أتم من صلواته على سائر أصفيائه. وكان أمته أكثر استعداداً من الأمم السالفة حتى بعث الله غيره إلى جميع المراتب من الأفعال والصفات والذات وإن لم يظهر حكمها تفصيلاً كما في هذه الأمة المرحومة ولذا اختص ببناء الكعبة إشارة إلى سر الذات ولذا لم يتكرر الحج تكرر سائر العبادات وأمر نبينا باتباع ملته أي: باعتبار الجمع دون التفصيل إذ لا متمم لتفاصيل الصفات إلا هو ولذلك لم يكن غيره خاتماً فلهذه المعاني خص إبراهيم بالذكر في الصلاة وشبه صلوات نبينا بصلاته دون صلوات غيره فاعرف. ثم إن الآية الكريمة دلت على وجوب الصلاة والسلام على نبينا عليه السلام وذلك لأن النفس الإنسانية منغمسة غالباً في العلائق البدنية والعوائق الطبيعية كالأكل والشرب ونحوها وكالأوصاف الذميمة والأخلاق الرديئة والمفيض تعالى وتقدس في غاية التنزه والتقدس فليس بينهما مناسبة والاستفاضة منه إنما تحصل بواسطة ذي جهتين أي: جهة التجرد وجهة التعلق كالحطب اليابس بين النار والحطب الرطب وكالغضروف بين اللحم والعظم وتلك الواسطة حضرة صاحب الرسالة عليه السلام حيث يستفيض من جهة تجرده ويفيض من جهة تعلقه فالصلاة عليه واجبة عقلاً كما أنها واجبة شرعاً أي: بهذه الآية لكن مطلقاً أي: في الجملة إذ ليس فيها تعرض للتكرار كما في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]. وقال الطحاوي: تجب الصلاة عليه كلما جرى ذكره على لسانه أو سمعه من غيره. قال في «بحر العلوم» وهو الأصح لأن الأمر وإن كان لا يقتضي التكرار إلا أن تكرار سبب الشيء يقتضي تكراره كوقت الصلاة لقوله عليه السلام: «من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله» أي: من رحمته وفي الحديث: «لا يرى وجهي ثلاثة أقوام أحدها العاق لوالديه والثاني تارك سنتي والثالث من ذكرت عنده فلم يصل عليّ» وفي الحديث: «أربع من الجفاء أن يبول الرجل وهو قائم وأن يمسح جبهته قبل أن يفرغ وأن يسمع النداء فلا يشهد مثل ما يشهد المؤذن وأن أذكر عنده فلا يصلي عليّ». فإن قلت: الصلاة على النبي لم تخلُ عن ذكره ولو وجبت كلما ذكر لم نجد فراغاً من الصلاة عليه مدة عمرنا. قلت: المراد من ذكر النبي الموجب للصلاة عليه الذكر المسموع في غير ضمن الصلاة عليه. وقيل: تجب الصلاة في كل مجلس مرة في الصحيح وإن تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وإن كان السنة أن يشمت لكل مرة إلى أن يبلغ إلى ثلاث ثم هو مخير إن شاء شمته وإن شاء تركه. وكذلك تجب الصلاة في كل دعاء في أوله وآخره وقيل: تجب في العمر مرة كما في إظهار الشهادتين والزيادة عليها مندوبة والذي يقتضيه الاحتياط وتستدعيه معرفة علو شأنه أن يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع كما قال في «فتح الرحمٰن»: المختار في مذهب أبي حنيفة أنها مستحبة كلما ذكر وعليه الفتوى. وفي تفسير الكاشفي [وفتوى بر آنست كه نام آن حضرت هرچند تكرار يابد يك نوبت درود واجبست وباقي سنت] أي: يستحب تكرارها كلما ذكر بخلاف سجود التلاوة فإنه لا يندب تكراره بتكرير التلاوة في مجلس واحد. والفرق أن الله تعالى غني غير محتاج بخلاف النبي عليه السلام كما في «حواشي الهداية» للإمام الخبازي ولو تكرر اسم الله في مجلس واحد أو في مجالس يجب لكل مجلس ثناء على حدة بأن يقول: سبحان الله أو تبارك الله أو جل جلاله أو نحو ذلك فإن تعظيم الله لازم في كل زمان ومكان ولو تركه لا

يقضي بخلاف الصلاة على النبي عليه السلام لأنه لا يخلو عن تجدد نعم الله الموجبة للثناء فلا يخلص للقضاء وقت بخلاف الصلاة على النبي فتبقى ديناً في الذمة فتقضي لأن كل وقت محل للأداء.

وفي قاضي خان رجل يقرأ القرآن ويسمع اسم النبي لا تجب عليه الصلاة والتسليم لأن قراءة القرآن على النظم والتأليف أفضل من الصلاة على النبي فإذا فرغ من القرآن إن صلى عليه كان حسناً وإن لم يصل لا شيء عليه. أما الصلاة عليه في التشهد الأخير كما سبق فسنة عند أبي حنيفة ومالك وشرط لجواز الصلاة عند الشافعي وركن عند أحمد فتبطل الصلاة عندهما بتركها عمداً كان أو سهواً لقوله عليه السلام: «لا صلاة لمن لم يصل عليّ في صلاته» قلنا ذلك محمول على نفي الكمال ولو كانت فريضة لعلمها النبي عليه السلام الأعرابي حين علمه أركان الصلاة. وأما الصلاة على غير الأنبياء فتجوز تبعاً بأن يقول اللهم صل على محمد وعلى آله. ويكره استقلالاً وابتداء كراهة تنزيه كما هو الصحيح الذي عليه الأكثرون فلا يقال اللهم صل على أبي بكر لأنه في العرف شعار ذكر الرسل. ومن هنا كره أن يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزاً جليلاً ولتأديته إلى الاتهام بالرفض لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم». وأما السلام: فهو في معنى الصلاة فلا يستعمل الغائب فلا يفرد به غير الأنبياء فلا يقال عليّ عليه السلام كما تقول الروافض وتكتبه وسواء في هذا الأحياء والأموات. وأما الحاضر فيخاطب به فيقال: السلام عليك أو عليكم وسلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه. والسلام على الأموات عند الحضور في القبور من قبيل السلام على الحاضر وقد سبق. وأما إفراد الصلاة عن ذكر السلام وعكسه فقد اختلفت الروايات فيه منهم من ذهب إلى عدم كراهته فإن الواو في وسلموا لمطلق الجمع من غير دلالة على المعية وعن إبراهيم النخعي أن السلام أي: قول الرجل عليه السلام يجزي عن الصلاة على النبي عليه السلام لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۖ﴾ [النمل: ٥٩] ولكن لا يقتصر على الصلاة فإذا صلى أو كتب اتبعها التسليم. ويستحب الترضي والترحم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الأخيار فيقال أبو بكر وأبو حنيفة رضي الله عنه أو رحمه الله أو نحو ذلك فليس رضي الله عنه مخصوصاً بالصحابة بل يقال فيهم رحمه الله أيضاً. والأرجح في مثل لقمان ومريم والخضر والاسكندر المختلف في نبوته أن يقال رضي الله عنه أو عنها ولو قال عليه السلام أو عليها السلام لا بأس به. وقال الإمام اليافعي في «تاريخه»: والذي أراه أن يفرق بين الصلاة والسلام والترضي والترحم والعفو. فالصلاة مخصوصة على المذهب الصحيح بالأنبياء والملائكة. والترضي مخصوص بالصحابة والأولياء والعلماء. والترحم لمن دونهم. والعفو للمذنبين. والسلام مرتبة بين مرتبة الصلاة والترضي فيحسن أن يكون لمن منزلته بين منزلتين أعني يقال لمن اختلف في نبوتهم كلقمان والخضر وذي القرنين لا لمن دونهم. ويكره أن يرمز للصلاة والسلام على النبي عليه الصلاة والسلام في الخط بأن يقتصر من ذلك على الحرفين هكذا «عم» أو نحو ذلك كمن يكتب «صلعم» يشير به إلى ﷺ. ويكره حذف واحد من الصلاة والتسليم والاقتصار على أحدهما وفي الحديث: «من صلى عليّ في كتاب لم تزل صلاته جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب» كما في «أنوار المشارق» لمفتي حلب.

ثم إن للصلوات والتسليمات مواطن: فمنها: أن يصلي عند سماع اسمه الشريف في الأذان، قال القهستاني في شرحه الكبير نقلاً عن «كنز العباد»: اعلم أنه يستحب أن يقال عند سماع الأولى من الشهادة الثانية «صلى الله عليك يا رسول الله» وعند سماع الثانية «قرة عيني بك يا رسول الله» ثم يقال: «اللهم متعني بالسمع والبصر» بعد وضع ظفر الإبهامين على العينين فإنه ﷺ يكون قائداً له إلى الجنة انتهى. قال بعضهم: [پشت ابهامين برچشم ماليده اين دعا بخواند «اللهم متعني» الخ. ودر صلوات نجمي فرموده كه ناخن هردو ابهام را برچشم نهد بطريق وضع نه بطريق مد. ودر محيط آورده كه پيغمبر ﷺ بمسجد در آمد ونزديك ستون بنشست وصديق رضي الله عنه در برابر آن حضرت نشسته بود بلال رضي الله عنه برخاست وباذان اشتغال فرمود چون كفت اشهد أن محمداً رسول الله أبو بكر رضي الله عنه هردوناخن ابهامين خودرا برهردوچشم خود نهاده كفت «قرة عيني بك يا رسول الله» چون بلال رضي الله عنه فارغ شد حضرت رسول الله ﷺ فرموده كه يا ابا بكر هركه بكند چنين كه توكردى خداى بيامرزد كناهان جديد وقديم اورا اكر بعمد بوده شاد اكر بخطا. وحضرت شيخ إمام أبو طالب محمد بن علي المكي رفع الله درجته در قوت القلوب روايت كرده ازابن عيينه رحمه الله كه حضرت پيغمبر عليه الصلاة والسلام بمسجد در آمد دردهه محرم وبعد ازآنكه نماز جمعه إدا فرموده بود نزديك اسطوانه قرار كرفت وأبو بكر رضي الله عنه بظهر ابهامين چشم خودرا مسح كرد وكفت قرة عيني بك يا رسول الله وچون بلال رضي الله عنه ازاذان فراغتى روى نمود حضرت رسول الله ﷺ فرمودكه أي أبا بكر هركه بكويد آنچه توكفتى ازروى شوق بلقاى من وبكند آنچه توكردى خداى در كذارد كناهان ويرا انكه باشد نووكهنه خطا وعمد ونهان واشكارا ومن درخواستكيم جرايم ويرا ودرمضمرات برين وجه نقل كرده]. وفي قصص الأنبياء وغيرها أن آدم عليه السلام اشتاق إلى لقاء محمد ﷺ حين كان في الجنة فأوحى الله تعالى إليه هو من صلبك ويظهر في آخر الزمان فسأل لقاء محمد ﷺ حين كان في الجنة فأوحى الله تعالى إليه فجعل الله النور المحمدي في إصبعه المسبحة من يده اليمنى فسبح ذلك النور فلذلك سميت تلك الأصبع مسبحة كما في «الروض الفائق» أو أظهر الله تعالى جمال حبيبه في صفاء ظفري ابهاميه مثل المرآة فقبل آدم ظفري ابهاميه ومسح على عينيه فصار أصلاً لذريته فلما أخبر جبرائيل النبي ﷺ بهذه القصة قال عليه السلام: «من سمع اسمي في الأذان فقبل ظفري إبهاميه ومسح على عينيه لم يعم أبداً». قال الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة»: إن هذا الحديث لم يصح في المرفوع والمرفوع من الحديث هو ما أخبر الصحابي عن قول رسول الله عليه السلام. وفي «شرح اليماني» ويكره تقبيل الظفرين ووضعهما على العينين لأنه لم يرد فيه حديث والذي فيه ليس بصحيح انتهى.

يقول الفقير: قد صح عن العلماء تجويز الأخذ بالحديث الضعيف في العمليات فكون الحديث المذكور غير مرفوع لا يستلزم ترك العمل بمضمونه وقد أصاب القهستاني في القول باستحبابه وكفانا كلام الإمام المكي في كتابه فإنه قد شهد الشيخ السهروردي في «عوارف المعارف» بوفور علمه وكثرة حفظه وقوة حاله وقبل جميع ما أورده في كتابه «قوت القلوب» ولله در أرباب الحال في بيان الحق وترك الجدال. ومنها أن يصلي بعد سماع الأذان بأن يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة

وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته» فإنه عليه السلام وعد لقائله الشفاعة العظمى. ومنها أن يصلي عند ابتداء الوضوء ثم يقول: «بسم الله» وبعد الفراغ منه فإنه يفتح له أبواب الرحمة وفي المرفوع: «لا وضوء لمن لم يصل على النبي عليه السلام». ومنها: أن يصلي عند دخول المسجد ثم يقول: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك» وعند الخروج أيضاً ثم يقول: «اللهم افتح لي أبواب فضلك واعصمني من الشيطان» وكذا عند المرور بالمساجد ووقوع نظره عليها ويصلي في التشهد الأخير كما سبق وقبل الدعاء وبعده فإن الصلوات مقبولة لا محالة فيرجى أن يقبل الدعاء بين الصلاتين أيضاً. وفي «المصابيح» عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: دخل رجل مسجد الرسول فصلى فقال: اللهم اغفر لي وارحمني فقال رسول الله ﷺ: «عجلت أيها المصلي إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصلِ عليّ ثم ادعه» قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله تعالى وصلى على النبي عليه السلام فقال له النبي عليه السلام: «أيها المصلي ادع تجب» وفي الحديث «ما من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلي على محمد وعلى آل محمد فإذا فعل ذلك انخرق الحجاب ودخل الدعاء وإذا لم يفعل ذلك رجع الدعاء» ذكره في «الروضة» وسره ما سبق من أن نبينا عليه السلام هو الواسطة بيننا وبينه تعالى والوسيلة ولا بد من تقديم الوسيلة قبل الطلب وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]:

بى بدرقه؟ درود او هيچ دعا ... البته بمنزل اجابت نرسد

وقد توسل آدم عليه السلام إلى الله تعالى بسيد الكونين في استجابة دعوته وقبول توبته كما جاء في الحديث: «لما اعترف آدم بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فقال الله تعالى: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: لأنك إذ خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا اسم أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ فغفرت لك ولولا محمد لما خلقتك» رواه البيهقي في «دلائله»:

از نسل آدمي تو ولى به ز آدمي ... شك نيست اندراين كه بود در به از صدف

سلطان انبياكه بدركاه كبريا ... چون اونيافت هيچ كسى عزت وشرف

ويصلي بعد التكبير الثاني في صلاة الجنازة على الاستحباب عند أبي حنيفة ومالك وعلى الوجوب عند الشافعي وأحمد وكذا في خطبة الجمعة على هذا الاختلاف بين الأئمة وكذا في خطبة العيدين والاستسقاء على مذهب الشافعي والإمامين فإنه ليس في الاستسقاء خطبة ولا أذان وإقامة عند الإمام بل ولا صلاة بجماعة وإنما فيه دعاء واستغفار. ويصلي في الصباح والمساء عشراً ومن صلى بعد صلاة الصبح والمغرب مائة فإن الله يقضي له مائة حاجة ثلاثين في الدنيا وسبعين في الآخرة. وبعد ختم القرآن وهو من مواطن استحابة الدعاء ويصلي قبل الاشتغال بالذكر منفرداً أو مجتمعاً فإن الملائكة يحضرون مجالس الذكر ويوافقون أهله في الذكر والدعاء والصلوات. وعند ابتداء كل أمر ذي بال. وفي أيام شعبان ولياليها فإنه عليه السلام أضاف شعبان إلى نفسه ليكثر فيه أمته الصلوات عليه [ودر آثار آمده كه در آسمان دريابيست كه انرا درياى بركات كويند وبرلب آن دريا درختيست كه آنرا درخت تحيات خوانند وبران درخت مرغيست كه ممسى بمرغ صلوات اورا پرسيارست چون بندهٔ مؤمن درماه شعبان برسيد آخر الزمان صلوات فرستد آن مرغ بدان دريا فروشود وغوطه زده بيرون آيد وبران

درخت نشيند وپرهاى خودرا بيفشاند حق تعالى ازهر قطرهٔ آب كه از پروى بجكد فرشته بيافريند وآن همه بحمد وثناى حق تعالى مشغول كردند وثواب ايشان در ديوان عمل درود دهنده رقم ثبت يابد ودر خبر آمده كه يك درود در ماه شعبان برابرست باده درود در غير آن].

شعبان شهر رسول الله فاغتنموا صيام أيامه الغر الميامين

صلوا على المصطفى في شهره وارجوا منه الشفاعة يوم الحشر والدين

ويصلي يوم الجمعة وليلته فإن الجمعة سيد الأيام ومخصوص بسيد الأنام فللصلوات فيه مزية وزيادة مثوبة وقربة ودرجة وفي الحديث: «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة خلق فيه آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ» قيل: يا رسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد رممت أي: بليت قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» وفي الحديث «من صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة ومن صل عليّ كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبداً» [ودر ازهار الأحاديث آيدكه حق تعالى بعضي از ملائكهٔ مقربين روز پنجشنبه از دائره چرخ برين بمركز زمين فرستد باصحيفها از نقره وقلمها اززر تا بنويسند صلواتي راكه مؤمنان درشب وروز جمعه بر سيد عالم مى فرستد].

بروز جمعه درود محمد عربي ز روى قدر زايام ديكر افزونست

وعن بعض الكبار أن من صلى على النبي عليه السلام ليلة الجمعة ثلاثة آلاف رأى في منامه ذلك الجناب العالي ذكره على الصفي في «الرشحات» ويصلي عند الركوب يعني: [درهمه سفرها دروقت نشستن بر مركب بايدكفت كه] بسم الله والله أكبر وصل على محمد خير البشر ثم يتلو قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٣ ـ ١٤]. ويصلي في طريق مكة، يعني: [درراه حرم كعبه چون كسى خواهد كه بر بلندى رود تكبير بايد كفت وچون روى بنشيب آرد صلوات بايد فرستاد]. وعند استلام الحجر يقول: «اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك وسنة نبيك» ثم يصلي على النبي عليه السلام. ويصلي على جبل الصفا والمروة وبعد الفراغ من التلبية ووقت الوقوف عند المشعر الحرام. وفي طريق المدينة وعند وقوع النظر عليها وعند طواف الروضة المقدسة وحين التوجه إلى القبر المقدس [هركه نزديك قبر آن حضرت ايستاده آيت ﴿إن الله وملائكته﴾] تا آخر بخواند وهفتاد باربكويد صلى الله عليك يا محمد [فرشته ندا كندكه] صلى الله عليك يا فلان [بخواه حاجتى كه دارى كه هيچ حاجت تورد نمى شود]. ويصلي بين القبر والمنبر ويكبر ويدعو. ويصلي وقت استماع ذكره عليه السلام كما سبق. وكذا وقت ذكر اسمه الشريف وكتابته، يعني: [كاتب را صلوات بايد فرستاد بزبان وبدست نيز بايد نوشت]. ويصلي عند ابتداء درس الحديث وتبليغ السنن فيقول: «الحمد لله رب العالمين أكمل الحمد على كل حال والصلاة والسلام الإتمان والأكملان على سيد المرسلين كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون اللهم صل عليه وعلى آله وسائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين نهاية ما ينبغي أن يسلكه السالكون». ويصلي عند ابتداء التذكير والعظة أي: بعد الحمد والثناء لأنه موطن تبليغ العلم المروي عنه عليه السلام. ووقت كفاية المهم ورفع الهم. ووقت طلب المغفرة والكفارة فإن الصلاة عليه محاء الذنوب. ووقت المنام والقيام منه. وحين دخول السوق لتربح تجارة آخرته. وحين المصافحة لأهل الإسلام. وحين افتتاح الطعام فيقول اللهم صل على محمد

وعلى آل محمد وطيب أرزاقنا وحسن أخلاقنا. وفي «الشرعة» والسنة في أكل الفجل بضم الفاء وسكون الجيم بالفارسية: [ترب] أن يذكر النبي عليه السلام في أول قضمة، يعني: [دراول دندان برو زدن] لئلا يوجد ريحه، يعني: [تادريافته نشود رايحه آن] قال بعضهم: المقصود الأصلي من الفجل ورقه كما قالوا المطلوب من الحمام العرق ومن الفجل الورق. ويصلي عند اختتام الطعام فيقول: «الحمد لله الذي أطعمنا هذا ورزقناه من غير حول منا وقوة الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم. ويصلي عند قيامه من المجلس فيقول: صلى الله وملائكته على محمد وعلى أنبيائه» فإنه كفارة اللهو واللغو الواقعين فيه. ويصلي عند العطسة عند البعض وكرهه الأكثرون كما قال في «الشرعة» وشرحها. ولا يذكر اسم النبي عند العطاس بل يقول الحمد لله. ولا وقت الذبح حتى لو قال بسم الله واسم محمد لا يحل لأنه لا يقع الذبح خالصاً لله ولو قال بسم الله وصلى الله على محمد يكره. ولا وقت التعجب فإن الذكر عند التعجب أن يقول سبحان الله. ويصلي عند طنين الأذن ثم يقول: «ذكر الله بخير من ذكرني». وفي خطبة النكاح فيقول: «الحمد لله الذي أحل النكاح وحرم السفاح والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى الله القادر الفتاح وعلى آله وأصحابه ذوي الفلاح والنجاح». وعند شم الورد وفي «مسند الفردوس» «الورد الأبيض خلق من عرقي ليلة المعراج. والورد الأحمر خلق من عرق جبريل. والورد الأصفر خلق من عرق البراق» وعن أنس رضي الله عنه رفعه «لما عرج بي إلى السماء بكت الأرض من بعدي فنبت الأصفر من نباتها فلما أن رجعت قطر عرقي على الأرض فنبت ورد أحمر ألا من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر». قال أبو الفرج النهرواني هذا الخبر يسير من كثير مما أكرم الله به نبيه عليه السلام ودل على فضله ورفيع منزلته كما في «المقاصد الحسنة».

زكيسوى او نافه بو يافته كل از روى او آب رو يافته

[در خبر آمده كه هركل بوى كند وبر من صلوات نفرستد جفا كرده باشد بامن]. ويصلي عند خطور ذلك الجناب بباله. وعند إرادة أن يتذكر ما غاب عن الخاطر فإن بركة الصلوات تخطر على القلب. ومن آداب المصلي أن يصلي على الطهارة وقد سبق حكاية السلطان محمود عند قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ﴾ [الأحزاب: ٤٠] الخ الآية. وأن يرفع صوته عند أداء الحديث [ودر آثار آمده كه برداريد آواز خودرا درادای صلوات كه رفع الصوت بوقت اداى درود صيقليست كه غبار شقاق وژنكار نفاق را ازمراياء قلوب مى زدايد]:

نام تو صيقليست كه دلهاى تيره را روشن كند چو آينهاء سكندرى

وأن يكون على المراقبة وهو حضور القلب وطرد الغفلة وأن يصحح نيته وهو أن تكون صلواته امتثالاً لأمر الله وطلباً لرضاه وجلباً لشفاعة رسوله وأن يستوي ظاهره وباطنه فإن الذكر اللساني ترجمان الفكر الجناني فلا بد من تطبيق أحدهما بالآخر وإلا فمجرد الذكر اللساني من غير حضور القلب غير مفيد. وأن يصلي ورسول الله ﷺ مشهود لديه كما يقتضيه الخطاب في قوله: السلام عليك فإن لم يكن يراه حاضراً وسامعاً لصلاته فأقل الأمر أن يعلم أنه عليه السلام يرى صلاته معروضة عليه وإلا فهي مجرد حركة لسان ورفع صوت.

واعلم أن الصلوات متنوعة إلى أربعة آلاف وفي رواية إلى اثني عشر ألفاً على ما نقل عن الشيخ سعد الدين محمد الحموي قدس سره كلٌ منها مختار جماعة من أهل الشرق والغرب

بحسب ما وجدوه رابطة المناسبة بينهم وبينه عليه السلام وفهموا فيه الخواص والمنافع منها ما سبق في أوائل الآية وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم [دررياض الأحاديث آورده كه پيغمبر عليه السلام فرمودكه دربهشت در ختيست كه آنرا محبوبه كويند ميوهٔ اوخرد ترست ازانار وبزركترست ازسيب وآن ميوه ايست سفيدتر ازشير وشيرين تر ازعسل ونرم تر ازمسكه نخورد ازآن ميوه الاكسى كه هرروز مداومت كند بركفتن] اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم. ومنها قوله: «اللهم صل على محمد النبي كما أمرتنا أن نصلي عليه وصل على محمد النبي كما ينبغي أن يصلى عليه وصل على محمد بعدد من صلى عليه وصل على محمد النبي بعدد من لم يصل عليه وصل على محمد النبي كما تحب أن يصلى عليه» من صلى هذه الصلوات صعد له من العمل المقبول ما لم يصعد لفرد من أفراد الأمة وأمن من المخاوف مطلقاً خصوصاً إذا كان على طريق يخاف فيه من قطاع الطريق وأهل البغي.

هست از آفات دوران ومخافات زمان نام او حصن حصين وذكر او دار الامان

ومنها قوله: «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات» من صلى هذه الصلوات كثر ماله يوماً فيوماً. ومنها قوله: «اللهم صل على محمد وآله عدد ما خلقت اللهم صل على محمد وآله ملىء ما خلقت اللهم صل على محمد وآله عدد كل شيء اللهم صل على محمد وآله ملىء كل شيء اللهم صل على محمد وآله عدد ما أحصاه كتابك اللهم صل على محمد وآله ملىء ما أحصاه كتابك اللهم صل على محمد وآله عدد ما أحاط به علمك اللهم صل على محمد وآله ملىء ما أحاط به علمك». قال الكاشفي: [اين صلوات ثمانيه منسوبست بنجبا وايشان هشت تن اند درهر زمانى زياده وكم نشوند حضرت شيخ قدس سره در فتوحات فرمودكه ايشان اهل علم اندبصفات ثمانيه ومقام ايشان كرسى است يعني كشف ايشان ازان تجاوز نتواند نمود ودر علم تيسير كواكب از جهت كشف واطلاع نه بروجه اصطلاح قدمى راسخ دارند وسلطان ابراهيم بن أدهم قدس سره ايشانرا درقبة الملائكة ديده در حرم مسجد اقصى وهريك يك كلمه ازين صلوات بوى آموخته اند فرموده كه مارا ببركات اين كلمات تصرفات كلي هست واحوال ومواجيد بجهت اين ورد برماغلب مى كند وفوائد اين بسيارست نقلست كه حضرت إبراهيم ادهم بقيهٔ عمر براداى اين صلوات مواظبت مى نموده]. ومنها قوله: «اللهم صل على سيدنا محمد مفرّق فرق الكفر والطغيان ومشتت بغاة جيوش القرين والشيطان وعلى آل محمد وسلم» [ازحضرت شيخ المشايخ سعد الدين الحموي قدس سره روايت كرده اندكه اكركسى از وسوسهٔ شيطان ودغدغهٔ نفس وهوى متضرر باشد بايدكه پيوست بدين نوع صلوات فرستد تا ازشر شياطين وهمزات ايشان مأمون ومحفوظ باشد]. ومنها قوله: «اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم بعدد ما في جميع القرآن حرفاً حرفاً وبعدد كل حرف ألفاً ألفاً» من قاله من الحفاظ بعد تلاوة حزب من القرآن استظهر بميامنه في الدنيا والآخرة واستفاد من فائدته صورة ومعنى. ومنها قوله: «اللهم صل على سيدنا محمد ما اختلف الملوان وتعاقب العصران وكرّ الجديدان واستقل الفرقدان وبلغ روحه وأرواح أهل بيته منا التحية والسلام وبارك وسلم عليه كثيراً. [آورده اندكه كسى نزد سلطان غازى محمود غزنوى آمد وكفت مدتى بودكه حضرت

پيغمبر را عليه السلام ميخواستم كه درخواب ببينم وغمى كه دردل دارم بآن دلدار غمخوار بازكويم]:

همه شب ديده بعمدا نكشايم ازخواب بوكه در خواب بدان دولت بيدار رسم

[قضارا سعادت مساعده نموده شب دوش بدان دولت بيدار رسيدم ورخسار جانفزاى جهان آرايش «كالقمر ليلة البدر وكالروح ليلة القدر» ديدم چون آن حضرت را منبسط يافتم كفتم يا رسول الله هزار درم قرض دارم اداى ويرا قادر نيستم ومى ترسم كه اجل در رسد ووام دركردن من بماند حضرت پيغمبر عليه السلام فرمودكه نزد محمود سبكتكين رو واين مبلغ از وبستان كفتم ياسيد البشر شايد ازمن باورنكند ونشانى طلبد كفت بكو بدان نشانى كه دراول شب كه تكيه ميكنى سى هزار بار برمن درود مى دهى وباخرشب كه بيدار ميشوى سى هزار نوبت ديكر صلوات مى فرستى وام مرا اداكن سلطان محمود بكريه در آمد واورا تصديق كرده قرضش اداكرد وهزار درم ديكرش بداد اركان دولت متعجب شده كفتند اى سلطان اين مردرا درين سخن محال كه كفت تصديق كردى وحال آنكه ما دراول شب وآخر باتوييم ونمى بينيم كه بصلوات اشتغال ميكنى واكركسى بفرستادن درود مشغول كردد وبجدى وجهدي كه زياده ازان درحيز تصور نيايد درتمام اوقات وساعات شبانه روز شصت هزار بارصلوات نميتواند فرستاد باندك فرصتى دراول وآخر شب چكونه اين صورت تيسيير پذير باشد سلطان محمود فرمودكه من ازعلما شنوده بودم كه هركه يكبار بدين نوع صلوات فرستدكه «اللهم صل على سيدنا محمد ما اختلف الملوان الخ» چنان باشدكه ده هزار بارصلوات فرستاده باشد ومن در اول شب سه نوبت ودر آخرشب سه كرت اين را مى خوانم وچنان ميدانم كه شصت هزار صلوات فرستاده ام پس اين درويش كه پيغام سيد انام عليه الصلاة والسلام آورده است كفت آن كريه كه كردم ازشادى بودكه سخن علما راست بوده وحضرت رسول عليه الصلاة والسلام بران كواهى داده]. ومنها قوله: «اللهم صل على محمد وآل محمد بعدد كل داء ودواء» [مولانا شمس الدين كيشى وقتى كه در ولايت وى وباى عام بوده حضرت رسالت را عليه السلام در واقعه ديده وكفته يا رسول الله مرا دعايى تعليم ده كه ببركت آن ازبليهء طاعون ايمن شوم آن حضرت فرموده كه هركه بدين نوع برمن صلوات دهد ازطاعون امان يابد]:

اكرزآفت دوران شكسته حال شوى امان طلب زجناب مقدس نبوى

وكرسهام حوادث ترا نشانه كند پناه بربحصار درود مصطفوى

ومنها قوله: «اللهم صل على محمد بعدد ورق هذه الأشجار. وصل على محمد بعدد الورد والأنوار. وصل على محمد بعدد قطر الأمطار. وصل على محمد بعدد رمل القفار. وصل على محمد بعدد دواب البراري والبحار». [در ذخيرة المذكرين آورده كه يكى از صلحاى امت درايام بهار بصحرا بيرون شد وسر سبز اشجار وظهور انوار وازهار مشاهده نمود كفت «يا رب صل على محمد بعدد ورق الخ» هاتفي آوازدادكه اى درود دهنده دررنج انداختى كرام الكاتبين رابجهت نوشتن ثواب اين كلمات ومستوجب درجها بنوشتيدى كار ازسر كيركه هرچه ازبدى كرده بودى درين وقت بيامرزند]. ومنها قوله: «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات. وتقضي لنا بها جميع الحاجات. وتطهرنا بها من جميع السيئات. وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات. وتبلغنا

بها أقصى الغايات. من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات». [درشفاء السقم آورده كه فاكهاني دركتاب فجر منير ازشيخ أبو موسى ضرير رحمه الله نقل ميكند باجمعى مردم دركشتى نشسته بوديم ناكاه بادى كه اوراريح اقلابيه كويند وزيدن آغازكرد وملاحان مضطرب شدند چه اركشتى ازان بادسالم راندى ازنوادر شمردندى اهل كشتى ازين حال واقف كشت غريو وزارى دركرفتند ودل برمرك نهاده يكديكررا وصيت ميكردند ناكاه چشم من در خواب شد وحضرت رسالت را ﷺ ديدم كه بكشتى درآد وكفت يا أبا موسى أهل كشتى را بكو تاهزار بار صلوات فرستند بدين نوع كه «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الخ» بيدار شدم وقصه بایاران كفتم وآن كلمات برزبان من جارى بود باتفاق مى خوانديم نزديك به سيصد عدد كه خوانده شد آن باد بياراميد وكشتى بسلامت بكذشت]:

على المصطفى صلوا فإن صلاته امان من الآفات والخطرات
تحيته اصل الميامن فاطلبوا بها جملة الخيرات والبركات

ومنها قوله: «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله. الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله. الصلاة والسلام عليك يا خليل الله. الصلاة والسلام عليك يا صفي الله. الصلاة والسلام عليك يا نجي الله. الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله. الصلاة والسلام عليك يا من اختاره الله. الصلاة والسلام عليك يا من زينه الله. الصلاة والسلام عليك يا من أرسله الله. الصلاة والسلام عليك يا من شرفه الله. الصلاة والسلام عليك يا من عظمه الله. الصلاة والسلام عليك يا من كرمه الله. الصلاة والسلام عليك يا سيد المرسلين. الصلاة والسلام عليك يا إمام المتقين. الصلاة والسلام عليك يا خاتم النبيين. الصلاة والسلام عليك يا شفيع المذنبين. الصلاة والسلام عليك يا رسول رب العالمين. الصلاة والسلام عليك يا سيد الأولين. الصلاة والسلام عليك يا سيد الآخرين. الصلاة والسلام عليك يا قائد المرسلين. الصلاة والسلام عليك يا شفيع الأمة. الصلاة والسلام عليك يا عظيم الهمة. الصلاة والسلام عليك يا حامل لواء الحمد. الصلاة والسلام عليك يا صاحب المقام المحمود. الصلاة والسلام عليك يا ساقي الحوض المورود. الصلاة والسلام عليك يا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة. الصلاة والسلام عليك يا سيد ولد آدم. الصلاة والسلام عليك يا أكرم الأولين والآخرين. الصلاة والسلام عليك يا بشير. الصلاة والسلام عليك يا نذير. الصلاة والسلام عليك يا داعي لله بإذنه والسراج المنير. الصلاة والسلام عليك يا نبي التوبة. الصلاة والسلام عليك يا نبي الرحمة. الصلاة والسلام عليك يا مقفى. الصلاة والسلام عليك يا عاقب. الصلاة والسلام عليك يا حاشر. الصلاة والسلام عليك يا مختار. الصلاة والسلام عليك يا ماحي. الصلاة والسلام عليك يا أحمد. الصلاة والسلام عليك يا محمد صلوات الله وملائكته ورسله وحملة عرشه وجميع خلقه عليك وعلى آلك وأصحابك ورحمة الله وبركاته» [اين صلوات را صلوات فتح كويند چهل كلمه است صلواتي مباركست ونزد علماً معروف ومشهور وبهر مرادي كه بخوانند حاصل كردد هركه چهل بامداد بعدازاداى فرض بكويد كارفروبستهء او بكشايد وبردشمن ظفر يابد واكر درحبس بود حق سبحانه وتعالى اورا رهايى بخشد وخواص او بسيارست. وحضرت عارف صمداني اميرسيد على همداني قدس سره بعضي ازين صلوات در آخر اوراد فتحيه ايراد فرموده اند وشرط خواندن اين صلوات آنست كه حضرت پيغمبررا صلى الله تعالى عليه وسلم حاضر بيند

ومشافهه باايشان خطاب كند. ومنها قوله: «السلام عليك يا إمام الحرمين. السلام عليك يا إمام الخافقين. السلام عليك يا رسول الثقلين. السلام عليك يا سيد من في الكونين وشفيع من في الدارين. السلام عليك يا صاحب القبلتين. السلام عليك يا نور المشرقين وضياء المغربين. السلام عليك يا جد السبطين الحسن والحسين عليك وعلى عترتك وأسرتك وأولادك وأحفادك وأزواجك وأفواجك وخلفائك ونقبائك ونجبائك وأصحابك وأحزابك وأتباعك وأشياعك سلام الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين» [اين را تسليمات سبعه كويندكه هفت سلامست هركه بكارى درماند ومهمات اوفروبسته باشد هفت روزى بعدازنمازى يازده بارصلوات فرستد پس اين را تسليمات هفت بار بخواند مهم كفايت شود وحاجت روا كردد]:

يا نبي الله السلام عليك | إنما الفوز والفلاح لديك
بسلام آمدم جوابم ده | مرهمى بر دل خرابم نه
پس بود جاه واحترام مرا | يك عليك ازتوصد سلام مرا
زارىء من شنو تكلم كن | كريه من نكر تبسم كن
لب بجنبان پى شفاعت من | منكر دركناه وطاعت من

قال الكاشفي: [في تفسيره وفي تحفة الصلوات أيضاً دركيفيت صلاة أحاديث متنوعه وارد شده وإمام نووى فرموده كه افضل آنست كه جمع نمايند ميان احاديث طرق مذكوره چه اكثر آن بصحت پيوسته والفاظ وارده را بتمام بيارند برين وجه كه] «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾.

﴿إن الذين يؤذون الله﴾ يقال: أذى يؤذي أذى وأذية وإذاية ولا يقال إيذاء كما في «القاموس» شاع بين أهل التصنيف استعماله كما في «التنبيه» لابن كمال. ثم إن حقيقة التأذي وهو بالفارسية: [آزرده شدن] في حقه تعالى محال فالمعنى يفعلون ما يكرهه ويرتكبون ما لا يرضاه بترك الإيمان به ومخالفة أمره ومتابعة هواهم ونسبة الولد والشريك إليه والإلحاد في أسمائه وصفاته ونفي قدرته على الإعادة وسب الدهر ونحت التصاوير تشبيهاً بخلق الله تعالى ونحو ذلك **﴿ورسوله﴾** بقولهم: شاعر ساحر كاهن مجنون وطعنهم في نكاح صفية الهارونية وهو الأذى القولي وكسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم أحد ورمي التراب عليه ووضع القاذورات على مهر النبوة. عبد الله بن مسعود [كفت ديدم رسول خدايرا عليه السلام در مسجد حرام درنماز بود سر بر سجود نهاده كه آن كافر بيامد وشكنبهء شتر ميان دوكتف وى فروكذاشت رسول همچنان درسجود بخدمت الله ايستاده وسرازز مين برنداشت تا آنكه كه فاطمهء زهرا رضي الله عنها بيامد وآن از كتف مبارك وى بينداخت وروى نهاد درجمع قريش وآنچه سراى ايشان بود كفت] ونحو ذلك من الأذى الفعلي ويجوز أن يكون المراد بإيذاء الله

ورسوله ايذاء رسول الله خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله لتعظيمه والإيذان بجلالة مقداره عنده وأن إيذاءه عليه السلام إيذاء له تعالى لأنه لما قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فمن آذى رسوله فقد آذى الله. قال الإمام السهيلي رحمه الله ليس لنا أن نقول أن أبوي النبي ﷺ في النار لقوله عليه السلام: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» والله تعالى يقول: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ الآية يعني يدخل التعامل المذكور في اللعنة الآتية ولا يجوز القول في الأنبياء عليهم السلام بشيء يؤدي إلى العيب والنقصان ولا فيما يتعلق بهم. وعن أبي سهلة بن جلاد رضي الله عنه أن رجلاً أم قوماً فبصق في القبلة ورسول الله ينظر إليه فقال عليه السلام حين فرغ: «لا يصل بكم هذا» فأراد بعد ذلك أن يصلي بهم فمنعوه وأخبروه بقول رسول الله فذكر ذلك لرسول الله فقال: «نعم» وحسبت أنه قال: إنك آذيت الله ورسوله كما في «الترغيب» للإمام المنذري. قال العلماء: إذا كان الإمام يرتكب المكروهات في الصلاة كره الاقتداء به لحديث أبي سهلة هذا وينبغي للناظر وولي الأمر عزله لأنه عليه السلام عزله بسبب بصاقه في قبلة المسجد وكذلك تكره الصلاة بالموسوس لأنه يشك في أفعال نفسه كما في «فتح القريب». وإنما يكره للإمام أن يؤم قوماً وهم له كارهون بسبب خصلة توجب الكراهة أو لأن فيهم من هو أولى منه وأما إن كانت كراهتهم بغير سبب يقتضيها فلا تكره إمامته لأنها كراهة غير مشروعة فلا تعتبر. ومن الأذية أن لا يذكر اسمه الشريف بالتعظيم والصلاة والتسليم، وفي «المثنوي»:

آن دهان كژ كرد وازتسخر بخواند ... مر محمد را دهانش كژ بماند
باز آمد كاى محمد عفو كن ... اى ترا الطاف علم من لدن
من ترا افسوس مى كردم ز جهل ... من بدم افسوس را منسوب واهل
چون خدا خواهدكه پرده كس درد ... ميلش اندر طعنه پاكان برد
ورخدا خواهد كه پوشد عيب كس ... كم زند در عيب معيوبان نفس

﴿لعنهم الله﴾ طردهم وأبعدهم من رحمته ﴿في الدنيا والآخرة﴾ بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئاً منهم ﴿وأعد لهم﴾ مع ذلك ﴿عذاباً مهيناً﴾ يصيبهم في الآخرة خاصة أي: نوعاً من العذاب يهانون فيه فيذهب بعزهم وكبرهم.

قال في «التأويلات» لما استحق المؤمنون بطاعة الرسول والصلاة عليه صلاة الله فكذلك الكافرون استحقوا بمخالفة الرسول وإيذائه لعنة الله فلعنة الدنيا هي الطرد عن الحضرة والحرمان من الإيمان ولعنة الآخرة الخلود في النيران والحرمان من الجنان وهذا حقيقة قوله: ﴿وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾. قال في «فتح الرحمٰن»: يحرم أذى النبي عليه السلام بالقول والفعل بالاتفاق. واختلفوا في حكم من سبه والعياذ بالله من المسلمين. فقال أبو حنيفة والشافعي هو كفر كالردة يقتل ما لم يتب وقال مالك وأحمد يقتل ولا تقبل توبته لأن قتله من جهة الحد لا من جهة الكفر. وأما الكافر إذا سبه صريحاً بغير ما كفر به من تكذيبه ونحوه. فقال أبو حنيفة: لا يقتل لأن ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر. وقال الشافعي: ينتقض عهده فيخير فيه الإمام بين القتل والاسترقاق والمنّ والفداء ولا يرد مأمنه لأنه كافر لا أمان له ولو لم يشترط عليه الكف عن ذلك بخلاف ما إذا ذكره بسوء يعتقده ويتدين به كتكذيب ونحوه فإنه لا ينتقض عهده بذلك إلا باشتراط. وقال مالك وأحمد: يقتل ما لم يسلم واختار جماعة من أئمة مذهب

أحمد أن سابه عليه السلام يقتل بكل حال منهم الشيخ تقي الدين بن تيمية وقال: هو الصحيح من المذهب وحكم من سب سائر أنبياء الله وملائكته حكم من سب نبينا عليه السلام. وأما من سب الله تعالى والعياذ بالله من المسلمين بغير الارتداد عن الإسلام ومن الكفار بغير ما كفروا به من معتقدهم في عزير والمسيح ونحو ذلك فحكمه حكم من سب النبي ﷺ نسأل الله العصمة والهداية ونعوذ به من السهو والزلل والغواية إنه الحافظ الرقيب.

﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات﴾ يفعلون بهم ما يتأذون به من قول أو فعل **﴿بغير ما اكتسبوا﴾** أي: بغير جناية يستحقون بها الأذية وتقييد أذاهم به بعد إطلاقه في الآية السابقة للإيذان بأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق وأما أذى هؤلاء فقد يكون حقاً وقد يكون غير حق. والآية عامة لكل أذى بغير حق في كل مؤمن ومؤمنة. فتشمل ما روي أن عمر رضي الله عنه خرج يوماً فرأى جارية مزينة مائلة إلى الفجور فضربها فخرج أهلها فآذوا عمر باللسان. وما روي أن المنافقين كانوا يؤذون علياً رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه. وما سبق من قصة الأفك حيث اتهموا عائشة بصفوان السهمي رضي الله عنهما. وما روي أن الزناة كانوا يتبعون النساء إذا برزن بالليل لطلب الماء أو لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون إلا للإماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر أيضاً جهلاً أو تجاهلاً لاتحاد الكل في الزي واللباس حيث كانت تخرج الحرة والأمة في درع وخمار وما سيأتي من أراجيف المرجفين وغير ذلك مما يثقل على المؤمن **﴿فقد احتملوا﴾** الاحتمال مثل الاكتساب بناء ومعنى كما في «بحر العلوم». وقال بعضهم: تحملوا لأن الاحتمال بالفارسية: [برداشتن] **﴿بهتاناً﴾** افتراء وكذباً عليهم من بهته فلان بهتاناً إذا قال عليه ما لم يفعله، وبالفارسية: [دروغى بزرك] **﴿وإثماً مبيناً﴾** أي: ذنباً ظاهراً. وقال الكاشفي، يعني: [سزاوار عقوبت بهتان ومستحق عذاب كناه ظاهر ميشوند].

واعلم أن أذى المؤمنين قرن بأذى الرسول عليه السلام كما أن أذى الرسول قرن بأذى الله ففيه إشارة إلى أن من آذى المؤمنين كان كمن آذى الرسول ومن آذى الرسول كان كمن آذى الله تعالى فكما أن المؤذي لله وللرسول مستحق الطرد واللعن في الدنيا والآخرة فكذا المؤذي للمؤمن.

- روي - أن رجلاً شتم علقمة رضي الله عنه فقرأ هذه الآية. وعن عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج النبي عليه السلام على أصحابه فقال: «رأيت الليلة عجباً رأيت رجالاً يعلقون بألسنتهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل فقال: هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا» وفي الحديث القدسي: «من آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»، يعني: [هركه دوستى را ازدوستان من بيازا رد آن آزارنده جنك مراساخته وازآزا رآن دوست جفاى من خواسته وهركه جنك مراسازد ويرا بلشكر انتقام مقهور كنم واورا بخوارى اندر جهان مشهور سازم.

- روي - أن ابن عمر رضي الله عنهما نظر يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. وأوحى الله إلى موسى عليه السلام لو يعلم الخلق إكرامي الفقراء في مجلى قدسي ودار كرامتي للحسوا أقدامهم وصاروا تراباً يمشون عليهم فوعزتي ومجدي وعلوي وارتفاع مكاني لأسفرنّ لهم عن وجهي الكريم واعتذر إليهم بنفسي

واجعل شفاعتهم لمن برهم فيّ أو آواهم فيّ ولو كان عشاراً وعزتي ولا أعز مني وجلالي ولا أجل مني إني أطلب ثارهم ممن عاداهم حتى أهلكه في الهالكين، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نكو كار مردم نباشد بدش ... نورزد كسى بدكه نيك آيدش
نه هر آدمى زادهٔ ازدد بهست ... كه دد زادمى زادهٔ بدبهست
بهست ازدد انسان صاحب خرد ... نه انسان كه درمردم افتدچودد

يعني: خاصمه وافترسه كالأسد مثلاً. قال فضيل رحمه الله: والله لا يحل لك أن تؤذي كلباً ولا خنزيراً بغير ذنب فكيف أن تؤذي مسلماً وفي الحديث: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» بأن لا يتعرض لهم بما حرم من دمائهم وأموالهم وأعراضهم قدم اللسان في الذكر لأن التعرض به أسرع وقوعاً وأكثر وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال يكون بها.

واعلم أن المؤمن إذا أوذي يلزم عليه أن لا يتأذى بل يصبر فإن له فيه الأجر فالمؤذي لا يسعى في الحقيقة إلا في إيصال الأجر إلى من آذاه ولذا ورد «وأحسن إلى من أساء إليك» وذلك لأن المسيء وإن كان مسيئاً في الشريعة لكنه محسن في الحقيقة:

بدى را بدى سهل باشد جزا ... اكر مردى احسن إلى من أساء

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾.

﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك**﴾ أي نسائك وكانت تسعاً حين توفي عليه السلام وهن: عائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وسودة وزينب وميمونة وصفية وجويرية وقد سبق تفاصيلهن نسباً وأوصافاً وأحوالاً ﴿**وبناتك**﴾ وكانت ثماني: أربعاً ولدتها خديجة وهي زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن متن في حياته عليه السلام إلا فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر. وأربعاً ربائب ولدتها أم سلمة وهي برة وسلمة وعمرة ودرة رضي الله عنهن ﴿**ونساء المؤمنين**﴾ في المدينة ﴿**يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾ مقول القول: [والادناء: نزديك كردن] من الدنو وهو القرب. والجلباب ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله إلى صدرها بالفارسية: [چار] ومن للتبعيض لأن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض [والتلفع: جامه تاپاى دركرفتن] والمعنى: يغطين بها وجوههن وأبدانهن وقت خروجهن من بيوتهن لحاجة ولا يخرجن مكشوفات الوجوه والأبدان كالإماء حتى لا يتعرض لهن السفهاء ظناً بأنهن إماء. وعن السدي تغطي إحدى عينيها وشق وجهها والشق الآخر إلا العين ﴿**ذلك**﴾ أي: ما ذكر من التغطي ﴿**أدنى**﴾ أقرب ﴿**أن يعرفن**﴾ ويميزن من الإماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرض الزناة وأذاهم كما ذكر في الآية السابقة ﴿**فلا يؤذين**﴾ من جهة أهل الفجور بالتعرض لهن. قال أنس رضي الله عنه: مرت لعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال: يا لكاع تتشبهين بالحرائر ألقي القناع ﴿**وكان الله غفوراً**﴾ لما سلف من التفريط وترك الستر ﴿**رحيماً**﴾ بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها. وفي الآية تنبيه لهن على حفظ أنفسهن ورعاية حقوقهن بالتصاون والتعفف. وفيه إثبات زينتهن وعزة قدرهن ﴿**ذلك**﴾ التنبيه ﴿**أدنى أن يعرف**﴾ أن لهن قدراً ومنزلة وعزة في الحضرة ﴿**فلا يؤذين**﴾ بالأطماع

الفاسدة والأقوال الكاذبة ﴿وكان الله غفوراً﴾ لهن بامتثال الأوامر ﴿رحيماً﴾ بهن بإعلاء درجاتهن كما في «التأويلات النجمية».

واعلم أنه فهم من الآية شيئان: الأول أن نساء ذلك الزمان كن لا يخرجن لقضاء حوائجهن إلا ليلاً تستراً وتعففاً وإذا خرجن نهاراً لضرورة يبالغن في التغطي ورعاية الأدب والوقار وغض البصر عن الرجال الأخيار والأشرار ولا يخرجن إلا في ثياب دنيئة فمن خرجت من بيتها متعطرة متبرجة أي: مظهرة زينتها ومحاسنها للرجال فإن عليها ما على الزانية من الوزر. قال الشيخ سعدي قدس سره:

چــوزن راه بــازار كــيــرد بــزن وكـرنـه تـودر خـانـه بـنـشـين چـوزن
زنبيكـانكـان چـشـم زن كـوربـاد چـو بـيـرون شـداز خـانـه دركـوربـاد

وعلامة المرأة الصالحة عند أهل الحقيقة أن يكون حسنها مخافة الله وغناها القناعة وحليها العفة أي: التكفف عن الشرور والمفاسد والاجتناب عن مواقع التهم. يقال إن المرأة مثل الحمامة إذا نبت لها جناح طارت كذلك الرجل إذا زين امرأته بالثياب الفاخرة فلا تجلس في البيت.

چو بيني كه زن پاى برجاى نيست ثـبـات از خـردمـنـدى وراى نـيـسـت
كـريـزاز كـفـش در دهـان نـهـنـك كـه مـردن بـه از زنـد كـانـى بـه نـنـك

قال الجامي:

چو مرداز زن بخوش خويى كشدبار زخـوش خـويـى ببـدبـويـى كـشـد كـار
مـكـن بـركـار زن چـنـد ان صبـوري كـه افـتـد رخـنـه در رسـد غـيـورى

قيل: لا خير في بنات الكفرة وقد يؤذي عليهن في الأسواق وتمر عليهن أيدي الفساق يعني أنها في الابتذال بحيث لا يميل إليها أكثر الرجال والغالب عليها النظر إلى الأجانب والميل إلى كل جانب فأين نساء الزمان من رابعة العدوية رحمها الله فإنها مرضت مرة مرضاً شديداً فسئلت عن سببه فقالت: نظرت إلى الجنة فأدبني ربي وعاتبني فأخذني المرض من ذلك العتاب فإذا كان الناظر إلى الجنة في معرض الخطاب والعتاب لكونها ما دون الله تعالى مع كونها دار كرامته وتجليه فما ظنك بالناظر إلى الدنيا وحطامها ورجالها ونسائها.

والثاني: أن الدنيا لم تخل عن الفسق والفجور حتى في الصدر الأول فرحم الله امرأ غض بصره عن أجنبية فإن النظرة تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة. قال ابن سيرين رحمه الله: إني لأرى المرأة في منامي فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري فيجب أن لا يقرب امرأة ذات عطر وطيب ولا يمس يدها ولا يكلمها ولا يمازحها ولا يلاطفها ولا يخلو بها فإن الشيطان يهيج شهوته ويوقعه في الفاحشة وفي الحديث «من فاكه امرأة لم تحل له ولا يملكها حبس بكل كلمة ألف عام في النار ومن التزم امرأة حراماً» أي: اعتنقها «قرن مع الشيطان في سلسلة ثم يؤمر به في النار» والعياذ بالله من دار البوار.

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ لام قسم والانتهاء والانزجار عما نهى عنه، وبالفارسية: [بازايستيدن] والمعنى والله لئن لم يمتنع المنافقون عما هم عليه من النفاق وأحكامه الموجبة للإيذاء ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف إيمان وقلة ثبات عليه أو فجور من تزلزلهم في الدين وما يستتبعه مما لا خير فيه أو من فجورهم وميلهم إلى الزنى والفواحش ﴿والمرجفون في المدينة﴾ الرجف الاضطراب الشديد يقال رجف الأرض والبحر وبحر رجاف والرجفة الزلزلة والإرجاف إيقاع الرجفة والاضطراب إما بالفعل أو بالقول وصف بالإرجاف الأخبار الكاذب لكونه متزلزلاً غير ثابت. وفي «التاج» [الارجاف: خبر دروغ افكندن] والمعنى لئن لم ينته المخبرون بالاخبار الكاذبة في الفريقين عما هم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا المسلمين بأن يقولوا انهزموا وقتلوا وأخذوا وجرى عليهم كيت كيت وآتاكم العدو وغير ذلك من الأراجيف المؤذية الموقعة لقلوب المسلمين في الاضطراب والكسر والرعب ﴿لنغرينك بهم﴾ جواب القسم المضمر [الاغراء: برانكيختن برچيز] يقال غرى بكذا أي: لهج به ولصق وأصل ذلك من الغراء وهو ما يلصق به وقد أغريت فلاناً بكذا إغراء ألهجته به والضمير في بهم لأهل النفاق والمرض والإرجاف أي: لنأمرنك بقتالهم وإجلائهم أو بما يضطرهم إلى الجلاء ولنحرّضنك على ذلك، وبالفارسية: [هرآينه ترا بركماريم بريشان ومسلط سازيم وامر كنيم بقتل ايشان] ﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾ عطف على جواب القسم وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول أعظم ما يصيبهم أي: لا يساكنونك، وبالفارسية: [پس همسا يكى نكند باتو در مدينه] فإن الجار من يقرب مسكنه [والمجاورة: باكسى همسايكى كردن] ﴿إلا قليلاً﴾ زماناً أو جواراً قليلاً ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه. وفي «بحر العلوم» ريثما يرتحلون بأنفسهم وعيالهم.

﴿ملعونين﴾ مطرودين عن الرحمة والمدينة وهو نصب على الشتم والذم أي: اشتم واذم أو على الحال على أن حرف الاستثناء داخل على الظرف والحال معاً أي: لا يجاورونك إلا حال كونهم ملعونين ﴿أينما ثقفوا﴾ في أي: مكان وجدوا وأدركوا، وبالفارسية [هركجا يافته شوند]. قال الراغب الثقف الحذق في إدراك الشيء وفعله يقال ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر ثم قد تجوز به فاستعمل في الإدراك وإن لم يكن معه ثقافة ﴿أخذوا﴾ [كرفته شوند يعني بايدكه بكيرند ايشانرا] ﴿وقتلوا تقتيلاً﴾ [وكشته كردند يعني بكشند كشتنى را بخوارى وزارى] يعني الحكم فيهم الأخذ والقتل على جهة الأمر فما انتهوا عن ذلك كما في «تفسير أبي الليث». وقال محمد بن سيرين: فلم ينتهوا ولم يغر الله بهم والعفو عن الوعيد جائز لا يدخل في الخلف كما في «كشف الأسرار».

﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ مصدر مؤكد أي: سن الله ذلك في الأمم الماضية سنة وجعله طريقة مسلوكة من جهة الحكمة وهي أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في توهين أمرهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ تغييراً أصلاً أي: لا يبدلها لابتنائها على أساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع أو لا يقدر أحد على أن يبدلها لأنّ ذلك مفعول له لا محالة. وفي الآية تهديد للمنافقين عبارة ومن بصددهم من منافقي أهل الطلب من المتصوفة والمتعرفة الذين يلبسون في الظاهر ثيابهم ويتلبسون في الباطن بما يخالف سيرتهم وسرائرهم وأنهم لو لم يمتنعوا عن أفعالهم ولم يتغيروا عن أحوالهم لأجرى معهم سنته

في التبديل والتغيير على من سلف من نظائرهم ولكل قوم عقوبة بحسب جنايتهم. مالك بن دينار رضي الله عنه [كفت كه ازحسن بصرى پرسيدم كه عقوبت عالم چه باشد كفت مردن دل كفتم مردن دل ازچه باشد كفت ازجستن دنيا «فلا بد من إحياء القلب وإصلاح الباطن»] نقلست كه جنيد بغدادي قدس سره جامه بر سم علماى دانشمندان پوشيدى اورا كفتند اى پير طريقت چه بود اكر براى اصحاب مرقع در پوشى كفت اكرد انشمندى بمرقع كار مى شود از آتش وآهن لباس ساختمى ودر پوشيدمى ولكن هر ساعت در باطن من ندايى ميكنندكه «ليس الاعتبار بالخرقة إنما الاعتبار بالحرفة»:

اى درونت برهنه از تقوى وز برون جامهٔ ريا دارى

پردهٔ هفت رنك در مكذار تو كه در خانه بوريا دارى

نقلست كه وقتى نماز شام حسن بصري بدر صومعهٔ حبيب اعجمي كذشت وى اقامت نماز شام كفته بودى وبنماز ايستاد حسن در آمد وشنيدكه «الحمد» را «الهمد» ميخواند كفت نماز اودرست نبود بدو اقتدا نكرد وخود نماز بكذارد چون شب بخفت حق را تبارك وتعالى بخواب ديد اى بارخدا رضاى تو درچه چيزاست كفت يا حسن رضاى من درتو يافته بودى واين نماز مهر نمازهاى توخواسته بود اما ترا سقم عبادت ازصحت نيت بازداشت بسى تفاوتست اززبان راست كردن تادل] فعلى العاقل أن لا يميل إلى الشقاوة والنفاق بل إلى الإخلاص والوفاق. ويقال: هاتان الآيتان في الزنادقة تستثقلهم أهل كل ملة في الدنيا كما في كشف الأسرار. والزنديق هو الملحد المبطن للكفر. قال أبو حنيفة رضي الله عنه: اقتلوا الزنديق وإن قال تبت. قال بعضهم الزنديق من يقول ببقاء الدهر أي: لا يعتقد إلهاً ولا بعثاً ولا حرمة شيء من المحرمات ويقول: إن الأموال مشتركة. وفي قبول توبته روايتان والذي يرجح عدم قبولها قاتله الله ومن يليه من الملاحدة ولعنهم على حدة وحفظ الأرض من ظهورهم وشرورهم.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾.

﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ [مى پرسند ترا مردمان] عن وقت قيامها والساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة تشبيهاً بذلك لسرعة حسابها كما قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] كان المشركون يسألونه عليه السلام عن ذلك استعجالاً بطريق الاستهزاء والتعنت والإنكار واليهود امتحاناً لما أن الله تعالى عمى أي: أخفى وقتها في التوراة وسائر الكتب **﴿قل إنما علمها عند الله﴾** لا يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً [كويند ازخلفاى يكى بخواب ديد ملك الموت را ازو پرسيدكه عمر من چند مانده است او پنج انكشت اشارت كرد تعبير خواب از بسياركس پرسيدند معلوم نشد إمام أعظم أبو حنيفة را رضي الله عنه خواندند كفت اشارت بپنج علمست كه كس نداند وآن پنج علم درين آيتست كه الله تعالى كفت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]] الآية خلعت نيكو دادش اما نپوشيد **﴿وما يدريك﴾** أي: شيء يجعلك داريا وعالماً بوقت قيامها أي: لا يعلمك به شيء أصلاً فأنت لا تعرفه وليس من شرط النبي أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله تعالى، وبالفارسية: [وچه چيز ترا دانا كرد بآن]. **﴿لعل الساعة﴾**

[شايد كه قيامت] ﴿تكون﴾ شيئاً ﴿قريباً﴾ أو تكون الساعة في وقت قريب فتكون تامة وانتصاب قريباً على الظرفية. وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعنتين. قالوا: من أشراط الساعة أن يقول الرجل افعل غداً فإذا جاء غد خالف قوله فعله وإن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنى والفجور ورقص القينات وشرب الخمور ونحو ذلك من موت الفجأة وعلوّ أصوات الفساق في المساجد والمطر بلا نبات. وفي الحديث «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وحتى يعبد الدرهم والدينار» إلى غير ذلك وذكر أموراً لم تحدث في زمانه ولا بعده وكانت إذا هبت ريح شديدة تغير لونه عليه السلام وقال: «تخوفت الساعة» وقال: «ما أمدّ طرفي ولا أغضه إلا وأظن الساعة قد قامت» يعني موته فإن الموت الساعة الصغرى أي: موت كل إنسان كما أن موت أهل القرن الواحد هي الساعة الوسطى نسأل الله التدارك. قال المولى الجامي قدس سره:

كار امروز را مباش اسير ... بهر فردا زخيره بر كير
روز عمرت بوقت عصر رسيد ... عصر تو تا نماز شام كشيد
خفتن خواب مرك نزديكست ... موج كرداب مرك نزديكست
فانتبه قد أقيمت الساعة ... أن عمر الخلائق ساعه

﴿إن الله لعن الكافرين﴾ على الإطلاق لا منكري الحشر ولا معاندي الرسول فقط أي: طردهم وأبعدهم من رحمته العاجلة والآجلة ولذلك يستهزئون بالحق الذي لا بد لكل خلق من انتهائه إليه والاهتمام بالاستعداد له ﴿وأعد لهم﴾ مع ذلك ﴿سعيراً﴾ ناراً مسعورة شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة، وبالفارسية: [آماده كرد براى عذاب ايشان آتشى افروخته] يقال سعر النار وأسعرها وسعرها أوقدها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿خالدين فيها﴾ مقدّراً خلودهم في السعير ﴿أبداً﴾ دائماً، بالفارسية: [درحالتى كه جاويد باشند دران يعني هميشه در آتش معذب مانند] اكد الخلود بالتأبيد والدوام مبالغة في ذلك ﴿لا يجدون ولياً﴾ يحفظهم ﴿ولا نصيراً﴾ يدفع العذاب عنهم ويخلصهم منه.

﴿يوم تقلب وجوههم في النار﴾ ظرف لعدم الوجدان أي: يوم تصرف وجوههم فيها من جهة إلى جهة كاللحم ليشوي في النار أو يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة إلى جهة ومن حال إلى حال أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وتخصيص الوجوه بالذكر للتعبير عن الكل وهي الجملة بأشرف الأجزاء وأكرمها ويقال تحول وجوههم من الحسن إلى القبح ومن حال البياض إلى حال السواد ﴿يقولون﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل: يقولون متحسرين على ما فاتهم ﴿يا ليتنا﴾ يا هؤلاء فالمنادى محذوف ويجوز أن يكون يا لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه، وبالفارسية: [كاشكى ما] ﴿أطعنا الله﴾ في دار الدنيا فيما أمرنا ونهانا ﴿وأطعنا الرسولا﴾ فيما دعانا إلى الحق فلن نبتلي بهذا العذاب.

﴿وقالوا﴾ أي: الاتباع عطف على يقولون والعدول إلى صيغة الماضي للإشعار بأن قولهم هذا ليس مسبباً لقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضرباً من التشفي بمضاعفة

عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة وإن علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ﴿ربنا﴾ [اى پروردكارما] ﴿إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ يعنون قادتهم ورؤساءهم الذين لقنوهم الكفر والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار وإلا فهم في مقام التحقير والإهانة. والسادة جمع سيد وجمع الجمع سادات وقد قرىء بها للدلالة على الكثرة. قال في «الوسيط» وسادة أحسن لأن العرب لا تكاد تقول سادات. والكبراء جمع كبير وهو مقابل الصغير والمراد الكبير رتبة وحالاً ﴿فأضلونا السبيلا﴾ أي: صرفونا عن طريق الإسلام والتوحيد بما زينوا لنا الكفر والشرك يقال أضله الطريق وأضله عن الطريق بمعنى واحد أي: أخطأ به عنه، وبالفارسية: [پس كم كردند راه مارا يعنى مارا ازراه ببردند وبافسون وافسانه فريب دادند] والألف الزائدة في الرسولا والسبيلا لإطلاق الصوت لأن أواخر آيات السورة الألف والعرب تحفظ هذا في خطبها وإشعارها. قال في «بحر العلوم»: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص والكسائي ﴿وأطعنا الرسول فأضلونا السبيل﴾ بغير ألف في الوصل. وحمزة وأبو عمرو ويعقوب في الوقف أيضاً والباقون بالألف في الحالين تشبيهاً للفواصل بالقوافي فإن زيادة الألف لإطلاق الصوت وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف وأما حذفها فهو القياس أي: في الوصف والوقف.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾.

﴿ربنا﴾ تصدير الدعاء بالنداء المكرر للمبالغة في الجؤار واستدعاء الإجابة ﴿آتهم ضعفين من العذاب﴾ أي: مثلي العذاب الذي أوتيناه لأنهم ضلوا وأضلوا فضعف لضلالهم في أنفسهم عن طريق الهداية وضعف لإضلالهم غيرهم عنها ﴿والعنهم لعناً كبيراً﴾ أي: شديداً عظيماً وأصل الكبير والعظيم أن يستعملا في الأعيان ثم استعيرا للمعاني، وبالفارسية: [وبرايشان راندن بزرك كه بآن خواندن نباشد ومقرراست كه هركرا حق تعالى براند ديكرى نتواندكه بخواند]:

هركه را قهر تو راند كه تواند خواندن وانكه لطف توخواند نتوانش راندن

وقرىء كثيراً أي: كثير العدد أي: اللعن على أثر اللعن أي: مرة بعد مرة ويشهد للكثرة قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]. قال في «كشف الأسرار»: [محمد بن أبي السري مردى بود از جمله نيك مردان روزكار كفتا بخواب نمودند مراكه درمسجد عسقلان كسى قرآن مى خواند باينجا رسيدكه. ﴿والعنهم لعناً كبيراً﴾] من كفتم كثيراً وى كفت كبيراً بازنكرستم رسول خدايرا ديدم درميان مسجد كه قصد مناره داشت فراپيش وى رفتم كفتم «السلام عليك يا رسول الله استغفر لي» رسول ازمن بركشت ديكر بار ازسوى راست وى در آمدم كفتم «يا رسول الله استغفر لي» رسول اعراض كرد برابروى بايستادم كفتم يا رسول الله سفيان بن عيينه مرا خبر كرد از محمد بن المنكدر ازجابر بن عبد الله كه هركز ازتو نخواستندكه كفتى «لا» چونست كه سؤال من رد ميكنى ومرادم نميدهى رسول خدا تبسمى كرد آنكه كفت «اللهم اغفر له» پس كفتم يا رسول الله ميان من واين مرد خلافست اوميكويد ﴿والعنهم لعناً كبيراً﴾ ومن ميكويم (كثيراً) رسول همچنان برمناره ميشدوميكفت (كثيراً كثيراً

كثيراً). ثم إن الله تعالى أخبر بهذه الآية عن صعوبة العقوبة التي علم أنه يعذبهم بها وما يقع لهم من الندامة على ما فرطوا حين لا تنفعهم الندامة ولا يكون سوى الغرامة والملامة:

حسرت ازجان اوبر آرد دود　　وان زمان حسرتش ندارد سود
بسكه ريزد زديده اشك ندم　　غرق كردد زفرق تا بقدم
آب چشمش شود دران شيون　　آتشش را بخاصيت روغن
كاش اين كريه پيش ازين كردى　　غم اين كار بيش ازين كردى
اى بمهد بدن چو طفل صغير　　مانده دردست خواب غفلت اسير
پيش ازان كت اجل كند بيدار　　كر بمردى زخواب سر بردار

اللهم أيقظنا من الغفلة وادفع عنا الكسل واستخدمنا فيما يرضيك من حسن العمل.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا﴾ في أن تؤذوا رسول الله ﷺ. قيل: نزلت في شأن زينب وما سمع فيه من مقالة الناس كما سبق. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم النبي عليه السلام قسماً فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله فأتيت النبي عليه السلام فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال: «يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا». ﴿كالذين آذوا موسى﴾ كقارون وأشياعه وغيرهم من سفهاء بني إسرائيل كما سيأتي ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ أصل البراءة التفصي مما تكره مجاورته أي: فاظهر براءة موسى عليه السلام مما قالوا في حقه أي: من مضمونه ومؤداه الذي هو الأمر المعيب فإن البراءة تكون من العيب لا من القول وإنما الكائن من القول التخلص ﴿وكان﴾ موسى ﴿عند الله وجيهاً﴾ في «الوسيط» وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه إذا كان ذا جاه وقدر. قال في «تاج المصادر»: [الوجاهة: خداوند قدروجاه شدن] والمعنى ذا جاه ومنزلة وقربة فكيف يوصف بعيب ونقيصة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وجيهاً أي: حظياً لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه. وفيه إشارة إلى أن موسى عليه السلام كان في الأزل عند الله مقضياً له بالوجاهة فلا يكون غير وجيه بتعيير بني إسرائيل إياه كما قيل:

إن كنت عندك يا مولاي مطرحاً　　فعند غيرك محمول على الحذف

وفي «المثنوي»:

كي شود دريا زپوزسك نجس　　كى شود خورشيد ازپف منطمس

وفي «البستان»:

امين وبدانديش طشتند ومور　　نشايد درو رخنه كردن بزور

واختلفوا في وجه أذى موسى عليه السلام فقال بعضهم: إن قارون دفع إلى زانية مالاً عظيماً على أن تقول على رأس الملأ من بني إسرائيل إني حامل من موسى على الزنى فأظهر الله نزاهته عن ذلك بأن أقرت الزانية بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل من الخسف كما فصل في سورة القصص.

كند ازبهر كليم الله چاه　　درچه افتاد وبشد حالش تباه
چون قضا آيدشودتنك اين جهان　　از قضا حلوا شود رنج دهان
اين جهان چون قحبه مكاره بين　　كس زمكر قحبه چون باشدامين
او بمكرش كرد قارون درزمين　　شد زرسوايى شهير عالمين

وقال بعضهم: قذفوه بعيب في بدنه من برص وهو محركة بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج أو من ادرة وهي مرض الانثيين ونفختهما بالفارسية: [مادخايه] وذلك لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على براءته وذلك أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعضهم أي: فرجه وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده. قال ابن ملك وهذا مشعر بوجوب التستر في شرعه. فقال بعضهم: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر على وزن افعل وهو من له أدرة فذهب مرة موسى يغتسل فوضع ثوبه على حجر قيل هو الحجر الذي يتفجر منه الماء ففر الحجر بثوبه أي: بعد أن اغتسل وأراد أن يلبس ثوبه فأسرع موسى خلف الحجر وهو عريان وهو يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر أي: دع ثوبي يا حجر فوقف الحجر عند بني إسرائيل ينظرون إليه فقالوا: والله ما بموسى من بأس وعلموا أنه ليس كما قالوا في حقه فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً فضربه خمساً أو ستاً أو سبعاً أو اثنتي عشرة ضربة بقي أثر الضربات فيه. قال في «إنسان العيون»: كان موسى عليه السلام إذا غضب يخرج شعر رأسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته ناراً لشدة غضبه ولشدة غضبه لما فرّ الحجر بثوبه ضربه مع أنه لا إدراك له ووجه بأنه لما فر صار كالدابة والدابة إذا جمحت بصاحبها يؤدبها بالضرب انتهى.

يقول الفقير للجمادات: حياة حقانية عند أهل الله تعالى فهم يعاملونها بها معاملة الأحياء، قال في «المثنوي»:

بادرا بى چشم اكر بينش نداد ... فرق چون ميكرد اندر قوم عاد
كر نبودى نيل را آن نور ديد ... ازچه قبطى را زسبطى ميكزيد
كرنه كوه وسنك باديدار شد ... پس چرا داودرا آن يار شد
اين زمين را كرنبودى چشم جان ... ازچه قارو نرافرو خورد آنچنان

وفي القصة: إشارة إلى أن الأنبياء عليهم السلام لا بد وأن يكونوا متبرئين من النقص في أصل الخلقة وقد يكون تبريهم بطريق خارق للعادة كما وقع لموسى من طريق فرار الحجر كما شاهدوه ونظروا إلى سوأته. وفي «الخصائص الصغرى» أن من خصائص نبينا محمد ﷺ أنه لم تر عورته قط ولو رآها أحد طمست عيناه. وقال بعضهم في وجه الأذى أن موسى خرج مع هارون إلى بعض الكهوف فرأى سريراً هناك فنام عليه هارون فمات ثم إن موسى لما عاد وليس معه هارون قال بنو إسرائيل قتل موسى هارون حسداً له على محبة بني إسرائيل إياه فقال لهم موسى: ويحكم كان أخي ووزيري أترونني أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير الذي نام عليه فمات حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه وأن هارون مات فيه فدفنه موسى فقيل في حقه ما قيل كما ذكر حتى انطلق موسى ببني إسرائيل إلى قبره ودعا الله أن يحييه فأحياه الله تعالى وأخبرهم أنه مات ولم يقتله موسى عليه السلام وقد سبقت قصة وفاة موسى وهارون في سورة المائدة فارجع إليها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى هذه الأمة بكلام قديم أزلي أن لا يكونوا كأمة موسى في الإيذاء فإنه من صفات السبع بل يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ولهذا المعنى قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه» وقال: «المؤمن من أمنه الناس» وقوله: ﴿**لا تكونوا**﴾ نهى عن كونهم بنفي هذه الصفة عنهم أي: كونوا ولا تكونوا بهذه الصفة لتكونوا خير أمة أخرجت للناس فكانوا ولم يكونوا بهذه الصفة. وفيه إشارة إلى أن كل موجود عند إيجاده

بأمركن مأمور بصفة مخصوصة به ومنهي عن صفة غير مخصوصة به فكان كل موجود كما أمر بأمر التكوين ولم يكن كما نهى بنهي التكوين كما قال تعالى للنبي ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] بالاستقامة بأمر التكوين عند الإيجاد فكان كما أمر وقال تعالى ناهياً له نهي التكوين ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] فلم يكن من الجاهلين كما نهى عن الجهل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ في رعاية حقوقه وحقوق عباده فمن الأول الامتثال لأمره ومن الثاني ترك الأذى لا سيما في حق رسوله. قال الواسطي: التقوى على أربعة أوجه: للعامة تقوى الشرك. وللخاصة تقوى المعاصي. وللخاص من الأولياء تقوى التوصل بالأفعال. وللأنبياء تقواهم منه إليه. ﴿وقولوا﴾ في أي: شأن من الشؤون ﴿قولاً سديداً﴾ مستقيماً مائلاً إلى الحق من سد يسد سداداً صار صواباً ومستقيماً فإن السداد الاستقامة يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها وخص القول الصدق بالذكر وهو ما أريد به وجه الله ليس فيه شائبة غير وكذب أصلاً لأن التقوى صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك فلا يدخل فيها. وقال بعضهم القول السديد داخل في التقوى وتخصيصه لكونه أعظم أركانها. قال الكاشفي: [قول جامع درين باب آنست كه قول سديد سخنست كه صدق باشد نه كذب وصواب بودنه خطا وجد بودنه هزل چنين سخن كوييد] والمراد نهيهم عن ضده أي: عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد، يعني: [دروغ مكوييد وناراستى مكنيد درسخن چون حديث افك] وقصة زينب وبعثهم على أن يسددوا قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله.

ـ حكي ـ أن يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت من أكابر علماء العربية جلس يوماً مع المتوكل فجاء المعتز والمؤيد ابنا المتوكل فقال: أيما أحب إليك ابناي أم الحسن والحسين قال: والله إن قنبرا خادم علي رضي الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال: سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات في تلك الليلة ومن العجب أنه أنشد قبل ذلك للمعتز والمؤيد وكان يعلمهما فقال:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه ... وعثرته في الرجل تبرا على مهل

﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والفعل. وفيه إشارة إلى أن من وفقه الله لصالح الأعمال فذلك دليل على أنه مغفور له ذنوبه ﴿ومن﴾ [وهركه]﴿يطع الله ورسوله﴾ في الأوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات والطاعة موافقة الأمر والمعصية مخالفته ﴿فقد فاز﴾ في الدارين والفوز الظفر مع حصول السلامة ﴿فوزاً عظيماً﴾ عاش في الدنيا محموداً وفي الآخرة مسعوداً أو نجا من كل ما يخاف ووصل إلى كل ما يرجو.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإيمان لا يكمل إلا بالتقوى وهو التوحيد عقداً وحفظ الحدود جهداً ولا يحصل سداد أعمال التقوى إلا بالقول السديد وهي كلمة لا إله إلا الله

فبالمداومة على قول هذه الكلمة بشرائطها يصلح لكم أعمال التقوى فسداد أقوالكم سبب لسداد أعمالكم وبسداد الأقوال وسداد الأعمال يحصل سداد الأحوال وهو قوله: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ وهو عبارة عن رفع الحجب الظلمانية بنور المغفرة الربانية ومن يطع الله فيما أمره ونهاه ويطع الرسول فيما أرشده إلى صراط مستقيم متابعته فقد فاز فوزاً عظيماً بالخروج عن الحجب الوجودية بالفناء في وجود الهوية والبقاء ببقاء الربوبية انتهى. وقال بعضهم من يطع الله ورسوله في التزكية ومحو الصفات فقد فاز بالتحلية والاتصاف بالصفات الإلهية وهو الفوز العظيم. وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله تعالى وخير الهُدىٰ هُدىٰ محمد» أي: خير الإرشاد إرشاده ﷺ.

واعلم أن إطاعة الله تعالى في تحصيل مراتب التوحيد من الأفعال والصفات والذات وإطاعة الرسول بالاستمساك بحبل الشريعة فإن النجاة من بحر الجحود وظلمة الشرك أما بنور الكشف أو بسفينة الشريعة أما الأول: فهو أن يعتصم الطالب في طلبه بالله حتى يهتدي إليه بنوره ويؤتيه الله العلم من لدنه وأما الثاني: فهو أن يكتفي بالإقرار بالوحدانية والإيمان التقليدي والعمل بظواهر الشرع.

ـ روي ـ أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه لما راعى الشريعة بين جماعة كشفوا العورة في الحمام قيل له في المنام إن الله جعلك للناس إماماً برعايتك الشريعة [نقلست كه در بغداد چون معتزله غلبه كردند كفنند ويرا تكليف بايد كردن تاقر آنرا مخلوق كويد پس عزم كردند واورا بسراى خليفه بردند سرهنكى بود بردرسراى كفت أي: إمام مردانه باش كه وقتى من دزدى كردم وهزار چوبم زدند ومن مقر نكشتم تا عاقبت رهايى يافتم من كه درباطل چنين صبر كردم توكه برحقى او ليتر باشى بصبر كردن احمد كفت آن سخن او مرا عظيم يارى داد وتأثير كرد پس اورا مى بردند واوپير وضعيف بود دودستش ازپس برون كشيدند وهزار تازيانه بزدندش كه قر آنرا مخلوق كوى نكفت ودران ميان بند ازارش كشاده شد ودستش بسته بود درحال دودست ازغيب بديد آمد وبه بست وآن ازان بودكه بارى تنها درحمام بود خواست كه ازار بكشايد وبشويد آنرا ترك كرد ونكشود كفت اكر خلق حاضر نيست خداى تعالى حاضراست چون اين برهان ديدند بكذاشتند]:

درره حــق كــشــيــده انــد بــلا ايــن بــلا شــد ســبــب بــقــرب وولا

صــبــر وتــقــوى وطــاعــت مــولــى نــزد عــارف زهــر شــرف اولــى

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

﴿إنا﴾ هذه النون نون العظمة والكبرياء عند العلماء فإن الملوك والعظماء يعبرون عن أنفسهم بصيغة الجمع ونون الأسماء والصفات عند العرفاء فإنها متعددة ومتكثرة **﴿عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾** يقال: عرض لي أمر كذا أي: ظهر وعرضت له الشيء أي: أظهرته له وأبرزته إليه وعرضت الشيء على البيع وعرض الجند إذا أمرّهم عليه ونظر ما حالهم والأمانة ضد الخيانة. والمراد هنا ما ائتمن عليها وهي على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: أنها التكاليف الشرعية والأمور الدينية المرعية ولذا سميت أمانة لأنها

لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء. وفي «الإرشاد»: عبر عن التكاليف الشرعية بالأمانة لأنها حقوق مرعية أودعها الله المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها انتهى وتلك الأمانة هي العقل أوّلاً فإن به يحصل تعلم كل ما في طوق البشر تعلمه وفعل ما في طوقهم فعله من الجميل وبه فضل الإنسان على كثير من الخلائق ثم التوحيد والإيمان باليوم الآخر والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصدق الحديث وحفظ اللسان من الفضول. وحفظ الودائع وأشدها كتم الأسرار وقضاء الدين والعدالة في المكيال والميزان والغسل من الجنابة والنية في الأعمال والطهارة في الصلاة وتحسين الصلاة في الخلوة والصبر على البلاء والشكر لدى النعماء والوفاء بالعهود والقيام بالحدود وحفظ الفرج الذي هو أول ما خلق الله من الإنسان وقال له: هذه أمانة استودعتكها والإذن والعين واليد والرجل وحروف التهجي كما نقله الراغب في «المفردات» وترك الخيانة في قليل وكثير لمؤمن ومعاهد وغير ذلك مما أمر به الشرع وأوجبه وهي بعينها المواثيق والعهود التي أخذت من الأرواح في عالمها ووضعت أمانة في الجوهر الجمادي صورة المسمى بالحجر الأسود لسيادته بين الجواهر وألقمه الحق تلك المواثيق وهو أمين الله لتلك الأمانة.

والمرتبة الثانية: أنها المحبة والعشق والانجذاب الإلهي التي هي ثمرة الأمانة الأولى ونتيجتها وبها فضل الإنسان على الملائكة إذ الملائكة وإن حصل لهم المحبة في الجملة لكن محبتهم ليست بمبنية على المحن والبلايا والتكاليف الشاقة التي تعطي الترقي إذ الترقي ليس إلا للإنسان فليس المحنة والبلوى الا له ألا ترى إلى قول الحافظ:

شب تاريك وبيم موج وكردابى چنين هائل كجا دانند حال ماسبكباران ساحلها

أراد بقوله: «شب تاريك» جلال الذات وبقوله: «بيم موج» خوف صفات القهر وبقوله: «كرداب» در دربحر العشق وهي الامتحانات الهائلة والبرازخ المخوفة وبقوله: «سبكباران ساحل» الزهاد والملائكة الذين بقوا في ساحل بحر العشق وهو بر الزهد والطاعة المجردة وهم أهل الأمانة الأولى ومن هذا القبيل أيضاً قوله:

فرشته عشق نداندكه چيست قصه مخوان بخواه جام كلابى بخاك آدم ريز

وقول المولى الجامي:

ملائك را چه سود ازحسن طاعت چو فيض عشق برآدم فرو ريخت

[در لوامع آورده كه آن بو العجى كه عشق را درعالم بشريتست درمملكت ملكيت نيست كه ايشان سايه پرورد لطف وعصمت اند ومحبت بى دردرا قدر وقيمتى نيست عشق را طائفهء در خورندكه صفت ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] سرماية بازار ايشان وسمت ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ پيرايهء روزكار ايشانست ملكى را بينى كه اكرجناحى را بسط كند خافقين را در زير جناح خود آرد اما طاقت حمل اين معنى ندارد وآن بيچاره آدمى زادى را بينى بوستى در استخوانى كشيده بيباك واز شراب بلا درقدح ولا چشيده ودروى تغير نيامده آن چراست زيراكه آن صاحب دلست] والقلب يحمل ما لا يحمل البدن.

والمرتبة الثالثة أنها الفيض الإلهي بلا واسطة ولهذا سماه بالأمانة لأنه من صفات الحق تعالى فلا يتملكه أحد وهذا الفيض إنما يحصل بالخروج عن الحجب الوجودية المشار إليها

بالظلومية والجهولية وذلك بالفناء في وجود الهوية والبقاء ببقاء الربوبية وهذه المرتبة نتيجة المرتبة الثانية وغايتها فإن العشق من مقام المحبة الصفاتية وهذا الفيض والفناء من مقام المحبوبية الذاتية وفي هذا المقام يتولد من القلب طفل خليفة الله في الأرض وهو الحامل للأمانة فالمرتبة الأولى للعوام والثانية للخواص والثالثة لأخص الخواص والأولى طريق الثانية وهي طريق الثالثة ولم يجد سر هذه الأمانة إلا من أتى البيت من الباب وكل وجه ذكره المفسرون في معنى الأمانة حق لكن لما كان في المرتبة الأولى كان ظرفاً ووعاء للأمانة ولبه ما في المرتبة الثانية ولب اللب ما في المرتبة الثالثة ومن الله الهداية إلى هذه المراتب والعناية في الوصول إلى جميع المطالب.

ثم المراد بالسموات والأرض والجبال هي أنفسها أعيانها وأهاليها وذلك لأن تخصص الإنسان بحمل الأمانة يقتضي أن يكون المعروض عليه ما عداه من جميع الموجودات أياً ما كان حيواناً أو غيره وإنما خص في مقام الحمل، ذلك لأنه أصلب الأجسام وأثبتها وأقواها كما خص الأفلاك في قوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك» لكونها أعظم الأجسام ولهذا السر لم يقل فأبوا أن يحملوها بواو العقلاء. فإن قلت ما ذكر من السموات وغيرها جمادات والجمادات لا إدراك لها فما معنى عرض الأمانة عليها. قلت للعلماء فيه قولان: الأول أنه محمول على الحقيقة وهو الأنسب بمذهب أهل السنة لأنهم لا يؤولون أمثال هذا بل يحملونها على حقيقتها خلافاً للمعتزلة. وعلى تقدير الحقيقة فيه وجهان: أحدهما أدق من الآخر. الأول أن للجمادات حياة حقانية دل عليها كثير من الآيات نحو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨] وقوله: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١]. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر أكثر العقلاء بل كلهم يقولون إن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والأمر عندنا ليس كذلك فإذا جاءهم عن نبي أو ولي أن حجراً كلمه مثلاً يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والأمر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد «إن كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له» ولا يشهد إلا من علم وقد أخذ الله بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله كنحن وأضرابنا فإنا لا نحتاج إلى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي إنما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله ولولا ما عنده من معرفة العظمة لما تدكدك انتهى. ومثله ما روينا أن حضرة شيخنا وسندنا روح الله روحه ووالى في البرزخ فتوحه دعا مرة من عنده للافطار فجلسنا له وبين يديه ماء وكعك مبلول وكان لا يأكل في أواخر عمره إلا الكعك المجرد فقال أثناء الإفطار أن لهذا الخبر روحاً حقانياً فظاهره يرجع إلى الجسد وروحه يرجع إلى الروح فيتقوى به الجسم والروح جميعاً، وفي «المثنوي»:

علم وحكمت زايد از لقمه حلال   عشق ورقت آيد ازلقمه حلال

ثم قال ولكل موجود روح إما حيواني أو حقاني فجسد الميت له روح حقاني غير روحه الحيواني الذي فارقه ألا ترى أن الله تعالى لو أنطقه لنطق فنطقه إنما هو لروحه وقد جاء أن كل شيء

يسبح بحمده حجراً أو شجراً أو غير ذلك وما هو إلا لسريان الحياة فيه حقيقة ولذا سبح الجبال مع داود وحمل الريح سليمان عليه السلام وجذبت الأرض قارون وحن الجذع في المسجد النبوي وسلم الحجر على رسول الله ﷺ ونحو ذلك مما لا يحصى، وفي «المثنوي»:

چون شما سوى جمادى مى رويد محرم جان جمادان چون شويد
از جمادى عالم جانها رويد غلغل اجزاى عالم بشنويد
چون ندارد جان توقنديلها بهر بينش كرده تأويلها

والوجه الثاني أن الله تعالى ركب العقل والفهم في الجمادات المذكورة عند عرض الأمانة كما ركب العقل وقبول الخطاب في النملة السليمانية والهدهد وغيرهما من الطيور والوحوش والسباع بل وفي الحجر والشجر والتراب فهن بهذا العقل والإدراك سمعن الخطاب وانطقهن الله بالجواب حيث قال لهن أتحملن هذه الأمانة على أن يكون لكنّ الثواب والنعيم في الحفظ والأداء والعقاب والجحيم في الغدر والخيانة ﴿**فأبين أن يحملنها**﴾ الاباء شدة الامتناع فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء ﴿**وأشفقن منها**﴾ قال في «المفردات»: الإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه فإذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وإذا عدي بعلى فمعنى العناية فيه أظهر كما قال في «تاج المصادر» [الإشفاق: ترسيدن ومهربانى كردن] يعدى بعلى وأصلهما واحد. والمعنى وخفن من الأمانة وحملها وقلن يا رب نحن مسخرات بأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً ولم يكن هذا القول منهن من جهة المعصية والمخالفة بل من جهة الخوف والخشية من أن لا يؤدين حقوقها ويقعن في العذاب ولو كان لهن استعداد ومعرفة بسعة الرحمة واعتماد على الله لما أبين وكان العرض عرض تخيير لا عرض إلزام وإيجاب لأن المخالفة والإباء عن التكليف الواجب يوجب المقت والسقوط عن درجة الكمال ولم يذكر تعالى توبيخاً على الإباء ولا عقوبة.

والقول الثاني: أنه محمول على الفرض والتمثيل فعبر عن اعتبار الأمانة بالنسبة إلى استعدادهن بالعرض عليهن لإظهار مزيد الاعتناء بأمرها والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالإباء والإشفاق منها لتهويل أمرها ومزيد فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الأجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي هي أشدها وأعظمها ما فيهن من القوة والشدة فالمعنى أن تلك الأمانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الإجرام العظام التي هي مثل في الشدة والقوة مراعاتها وكانت ذات شهود وإدراك لأبين قبولها وأشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روماً لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه ﴿**وحملها الإنسان**﴾ عند عرضها عليه كما قال الإمام القشيري [أمانتها برانها عرض نمود وبرانسان فرض نمود آنجاكه عرض بود سرباز زدند واينجا كه فرض بود در معرض حمل رمدند] والمراد بالإنسان الجنس بدليل قوله: ﴿**إنه كان ظلوماً جهولاً**﴾ أي: تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة لأن الحمل إنما يكون بالهمة لا بالقوة. قال في «الإرشاد»: وهو إما عبارة عن قبولها بموجب استعداده الفطري أو عن اعترافه يوم الميثاق بقوله بلى ولما حملها قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠] ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠] [واين را در ظاهر مثالي هست درختانى كه اصل ايشان محكم ترست وشاخ ايشان بيشتربار

ايشان خردتر وسبكترباز در ختانى كه ضعيف ترند وسست تر بارايشان شكرف تراست وبزركترچون خربزه وكدو ومانند آن ليكن اينجا لطيفه ايست آن درخت كه باراوشكرف تراست وبزركتر طاقت كشيدن آن ندارد اورا كفتند باركران از كردن خويش برفرق زمين نه تا عالميان بدانندكه هركجا ضعيفي است مربى او لطف حضرت عزت است اينست سر] ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠] فالإنسان اختص بالعشق وقبول الفيض بلا واسطة وحمله من سائر المخلوقات لاختصاصه بإصابة رشاش النور الإلهي وكل روح أصابه رشاش نور الله صار مستعداً لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة وكان عرض العشق الفيض عاماً على المخلوقات وحمله خاصاً بالإنسان لأن نسبة الإنسان مع المخلوقات كنسبة القلب مع الشخص فالعالم شخص وقلبه الإنسان فكما أن عرض الروح عام على الشخص الإنساني وقبوله وحمله مخصوص بالقلب بلا واسطة ثم من القلب بواسطة العروق الممتدة يصل عكس الروح إلى جميع الأعضاء فيكون متحركاً به كذلك عرض العشق والفيض الإلهي عام لاحتياج الموجودات إلى الفيض وقبوله وحمله خاص بالإنسان ومنه يصل عكسه إلى سائر المخلوقات ملكها وملكوتها فأما إلى ملكها وهو ظاهر الكون أعني الدنيا فيصل الفيض إليه بواسطة صورة الإنسان من صنائعه الشريفة وحرفه اللطيفة التي بها العالم معمور ومزين وإما إلى ملكوتها وهو بأمركن باطن الكون أعني الآخرة فيصل الفيض إليها بواسطة روح الإنسان وهو أول شيء تعلقت به القدرة فيتعلق الفيض الإلهي من أمركن أولاً بالروح الإنساني ثم يفيض منه إلى عالم الملكوت فظاهر العالم وباطنه معمور بظاهر الإنسان وباطنه وهذا سر الخلافة المخصوصة بالإنسان.

وقال بعضهم: المراد بالإنسان آدم. وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: مثلت الأمانة كالصخرة الملقاة ودعيت السماوات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها وقالوا: لا نطيق حملها وجاء آدم من غير أن دعي وحرك الصخرة وقال: لو أمرت بحملها لحملتها فقلن له احمل فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها وقال: لو أردت أن أزداد لزدت فقلن له: احمل فحملها إلى حقوه ثم وضعها وقال: لو أردت أن أزداد لزدت فقلن له: احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فأراد أن يضعها فقال الله مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة.

آسمان بارامانت نتوانست كشيد قرعه فال بنام من ديوانه زدند

وفي «كشف الأسرار»: [چون آسمان وزمين وكوهها بترسيدند ازپذير فتن امانت وبازنشستند ازبرداشتن آن رب العزة آدم را كفت «إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها وأنت آخذها بما فيها قال: يا رب وما فيها: قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت قال بين أذني وعاتقي» يعني آدم بطاعت وخدمت بنده وار درآمد وكفت برداشتم ميان كوش ودوش خويش رب العالمين كفت اكهون كه برداشت ترادران معونت وقوت دهم] اجعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فارخ حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فإذا خشيت أن تتكلم بما لا يحل فاغقله واجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك. شيخ جنيد قدس سره [فرموده كه نظر آدم بر عرض حق بود نه برامانت لذت عرض ثقل امانت را بروفراموش كردانيد لا جرم لطف رباني بزبان عنايت فرموده كه برداشتن ازتو ونكاه داشتن از من چون تو بطوع بارمرا برداشتى من هم ازميان همة تر برداشتم] ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ـ وروي ـ أن آدم عليه السلام قال: أحمل الأمانة بقوتي أم بالحق؟ فقيل: من يحملها يحمل بنا فإن ما هو منا لا يحمل الا بنا فحملها:

راه اورا بـــدو تـــوان پـــيـــمـــود بـــار اورا بـــدو تـــوان بـــرداشـــت

قال بعضهم:

آن بـاركـه ازبـردن آن عـرش ابـا كـرد بـاقـوت او حـامـل آن بـارتـوان بـود

ـ القصة ـ [خلعت حمل امانت جز برقامت با استقامت انسان كه منشور ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] او برنام نامى نوشته اند راست نيامد وچون كارى بدين عظمت وفهمى بدين ابهت نامزد اوشدجهت دفع چشم زخم حسود آن شياطين كه دشمن ديرينه اند سپند ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾] بر آتش غيرت افكندند تا كورشود هرآنكه نتواندديد كما قال: ﴿إنه﴾ أي: الإنسان ﴿كان ظلوماً﴾ لنفسه بمعصية ربه حيث لم يف بالأمانة ولم يراع حقها ﴿جهولاً﴾ بكنه عاقبتها يعني: [نادان بعقوبت خيانت اكر واقع شود] والظلم وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه ومن هذا ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته ويسمى ذلك اللبن الظلم وظلمت الأرض إذا حفرتها ولم تكن موضعاً للحفر وتلك الأرض يقال لها المظلومة والتراب الذي يخرج منها ظليم والظلم يقال في مجاوزة الحد الذي يجري مجرى النقطة في الدائرة ويقال فيما يكثر ويقل من التجاوز ولذا يستعمل في الذنب الصغير والكبير ولذا قيل لآدم في تقدمه ظالم وفي إبليس ظالم وإن كان بين الظلمين بون بعيد.

قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة: أحدهما: بين الإنسان وبين الله وأعظمه الكفر والشرك والنفاق. والثاني: ظلم بينه وبين الناس. والثالث: ظلم بينه وبين نفسه وهذه الثلاثة في الحقيقة للنفس فإن الإنسان أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه.

اول بـظـالـمـان اثـر ظـلـم مـيـرسـد پيش ازهدف هميشه كمان تارميكند

والجهل خلو النفس من العلم وهو على قسمين ضعيف وهو الجهل البسيط وقوي وهو الجهل المركب الذي لا يدري صاحبه إنه لا يدري فيكون محروماً من التعلم ولذا كان قوياً.

قال في «الإرشاد» وقوله: ﴿إنه﴾ الخ اعتراض وسط بين الحمل وغايته للإيذان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده وتحمله أي: إنه كان مفرطاً في الظلم مبالغاً في الجهل أي بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو عهودهم يوم الأرواح دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله وجروا على ما اعترفوا بقولهم بلى. وقال بعضهم: الإنسان ظلوم وجهول أي: من شأنه الظلم والجهل كما يقال الماء طهور أي: من شأنه الطهارة.

واعلم أن الظلومية والجهولية صفتا ذم عند أهل الظاهر لأنهما في حق الخائنين في الأمانة فمن وضع الغدر والخيانة موضع الوفاء والأداء فقد ظلم وجهل. قال في «كشف الأسرار»: [عادت خلق آنست كه چون امانتى عزيز بنزديك كسى نهند مهرى بروى نهند وآن روز كه باز خواهند مهررا مطالعت كنند اكر مهر برجاى بود اورا ثناها كويند امانتى بنزديك تونهادند از عهد ربو بيت ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ومهرى كه بروى نهادند چون عمر بآخر رسد وترا بمنزل خاك برند آن فرشته درآيد وكويد «من ربك» آن مطالعت كه ميكند تا مهر روز اول برجاى هست يانه] قال الحافظ:

از دم صبح ازل تا آخر شام ابد دوستى ومهر بريك عهدويك ميثاق بود

وقال أهل الحقيقة: هما صفتا مدح أي: في حق مؤدي الأمانة فإن الإنسان ظلم نفسه بحمل الأمانة لأنه وضع شيئاً في غير موضعه فأفنى نفسه وأزال حجبها الوجودية وهي المعروفة بالأنانية وجهل ربه فإنه في أول الأمر يحب هذه البهيمية التي تأكل وتشرب وتنكح وتحمل الذكورية والأنوثية اللتين اشترك فيهما جميع الحيوانات وما يدري أن هذه الصورة الحيوانية قشر وله لب وهو محبوب الحق الذي قال: ﴿**يحبهم**﴾ وهو محب الحق الذي قال: ﴿**يحبونه**﴾ فإذا عبر عن قشر جسمانية الظلمانية ووصل إلى لب روحانية النورانية. ثم علم أن هذا اللب النوراني أيضاً قشر فإن النبي ﷺ قال: «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة» فعبر عن القشر الروحاني أيضاً ووصل إلى لبه الذي هو محبوب الحق ومحبه فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه بتوحيد لا شرك فيه وجهل ما سوى الله تعالى بالكلية وأيضاً أن الجهول هو العالم لأن نهاية العلم هو الاعتراف بالجهل في باب المعرفة والعجز عن درك الإدراك إدراك.

قال المولى الجامي قدس سره:

غير انسان كس نكرد قبول زانكه انسان ظلوم بود وجهول
ظلم او آنكه هستىء خود را ساخت فانى بقاى سرمدرا
جهل او آنكه هرچه جزحق بود صورت آن زلوح دل نزدود
نيك ظلمى كه عين معدلتست نغز جهلى كه مغز معرفتست
اى نكرده دل از علائق صاف مزن از دانش خلائق لاف
زانكه در عالم خدا دانى جهل علمست علم نا دانى

فلو لم يكن للإنسان قوة هذه الظلومية والجهولية لما حمل الأمانة وبهذا الاعتبار صح تعليل الحمل بهما. وقال بعض أهل التفسير وتبعهم صاحب «القاموس»: إن الوصف بالظلومية والجهولية إنما يليق بمن خان في الأمانة وقصر عن حقها لا بمن يتحملها ويقبلها فمعنى حملها الإنسان أي: خانها والإنسان الكافر والمنافق من قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها بمعنى أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج من عهدتها بجعل الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها كما يقال ركبته الديون فما يحمل إذا كناية عن الخيانة والتضيع والمعنى إنا عرضنا الطاعة على هذه الأجرام العظام فانقادت لأمر الله انقياداً يصح من الجمادات وأطاعت له إطاعة تليق بها حيث لم تمتنع عن مشيئته وإرادته إيجاداً وتكويناً وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] والإنسان مع حياته وكمال عقله وصلاحه للتكليف لم يكن حاله فيما يصح منه ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه مثل حال تلك الجمادات بل مال إلى أن يكون محتملاً لتلك الأمانة مؤدياً إياها ومن ثم وصف بالظلم حيث ترك أداء الأمانة وبالجهل حيث أخطأ طريق السعادة ففي هذا التمثيل تشبيه انقياد تلك الأجرام لمشيئة الله إيجاداً وتكويناً بحال مأمور مطيع لا يتوقف عن الامتثال فالحمل في هذا مجاز وفي التمثيل السابق على حقيقته وليس في هذا المعنى حذف المعطوف مع حرف العطف بخلافه في محل الحمل على التحمل فإن المراد حينئذٍ وحملها الإنسان ثم غدر بالحمل حتى يصح التعليل بقوله: ﴿**إنه كان**﴾الخ فاعرف هذا المقام والقول ما قالت حذام. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف عرض الأمانة عليه مع علمه بحاله من كونه ظلوماً جهولاً؟ والجواب هذا سؤال طويل

الذيل فإنه تعالى قد بعث الرسل مبشرين ومنذرين إلى جميع الخلق ليدعوهم إلى الإيمان مع علمه السابق بأن يؤمن بعضهم ويكفر بعضهم والخطاب عم الكل مع علمه باختلاف أحوالهم في الإيمان والكفر فهذا من قبيله وسبيله فإنه مالك الأعيان والآثار على الإطلاق. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ظلوماً بحق الأمانة جهولاً بما يفعل من الخيانة يعني لم تكن الخيانة عن عمد وقصد بل كانت عن جهل وسهو كما قال: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] والسهو والنسيان مغفور والجهل في بعض المواضع معذور الهنا اصنع بنا ما أنت أهله ولا تصنع بنا ما نحن أهله، قال الشيخ سعدي قدس سره:

بر در كعبه سائلى ديدم كه همى كفت ميكرستى خوش
من نكويم كه طاعتم بپذير قلم عفو بركناهم كش

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

﴿**ليعذب الله المنافقين والمنافقات**﴾ الذين ضيعوا الأمانة بعدما قبلوها ﴿**والمشركين والمشركات**﴾ الذين خانوا في الأمانة بعدم قبولها رأساً. قال في «الإرشاد»: إشارة إلى الفريق الأول أي: حملها الإنسان ليعذب الله بعض أفراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على أن اللام للعاقبة فإن التعذيب وإن لم يكن غرضاً له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة إلى بعض أفراده ترتب الأغراض على الأفعال المعللة بها أبرز في معرض الغرض أي: كان عاقبة حمل الإنسان لها أن يعذب الله هؤلاء من أفراده لخيانتهم الأمانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية. قال في «بحر العلوم»: ويجوز أن تكون اللام علة لعرضنا أي: عرضنا ليظهر نفاق المنافقين وإشراك المشركين فيعذبهما الله ﴿**ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات**﴾ الذين حفظوا الأمانة وراعوا حقها. قال في «الإرشاد»: إشارة إلى الفريق الثاني أي: كان عاقبة حمله لها أن يتوب الله على هؤلاء من أفراده أي: يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الإنسان بحكم جبليته وتداركهم لها بالتوبة والإنابة والالتفات إلى الاسم الجليل أولاً لتهويل الخطب وتربية المهابة والإظهار في موضع الإضمار ثانياً لإبراز مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه ﴿**وكان الله غفوراً رحيماً**﴾ مبالغاً في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم.

وفي «التأويلات النجمية»: هذه اللام لام الصيرورة والعاقبة يشير إلى أن الحكمة في عرض الأمانة أن يكون الخليقة في أمرها على ثلاث طبقات:

طبقة منها: تكون الملائكة وغيرهم ممن لم يحملها فلا يكون لهم في ذلك ثواب ولا عقاب.

وطبقة منها: من يحملها ولم يؤد حقها وقد خان فيها وهم المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات الذين حملوها بالظلومية على أنفسهم وضيعوها بجهولية قدرها فما رعوها حق رعايتها فحاصل أمرهم العذاب المؤبد.

وطبقة منها: من يحملها ويؤدي حقها ولم يخن فيها ولكن لثقل الحمل وضعف الإنسانية يتلعثم في بعض الأوقات فيرجع إلى الحضرة بالتضرع والابتهال معترفاً بالذنوب وهم المؤمنون

والمؤمنات فيتوب الله عليهم لقوله: ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ والحكمة في ذلك ليكون كل طبقة من الطبقات الثلاث مرآة يظهر فيها جمال صفة من صفاته.

فالطبقة الأولى: إذا لم يحملوا الأمانة وتركوا نفعها لضرها فهم مرآة جمال صفة عدله.

والطبقة الثانية: إذ حملوها طمعاً في نفعها ولم يؤدوا حقها وقد خانوا فيها بأن باعوها بعوض من الدنيا الفانية فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فهم مرآة يظهر فيها جمال صفة قهره.

والطبقة الثالثة: إذ حملوها بالطوع والرغبة والشوق والمحبة وأدوا حقها بقدر وسعهم ولكن كما قيل لكل جواد كبوة وقع في بعض الأوقات قدم صدقهم عند ربهم في حجر بلاء وابتلاء بغير اختيارهم ثم اجتباهم ربهم فتاب عليهم وهداهم بجذبات العناية إلى الحضرة فهم مرآة يظهر فيها جمال فضله ولطفه وذلك قوله تعالى: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ للمؤمنين بفضله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء انتهى. قال بعض العارفين: الحكمة الإلهية اقتضت ظهور المخالفة من الإنسان ليظهر منه الرحمة والغفران، قال الحافظ:

سهو وخطاى بنده كرش نيست اعتبار معنى عفو ورحمت آمرزكار چيست

وفي الحديث القدسي: «لو لم تذنبوا لذهبت بكم وخلقت خلقاً يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم» وفي الحديث النبوي: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم أشد من الذنب ألا وهو العجب» ولهذه الحكمة خلق الله آدم بيديه أي: بصفاته الجلالية والجمالية فظهر من صفة الجلال قابيل والمخالفة ومن صفة الجمال هابيل والموافقة وهكذا يظهر إلى يوم قيام الساعة وليس الحديثان المذكوران واردين على سبيل الحث على الذنب فإن قضية البعثة إصلاح العالم وهو لا يوجد إلا بترك الكفر والشرك والمعاصي ولكن على سبيل الحث على التوبة والاستغفار. إبراهيم أدهم قدس سره [كفت فرصت مى جستم تا كعبه را خالى يابم ازطواف وحاجتى خواهم هيج فرصتى نيافتم تا شبى باران عظيم بود كعبه خالى ماند طواف كردم ودست در حلقه زدم وعصمت خواستم ندا آمدكه چيزى مى خواهى كه كسى را نداده ام اكر من عصمت دهم آنكاه درياى غفارى وغفورى ورحمانى ورحيمى من كجا شود پس كفتم «اللهم اغفر لي ذنوبي» آوازى شنودم كه از همه جهان با ما سخن كوى واز خود مكوى كه سخن تو ديكران كويند ودر مناجات كفت يا رب العزة مرا ازذل معصيت باعز طاعت آور وديكر كفت الهى آه «من عرفك لم يعرفك فكيف حال من لم يعرفك» آه آنكه ترا مى داند ترا نمى داند پس چكونه باشد حال كسى كه ترانميداند ابراهيم كفت پانزده سال مشقت كشيدم تاندايى شنودم كه] كن عبداً فاسترح يعني: ليست الراحة إلا في العبودية للمولى والإعراض عن الهوى من الأدنى والأعلى فلا راحة لعبد الدنيا وما دون المولى لا في الأولى ولا في العقبى فإذا وقع تقصير أو سهو أو نسيان فالله تعالى يحكم اسميه الغفور الرحيم بمحوه ويعرض عنه ولا يثبته في صحيفة ولا يناقش عليه ولا يعذب به بل من العصاة من يبدل الله سيئاتهم حسنات هذا. قال أبيّ بن كعب رحمه الله: كانت سورة الأحزاب تقارب سورة البقرة أو أطول منها وكان فيها آية الرجم وهي: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله العزيز الحكيم» ثم رفع أكثرها من الصدور ونسخ وبقي ما بقي وفي الحديث: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر» اللهم اختم لنا بالخير واعصمنا من كل سوء وضير وآمنا من البلايا وفتنة القبر ومحاسبة الحشر تمت سورة الأحزاب بعون الله الوهاب يوم الأحد الثامن عشر من شهر الله المحرم سنة عشر ومائة وألف.

٣٤ ـ سورة سبأ

أربع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾.

﴿**الحمد لله**﴾ الألف واللام لاستغراق الجنس واللام للتمليك والاختصاص إلى جميع أفراد المدح والثناء والشكر من كل حامد ملك لله تعالى ومخصوص به لا شركة لأحد فيه لأنه الخالق والمالك كما قال: ﴿**الذي له**﴾ خاصة خلقاً وملكاً وتصرفاً بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماته ﴿**ما في السموات وما في الأرض**﴾ أي: جميع الموجودات فإليه يرجع الحمد لا إلى غيره وكل مخلوق أجرى عليه اسم المالك فهو مملوك له تعالى في الحقيقة وإن الزنجي لا يتغير عن لونه لأن سمي كافوراً والمراد على نعمه الدنيوية فإن السموات والأرض وما فيها خلقت لانتفاعنا فكلها نعمة لنا ديناً ودنيا فاكتفى بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضاً فيها وقد صرح في موضع آخر كما قال: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] وهذا القول أي: الحمد لله الخ وإن كان حمداً لذاته لكنه تعليم للعباد كيف يحمدونه ﴿**وله الحمد في الآخرة**﴾ بيان لاختصاص الحمد الأخروي به تعالى أثر بيان اختصاص الدنيوي به على أن الجار متعلق إما بنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار وإطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليعم النعم الأخروية كما في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤] وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٥] الآية وما يكون ذريعة إلى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] أي: لما جزاؤه هذا من الإيمان والعمل الصالح.

يقال يحمده أهل الجنة في ستة مواضع:

أحدها: حين نودي ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩] فإذا يميز المؤمنون من الكافرين يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] كما قال نوح عليه السلام حين أنجاه الله من قومه.

والثاني: حين جاوزوا الصراط قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

والثالث: لما دنوا إلى باب الجنة واغتسلوا بماء الحياة ونظروا إلى الجنة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

والرابع: لما دخلوا الجنة واستقبلتهم الملائكة بالتحية قالوا: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ [فاطر: ٣٥].

والخامس: حين استقروا في منازلهم قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤].

والسادس: كلما فرغوا من الطعام قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢].

والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الأول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ كما يتلذذ العطشان بالماء البارد لا على وجه الفرض والوجوب وقد ورد في الخبر «إنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النَفَس» [وكفته اند مجموع اهل آخرت مرورا حمد كويند دوستان اورا بفضل ستايند ودشنمان بعدل].

يقول الفقير: فيه نظر لأن الآخرة المطلقة كالعاقبة الجنة مع أن المقام يقتضي أن يكون ذلك من ألسنة أهل الفضل إذ لا اعتبار بحال أهل العدل كما لا يخفى ﴿وهو الحكيم﴾ الذي أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة ﴿الخبير﴾ بليغ الخبرة والعلم ببواطن الأشياء ومكنوناتها ثم بين كونه خبيراً فقال:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ الولوج الدخول في مضيق أي: يعلم ما يدخل فيها من البزور والغيث ينفذ في موضع وينبع من آخر والكنوز والدفائن والأموات والحشرات والهوام ونحوها وأيضاً يعلم ما يدخل في أرض البشرية بواسطة الحواس الخمس والأغذية الصالحة والفاسدة من الحلال والحرام. ﴿وما يخرج منها﴾ كالحيوان من جُحره والزرع والنبات وماء العيون والمعادن والأموات عند الحشر ونحوها وأيضاً ما يخرج من أرض البشرية من الصفات المتولدة منها والأعمال الحسنة والقبيحة. ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والبركات والأمطار والثلوج والبرد والأنداء والشهب والصواعق ونحوها وأيضاً ما ينزل من سماء القلب من الفيوض الروحانية والإلهامات الربانية. ﴿وما يعرج﴾ يصعد ﴿فيها﴾ كالملائكة والأرواح الطاهرة والأبخرة والأدخنة والدعوات وأعمال العباد. ولم يقل «إليها» لأن قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] يشير إلى أن الله تعالى هو المنتهى لا السماء ففي ذكر «في» إعلام بنفوذ الأعمال فيها وصعودها منها. وأيضاً وما يعرج في سماء القلب من آثار الفجور والتقوى وظلمة الضلالة ونور الهدى. وقال بعضهم: [آنچه بالاميرود نالهٔ تائبانست وآه مفلسان كه چون سحركاه ازخلو تخانهٔ سينهٔ ايشان روى بدركاه رحمت پناه آرد في الحال رقم قبول بروى افتدكه «أنين المذنبين احب إليّ من زجل المسبحين» غلغل تسبيح شيخ ارچند مقبولست ليك آه درد آلود رندانرا قبول ديكرست بداود عليه السلام وحى آمدكه اى داود آن ذلت كه ازتو صادر شد برتو مبارك بود داود كفت بارخدا ذلت چكونه مبارك باشد كفت اى داود پيش ازان ذلت هرباركه بدركاه ما آمدى ملك وار مى آمدى باكر شمه وناز طاعت واكنون مى آيى بنده وار مى آيى باسوز ونياز مفلسى] ﴿وهو الرحيم﴾ للحامدين ولمن تولاه ﴿الغفور﴾ للمقصرين ولذنوب أهل ولايته فإذا كان الله متصفاً بالخلق

والملك والتصرف والحكمة والعلم والرحمة والمغفرة ونحوها من الصفات الجليلة فله الحمد المطلق والحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من جهة التعظيم من نعمة وغيرها كالعلم والكرم وأما قولهم الحمد لله على دين الإسلام فمعناه على تعليم الدين وتوفيقه والحمد القولي هو حمد اللسان وثناؤه على الحق بما أثنى به بنفسه على لسان أنبيائه والحمد الفعلي هو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاءً لوجه الله والحمد الحالي هو الاتصاف بالمعارف والأخلاق الإلهية والحمد عند المحنة الرضى عن الله فيما حكم به وعند النعم الشكر فيقال في الضراء الحمد لله على كل حال نظراً إلى النعمة الباطنة دون الشكر لله خوفاً من زيادة المحنة لأن الله تعالى قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] والحمد على النعمة كالروح للجسد فلا بد من إحيائها وأبلغ الكلمات في تعظيم صنع الله وقضاء شكر نعمته الحمد لله ولذا جعلت زينة لكل خطبة وابتداء لكل مدحة وفاتحة لكل ثناء وفضيلة لكل سورة ابتدئت بها على غيرها. وفي الحديث «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم» أي: أقطع فله الحمد قبل كل كلام بصفات الجلال والإكرام:

حمد أو تاج تارك سخنست ... صدر هرنامه نوو كهنست

قال في «فتوح الحرمين»:

أحسن ما اهتم به ذو الهمم ... ذكر جميل لولي النعم
چون نعم اوست برون ازخيال ... كيف يؤديه لسان المقال
نعمت او بيشتر از شكر ماست ... شكرهم ازنعمتهاى خداست

وعن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه ﷺ من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده» فقال رجل وراءه: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فلما انصرف قال: «من المتكلم آنفاً» قال الرجل: أنا قال: «لقد رأيت بضعاً وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً» وإنما ابتدرها هذا العدد لأن ذلك عدد حروف هذه الكلمات فلكل حرف روح هو المثبت له والمبقي لصورة ما وقع النطق به فبالأرواح تبقى الصور وبنيات العمال وتوجهات نفوسهم ترتفع حيث منتهى همة العامل وللملائكة مراتب منها مخلوقة من الأنوار القدسية والأرواح الكلية ومنها من الأعمال الصالحة والأذكار الخالصة بعضها على عدد بعض كلمات الأذكار وبعضها على عدد حروف الأذكار وبعضها على عدد الحروف المكررة وبعضها على عدد أركان الأعمال على قدر استعداد الذاكرين وقوتهم الروحية وهمتهم العلية. وفي الحديث المذكور دليل على أن من الأعمال ما يكتبه غير الحفظة مع الحفظة ويختصم الملأ الأعلى في الأعمال الصالحة ويستبقون إلى كتابة أعمال بني آدم على قدر مراتبهم وتفصيل سر الحديث في «شرح الأربعين» لحضرة الشيخ الأجل صدر الدين القنوي قدس سره:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾.

﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ [نمى آيد بما قيامت] وعبر عن القيامة بالساعة تشبيهاً لها بالساعة التي هي جزء من أجزاء الزمان لسرعة حسابها. قال في «الإرشاد»: أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا أنفسهم أو معاصرهم فقط كما أرادوا بنفي إتيانها نفي

وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الأمر وإنما عبروا عنه بذلك لأنهم كانوا يوعدون بإتيانها ولأن وجود الأمور الزمانية المستقبلة لا سيما أجزاء الزمان لا تكون إلا بالإتيان والحضور. وفي «كشف الأسرار» [منكران بعث دو كروه اند كروهى كفتند ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢] يعني: ما در كمانيم بر ستاخيز يقين نميدانيم كه خواهد بود ورب العالمين ميكويد ايمان بنده وقتى درست شود كه برستاخيز وآخرت بيكمان باشد، وذلك قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] كروهى ديكر كفتند ﴿لا تأتينا الساعة﴾ رستاخيز بما نيايد ونخواهدبود] ﴿قل بلى﴾ رد لكلامهم وإثبات لما نفوه من إتيان الساعة على معنى ليس الأمر إلا إتيانها [درلباب كفته كه أبو سفيان بلات وعزى سوكند خوردكه بعث ونشور نيست حق تعالى فرمودكه اى حبيب من تو هم سوكند خوركه] ﴿وربي﴾ الواو للقسم يعني: [بحق آفريدكار من بزودى] ﴿لتأتينكم﴾ الساعة البتة يعني: [ببايد بشما قيامت] وهو تأكيد لما قبله ﴿عالم الغيب﴾ نعت لربي أو بدل منه وهو تشديد للتأكيد يريد أن الساعة من الغيوب والله عالم بكلها والغيب ما غاب عن الخلق على ما قال بعضهم العلقة غيب في النطفة والمضغة غيب في العلقة والإنسان غيب في هذا كله والماء غيب في الهواء والنبات غيب في الماء والحيوان غيب في النبات والإنسان غيب في هذا كله والله تعالى قد أظهره من هذه الغيوب وسيظهره بعدما كان غيباً في التراب وفائدة الأمر باليمين أن لا يبقى للمعاندين عذر أصلاً لما أنهم كانوا يعرفون أمانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلاً عن اليمين الفاجرة وإنما لم يصدقوه مكابرة وهذا الكفر والتكذيب طبيعة النفوس الكاذبة المكذبة فمن وكله الله بالخذلان إلى طبيعة نفسه لا يصدر منه إلا الإنكار ومن نظره الله إلى قلبه بنظر العناية فلا يظهر منه عند سماع قوله: ﴿قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ إلا الإقرار والنطق بالحق ﴿لا يعزب عنه﴾ [العزوب: درشدن] والعازب المتباعد في طلب الكلأ وعن أهله أي: لا يبعد عن علمه ولا يغيب ﴿مثقال ذرة﴾ المثقال ما يوزن به وهو من الثقل وذلك اسم لكل صنج كما في «المفردات». والذرة النملة الصغيرة الحميراء وما يرى في شعاع الشمس من ذرات الهواء أي: وزن أصغر نملة أو مقدار الهباء ﴿في السموات ولا في الأرض﴾ أي: كائنة فيهما. وفيه إشارة إلى علمه بالأرواح والأجسام ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ المثقال ﴿ولا أكبر﴾ منه ورفعهما على الابتداء فلا وقف عند أكبر والخبر قوله تعالى: ﴿إلا﴾ مسطور ومثبت ﴿في كتاب مبين﴾ هو اللوح المحفوظ المظهر لكل شيء وإنما كتب جرياً على عادة المخاطبين لا مخافة نسيان وليعلم أنه لم يقع خلل وإن أتى عليه الدهر والجملة مؤكدة لنفي العزوب.

﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ علة لقوله: ﴿لتأتينكم﴾ وبيان لما يقتضي إتيانها فاللام للعلة عقلاً وللمصلحة والحكمة شرعاً. ﴿أولئك﴾ الموصوفون بالإيمان والعمل. ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿مغفرة﴾ ستر ومحو لما صدر عنهم مما لا يخلو عنه البشر ﴿ورزق كريم﴾ لا تعب فيه ولا منّ عليه.

﴿والذين سعوا﴾ [بشتافتند] ﴿في آياتنا﴾ القرآنية بالرد والطعن فيها ومنع الناس عن

التصديق بها ﴿**معاجزين**﴾ أي: مسابقين كي يفوتونا. قال في «البحر»: ظانين في زعمهم وتقديرهم أنهم يفوتوننا وإن كيدهم للإسلام يتم لهم. وفي «المفردات» السعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً وأعجزت فلاناً وعاجزته جعلته عاجزاً أي: ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشور فيكون لهم ثواب وعقاب وهذا في المعنى كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ [العنكبوت: ٤] وقال في موضع آخر أي: اجتهدوا في أن يظهروا لنا عجزاً فيما أنزلناه من الآيات وبالفارسية: [وميكوشند درانكه مارا عاجز آرند وپيش شوند] ﴿**أولئك**﴾ الساعون ﴿**لهم**﴾ بسبب ذلك ﴿**عذاب من رجز**﴾ من للبيان والرجز سوء العذاب أي: من جنس سوء العذاب ﴿**أليم**﴾ بالرفع صفة عذاب أي: شديد الإيلام ويجيء الرجز بمعنى القذر والشرك والأوثان كما في قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ٥] سماها رجزاً لأنها تؤدي إلى العذاب وكذا سمي كيد الشيطان رجزاً في قوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال: ١١] لأنه سبب العذاب. وفي «المفردات» أصل الرجز الاضطراب وهو في الآية كالزلزلة.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾.

﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ مستأنف مسوق للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات أي: يعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله ومن شايعهم من علماء الأمة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ونحوهما والأول أظهر لأن السورة مكية كما في «التكملة»: ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ أي: النبوة والقرآن والحكمة والجملة مفعول أول لقوله: ﴿يرى﴾. ﴿هو﴾ ضمير فصل يفيد التوكيد كقوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُمْۖ﴾ [آل عمران: ١٨٠] ﴿الحق﴾ بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى ﴿ويهدي﴾ عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لأنه في تأويله كما في قوله تعالى: ﴿صَٰٓفَّٰتٍۖ﴾ [النور: ٤١] أي: وقابضات كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك الحق وهادياً ﴿**إلى صراط العزيز الحميد**﴾ الذي هو التوحيد والتوشح بلباس التقوى وهذا يفيد رهبة لأن العزيز يكون ذا انتقام من المكذب ورغبة لأن الحميد يشكر على المصدق. وفيه أن دين الإسلام وتوحيد الملك العلام هو الذي يتوصل به إلى عزة الدارين وإلى القربة والوصلة والرؤية في مقام العين كما أن الكفر والتكذيب يتوصل به إلى المذمة والمذلة في الدنيا والآخرة وإلى البعد والطرد والحجاب عما تعاينه القلوب الحاضرة والوجوه الناظرة. قال بعض الكبار: يشير بالآية إلى الفلاسفة الذين يقولون: إن محمداً ﷺ كان حكيماً من حكماء العرب وبالحكمة أخرج هذا الناموس الأكبر يعنون النبوة والشريعة ويزعمون أن القرآن كلامه أنشأه من تلقاء نفسه يسعون في هذا المعنى مجاهدين جهداً تاماً في إبطال الحق وإثبات الباطل فلهم أسوأ الطرد والإبعاد لأن القدح في النبوة ليس كالقدح في سائر الأمور. وأما الذين أوتوا العلم من عند الله موهبة منه لا من عند الناس بالتكرار والبحث فيعلمون أن النبوة والقرآن والحكمة هو الحق من ربهم وإنما يرون هذه الحقيقة لأنهم ينظرون بنور العلم الذي أوتوه من الحق تعالى فإن الحق لا يرى إلا بالحق كما

أن النور لا يرى إلا بالنور ولما كان يرى الحق بالحق كان الحق هادياً لأهل الحق وطالبيه إلى طريق الحق وذلك قوله: ﴿ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ فهو العزيز لأنه لا يوجد إلا به وبهدايته والحميد لأنه لا يرد الطالب بغير وجدان كما قال: «ألا من طلبني وجدني». قال موسى عليه السلام: أين أجدك يا رب؟ قال: يا موسى إذا قصدت إليّ فقد وصلت إليّ، قال المولى الجامي:

هرچه جز حق ز لوح دل بتراش — بكذر از خلق جمله حق را باش
رخت همت بخطه جان كش — بر رخ غير خط نيسان كش
بكسلى خويش از هوا وهوس — روى دل درخداى دارى پس

﴿وقال الذين كفروا﴾ منكري البعث وهم كفار قريش قالوا بطريق الاستهزاء مخاطباً بعضهم لبعض ﴿هل ندلكم﴾ [يا دلالت كنيم ونشان دهيم شمارا] ﴿على رجل﴾ يعنون به النبي ﷺ وإنما قصدوا بالتنكير الهزؤ والسخرية ﴿ينبئكم﴾ أي: يحدثكم ويخبركم بأعجب الأعاجيب ويقول لكم: ﴿إذا مزقتم كل ممزق﴾ الممزق مصدر بمعنى التمزيق وهو بالفارسية [پرا كنده كردن] وأصل التمزيق التفريق يقال مزق ثيابه أي: فرقها والمعنى إذا متم وفرقت أجسادكم كل تفريق بحيث صرتم رفاتاً وتراباً ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أي: مستقرون فيه وبالفارسية: [درآفرينش تو خواهيد بود يعني زنده خواهيد كشت] وجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين من جدّ فهو جديد كقل فهو قليل وبمعنى المفعول عند الكوفيين من جدّ النساج الثوب إذا قطعه. قال في «المفردات» يقال جددت الثوب إذا قطعته على وجه الإصلاح وثوب جديد أصله المقطوع ثم جعل لكل ما أحدث إنشاؤه والخلق الجديد إشارة إلى النشأة الثانية والجديدان الليل والنهار والعامل في إذا محذوف دل عليه ما بعده أي: تنشأون خلقاً جديداً ولا يعمل فيها مزقتم لإضافتها إليه ولا ينبئكم لأن التنبئة لم تقع وقت التمزيق بل تقدمت ولا جديد لأن ما بعد أنّ لا يعمل فيما قبلها.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

﴿افترى على الله كذباً﴾ فيما قاله وهذا أيضاً من كلام الكفار وأصل افترى أإفترى بهمزة الاستفهام المفتوحة الداخلة على همزة الوصل المكسورة للإنكار والتعجب فحذفت همزة الوصل تخفيفاً مع عدم اللبس.

والفرق بين الافتراء والكذب أن الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه ومعنى الافتراء بالفارسية [دروغ بافتن] أي: اختلق محمد على الله كذباً ﴿أم به جنة﴾ [يا بدو جنوني هست] أي: جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه من غير قصد والجنون حائل بين النفس والعقل وهذا حصر للخبر الكاذب بزعمهم في نوعيه وهما الكذب على عمد وهو المعنيّ بالافتراء والكذب لا عن عمد وهو المعنيّ بالجنون فيكون معنى أم به جنة أم لم يفتر فعبر عن عدم الافتراء بالجنة لأن المجنون لا افتراء له لأن الكذب عن عمد ولا عمد للمجنون فالإخبار حال الجنة قسيم للافتراء الأخص لا الكذب الأعم ثم أجاب

الله عن ترديدهم فقال: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي: ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء كما زعموا وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالحشر والنشر واقعون ﴿في العذاب﴾ في الآخرة ﴿والضلال البعيد﴾ في الدنيا أي: البعيد عن الصواب والهدي بحيث لا يرجى الخلاص منه ووصف الضلال بالبعد على الإسناد المجازي للمبالغة إذ هو في الأصل وصف الضال لأنه الذي يتباعد عن المنهاج المستقيم وكلما ازداد بعداً عنه كان أضل وتقديم العذاب على ما يوجبه ويؤدي إليه وهو الضلال للمسارعة إلى بيان ما يسوؤهم وجعل العذاب والضلال محيطين بهم إحاطة الظرف بالمظروف لأن أسباب العذاب معهم فكأنهم في وسطه ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه على أن علة ما اجترأوا عليه كفرهم بالآخرة وما فيها فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفاً من غائلته.

وحاصل الآية إثبات الجنون الحقيقي لهم فإن الغفلة عن الوقوع في العذاب وعن الضلال الموجب لذلك جنون أي: جنون واختلال عقل أي: اختلال إذ لو كان فهمهم وإدراكهم تاماً وكاملاً لفهموا حقيقة الحال ولما اجترأوا على سوء المقال. قال بعض الكبار كما أن الطفل الصغير يسبى إلى بعض البلاد فينسى وطنه الأصلي بحيث لو ذكر به لم يتذكر كذلك نفس الإنسان القاسي قلبه إن ذكر بالآخرة وهو وطنه الأصلي لم يتذكر ويكفر به ويقول مستهزئاً ما يقول ولا يتفكر أن أجزاءه كانت متفرقة حين كان هو ذرة أخرجت من صلب آدم كيف جمع الله ذرات شخصه المتفرقة وجعلها خلقاً جديداً كذلك يجمع الله أجزاءه المتفرقة للبعث.

بامرش وجود از عدم نقش بست	كه داند جزاو كردن ازنيست هست
دكر ره بكتم عدم در برد	وزانجا بصحراى محشر برد
دهد روح كر تربت آدمى	شود تربت آدم دران يكدمى
كسى كو بخواهد نظير نشور	بكو در نكر سبزه را در ظهور
كه بعد خزان بشكفد چند كل	بجوشد زمين در بهاران چو مل

﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ الفاء للعطف على مقدر أي: افعلوا ما فعلوا من المنكر المستتبع للعقوبة فلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفرّ لهم وهو السماء والأرض فإنهما أمامهم وخلفهم وعن يمينهم وشمالهم حيثما كانوا وساروا وبالفارسية: [آيا نمى نكرند كافران بسوى آنچه در پيش ايشانست از آسمان وزمين]. ثم بين المحذور المتوقع من جهتهما فقال: ﴿إن نشأ﴾ جرياً على موجب جناياتهم ﴿نخسف بهم الأرض﴾ كما خسفناها بقارون وخسف به الأرض غاب به فيها فالباء للتعدية وبالفارسية: [فرو بريم ايشانرا بزمين] ﴿أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم والكسف كقطع لفظاً ومعنى جمع كسفة. قال في «المفردات» ومعنى الكسفة قطعة من السحاب والقطن ونحو ذلك من الأجسام المتخلخلة ومعنى إسقاط الكسف من السماء إسقاط قطع من النار كما وقع لأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب كانوا أصحاب غياض ورياض وأشجار ملتفة حيث أرسل الله عليهم حراً شديداً فرأوا سحابة فجاءوا ليستظلوا تحتها فأمطرت عليهم النار فاحترقوا ﴿إن في ذلك﴾ أي: فيما ذكر من السماء والأرض من حيث إحاطتهما بالناظر من جميع الجوانب أو فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر ﴿لآية﴾ لدلالة واضحة ﴿لكل عبد منيب﴾ شأنه الإنابة والرجوع إلى ربه فإنه إذا

تأمل فيهما أو في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبيح وينيب إليه تعالى. قال في «المفردات» النوب رجوع الشيء مرة بعد أخرى والإنابة إلى الله الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل. وفي الآية حث بليغ على التوبة والإنابة وزجر عن الجرم والجناية وأن العبد الخائف لا يأمن من قهر الله طرفة عين فإن الله قادر على كل شيء يوصل اللطف والقهر من كل ذرة من ذرات العالم.

قال إبراهيم بن أدهم قدس سره: إذا صدق العبد في توبته صار منيباً لأن الإنابة ثاني درجة التوبة. قال أبو سعيد القرشي المنيب الراجع عن كل شيء يشغله عن الله إلى الله. وقال بعضهم: الإنابة الرجوع منه إليه لا من شيء غيره فمن رجع من غيره إليه ضيع أحد طرفي الإنابة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه ويرجع إليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شبحاً لا وصف له قائماً بين يدي الحق مستغرقاً في عين الجمع. سري سقطي قدس سره [كويد معروف كرخى را روح الله روحه بخواب ديدم در زير عرش خداى واله ومدهوش وازحق ندايى رسيد بملائكة اين مرد كيست كفتند خداوندا تودانا ترى كفت معروف ازدوشتى ما واله كشته است جز بديدار ما بهوش نيايد وجز بلقاى ما ازخود خبر نيابد] فهذه هي حقيقة الرجوع. ومن هذا القبيل ما حكي عن إبراهيم بن أدهم قدس سره أنه حج إلى بيت الله الحرام فبينما هو في الطواف إذ بشاب حسن الوجه قد أعجب الناس حسنه وجماله فصار إبراهيم ينظر إليه ويبكي فقال بعض أصحابه: إنا لله وإنا إليه راجعون غفلة دخلت على الشيخ بلا شك ثم قال: يا سيدي ما هذا النظر الذي يخالطه البكاء؟ فقال إبراهيم: يا أخي عقدت مع الله عقداً لا أقدر على فسخه وإلا كنت أدني هذا الفتى مني وأسلم عليه لأنه ولدي وقرة عيني تركته صغيراً وخرجت فارّاً إلى الله تعالى وها هو قد كبر كما ترى وأني لأستحيي من الله أن أعود إلى شيء خرجت منه.

هجرت الخلق كلا في هواكا ... وايتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب اربا ... لما سكن الفؤاد إلى سواكا

قال بعضهم: هجر النفس مواصلة الحق ومواصلة النفس هجر الحق ومن الله الإيصال إلى مقام الوصال.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ أعطى الله تعالى داود اسماً ليس فيه حروف الاتصال فدل على أنه قطعه عن العالم بالكلية وشرفه بالطافه الخفية والجلية فإن بين الاسم والمسمى مناسبة لا يفهمها إلا أهل الحقيقة وقد صح أن الألقاب والأسماء تنزل من صوب السماء والفضل الزيادة والتنوين للنوع أي: نوعاً من الفضل على سائر الأنبياء مطلقاً سواء كانوا أنبياء بني إسرائيل أو غيرهم كما دل عليه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] والفاضل من وجه لا ينافي كونه مفضولاً من وجه آخر وهذا الفضل هو ما ذكر بعد من تأويب الجبال وتسخير الطير وإلانة الحديد فإنه معجزة خاصة به وهذا لا يقتضي انحصار فضله فيها فإنه تعالى أعطاه الزبور كما قال في مقام الامتنان والتفضل. ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

قال في «التأويلات النجمية»: والفرق بين داود وبين نبينا ﷺ أنه ذكر فضله في حق داود على صفة النكرة وهي تدل على نوع من الفضل وشيء منه وهو الفيض الإلهي بلا واسطة كما دل عليه كلمة منا وقال في حق نبينا ﷺ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] والفضل الموصوف بالعظمة يدل على كمال الفضل وكذا قوله فضل الله لما أضاف الفضل إلى الله اشتمل على جميع الفضل كما لو قال أحد دار فلان اشتملت على جميع الدور انتهى بنوع من التغيير. ويجوز أن يكون التنكير للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية لفخامته الإضافية على أن يكون المفضل عليه غير الأنبياء فالمعنى إذا ولقد آتينا داود بلا واسطة فضلاً عظيماً على سائر الناس كالنبوبة والعلم والقوة والملك والصوت الحسن وغير ذلك ﴿**يا جبال أوبي معه**﴾ بدل من آتينا بإضمار قلنا أومن فضلا باضمار قولنا. والتأويب على معنيين:

أحدهما: الترجيع وهو بالفارسية [نغمه كردانيدن] لأنه من الأوب وهو الرجوع.

والثاني: السير بالنهار كله فالمعنى على الأول رجعي معه التسبيح وسبحي مرة بعد مرة. قال في «كشف الأسرار»: أوّبي سبحي معه إذا سبح وهو بلسان الحبشة انتهى، وبالفارسية: [باز كردانيدن آوازخودرا باداود دروقت تسبيح أو يعني موافقت كنيد باوى] وذلك بأن يخلق الله تعالى فيها صوتاً مثل صوته كما خلق الكلام في شجرة موسى عليه السلام فكان كلما سبح سمع من الجبال ما يسمع من المسبح ويعقل معنى معجزة له قالوا: فمن ذلك الوقت يسمع الصدى من الجبال وهو ما يرده الجبل على المصوت فيه. فإن قلت: قد صح عند أهل الحقيقة أن للأشياء جميعاً تسبيحاً بلسان فصيح ولفظ صريح يسمعه الكمل من أهل الشهود فما معنى الفضل فيه لداود؟ قلت: الفضل موافقة الجبال له بطريق خرق العادة كما دل عليه كلمة مع. فإن قلت: قد ثبت أيضاً عندهم أن أذكار العوالم متنوعة فمتى سمع السالك من الأشياء الذكر الذي هو مشغول به فكشفه خيالي غير صحيح يعني أنه خيال أقيم له في الموجودات وليس له حقيقة وإنما الكشف الصحيح الحقيقي هو أن يسمع من كل شيء ذكراً غير ذكر الآخر. قلت: لا يلزم من موافقة الجبال لداود أن لا يكون لها تسبيح آخر في نفسها مسموع لداود كما هي فيه والمعنى على الثاني سيرى معه حيث سار، يعني: [سير كنيد با او هرجاكه رود وهركاه كه خواهد واين معجزه داود بودكه با او روان شدى] ولعل تخصيص الجبال بالتسبيح أو السير لأنها على صور الرجال كما دل عليه ثباتها ﴿**والطير**﴾ بالنصب عطفاً على فضلاً يعني وسخرنا له الطير لأن إيتاءها إياه عليه السلام لتسخيرها له فلا حاجة إلى إضماره ولا إلى تقدير المضاف أي: تسبيح الطير كما في «الإرشاد»: وبالفارسية: [ومسخر كرديم ويرا مرغان تادروقت ذكر با او موافق بودندى] نزل الجبال والطير منزلة العقلاء حيث نوديت نداءهم إذ ما من حيوان وجماد إلا وهو منقاد لمشيئته ومطيع لأمره فانظر إذ من طبع الصخور الجمود ومن طبع الطيور النفور ومع هذا قد وافقته عليه السلام فأشد منها القاسية قلوبهم لا يوافقون ذكراً ولا يطاوعون تسبيحاً وينفرون من مجالس أهل الحق نفور الوحوش بل يهجمون عليها بأقدام الإنكار كأنهم الأعداء من الجيوش.

قال المولى الجامي في «شرح الفصوص»: وإنما كان تسبيح الجبال والطير لتسبيحه لأنه لما قوي توجهه عليه السلام بروحه إلى معنى التسبيح والتحميد سرى ذلك إلى أعضائه وقواه فإنها مظاهر روحه ومنها إلى الجبال والطير فإنها صور أعضائه وقواه في الخارج فلا جرم

يسبحن لتسبيحه وتعود فائدة تسبيحها إليه يعني لما كان تسبيحها ينشأ من تسبيحه لا جرم يكون ثوابه عائداً إليه لا إليها لعدم استحقاقها لذلك انتهى. والحاصل: أن الذكر من اللسان يعبر إلى أن يصل إلى الروح ثم ينعكس النور من الروح إلى جبال النفس وطير القلب ثم بالمداومة ينعكس من النفس إلى البدن فيستوعب جميع أجزاء البدن ظاهرها وباطنها ثم ينعكس من أجزائه العنصرية إلى العناصر الأربعة مفردها ومركبها وينعكس من النفس إلى النفوس أعني النفس النامية والنفس الحيوانية والنفس السماوية والنفس النجومية وينعكس من الروح الإنساني إلى عالم الأرواح إلى أن يستوعب جميع العالم ملكه وملكوته وإليهما الإشارة بالجبال والطير فيذكر العالم بما فيه موافقة للذاكر ثم يعبر الذكر عن المخلوقات ويصعد إلى رب العالمين كما قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] فيذكره الله تعالى فيكون ذاكراً ومذكوراً متصفاً بصفة الرب وبخلقه ويكون الفضل في حقه كونه مذكوراً للحق. ثم إن الله تعالى ما بعث نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان لداود عليه السلام حسن صوت جداً زائد على غيره كما أنه كان ليوسف عليه السلام حسن زائد على حسن غيره [هركاه كه داود بزبور خواندن مشغول شدى سباع ووحوش ازمنازل خود بيرون آمده استماع آواز دلنوازش كردندى وطيور ازنغمات جانفزايش مضطرب كشته خود ازمنزل برزمين افكندندى:

زصوت دلكشش جان تازه كشتى روانرا ذوق بى انداره كشتى
سپهر چنك پشت ارغنون ساز ازان پر حالت نشنوده آواز

وكفتند چون داود تسبيح كفتى كوهها بصدا ويرا مدد دادندى ومرغان برز بر سروى كشيده بالحان دلاويز امداد نمودندى وهركس كه آواز وى شنيدى ازلذت آن نغمه بيخود كشتى وازان وجد وسماع بودى كه دريك مجلس چهار صد جنازه بركرفتندى]:

چو كردد مطرب من نغمه پرداز زشوقش مرغ روح آيد بپرواز

قال القرطبي: حُسْنُ الصوت هبة الله تعالى وقد استحسن كثير من فقهاء الأمصار القراءة بتزيين الصوت وبالترجيع ما لم يكن لحناً مفسداً مغيراً للمبنى مخرجاً للنظم عن صحة المعنى لأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية كما في «فتح القريب» [شبى داود عليه السلام باخود كفت «لا عبدنّ الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها» اين بكفت وبركوه شد تا عبادت كند وتسبيح كويد درميانهٔ شب وحشتى بوى در آمد ورب العالمين آن ساعت كوه را فرمود تا انس دل داودرا باوى تسبيح وتهليل مساعدت كند چندان آواز تسبيح وتهليل ازكوه بديد آمد كه آواز داود در جنب آن ناچيز كشت باخود كفت] كيف يسمع صوتي مع هذه الأصوات فنزل ملك وأخذ بعضد داود وأوصله إلى البحر فوضع قدمه عليه فانفلق حتى وصل إلى الأرض تحته فوضع قدمه عليها حتى انشقت فوصل إلى الحوت تحت الأرض ثم إلى الصخرة تحت الحوت فوضع قدمه على الصخرة فظهرت دودة وكانت تنشر فقال له الملك: يا داود إن ربك يسمع نشير هذه الدودة في هذا الموضع من وراء السبع الطباق فكيف لا يسمع صوتك من بين أصوات الصخور والجبال فتنبه داود لذلك ورجع إلى مقامه.

همه آوازها در پيش حق باز اكر پيدا اكر پوشيده آواز
كسى كو بشنود آواز ازحق شود در نفس خود خاموش مطلق

اللهم أسمعنا كلامك ﴿**وألنا له الحديد**﴾ اللين ضد الخشونة يستعمل في الأجسام ثم يستعار

للمعاني وإلانة الحديد بالفارسية: [نرم كردانيدن آهن] أي: جعلناه لينا في نفسه كالشمع والعجين والمبلول يصرفه في يده كيف يشاء من غير إحماء بنار ولا ضرب بمطرقة أو جعلناه بالنسبة إلى قوته التي آتيناها إياه ليناً كالشمع بالنسبة إلى سائر قوى البشرية وكان داود أوتي شدة قوة في الجسد وإن لم يكن جسيماً وهو أحد الوجهين لقوله: ذا الأيد في سورة ص.

﴿أن اعمل﴾ أي: أمرناه بأن عمل على أن أن مصدرية حذف منها الباء. ﴿سابغات﴾ أي: دروعاً واسعة تامة طويلة. قال في «القاموس» سبغ الشيء سبوغاً طال إلى الأرض والنعمة انسغت ودرع سابغة تامة طويلة انتهى ومنه استعير إسباغ الوضوء أو إسباغ النعمة كما في «المفردات» وهو عليه السلام أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح حديد مضروبة قالوا: كان عليه السلام حين ملك على بني إسرائيل يخرج متنكراً فيسأل الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكاً في صورة آدمي فسأله على عادته فقال: نعم الرجل لولا خصلة فيه فسأله عنها فقال: لولا أنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال ولو أكل من عمل يده لتمت فضائله فعند ذلك سأل ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع فكان يعمل كل يوم درعاً ويبيعها بأربعة آلاف درهم أو بستة آلاف ينفق عليه وعلى عياله ألفين ويتصدق بالباقي على فقراء بني إسرائيل [درلباب كويد چون وفات فرمود هزار ذره در خزانه او بود] وفي الحديث: «كان داود لا يأكل إلا من كسب يده». وفي الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع فإن العمل بها لا ينقص بمرتبتهم بل ذلك زيادة في فضلهم إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم وفي الحديث: «إن خير ما أكل المرء من عمل يده» قال الشيخ سعدي قدس سره:

بياموز پرورده را دست رنج وكردست دارى چو قارون كنج

بپايان رسد كيسهٔ سيم وزر نكردد تهى كيسهٔ پيشه ور

﴿وقدر في السرد﴾ التقدير بالفارسية [اندازه كردن] والسرد في الأصل خرز ما يخشن ويغلظ كخرز الجلد ثم استعير لنظم الحديد ونسج الدروع كما في «المفردات» وقيل لصانع الدروع سراد وزراد بإبدال الزاء من السين وسرد كلامه وصل بعضه ببعض وأتى به متتابعاً وهو إنما يكون مقبولاً إذا لم يخل بالفهم والمعنى اقتصد في نسجها بحيث تناسب حلقها وبالفارسية: [واندازه نكه دار دربافتن آن «يعني حلقها مساوي» درهم افكن تا وضع آن متناسب افتد] ولا تصرف جميع أوقاتك إليه بل مقدار ما يحصل به القوة وأما الباقي فاصرفه إلى العبادة وهو الأنسب بما بعده.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى إلانة قلبه والسابغات الحكم البالغة التي ظهرت ينابيعها من قلبه على لسانه ﴿وقدر في السرد﴾ الحديث بأن تتكلم بالحكمة على قدر عقول الناس.

نكته كفتن پيش كژفهمان زحكمت بيكمان

جوهرى چند ازجواهر ريختن پيش خرست

﴿واعملوا﴾ خطاب لداود وأهله لعموم التكليف. ﴿صالحاً﴾ عملاً صالحاً خالصاً من الأغراض ﴿إني بما تعملون بصير﴾ لا أضيع عمل عامل منكم فأجازيكم عليه وهو تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به.

وفي «التأويلات النجمية»: أشار بقوله: ﴿واعملوا صالحاً﴾ إلى جميع أعضائه الظاهرة والباطنة أن تعمل في العبودية كل واحدة منها عملاً يصلح لها ولذلك خلقت إني بعمل كل واحدة منكن بصير وبالبصارة خلقتكن انتهى. والبصير هو المدرك لكل موجود برؤيته ومن عرف أنه البصير راقبه في الحركات والسكنات حتى لا يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره. وخاصية هذا الاسم وجود التوفيق فمن قرأه قبل صلاة الجمعة مائة مرة فتح الله بصيرته ووفقه لصالح القول والعمل وإن كان الإنسان لا يخلو عن الخطأ. يقال: كان داود عليه السلام يقول: اللهم لا تغفر للخطائين غيره منه وصلابة في الدين فلما وقع له ما وقع من الزلة كان يقول: اللهم اغفر للمذنبين. ويقال لما تاب الله عليه اجتمع الإنس والجن والطير بمجلسه فلما رفع صوته وأدار لسانه في حنكه على حسب ما كان من عادته تفرقت الطيور وقالت: الصوت صوت داود والحال ليست تلك الحال فبكى داود عليه السلام وقال: ما هذا يا رب فأوحى الله إليه يا داود هذا من وحشة الزلة وكانت تلك من إنس الطاعة:

قدم نتوان نهاد آنجاكه خواهى بفرمان رو بفرمان كن نكاهى

كه هر كاو نه بامر حق قدم زد چو شمع ازسر برآمد تيز دم زد

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسخرنا له الريح وهي الصبا ﴿غدوها﴾ أي: جريها وسيرها بالغداة أي: من لدن طلوع الشمس إلى زوالها وهو وقت انتصاف النهار، وبالفارسية: [بامدادبردن باد اورا] ﴿شهر﴾ مسيرة شهر أي: مسير دواب الناس في شهر. قال الراغب: الشهر مدة معروفة مشهورة بإهلال الهلال أو باعتبار جزء من اثني عشر جزءاً من دوران الشمس من نقطة إلى تلك النقطة. والمشاهرة المعاملة بالشهر كما أن المسانهة والمياومة المعاملة بالسنة واليوم ﴿ورواحها﴾ أي: جريها وسيرها بالعشي أي: من انتصاف النهار إلى الليل، وبالفارسية: [ورفتن او شبانكاه] ﴿شهر﴾ مسيرة شهر ومسافته يعني كانت تسير في يوم واحد مسيرة شهرين للراكب. والجملة إما مستأنفة أو حال من الريح. وعن الحسن كان يغدو بدمشق مع جنوده على البساط فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع واصطخر بوزن فردوس بلدة من بلاد فارس بناها لسليمان صخر الجني المراد بقوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [النمل: ٣٩] ثم يروح أي: من اصطخر فيكون رواحه بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وكابل بضم الباء الموحدة ناحية معروفة من بلاد الهند وكان عليه السلام يتغدى بالري ويتعشى بالسمرقند والري من مشاهير ديار الديلم بين قومس والجبال وسمرقند أعظم مدينة بما وراء النهر أي: نهر جيحون.

ـ ويحكى ـ أن بعضهم رأى مكتوباً في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنياً وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون عنه فبائتون بالشام إن شاء الله. قال في «كشف الأسرار»: [كفته اند سفروى از زمين عراق بود تابمرو وازآنجا تابلخ وازآنجا تادر بلاد ترك شدى وبلاد ترك باز بريدى تازمين چين آنكه سوى راست زجانب مطلع آفتاب بركشتى برساحل دريا تابزمين قندهار وازآنجا تا بمكران وكرمان وازآنجا تا

باصطخر فارس نزولكاه وى بود يكچند آنجا مقام كردى وازآنجا بامداد برفتى وشبانكاه بشام بودى بمدينه تدمر ومسكن ومستقروى تدمربود] وكان سليمان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر وقد وجدت هذه الأبيات منقورة في صخرة بأرض الشام أنشأها بعض أصحاب سليمان:

ونحن ولا حول سوى حول ربنا ... نروح إلى الأوطان من أرض تدمر
إذا نحن رحنا كان ريث رواحنا ... مسيرة شهر والغدوّ لآخر
اناس شر والله طوعا نفوسهم ... بنصر ابن داود النبي المطهر
متى يركب الريح المطيعة أرسلت ... مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهمو طير صفوف عليهمو ... متى رفرفت من فوقهم لم تبتر

قال مقاتل: كان ملك سليمان ما بين مصر وكابل. وقال بعضهم: جميع الأرض وهو الموافق لما اشتهر من أنه ملك الدنيا بأسرها أربعة: اثنان من أهل الإسلام وهما الاسكندر وسليمان واثنان من أهل الكفر وهما نمرود وبخت نصر [بعض كبار كفته كه سليمان عليه السلام اسبان نيكويى عيب داشت همچون مرغان باپرچون آن قصه فوت نماز بيفتاد تيغ بركشيد وكردن اسبان مى بريد كفتندكه اكنون كه بترك اسبان بكفتى ما باد مركب توكرديم «من كان لله كان الله له» هركه بترك نظر خود بكريد نظر الله بدلش پيوند هيچ كس نبودكه بترك چيزى نكفت ازبهر خدا كه نه عوضى به ازانش ندادند مصطفى عليه السلام جعفررا رضي الله عنه بغزو فرستاد وامارت جيش بود داد لو اى اسلام دردست وى بودكفار حمله آوردند ويك دستش بينداختند لوا بديكردست كرفت يك زخم ديكر بر آوزدند وديكر دستش بيندا ختند بعد ازان هفتاد ونه زخم برداشت شهيد ازدنيابيرون شد اورا بخواب ديدندكه «ما فعل الله بك» كفت «عوّضني الله من اليدين جناحين أطير بهما في الجنة حيث أشاء مع جبريل وميكائيل» اسما بنت عميس كفت رسول خدا ايستاده بود ناكاه كفت «وعليكم السلام» كفتم «على من ترد السلام يا رسول الله» جواب سلام كه ميدهى هچ كس را نمى بينم كه برتو سلام ميكند كفت «إن جعفر بن أبي طالب مر مع جبريل وميكائيل» أي: جعفر دست بدادى اينك پرجزاى تو آى سليمان اسبان بدادى اينك اسبان در بروبحر حمال تو أي: محب صادق اكربحكم رياضت ديده فدا كردى وچشم نثار اينك لطف ماديده تو وفضل ما سمع تو وكرام ما چراغ وشمع تو «فإذا أحببته كنت له سمعاً يسمع بي وبصراً يبصر بي ويداً يبطش بي» أول مرد كوينده شود پس داننده شود پس رونده شود پس برنده شود اى مسكين ترا هركز آرزوى آن نبودكه روزى مرغ دلت ازقفس ادبار نفس خلاص يابد وبرهواى رضاى حق پروازكند بجلال قدر بارخداكه جزنواخت «اتيته هرولة» استقبال تو نكند]:

چه مانى بهر مردارى چو زاغان اندرين پستى
قفس بشكن چو طاوسان يكى برپر برين بالا

قفس قالب است وامانت مرغ جان پراوعشق پرواز او ارادت افق او غيب منزل او در دركاه كه مرغ امانت ازين قفس بشريت برافق غيب پرواز كند كروبيان عالم قدس دستهابديده خويش بازنهندتا از برق اين جمال ديدهاى ايشان نسوزد.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير قوله: ﴿**ولسليمان الريح**﴾ إلى آخره إلى القلب وسيره إلى عالم الأرواح وسرعته في السير للطافته بالنسبة إلى كثافة النفس وإبطائها في السير وذلك لأن مركب النفس في السير البدن وهو كثيف بطيء السير ومركب القلب في السير هو الجذبة الإلهية وهي من صفات لطفه كما قال عليه السلام: «قلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء» وتقليبها إلى الحضرة برياح العناية واللطف كما قال عليه السلام: «قلب المؤمن كريشة في فلاة يقلبها الريح ظهراً لبطن وبطناً لظهر» وهو حقيقة قوله «ولسليمان الريح» أي: لسليمان القلب سخرنا ريح العناية ليسير بها وهو ابن داود الروح وبساطه الذي كان مجلسه ويجري به الريح هو السر ولهذا المعنى قيل إن سليمان في سيره لاحظ ملكه يوماً فمال ببساطة فقال سليمان للريح: استوي فقالت الريح استو أنت ما دمت مستوياً بقلبك كنت مستوية ملت فملت كذلك حال السر والقلب وريح العناية إذا زاغ القلب أزاغ الله بريح الخذلان بساط السر فإن الله تعالى ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] انتهى، وفي «المثنوي»:

همچنين تاج سليمان ميل كرد روز روشن را برو چون ليل كرد
كفت تاجا كژ مشو برفرق من آفتابا كم مشو ازشرق من
راست مى كرد اوبدست آن تاج را باز كژ مى شد بروتاج اى فتى
هشت بارش راست كرد وكشت كژ كفت تاجاچيست آخر كژ مغژ
كفت اكر صدره كنى تو راست من كژروم چون كژروى اى مؤتمن
پس سليمان اندرون و راست كرد دل بر آن شهرت كه بودش كرد سرد
بعد ازان تا جش همان دم راست شد آنچنانكه تاج را ميخواست شد
پس ترا هر غم كه پيش آيد زدرد بركسى تهمت منه بر خويش كرد

ـ حكي ـ أن رجلاً سَقَّاء بمدينة بخارى، كان يحمل الماء إلى دار صائغ مدة ثلاثين سنة وكان لذلك الصائغ زوجة صالحة في نهاية الحسن والبهاء فجاء السقاء على عادته يوماً وأخذ بيدها وعصرها فلما جاء زوجها من السوق قالت: ما فعلت اليوم خلاف رضى الله تعالى فقال: ما صنعت شيئاً فألحت عليه فقال: جاءت امرأة إلى دكاني وكان عندي سوار فوضعته في ساعدها فأعجبني بياضها فعصرتها فقالت: الله أكبر هذه حكمة خيانة السَّقاء اليوم فقال الصائغ: أيها المرأة إني تبت فاجعليني في حل فلما كان الغد جاء السقاء وتاب وقال: يا صاحبة المنزل اجعليني في حل فإن الشيطان قد أضلني فقالت: امض فإن الخطأ لم يكن إلا من الشيخ الذي في الدكان فإنه لما غير حاله مع الله بمس الأجنبية غير الله حاله معه بمس الأجنبي زوجته ومثل ذلك من عدل الله تعالى والله تعالى غيور إذا رأى عبده فيما نهاه يؤاخذه بما يناسب حاله وفعله فإذا عرف العبد أن الحال هذا وجب عليه أن يترك الجفاء والأذى ويسلك طريق العدل والإنصاف ولا يأخذ سمت الجور والاعتساف والشقاق والخلاف ﴿**وأسلنا له عين القطر**﴾ أي: أذبنا وأجرينا لسليمان عين النحاس المذاب أساله من معدنه كما ألان الحديد لداود فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عيناً وبالفارسية: [وجارى كرديم براى سليمان چشمه مس كداخت را تا از معدن بيرون آمدى چون آب روان وازان مس هرچه ميخواست ميساخت وآن در موضعي بود ازيمن بقرب صنعاء]. قال في «كشف الأسرار»: لم يعمل بالنحاس قبل ذلك فكل ما في أيدي الناس من النحاس في الدنيا من تلك العين.

يقول الفقير: يرد عليه أن في بعض البلاد معدن النحاس يلتقط جوهره منه اليوم يذاب ويعمل فكيف يكون ما في أيدي الناس مما أعطى سليمان إلا أن يقال إن أصله كان من تلك العين كما أن المياه كلها تخرج من تحت الصخرة في بيت المقدس على ما ورد في بعض الآثار ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه﴾ جملة من مبتدأ وخبر. يعني: [ازطائفه جن است كسى كه كار كردى پيش سليمان] ﴿بإذن ربه﴾ بأمره كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ الزيغ الميل عن الاستقامة أي: ومن يعدل من الجن ويمل عما أمرناه به من طاعة سليمان ويعصه ﴿نذقه﴾ [بچشانيم اورا] ﴿من عذاب السعير﴾ أي: عذاب النار في الآخرة.

- وروي - عن السدي أنه كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه الجني ضربه من حيث لا يراه ضربة أحرقته بالنار. وفيه إشارة إلى تسخير الله لسليمان صفات الشيطنة كما قال نبينا ﷺ: «إن الله سلطني على شيطاني فأسلم على يدي فلا يأمرني إلا بخير» فإذا كانت القوى الباطنة مسخرة كانت الظاهرة الصورية أيضاً مسخرة فتذهب الظلمة ويجيء النور ويزول الكدر ويحصل السرور وهذا هو حال الكمل في النهايات.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾.

﴿يعملون له ما يشاء﴾ تفصيل لما ذكر من عملهم. ﴿من محاريب﴾ بيان لما يشاء جمع محراب. قال في «القاموس»: المحراب الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الإمام من المسجد والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس انتهى. وفي «المفردات» محراب المسجد قيل: سمي بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى أو لكون حق الإنسان فيه أن يكون حريباً أي: مسلوباً من أشغال الدنيا ومن توزع الخاطر. وقيل: الأصل فيه أن محراب البيت صدر المجلس ثم لما اتخذت المساجد سمي صدرها به وقيل: بل المحراب أصل في المسجد وهو اسم خص به صدر المسجد وسمي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد وهذا أصح انتهى. والمعنى من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لأنها يذب عنها ويحارب عليها وأدرج في «تفسير الجلالين» أيضاً. قال المفسرون: فبنت الشياطين لسليمان تدمر كتنصر وهي بلدة بالشام والأبنية العجيبة باليمن وهي صرواح ومرواح وبينون وسلحين وهيذة وهنيذة وفلتوم وغمدان ونحوها وكلها خراب الآن وعملوا له بيت المقدس في غاية الحسن والبهاء:

[أصحاب سير كفته اندكه رب العالمين درنژاد إبراهيم عليه السلام بركت كرد چنانكه كس طاقت شمردن نسل آن نداشت خصوصاً در روزكار داود عليه السلام داود خواست كه عدد بني إسرائيل بداند ايشان كه در زمين فلسطين مسكن داشتند روز كارى دراز مى شمردند وبسر نرسيدند ونوميد كشتند پس وحى آمد بداودكه چون إبراهيم آن خواب كه اورا نموديم بذبح فرزند تصديق ووفاكرد من اورا وعده دادم كه درنسل وى بركت كنم اين كثرت ايشان ازانست اما ايشان فراوانى ازخويشتن ديدند وخودبين كشتند لا جرم عدد ايشان كم كنم اكنون مخيراند ميان سه بليه آن يكى كه اختيار كنند برايشان كما رم يا قحط ونياز وكرسنكى يادشمن سه ماه ياوبا وطاعون سه روز داود بني إسرائيل را جمع كرد وايشانرا درين سه بليت مخير كرد ازهرسه طاعون اختيار كردند كفتند اين يكى آسانتراست وار فضيحت دورتر پس همه جهاز مرك بساختند غسل كردند وخنود برخود ريختند وكفن در پوشيدن وبصحرا بيرون رفتند با أهل

وعيال وخرد وبزرك دران صعيد بيت المقدس پيش ازبنا نهادن آن وداود بصخره سجود درافتاد وايشان دعا وتضرع كردند رب العالمين طاعون برايشان فرود كشاد يك شبان روز چندان هلاك شدندكه بعد ازان بدوماه ايشانرا دفن توانستند كرد چون يك شبان روز ازطاعون بكذشت رب العالمين دعاى داود اجابت وتضرع ايشان روا كرد وآن طاعون ازايشان برداشت بشكر آنكه رب العالمين دران مقام برايشان رحمت كرد بفرمود تا آنجا مسجدي سازندكه پيوسته آنجا ذكر الله ودعا وتضرع رود پس ايشان دركار ايستادند ونخست مدينه بيت المقدس بنا نهادند وداود بردوش خودسنك ميكشيد وخيار بني إسرائيل همچنان سنك مى كشيدند تايك قامت بنابر آوردند پس وحى آمد بداودكه اين شهرستانرا بيت المقدس نام نهاديم قدمكاه پيغمبران وهجرتكاه ونزولكاه پاكان ونيكان]. قال بعض الكبار: أراد داود عليه السلام بنيان بيت المقدس فبناه مراراً فلما فرغ منه تهدّم فشكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه أن بيتي هذا لا يقوم على يدي من سفك الدماء فقال داود: يا رب ألم يك ذلك في سبيلك: قال: بلى ولكنهم أليسوا عبادي فقال: يا رب اجعل بنيانه على يدي من هو مني فأوحى الله إليه أن ابنك سليمان يبنيه فإني أملكه بعدك وأسلمه من سفك الدماء وأقضي إتمامه على يده. وسبب هذا أن الشفقة على خلق الله أحق بالرعاية من الغيرة في الله بإجراء الحدود المفضية إلى هلاكهم ولكون إقامة هذه النشأة أولى من هدمها فرض الله في حق الكفار الجزية والصلح إبقاء عليهم ألا ترى من وجب عليه القصاص كيف شرع لولي الدم أخذ الفدية أو العفو فإن أبى فحينئذٍ يقتل ألا تراه سبحانه إذا كان أولياء الدم جماعة فرضي واحد بالدية أو عفا وباقي الأولياء لا يرون إلا القتل كيف يراعي من عفا ويرجح على من لم يعف فلا يقتل قصاصاً. ثم نرجع إلى القصة فصلوا فيه زماناً [كفته اند داود درآن روز صد وبيست وهفت سال بود چون سال وى بصد وچهل رسيد ازدنيا بيرون شد وسليمان بجاى وى نشست].

وكان مولد سليمان بغزة وملك بعد أبيه وله اثنتا عشرة سنة ولما كان في السنة الرابعة من ملكه في شهر أيار سنة تسع وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ابتدأ سليمان في عمارة بيت المقدس وإتمامه حسبما تقدم وصية أبيه إليه وجمع حكماء الإنس والجن وعفاريت الأرض وعظماء الشياطين وجعل منهم فريقاً يبنون وفريقاً يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام وفريقاً يغوصون في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان وكان في الدر ما هو مثل بيضة النعامة والدجاجة وبنى مدينة بيت المقدس وجعلها اثني عشر ربضاً وأنزل كل ربض منها سبطاً من أسباط بني إسرائيل وكانوا اثني عشر سبطاً ثم بنى المسجد الأقصى بالرخام الملون وسقفه بألواح الجواهر الثمينة ورصع سقوفه وحيطانه باللآلي واليواقيت وأنبت الله شجرتين عند باب الرحمة إحداهما تنبت الذهب والأخرى تنبت الفضة فكان كل يوم ينزع من كل واحدة مائتي رطل ذهباً وفضة وفرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة وبألواح الفيروزج فلم يكن يومئذٍ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر وفرغ منه في السنة الحادية عشرة من ملكه وكان ذلك بعد هبوط آدم عليه السلام بأربعة آلاف وأربعمائة وأربع عشرة سنة وبين عمارة سليمان لمسجد بيت المقدس والهجرة النبوية المحمدية على صاحبها أزكى السلام ألف وثمانمائة وقريب من سنتين ولما فرغ من بناء المسجد سأل الله ثلاثاً: حكماً يوافق حكمه وسأله ملكاً ولا ينبغي لأحد من بعده وسأله أن لا يأتي إلى هذا

المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه قال عليه السلام: نرجو أن يكون قد أعطاه إياه، ولما رفع سليمان يده من البناء جمع الناس فأخبرهم أنه مسجد لله تعالى وهو أمره ببنائه وأن كل شيء فيه لله من انتقص شيئاً منه فقد خان الله تعالى ثم اتخذ طعاماً وجمع الناس جمعاً لم ير مثله ولا طعام أكثر منه وقرب القرابين لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه فيه عيداً.

قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات أبي داود وافتتح الأبواب فتفتحت فوزع له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار فلا يأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا والله يعبد فيها واستمر بيت المقدس على ما بناه سليمان أربعمائة سنة وثلاثاً وخمسين سنة حتى قصده بخت نصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ جميع ما كان فيه من الذهب والفضة والجواهر وحمله إلى دار مملكته من أرض العراق واستمر بيت المقدس خراباً سبعين سنة ثم أهلك بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه وذلك أنه من كبر الدماغ وانتفاخه فعل ما فعل من التخريب والقتل فجازاه الله تعالى بتسليط أضعف حيوان على دماغه.

نه هركز شنيديم در عمر خويش   كه بد مردرانيكى آمد به پيش

﴿وتماثيل﴾ جمع تمثال بالكسر وهو الصورة على مثال الغير أي: وصور الملائكة والأنبياء على صورة القائمين والراكعين والساجدين على ما اعتادوه فإنها كانت تعمل حينئذٍ في المساجد من زجاج ونحاس ورخام ونحوها ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم. ويقال إن هذه التماثيل رجال من نحاس وسأل ربه أن ينفخ فيها الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يعمل فيهم السلاح وكان اسفنديار روبين تن منهم كما في «تفسير القرطبي».

ـ وروي ـ أنهم عملوا أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان ذراعيهما فارتقى عليهما، يعني: [چون سليمان خواستى كه بتخت برآيد آن دوشير بازوهاى خود برافراختندى تاپاى بران نهاده بالارفتى] وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما فلما مات سليمان جاء افريدون ليصعد الكرسي ولم يدر كيف يصعد فلما دنا منه ضربه الأسد على ساقه فكسر ساقه ولم يجسر أحد بعده أن يدنو من ذلك الكرسي.

واعلم أن حرمة التصاوير شرع جديد وكان اتخاذ الصور قبل هذه الأمة مباحاً وإنما حرم على هذه الأمة لأن قوم رسولنا ﷺ كانوا يعبدون التماثيل أي: الأصنام فنهى عن الاشتغال بالتصوير وأبغض الأشياء إلى الخواص ما عصى الله به وفي الحديث: «من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً» وهذا يدل على أن تصوير ذي الروح حرام. قال الشيخ الأكمل: هل هو كبيرة أو لا؟ فيه كلام فعند من جعل الكبيرة عبارة عما ورد الوعيد عليه من الشرع فهو كبيرة وأما من جعل الكبيرة منحصرة في عدد محصور فهذا ليس من جملته فيكون الحديث محمولاً على المستحل أو على استحقاق العذاب المؤبد وأما تصوير ما لا روح له فرخص فيه وإن كان مكروهاً من حيث إنه اشتغال بما لا يعني. قال في «نصاب الاحتساب»: ويحتسب على من يزخرف البيت بنقش فيه تصاوير لأن الصورة في البيت سبب لامتناع الملائكة عن دخوله قال جبريل عليه السلام: «إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة» ولو زخرفه بنقش لا صورة فيه ولا بأس به.

وفي «ملتقط الناصري» لو هدم بيتاً مصوراً فيه بهذه الأصباغ تماثيل الرجال والطيور ضمن

قيمة البيت وأصباغه غير مصورة انتهى فإذا منع من التصاوير في البيت فأولى أن يمنع منها في المسجد ولذا محيت رؤوس الطيور في المساجد التي كانت كنائس وفيها تماثيل وجاء في الفروع أنه يكره أن يكون فوق رأس المصلي أو بين يديه أو بحذائه صورة وأشدها كراهة أن يكون أمام المصلي ثم فوق رأسه ثم على يمينه ثم على يساره ثم خلفه قيل: ولو كانت خلفه لا يكره لأنه لا يشبه عبادة الصنم وفيه إهانة لها ولو كانت تحت قدميه لا يكره. قال في «العناية»: قيل: إذا كانت خلفه لا تكره الصلاة ويكره كونها في البيت لأن تنزيه مكان الصلاة عما يمنع دخول الملائكة مستحب. لا يقال فعلى هذا لا يكره كونها تحت القدم فيه أيضاً، لأنا نقول فيه من التحقير والإهانة ما لا يوجد في الخلف فلا قياس لوجود الفارق ثم الكراهة إذا كانت الصورة كبيرة بحيث تبدو وتظهر للناظر بلا تأمل فلو كانت صغيرة بحيث لا تتبين تفاصيل أعضائها إلا بتأمل لا يكره لأن الصغير جداً لا يعبد ولو قطع رأسها لا يكره لأنها لا تعبد بلا رأس عادة ومعنى قطع الرأس أن يمحى رأسها بخيط يخاط عليها وينسج حتى لم يبق للرأس أثر أصلاً بل طمست هيئته قطعاً ولو خيط ما بين الرأس والجسد لا يعتبر لأن من الطيور ما هو مطوق فيكون أحسن في العين ولو محى وجه الصورة فهو كقطع رأسها بخلاف قطع يديها ورجليها ولا تكره الصلاة على بساط مصور لأنه إهانة وليس بتعظيم إن لم يسجد عليها لأن السجود عليها يشبه عبادة الأصنام وأطلق الكراهة في «المبسوط» لأن البساط الذي يصلي عليه معظم بالنسبة إلى سائر البسط فكان فيه تعظيم الصورة وقد أمرنا بإهانتها. وفي «حواشي أخي» چلبي إذا كان التمثال تمثال ما يعظم الكفار كشكل الصلب مثلاً لا ريب في كراهة السجدة عليه ألا يرى إلى ظهير الدين حيث قال: الأصل فيه أن كل ما يقع تشبهاً بهم فيما يعظمون يكره الاستقبال بالصلاة إليه ولو كانت الصورة على وسادة ملقاة أو بساط مفروش لم يكره لأنها توطأ فكأنه استهانة بالصورة بخلاف ما لو كانت الوسادة منصوبة كالوسائد الكبار أو كانت على الستر لأنها تعظيم لها.

وفي «الخلاصة» الصورة إذا كانت على وسادة أو بساط لا بأس باستعمالهما وإن كان يكره اتخاذهما وإن كانت على الإزار والستر فمكروه ولا يفسد صلاته في كل الفصول لوجود شرائط الجواز والنهي لمعنى في غير المنهي عنه وتعاد على وجه غير مكروه وهو الحكم في كل صلاة أديت مع الكراهة كما لو ترك تعديل الأركان كما في «الكافي» ﴿**وجفان**﴾ [وميكردندى يعني شياطين براى سليمان ازكاسهاى چوبين وغير آن] وهي جمع جفنة، وهي: القصعة العظيمة فإن أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم الميكلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحفة تشبع الرجل فتفسير الجفان بالصحاف كما فعله البعض منظور فيه. قال سعدي المفتي: والجفنة خصت بوعاء الأطعمة كما في «المفردات» ﴿**كالجواب**﴾ كالحياض الكبار أصله الجوابي بالياء كالجواري جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة.

قال الراغب: يقال جبيت الماء في الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية ومنه استعير جبيت الخراج جباية. قيل: كان يقعد على الجفنة ألفا رجل فيأكلون منها وكان لمطبخه كل يوم اثنا عشر ألف شاة وألف بقرة وكان له اثنا عشر ألف خباز واثنا عشر ألف طباخ يصلحون الطعام في تلك الجفان لكثرة القوم. وكان لعبد الله بن جدعان من رؤساء قريش وهو

ابن عم عائشة الصديقة رضي الله عنها جفنة يستظل بظلها ويصل إليها المتناول من ظهر البعير ووقع فيها صبي فغرق وكان يطعم الفقراء كل يوم من تلك الجفنة وكان لنبينا ﷺ قصعة يحملها أربعة رجال يقال لها الغراء أي: البيضاء فلما دخلوا في الضحى وصلوا صلاة الضحى أتى بتلك القصعة وقد ثرد فيها فالتفوا حولها أي: اجتمعوا فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال عليه السلام: «إن الله جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً» ثم قال: «كلوا من جوانبها ودعوا ذروتها يبارك فيها» قال في «الشرعة»: ولا بركة في القصاع الصغار ولتكن قصعة الطعام من خزف أو خشب فإنهما أقرب إلى التواضع. ويحرم الأكل في الذهب والفضة وكذا الشرب منهما. ويكره في آنية النحاس إذا كان غير مطليّ بالرصاص. وكذا في آنية الصفر وهو بضم الصاد المهملة وسكون الفاء شيء مركب من المعدنيات كالنحاس والأسرب وغير ذلك يقال له بالفارسية: [روى] بترقيق الراء فإنه بتفخيمها بمعنى الوجه ﴿**وقدور راسيات**﴾ القدر بالكسر اسم لما يطبخ فيه اللحم كما في «المفردات». والجمع قدور. والراسيات جمع راسية من رسا الشيء يرسو إذا ثبت ولذلك سميت الجبال الرواسي والمعنى وقدور ثابتات على الأثافي لا تنزل عنهما لعظمها ولا تحرك من أماكنها وكان يصعد عليها بالسلال وكانت باليمن [وهنوز در بعض از ولايات شام ديكهاى چنين ازسنك تراشيده موجودست] وكانت تتخذ القدور من الجبال أو هي قدور النحاس وكانت موضوعة على الأثافي أو كانت أثافيها منها كما في «الكواشي».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿**وجفان**﴾ إلى آخره إلى مأدبة الله التي لا نهاية لها التي يأكل منها الأولياء إذ يبيتون عنده كما قال عليه السلام: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» ﴿**اعملوا**﴾ يا ﴿**آل داود**﴾ فنصبه على النداء والمراد به سليمان لأن هذا الكلام قد ورد في خلال قصته وخطاب الجمع للتعظيم أو أولاده أو كل من ينفق عليه أو كل من يتأتى منه الشكر من أمته كما في «بحر العلوم» والمعنى وقلنا له أو لهم اعملوا ﴿**شكراً**﴾ نصب على العلة أي: اعملوا له واعبدوه شكراً لما أعطيتكم من الفضل وسائر النعماء فإنه لا بد من إظهار الشكر كظهور النعمة أو على المصدر لا عملوا لأن العمل للمنعم شكر له فيكون مصدراً من غير لفظه أو لفعل محذوف أي: اشكروا شكراً أو حال أي: شاكرين أو مفعول به أي: اعملوا شكراً ومعناه إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً على طريق المشاكلة. قال بعض الكبار: قال تعالى في حق داود: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبا: ١٠] فلم يقرن بالفضل الذي آتاه شكراً يطلبه منه ولا أخبر أنه أعطاه هذا الفضل جزاء لعمل من أعماله ولما طلب الشكر على ذلك الفضل بالعمل طلبه من آل داود لا منه ليشكره الآل على ما أنعم به على داود فهو في حق داود عطاء نعمة وأفضال وفي حق آله عطاء لطلب المعاوضة منهم فداود عليه السلام ليس يطلب منه الشكر على ذلك العطاء وإن كانت الأنبياء عليهم السلام قد شكروا الله على إنعامه وهبته فلم يكن ذلك الشكر الواقع منهم مبنياً على طلب من الله سبحانه بل تبرعوا بذلك من عند نفوسهم كما قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه من غير أن يكون مأموراً بالقيام على هذا الوجه شكراً لما غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلما قيل له في ذلك قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى شكر داود الروح وسليمان القلب من آله السر

والخفي والنفس والبدن فإن هؤلاء كلهم من مولدات الروح فشكر البدن استعمال الشريعة بجميع أعضائه وجوارحه ومحال الحواس الخمس ولهذا قال: اعملوا. وشكر النفس: بإقامة شرائط التقوى والورع. وشكر القلب بمحبة الله وخلوه عن محبة ما سواه. وشكر السر: مراقبته من التفاته لغير الله. وشكر الروح: ببذل وجوده على نار المحبة كالفراش على شعلة الشمع. وشكر الخفي قبول الفيض بلا واسطة في مقام الوحدة ولهذا سمي خفياً لأنه بعد فناء الروح في الله يبقى في قبول الفيض في مقام الوحدة مخفياً بنور الوحدة على نفسه ﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾ قليل خبر مقدم للشكور. وقال الكاشفي وصاحب «كشف الأسرار»: [واندكى ازبندكان من سپاس دارند] والشكور المبالغ في أداء الشكر على النعماء والآلاء بأن يشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته وأغلب أحواله ومع ذلك لا يوفي حقه لأن التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر.

حق شكر حق نداند هيچ كس ... حيرت آمد حاصل دانا وبس
آن بزركى كفت باحق درنهان ... كاى پديد آرنده هر دوجهان
اى منزه اززن وفرزند وجفت ... كى نواتم شكر نعمتهات كفت
پيك حضرت دادش از ايزد پيام ... كفتش از تواين بود شكر مدام
چون درين راه اين قدر بشناختى ... شكر نعمتهاى ما پرداختى

قال الإمام الغزالي رحمه الله: أحسن وجوه الشكر لنعم الله تعالى أن لا يستعملها في معاصيه بل في طاعاته وذلك أيضاً بالتوفيق. وعن جعفر بن سليمان: سمعت ثابتاً يقول: إن داود جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي. وعن النبي عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ألا إن داود أشكر العابدين وأيوب صابر الدنيا والآخرة».

وفي «التأويلات النجمية» وبقوله: ﴿**قليل من عبادي الشكور**﴾ يشير إلى قلة من يصل إلى مقام الشكورية وهو الذي يكون شكره بالأحوال. فللعوام شكرهم بالأقوال كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [النمل: ٩٣]. وللخواص شكرهم بالأعمال كقوله: ﴿**اعملوا آل داود شكراً**﴾. والخواص الخواص شكرهم بالأحوال وهو الاتصاف بصفة الشكورية والشكور هو الله تعالى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤] بأن يعطي على عمل فإن عشراً في ثواب باق كل ما كان عندكم ينفد وما عنده إلى السرمد إن الله كثير الإحسان فاعمل شكراً أيها الإنسان.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿**فلما قضينا عليه الموت**﴾ القضاء الحكم والفصل والموت زوال القوة الحساسة أي: لما حكمنا على سليمان بالموت وفصلناه به عن الدنيا ﴿**ما دلهم**﴾ [دلالت نكرد ديوانرا] ﴿**على موته**﴾ [برمرك سليمان] ﴿**إلا**﴾ [مكر] ﴿**دابة الأرض**﴾ أي: الأرضة وهي دويبة تأكل الخشب بالفارسية [كرمك چوب خور] أضيفت إلى فعلها وهو الأرض بمعنى الأكل ولذا سميت الأرض مقابل السماء أرضاً لأنها تأكل أجساد بني آدم يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضاً أكلتها فأرضت

أرضاً على ما لم يسم فاعله فهي مأروضة ﴿تأكل منسأته﴾ أي: عصاه التي يتوكأ عليها من النسيء وهو التأخير في الوقت لأن العصا يؤخر بها الشيء ويزجر ويطرد ﴿فلما خر﴾ سقط سليمان ميتاً. قال الراغب: خر سقط سقوطاً يسمع منه خرير والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو ﴿تبينت الجن﴾ من تبينت الشيء إذا علمته بعد التباسة عليك أي: علمت الجن علماً يقينياً ينتفي عنده الشكوك والشبه بعد التباس الأمر عليهم ﴿أن﴾ أي: إنهم ﴿لو كانوا يعلمون الغيب﴾ ما غاب عن حواسهم كما يزعمون ﴿ما لبثوا﴾ [درنك نمى كردند يكسال] ﴿في العذاب المهين﴾ [در عذاب خوار كننده] يعني التكاليف الشاقة والأعمال الصعبة التي كانوا يعملونها. والحاصل أنهم لو كان لهم علم بالغيب كما يزعمون لعلموا موت سليمان ولما لبثوا بعده حولاً في تسخيره إلى أن خر فلما وقع علموا أنهم جاهلون لا عالمون. ويجوز أن يؤخذ تبينت من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى فتكون أن مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن نحو تبين زيد جهله أي: ظهر للإنس أن الجن لو كانوا يعلمون إلى آخره. وأصل القصة أنه لما دنا أجل سليمان عليه السلام كان أول ما ظهر من علاماته أنه لم يصبح إلا ورأى في محرابه شجرة نابتة كما قال في «المثنوي»:

هرصباحى چون سليمان آمدي ... خاضع اندر مسجد أقصى شدى
نوكياهى رسته ديدى اندرو ... پس بكفتى نام ونفع خود بكو
توچه دارويى چيىء نامت چه است ... توزيان كه ونفعت بركى است
پس بكفتى هركياهى فعل ونام ... كه من آنرا جانم واين را حمام
من مرين را زهرم واورا شكر ... نام من اينست برلوح ازقدر
پس طبيبان ازسليمان زان كيا ... عالم ودانا شدندى مقتدا
تا كتبهاى طبيبي ساختند ... جسم را از رنج مى پردا ختند
اين نجوم وطب وحى انبياست ... عقل وحس را سوى بى سوره كجاست
هم بران عادت سليمان سنى ... رفت درمسجد ميان روشنى
قاعده هرروز را مى جست شاه ... كه ببيند مسجد اندر نوكياه
پس سليمان ديد اندر كوشه ... نوكياهى رسته همچون خوشه
ديد پس نادر كياهى سبزوتر ... مى برود آن سبزيش نور از بصر
كفت نامت چيست بركو بى دهان ... نام من خروب اى شاه جهان
كفت فعلت چيست وز توچه رود ... كفت من رستم مكان ويران شود
من كه خروبم خراب منزلم ... من خرابى مسجد آب وكلم
پس سليمان آن زمان دانست زود ... كه اجل آمد سفر خواهد نمود
كفت تا من هستم اين مسجد يقين ... در خلل نايد ز آفات زمين
تا كه من باشم وجود من بود ... مسجد أقصى مخلخل كى شود
پس خرابى مسجد ما بى كمان ... نبود الا بعد مرك ما بدان
مسجداست آن دل كه چشمش ساجداست ... يار بد خروب هرجاكه مسجداست
يار بد چون رست در تو مهر او ... هين ازو بكريز وكم كن كفت وكو
بركن از بيخش كه كر سر برزند ... مر ترا ومسجدت را بركند

[پس ازان سليمان بملك الموت رسيد وكفت چون ترا بقبض روح من فرمايند مرا خبر ده ملك الموت بوقتى كه اورا فرمودند آمد واورا خبرداد كفت نماند از عمرتو الا يك ساعت اكر وصيتى ميكنى يا كارى از بهر مرك ميسازى بساز] فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلي، قال في «كشف الأسرار»: [پس بآخركار عصاي خود پيش كرفت وتكيه برآن كرد وهردوكف زير سرنهاد وآن عصا اورا همچنان پناهى كشت وملك الموت درآن حال قبض روح وى كرد ويكسال برين صفت برآن عصا تكيه زده بماند وشياطين همجنان دركار ورنج وعمل خويش مى بودند ونمى دانستندكه سليمان را وفات رسيد] ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك. وقال «الكاشفي في تفسيره»: [چون سليمان در كذشت وبشستند وبرو نماز كذا ردند واورا برعصا تكيه دادند ومرك او بموجب وصيت او فاش نكردند وديوان ازدور زنده مى بنداشتند وبهمان كاركه نامزد ايشان بود قيام نمودند تا بعد از يكسال اسفل عصاى اورا دوده بخورد سليمان برزمين افتاد همكنانرا موت او معلوم شد].

قال بعضهم: كانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر إليه في صلاته إلا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع صوته ثم نظر فإذا سليمان قد خر ميتاً ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حياً ولو علموا أنه مات لما لبثوا في العذاب سنة. وقال في «كشف الأسرار»: [وعذاب ايشان ازجهت سليمان آن بودى چون بريكى ازايشان خشم كرفتى] كان قد حبسه في دنّ وشدّ رأسه بالرصاص أو جعله بين طبقتين من الصخر فألقاه في البحر أو شدّ رجليه بشعره إلى عنقه فألقاه في الحبس. ثم إن الشياطين قالوا للأرضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين من الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكن ننقل إليك الماء والطين فهم ينقلون ذلك حيث كانت ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما يأتيها به الشياطين تشكراً لها. قال القفال: قد دلت هذه الآية على أن الجن لم يسخروا إلا لسليمان وأنهم تخلصوا بعد موته من تلك الأعمال الشاقة يعني: [چون بدانستند كه سليمان را وفات رسيد في الحال فرار نموده درشعاب جبال واجواف بوادى كريختند وازرنج وعذاب بازرستند] وإنما تهيأ لهم التسخير والعمل لأن الله تعالى زاد في أجسامهم وقواهم وغير خلقهم عن خلق الجن الذي لا يرون ولا يقدرون على شيء من هذه الأعمال الشاقة مثل نقل الأجسام الثقال ونحوه لأن ذلك كان معجزة لسليمان عليه السلام.

قالت المعتزلة: الجن أجسام رقاق ولرقتها لا نراها ويجوز أن يكثف الله أجسام الجن في زمان الأنبياء دون غيره من الأزمنة وأن يقويهم بخلاف ما هم عليه في غير زمانهم. قال القاضي عبد الجبار: ويدل على ذلك ما في القرآن من قصة سليمان أنه كثفهم له حتى كان الناس يرونهم وقواهم حتى يعملون له الأعمال الشاقة وأما تكثيف أجسامهم وأقدارهم عليها في غير زمان الأنبياء فإنه غير جائز لكونه نقضاً للعادة. قال أهل التاريخ: كان سليمان عليه السلام أبيض جسيماً وضيئاً كثير الشعر يلبس البياض وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة وكانت وفاته بعد فراغ بناء بيت المقدس بتسع وعشرين سنة. يقول الفقير: هو الصحيح أي: كون وفاته بعد

الفراغ من البناء لا قبله بسنة على ما زعم بعض أهل التفسير وذلك لوجوه الأول ما في المرفوع من أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة وقد سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿من محاريب﴾ والثاني اتفاقهم على أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاس موسى وبنى مقدار قامة إنسان فلم يؤذن له في الإتمام كما مر وجهه ثم لما دنا أجله وصى به إلى ابنه سليمان وبعيد أن يؤخر سليمان وصية أبيه إلى آخر عمره مع ما ملك مدة أربعين سنة والثالث قصة الخروب التي ذكرها الأجلاء من العلماء فإنها تقتضي أن سليمان صلى في المسجد الأقصى بعد إتمامه كثيراً.

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى كمال قدرته وحكمته وأنه هو الذي سخر الجن والإنس لمخلوق مثلهم وهم الألوف الكثيرة والوحوش والطيور ثم قضى عليه الموت وجعلهم مسخرين لجثة بلا روح وبحكمته جعل دابة الأرض حيواناً ضعيفاً مثلها دليلاً لهذه الألوف الكثيرة من الجن والإنس تدلهم بفعلها على علم ما لم يعلموا. وفيه أيضاً إشارة إلى أنه تعالى جعل فيها سبباً لإيمان أمة عظيمة وبيان حال الجن أنهم لا يعلمون الغيب. وفيه إشارة أخرى أن نبيين من الأنبياء اتكئا على عصوين وهما موسى وسليمان فلما قال موسى هي عصاي أتوكأ عليها قال ربه ألقها فلما ألقاها جعلها ثعباناً مبيناً يعني من اتكأ على غير فضل الله ورحمته يكون متكوؤه ثعباناً ولما اتكأ سليمان على عصاه في قيام ملكه بها واستمسك بها بعث الله أضعف دابة وأخسها لإبطال متكئه ومتمسكه ليعلم أن من قام بغيره زال بزواله وأن كل متمسك بغير الله طاغوت من الطواغيت ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها انتهى كلامه.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿لقد﴾ أي: بالله لقد ﴿كان لسبأ﴾ كجبل وقد يمنع من الصرف باعتبار القبيلة أي: كان لقبيلة سبأ وهم أولاد سبأ بن يشجب بالجيم على ما في «القاموس» ابن يعرب بن قحطان بن عامر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. وسبأ لقب عبد شمس بن يشجب وإنما لقب به لأنه أول من سبى كما قاله السهيلي وهو يجمع قبائل اليمن. ويعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية فهو أبو عرب اليمن يقال لهم العرب العاربة. ويقال لمن تكلم بلغة إسماعيل العرب المستعربة وهي لغة أهل الحجاز فعربية قحطان كانت قبل إسماعيل عليه السلام وهو لا ينافي كون إسماعيل أول من تكلم بالعربية لأنه أول من تكلم بالعربية البينة المحضة وهي عربية قريش التي نزل بها القرآن وكذا لا ينافي ما قيل إن أول من تكلم بالعربية آدم في الجنة فلما أهبط إلى الأرض تكلم بالسريانية وجاء «من أحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فإنه يورث النفاق» واشتهر على ألسنة الناس أنه ﷺ قال: «أنا أفصح من نطق بالضاد» قال جمع: لا أصل له ومعناه صحيح لأن المعنى أنا أفصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد في غير لغتهم كما في «إنسان العيون» لعلي بن برهان الدين الحلبي.

﴿في مسكنهم﴾ بالفارسية [نشستكاه] والمعنى في بلدهم الذي كانوا فيه باليمن وهو مأرب كمنزل على ما في «القاموس» بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال وهي المرادة بسبا بلدة بلقيس

في سورة النمل. قال السهيلي: مأرب اسم ملك كان يملكهم كما أن كسرى اسم لكل من ملك الفرس. وخاقان اسم لكل من ملك الصين. وقيصر اسم لكل من ملك الروم. وفرعون لكل من ملك مصر. وتبع لكل من ملك الشحر واليمن وحضرموت. والنجاشي لكل من ملك الحبشة. وقيل: مأرب اسم قصر كان لهم ذكره المسعودي. قال في «إنسان العيون» ويعرب بن قحطان قيل له أيمن لأن هودا عليه السلام قال له: أنت أيمن ولدي وسمي اليمن يمناً بنزوله فيه ﴿آية﴾ علامة ظاهرة دالة بملاحظة الأحوال السابقة واللاحقة لتلك القبيلة من الإعطاء والترفية بمقتضى اللطف ثم من المنع والتخريب بموجب القهر على وجود الصانع المختار وقدرته على كل ما يشاء من الأمور البديعة ومجازاته للمحسن والمسيء وما يعقلها إلا العالمون وما يعبرها إلا العاقلون ﴿جنتان﴾ بدل من آية والمراد بهما جماعتان من البساتين لا بستانان اثنان فقط ﴿عن يمين﴾ جماعة عن يمين بلدتهم واليمين في الأصل الجارحة وهي أشرف الجوارح لقوتها وبها تعرف من الشمال وتمتاز عنها ﴿وشمال﴾ وجماعة عن شمالها كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة أو بستانان لكل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿كلوا﴾ حكاية لما قال لهم نبيهم تكميلاً للنعمة وتذكيراً لحقوقها أو لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ﴿من رزق ربكم﴾ من أنواع الثمار ﴿واشكروا له﴾ على ما رزقكم باللسان والجنان والأركان ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به أي: بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره فمعنى طيبة أنها لم تكن سبخة لينة حيث أخرجت الثمار الطيبة أو أنها طيبة الهواء والماء كما قال الكاشفي: [اين شهري كه خداى تعالى دروى روزى ميدهد شهري پاكيزه است هواى تن درست وآب شيرين وخاك پاك]:

شهري چو بهشت از نكويى چون باغ ارم بتازه رويى

وفي «فتح الرحمٰن»: وطيبتها أنها لم يكن بها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ولا غيرها من المؤذيات وكان يمر بها الغريب وفي ثيابه القمل فتموت كلها لطيب هوائها ومن ثمة لم يكن بها آفات وأمراض أيضاً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت أطيب البلاد هواء وأخصبها. وكانت المرأة تخرج من منزلها إلى منزل جارتها وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الأشجار فيمتلىء المكتل مما يتساقط فيه من أنواع الثمار من غير أن تمد يدها وإلى هذا المعنى أشير بعبارة الجنة إذ حال الجنة يكون هكذا. ولله تعالى جنان في الأرض كجنانه في السماء وأفضلها الجنة المعنوية التي هي القلب وما يحتويه من أنواع المعارف والفيوض والكشوف فالطيب من الأشياء ما يستلذه الحواس ومن الإنسان من تطهر عن نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال وتطيب بالعلم والإيمان ومحاسن الأفعال.

قال بعض الكبار بلدة طيبة بلدة الإنسانية قابلة لبذر التوحيد وكلمة لا إله إلا الله ورب غفور يستر عيوب أوليائه بنور مغفرته ويغفر ذنوبهم لعزة معرفته انتهى وبسببهم يغفر ذنوب كثير من عباده ويقبل حسناتهم [نقلست عبد الله بن مبارك رضي الله عنه در حرم محترم يكسال ازحج فارغ شده بود بخواب ديدكه دوفرشته درآمدندى ويكى ازديكرى پرسيدى كه خلق امسال چند جمع آمدند ديكرى كفت سيصد هزار من كفتم حج چند كس مقبول افتاد كفتند حج هيچ كس عبد الله كفت چون اين شنودم اضطرابى در من بديد آمد كفتم آخر اين همه خلق ازاطراف

جهان با اين همه رنج وتعب مى آمدند واين همه ضايعست كفتند كفشكريست دردمشق علي بن موفق كويند او اينجا نيامده است وليكن حج اورا قبول كردند واين جمله را دركار اوكردند] وكان حجه أنه قال: جمعت ثلاثمائة وخمسين درهماً للحج فمرت بي حامل فقالت: إن هذه الدار يجيء منها رائحة طعام فاذهب وخذ شيئاً منه لي لئلا يسقط حملي قال: فذهبت فأخبرت القصة لصاحب الدار فبكى وقال: إن لي أولاداً لم يذوقوا طعاماً منذ أسبوع فقمت اليوم وجئت بلحم من ميتة حمار فهم يطبخونه فهو لنا حلال فإنا مضطرون ولك حرام فكيف أعطيك منه؟ قال علي: فلما سمعت ذلك منه احترق فؤادي ودفعت المبلغ المذكور إليه وقلت: حجي هذا فتقبل الله تعالى ذلك منه بقبول حسن ووهب له جميع الحجاج.

بإحساني آسوده كردن دلى ... به ازالف ركعت بهر منزلي

يعني: في طريق مكة المشرفة.

﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَىۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴿١٦﴾﴾

﴿فأعرضوا﴾ أي: أولاد سبأ عن الوفاء وأقبلوا على الجفاء وكفروا النعمة وتعرضوا للنقمة وضيعوا الشكر فبدلوا وبدل لهم الحال. يقال: أعرض أي: أظهر عرضه أي: ناحيته. قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث الله تعالى ثلاثة عشر نبياً إلى ثلاث عشرة قرية باليمن فدعوهم إلى الإيمان والطاعة وذكروهم نعمه تعالى وخوفوهم عقابه فكذبوهم وقالوا: ما نعرف له علينا من نعمة فقولوا فربكم فليحبس عنا هذه النعمة إن استطاع ﴿فأرسلنا عليهم﴾ الإرسال مقابل الإمساك والتخلية وترك المنع ﴿سيل العرم﴾ السيل أصله مصدر كالسيلان بمعنى [رفتن آب] وجعل اسماً للماء الذي يأتيك ولم يصبك مطره والعرم من العرامة وهي الشدة والصعوبة يقال عرم كنصر وضرب وكرم وعلم عرامة وعراماً بالضم فهو عارم وعرم اشتد وعرم الرجل إذا شرس خلقه أي: ساء وصعب أضاف السيل إلى العرم أي: الصعب وهو من إضافة الموصوف إلى صفته بمعنى سيل المطر العرم أو الأمر العرم. والمعنى بالفارسية: [پس فرستاديم وفروكشاديم بر ايشان سيل صعب ودشوار]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العرم اسم الوادي، يعني: [نام وادى كه آب از جانب او آمد]. وقال بعضهم: العرم السد الذي يحبس الماء ليعلوا على الأرض المرتفعة، يعني: [عرم بند آبست بلغة حمير]. وقال بعضهم: هو الجرذ الذكر أضاف السيل إليه لأن الله تعالى أرسل جرذاناً برية كان لها أنياب من حديد لا يقرب منها هرة إلا قتلتها فنقبت عليهم ذلك السد، يعني: [بندرا سوراخ كرد] فغرقت جنانهم ومساكنهم ويقال لذلك الجرذ الخلد بالضم لإقامته عند حجره وهو الفار الأعمى الذي لا يدرك إلا بالسمع. قال أرسطو: كل حيوان له عينان إلا الخلد وإنما خلق كذلك لأنه ترابي جعل الله له الأرض كالماء للسمك وغذاؤه من باطنها وليس له في ظاهرها قوت ولا نشاط ولما لم يكن له بصر عوّضه الله حدة السمع فيدرك الوطء الخفي من مسافة بعيدة فإذا أحس بذلك جعل يحفر في الأرض قيل إن سمعه بمقدار بصر غيره وفي طبعه الهرب من الرائحة الطيبة ويهوي رائحة الكراث والبصل وربما صيد بها فإنه إذا شمها خرج إليها فإذا جاع فتح فاه فيرسل الله له الذباب فيسقط عليه فيأخذه ودمه إذا اكتحل به أبرأ العين كما في «حياة الحيوان». قال

الكاشفي: [درمختار آورده كه فرزندان سبارا درحوالى مأرب از ولايت يمن منزلي بود درميان دوكوه از اعلى تا اسفل آن منزل هژده فرسخ وشرب ايشان در اعلاى وادي بود ازچشمه در پايان كوى كاه بودى كه فاضل آب ازاوديه يمن با آب ايشان ضم شدى وخرابى كردى]. قال أبو الليث: كان الماء لا يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يجري بين الجبلين [ازبلقيس كه از واليه ولايت ايشان بود درخواست كردند تا سدى بست بسنك وقار دردهانه كوه تا آبهاى اصلي وزاندى از امطار وعيون آنجا جمع شدند]. وقال السهيلي في كتاب «التعريف والاعلام»: كان الذي بنى السد سبأ بن يشجب بناه بالرخام وساق إليه سبعين وادياً ومات قبل أن يستتمه فأتم بعده انتهى [وسه ثقبه برآن سد ترتيب كردنا اول ثقبه اعلى بكشايند وآب بمزروعات وباغها وخود برند وچون وفا نكند وكمتر شود وسطى وبآخر سفلى چون سيزده پيغمبررا تكذيب كردند وپيغمبر آخرين در زمان پادشاه ذي الأوغار بن جيشان بعد از رفع عيسى بديشان آمد واورا بسيار رنجانيدند حق سبحانه وتعالى موشهاى دستى درزير بند ايشان بديد آورده بفرمود تا سوراخ كردند ونيم شب كه همه درخواب بودند بندشكسته شد وسيل در آمده منازل وحدائق ايشان مغمور كشت وبسيار مردم وچهارپاى هلاك كشت]. وقال في «فتح الرحمٰن»: فأرسلنا عليهم السيل الذي لا يطاق فخرب السد وملأ ما بين الجبلين وحمل الجنات وكثيراً من الناس ممن لم يمكنه الفرار أي: إلى الجبل وأغرق أموالهم فتفرقوا في البلاد فصاروا مثلاً **﴿وبدلناهم بجنتيهم﴾** المذكورتين وآتيناهم بدلهما، وبالفارسية: [وبدل داديم ايشانرا بباغهاى ايشان] والتبديل: جعل الشيء مكان آخر والباء تدخل على المتروك على ما هي القاعدة المشهورة **﴿جنتين﴾** ثاني مفعولي بدلنا **﴿ذواتي أكل خمط﴾** صفة لجنتين ويقال في الرفع ذواتا بالألف وهي تثنية ذات مؤنث ذي بمعنى الصاحب والأكل بضم الكاف وسكونه اسم لما يؤكل والخمط كل نبت أخذ طعماً من مرارة حتى لا يمكن أكله والمعنى جنتين صاحبتي ثمر مرّ، وبالفارسية: [دوباغ خداوند ميوهاى تلخ] فيكون الخمط نعتاً للأكل وجاء في بعض القراآت بإضافة الأكل إلى الخمط على أن يكون الخمط كل شجر مر الثمر أو كل شجر له شوك أو هو الأراك على ما قاله البخاري والأكل ثمره. قال في المختار: الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم **﴿وأثل﴾** معطوف على أكل لا على خمط فإن الأثل هو الطرفاء بالفارسية [كز] أو شجر يشبهه أعظم منه ولا ثمر له، قال الشيخ سعدي قدس سره:

اكر بدكنى چشم نيكى مدار كه هركز نيارد كز انكور بار

﴿وشيء من سدر قليل﴾ وهو معطوف أيضاً على أكل. قال البيضاوي وصف السدر بالقلة لما أن جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين انتهى فالسدر شجر النبق على ما في «القاموس». وقال المولى أبو السعود: والصحيح أن السدر صنفان: صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلاً وهو البري الذي يقال له الضال والمراد هٰهنا هو الثاني فكان شجرهم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر بسبب أعمالهم القبيحة. والحاصل أن الله تعالى أهلك أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها غير المثمرة.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى مصدر قوله تعالى: ﴿جزيناهم﴾ فمحله النصب على أنه مصدر مؤكد له أي: ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر أو إلى ما ذكر من التبديل فمحله النصب على أنه مفعول ثان له أي: ذلك التبديل جزيناهم لا غيره ﴿بما كفروا﴾ بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسل وفي هذه الآية دليل على بعث الأنبياء بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فإنه روي أن الواقعة المذكورة كانت في الفترة التي بينهما وما قيل من إنه لم يكن بينهما نبي يعني نبي به ذو كتاب كذا في «بحر العلوم» فلا يشكل قوله عليه السلام: «ليس بيني وبينه نبي» أي: رسول مبعوث بشريعة مستقلة بل كل من بعث كان مقرراً لشريعة عيسى وقد سبق تحقيق هذا المبحث مراراً ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾ أي: وما نجازي هذا الجزاء إلا المبالغ في الكفران أو الكفر. فهل وإن كان استفهاماً فمعناه النفي ولذلك دخلت إلا في قوله إلا الكفور. قال في «القاموس»: هل كلمة استفهام وقد يكون بمعنى الجحد وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً. وفي الآية إشارة إلى أن المؤمن الشاكر يربط بشكره النعم الصورية والمعنوية من الإيقان والتقوى والصدق والإخلاص والتوكل والأخلاق الحميدة وغير الشاكر يزيل بكفرانه هذه النعم فيجد بدلها الفقر والكفر والنفاق والشك والأوصاف الذميمة ألا ترى إلى حال بلعم فإنه لم يشكر يوماً على نعمة الإيمان والتوفيق فوقع فيما وقع من الكفر والعياذ بالله تعالى. فلما غرس أهل الكفر في بستان القلب والروح الأشجار الخبيثة لم يجدوا إلا الأثمار الخبيثة فما عوملوا إلا بما استوجبوا وما حصدوا إلا ما زرعوا وما وقعوا إلا في الحفرة التي حفروا كما قيل: «يداك أوكتا وفوك نفخ» وهذا مثل مشهور يضرب لمن يتحسر ويتضجر مما يرد عليه منه يقال أوكأ على سقائه إذا شده بالوكاء والوكاء للقربة وهو الخيط الذي يشد به فوها وقد ورد في العبارة النبوية: «فمن وجد خيراً فليحمد الله» أي: الذي هو ينبوع الرحمة والخير «ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»، وفي «المثنوي»:

داد حق اهل سبارا بس فراغ ... صد هزاران قصر وايوانها وباغ
شكر آن نكزاردند آن بدركان ... در وفا بودند كمتر از سكان
مر سكانرا لقمه نانى زدر ... چون رسد بردرهمى بنددكمر
پاسبان وحارس در ميشود ... كرچه بروى جور سختى ميرود
هم بران درباشدش باش وقرار ... كفر دارد كرد غيرى اختيار
بيوفايى چون سكانرا عار بود ... بيوفايى چون روا دارى نمود

﴿وجعلنا﴾ عطف على كان لسبأ وهو بيان لما أوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم بعد حكاية ما أوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم ومحاضرهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء تكملة لقصتهم وإنما لم يذكر الكل معاً لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير والمعنى وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم ﴿بينهم﴾ أي: بين بلادهم اليمنية ﴿وبين القرى﴾ الشامية ﴿التي باركنا فيها﴾ [بركت داده ايم دران] يعني بالمياه والأشجار والثمار والخصب والسعة في العيش للأعلى والأدنى والقرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس بلدة كانت أو غيرها والمراد هنا فلسطين وأريحا وأردن ونحوها والبركة

ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير ﴿قرى ظاهرة﴾ أصل ظهر الشيء أن يحصل على ظهر الأرض فلا يخفى وبطن الشيء أن يحصل في بطنان الأرض فيخفي ثم صار مستعملاً في كل ما برز للبصر والبصيرة أي: قرى متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لا عين أهلها أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم [ودرعين المعاني آورده كه ازمأرب كه منزل أهل سبابود تاشام چهار هزار وهفتصدديه بود متصل ازسباتا بشام] ﴿وقدرنا فيها السير﴾ [التقدير: اندازه كردن] والسير المضي في الأرض أي: جعلنا القرى في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل: كان الغادي من قرية يقيل في الأخرى والرائح منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام لا يحتاج إلى حمل ماء وزاد وكل ذلك كان تكميلاً لما أوتوا من أنواع النعماء وتوافيراً لها في الحضر والسفر ﴿سيروا فيها﴾ على إرادة القول بلسان المقال والحال فإنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه أي: وقلنا لهم سيروا في تلك القرى لمصالحكم ﴿ليالي وأياماً﴾ أي: متى شئتم من الليالي والأيام حال كونكم ﴿آمنين﴾ أصل إلا من طمأنينة النفس وزوال الخوف أي: آمنين من كل ما تكرهونه من الأعداء واللصوص والسباع بسبب كثرة الخلق ومن الجوع والعطش بسبب عمارة المواضع لا يختلف إلا من فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي وأياماً كثيرة أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ [المباعدة والبعاد: از كسى دورشدن وكسى را دور كردن] والسفر خلاف الحضر وهو في الأصل كشف الغطاء وسفر الرجل فهو سافر وسافر خص بالمفاعلة اعتباراً بأن الإنسان قد سفر عن المكان والمكان سفر عنه ومن لفظ السفر اشتقت السفرة لطعام السفر ولما يوضع فيه من الجلد المستدير. وقال بعضهم: وسمي السفر سفراً لأنه يسفر أي: يشكف عن أخلاق الرجال ويستخرج دعاوى النفوس ودفائنها. قال أهل التفسير بطر أهل سبأ النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل الثوم والبصل مكان السلوى والعسل وقالوا: لو كان جني جناننا أبعد لكان أجدر أن نشتهيه وسألوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز وقفاراً ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء، يعني: [توانكرانرا بردرويشان حسد آمدكه ميان ما وايشان در رفتن هيچ فرقى نيست پياده ومفلس اين راه همچنان ميرودكه سواره وتوانكر ﴿فقالوا﴾ پس كفتند اغنياى ايشان اى پروردكار ما دورى افكن ميان منازل سفرهاى ما يعني: بيابانها بديدكن ازمنزلى بمنزلي تامردم بى زاد وراحله سفر نتوانند كرد] فعجل لهم الإجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعاً لا يسمع فيها داع ولا مجيب وفي «المثنوي»:

آن سبا زاهل صبا بودند وخام — كار شان كفران نعمت باكرام

باشد آن كفران نعمت در مثال | كه كنى بامحسن خود توجنال
كه نمى بايد مرا اين نيكويى | من برنجم زين چه رنچه ميشوى
لطف كن اين نيكويى را دوركن | من نخواهم عافيت رنجور كن
پس سبا كفتند باعد بيننا | شيننا خير لنا خذ زيننا
ما نمى خواهيم اين ايوان وباغ | نى زنان خوب ونى امن وفراغ
شهرها نزديك همديكر بدست | آن بيانانست خوش كانجاد دست
يطلب الإنسان في الصيف الشتا | فإذا جاء الشتا انكرذا
فهو لا يرضى بحال ابداً | لا بضيق لا بعيش رغدا
قتل الإنسان ما اكفره | كلما نال هدى انكره

﴿وظلموا أنفسهم﴾ حين عرّضوها للسخط والعذاب بالشرك وترك الشكر وعدم الاعتداد بالنعمة وتكذيب الأنبياء ﴿فجعلناهم أحاديث﴾، قال ابن الكمال: الأحاديث مبني على واحده المستعمل وهو الحديث كأنهم جمعوا حديثاً على أحدثة ثم جمعوا الجمع على الأحاديث أي: جعلنا أهل سبأ اخباراً وعظة وعبرة لمن بعدهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي: فرقناهم غاية التفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الأمر والدلالة على شدة التأثير والإيلام ما لا يخفى أي: مزقناهم تمزيقاً لا غاية وراءه بحيث تضرب به الأمثال في كل فرقة ليس بعدها وصال فيقال تفرقوا أيدي سبأ أي: تفرقوا تفرق أهل هذا المكان من كل جانب وكانوا قبائل ولدهم سبأ فتفرقوا في البلاد [تايكى ازايشان دومأرب نمايد قبيله غسان ازايشان بشام رفت وقضاعه بمكه واسد ببجرين وانمار بيثرب وجذام بتهامه وازد بعمان] ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من قصتهم ﴿لآيات﴾ عظيمة ودلالات كثيرة وعبراً وحججاً واضحة قاطعة على الوحدانية والقدرة. قال بعضهم جمع الآيات لأنهم صاروا فرقاً كثيرة كل منهم آية مستقلة ﴿لكل صبار﴾ عن المعاصي ودواعي الهوى والشهوات وعلى البلايا والمشاق والطاعات ﴿شكور﴾ على النعم الإلّهية في كل الأوقات والحالات أو لكل مؤمن كامل لأن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر [دركشف الأسرار آورده كه أهل سبا درخوش حال وفارغ بالى مى كذرانيدند بسبب بى صبرى بر عافيت وناشكرى برنعمت رسيد بديشان آنچه رسيد]:

اى روزكار عافيت شكرت نكفتم لا جرم
دستى كه در آغوش بودا كنون بدندان مى كزم

وفي «المثنوي»:

چون زحد بردند اصحاب سبأ | كه به پيش ماوبابه از صبا
ناصحانشان درنصيحت آمدند | ازفسوق وكفر مانع مى شدند
قصد خون ناصحان ميداشتند | تخم فسق وكافرى مى كاشتند
بهر مظلومان همى كندند چاه | درچه افتادند ومى كفتند آه
صبر آرد آرزوراني شتاب | صبر كن والله أعلم بالصواب

قال بعض الكبار: إن طلب الدنيا وشهواتها هو طلب البعد عن الله وعن حضرته والميل إلى الدنيا والرغبة في شهواتها من خسة النفس وركاكة العقل وهو ظلم على النفس فمن قطعته الدنيا عن الحضرة جعله الله عبرة لأهل الطلب وأوقعه في وادي الهلاك فلا بد من الصبر عن الدنيا وشهواتها والشكر على نعمة العصمة وتوفيق العبودية جعلنا الله وإياكم من الراغبين إليه والمعتمدين عليه وعصمنا من الرجوع عن طريقه والضلال بعد إرشاده وتوفيقه إنه الرحمٰن الذي بيده القلوب وتقليبها من حال إلى حال وتصريفها كيف يشاء في الأيام والليالي.

﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ التصديق بالفارسية: [راستى يافتن] وضمير عليهم إلى أهل سبأ لتقدم ذكرهم والظاهر أنه راجع إلى الناس كما يشهد به ما بعده. وإبليس مشتق من الإبلاس وهو الحزن المعترض من شدة اليأس كما في المفردات أبلس يئس وتحير ومنه إبليس أو هو أعجمي انتهى والظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ومظنة الشيء بكسر الظاء موضع يظن فيه وجوده والمعنى وبالله لقد وجد إبليس ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات صادقاً ﴿فاتبعوه﴾ أي: اتبع أهل سبأ الشيطان في الشرك والمعصية ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ الفريق الجماعة المنفردة عن الناس ومن بيانية أي: إلا جماعة هم المؤمنون لم يتبعوه في أصل الدين وتقليلهم بالإضافة إلى الكفار أو تبعيضية أي: إلا فريقاً من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون أو وجد ظنه ببني آدم صادقاً فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين وذلك أنه حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى إلى وسوسته قال: إن ذريته أضعف منه عزماً ولذا قال: لأضلنهم. وقال الكاشفي: [شيطان لعين كمان برده بودكه من بر بني آدم بسبب شهوت وغضب كه درنهاد ايشان نهاده اند دست يابم وايشانرا كمراه كنم كمان او درباره أهل غوايت راست شد] أو قال: أنا ناري وآدم طيني والنار تأكل الطين أو ظن عند قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن إبليس لم يكن متيقناً أن يقدر على الإغواء والإضلال بل كان ظاناً بنفسه أنه يقدر على إغواء من لم يطع الله ورسوله فلما زين لهم الكفر والمعاصي وكانوا مستعدين لقبولها حكمة لله في ذلك وقبلوا منه بعض ما أمرهم به على وفق هواهم وتابعوه بذلك صدق عليهم ظنه أي: وجدهم كما ظن فيهم، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نه ابليس در حق ما طعنه زد ... كز اينان نيايد بجز كار بد
فغان از بديها كه در نفس ماست ... كه ترسم شود ظن ابليس راست
چو ملعون پسند آمدش قهرما ... خدايش براند اخت از بهر ما
كجا سر برآريم ازين عارونك ... كه با او بصلحيم وباحق بجنك
نظر دوست نادر كند سوى تو ... چودر روى دشمن بود روى تو
ندانى كه كمتر نهد دوست پاى ... چو بيندكه دشمن بود درسراى

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وما كان له﴾ أي: لإبليس ﴿عليهم من سلطان﴾ السلطان القهر والغلبة ومنه السلطان

لمن له ذلك أي: تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وإلا فهو ما سل سيفاً ولا ضرب بعصا ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل ومن موصولة منصوبة بنعلم. والعلم إدراك الشيء بحقيقته والعالم في وصف الله تعالى هو الذي لا يخفى عليه شيء والشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما وفي نظم الصلة الأولى بالفعلية دلالة على الحدوث كما أن في نظم الثانية بالاسمية إشعاراً بالدوام وفي مقابلة الإيمان بالشك إيذان بأن أدنى مرتبة الكفر يوقع في الورطة وجعل الشك محيطاً وتقديم صلته والعدول إلى كلمة من مع أنه يتعدى بفي للمبالغة والإشعار بشدته وأنه لا يرجى زواله فإنه إذا كان منشأ الشك متعلقه لا أمراً غيره كيف يزول وأن من كان حاله على خلاف هذا يكون مرجوّ الفلاح.

والمعنى: وما كان تسلطه عليهم إلا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزاً ممن هو في شك منها تعلقاً حالياً يترتب عليه الجزاء فعلم الله قديم وتعلقه حادث إذ هو موقوف على وجود المكلف في عالم الشهادة فلا يظن ظان بالله ظن السوء أن الله جل جلاله لم يكن عالماً بأهل الكفر وأهل الإيمان وإنما سلط عليهم إبليس ليعلم به المؤمن من الكافر فإن الله بكمال قدرته وحكمته خلق أهل الكفر مستعداً للكفر وخلق أهل الإيمان مستعداً للإيمان كما قال عليه السلام: «خلق الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً» وقال تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ فالله تعالى كان عالماً بحال الفريقين قبل خلقهم وهو الذي خلقهم على ما هم به وإنما سلط الله الشيطان على بني آدم لاستخراج جواهرهم من معادن الإنسانية كما تسلط النار على المعادن لتخليص جوهرها فإن كان الجوهر ذهباً فيخرج منه الذهب وإن كان الجوهر نحاساً فيخرج منه النحاس فلا تقدر النار أن تخرج من معدن النحاس الذهب ولا من معدن الذهب النحاس فسلط عليهم لأنهم معادن كمعادن الذهب والفضة وهو ناري يستخرج جواهرهم من معادنهم بنفخة الوساوس فلا يقدر أن يخرج من كل معدن إلا ما هو جوهره:

درزمين كرنيشكر ورخودنى است ترجمان هرزمين بنت وى است

وقال بعضهم: العلم هنا مجاز عن التمييز والمعنى إلا لتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها فعلل التسلط بالعلم والمراد ما يلزمه ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ محافظ عليه بالفارسية: [نكهبانست] فإن فعيلاً ومفاعلاً صيغتان متآخيتان. وقال بعضهم: هو الذي يحفظ كل شيء على ما هو به. والحفيظ من العباد من يحفظ ما أمر بحفظه من الجوارح والشرائع والأمانات والودائع ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وخلابة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فإنه على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه الملكات المفضية إلى البوار.

قال بعض الحكماء الإلهية أسباب الحفظ الجد والمواظبة وترك المعاصي واستعمال السواك وتقليل النوم وصلاة الليل وقراءة القرآن نظراً وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق. ومن خاصية هذا الاسم وهو الحفيظ أن من علقه عليه لو نام بين السباع ما ضرته ومن حفظ الله تعالى ما قال ذو النون رضي الله عنه وقعت ولولة في قلبي فخرجت إلى شط النيل فرأيت عقرباً يعدو فتبعته فوصل إلى ضفدع على الشط فركب ظهره وعبر به النيل فركبت السفينة واتبعته فنزل وعدا إلى شاب نائم وإذا بأفعى بقربه تقصده فتواثبا وتلادغا وماتا وسلم النائم.

قال إبراهيم الخواص قدس سره: كنت في طريق مكة فدخلت إلى خربة بالليلة وإذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بي هاتف اثبت فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك وهذا من لطف الله بأوليائه فواحد يحفظ عليه أعماله ليجازيه وآخر يحفظه فيدفع عنه الآفات اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا برأفتك التي لا ترام وارحمنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين.

﴿**قل**﴾ يا محمد للمشركين إظهاراً لبطلان ما هم عليه وتبكيتاً لهم ﴿**ادعوا**﴾ نادوا ﴿**الذين زعمتم**﴾. قال في «القاموس»: الزعم مثلثة القول الحق والباطل والكذب ضد وأكثر ما يقال فيما يشك فيه. وفي «المفردات» الزعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلين به والمعنى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الأول وهو ضمير الراجع إلى الموصول تخفيفاً لطول الموصول بصلته والثاني وهو آلهة لقيام صفته أعني قوله: ﴿**من دون الله**﴾ مقامه والمعنى ادعوا الذين عبدوهم من دون الله فيما يهتمكم من جلب نفع ودفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم ثم أجاب عنه إشعاراً بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال بطريق الاستئناف لبيان حالهم ﴿**لا يملكون مثقال ذرة**﴾ من خير وشر ونفع وضر وقد سبق معنى المثقال والذرة في أوائل هذه السورة ﴿**في السموات ولا في الأرض**﴾ أي: في أمر ما من الأمور وذكرهما للتعميم عرفاً يعني أن أهل العرف يعبرون بهما عن جميع الموجودات كما يعبرون بالمهاجرين والأنصار عن جميع الجماعة أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام أو لأن الأسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية ﴿**وما لهم**﴾ أي: لآلهتهم ﴿**فيهما**﴾ في السموات والأرض ﴿**من شرك**﴾ أي: شركة لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرفاً ﴿**وما له**﴾ أي: لله تعالى ﴿**منهم**﴾ من آلهتهم ﴿**من ظهير**﴾ من عون يعينه في تدبير أمورهما. تلخيصه أنه تعالى غني عن كل خلقه وآلهتهم عجزة عن كل شيء، وفي «المثنوي»:

نيست خلقش را دكر كس مالكى	شركتش دعوى كند جزهالكى
ذات او مستغنيست از ياورى	بلكه يابد عون ازو هر سرورى

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿**ولا تنفع الشفاعة**﴾ وهي طلب العفو أو الفضل للغير من الغير يعني أن الشافع شفيع للمشفوع له في طلب نجاته أو زيادة ثوابه ولذا لا تطلق الشفاعة على دعاء الرجل لنفسه وأما دعاء الأمة للنبي عليه السلام وسؤالهم له مقام الوسيلة فلا يطلق عليه الشفاعة إما لاشتراط العلو في الشفيع وإما لاشتراط العجز في المشفوع له وكلاهما منتف هٰهنا ﴿**عنده**﴾ تعالى كما يزعمون أي: لا توجد رأساً لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإنما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحاً بنفي ما هو غرضهم من وقوعها ﴿**إلا لمن أذن له**﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي: لا تنفع الشفاعة في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له أي: لأجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة وإما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم أصلاً وإن فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء إذ لم يأذن لهم في شفاعتهم بل في

شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الأصنام بدلالته إذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين إليها فلأن يحرموها من جهة العجزة عنها أولى ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ التفزيع من الأضداد فإنه التخويف وإزالة الخوف والفزع وبالفارسية: [بترسانيدن واندوه وابردن] وهذا يعدي بعن كما في هذا المقام والفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع ولذا لا يقال فزعت من الله كما يقال خفت منه والمعنى حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم عن موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بألف منزل وحتى غاية لما ينبىء عنه ما قبلها من الإشعار بوقوع إلا لمن أذن له فإنه يشعر بالاستئذان المستدعي الترقب والاستنظار للجواب كأنه سئل كيف يؤذن لهم فقيل: يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع زماناً طويلاً حتى إذا أزيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الإجابة ﴿قالوا﴾ أي: المشفوع لهم إذ هم المحتاجون إلى الإذن والمهتمون بأمره ﴿ماذا﴾ [چه چيز] ﴿قال ربكم﴾ أي: في شأن الإذن ﴿قالوا﴾ أي: الشفعاء لأنهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون، بينهم وبينه تعالى بالشفاعة ﴿الحق﴾ أي: قال ربنا القول الحق وهو الإذن في الشفاعة للمستحقين لها ﴿وهو العلي الكبير﴾ من تمام كلام الشفعاء قالواه اعترافاً بغاية عظمة جناب العزة وقصور شأن كل من سواه أي: هو المتفرد بالعلو والكبرياء شأناً وسلطاناً ذاتاً وصفة قولاً وفعلاً ليس لأحد من أشراف الخلائق أن يتكلم إلا بإذنه. قال بعضهم: العلي فوق خلقه بالقهر والاقتدار والعلي الرفيع القدر وإذا وصف به تعالى فمعناه أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل وعلم العارفين والعبد لا يتصور أن يكون علياً مطلقاً إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الأنبياء والملائكة نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقها وهي درجة نبينا عليه السلام ولكنه علو إضافي لا مطلق والتخلق بهذا الاسم بالجنوح إلى معالي الأمور والبعد عن سفسافها وفي الحديث: «إن الله يحب معالي الأمور ويبغض سفسافها» وعن علي رضي الله عنه علو الهمة من الإيمان، قال الصائب:

چون بسير لا مكان خود ميروم ازخويشتن همچو همت توسنى درزير زين داريم ما

وخاصية هذا الاسم الرفع عن أسافل الأمور إلى أعاليها فيكتب ويعلق على الصغير فيبلغ وعلى الغريب فيجمع شمله وعلى الفقير فيجد غنى بفضل الله تعالى. وأما الكبير فهو الذي يحتقر كل شيء في جنب كبريائه. وقيل في معنى الله أكبر أي: أكبر من أن يقال له أكبر أو يدرك كنه كبريائه غيره. قال بعض الكبار معنى قول المصلي الله أكبر بلسان الظاهر الله أكبر أن يقيد ربي حال من الأحوال بل هو تعالى في كل الأحوال أكبر ومن عرف كبرياءه نسي كبرياء نفسه والكبير من العباد هو العالم التقي المرشد للخلق الصالح لأن يكون قدوة يقتبس من أنواره وعلومه ولهذا قال عيسى عليه السلام: من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء وخاصية هذا الاسم فتح باب العلم والمعرفة لمن أكثر من ذكره وإن قرأه على طعام وأكله الزوجان وقع بينهما وفق وصلح. وفي «الأربعين الإدريسية»: يا كبير أنت الذي لا تهتدي العقول لوصف عظمته. قال السهروردي: إذا أكثر منه المديان أدى دينه واتسع رزقه وإن ذكره معزول عن رتبته سبعة أيام كل يوم ألفاً وهو صائم فإنه يرجع إلى مرتبته ولو كان ملكاً.

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿قل من﴾ استفهام بمعنى [كه] بالفارسية ﴿يرزقكم من السموات﴾ بإنزال المطر ﴿والأرض﴾ بإخراج النبات أمر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الإقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وإن الرازق هو الله تعالى فإنهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] وحيث كانوا يتلعثمون في الجواب مخافة الإلزام قيل له عليه السلام: ﴿قل الله﴾ يرزقكم إذ لا جواب سواه عندهم أيضاً.

اعلم أن الرزق قسمان: ظاهر وهو الأقوات والأطعمة المتعلقة بالأبدان وباطن وهو المعارف والمكاشفات المتعلقة بالأرواح وهذا أشرف القسمين فإنه ثمرته حياة الأبد وثمرة الرزق الظاهر قوة إلى مدة قريبة الأمد والله تعالى هو المتولي لخلق الرزقين والمتفضل بالإيصال إلى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفي الحديث: «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» أي: فريضة الإيمان والصلاة وفي الحديث: «من أكل الحلال أربعين يوماً نوّر الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة في قلبه» وفي الحديث: «إن لله ملكاً على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل» أي: نافلة وفريضة [وكفته اند ازپاكى مطعم وحلالي قوت صفاى دل خيزد واز صفاى دل نور معرفت افزايد وبانور معرفت مكاشفات ومنازلات درپيوندد]، وفي «المثنوي»:

لقمه كان نور افزود وكمال	آن بود آورده از كسب حلال
روغنى كايد چراغ ما كشد	آب خوانش جون جراغى راكشد
علم وحكمت زايد ازلقمه حلال	عشق ورقت آيد از لقمه حلال
چون زلقمه توحسد بينى ودام	جهل رغفلت زايد آنرادان حرام
هيچ كندم كارى وجو بردهد	ديده اسبى كه كره خردهد
لقمه تخمست وبرش انديشها	لقمه بحر وكوهرش انديشها
زايد ازلقمه حلال اندر دهان	ميل خدمت عزم رفتن آن جهان

﴿وإنا﴾ [وديكر بكو باايشان كه بدرستى ما] ﴿أو إياكم﴾ عطف على اسم أن يعني [باشما] ﴿لعلى هدى﴾ [برراه راستيم] ﴿أو في ضلال مبين﴾ [يادركمراهى آشكار] أي: وأن أحد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويحصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في أدنى المراتب الإمكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الإنصاف المسكت للخصم الألد ونحوه قول الرجل في التعريف لصاحبه الله يعلم أن أحدنا لكاذب، يعني: [اين سخن چنانست دوكس درخصومت باشند يكى محق ويكى مبطل محق كويد ازمايكى دروغ زنست ناچار ومقصد وى ازين سخن تكذيب مبطل باشد وتصديق خويش همانست كه رسول عليه السلام كفت متلاعنين را] الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟ وأو هٰهنا لمجرد إبهام وإظهار نصفة لا للشك

والتشكيك. وقال بعضهم أو هٰهنا بمعنى الواو، يعني: إنا وإياكم لعلى هدى إن آمنا أو في ضلال مبين إن لم نؤمن انتهى واختلاف الجارين للإيذان بأن الهادي الذي هو صاحب الحق كمن استعلى على مكان مرتفع ينظر الأشياء ويتطلع عليها أو ركب فرساً جواداً يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس في ظلال لا يرى شيئاً ولا يدري أين يتوجه أو متردي في بئر عميق أو محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج منها.

﴿**قل لا تسألون عما أجرمنا**﴾ [الإجرام: جرم كردن] والجرم بالضم الذنب وأصله القطع واستعير لكل اكتساب مكروه كما في «المفردات» أي: فعلنا واكتسبنا من الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن ﴿**ولا نسأل عما تعملون**﴾ من الكفر والكبائر بل كل مطالب بعمله وكل زرّاع يحصد زرعه لا زرع غيره:

برفتند وهركس درود آنچه كشت

وهذا أبلغ في الإنصاف وأبعد من الجدل والاعتساف حيث أسند فيه الإجرام وإن أريد به الزلة وترك الأولى إلى أنفسهم ومطلق العمل إلى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿**قل يجمع بيننا ربنا**﴾ يوم القيامة عند الحشر والحساب ﴿**ثم يفتح بيننا بالحق**﴾ [الفتح: كشادن وحكم كردن] أي: يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿**وهو الفتاح**﴾ الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة أي: المشكلة ﴿**العليم**﴾ بما ينبغي أن يقضي به وبمن يقضى له وعليه ولا يخفى عليه شيء من ذلك كما لا يخفى عليه ما عدا ذلك. قال الزروقي الفتاح المتفضل بإظهار الخير والسعة على أثر ضيق وانغلاق باب للأرواح والأشباح في الأمور الدنيوية والأخروية. وقال بعض المشايخ: الفتاح من الفتح وهو الإفراج عن الضيق كالذي يفرج تضايق الخصمين في الحق بحكمه والذي يذهب ضيق النفس بخيره وضيق الجهل بتعليمه وضيق الفقر ببذله. قال الإمام الغزالي رحمه الله: الفتاح هو الذي بعنايته ينفتح كل منغلق وبهدايته ينكشف كل مشكل فتارة يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه ويقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ ـ ٢] وتارة يرفع الحجاب عن قلوب أوليائه ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه وجمال كبريائه ويقول: ما يفتح للناس من رحمة فلا ممسك لها ومن بيده مفاتيح الغيب ومفاتيح الرزق فبالأحرى أن يكون فتاحاً وينبغي أن يتعطش العبد إلى أن يصير بحيث ينفتح بلسانه مغاليق المشكلات الإلهية وأن يتيسر بمعونته ما تعسر على الخلق من الأمور الدينية والدنيوية ليكون له حظ من اسم الفتاح. وخاصية هذا الاسم تيسير الأمور وتنوير القلب والتمكين من أسباب الفتح فمن قرأه في أثر صلاة الفجر إحدى وسبعين مرة ويده على صدره طهر قلبه وتنور سره وتيسر أمره وفيه تيسير الرزق وغيره. والعليم: مبالغة العالم وهو من قام به العلم ومن عرف أنه تعالى هو العالم بكل شيء راقبه في كل شيء واكتفى بعلمه في كل شيء فكان واثقاً به عند كل شيء ومتوجهاً له بكل شيء. قال: ابن عطاء الله متى آلمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من

مصيبتك بوجود الأذى منهم. وخاصية هذا الاسم تحصيل العلم والمعرفة فمن لازمه عرف الله حق معرفته على الوجه الذي يليق به. وفي «شمس المعارف» من انبهم عليه أمر أو كشف سر من أسرار الله فليدم عليه فإنه يتيسر له ما سأل ويعرف الحكمة فيما طلب وإن أراد فتح باب الصفة الإلهية فتح له باب من العلم والعمل.

﴿قل أروني﴾ [بنماييد بمن] ﴿الذين ألحقتم﴾ أي: ألحقتموهم، يعني: [بربسته آيد]. قال في «تاج المصادر»: [الإلحاق: در رسيدن ودر رسانيدن] ﴿به﴾ تعالى ﴿شركاء﴾ أريد بأمرهم إراءة الأصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلام إظهار خطأهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم أي: أرونيها لأنظر بأي صفة ألحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء مع استحقاق العبادة هل يخلقون وهل يرزقون وفيه مزيد تبكيت لهم بعد إلزام الحجة عليهم ﴿كلا﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة كما قال إبراهيم عليه السلام أف لكم ولما تعبدون بعدما حجهم يعني: [اين انبازى درست نيست] ﴿بل هو﴾ أي: الله وحده أو الشأن كما قال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ﴿الله العزيز الحكيم﴾ أي: الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فأين شركاؤكم التي هي أخس الأشياء وأذلها من هذه الرتبة العالية، يعني: [بس كه با اودم شركت تواندزد وحده لا شريك له صفتش وهو الفرد اصل معرفتش شرك راسوى وحدتش ده نه عقل از كنه ذاتش آكه نه هست درراه كبريا وجلال شرك نا لائق وشريك محال]. والتقرب باسم العزيز في التمسك بمعناه وذلك برفع الهمة عن الخلائق فإن العز فيه ومن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعانه الله تعالى وأعزه فلم يحوجه لأحد من خلقه. وفي الأربعين الإدريسية يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله. قال السهروردي: من قرأه سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً هلك خصمه وإن ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير إليهم بيده فإنهم ينهزمون والتقرب باسم الحكيم أن تراعى حكمته في الأمور فتجري عليها مقدماً ما جاء شرعاً ثم عادة سلمت من معارض شرعي. وخاصيته دفع الدواهي وفتح باب الحكمة فمن أكثر ذكره صرف عنه ما يخشاه من الدواهي وفتح له باب من الحكمة والحكمة في حقنا إصابة الحق في القول والعمل وفي حق الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام.

قال بعضهم: الحكمة تقال بالاشتراك على معنيين: الأول كون الحكيم بحيث يعلم الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر. والثاني كونه بحيث تصدر عنه الأفعال المحكمة الجامعة وقد سبق باقي البيان في تفسير سورة لقمان ومن الله العون على تحصيل العلم والاجتهاد في العمل ومعرفة الأشياء على ما هي عليه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وما أرسلناك﴾ يا محمد أي: ما بعثناك، والإرسال بالفارسية: [فرستادن] ﴿إلا﴾ إرسالاً ﴿كافة﴾ عامة شاملة ﴿للناس﴾ محيطة باحمرهم واسودهم من الكف بمعنى المنع لأنها إذا عمتهم وشملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم فانتصاب كافة على أنها صفة مصدر محذوف والتاء للتأنيث والجار متعلق بها ويجوز أن تكون حالاً من الكاف والتاء للمبالغة كتاء علامة أي: ما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك جامعاً لهم في الإبلاغ لأن الكف يلزم الجمع. وفي «كشف الأسرار»: الكافة هي الجامعة للشيء المانعة له عن التفرق ومنه

الكفاف من العيش وقولك كف يدك أي: اجمعها إليك ولا يجوز أن يكون حالاً من الناس لامتناع تقدم الحال على صاحبها المجرور كامتناع تقدم المجرور على الجار. قال الراغب: وما أرسلناك إلا كافاً لهم عن المعاصي والتاء فيه للمبالغة انتهى ﴿بشيراً﴾ حال كونك بشيراً بالفارسية [مژده دهنده] للمؤمنين بالجنة وللعاشقين بالرؤية ﴿ونذيراً﴾ وحال كونك منذراً بالفارسية [بيم كننده] للكافرين بالنار وللمنكرين بالحجاب ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك فيحملهم جهلهم على المخالفة والعصيان وكرر ذكر الناس تخصيصاً للجهل بنعمتي البشارة والنذارة ونعمة الرسالة بهم وأنهم هم الذين لا يعلمون فضل الله بذلك عليهم ولا يشكرونه وذلك لأن العقل لا يستقل بإدراك جميع الأمور الدنيوية والأخروية والتمييز بين المضار والمنافع فاحتاج الناس إلى التبشير والإنذار وبيان المشكلات من جهة أهل الوحي. قال صاحب «كشف الأسرار» [صديق صديقان عالم كرد شراك نعلين چاكران وى بود وبيكانكان منكران اورا كاذب ميكفتند صداى وحى غيب عاشق سمع عزيز وى بود اورا كاهى ميخواندند عقول همه عقول عقلاء عالم از ادراك نور شراك غرا وعاجز بود وكافران نام او ديوانه نهادند آرى ديدهاى ايشان بحكم لطف ازل توتياى صدق نيافته وبچشمهاى ايشان كحل اقبال حق نرسيده وازآنست كه اورا نشناختند]. ودلت الآية على عموم رسالته وشمول بعثته وفي الحديث«فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم» وهي ما يكون ألفاظه قليلة ومعانيه كثيرة «ونصرت بالرعب» يعني نصرني الله بإلقاء الخوف في قلوب أعطائي «من مسيرة شهر بيني وبينهم» وجعل الغاية شهراً لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه المحاربين له أكثر من شهر «وأحلت لي الغنائم» يعني أن من قبله من الأمم كانوا إذا غنموا الحيوانات تكون ملكاً للغانمين دون الأنبياء فخص نبينا عليه السلام بأخذ الخمس والصفي وإذا غنموا غيرها من الأمتعة والأطعمة والأموال جمعوه فتجيء نار بيضاء من السماء فتحرقه حيث لا غلول وخص هذه الأمة المرحومة بالقسمة بينهم كأكل لحم القربان فإن الله أحله لهم زيادة في أرزاقهم ولم يحله لمن قبلهم من الأمم «وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً» يعني: أباح الله لأمتي الصلاة حيث كانوا تخفيفاً لهم وأباح التيمم بالتراب عند فقد الماء ولم يبح الصلاة للأمم الماضية إلا في كنائسهم ولم يجز التطهر لهم إلا بالماء «وأرسلت إلى الخلق كافة» أي: في زمنه وغيره ممن تقدم أو تأخر بخلاف رسالة نوح عليه السلام فإنها وإن كانت عامة لجميع أهل الأرض لكنها خصت بزمانه. قال في «إنسان العيون»: والخلق يشتمل الإنس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر. قال الجلال السيوطي: وهذا القول أي: إرساله للملائكة رجحته في كتاب «الخصائص»: وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين السبكي وزاد أنه مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة من لدن آدم إلى قيام الساعة ورجحه أيضاً البارزي وزاد أنه مرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات وزيد على ذلك أنه مرسل إلى نفسه وذهب جمع إلى أنه لم يرسل للملائكة منهم الحافظ العراقي والجلال المحلي وحكى الفخر الرازي في تفسيره والبرهان النسفي فيه الإجماع فيكون قوله عليه السلام: «أرسلت إلى الخلق كافة» وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] من العام المخصوص ولا يشكل عليه حديث سلمان رضي الله عنه إذا كان الرجل في أرض وأقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لأنه يجوز أن يكون ذلك صادراً عن بعثته إليهم. يقول الفقير دل كونه

أفضل المخلوقات على عموم بعثته لجميع الموجودات ولذا بشر بمولده أهل الأرض والسماء وسلموا عليه حتى الجماد بفصيح الأداء فهو رحمة للعالمين ورسول إلى الخلق أجمعين، قال حضرة الشيخ العطار قدس سره:

داعــــئ ذرات بــــود آن پــــاك ذات در كفش تسبيح ازان كفتى حصات

قال بعضهم:

تــرا دادنــد مــنــشــور ســعــادت وزان پس نوع انـسـان آفـريـدنـد
پرى را جـمـلـه درخيـل تـو كـردنـد پس آنكـاهى سـليـمـان آفـريدنـد

وختم به النبيون أي: فلا نبي بعده ولا مشرعاً ولا متابعاً كما بين في سورة الأحزاب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن إرسال ماهية وجودك التي عبرت عنها مرة بنوري وتارة بروحي من كتم العدم إلى عالم الوجود لم يكن منا إلا لتكون بشيراً ونذيراً للناس كافة من أهل الأولين والآخرين والأنبياء والمرسلين وإن لم يخلقوا بعد لاحتياجهم لك من بدء الوجود في هذا الشأن وغيره إلى الأبد كما قال ﷺ: «الناس محتاجون إلى شفاعتي حتى أبى إبراهيم» فأما في بدء وجودهم فالأرواح لما حصلت في عالم الأرواح بإشارة كن تابعة لروحك احتاجت إلى أن تكون لها بشيراً ونذيراً لتعلقها بالأجسام لأنها علوية بالطبع لطيفة نورانية والأجسام سفلية بالطبع كثيفة ظلمانية لا تتعلق بها ولا تميل إليها لمضادة بينهما فتحتاج إلى بشير يبشرها بحصول كمال لها عند الاتصال بها لترغب إليها وتحتاج إلى نذير ينذرها بأنها إن لم تتعلق بالأجسام تحرم من كمالها وتبقى ناقصة غير كاملة كمثل حبة فيها شجرة مركوزة بالقوة فإن تزرع وترب بالماء تخرج الشجرة من القوة إلى الفعل إلى أن تبلغ كمال شجرة مثمرة فالروح بمثابة الأكار المربى فبعد تعلق الروح بالقالب واطمئنانه واتصافه بصفته يحتاج إلى بشير بحسب مقامه يبشره بنعيم الجنة وملك لا يبلى ثم يبشره بقرب الحق تعالى ويشوقه إلى جماله ويعده بوصاله ونذير ينذره أولاً بنار جهنم ثم يوعده بالبعد عن الحق ثم بالقطيعة والهجران وإذا أمعنت النظر وجدت شجرة الموجودات منبتة من بذر روحه ﷺ وهو ثمرة هذه الشجرة من جميع الأنبياء والمرسلين وهم وإن كانوا ثمرة هذه الشجرة أيضاً ولكن وجدوا هذه المرتبة بتبعيته كما أنه من بذر واحد يظهر على الشجرة ثمار كثيرة بتبعية ذلك البذر الواحد فيجد كل بشير ونذير فرعاً لأصل بشيريته ونذيريته والذي يدل على هذا التحقيق قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] دخلت شجرات الموجودات كلها تحت الخطاب وبقوله: ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ يشير إلى أن أكثر الناس الذين هم أجزاء وجود الشجرة وما وصلوا إلى رتبة الثمرية لا يعلمون حقيقة ما قررنا لأن أحوال الثمرة ليست معلومة للشجرة إلا لثمرة مثلها في وصفها لتكون واقفة بحالها:

نــــدانــــد آدم كــــامــــل جــــز آدم

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿**ويقولون**﴾ أي: المشركون من فرط جهلهم وغاية غيهم مخاطبين لرسول الله ﷺ والمؤمنين به بطريق الاستهزاء ﴿**متى**﴾ [كى باشد] ﴿**هذا الوعد**﴾ المبشر به والمنذر عنه يعني الجنة والنار ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في دعوى الوقوع والوجود.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ أي: وعد يوم وهو يوم البعث مصدر ميمي **﴿لا تستأخرون عنه﴾** أي: عن ذلك الميعاد عند مفاجأته فالجملة صفة للميعاد **﴿ساعة﴾** [مقدار اندك اززمان] **﴿ولا تستقدمون﴾** [الاستئخار: پس شدن. والاستقدام: پيش شدن] وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أرباب الطلب واستعجالهم فيما وعدوهم من رتبة الثمرية يعني متى نصل إلى الكمال الذي بشرتمونا به وبقوله **﴿قل لكم﴾** إلى آخره يجيبهم كما أن لثمرة كل شجرة وقتاً معلوماً لإدراكها وبلوغها إلى كمالها كذلك لكل سالك وقت معلوم لبلوغه إلى رتبة كماله كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] ولهذا السر قال تعالى مع حبيبه عليه السلام ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] هذا يشير إلى أن لنيل كل مقام صبراً مناسباً لذلك المقام كما أن النبي عليه السلام لما كان من أولي العزم من الرسل أمر بصبر أولي العزم من الرسل كما قال مولانا جلال الدين الرومي قدس سره:

صبر آرد آرزورانى شتاب صبر كن والله أعلم بالصواب

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: كفار قريش **﴿لن نؤمن بهذا القرآن﴾** الذي ينزل على محمد **﴿ولا بالذي بين يديه﴾** أي: ولا بما نزل قبله من الكتب القديمة الدالة على البعث كالتوراة والإنجيل. قال في «كشف الأسرار» [چشمى كه مستعمل شده مملكت شيطان باشد مارا چون شناسد. دلى كه ملوث تصرف ديو بود ازكجا جلال عزت قرآن بداند. دلى بايد بضمان امان وحرم كرم حق پناه يافته تا راه بر رسالت ونبوت ما برد. شمعى بايد بزلال اقبال ازل شسته تا جلال عزت قرآن اورا بخود راه دهد. ديده بايد از رمص كفر خلاص يافته واز خواب شهوت بيدارشده تا معجزات وآيات ما بيند ودريابد. اى جوانمرد هركه جمالى ندارد كه باسلطان نديمى كند چه كند تا كلخانيانرا حريقى نكند]:

در مصطبها هميشه فراشم من شايسته صومعه كجا باشم من
هر چند قلندرى وقلاشم من تخمى باميد درد مى پاشم من

﴿ولو ترى﴾ يا محمد أو يا من يليق بالخطاب **﴿إذ الظالمون﴾** المنكرون للبعث لأنهم ظلموا بأن وضعوا الإنكار موضع الإقرار **﴿موقوفون عند ربهم﴾** أي: محبوسون في موقف المحاسبة على أطراف أناملهم وجواب لو محذوف أي: لرأيت أمراً فظيعاً شنيعاً تقصر العبارة عن تصويره يعني: [هرآينه به بينى امرى صعب وكارى دشوار] وإنما دخلت لو على المضارع مع أنها للشرط في الماضي لتنزيله منزلة الماضي لأن المترقب في أخبار الله كالماضي المقطوع به في تحقق وقوعه أو لاستحضار صورة الرؤية ليشاهدها المخاطب **﴿يرجع بعضهم﴾** أي: يرد من رجع رجعاً بمعنى رد **﴿إلى بعض القول﴾** أي: يتحاورون ويتراجعون القول ويتجاذبون أطراف المجادلة وبالفارسية: [محاوره ميكنند سخن برهم ميكردانند وجواب ميكويند] ثم أبدل

منه قوله: ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ [الاستضعاف: ضعيف شمردن] أي: يقول الاتباع الذين عدوا ضعفاء وقهروا وبالفارسية: [زبون وبيچاره كرفتكان] ﴿للذين استكبروا﴾ [سر كشى ميكردند دردنيا] أي: للرؤساء الذين بالغوا في الكبر والتعظم عن عبادة الله وقبول قوله المنزل على أنبيائه واستبعوا الضعفاء في الغي والضلال ﴿لولا أنتم﴾ أي: لولا إضلالكم وصدكم لنا عن الإيمان ﴿لكنا مؤمنين﴾ أي: أنتم منعتمونا من الإيمان واتباع الرسول كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا فقيل:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا﴾ منكرين لكونهم الصادين لهم عن الإيمان مثبتين ذلك لأنفسهم أي: المستضعفين ﴿أنحن﴾ [آيا ما] ﴿صددناكم﴾ منعناكم وصرفناكم ﴿عن الهدى﴾ [ازقبول ايمان وهدايت] ﴿بعد إذ جاءكم﴾ أي: الهدى أي: لم نصدكم عنه كقولك ما أنا أقلت هذا تريد لم أقله مع أنه مقول لغيري فإن دخول همزة الاستفهام الإنكاري على الضمير يفيد نفي الفعل عن المتكلم وثبوته لغيره كما قال: ﴿بل كنتم مجرمين﴾ في الإجرام فبسبب ذلك صددتم أنفسكم عن الإيمان وآثرتم التقليد وفي هذا تنبيه للكفار على أن طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سبب عداوة في الآخرة وتبري بعضهم من بعض.

﴿وقال الذين استضعفوا﴾ مجيبين ﴿للذين استكبروا﴾ عطف على الجملة الاستئنافية وإضراب على إضرابهم وإبطال له ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة أي: بل صدّنا مكركم بنا في الليل والنهار وحملكم إيانا على الشرك والأوزار فحذف المضاف إليه وأقيم مقامه الظرف اتساعاً يعني اتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله: «يا سارق الليلة أهل الدار» أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين مجازاً ﴿إذ تأمروننا﴾ ظرف للمكر أي: بل مكركم الدائم وقت أمركم لنا ﴿أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾ نقول له شركاء على أن المراد بمكرهم إما نفس أمرهم بما ذكر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠] فإن الجعلين المذكورين نعمة من الله أي: نعمة وإما أمور أخر مقارنة للأمر داعية إلى الامتثال به والترغيب والترهيب ونحو ذلك ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ الندامة التحسر في أمر فائت أي: أضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والإضلال حين ما نفعتهم الندامة وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير وهو بالفارسية: [سرزنش كردن] أو أظهروها فإنه من الأضداد إذ الهمزة تصلح للإثبات والسلب كما في أشكيته وهو المناسب لحالهم ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ يقال في رقبته غل من حديد أي: قيد وطوق وأصل الغل توسط الشيء ومنه الغل للماء الجاري خص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه كما في «المفردات» والمعنى: ونجعل الأغلال يوم القيامة في أعناق الذين كفروا بالحق لما جاءهم في الدنيا من التابعين والمتبوعين وإيراد المستقبل بلفظ الماضي من جهة تحقق وقوعه والإظهار في موضع الإضمار حيث لم يقل في أعناقهم للتنويه بذمهم

والتنبيه على موجب إغلالهم ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ أي: لا يجزون إلا جزاء ما كانوا يعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي وإلا بما كانوا يعملونه على نزع الجار فلما قيدوا أنفسهم في الدنيا ومنعوها عن الإيمان بتسويلات الشيطان الجني والإنسي جوزوا في الآخرة بالقيد. وفي الفروع وكره جعل الغل في عنق عبده لأنه عقوبة أهل النار. قال القهستاني: الغل الطوق من حديد الجامع لليد إلى العنق المانع عن تحرك الرأس انتهى وهو معتاد بين الظلمة. وقال الفقيه: إنه في زماننا جرت العادة بذلك إذا خيف من الأباق كما في «الكبرى». ولا يكره أن يجعل قيداً في رجل عبده لأنه سنة المسلمين في السفهاء وأهل الفساد فلا يكره في العبد إذ فيه تحرز عن أباقة وصيانة لماله وحل ربطه بالحبل ونحوه. قال في «نصاب الاحتساب»: وأما ما اعتاده أهل الحسبة في إطاقة السوقيين بعد تحقق جنايتهم وخيانتهم فأصله ما ذكر في أدب القاضي للخصاف أن شاهد الزور يطاق به أي: يجعل في عنقه الطوق وهو ما يقال له بالفارسية [تخته كله] ويجوز أن تكون الإطاقة بالفاء وذلك للتشهير بين الناس.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وما أرسلنا في قرية﴾ من القرى بالفارسية: [نفرستاديم درهيچ ديهى وشهرى]. قال في «كشف الأسرار»: القرية المصر تقرى أهلها وتجمعهم ﴿من نذير﴾ نبي ينذر أهلها بالعذاب ﴿إلا قال مترفوها﴾ المترف كمكرم المتنعم والموسع العيش والنعمة من الترفة بالضم وهو التوسع في النعمة يقال أترفه نعمه وأترفته النعمة أطغته أي: قال رؤساء تلك القرية المتكبرون المتنعمون بالدنيا لرسلهم ﴿إنا بما أرسلتم به﴾ على زعمكم من التوحيد والإيمان ﴿كافرون﴾ منكرون على مقابلة الجمع بالجمع. وهذه الآية جاءت لتسلية النبي عليه السلام أي: يا محمد هذه سيرة أغنياء الأمم الماضية فلا يهمك أمر أكابر قومك فتخصيص المتنعمين بالتكذيب مع اشتراك الكل فيه إما لأنهم المتبوعون أو لأن الداعي المعظم إلى التكذيب والإنكار هو التنعم المستتبع للاستكبار.

﴿وقالوا﴾ أي: الكفار المترفون للفقراء المؤمنين فخراً بزخارف الدنيا وبما هو فتنة لهم ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ منكم في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ في الآخرة على تقدير وقوعها لأن المكرم في الدنيا لا يهان في الآخرة.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد رداً عليهم ﴿إن ربي يبسط الرزق﴾ ويوسعه ﴿لمن يشاء﴾ أن يبسطه له ويوسعه من مؤمن وكافر ﴿ويقدر﴾ أي: يضيق على من يشاء أن يقدره عليه ويضيقه من مؤمن وكافر حسب اقتضاء مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك أمر الثواب والعقاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها فليس في التوسيع دلالة على الإكرام كما أنه ليس في التضييق دلالة على الإهانة وفي الحديث: «الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر».

اديم زمين سفرهٔ عام اوست بربن خوان يغماچه دشمن چه دوست

﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم أهل الغفلة والخذلان ﴿لا يعلمون﴾ حكمة البسط والقدر

فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الذل والهوان ولا يدرون أن الأول كثيراً ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات قال الصائب:

نفس را بدخو بناز ونعمت دنيا مكن آب ونان سير كاهل ميكند مزدور را

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وما﴾ [ونيست] ﴿أموالكم ولا أولادكم﴾ كلام مستأنف من جهته تعالى مبالغة في تحقيق الحق أي: وما جماعة أموالكم وأولادكم أيها الناس ﴿بالتي﴾ بالجماعة التي فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث أو بالخصلة التي فيكون تأنيث الموصول باعتبار تأنيث الصفة المحذوفة ﴿تقربكم عندنا زلفى﴾ نصب مصدراً بتقربكم كأنبتكم من الأرض نباتاً والزلفى والزلفة والقربى والقربة بمعنى واحد. وقال الأخفش: زلفى اسم مصدر كأنه قال بالتي تقربكم عندنا تقريباً ﴿إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ استثناء من مفعول تقربكم أي: وما الأموال والأولاد تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح والطاعة أو من مبتدأ خبره ما بعده كما في «الكواشي» فيكون الاستثناء منقطعاً كما في «فتح الرحمٰن» ﴿فأولئك﴾ المؤمنون العاملون ثابت ﴿لهم جزاء الضعف﴾ على أن الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لأولئك وإضافة الجزاء إلى الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه أن يضاعف لهم الواحدة من حسناتهم عشراً فما فوقها إلى سبعمائة إلى ما لا يحصى ﴿بما عملوا﴾ بسبب ما عملوا من الصالحات ﴿وهم من الغرفات﴾ أي: غرفات الجنة وهي قصورها ومنازلها الرفيعة جمع غرفة وهي البيت فوق البناء يعني كل بناء يكون علواً فوق سفل ﴿آمنون﴾ من جميع المكاره والآفات كالموت والهرم والمرض والعدو وغير ذلك. وفي الآية إشارة إلى أنه لا تستحق الزلفى عند الله بالمال والأولاد مما زين للناس حبه وحب غير الله يوجب البعد عن الله كما قال ﷺ: «حبك الشيء يعمي ويصم» يعني يعميك عن رؤية غيره ويصمك عن دعوة غيره وهذا أمارة كمال البعد فإن كمال البعد يورث العمى والصمم ولكن من موجبات القربة الأعمال الصالحة والأحوال الصافية والأنفاس الزكية بل العناية السابقة والهداية اللاحقة والرعاية الصادقة فأهل هذه الأسباب هم أهل الدرجات والأمن من الهجران والقطيعة وأما المنقطعون عن هذه الأسباب المفتخرون بما لا ينفع يوم الحساب وهم أهل الغفلات والدعوى والترهات فلهم الدركات والخوف الغالب في جميع الحالات قال الصائب:

نميدانند أهل غفلت انجام شراب آخر بآتش مى روند اين غافلان ازراه آب آخر

قال ابراهيم بن أدهم قدس سره لرجل: أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة قال: دينار في اليقظة فقال: كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة. ودخل عمل بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ذات يوم في داره فوجده في بيت منخفض السطح وقد أثر في جنبه الحصير فقال: ما هذا؟ قال: «يا عمر أما تأثير الحصير في جنبي فحبذا خشونة بعدها لين وأما السطح فسطح

القبر يكون أخفض من هذا فنحن تركنا الدنيا لأهلها وهم تركوا لنا الآخرة وما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ثم راح وتركها» فالعاقل من لم يغتر بزينة الدنيا ويسعى إلى مرضاة المولى.

هركه كوته كند بدنيا دست پر بر آرد چو جعفر طيار

فالأولى أن يأخذ الباقي ويترك الفاني.

ـ حكي ـ أن سلطاناً كان يحب واحداً من وزرائه أكثر من غيره فحسدوه وطعنوا فيه فأراد السلطان أن يظهر حقيقة الحال فأضافهم في دار مزينة بأنواع الزينة ثم قال: ليأخذ كل منكم ما أعجبه في الدار فأخذ كل منهم ما أعجبه من الجواهر والمتاع وأخذ الوزير المحسود السلطان وقال: ما أعجبني إلا أنت فالإنسان لم يجيء إلى هذه الدار المزينة إلا للامتحان فإنه كالعروس وهي لا تلتفت إلى ما ينثر عليها فإن التفتت فمن دناءة الهمة ونقصان العقل فاليوم يوم الفرصة وتدارك الزاد لسفر المعاد.

ازرباط تن چو بكذشتى دكر معموره نيست

زاد راهى برنمى دارى ازين منزل چرا

نسأل الله سبحانه أن يقطع رجاءنا من غيره مطلقاً ويجعل عزمنا إليه صدقاً وإقبالنا عليه حقاً.

﴿**والذين**﴾ هم كفار قريش ﴿**يسعون في آياتنا**﴾ القرآنية بالرد والطعن فيها ويجتهدون في إبطالها حال كونهم ﴿**معاجزين**﴾ ظانين أنهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا يكون لهم مؤاخذة بمقابلة ذلك. قال في «تاج المصادر» [المعاجزة: بركسى پيشى كرفتن در كارى] وقد سبق في أوائل السورة ﴿**أولئك في العذاب محضرون**﴾ من الإحضار وهو بالفارسية: [حاضر كردن] أي: مدخلون لا يغيبون عنه ولا ينفعهم ما اعتمدوا عليه.

وفي «التأويلات النجمية»: هم الذين لا يحترمون الأنبياء والأولياء ولا يرعون حق الله في السر فهم في عذاب الاعتراض عليهم وعذاب الوقوع بشؤم ذلك في ارتكاب محارم الله ثم في عذاب السقوط من عين الحق، وفي «المثنوي»:

چون خدا خواهدكه پرده كس درد ميلش اندر طعنه پاكان برد

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده**﴾ أي: يوسعه عليه تارة ﴿**ويقدر له**﴾ أي: يضيقه عليه تارة أخرى ابتلاء وحكمة فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرار ﴿**وما أنفقتم من شيء**﴾ ما موصولة بمعنى الذي وبالفارسية: [آنچه] مبتدأ خبره قوله ﴿**فهو يخلفه**﴾ أو شرطية بمعنى أي: شيء وبالفارسية: [هرچه] نصب بقوله انفقتم ومن شيء بيان له وجواب الشرط قوله فهو يخلفه [والإنفاق: نفقه كردن] يقال نفق الشيء مضى ونفد إما بالبيع نحو نفق البيع نفاقاً وإما بالموت نحو نفقت الدابة نفوقاً وإما بالفناء نحو نفقت الدراهم تنفق وأنفقتها [والإخلاف: بدل بازدادن ازمال وفرزند] يقال اخلف الله له وعليه إذا أبدل له ما ذهب عنه والمعنى الذي أو أي: شيء أنفقتم في طاعة الله وطريق الخير والبر

فالله تعالى يعطي خلفاً له وعوضاً منه إما في الدنيا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا يفنى وإما في الآخرة بالثواب والنعيم أو فيهما جميعاً فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لالطاف الله عاجلاً أو آجلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: وما أنفقتم من شيء من الموجودات أو الوجود فهو يخلفه من الموجود الفاني بالموجود الباقي ومن الوجود المجازي بالوجود الحقيقي فمن الخلف في الدنيا الرضى بالعدم والفقر صورة ومعنى وهو أتم من السرور بالموجود والوجود.

افتد همای دولت اكر دركمندما ازهمت بلند رها ميكنيم ما

﴿وهو خير الرازقين﴾ أي: خير من أعطى الرزق فإن غيره كالسلطان والسيد والرجل بالنسبة إلى جنده وعبده وعياله واسطة في إيصال رزقه ولا حقيقة لرازقيته والله تعالى يعطي الكل من خزائن لا تفنى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه خير المنفقين لأن خيرية المنفق بقدر خيرية النفقة فما ينفق كل منفق في النفقة فهو فان وما ينفق الله من نفقة ليخلفه بها فهي باقية والباقيات خير من الفانيات انتهى. قال في «بحر العلوم» لما كانت إقامة مصالح العباد من أجل الطاعات وأشرف العبادات لأنها من وظيفة الأنبياء والصالحين دلهم الله في الآية على طرف منها حثاً عليها كما قال عليه السلام حثاً لأمته عليها: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» قال العسكري: هذا على التوسع والمجاز كأن الله تعالى لما كان المتضمن لأرزاق العباد والكافل بها كان الخلق كالعيال له وفي الحديث: «إن لله أملاكاً خلقهم كيف يشاء وصورهم على ما يشاء تحت عرشه ألهمهم أن ينادوا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في كل يوم مرتين ألا من وسع على عياله وجيرانه وسع الله عليه في الدنيا والآخرة ألا من ضيق ضيق الله عليه ألا إن الله قد أعطاكم لنفقة درهم على عيالكم خير من سبعين قنطاراً» والقنطار كجبل أحد وزناً «أنفقوا ولا تخشوا ولا تضيقوا ولا تقتروا وليكن أكثر نفقتكم يوم الجمعة» وفي الحديث: «كل معروف صدقة» وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له به صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له به صدقة» ومعنى كل معروف صدقة أن الإنفاق لا ينحصر في المال بل يتناول كل بر من الأموال والأقوال والأفعال والعلوم والمعارف وإنفاق الواصلين إلى التوحيد الحقاني والمعرفة الذاتية أفضل وأشرف لأن نفع الأموال للأجساد ونفع المعارف للقلوب والأرواح ومعنى ما وقى به عرضه ما أعطى الشاعر وذا اللسان المتقي وفي الحديث: «إن لكل يوم نحسا فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة» وفي الحديث: «ينادي منادٍ كل ليلة لا دواء للموت وينادي آخر ابنوا للخراب وينادي منادٍ هب للمنفق خلفاً وينادي مناد هب للممسك تلفاً» قال الحافظ:

أحوال كنج قارون كايام داد برباد باغنچه باز كوييد تازرنهان ندارد

وفي المثنوي:

آن درم دادن سخى را لايقست جان سپردن خودسخاى عاشقست
نان دهى ازبهر حق نانت دهند جان دهى از بهر حق جانت دهند
هركه كارد كردد انبارش تهى ليكش اندر مزرعه باشد بهى
وانكه در انبار ماند وصرفه كرد اشپش وموش وحوادثهاش خورد
جمله در بازار زان كشتند بند تاچه سود افتاد مال خود دهند

وفي الحديث «يؤجر ابن آدم في نفقته كلها إلا شيئاً وضعه في الماء والطين». قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي في شرح هذا الحديث: اعلم أن صور الأعمال أعراض جواهرها مقاصد العمال وعلومهم واعتقاداتهم ومتعلقات هممهم وهذا الحديث وإن كان من حيث الصيغة مطلقاً فالأحوال والقرائن تخصصه وذلك أن بناء المساجد والرباطات ومواضع العبادات يؤجر الباني لها عليها بلا خلاف فالمراد بالمذكور هنا إنما هو البناء الذي لم يقصد صاحبه إلا التنزه والانفساح والاستراحة والرياء والسمعة وإذا كان كذلك فمطمح همة الباني ومقصده لا يتجاوز هذا العالم فلا يكون لبنائه ثمرة ونتيجة في الآخرة لأنه لم يقصد بما فعله أمراً وراء هذه الدار فأفعاله أعراض زائلة لا موجب لتعديها من هنا إلى الآخرة فلا أثمار لها فلا أجر انتهى.

اعلم أن العلماء تكلموا في الإنفاق والظاهر أنه بحسب طبقات الناس. فمنهم من ينفق جميع ما ملكه توكلاً على الله تعالى كما فعله الصديق لقوة يقينه. ومنهم من ينفق بعضه ويمسك بعضه لا للتنعم بل للإنفاق وقت الحاجة. ومنهم من يقتصر على أداء الواجب. قال الغزالي رحمه الله: الاكتفاء بمجرد الواجب حد البخلاء فلا بد من زيادة عليه لو شئت يسيراً فبين هذه الطبقات تفاوت في الدرجات وقد أسلفنا الكلام على الإنفاق في أواخر سورة الفرقان فارجع إليه واعتمد عليه جعلنا الله وإياكم من أهل البذل والإحسان بلا إمساك وادّخار وأخلف خيراً مما أنفقنا فإن خزائنه لا تفنى وبحر جوده زخار وهو المعطي المفيض كل ليل ونهار.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿ويوم يحشرهم﴾ أي: واذكر يا محمد لقومك يوم يحشر الله أي: يجمع المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله حال كونهم **﴿جميعاً﴾** مجتمعين لا يشذ أحد منهم. وقال بعضهم: هؤلاء المحشورون بنوا مليح من خزاعة كانوا يعبدون الملائكة ويزعمون أنهم بنات الله لذلك سترهم. فإن قلت: لِمَ لم يقولوا ذلك في حق الجن مع أنهم مستورون أيضاً عن أعين الناس؟ قلت: لأن الملائكة سماوية والجن أرضية وهم اعتقدوا أن الله تعالى في السماء **﴿ثم يقول للملائكة﴾** توبيخاً للمشركين العابدين وإقناطاً لهم من شفاعتهم كما زعموا **﴿أهؤلاء﴾** أي: الكفار وبالفارسية: [آيا اين كروه اندكه] **﴿إياكم كانوا يعبدون﴾** في الدنيا وإياكم نصب بيعبدون وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم بطريق الأولوية.

﴿قالوا﴾ متنزهين عن ذلك وهو استئناف بياني **﴿سبحانك﴾** تنزيهاً لك عن الشرك. وفي «كشف الأسرار» [پاكى ترا است از آنكه غير ترا پرستند] **﴿أنت ولينا﴾** الولي خلاف العدو أي: أنت الذي نواليه **﴿من دونهم﴾** [بجزمشركان يعني ميان ايشان هيچ دوستى نيست وحاشاكه بپرستش ايشان رضا داده باشيم] ثم اضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم: **﴿بل كانوا﴾** من جهلهم وغوايتهم **﴿يعبدون الجن﴾** أي: الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل: كانوا يتمثلون لهم ويتخيلون أنهم الملائكة فيعبدونهم وعبر عن الشياطين بالجن لاستتارهم عن الحواس ولذا أطلقه بعضهم على الملائكة أيضاً **﴿أكثرهم﴾** الأكثر هٰهنا بمعنى الكل والضمير للمشركين كما هو الظاهر من السوق أي: كل المشركين. وقال بعضهم: الضمير للإنس والأكثر بمعناه أي: أكثر الإنس **﴿بهم﴾** أي: الجن وبقولهم الكذب الملائكة

بنات الله ﴿مؤمنون﴾ مصدقون ومتابعون ويغترون بما يلقون إليهم من أنهم يشفعون لهم.

وفي الآية: إشارة إلى أنه كما يعبد قوم الملائكة بقول الشيطان وتتبرأ الملائكة منهم يوم القيامة كذلك من يعبد الله بقول الوالدين أو الاستاذين أو أهل بلده أو بالتعصب والهوى كما يعبده اليهود والنصارى والصابئون والمجوس وأهل البدع والأهواء يتبرأ الله منه ويقول: أنا بريء من أن أعبد بقول الغير وبقول من يعبدني بالهوى أو بإعانة أهل الهوى فإن من عبدني بالهوى فقد عبد الهوى ومن عبدني بإعانة أهل الهوى إياه على أن يعبدني فقد عبد أهل الهوى لأنه ما عبدني مخلصاً كما أمرته ولهذا المعنى أمرنا الله أن نقول في عبادته في الصلاة إياك نعبد أي: لم نعبد غيرك وإياك نستعين على عبادتك بإعانتك لا بإعانة غيرك وبقوله: ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ يشير إلى أن أكثر مدعي الإسلام بأهل الهوى مؤمنون أي: بتقليدهم وتصديقهم فيما ينتمون إليه من البدع والاعتقاد السوء كذا في «التأويلات النجمية»، قال الصائب:

چه قدر راه بتقليد توان پيمودن رشته كوتاه بود مرغ نو آموخته را

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝٤٢﴾.

﴿فاليوم﴾ أي: يوم الحشر ﴿لا يملك﴾ [الملك بالحركات الثلاث: خداوند شدن] ﴿بعضكم﴾ يعني المعبودين ﴿لبعض﴾ يعني العابدين ﴿نفعاً﴾ بالشفاعة ﴿ولا ضراً﴾ أي: دفع ضر وهو العذاب على تقدير المضاف إذ الأمر فيه كله لله لأن الدار دار جزاء ولا يجازي الخلق أحد غير الله. قال في «الإرشاد» تقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الإطلاق لانعقاد رجائهم على تحقيق النفع يومئذٍ وهذا الكلام من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبري مما نسب إليهم الكفرة يخاطبون على رؤوس الإشهاد إظهاراً لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصاً على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فإنه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الإخبار به عليه ﴿ونقول﴾ في الآخرة ﴿للذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر والتكذيب فوضعوهما موضع اللإيمان والتصديق وهو عطف على يقول للملائكة لا على يملك كما قيل لأنه مما يقال يوم القيامة خطاباً للملائكة مترتباً على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله ﷺ لما سيقال للعبدة يومئذٍ أثر حكاية ما سيقال للملائكة ﴿ذوقوا﴾ الذوق في الأصل وإن كان فيما يقل تناوله كالأكل فيما يكثر تناوله إلا أنه مستصلح للكثير ﴿عذاب النار التي كنتم﴾ في الدنيا ﴿بها﴾ متعلق بقوله: ﴿تكذبون﴾ وتصرون على القول بأنها غير كائنة فقد وردتموها وبطل ظنكم ودعواكم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من علق قلبه بالأغيار وظن صلاح حاله من الاحتيال والاستعانة بالأمثال والأشكال نزع الله الرحمة من قلوبهم فتتركهم وتشوش أحوالهم فلا لهم من الأشكال والأمثال معونة ولا لهم من عقولهم في أمورهم استبصار ولا إلى الله رجوع إلا في الدنيا فإن رجعوا إليه في الآخرة لا يرحمهم ولا يجيبهم ويذيقهم عذاب نار البعد والقطيعة لكونهم ظالمين أي: عابدين غير الله تعالى [احمد حرب كفت خداى تعالى خلق را آفريده تا اورا بيكانكى شتاسند وشريك نسازند ورزق داد تااورا برزاقى بدانند وميراند تااورا بقهارى شناسند «ألا ترى أن الموت يذل الجبابرة ويقهر الفراعنة» وزنده كردانيد تا اورا بقادري

بدانند چونكه قادر مطلق اوست انسان ببايدكه عجز خودرا بداند وعدم طاقت اودر زيربار قهرش شناسند ورجوع كند باختيار نه باضطرار وازحق شناسد توفيق هركار].

نكشود صائب ازمدد خلق هيچ كار از خلق روى خود بخدا مى كنيم ما

اعلم أن من عبد الجن وأطاع الشيطان فيما شاء وهو زوال دينه يكون عذابه في التأبيد كعذاب إبليس ومن أطاع النفس فيما شاءت وهي المعصية يكون عذابه على الانقطاع ومن أطاع الهوى فيما شاء وهو الشهوات يكون له شدة الحساب من أجاب إبليس ذهب عنه المولى ومن أجاب النفس ذهب عنه الورع ومن أجاب الهوى ذهب عنه العقل. وكان يحيى عليه السلام مع جلالة قدره وعدم همه بخطيئة يخاف من عذاب النار ويبكي في الليل والنهار والغافل كيف يأمن من سلب الإيمان مع كثرة العصيان وله عدو مثل الشيطان فلا بد من التوبة عن الميل إلى غير الله تعالى في جميع الأحوال والتضرع والبكاء في البكر والآصال لتحصل النجاة من النيران والفوز بدرجات الجنان والتنعم بنعيم القرب وشهود الرحمٰن.

زپشت آينه روى مراد نتوان ديد تراكه روى بخلق است ازخداچه خبر

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وإذا تتلى﴾ أي: تقرأ قراءة متتابعة بلسان الرسول عليه السلام ﴿عليهم﴾ أي: على مشركي مكة ﴿آياتنا﴾ القرآنية حال كونها ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك ﴿قالوا﴾ مشيرين إلى النبي عليه السلام ﴿ما هذا إلا رجل﴾ تنكيره للتهكم والتلهي وإلا فرسول الله كان علماً مشهوراً بينهم ﴿يريد أن يصدكم﴾ أي: يمنعكم ويصرفكم ﴿عما كان يعبد آباؤكم﴾ من الأصنام منذ أزمنة متطاولة فيستتبعكم بما يستبدعه من غير أن يكون هناك دين إلهي يعني: [مدعاى او آنست كه شما ازبت پرستيدن منع كند وبدين وآيين كه احداث كرده در آورد وتابع خود سازد] وإضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد ﴿وقالوا ما هذا﴾ القرآن ﴿إلا إفك﴾ كلام مصروف عن جهته لعدم مطابقة ما فيه من التوحيد والبعث الواقع ﴿مفترى﴾ بإسناده إلى الله تعالى والافتراء الكذب عمداً قالوه عناداً ومكابرة وإلا فقد قال كبيرهم عتبة بن ربيعة والله ما هو شعر ولا كهانة ولا سحر ﴿وقال الذين كفروا للحق﴾ أي: للقرآن على أن العطف لاختلاف العنوان بأن يراد بالأول معناه وبالثاني نظمه المعجز ووضع المظهر موضع المضمر إظهاراً للغضب عليهم ودلالة على أن هذا لا يجترىء عليه إلا المتمادين في الكفر المنهمكون في الغي والباطل ﴿لما جاءهم﴾ من الله تعالى ومعنى التوقع في لما أنهم كذبوا به وجحدوه على البديهة ساعة أتاهم وأول ما سمعوه قبل التدبر والتأمل ﴿إن﴾ بمعنى ما النافية ﴿هذا إلا سحر مبين﴾ ظاهر سحريته لا شبهة فيه. والسحر من سحر يسحر إذا خدع أحداً وجعله مدهوشاً متحيراً وهذا إنما يكون بأن يفعل الساحر شيئاً يعجز عن فعله وإدراكه المسحور عليه كما في «شرح الأمالي». وقال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: السحر مأخوذ من السحر وهو ما بين الفجر الأول والفجر الثاني واختلاطته وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع

الشمس للأبصار فكذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون عدماً فإن العين أدركت أمراً ما لا تشك فيه ولا هو حق محض فيكون له وجود في عينه فإنه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي انتهى. قال الشيخ الشعراني في الكبريت الأحمر: هو كلام نفيس ما سمعنا مثله قط.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وما آتيناهم﴾ أي: مشركي مكة ﴿من كتب﴾ أي: كتباً فإن من الاستغراقية داخلة على المفعول لتأكيد النفي ﴿يدرسونها﴾ يقرأونها فيها دليل على صحة الإشراك كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم: ٣٥] وقوله: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الزخرف: ٢١] وفي إيراد كتب بصيغة الجمع تنبيه على أنه لا بد لمثل تلك الشبهة من نظائر الأدلة والدرس قراءة الكتاب بإمعان النظر فيه طلباً لذلك معناه والتدريس تكرير الدرس. قال الراغب في «المفردات»: درس الشيء معناه بقي أثره وبقاء الأثر يقتضي إنمحاءه في نفسه ولذلك فسر الدروس بالانمحاء وكذا درس الكتاب ودرست العلم تناولت أثره بالحفظ ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن إدامة القراءة بالدرس ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ يدعوهم إلى الشرك وينذرهم بالعقاب على تركه وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه فمن أين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهو تجهيل لهم وتسفيه لآرائهم ثم هددهم بقوله:

﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم المتقدمة والقرون الماضية كما كذب قومك من قريش ﴿وما بلغوا﴾ [ونرسيدند قريش ومشركان مكه] ﴿معشار ما آتيناهم﴾ أي: عشر ما آتينا أولئك من قوة الأجسام وكثرة الأموال والأولاد وطول الأعمار. فالمعشار بمعنى العشر كالمرباع بمعنى الربع. قال الواحدي: المعشار والعشير والعشر جزء من العشرة وقيل المعشار عشر العشر ﴿فكذبوا رسلي﴾ عطف على وكذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ [القمر: ٩] الخ ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: إنكاري لهم بالاستئصال والتدمير فأي شيء خطر هؤلاء بجنب أولئك فليحذروا من مثل ذلك وبالفارسية: [پس چه كونه بودنا بسند من ايشانرا وعذاب دادن]. وفي الآية إشارة إلى أن صاحب النظر إذا دل الناس على الله ودعاهم إليه قال أخدانهم السوء وإخوانهم الجهلة وأعوانهم الغفلة من الأقارب وأبناء الدنيا وربما كان ذلك من العلماء السوء الذين أسكرتهم محبة الدنيا وقال ﷺ فيهم: «أولئك قطاع الطريق على العباد» هذا رجل يريد اصطيادكم واستتباعكم لتكونوا من أتباعه وأعوانه ومريديه ويصدكم عن مذاهبكم ويطمع في أموالكم ومن ذا الذي يطيق أن يترك الدنيا بالكلية وينقطع عن أقاربه وأهاليه ويضيع أولاده ويعق والديه وليس هذا طريق الحق وإنك لا تتمم هذا الأمر ولا بد لك من الدنيا ما دمت تعيش وأمثال هذا حتى يميل ذلك المسكين عن قبول النصح في الإقبال على الله والإعراض عن الدنيا وربما كان هذا من خواطره الدنية وهواجس نفسه الردية فيهلك ويضل كما هلكوا وضلوا فليعتبر الطالب بمن كان قبله من منكري المشايخ ومكذبي الورثة ما كان عاقبة أمرهم إلا الحرمان في الدنيا من مراتب الدين والعذاب

في الآخرة بنار القطيعة وليحذر من الاستماع إلى العائقين له عن طريق العاشقين فإنهم أعداء له في صورة الأحباب وفي المثنوي:

آدمي را دشمن پنهان بسيست آدمي باحذر عاقل كسيست

قال المولى الجامي في «درة التاج»:

چون سكندر بقصد آب حيات كرد عزم عبور بر ظلمات
بزميني رسيد پهن وفراخ راند خيل وحشم دران كستاخ
هركجا مى شد از يسار ويمين بود پر سنكريزه روى زمين
كرد روى سخن بسوى سپاه كاى همه كرده كم زظلمت راه
اين همه كو هراست بى شك وريب كيسه تان پركنيد ودا من وجيب
هركرا بود شك در اسكندر آن حكايت نيامدش باور
كفت در زير نعل لعل كه ديد درّ وكوهر بر هكذر كه شنيد
وانكه آيينهٔ سكندر بود سرّ جانش درو مصوّر بود
هرچه ازوى شنيد باورداشت آنچه مقدور بودازان برداشت
چون بريدند راه تاريكى تافت خورشيد شان ز نزديكى
آن يكى دست ميكزيد كه چون زين كهر بر نداشتم افزون
وان دكر خون همى كريست كه آه بر سكندر نكردمى انكار
تا نيفتادمى ازان تقصير در حجاب وخجالت وتشوير

فقس عليه مصدّق القرآن ومكذبه.

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ الوعظ زجر يقترن به تخويف. وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والعظة والموعظة الاسم أي: ما أنشدكم وأنصح لكم إلا بخصلة واحدة هي ﴿أن تقوموا﴾ من مجلس رسول الله ﷺ وتتفرقوا من مجمعكم عنده فالقيام على حقيقته بمعنى القيام على الرجلين ضد الجلوس ويجوز أن يكون بمعنى القيام بالأمر والاهتمام بطلب الحق ﴿لله﴾ لأجله تعالى ورضاه لا للمراء والرياء والتقليد حال كونكم متفرقين ﴿مثنى﴾ اثنين اثنين ﴿وفرادى﴾ واحداً واحداً. قال الراغب: الفرد الذي لا يختلط به غيره فهو أعم من الوتر وأخص من الواحد وجمعه فرادى انتهى. وفي «المختار» الفرد الوتر وجمعه أفراد وفرادى بالضم على غير القياس كأنه جمع فردان ﴿ثم تتفكروا﴾ التفكر طلب المعنى بالقلب يعني: [تفكرجست وجودى دلست در طلب معنى] أي: تتفكروا في أمره ﷺ فتعلموا ﴿ما﴾ نافية ﴿بصاحبكم﴾ المراد الرسول عليه السلام ﴿من جنة﴾ أي: جنون يحمله على دعوى النبوة العامة كما ظننتم وفائدة التقييد بالاثنين والفرادى أن الاثنين إذا التجئا إلى الله تعالى وبحثا طلباً للحق مع الإنصاف هديا إليه وكذا الواحد إذا تفكر في نفسه مجرداً عن الهوى بخلاف كثرة الجمع فإنه يقل فيها الإنصاف غالباً ويكثر الخلاف غبار الغضب ولا يسمع إلا نصرة المذهب.

وفي تقديم مثنى إيذان بأنه أوفق وأقرب من الاطمئنان فإن الاثنين إذا قعدا بطريق المشاورة في شأن الرسول عليه السلام وصحة نبوته من غير هوى وعصبية وعرض كل منهما محصول فكره على الآخر أدى النظر الصحيح إلى التصديق ويحصل العلم عن العلم. وفي «الفتوحات المكية» قدس الله سر صاحبها الواحدة أن يقوم الواعظ من أجل الله إما غيرة وإما تعظيماً وقوله: ﴿مثنى﴾ أي: بالله ورسوله فإنه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله لا عن هوى نفس ولا تعظيم كوني ولا غيرة نفسية وقوله: ﴿وفرادى﴾ أي: بالله خاصة أو برسوله خاصة انتهى هذا إذا علقت ﴿ما بصاحبكم﴾ بمحذوف كما قدر فلا يوقف إذاً على تتفكروا ويجوز أن يكون الوقف تاماً عند تتفكروا على معنى ثم تتفكروا في أمره عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته فقوله: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه إلا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وإذ قد علمتم أنه عليه السلام أرجح العالمين عقلاً وأصدقهم قولاً وأنزههم نفساً وأفضلهم علماً وأحسنهم عملاً وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم إلى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ﴿إن﴾ ما ﴿هو﴾ صاحبكم ﴿إلا نذير لكم﴾ مخوف لكم بلسان ينطق بالحق ﴿بين يدي عذاب شديد﴾ أي: قدام عذاب الآخرة إن عصيتموه لأنه مبعوث في نسم الساعة أي: أولها وقربها وذلك لأن النسم النفس ومن قرب منك يصل إليك نفسه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿بين يدي عذاب شديد﴾ في الدنيا والآخرة لينجيكم منه والعذاب الشديد الجهل والنكرة والجحود والإنكار والطرد واللعن من الله تعالى وفي الآخرة الحسرة والندامة والخجلة عند السؤال. وفي بعض الأخبار: أنه عذاب من يسألهم الحق فيقع عليهم من الخجل ما يقولون عنده عذبنا يا ربنا بما شئت من أنواع العقوبة ولا تعذبنا بهذا السؤال.

﴿قل ما﴾ أي: شيء ﴿سألتكم من أجر﴾ جعل على تبليغ الرسالة ﴿فهو لكم﴾ والمراد نفي السؤال رأساً يعني: [هيچ أجرى نخواهم] كقول من قال لمن لم يعطه شيئاً أن أعطيتني شيئاً فخذه. وقال بعضهم لما نزل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] قال عليه السلام لمشركي مكة «لا تؤذوني في قرابتي» فكفوا عن ذلك فلما سب آلهتهم قالوا: لن ينصفنا يسألنا أن لا نؤذيه في قرابته وهو يؤذينا بذكر آلهتنا بسوء فنزل ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ إن شئتم آذوهم وإن شئتم امتنعوا ﴿إن أجري﴾ أي: ما أجري وثوابي ﴿إلا على الله﴾ فإنما أطلب ثواب الله لا عرض الدنيا ﴿وهو على كل شيء شهيد﴾ مطلع يعلم صدقي وخلوصي نيتي. وفيه إشارة إلى أنه من شرط دعوة الخلق إلى الله أن تكون خالصة لوجه الله لا يشوبها طمع في الدنيا والآخرة، قال الشيخ سعدي قدس سره:

زيان ميكند مرد تفسير دان كه علم وأدب ميفروشد بنان
كجا عقل با شرع فتوى دهد كه اهل خرد دين بدنيا دهد

قال الإمام الزروقي: الشهيد هو الحاضر الذي لا يغيب عنه معلوم ولا مرئي ولا مسموع ومنه عرف أن الشهيد عبد حافظ على المراقبة واتقى بعلمه ومشاهدته على غيره.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ القذف الرمي البعيد بنحو الحجارة والسهم ويستعار لمعنى الإلقاء والباء للتعدية أي: يلقي الوحي وينزله على من يجتبيه من عباده فالاجتباء ليس لعلة والاصطفاء ليس لحيلة أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزيله ﴿عالم الغيوب﴾ بالرفع صفة محمولة على محل أن واسمها أو بدل من المستكن في يقذف أو خبر ثان لأن أي: عالم بطريق المبالغة بكل ما غاب عن خلقه في السموات والأرض قولاً كان أو فعلاً أو غيرهما. قال بعض الكبار: من أدمن ذكر يا علام الغيوب إلى أن يغلب عليه منه حال فإنه يتكلم بالمغيبات ويكشف ما في الضمائر وتترقى روحه إلى العالم العلوي ويتحدث بأمور الكائنات والحوادث. وأيضاً هو نافع لقوة الحفظ وزوال النسيان.

وفي «التأويلات»: إنما ذكر الغيوب بلفظ الجمع لأنه عالم بغيب كل أحد وهو ما في ضمير كل أحد وأنه تعالى عالم بما يكون في ضمير أولاد كل أحد إلى يوم القيامة وإنما قال علام بلفظ المبالغة ليتناول علم معلومات الغيوب في الحالات المختلفة كما هي بلا تغير في العلم عند تغير المعلومات من حال إلى حال بحيث لا يشغله شأن حال عن حال.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿قل جاء الحق﴾ أي: الإسلام والتوحيد ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ ابدأ الشيء فعله ابتداء [والإعادة: باز كردانيدن] والمعنى زال الشرك وذهب بحيث لم يبق أثره أصلاً مأخوذ من هلاك الحي فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعل مثلاً في الهلاك بالكلية.

ـ روى ـ ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي عليه السلام دخل مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد».

﴿قل إن ضللت﴾ عن الطريق الحق كما تزعمون وتقولون لقد ضللت حين تركت دين آبائك ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ فإن وبال ضلالي عليها لأنه بسببها إذ هي الحاملة عليه بالذات والأمارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله: ﴿وإن اهتديت﴾ إلى الطريق الحق ﴿فبما يوحي﴾ فبسبب ما يوحي ﴿إليّ ربي﴾ من الحكمة والبيان فإن الاهتداء بتوفيقه وهدايته. وفيه إشارة إلى منشأ الضلالة نفس الإنسان فإذا وكلت النفس إلى طبعها لا يتولد منها إلا الضلالة وإن الهداية من مواهب الحق تعالى ليست النفس منشأها ولذلك قال تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى: ٧] ﴿إنه﴾ تعالى ﴿سميع قريب﴾ يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله وإن بالغ في إخفائهما. قال بعض: الكبار سميع بمنطق كل ناطق قريب لكل شيء وإن كان بعيداً منه:

دوست نزديكتر از من بمن است ... وين عجبتر كه من ازوى دورم
چه كنم باكه توان كفت كه او ... در كنار من ومن مهجورم

قال بعضهم: السميع هو الذي انكشف كل موجود لصفة سمعه فكان مدركاً لكل مسموع من كلام. وغيره وخاصية هذا الاسم إجابة الدعاء فمن قرأه يوم الخميس خمسمائة مرة كان

مجاب الدعوة وقرب الله من العبد بمعنى أنه عند ظنه كما قال: «أنا عند ظن عبدي بي». وقال بعضهم: هو قريب من الكل لظهوره على العموم وإن لم يره إلا أهل الخصوص لأنه لا بد للرؤية من إزالة كل شيء معترض وحائل وهي حجب العبد المضافة إلى نفسه. وسئل الجنيد عن قرب الله من العبد فقال: هو قريب لا بالاجتماع بعيد لا بالافتراق وقال القرب يورث الحياء ولذا قال بعضهم:

نـعـره كـمـتـر زن كـه نـزديـكـسـت يـار

يشير إلى حال أهل الشهود فإنهم يراعون الأدب مع الله في كل حال فلا يصيحون كما لا يصيح القريب للقريب وأما أهل الحجاب فلهم ذلك لأن قربهم بالهم لا بالشهود وكم من فرق بينهما. وفي الآية إشارة إلى أنه لا يصير المرء ضالاً بتضليل الآخرة إياه فإن الضال في الحقيقة من خلق الله فيه الضلالة بسبب إعراضه عن الهدى كما أنه لا يكون كافراً بإكفار الغير إياه فإن الكافر في الحقيقة من قبل الكفر وأعرض عن الإيمان وإلى أنه لا تزر وازرة وزر أخرى وأن كل شاة معلقة برجلها أي: كل واحد مجزي بعمله لا بعمل غيره فالصالح مجزي بأعماله الصالحة وأخلاقه الحسنة ولا ضرر له من الأعمال القبيحة لغيره وكذا الفاسق مجزي بعمله السوء ولا نفع له من صالحات غيره:

هـركـه او نـيـك مـيـكـنـد يـابـد نـيـك وبـد هـرچـه مـيـكـنـد يـابـد

وقيل للنابغة حين أسلم أصبوت يعني آمنت بمحمد قال: بلى غلبني بثلاث آيات من كتاب الله فأردت أن أقول ثلاثة أبيات من الشعر على قافيتها فلما سمعت هذه الآية تعبت فيها ولم أطق فعلمت أنه ليس من كلام البشر وهي هذه ﴿**قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب**﴾ إلى قوله: ﴿**إنه سميع قريب**﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿**ولو ترى**﴾ يا محمد أو يا من يفهم الخطاب ويليق به ﴿**إذ فزعوا**﴾ أي: حين يفزع الكفار ويخافون عند الموت أو البعث أو يوم بدر وجواب لو محذوف أي: لرأيت أمراً هائلاً وجيء بالماضي لأن المستقبل بالنسبة إلى الله تعالى كالماضي في تحققه وعن ابن عباس رضي الله عنه عنهما أن ثمانين ألفاً وهم السفياني وقومه يخرجون في آخر الزمان فيقصدون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء وهي أرض ملساء بين الحرمين كما في «القاموس» خسف بهم فلا ينجو منهم إلا السريّ الذي يخبر عنهم وهو جهينة فلذلك قيل عند جهينة الخبر اليقين. قال الكاشفي: [ازتمام لشكر دوكس نجات يابند يكى به بشارت بمكه برود وديكرى كه ناجى جهنى كويند روى او بر قفا كشته خبر قوم بسفياني رساند] ﴿**فلا فوت**﴾ الفوت بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه أي: فلا فوت لهم من عذاب الله ولا نجاة بهرب أو تحصن ويدركهم ما فزعوا منه ﴿**وأخذوا من مكان قريب**﴾ أي: من ظهر الأرض إلى بطنها أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى قليبها وهو البئر أن تبنى بالحجارة. وقال أبو عبيدة: هي البئر العادية القديمة أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم وحيث كانوا فهم قريب من الله والجملة معطوفة على فزعوا.

﴿وقالوا﴾ عند معاينة العذاب ﴿آمنا به﴾ أي: بمحمد عليه السلام لأنه مر ذكره في قوله: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ فلا يلزم الإضمار قبل الذكر ﴿وأنى لهم التناوش﴾ التناوش بالواو التناول السهل بالفارسية [كرفتن] من النوش يقال تناوش وتناول إذا مديده إلى شيء يصل إليه ومن همزه فأما أنه أبدل من الواو همزة لانضمامه نحو اقتت في وقتت وادؤر في أدور وإما أن يكون من النأش وهو الطلب كما في «المفردات» والمعنى ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً ﴿من مكان بعيد﴾ فإن الإيمان إنما هو في حيز التكليف وهي الدنيا وقد بعد عنهم بارتحالهم إلى الآخرة وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة وهي غاية قدر رمية كتناوله من مقدار ذراع في الاستحالة.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وقد كفروا به﴾ أي: بمحمد أو بالعذاب الشديد الذي أنذرهم إياه ﴿من قبل﴾ من قبل ذلك في وقت التكليف تابوا وقد أغلقت الأبواب وندموا وقد تقطعت الأسباب فليس إلا الخسران والندم والعذاب والألم:

فخل سبيل العين بعدك للبكا فليس لأيام الصفاء رجوع

قال الحافظ:

چوبر روى زمين باشى توانايى غنيمت دان كه دوران ناتوانيها بسى زير زمين دارد

أي لا يقدر الإنسان على شيء إذا مات وصار إلى تحت الأرض كما كان يقدر إذا كان فوق الأرض وهو حي ﴿ويقذفون بالغيب﴾ الباء للتعدية أي: يرجمون بالظن الكاذب ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول من المطاعن أو في العذاب من قطع القول بنفسه كما قالوا وما نحن بمعذبين ﴿من مكان بعيد﴾ من جهة بعيدة من حاله عليه السلام حيث ينسبونه إلى الشعر والسحر والكهانة والكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وهو معطوف على وقد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلاً لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الإيمان في الدنيا.

﴿وحيل بينهم﴾ أي: أوقعت الحيلولة والمنع بين هؤلاء الكفار ﴿وبين ما يشتهون﴾ من نفع الإيمان والنجاة من النار ﴿كما فعل بأشياعهم من قبل﴾ أي: بأشياعهم من كفرة الأمم الماضية ﴿إنهم كانوا﴾ في الدنيا ﴿في شك﴾ مما وجب به الإيمان واليقين كالتوحيد والبعث ونزول العذاب على تقدير الإصرار ﴿مريب﴾ [بتهمت افكنده ودلرا مضطرب سازنده وشورانده]. قال أهل التفسير مريب موقع لهم في الريبة والتهمة من أرابه إذا أوقعه في الريبة أو ذي ريبة من أراب الرجل إذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز في الإسناد إلا أن بينهما فرقاً وهو أن المريب من الأول منقول ممن يصلح أن يكون مريباً من الأشخاص والأعيان إلى المعنى وهو الشك أي: يكون صفة من أوقع في الريب حقيقة وقد جعل في الآية صفة نفس الشك الذي هو معنى من المعاني. والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك إلى الشك

أي: أنهم كانوا في شك ذي شك كما تقول شعر شاعر وإنما الشاعر في الحقيقة صاحب الشعر وإنما أسند الشاعرية إلى الشعر للمبالغة وإذا كان حال الكفرة الشك في الدنيا فلا ينفعهم اليقين في الآخرة لأنه حاصل بعد معاينة العذاب والخروج من موطن التكليف وقد ذموا في هذه الآيات بالشك والكفر والرجم بالغيب فليس للمرء أن يبادر إلى إنكار شيء إلا بعد العلم إما بالدليل أو بالشهود.

قال في «الفتوحات المكية»: لا يجوز لأحد المبادرة إلى الإنكار إذا رأى رجلاً ينظر إلى امرأة في الطريق مثلاً فربما يكون قاصداً خطبتها أو طبيباً فلا ينبغي المبادرة للإنكار إلا فيما لا يتطرق إليه احتمال وهذا يغلط فيه كثير من المذنبين لا من أصحاب الدين لأن صاحب الدين أول ما يحتفظ على نفسه ولا سيما في الإنكار خاصة وقد ندبنا الحق إلى حسن الظن بالناس لا إلى سوء الظن فصاحب الدين لا ينكر قط مع الظن لأنه يعلم أن بعض الظن إثم ويقول لعل هذا من ذلك البعض وإثمه أن ينطق به وإن وافق العلم في نفس الأمر وذلك أنه ظن وما علم فنطق فيه بأمر محتمل وما كان له ذلك فمعلوم أن سوء الظن بنفس الإنسان أولى من سوء ظنه بالغير وذلك لأنه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال في حقه إن فلاناً أساء الظن بنفسه بل إنه عالم بنفسه وإنما عبرنا بسوء الظن بنفسه اتباعاً لتعبيرنا بسوء الظن بغيره فهو من تناسب الكلام وإلى الآن ما رأيت أحداً من العلماء استبرأ لدينه هذا الاستبراء فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله انتهى كلام الشيخ في الفتوحات:

همیشه در صدد عیب جوئی خویشیم   نبوده ایم پی عیب دیکران هرکز

والله الموفق لصالحات الأعمال وحسنات الأخلاق:

تمت سورة سبأ في أصيل يوم الثلاثاء الخامس والعشرين
من شهر ربيع الأول من سنة ست عشرة ومائة وألف

٣٥ ـ سورة فاطر

مكية وآيها خمس وأربعون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١﴾.

﴿الحمد لله﴾ أي: كل المحامد مختصة بالله تعالى لا تتجاوز منه إلى من سواه وهو وإن كان في الحقيقة حمداً لله لذاته بذاته لكنه تعليم للعباد كيف يحمدونه.

واعلم أن الحمد يتعلق بالنعمة والمحنة إذ تحت كل محنة منحة فمن النعمة العطاس وذلك لأنه سبب لانفتاح المسام أي: ثقب الجسد واندفاع الأبخرة المحتبسة عن الدماغ الذي فيه قوة التذكر والتفكر فهو بحران الرأس كما أن العرق بحران بدن المريض ولذا أوجب الشارع الحمد للعاطس. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من سبق العاطس بالحمد لله وقى وجع الرأس والأضراس ومن المحنة التجشي وفي الحديث: «من عطس أو تجشا فقال: الحمد لله على كل حال دفع الله بها عنه سبعين داء أهونها الجذام». والتجشي تنفس المعدة وبالفارسية: [بدروغ شدن] وذلك لأن التجشي إنما يتولد من امتلاء المعدة من الطعام فهو من المصائب في الدين خصوصاً إذا وقع حال الصلاة ويدل عليه أنه عليه السلام كان يقول عند كل مصيبة: «الحمد لله على كل حال» ثم رتب الحمد على نعمة الإيجاد أولاً إذ لا غاية وراءها إذ كل كمال مبني عليها فقال: **﴿فاطر السموات والأرض﴾** إضافته محضة لأنه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلاً منه وهو قليل في المشتق والمعنى مبدعهما وخالقهما ابتداء من غير مثال سبق من الفطر بالفتح بمعنى الشق أو الشق طولاً كما ذهب إليه الراغب كأنه شق العدم بإخراجهما منه والفطر بالكسر ترك الصوم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما فاطر السموات حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي: ابتدأت حفرها قال المبرد فاطر خالق مبتدىء، ففيه إشارة إلى أن أول كل شيء تعلقت به القدرة سموات الأرواح وأرض النفوس وأما الملائكة فقد خلقت بعد خلق أرواح الإنسان ويدل عليه تأخير ذكرهم كما قال: **﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾** إضافته محضة أيضاً على أنه نعت آخر للاسم الجليل ورسلاً منصوب بجاعل واسم الفاعل بمعنى الماضي وإن كان لا يعمل عند البصريين إلا معرفاً باللام إلا أنه بالإضافة أشبه باللام فعمل عمله فالجاعل بمعنى المصير والمراد بالملائكة جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل والحفظة ونحوهم. ويقال: لم ينزل إسرافيل على نبي إلا على محمد ﷺ نزل فأخبره بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم عرج.

وفي «إنسان العيون»: نزل عليه ستة أشهر قبل نبوته فكان عليه السلام يسمع صوته ولا يرى شخصه. والرسل جمع رسول بمعنى المرسل والمعنى مصير الملائكة وسائط بينه تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة. قال بعض الكبار: الإلقاء إما صحيح أو فاسد فالصحيح إلهيّ رباني متعلق بالعلوم والمعارف أو ملكي روحاني وهو الباعث على الطاعة وعلى كل ما فيه صلاح ويسمى إلهاماً والفاسد نفساني وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجساً أو شيطاني وهو ما يدعو إلى معصية ويسمى وسواساً ﴿أولي أجنحة﴾ صفة لرسلاً وأولو بمعنى أصحاب اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا وإنما كتبت الواو بعد الألف حالتي الحر والنصب لئلا يلتبس بإلى حرف الجر وإنما كتبوه في الرفع حملاً عليهما. والأجنحة جمع جناح بالفارسية [پروبال] ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ صفات لأجنحة فهي في موضع خفض ومعناها اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة أي: ذوي أجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها من السماء إلى الأرض ويعرجون أو يسرعون بها فإن ما بين السماء والأرض وكذا ما بين السموات مسيرة خمسمائة سنة وهم يقطعونها في بعض الأحيان في وقت واحد ففي تعدد الأجنحة إشارة إلى كمالية استعداد بعض الملائكة على بعض والمعنى أن من الملائكة خلقاً لكل منهم جناحان وخلقاً لكل منهم ثلاثة وخلقاً آخر لكل منهم أربعة. قال الكاشفي: [مثنى دو دو براى طيران وثلاث سه سه ورباع چهار چهار براى آرايش] انتهى.

ـ وروي ـ أن صنفاً من الملائكة له ستة أجنحة بجناحين منها يلفون أجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما أمروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى ويفهم من كلام بعضهم أن الطيران بكل الأجنحة كما قال عرف تعالى إلى العباد بأفعاله وندبهم إلى الاعتبار بها فمنها ما يعلمونه معاينة من السماء والأرض وغيرهما ومنها ما سبيل إثباته الخبر والنقل لا يعلم بالضرورة ولا بدليل العقل فالملاكة منه ولا يتحقق كيفية صورتهم وأجنحتهم وأنهم كيف يطيرون بأجنحتهم الثلاثة والأربعة لكن على الجملة يعلم كمال قدرته وصدق حكمته انتهى.

ـ وروي ـ عن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح منها اثنان يبلغان من المشرق إلى المغرب ودل هذا وكذا كل ما فيه زيادة على الأربع أنه تعالى لم يرد خصوصية الأعداد ونفي ما زاد عليها. وذكر السهيلي أن المراد بالأجنحة في حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كأجنحة الطير ولا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بأنه يسد ما بين المشرق والمغرب هذا كلامه كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير: لا يجوز العدول عن الظاهر مع إمكان الحمل على الحقيقة وقد تظاهرت الروايات الدالة على إثبات الأجنحة للملائكة وإن لم تكن كأجنحة الطير من حيث إن الله تعالى باين بين صور المخلوقات والملائكة وإن كانوا روحانيين لكن لهم أجسام لطيفة فلا يمنع أن يكون للأجسام أجنحة جسمانية كما لا يمنع أن يكون للأرواح أجنحة روحانية نورانية كما ثبت لجعفر الطيار رضي الله عنه. والحاصل أن المناسب لحال العلويين أن يكونوا طائرين كما أن المناسب لحال السفليين أن يكونوا سائرين ومن أمعن النظر في خلق الأرض والجو عرف ذلك ويؤيد ما قلنا أن البراق وإن كان في صورة البغل في الجملة لكنه لما كان علوياً أثبت له الجناح

نعم أن الأجنحة من قبيل الإشارة إلى القوة الملكية والإشارة لا تنافي العبارة هذا. وفي «كشف الأسرار» وردت في عجائب صور الملائكة أخبار يقال: إن حملة العرش لهم قرون وهم في صورة الأوعال يعني: [بزان كوهى] وفي الخبر «إن في السماء ملائكة نصفهم ثلج ونصفهم نار تسبيحهم يا من يؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب المؤمنين» وقيل لم يجمع الله في الأرض لشيء من خلقه بين الأجنحة والقرون والخراطيم والقوائم إلا وضعف خلقه وهو البعوض وفيه أيضاً [هرچندكه فرشتكان مقربان دركاه عزت اند وطاوسان حضرت با اين مرتبت خاكيان مؤمنان برايشان شرف دارند] كما قال عليه السلام: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده» فالملائكة وإن طاروا من الأرض إلى السماء في أسرع وقت فأهل الشهود طاروا إلى ما فوق السماء في لمحة بصر فلهم أجنحة من العقول السليمة والألباب الصافية والتوجهات المسرعة والجذبات المعجلة اجتهدوا وسلكوا ثم صاروا ثم طاروا طيراناً عجز عنده الملائكة وحاروا وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»:

بربساط بوريا سير دو عالم ميكنيم باوجود نى سوارى برق جولانيم ما
چون باوج حق پريم عاجز شود ازما ملك كرد باد لا مكانى طرفه سيرانيم ما

﴿يزيد﴾ الله تعالى يعني: [زياده ميكند ومى افزايد] فإن زاد مشترك بين اللازم والمتعدي وليس في اللغة أزاد ﴿في الخلق﴾ في أي: خلق كان من الملائكة وغيرهم فاللام للجنس والخلق بمعنى المخلوق ﴿ما يشاء﴾ كل ما يشاء أن يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الأمور التي لا يحيط بها الوصف فليس تفاوت أحوال الملائكة في عدد الأجنحة وكذا تفاوت أحوال غيرهم في بعض الأمور تستدعيه ذواتهم بل ذلك من أحكام المشيئة ومقتضيات الحكم وذلك لأن اختلاف الأصناف بالخواص والفصول بالأنواع إن كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الأمور المتفقة وهو محال. والآية متناولة لزيادات الصور والمعاني. فمن الأولى حسن الصورة خصوصاً الوجه قيل ما بعث الله نبياً إلا حسن الشكل وكان نبينا عليه السلام أملح يعني: [بر يوسف عليه السلام مليحتر وشيرين تر بود] فمن قال كان أسود يقتل كما في «هدية المهديين» إلا أن لا يريد التقبيح بل الوصف بالسمرة والأسود العرب كما أن الأحمر العجم كما قال عليه السلام: «بعثت إلى الأسود والأحمر».

آن سيه چرده كه شيرينىء عالم با اوست

ومنها ملاحة العينين واعتدال الصورة وسهولة اللسان وطلاقته وقوة البطش والشعر الحسن والصوت الحسن وكان نبينا عليه السلام طيب النغمة وفي الحديث «لله أشد أذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته» أي: من استماع مالك جارية مغنية أريد هنا المغنية وفي الحديث «زينوا القرآن بأصواتكم» أي: اظهروا زينته بحسن أصواتكم وإلا فجل كلام الخالق أن يزينه صوت مخلوق ورخص تحسين الصوت والتطريب ما لم يتغير المعنى بزيادة أو نقصان في الحروف.

چنانكه ميرود از جاى دل بوقت سماع هم از سماع بمأواى خود كند پرواز
خدايرا حدىء عاشقانه سركن كه بى حدى نشود قطع راه دور ودراز

ومنها حسن الخط وفي الخبر عن رسول الله ﷺ: «الخط الحسن يزيد الحق وضحاً» وهو

بالفتح الضوء والبياض وفي الحديث «عليكم بحسن الخط فإنه من مفاتيح الرزق».

يقول الفقير: حسن الخط مما يرغب فيه الناس في جميع البلاد فاستكمال صنعة الكتابة من الكمالات البشرية وإن كانت من الزيادات لا من المقاصد وقد يتعيش بعض الفقراء بمنافع قلمه ولا يحتاج إلى الغير فتكون المنة لله على كل حال:

برو بحسن خطت دل فراغ كن يارا ز تنكدستى مبر شكوه اهل دنيارا

ومن الثانية كمال العقل وجزالة الرأي وجرأة القلب وسماحة النفس وغير ذلك من الزيادات المحمودة [در حقايق سلمى آورده كه تواضع در اشراف وسخا در اغنيا وتعفف درفقرا وصدق در مؤمنان وشوق در محبان. إمام قشيري فرموده كه علوهمت است همت عالى كسى را دهدكه خود خواهد] فالمراد بعلو الهمة التعلق بالمولى لا بالدنيا والعقبى.

همايى چون تو عالى قدر حرص استخوان حيفست

دريغا سايه همت كه برنا اهل افكندى

ويقال: يزيد في الجمال والكمال والدمامة. يقول الفقير: هذا المعنى لا يناسب مقام الامتنان كما لا يخفى على أهل الإذعان ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ بليغ القدرة على كل شيء ممكن وهو تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فإن شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء مما يوجب قدرته على أن يزيد كل ما يشاؤه إيجاباً بيناً فقد أبان سبحانه أن قدرته شاملة لكل شيء ومن الأشياء الإنقاذ من الشهوات والإخراج من الغفلات والإدخال في دائرة العلم والشهود الذي هو من باب الزيادات فمن استعجز القدرة الإلهية فقد كفر ألا ترى إلى حال إبراهيم بن أدهم حيث تجلى الله له بجمال اللطف الصوري أولاً وأعطاه الجاه والسلطنة ثم منّ له باللطف المعنوي ثانياً حيث أنقذه من حبس العلاقات وخلصه من أيدي الكدورات وشرفه بالوصول إلى عالم الإطلاق والدخول في حرم الوفاق.

ـ حكي ـ أنه كان سبب خروج إبراهيم بن أدهم عن أهله وماله وجاهه ورياسته وكان من أبناء الملوك أنه خرج يوماً يصطاد فأثار ثعلباً ثم أرنباً فبينما هو في طلبه إذ هتف به هاتف ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ثم هتف به من قربوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل عن مركوبه وصادف راعياً لأبيه فأخذ جبة الراعي من صوف فلبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل البادية وكان من شأنه ما كان.

ـ وحكي ـ أن الشيخ أبا الفوارس شاهين بن شجاع الكرماني رضي الله عنه خرج للصيد وهو ملك كرمان فأمعن في الطلب حتى وقع في برية مقفرة وحده فإذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا إليه سلم عليه وقال له: يا شاه ما هذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنياك عن آخرتك وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك إنما أعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة إلى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه إذ خرجت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيها إلى الشاه فشربه فقال: ما شربت شيئاً الذّ منه ولا أبرد ولا أعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب: هذه الدنيا وكلها الله إلى خدمتي فما احتجت إلى شيء إلا أحضرته إليّ حين يخطر ببالي أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما رأى ذلك تاب وكان

منه ما كان فهذان الملكان بالكسر صارا ملكين بالفتح بقدرة الله تعالى فجاء في حقهما يزيد في الخلق ما يشاء والله الموفق.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣﴾.

﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ ما شرطية في محل النصب بيفتح. والفتح في الأصل إزالة الاغلاق وفي العرف الظفر ولما كان سبباً للإرسال والاطلاق استعير له بقرينة لا مرسل له مكان الفاتح. وفي «الإرشاد» عبر عن إرسالها بالفتح إيذاناً بأنها أنفس الخزائن وأعزها منالاً وتنكيرها للإشاعة والإبهام أي: أي شيء يفتح الله من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة وصحة وعلم وحكمة إلى غير ذلك وبالفارسية [آنكه بكشايد خداى براى مردمان وفرستد بديشان از بخشايش خويش چون نعمت وعافيت وصحت] ﴿فلا ممسك لها﴾ أي: لا أحد من المخلوقات يقدر على إمساكها وحبسها فإنه لا مانع لما أعطاه. قيل: الفتح ضربان: فتح الهي وهو النصرة بالوصول إلى العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة فذلك قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١] وقوله: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢] والثاني فتح دنيوي وهو النصرة في الوصول إلى اللذات البدنية وذلك قوله: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ وقوله: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] ﴿وما يمسك﴾ أي: أي شيء يمسكه ويحبسه ويمنعه ﴿فلا مرسل له﴾ أي: لا أحد من الموجودات يقدر على إرساله وإعطائه فإنه لا معطي لما منعه. واختلاف الضمير بالتذكير والتأنيث لما أن مرجع الأول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق في كل ما يمسكه من رحمته وغضبه. ففي التفسير الأول وتقييده بالرحمة إيذان بأن رحمته سبقت غضبه أي: في التعلق وإلا فهما صفتان لله تعالى لا تسبق إحداهما الأخرى في ذاتهما ﴿من بعده﴾ على تقدير المضاف أي: من بعد إمساكه ومنعه كقوله: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣] أي: من بعد هداية الله ﴿وهو العزيز﴾ الغالب على كل ما يشاء من الأمور التي من جملتها الفتح والإمساك فلا أحد ينازعه ﴿الحكيم﴾ الذي يفعل ما يشاء حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة. وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه كان النبي عليه السلام يقول في دبر الصلاة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» وهو بالفتح الحظ والإقبال في الدنيا أي: لا ينفع الفتى المحظوظ حظه منك أي: بدل طاعتك وإنما ينفع العمل والطاعة. وعن معاذ رضي الله عنه مرفوعاً «لا تزال يد الله مبسوطة على هذه الأمة ما لم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برّهم فاجرهم ويعن قراؤهم أمراءهم على معصية الله فإذا فعلوا نزع الله يده عنهم». صاحب «كشف الأسرار» [كويد أرباب فهم بدانندكه اين آيت درباب فتوح مؤمنان وارباب عرفانست وفتوح آنرا كويند كه ناجسته وناخواسته آيد وآن دوقسمت يكى مواهب صوريه چون رزق نا مكتسب وديكر مطالب معنويه وآن علم لدنيست نا آموخته].

دست لطفش منبع علم وحكم بى قلم بر صفحه دل زد رقم
علم اهل دل نه از مكتب بود بلكه از تلقين خاص رب بود

فعلى العاقل أن يجتهد حتى يأتي رزقه الصوري والمعنوي بلا جهد ومشقة وتعب.

- روي - عن الشيخ أبي يعقوب البصري رضي الله عنه أنه قال جعت مرة في الحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً فحدثتني نفسي أن أخرج إلى الوادي لعلي أجد شيئاً يسكن به ضعفي فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة فأخذتها فإذا برجل جاء فجلس بين يديّ ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها؟ فقال: اعلم إنا كنا في البحر منذ عشرة أيام فأشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا نذراً إن خلصنا الله أن يتصدق بشيء ونذرت أنا إن خلصني الله أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصري من المجاورين وأنت أول من لقيته قلت: افتحها ففتحها فإذا فيها كعك ممصر ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت: ردّ الباقي إلى صبيانك هدية مني إليهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير إليك منذ عشرة أيام وأنت تطلبه في الوادي.

صائب فريب نعمت الوان نمى خوريم   روزىء خود زخوان كرم ميخوريم ما

وقال:

كشاد عقده روزى بدست تقديراست   مكن ز رزق شكايت ازين وآن زنهار

اللهم افتح لنا خير الباب وارزقنا مما رزقت أولي الألباب إنك مفتح الأبواب.

﴿**يا أيها الناس**﴾ عامة فاللام للجنس أو يا أهل مكة خاصة فاللام للعهد ﴿**اذكروا نعمة الله عليكم**﴾ نعمه رسمت بالتاء في أحد عشر موضعاً من القرآن ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب أي: إنعامه عليكم إن جعلت النعمة مصدراً وكائنة عليكم إن جعلت اسماً أي: راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بمعطيها سواء كانت نعمة خارجة كالمال والجاه أو نعمة بدنية كالصحة والقوة أو نعمة نفسية كالعقل والفطنة ولما كان ذكر النعمة مؤدياً إلى ذكر المنعم قال بطريق الاستفهام الإنكاري ﴿**هل من خالق غير الله**﴾ أي: هل خالق مغاير له تعالى موجود أي: لا خالق سواه على أن خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه من تأكيدا للعموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما أنه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه. قال في «الأسئلة المقحمة»: أي: حجة فيها على المعتزلة الجواب أنه تعالى أخبر بأن لا خالق غيره وهم يقولون: نحن نخلق أفعالنا وقوله من صلة وذلك يقتضي غاية النفي والانتفاء ﴿**يرزقكم من السماء والأرض**﴾ أي: المطر من السماء والنبات من الأرض وهو كلام مبتدأ لا محل له من الإعراب ولا مساغ لكونه صفة أخرى لخالق لأن معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معاً من غير تعرق لنفي وجود ما اتصف به المغايرة فقط ولا لكونه خبراً للمبتدأ لأن معناه نفي رازقية خالق مغاير له من غير تعرض لنفي وجوده رأساً مع أنه المراد حتماً وفائدة هذا التعريف أنه إذا عرف أنه لا رازق غيره لم يعلق قلبه بأحد في طلب شيء ولا يتذلل للإنفاق لمخلوق وكما لا يرى رزقه من مخلوق لا يراه من نفسه أيضاً فيتخلص من ظلمات تدبيره واحتياله وتوهم شيء من أمثاله وأشكاله ويستريح بشهود تقديره.

قال شيخي وسندي روّح الله روحه من بعض تعليقاته يا مهموماً بنفسه كنت من كنت لو ألقيتها إلينا وأسقطت تدبيرها وتركت تدبيرك لها واكتفيت بتدبيرنا لها من غير منازعة في تدبيرنا لها لاسترحت جعلنا الله وإياكم هكذا بفضله آمين ﴿**لا إله إلا هو**﴾ وإذا تبين تفرده تعالى

بالألوهية والخالقية والرازقية ﴿فأنى﴾ فمن أي: وجه ﴿تؤفكون﴾ تصرفون عن التوحيد إلى الشرك وعن عبادته إلى عبادة الأوثان فالفاء لترتيب إنكار عدولهم عن الحق إلى الباطل على ما قبلها.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾.

﴿وإن يكذبوك﴾ أي: وإن استمر المشركون على أن يكذبوك يا محمد فيما بلغت إليهم فلا تحزن واصبر ﴿فقد كذبت رسل﴾ أولو شأن خطير وذووا عدد كثير ﴿من قبلك﴾ فصبروا وظفروا ﴿وإلى الله﴾ لا إلى غيره ﴿ترجع الأمور﴾ من الرجع وهو الرد أي: ترد إليه عواقبها فيجازي كل صابر على صبره وكل مكذب على تكذيبه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تسلية الرسول ﷺ وأولياء أمته وتسهيل الصبر على الأذية إذا علم أن الأنبياء عليهم السلام استقبلهم مثل ما استقبله وأنهم لما صبروا لله كفاهم علم أنه يكفيه بسلوك سبيلهم والاقتداء بهم وليعلم أرباب القلوب أن حالهم مع الأجانب من هذه الطريقة كأحوال الأنبياء مع السفهاء من أممهم وأنهم لا يقبلون منهم إلا القليل من أهل الإرادة وقد كان أهل الحقائق أبداً منهم في مقاساة الأذية ولا يتخلصون إلا بستر حالهم عنهم والعوام أقرب إلى هذه الطريقة من القراء المتقشفين والعلماء الذين هم لهذه الأصول منكرون وإقرار المقرين وإنكار المنكرين ليس يرجع إليهم بل يرجع إلى تقدير عليم حكيم يعلم المبدأ والمعاد ويدبر على وفق إرادته الأحوال. فعلى العاقل أن يختار طريق العشق والإقرار وإن كان فيه الأذى والملامة ويجتنب عن طريق النفي والإنكار وإن كان فيه الراحة والسلامة فإن ذرة من العشق خير للعاشقين من كثير من أعمال العابدين قال الحافظ:

هرچند غرق بحر كناهم ز صد جهت   كر آشناى عشق شوم غرق رحمتم

وطريق العشق هو التوحيد وإثبات الهوية بالتفريد كما قال: ﴿لا إله إلا هو﴾ وهو كناية عن موجود غائب والغائب عن الحواس الموجود في الأزل هو الله تعالى وهو ذكر كل من المبتدي والمنتهي أما المبتدي ففي حقه غيبة لأنه من أهل الحجاب وأما المنتهي ففي حقه حضور لأنه من أهل الكشف فلا يشاهد إلا الهوية المطلقة وهو مركب في الحس من حرفين وهما: «ه و» وفي العقل من حرفين أيضاً وهما «اى» فكانت حروفه في الحس والعقل أربعة لتدل على الإحاطة التربيعية التي هي إحاطة هو الأول: والآخر والظاهر والباطن ولما كانت الأولية والآخروية اعتبارين عقليين دل عليهما بالألف والياء ولما كانت الظاهرية والباطنية اعتبارين حسيين دل عليهما بالهاء والواو فألف هو غيب في هائه وياؤه غيب في واوه.

واعلم أن الذكر خير من الجهاد فإن ثواب الغزو والشهادة في سبيل الله حصول الجنة والذاكر جليس الحق تعالى كما قال: «أنا جليس من ذكرني» وشهود الحق أفضل من حصول الجنة ولذلك كانت الرؤية بعد حصول الجنة وشرط الذكر الحضور بالقلب والروح وجميع القوى.

حضور قلب ببايدكه حق شود مشهود   وكرنه ذكر مجرد نمى دهد يك سود

﴿يا أيها الناس إن وعد الله﴾ بالبعث والجزاء ﴿حق﴾ ثابت لا محالة لا خلف فيه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن كل ما وعد به الله من الثواب والعقاب والدرجات في الجنة والدركات في النار والقربات في أعلى عليين وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر والبعد إلى أسفل سافلين حق فإذا علم ذلك استعد للموت قبل نزول الموت ولم يهتم للرزق ولم يتهم الرب في كفاية الشغل ونشط في استكثار الطاعة ورضي بالمقسوم ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ بأن يذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها وتقطعكم زينتها وشهواتها عن الرياضات والمجاهدات وترك الأوطان ومفارقة الإخوان في طريق الطلب والمراد نهيهم عن الاغترار بها وإن توجه النهي صورة إليها. وفي بعض الآثار «يا ابن آدم لا يغرنك طول المهلة فإنما يعجل بالأخذ من يخاف الفوت». وعن العلاء بن زياد رأيت الدنيا في منامي قبيحة عمشاء ضعيفة عليها من كل زينة فقلت: من أنت أعوذ بالله منك فقالت: أنا الدنيا فإن سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدراهم يعني لا تمسكها عن النفقة في موضع الحق وفي الحديث: «الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال» وذلك لأن الأكياس يزرعون في مزرعة الدنيا أنواع الطاعات فيغتنمون بها يوم الحصاد بخلاف من جهل أن الدنيا مزرعة الآخرة.

نكه دار فرصت كه عالم دميست دمى پيش دانا به از عالميست
دل اندر دلارام دنيا مبند كه ننشست باكس كه دل برنكند

﴿ولا يغرنكم بالله﴾ وكرمه وعفوه وسعة رحمته ﴿الغرور﴾ فعول صيغة مبالغة كالشكور والصبور وسمي به الشيطان لأنه لا نهاية لغروره، بالفارسية: [فريفتن]. وفي «المفردات» الغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين وبالدنيا لما قيل الدنيا تغر وتضر وتمر. والمعنى ولا يغرنكم بالله الشيطان المبالغ في الغرور بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعاصي قائلاً اعملوا ما شئتم إن الله غفور يغفر الذنوب جميعاً وأنه غني عن عبادتكم وتعذيبكم فإن ذلك وإن أمكن لكن تناول الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم اعتماداً على دفع الطبيعة فالله تعالى وإن كان أكرم الأكرمين مع أهل الكرم لكنه شديد العقاب مع أهل العذاب [بزركان فرموده اندكه يكى مصائد ابليس تسويفست در توبه يعني توبه بنده را در تأخير افكند كه فرصت باقيست عشرت نقد از دست مده]:

امشب همه شب يار ومى وشاهد باش چون روز شود توبه كن وزاهد باش

[عاقل بايدكه بدين فريب ازراه نرود وازنكته «الفرصة تمر مر السحاب» غافل نكردد].

عذر فاردا فكندى عمر فرداراكه ديد

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

﴿إن الشيطان لكم عدو﴾ عداوة قديمة بما فعل بأبيكم ما فعل لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به ﴿فاتخذوه عدواً﴾ بمخالفتكم له في عقائدكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه في جميع أحوالكم [از بزركى پرسيدندكه چكونه شيطانرا دشمان كيريم كفت از پى آرزو مرويد ومتابع هواى نفس مشويد وهرچه كنيد بايدكه موافق شرع ومخالف طبع بود] فلا تكفي العداوة باللسان فقط بل يجب أن تكون بالقلب والجوارح جميعاً ولا يقوى المرء على عداوته إلا بملازمة الذكر ودوام الاستعانة بالرب فإن من هجم عليه كلاب الراعي يشكل عليه دفعها إلا أن

ينادي الراعي فإنه يطردها بكلمة منه ﴿إنما يدعو﴾ الشيطان ﴿حزبه﴾ جماعته واتباعه.

قال في «التأويلات»: حزبه المعرضون عن الله المشتغلون بغير الله ﴿ليكونوا﴾ أي: حزبه ﴿من أصحاب السعير﴾ يعني: [جزاين نيست كه مى خواند شيطان باتباع هوى وميل بدنيا كروه خودرا يعني پى روان وفرمان بردارنرا تا باشند در آخرت با آواز ياران آتش يعني ملازمان دوزخ]. قال في «الإرشاد»: تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على أن غرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم وإلقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون.

﴿الذين كفروا﴾ أي: ثبتوا على الكفر بما وجب به الإيمان وأصروا عليه ﴿لهم﴾ بسبب كفرهم وإجابتهم لدعوة الشيطان ﴿عذاب شديد﴾ معجل ومؤجل. فمعجله تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم وخساسة همتهم حتى أنهم يرضون بأن يكون معبودهم الأصنام والهوى والدنيا والشيطان. ومؤجله عذاب الآخرة وهو مما لا تخفى شدته وصعوبته ﴿والذين آمنوا﴾ ثبتوا على الإيمان واليقين ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي: الطاعات الخالصة لله تحصيلاً لزيادة نور الإيمان ﴿لهم﴾ بسبب إيمانهم وعملهم الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان ﴿مغفرة﴾ عظيمة وهي في المعجل ستر ذنوبهم ولولا ذلك لافتضحوا وفي المؤجل محوها من ديوانهم ولولا ذلك لهلكوا ﴿وأجر كبير﴾ لا غاية له وهو اليوم سهولة العبادة ودوام المعرفة وما يناله في قلبه من زوائد اليقين وخصائص الأحوال وأنواع المواهب وفي الآخرة تحقيق المسؤول ونيل ما فوق المأمول. قيل: مثل الصالحين وما زينهم الله به دون غيرهم مثل جند قال لهم الملك: تزينوا للعرض عليّ غداً فمن كانت زينته أحسن كانت منزلته عندي أرفع ثم يرسل الملك في السر بزينة عنده ليس عند الجند مثلها إلى خواص مملكته وأهل محبته فإذا تزينوا بزينة الملك فخروا على سائر الجند عند العرض على الملك فالله تعالى وفقهم للأعمال الصالحة وزينهم بالطاعات الخالصة وحلاهم بالتوجهات الصافية بتوفيقه الخاص قصداً إلى الاصطفاء والاختصاص فميزهم بها في الدنيا عن سائرهم وبأجورها العظيمة في الآخرة لمفاخرهم فليحمد الله كثيراً من استخدمه الله واستعمله في طريق طاعته وعبادته فإن طريق الخدمة قلّ من يسلكه خصوصاً في هذا الزمان وسبيل العشق ندر من يشرع فيها من الإخوان، قال الحافظ:

نشان اهل خدا عاشقيست باخود دار — كه در مشايخ شهر اين نشان نمى بينم

ولله عباد لهم قلوب الهموم عمارتها والأحزان أوطانها والعشق والمحبة قصورها وبروجها.

أحبك حبين حب الهوى — وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى — فذكر شغلت به عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له — فكشفك للحجب حتى أراكا
ولا حمد في ذا ولا ذاك لي — ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

نسأل الله سبحانه أن يعمر قلوبنا بأنواع العمارات ويزين بيوت بواطننا بأصناف الإرادات ويحشرنا مع خواص عباده الذين لهم أجر كبير وثواب جزيل ويشرفنا بمطالعة أنوار وجهه الجميل إنه الرجو في الأول والآخر والباطن والظاهر.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾.

﴿أفمن زين له﴾ [التزيين: آراستن] ﴿سوء عمله﴾ أي: قبيح عمله بالفارسية [زشت وبد] ﴿فرآه حسناً﴾ فظنه جميلاً لأن رأى إذا عدّي إلى مفعولين اقتضى معنى الظن والعلم والمعنى أبعد تباين عاقبتي الفريقين يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الإيمان والعمل الصالح أي: لا يكون فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه ﴿فإن الله يضل﴾ إلى آخره تقرير له وتحقيق للحق ببيان أن الكل بمشيئة الله تعالى أي: فإنه تعالى يضل ﴿من يشاء﴾ أن يضله لاستحسانه الضلال وصرف اختياره إليه فيرده إلى أسفل سافلين ﴿ويهدي من يشاء﴾ أن يهديه لصرف اختياره إلى الهدى فيرفعه إلى أعلى عليين ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ الفاء للسببية فإن ما سبق سبب للنهي عن التحسر. والذهاب المضيّ وذهاب النفس كناية عن الموت. والحسرة شدة الحزن على ما فات والندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه وقوله: حسرات مفعول له والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حباً ومات عليه حزناً ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته والمعنى إذا عرفت أن الكل بمشيئة الله فلا تهلك نفسك للحسرات على غيهم وإصرارهم والغموم على تكذيبهم وإنكارهم، وبالفارسية: [پس بايدكه نرود جان تو يعني هلاك نشود براى حسرتهاى متوالى كه مى خورى وتأسفهاى كونا كون كه دارى برفعلهاى ناخوش ايشان كه هريك مقتضى حسرت است] فقد بذلت لهم النصح وخرجت عن عهدة التبليغ فلا مشقة لك من بعد وإنما المشقة عليهم في الدنيا والآخرة لأنهم سقطوا عن عينك ومن سقط عن عينك فقد سقط عن عين الله فلا يوجد أحد يرحمه ﴿إن الله عليم﴾ بليغ العلم ﴿بما يصنعون﴾ يفعلون من القبائح فيجازيهم عليها جزاء قبيحاً فإنهم وإن استحسنوا القبائح لقصور نظرهم فالقبيح لا يكون حسناً أبداً.

واعلم أن الكافر يتوهم أن عمله حسن كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] ثم الراغب في الدنيا يجمع حلالها وحرامها ولا يتفكر في زوالها ولا في ارتحاله عنها قبل كمالها فقد زين له سوء عمله.

شد قواى جمله اجزاى جسمت درفنا   باهزاران آرزو دست وكريبانى هنوز

ثم الذي يتوهم أنه إذا وجد نجاته ودرجاته في الجنة فقد استراح واكتفى فقد زين له سوء عمله حيث تغافل عن حلاوة مناجاة ربه فإنها فوق نعيم الجنان.

ما ييم وهمين عاشقي ولذت ديدار   زاهد تو برو در طلب خلد برين باش

فمن زين له الدنيا بشهواتها ليس كمن زين له العقبى بدرجاتها ومن زين له نعيم العقبى ليس كمن زين له جمال المولى أي: لا يستوي هذا وذاك فاصرف إلى الأشهى هواك والله تعالى هو مبدأ كل حسن فمن وصل إليه حسن بحسن ذاته وصفاته وأفعاله وأعماله ومن وجده وجد كل شيء ومن لم يجده لم يجد شيئاً وإن وجد الدنيا كلها [نقلست كه ابراهيم بن أدهم

قدس سره روزى برلب دجله نشسته بود خرقه مى دوخت سوزنش بدريا افتد يكى ازو پرسيد كه ملك چنان از دست دادى چه يافتى اشارت بدريا كرد كه سوزنم بدهيد قرب هزار ما هى ازدريا بر آمدند هر يكى سوزن زرين برلب كرفته كفت سوزن من خواهم ما هيكه ضعيف بر آمد وسوزن او آورد بستد وكفت كمترين چيزى كه يافتم اين است باقى تو ندانى] فهذا من ثمرات الهداية الخاصة ونتائج النيات الخالصة والأعمال الصالحة وحسن الحال مع الله تعالى ولا يحصل إلا لمن أخذ الأمر من طريقه فأصلح الطبيعة في مرتبة الشريعة والنفس في مرتبة الطريقة وحسن ما حسنه الشرع والعقل السليم وقبح ما قبحه كل منهما فأما أصحاب الأهواء والبدع فقد زين لهم سوء أعمالهم ونياتهم من جهة الشيطان فضلوا طريق الهدى والسنة نسأل الله سبحانه أن يجعلنا على صراطه المستقيم الذي سلكه أهل الدين القويم ويهدينا إلى الأعمال الحسنة ويحلينا بالأخلاق المستحسنة.

﴿والله﴾ وحده وهو مبتدأ خبره قوله ﴿الذي أرسل الرياح﴾ الإرسال في القرآن على معنيين: الأول بمعنى [فرستادن] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ [البقرة: ١١٩]. والثاني بمعنى [فرو كشادن] كما في قوله تعالى: ﴿أرسل الرياح﴾. وفي «المفردات»: الإرسال يقال في الإنسان وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة وقد يكون ذلك للتسخير كإرسال الريح والمطر وقد يكون ببعث من له اختيار نحو إرسال الرسل وقد يكون ذلك بالتخلية وترك المنع نحو ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [مريم: ٨٣] والإرسال يقابل الإمساك. والرياح: جمع ريح بمعنى الهواء المتحرك أصله روح ولذا يجمع على أرواح وأما أرياح قياساً على رياح فخطأ. قال صاحب «كشف الأسرار» [الله است كه فرو كشايد بتقدير وتدبير خويش بهنكام دربايست وباندازه دربايست بادهاى مختلف از مخارج مختلف] أراد بها الجنوب والشمال والصبا فإنها رياح الرحمة لا الدبور فإنها رياح العذاب أما الجنوب فريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا وأما الشمال بالفتح ويكسر فمهبها بين مطلع الشمس وبنات النعش أو من مطلع الشمس إلى مسقط النسر الطائر ولا تكاد تهب ليلاً وأما الصبا فمهبها من جانب المشرق إذا استوى الليل والنهار سميت بها لأنها تصبو إليها النفوس أي: تميل ويقال لها القبول أيضاً بالفتح لأنها تقابل الدبور أو لأنها تقابل باب الكعبة أو لأن النفس تقبلها ﴿فتثير سحاباً﴾ تهيجه وتنشره بين السماء والأرض لإنزال المطر فإنه مزيد ثار الغبار إذا هاج وانتشر ساطعاً. قال في «تاج المصادر» [الإثارة: برانكيختن كرد وشورانيدن زمين وميغ آوردن باد] والسحاب جسم يملأه الله ماء كما شاء وقيل بخار يرتفع من البحار والأرض فيصيب الجبال فيستمسك ويناله البرد فيصير ماء وينزل وأصل السحب الجر كسحب الذيل والإنسان على الوجه ومنه السحاب لجره الماء وصيغة المضارع مع مضي أرسل وسقنا لحكاية الحال الماضية استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولأن المراد بيان إحداثها لتلك الخاصية ولذلك أسند إليها ﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾ السوق بالفارسية [راندن] والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه ولاعتبار الأثر قيل: بجلده بلد أي: أثر والبلد الميت هو الذي لا نبت فيه قد أغبر من القحط. قال الراغب: الموت يقال بإزاء القوة النامية الموجودة في النبات ومقتضى الظاهر فساقه أي: ساق الله ذلك السحاب وأجراه إلى الأرض التي تحتاج إلى الماء وقال فسقناه إلى بلد التفاتاً من الغيبة إلى التكلم دلالة على زيادة اختصاصه به تعالى وأن

الكل منه والوسائط أسباب وقال إلى بلد ميت بالتنكير قصداً به إلى بعض البلاد الميتة وهي بلاد الذين تبعدوا عن مظان الماء ﴿فأحيينا﴾ الفاآت الثلاث للسببية فإن ما قيل كل واحدة منها سبب لمدخولها غير أن الأولى دخلت على السبب بخلاف الأخيرتين فإنهما دخلتا على المسبب ﴿به﴾ أي: بالمطر النازل من السحاب المدلول عليه بالسحاب فإن بينهما تلازماً في الذهن كما في الخارج أو بالسحاب فإنه سبب السبب ﴿الأرض﴾ أي: صيرناها خضراء بالنبات ﴿بعد موتها﴾ أي: يبسها ﴿كذلك النشور﴾ الكاف في حيز الرفع على الخبرية أي: مثل ذلك الإحياء الذي تشاهدونه إحياء الموتى وإخراجهم من القبور يوم الحشر في صحة المقدورية وسهولة التأتي من غير تفاوت بينهما أصلاً سوى الألف في الأول دون الثاني فالآية احتجاج على الكفرة في إنكارهم البعث حيث دلهم على مثال يعاينونه. وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله كيف يحيي الموتى؟ قال: «أما مررت بواد ممحلاً ثم مررت به خضراً» قلت: بلى قال: «فكذلك يحيي الله الموتى» أو قال: «كذلك النشور». وقال بعضهم في آية كذلك النشور أي: في كيفية الإحياء فكما أن إحياء الأرض بالماء فكذا إحياء الموتى كما روي أن الله تعالى يرسل من تحت العرش ماء كمني الرجال فينبت به الأجساد كنبات البقل ثم يأمر إسرافيل فيأخذ الصور فينفخ نفخة ثانية فتخرج الأرواح من ثقب الصور كأمثال النحل وقد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله: ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد ثم تدخل في الخياشيم فتمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الأرض فيخرجون حفاة عراة. وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى من سنته إذا أراد إحياء أرض يرسل الرياح فتثير سحاباً ثم يوجه ذلك السحاب إلى الموضع الذي يريد تخصيصاً له كيف يشاء أو يمطرها هنالك كيف يشاء كذلك إذا أراد إحياء قلب عبد يرسل أولاً رياح الرجاء ويزعج بها كوامن الإرادة ثم ينشىء فيه سحاب الاحتياج ولوعة الإنزعاج ثم يأتي بمطر الجود فينبت به في القلب أزهار البسط وأنوار الروح ويطيب لصاحبه العيش والحضور.

يا رب از ابر هدايت برسان بارانى پيشتر زانكه چو كردى زمان برخيزم

المقصود طلب الهداية الخاصة إلى الفيض الإلّهي الذي يحصل عند الفناء التام.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًاۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿من كان﴾ [هركه باشد] ﴿يريد العزة﴾ الشرف والمنعة بالفارسية: [ارجمندى]. قال الراغب: العز حالة مانعة للإنسان من أن يغلب من قولهم أرض عزاز أي: صلبة والعزيز الذي يقهر ولا يقهر والعزة يمدح بها تارة كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ويذم بها أخرى كعزة الكافرين وذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية وهي العزة الحقيقية والعزة التي للكافرين هي التعزز وهو في الحقيقة ذل والمراد بما في الآية المشركون المتعززون بعبادة الأصنام والمنافقون المتعززون بالمشركين ﴿فلله﴾ وحده لا لغيره ﴿العزة﴾ حال كونها ﴿جميعاً﴾ أي: عزة الدنيا وعزة الآخرة لا يملك غيره شيئاً منها أي:

فليطلبها من عنده تعالى بطاعته وتقواه لا من عند غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله إيذاناً بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى ونظيره قولك من أراد العلم فهو عند العلماء أي: فليطلبه من عندهم لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه فقد أقمت الدليل مقام المدلول وأثبت العزة في آية أخرى لله ولرسوله وللمؤمنين وجه الجمع بينهما أن عز الربوبية والإلهية لله تعالى وصفاً وعز الرسول وعز المؤمنين له فعلاً ومنة وفضلاً فإذا العزة لله جميعاً. قال الكاشفي: [وبعزة أو رسول ومؤمنان متعززند عزت در موافقت اوست ومذلت در مخالفت او].

عزيزي كه هركه از درش سر بتافت   بهر دركه شد هيچ عزت نيافت

وفي الحديث «إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز» ثم بين ما يطلب به العزة وهو الإيمان والعمل الصالح فقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ الضمير إلى الله تعالى وهو الظاهر. والصعود الذهاب في المكان العالي استعير لما يصل من العبد إلى الله كما استعير النزول لما يصل من الله إلى العبد. والكلم بكسر اللام جنس كنمر كما ذهب إليه الجمهور ولذا وصف بالمذكر لا جمع كلمة كما ذهب إليه البعض وأصل الطيب الذي به يطلب العزة لا إلى الملائكة الموكلين بأعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطي مطلوبه بالذات. وقال بعضهم: الكلم يتناول الدعاء والاستغفار وقراءة القرآن والذكر من قوله: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ونحو ذلك مما كان كلاماً طيباً. وقيل: إليه يصعد أي: إلى سمائه ومحل قبوله وحيث يكتب الأعمال المقبولة لا إلى الله كما قال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] وقال الخليل: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] أي: ذاهب إلى الشام الذي أمرني بالذهاب إليه. فالظاهر أن الكتبة يصعدون بصحيفته إلى حيث أمر الله أن توضع أو يصعد هو بنفسه. قال بعض الكبار: بعض الأعمال ينتهي إلى سدرة المنتهى وبعضها يتعدى إلى الجنة وبعضها إلى العرش وبعضها يتجاوز العرش إلى عالم المثال وقد يتعدى من عالم المثال إلى اللوح ثم إلى المقام القلمي ثم إلى العماء وذلك بحسب تفاوت مراتب العمال في الصدق والإخلاص وصحة التصوير والشهود والعيان. فعلى هذا فبعض الأعمال يتجاوز السماء وعالم الأجسام كلها فيكون محل قبوله ما فوقها مما ذكر فسدر الانتهاآت إذاً كثيرة بعضها فوق بعض إلى مرتبة العماء نسأل الله قبول الأعمال وصحت توجه البال وقوة الحال ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها وتارة في البناء إذا طولته وتارة في الذكر إذا نوهته وتارة في المنزلة إذا شرفتها كما في «المفردات». وفي مرجع المستكن في يرفعه وجوه:

الأول: أنه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل يعني أن التوحيد يصعد بنفسه ويرفع العمل الصالح بأن يكون سبباً لقبوله ألا ترى أن أعمال الكفار مردودة محبطة لوجود الشرك.

والثاني: أنه للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية إلا به كما في «الإرشاد». وقال الشيخ: التوحيد إنما قبل بسبب الطاعة إذ هو مع العصيان لا ينفع أي: لا يمنع العقاب والأولى ما في «الإرشاد» فإن الأعمال كالمراقي وقول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر. وقال الكاشفي في الآية: [وعمل شايسته برميدارد آنرا

وبمحل قبول ميرساند چه مجرد قول بي عمل صالح كه اخلاصست نافع نيست. يا كلم طيب دعاست وعمل صالح صدقه مساكين ودرغالب اجابت دعوات بتصدقاتست. يا كلم طيب دعاى ائمه است وعمل تأمين جماعتيان. يا كلم تكبير غزاست وعمل شمشير زدن. يا كلم استغفاراست وعمل ندم ودرين همه صور بردارنده كلمه عمل است]. والثالث أنه لله تعالى يعني يتقبله. قال ابن عطية: وهذا أرجح الأقوال وتخصيص العمل بهذا الشرف على هذا الوجه لما فيه من الكلفة. وقال في «حل الرموز»: قالوا: كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» تصعد إلى الله بنفسها وغيرها من الأذكار والأعمال ترفعها الملائكة كما قال تعالى: ﴿**والعمل الصالح يرفعه**﴾ أي: يرفعه الحق ويقبله على أيدي الملائكة من الحفظة والسفرة وقد روي أن دعوة اليتيم وكذا دعوة المظلوم تصعد إلى الله بنفسها أي: من غير ملائكة. وفيه معنى آخر وهو أن يرفعه بمعنى يجعله ذا قدر وقيمة مثل ثوب رفيع ومرتفع يعني: [قدر ومرتبه او رفيع سازد مراد عمل موحد مخلص است كه هيچ چيزى بقيمت آن نيست وكاريرا كه بآن آميخته باشد ازهمه چيزى خوارتر وبى مقدار تراست]:

كرت بيخ اخلاص در يوم نيست ازين در كسى چون تو محروم نيست
زر قلب آلوده بى قيمت است زريرا كه خالص بود حرمت است

وفي «التأويلات النجمية»: بقوله: ﴿**من كان يريد العزة**﴾ يشير إلى أن الإنسان خلق ذليلاً مهيناً محتاجاً إلى كل شيء ولا يحتاج شيء إلى شيء كاحتياج الإنسان إلى الأشياء كلها ولا يحتاج إلى كل شيء إلا الإنسان والذلة قرين الحاجة فمن ازدادت حاجته ازدادت مذلته ﴿**فللّه العزة جميعاً**﴾ لعدم احتياجه وكل شيء ذليل له لاحتياجه إليه فكلما كان احتياج الإنسان كاملاً كان ذله كاملاً فقال تعالى: ﴿**من كان**﴾ إلى آخره أي: لا يطلب العزة من غير الله لأنه ذليل أيضاً لله فبقدر قطع النظر عن الأشياء وطلب العزة منها تنقص ذلة العبد وتزيد عزته إلى أن لا يبقى له الاحتياج إلى غير الله ولا يزول الاحتياج والافتقار إلى غير الله من القلوب إلا بنفي لا إله وإثبات إلا الله فبالنفي تنقطع تعلقاته عن الكونين وبالاثبات يتوجه بالكلية إلى الحق تعالى فإذا لم يبق له تعلق ترجع حقيقة الكلمة إلى الحضرة كما أن النار تستنزل من الفلك الأثير باصطكاك الحجر والحديد ثم يوقد بها شجرة فالنار تأكل الشجرة وتفنيها من الحطبية وتبقيها بالنارية إلى أن تفنى الشجرة بالكلية فلما لم يبق من وجود الحطب شيء ترجع النار إلى الأثير وهذا سرّ قول الله ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ والعمل الصالح هو أركان الشريعة فأول ركن منها كمال استنزال نار نور الله من أثير الحضرة باصطكاك حديد «لا إله إلا الله» وحجر القلب القاسي فلما وقعت النار في شجرة الوجود الإنساني عمل العبد بركن من الأركان الخمسة التي بنى الإسلام عليها والأركان الأربعة الباقية هي العمل الصالح الذي يقلع أصل الشجرة من أرض الدنيا ويقطعها قطعاً تستعد به لقبولها النار واشتعالها بالنار واحتراقها بها لتقع النار إلى أن تحترق الشجرة بالكلية وترفع بالعبور عن الشجرة إلى أثير الحضرة ولما كانت الشجرة مشتعلة بتلك النار آنس موسى عليه السلام من جانب الطور ناراً فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة على لسان الشعلة ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] تأمله تفهم إن شاء الله تعالى ﴿**والذين يمكرون السيئات**﴾ المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة. وفي «القاموس»: المكر الخديعة وهذا بيان لحال الكلم الخبيث

والعمل السيىء وأهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على أنها صفة للمصدر المحذوف فإن يمكر لازم لا ينصب المفعول به أي: يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي عليه السلام في دار الندوة وتداروهم الرأي في إحدى الثلاث التي هي الإثبات والقتل والإخراج كما حكى الله عنهم في سورة الأنفال بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ﴿لهم﴾ بسبب مكراتهم ﴿عذاب شديد﴾ في الدنيا والآخرة لا يدرك غايته ولا يبالي عنده بما يمكرون به ﴿ومكر أولئك﴾ المفسدين الذين أرادوا أن يمكروا به عليه السلام. وضع اسم الإشارة موضع ضميرهم للإيذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك ﴿هو﴾ خاصة دون مكر الله بهم. وفي «الإرشاد» لا من مكروا به ﴿يبور﴾ يهلك ويفسد فإن البوار فرط الكساد ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك والفساد ولقد أبارهم الله تعالى إبارة بعد إبارة مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن قل كل يعمل على شاكلته. فللمكر السيىء قوم أشقياء غاية أمرهم الهلاك وللكلم الطيب والعمل الصالح قوم سعداء نهاية شأنهم النجاة. قال مجاهد وشهر بن حوشب: المراد بالآية أصحاب الرياء.

وفي «التأويلات النجمية»: بقوله: ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ يشير إلى الذين يظهرون الحسنات بالمكر ويخفون السيئات من العقائد الفاسدة ليحسبهم الخلق من الصالحين الصادقين ﴿لهم عذاب شديد﴾ وشدة عذابهم في تضعيف عذابهم فإنهم يعذبون بالسيئات التي يخفونها ويضاعف لهم العذاب بمكرهم في إظهار الحسنات دون حقيقتها كما قال تعالى: ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ أي: مكرهم يبوّرهم ويهلكهم انتهى وإنما تظهر الكرامات بصدق المعاملات. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: [كفت شبى خانه روشن كشت كفتم اكرشيطانست من ازان عزيز ترم وبلندهمت كه اورا در من طمع افتد واكر از نزديك تست بكذار تا ازسراى خدمت بسراى كرامت رسم] فالخدمة في طريق الحق بالخلوص وسيلة إلى ظهور الأنوار وانكشاف الأسرار. وقد قيل: ليس الإيمان بالتمني يعني لا بد للتصديق من مقارنة العمل ولا بد لتحقيق التصديق من صدق المعاملة فمن وقع في التمني المجرد فقد اشتهى جريان السفينة في البر.

كر همه علم عالمت باشد   بى عمل مدعى وكذابى

حفظنا الله وإياكم من ترك المحافظة على الشرائع والأحكام وشرفنا بمراعاة الحدود والآداب في كل فعل وكلام إنه ميسر كل مراد ومرام.

﴿والله خلقكم من تراب﴾ دليل آخر على صحة البعث والنشور أي: خلقكم ابتداء من التراب في ضمن خلق آدم خلقاً إجمالياً لتكونوا متواضعين كالتراب. وفي الحديث «إن الله جعل الأرض ذلولاً تمشون في مناكبها وخلق بني آدم من التراب ليذلهم بذلك فأبوا إلا نخوة واستكباراً ولن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر». وقال بعضهم من تراب تقبرون وتدفنون فيه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنكم أبعد شيء من المخلوقات إلى الحضرة لأن التراب أسفل المخلوقات وكثيفها فإن فوقه ماء وهو ألطف منه وفوق الماء هواء وهو ألطف منه وفوق الهواء أثير وهو ألطف من الهواء وفوق الأثير السماء وهي ألطف من الأثير ولكن لا تشبه

لطافة السماء بلطافة ما تحتها من العناصر لأن لطافة العناصر من لطافة الأجسام ولطافة السموات من لطافة الأجرام. فالفرق بينهما أن لطافة الأجسام تقبل الخرق والالتئام ولطافة السموات لا تقبل الخرق والالتئام وفوق كل سماء سماء هي ألطف منها إلى الكرسي وهو ألطف من السموات وفوقه العرش وهو ألطف من الكرسي وفوقه عالم الأرواح وهو ألطف من العرش ولكن لا تشبه لطافة الأرواح بلطافة العرش والسموات لأنها لطافة الأجرام فالفرق بينهما أن لطافة الأجرام قابلة للجهات الست ولطافة الأرواح غير قابلة للجهات وفوق الأرواح هو الله القاهر فوق عباده وهو ألطف من الأرواح ولكن لطافته لا تشبه لطافة الأرواح لأن لطافة الأرواح نورانية علوية محيطة بما دونها إحاطة العلم بالمعلوم والله تعالى فوق كل شيء وهو منزه عن هذه الأوصاف ليس كمثله شيء وهو السميع البصير العليم ﴿ثم من نطفة﴾ النطفة هي الماء الصافي الخارج من بين الصلب والترائب قل أو كثر أي: ثم خلقكم من نطفة خلقاً تفصيلياً لتكونوا قابلين لكل كمال كالماء الذي هو سر الحياة ومبدأ العناصر الأربعة. وقال بعضهم: خلقكم من تراب يعني آدم وهو أصل الخلق ثم من نطفة ذرية منه التناسل والتوالد.

وفي «التأويلات»: يشير إلى أنه خلقكم من أسفل المخلوقات وهي النطفة لأن التراب نزل دركة المركبية ثم دركة النباتية ثم دركة الحيوانية ثم دركة الإنسانية ثم دركة النطفة فهي أسفل سافلي المخلوقات وهي آخر خلق خلقه الله تعالى من أصناف المخلوقات كما أن أعلى الشجرة آخر شيء يخلقه الله هو البذر الذي يصلح أن توجد منه الشجرة فالبذر آخر صنف خلق من أصناف أجزاء الشجرة ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ أصنافاً أحمر وأبيض وأسود أو ذكراناً وإناثاً. وعن قتادة جعل بعضكم زوجاً لبعض.

وفي «التأويلات»: يشير إلى ازدواج الروح والقالب فالروح من أعلى مراتب القرب والقالب من أسفل دركات البعد فبكمال القدرة والحكمة جمع بين أقرب الأقربين وأبعد الأبعدين ورتب للقالب في ظاهره الحواس الخمس وفي باطنه القوى البشرية ورتب للروح المدركات الروحانية ليكون بالروح والقالب مدركاً لعوالم الغيب والشهادة كلها وعالماً بما فيها خلافة عن حضرة الربوبية عالم الغيب والشهادة:

آدمـي شـاه وكـائـنـات سـپـا مـظـهـر كـل خـلـيـفـة الله

﴿وما﴾ نافية ﴿تحمل﴾ [برنكيرد يعني ازفرزند] ﴿من أنثى﴾ [هيچ زنى] من مزيدة لاستغراق النفي وتأكيده والأنثى خلاف الذكر ويقالان في الأصل اعتباراً بالفرجين كما في «المفردات» ﴿ولا تضع﴾ [وننهد آنچه درشكم اوست يعني نزايد] ﴿إلا﴾ حال كونها ملتبسة ﴿بعلمه﴾ تابعة لمشيئته. قال في «بحر العلوم»: بعلمه في موضع الحال والمعنى ما يحدث شيء من حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم مكان الحمل ووضعه وأيامه وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة وغير ذلك ﴿وما يعمر من معمر﴾ ما نافية [والتعمير: عمر دادن] والمعمر من أطيل عمره ويقال للمعمر ابن الليالي. وقوله من معمر أي: من أحد ومن زائدة لتأكيد النفي كما في من أنثى وإنما سمي معمراً باعتبار مصيره يعني هو من باب تسمية الشيء بما يأول إليه والمعنى وما يمد في عمر أحد وما يطول وبالفارسية: [وزندكانى داده نشود هيچ درازى عمرى] ﴿ولا ينقص من عمره﴾ العمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأه من عمره بجزم الميم وهما لغتان مثل نكر ونكر

والضمير راجع إلى المعمر والنقصان من عمر المعمر محال فهو من التسامح في العبارة ثقة بفهم السامع فيراد من ضمير المعمر ما من شأنه أن يعمر على الاستخدام والمعنى ولا ينقص من عمر أحد لكن لا على معنى لا ينقص من عمره بعد كونه زائداً بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصاً وبالفارسية: [وكم كرده نشود از عمر معمرى ديكر يعني كه يعمر معمر اول نرسد] ﴿إلا في كتاب﴾ أي: اللوح أو علم الله أو صحيفة كل إنسان ﴿إن ذلك﴾ المذكور من الخلق وما بعده مع كونه محاراً للعقول والأفهام ﴿على الله يسير﴾ لاستغنائه على الأسباب فكذلك البعث. وفي «بحر العلوم»: إن ذلك إشارة إلى أن الزيادة والنقص على الله يسير لا يمنعه منه مانع ولا يحتاج فيه إلى أحد.

واعلم أن الزيادة والنقصان في الآية بالنسبة إلى عمرين كما عرفت وإلا فمذهب أكثر المتكلمين وعليه الجمهور أن العمر يعني عمر شخص واحد لا يزيد ولا ينقص. وقيل: الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكتب فيه إن حج فلان فعمره ستون وإلا فأربعون فإذا حج فقد بلغ الستين وقد عمر وإذا لم يحج فلا يجاوز الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون وكذا إن تصدق أو وصل الرحم فعمره ثمانون وإلا فخمسون وإليه أشار عليه السلام بقوله: «الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار» وفي الحديث «إن المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاثة أيام فينسئه الله إلى ثلاثين سنة وإنه ليقطع الرحم وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيرده الله إلى ثلاثة أيام» وفي الحديث «بر الوالدين يزيد في العمر والكذب ينقص الرزق والدعاء يرد القضاء».

قال بعض الكبار: لم يختلف أحد من علماء الإسلام في أن حكم القضاء والقدر شامل لكل شيء ومنسحب على جميع الموجودات ولوازمها من الصفات والأفعال والأحوال وغير ذلك. فما الفرق بين ما نهى النبي عليه السلام عن الدعاء فيه كالأرزاق المقسومة والآجال المضروبة وبين ما حرّض عليه كطلب الإجارة من عذاب النار وعذاب القبر ونحو ذلك.

فاعلم أن المقدورات على ضربين: ضرب يختص بالكليات وضرب يختص بالجزئيات التفصيلية فالكليات المختصة بالإنسان قد أخبر عليه السلام أنها محصورة في أربعة أشياء وهي: العمر والرزق والأجل والسعادة أو الشقاوة وهي لا تقبل التغير فالدعاء فيها لا يفيد كصلة الرحم إلا بطريق الفرض يعني لو أمكن أن يبسط في الرزق ويؤخر في الأجل لكان ذلك بالصلة والصدقة فإن لهما تأثيراً عظيماً ومزاية على غيرهما ويجوز فرض المحال إذا تعلق بذلك الحكمة قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١] وأما الجزئيات ولوازمها التفصيلية فقد يكون ظهور بعضها وحصوله للإنسان متوقفاً على أسباب وشروط ربما كان الدعاء والكسب والسعي والعمل من جملتها بمعنى لم يقدّر حصوله بدون الشرط أو الشروط. وقال ابن الكمال: أما الذي يقتضيه النظر الدقيق فهو أن المعمر الذي قدر له العمر الطويل يجوز أن يبلغ حد ذلك العمر وأن لا يبلغه فيزيد عمره على الأول وينقص على الثاني ومع ذلك لا يلزم التغيير وذلك لأن المقدر لكل شخص إنما هو الأنفاس المعدودة لا الأيام المحدودة والأعوام المعدودة ولا خفاء في أن أيام ما قدر من الأنفاس تزيد وتنقص بالصحة والحضور والمرض والتعب فافهم هذا السر العجيب حتى ينكشف لك سر اختيار بعض الطوائف حبس النفس ويتضح وجه كون الصدقة والصلة سبباً لزيادة العمر انتهى. وقيل المراد

من النقص ما يمر من عمره وينقص فإنه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتي على آخره كما قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الله تعالى جعل لكل نسمة عمراً تنتهي إليه فإذا جرى عليه الليل والنهار نقص من عمره بالضرورة وقد قيل: نقصان العمر صرفه إلى غير مرضاة الله تعالى قال الحافظ قدس سره:

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

وقال:

اوقات خوش آن بودكه بادوست بسر رفت

باقي همه بى حاصلي وبي خبري بود

وقال المولى الجامي قدس سره:

هردم از عمر كرامي هست كنج بى بدل ميرود كنج چنين هر لحظه برباد آه آه

وقال الشيخ سعدي قدس سره:

هردم از عمر ميرود نفسي چون نكه ميكنم نمانده بسى

عمر برفست وآفتاب تموز اندكى ماندو خواجه غره هنوز

أيقظنا الله وإياكم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾.

﴿وما يستوي البحران﴾ أصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير ويقال للمتوسع في العلم بحر. وفي «القاموس» البحر الماء الكثير عذباً أو ملحاً. وقال بعضهم: البحر في الأصل يقال للملح دون العذب فقوله: وما يستوي البحران الخ إنما سمي العذب بحراً لكونه مع الملح كما يقال للشمس والقمر قمران. قال في إخوان الصفا: فإن قيل ما البحار؟ يقال هي مستنقعات على وجه الأرض حاصرة للمياه المجتمعة فيها **﴿هذا﴾** البحر **﴿عذب﴾** طيب بالفارسية [شيرين] **﴿فرات﴾** بليغ عذوبته بحيث يكسر العطش. وقال في «تاج المصادر»: [الفروتة: خوش شدن آب] والنعت فعال ويقال للواحد والجمع **﴿سائغ شرابه﴾** سهل انحدار مائه في الحلق لعذوبته فإن العذب لكونه ملائماً للطمع تجذبه القوة الجاذبة لسهول. والسائغ بالفارسية [كوارنده] يقال ساغ الشراب سهل مدخله والشراب ما شرب والمراد هنا الماء **﴿وهذا﴾** البحر الآخر **﴿ملح﴾** [تلخست]. قال في «المفردات»: الملح الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد ويقال له ملح إذا تغير طعمه وإن لم يتجمد فيقال ماء ملح وقلما تقول العرب مالح ثم استعير من لفظ الملح الملاحة فقيل: رجل مليح **﴿أجاج﴾** شديد ملوحته بحيث يحرق بملوحته وهو نقيض الفرات. قال في «خريدة العجائب»: الحكمة في كون ماء البحر ملحاً أجاجاً لا يذاق ولا يساغ لئلا ينتن من تقادم الدهور والأزمان وعلى ممرّ الأحقاب والأحيان فيهلك من نتنه العالم الأرضي ولو كان عذباً لكان كذلك ألا ترى إلى العين التي بها ينظر الأنسان الأرض والسماء والعالم والألوان وهي شحمة مغمورة في الدمع وهو ماء مالح

والشحم لا يصان إلا بالملح فكان الدمع مالحاً لذلك المعنى انتهى. وأما الأنهار العظيمة العذبة فلجريانها دائماً لم يتغير طعمها ورائحتها فإن التغير إنما يحصل من الوقوف في مكان ﴿ومن كل﴾ أي: من كل واحد من البحرين المختلفين طعماً ﴿تأكلون﴾ أيها الناس ﴿لحماً طرياً﴾ غضاً جديداً من الطراء [والطراوة بالفارسية: ميخوريد كوشتى تازه يعني ماهى] وصف السمك بالطراوة وهي بالفارسية: [تازه شدن] لتسارع الفساد إليه فيسارع إلى أكله طرياً ومضى باقي النقل في سورة النحل ﴿وتستخرجون﴾ أي: من المالح خاصة ولم يقل منه لأنه معلوم ﴿حلية﴾ زينة أي: لؤلؤاً ومرجاناً. وفي «الأسئلة المقحمة» أراد بالحلية اللآلي واللآلي إنما تخرج من ملح أجاج لا من عذب فرات فكيف أضافها إلى البحرين والجواب قد قيل: إن اللآلي تخرج من عذب فرات وفي الملح عيون من ماء عذب ينعقد فيه اللؤلؤ والمرجان انتهى قال في «الخريدة»: اللؤلؤ يتكون في بحر الهند وفارس والمرجان ينبت في البحر كالشجر وإذا كلس المرجان عقد الزئبق فمنه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود وهو يقوي العين كحلاً وينشف رطوبتها ﴿تلبسونها﴾ أي: تلبس تلك الحلية نساؤكم ولما كان تزينهن بها لأجل الرجال فكأنها زينتهم ولباسهم ولذا أسند إليهم وفي الحديث «كلم الله البحرين فقال للبحر الذي بالشام يا بحر إني قد خلقتك وأكثرت فيك من الماء وإني حامل فيك عباداً لي يسبحونني ويحمدونني ويهللونني ويكبرونني فما أنت صانع بهم؟ قال: أغرقهم قال الله تعالى فإني أحملهم على ظهرك وأجعل بأسك في نواصيك» وقال للبحر الذي باليمن «إني قد خلقتك وأكثرت فيك الماء وإني حامل فيك عباداً يسبحونني ويحمدونني ويهللونني ويكبرونني فما أنت صانع بهم؟ قال: أسبحك وأحمدك وأهللك وأكبرك معهم وأحملهم على ظهري قال الله تعالى فإني أفضلك على البحر الآخر بالحلية والطري» كذا في «كشف الأسرار» ﴿وترى الفلك﴾ السفينة ﴿فيه﴾ أي: في كل منهما وأفراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لأن الخطاب لكل أحد يأتي منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط ﴿مواخر﴾ يقال سفينة ماخرة إذا جرت تشق الماء مع صوت والجمع المواخر كما في «المفردات» والمعنى شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لتبتغوا﴾ [تا طلب كنيد] واللام متعلق بمواخر ﴿من فضله﴾ أي: من فضل الله تعالى بالنقلة فيها. قال في «بحر العلوم» ابتغاء الفضل التجارة وهي أعظم أسباب سعة الرزق وزيادته قال عليه السلام: «تسعة أعشار رزق أمتي في البيع والشراء» ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي: ولتشكروا على ذلك الفضل وحرف الترجي للإيذان بكونه مرضياً عنده تعالى. وفي «بحر العلوم» وكي تعرفوا نعم الله فتقوموا بحقها سيما أنه جعل المهالك سبباً لوجود المنافع وحصول المعايش.

واعلم أن الله تعالى ذكر هذه الآية دلالة على قدرته وبياناً لنعمته. وقال بعضهم: ضرب البحر العذب والملح مثلاً للمؤمن والكافر فكما لا يستوي البحران في الطعم فكذا المؤمن والكافر [يكى ازحلاوت ايمان عين عذب عرفانست وديكر از مرارت عصيان بحر اجاج كفر وطغيان آن آب حيات آمد واين نقش سرابست اين عين خطا باشد وآن محض صوابست] فقوله: ومن كل الخ إما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع أو تفضيل للأجاج على الكافر من حيث إنه يشارك العذب في منافع كثيرة كالسمك وجري الفلك ونحوهما والكافر خلا من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ

ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٧٤] ورحم الله أبا الليث حيث قال في تفسيره ومن كل يظهر شيء من الصلاح يعني يلد الكافر المسلم مثل ما ولد الوليد بن المغيرة خالد بن الوليد وأبو جهل عكرمة بن أبي جهل. والإشارة بالبحر العذب إلى الروح وصفاته الحميدة ومشربه الواردات الربانية وبالملح إلى النفس وصفاتها الذميمة ومشربها الشهوات الحيوانية ولنا سفينتان الشريعة والطريقة فسفينة الشريعة تجري من بحر الروح إلى بحر النفس فيها أحمال الأوامر والنواهي وسفينة الطريقة تجري من بحر الروح إلى الحضرة فيها أحمال الأسرار والحقائق والمعاني والمقصود الوصول إلى الحضرة على قدمي الشريعة والطريقة. في «كشف الأسرار» [اين دودرياى مخلف يكى فرات ويكى أجاج. مثال دو درياست كه ميان بنده وخداست يكى درياى هلاك ديكر درياى نجات. دردرياى هلاك پنج كشتى روانست. يكى حرص. وديكر رياست. ديكر اصرار بر معاصى. چهارم غفلت پنجم قنوط. هركه دركشتى حرص نشيند بساحل حسرت رسد. هركه دركشتى قنوط نشيند بساحل كفر رسد. أما درياى نجات بساحل عطا رسد. هركه دركشتى زهد نشيند بساحل قربت رسد هركه دركشتى معرفت نشيند بساحل انس رسد. هركه دركشتى توحيد نشيند بساحل مشاهده رسد. پيرطريقت موعظتي بليغ كفته ياران ودوستان خودرا كفت أى عزيزان وبرادران هنكام آن آمد كه ازين درياى هلاك نجات جوييد واز ورطه فترت برخيزيد نعيم باقى باين سراى فانى نفروشيد نفس بخدمت بيكانه است بيكانه را مپروريد دل بى يقظت غول است تا بغول صحبت مداريد نفس بى آكاهى باداست باباد عمر مكذرانيد باسمى ورسمى ازحقيقت قانع مباشيد از مكر نهانى ايمن منشينيد ازكار خاتمه ونفس باز پسين همواره برحذر باشيد شيرين سخن ونيكو نظمى كه آن خوانمرد كفته است]:

اى دل ار عقبيت بايدچنك ازين دنيا بدار — پاك بازى پيشه كير وراه دين كن اختيار
پاى دردنيا نه وبردوز چشم نام وننك — دست در عقبى زن وبربندراه فخر وعار
چون زنان تاكى نشينى براميدرنك وبوى — همت اندر راه بند كامزن مردانه وار
چشم آن نادان كه عشق آوردبررنك صدف — والله آرديدش رسد هركز بدرشاهوار

قال بعض أهل المعرفة: ﴿وما يستوي البحران﴾ أي: الوقتان هذا بسط وصاحبه في روح وهذا قبض وصاحبه في نوح هذا فرق وصاحبه يوصف بالعبودية وهذا جمع وصاحبه في شهود الربوبية [بنده تادر قبض است خوابش چون خواب غرق شدكان خوردش چون خورد بيماران عيشش چون عيش زندانيان بسزاى نياز خويش مى زيد بخوارى وراه مى برد بزارى وبزبان تذلل مى كويد پرآب دوچشم وپرآتش جكرم پرباد دودستم وپرازخاك سرم چون زارى وخوارى بغايت رسد وتذلل وعجزى ظاهر كردد رب العزة تدارك دل وى كند دربسط وانبساط بردل وى كشايد وقت وى خوش كردد دلش با مولى پيوسته وسر باطلاع حق آراسته وبزبان شكر ميكويد الهى محنت من بودى دولت من شدى اندوه من بودى راحت من شدى داغ من بودى چراغ من شدي جراحت من بودى مرهم من شدى] نسأل الله الخلاص من البرازخ والقيود والوصول إلى الغاية القصوى من الوجدان والشهود إنه رحيم ودود.

﴿يولج الليل في النهار﴾ أي: يدخل الله الليل في النهار بإضافة بعض أجزاء الليل إلى النهار فينقص الأول ويزيد الثاني كما في فصلي الربيع والصيف ﴿ويولج النهار في الليل﴾

بإضافة بعض أجزاء النهار إلى الليل كما في فصلي الخريف والشتاء ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ [ورام كرد آفتاب وماه راه يعني مسخر فرمان خود ساخت]. وفي «بحر العلوم» معنى تسخير الشمس والقمر تصييرهما نافعين للناس حيث يعلمون بمسيرهما عدد السنين والحساب انتهى. يقول الفقير ومنه يعلم حكمة الإيلاج فإنه بحركة النيرين تختلف الأوقات وتظهر الفصول الأربعة التي تعلق بها المصالح والأمور المهمة. ثم قوله وسخر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد حيناً فحيناً وأما تسخير النيرين فلا تعدد فيه وإنما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير إليه بقوله تعالى: ﴿كل﴾ أي: كل واحد من الشمس والقمر ﴿يجري﴾ أي: بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جرياً مستمراً ﴿لأجل﴾ وقت ﴿مسمى﴾ معين قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيامة فحينئذٍ ينقطع جريهما. وقال بعضهم يجري إلى أقصى منازلهما في الغروب لأنهما يغربان كل ليلة في موضع ثم يرجعان إلى أدنى منازلهما فجريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما في فلكيهما. والأجل المسمى عبارة عن منتهى دوريتهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر فإذا كان آخر السنة ينتهي جري الشمس وإذا كان آخر الشهر ينتهي جري القمر. قال في «البحر»: والمعنى في التحقيق يجري لإدراك أجل على أن الجري مختص بإدراك أجل ﴿ذلكم﴾ مبتدأ إشارة إلى فاعل الأفاعيل المذكورة إشارة تجوّز فإن الأصل إلى الإشارة أن تكون حسية ويستحيل إحساسه تعالى وما فيه من معنى البعد للإيذان بغاية العظمة أي: ذلك العظيم الشأن الذي أبدع هذه الصنائع البديعة ﴿الله﴾ خبر ﴿ربكم﴾ خبر ثان ﴿له الملك﴾ خبر ثالث أي: هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية والمالكية لما في السموات والأرض فاعرفوه ووحدوه وأطيعوا أمره ﴿والذين تدعون﴾ [وآنانرا كه مى خوانيد ومى پرستيد] ﴿من دونه﴾ أي: حال كونكم متجاوزين الله وعبادته ﴿ما يملكون من قطمير﴾ هو القشرة البيضاء الرقيقة الملتفة على النواة كاللفافة لها وهو مثل في القلة والحقارة كالنقير الذي هو النكتة في ظهر النواة ومنه ينبت النخل والفتيل الذي في شق النواة على هيئة الخيط المفتول والمعنى لا يقدرون على أن ينفعوكم مقدار القطمير.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

﴿إن تدعوهم﴾ أي: الأصنام للإعانة وكشف الضر ﴿لا يسمعوا دعاءكم﴾ لأنهم جماد والجماد ليس من شأنه السماع ﴿ولو سمعوا﴾ على الفرض والتمثيل ﴿ما استجابوا لكم﴾ فإنهم لا لسان لهم أو ما أجابوكم لملتبسكم لعجزهم عن النفع بالكلية فإن من لا يملك نفع نفسه كيف يملك نفع غيره. قال الكاشفي يعني: [قادر نيستند بر إيصال منافع ودفع مكاره] ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ أي: يجحدون بإشراككم لهم وبعبادتكم إياهم بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون وإنما جيء بضمير العقلاء لأن عبدتهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلاً وغباوة ولأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولي العلم من الاستجابة والسمع ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأصنام فغلب غير الأصنام عليها كما في «بحر العلوم» ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ أي: لا يخبرك يا محمد بالأمر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الحق سبحانه فإنه الخبير

بكنه الأمور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الإلهية [صاحب لباب آورده كه اضافت مثل بخداى جائز نيست پس اين مثليست دركلام عرب شايع كشته واستعمال كنند دراخبار مخبرى كه سخن او في نفس الأمر معتمد عليه باشد]. قال الزروقي: الخبير هو العليم بدقائق الأمور التي لا يتوصل إليها غيره إلا بالاختيار والاحتيال. وقال الغزالي: هو الذي لا يعزب عنه الأخبار الباطنة ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تصطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها:

بر احوال نا بوده علمش بصير بر اسرار ناكفته لطفش خبير

وحظ العبد من ذلك أن يكون خبيراً بما يجري في بدنه وقلبه من الغش والخيانة والتطوف حول العاجلة وإضمار الشر وإظهار الخير والتحمل بإظهار الإخلاص والإفلاس عنه ولا يكون خبيراً بمثل هذه الخفايا إلا بإظهار التوحيد وإخفائه وتحقيقه والوصول إلى الله بالإعراض عن الشرك وما يكون متعلق العلاقة والميل.

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود ز هرچه رنك تعلق پذيرد آزادست

وذلك أن التعلق بما سوى الله تعالى لا يفيد شيئاً من الجلب والسلب فإنه كله مخلوق والمخلوق عاجز وليست القدرة الكاملة إلا لله تعالى فوجب توحيده والعبادة له والتعلق به. وخاصية الاسم الخبير حصول الإخبار بكل شيء فمن ذكره سبعة أيام أتته الروحانية بكل خبر يريده من أخبار السنة وأخبار الملوك وأخبار القلوب وغير ذلك كذا في «شمس المعارف» ومن كان في يد شخص يؤذيه فليكثر ذكره يصلح حاله كذا في «شرح الأسماء الحسنى» للشيخ الزروقي.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**﴾ الفقراء جمع فقير كالفقائر جمع فقيرة والفقير المكسور الفقار والفقر [پشت كسى شكستن] ذكره في «تاج المصادر» في باب ضرب وجعله في «القاموس» من حد كرم. وقال الراغب في «المفردات»: يقال افتقر فهو مفتقر وفقير ولا يكاد يقال فقر وإن كان القياس يقتضيه انتهى. وفهم من هذا أن الفقير صيغة مبالغة كالمفتقر بمعنى ذي الاحتياج الكثير والشديد والفقر وجود الحاجة الضرورية وفقد ما يحتاج إليه وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم فإنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وأن افتقار سائر الأخلاق بالنسبة إلى فقرهم بمنزلة العدم. والمعنى يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله تعالى بالاحتياج الكثير الشديد في أنفسكم وفيما يعرض لكم من أمر مهم أو خطب ملم فإن كل حادث مفتقر إلى خالقه ليبديه وينشئه أولاً ويديمه ويبقيه ثانياً ثم الإنسان محتاج إلى الرزق ونحوه من المنافع في الدنيا مع دفع المكاره والعوارض وإلى المغفرة ونحوها في العقبى فهو محتاج في ذاته وصفاته وأفعاله إلى كرم الله وفضله.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى ما شرّف شيئاً من المخلوقات بتشريف خطاب أنتم الفقراء إلى الله حتى الملائكة المقربين سوى الإنسان وذلك أن افتقار المخلوقات إلى أفعال الله

تعالى من حيث الخلق ونحوه وافتقار الإنسان إلى ذات الله وصفاته فجميع المخلوقات وإن كانت محتاجة إلى الله تعالى لكن الاحتياج الحقيقي إلى ذات الله وصفاته مختص بالإنسان من بينها كمثل سلطان له رعية وهو صاحب جمال فيكون افتقار جميع رعاياه إلى خزائنه وممالكه ويكون افتقار عشاقه إلى عين ذاته وصفاته فيكون غنى كل مفتقر بما يفتقر إليه فغنى الرعية يكون بالمال والملك وغنى العاشق يكون بمعشوقه.

كـام عـاشـق دولـت ديـدار يـار قـصـد زاهـد جـنـت ونـقـش ونـكـار
هـرچـه جز عـشـق حـقـيـقـي شـدوبـال هـرچـه جز مـعـشـوق بـاقـي شـد خـيـال
هـسـت در وصـلـت غـنـا انـدر غـنـا هـسـت درفـرقـت غـم وفـقـر وعـنـا

ومن الكمالات الإنسانية الاحتياج إلى الاسم الأعظم من جميع وجوه الأسماء الإلهية بحسب مظهريته الكاملة وأما غيره من الموجودات فاحتياجهم إنما هو بقدر استعدادهم فهو احتياج بوجه دون وجه ولذا ورد «الفقر فخري وبه افتخر» وهذا صحيح بمعناه وإن اختلف في لفظه كما قال عليه السلام: «اللهم أغنني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك». قال في «كشف الأسرار» [صحابه را فقرا نام نهاد] حيث قال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨] وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] [وآن تـلـبـيـس تـوانـكـرى حـال ايشانست تاكس توانكرىء ايشان نداندااين چنانست كه كفته اند]:

ارسـلانـم خـوان تـاكـس بـه نـدانـدكـه كـه ام

[پيران طريقت كفته اند بناى دوستى برتلبيس نهاده اند سليمانرا نام ملكى تلبيس فقر بود آدم را نام عصيان تلبيس صفوت بود إبراهيم را التباس نعمت تلبيس خلت بود زيراكه شرط محبت غير نست ودوستان حال خود بهركس ننمايند كسى كه ازكون ذره ندارد وبكونين نظرى ندارد وهمواره نظر الله پيش چشم خود دارد اورا فقير كويند از همه درويش است وبحق توانكر «إنما الغنى غنى القلب» توانكرى درسينه مى بايدنه درخزينه فقير اوست كه خودرادر دوجهان جز ازحق دست آوزنكند ونظر خود ندارد جهار تكبير برذات وصفات خود كند جنانكه آن جوانمرد كفت]:

نيست عشق لا يزالى را دران دل هيچ كار كاو هنوزاندر صفات خويش مانداست استوار
هركه در ميدان عشق نيكوان نامى نهاد چار تكبيرى كند برذات او ليل ونهار

﴿والله هو﴾ وحده ﴿الغنيّ﴾ المستغني على الإطلاق فكل أحد يحتاج إليه لأن أحداً لا يقدر أن يصلح أمره إلا بالأعوان لأن الأمير ما لم يكن له خدم وأعوان لا يقدر على الأمارة وكذا التاجر يحتاج إلى المكارين والله الغنيّ عن الأعوان وغيرها. وفي «الأسئلة المقحمة» معناه الغنيّ عن خلقه فلو لم يخلقهم لجاز ولو أدام حياتهم لابتلاهم كلفهم أو لم يكلفهم فالكل عنده بمثابة واحدة لأنه غني عنهم خلافاً للمعتزلة حيث قالوا: لو لم يكلفهم معرفته وشكره لم يكن حكيماً وهذا غاية الخزي ويفضي إلى القول بأن خلقهم لنفع أو دفع وهو قول المجوس بعينه حيث زعموا وقالوا: خلق الله الملائكة ليدفع بهم عن نفسه أذى الشيطان انتهى ﴿الحميد﴾ المنعم على جميع الموجودات حتى استحق عليهم الحمد على نعمته العامة وفضله الشامل فالله الغنيّ المغني. قال الكاشفي: [ببايد دانست كه ماهيات ممكنه در وجود محتاجند بفاعل ﴿وأنتم الفقراء﴾ إشارة با آنست وحق سبحانه وتعالى بحسب كمال ذاتي خود ازوجود عالم

وعالميان مستغنيست ﴿والله هو الغنيّ﴾ عبارت ازآنست وچون ظهور كمال اسمانى موقوفست بروجود اعيان ممكنات پس درايجاد آن كه نعمتيست كبرى مستحق حمداست وثنا كلمة ﴿الحميد﴾ بدان ايمايى مينمايد وازين رباعى پى بدين معنى توان برد]:

تاخود كردد بجمله اوصاف عيان   واجب باشدكه ممكن آيد بميان
ورنه بكمال ذاتي از آدميان   فردست وغنى چنانكه خود كردبيان

﴿إن يشأ﴾ أي: الله تعالى ﴿يذهبكم﴾ عن وجه الأرض ويعدمكم كما قدر على إيجادكم وبقائكم ﴿ويأت﴾ [وبيارد] ﴿بخلق﴾ مخلوق ﴿جديد﴾ مكانكم وبدلكم ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة فيكون الخلق الجديد من جنسهم وهو الآدمي أو يأتي بعالم آخر غير ما تعرفونه يعني: [يا كروهى بياردكس نديده ونشنيده بود] فيكون من غير جنسهم وعلى كلا التقديرين فيه إظهار الغضب للناس الناسين وتخويف لهم على سرفهم ومعاصيهم وفيه إيضاً من طريق الإشارة تهديد لمدعي محبته وطلبه أي: إن لم تطلبوه حق الطلب يفنكم ويأت بخلق جديد في المحبة والطلب.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾

﴿وما ذلك﴾ أي: ما ذكر من الإذهاب بهم والإتيان بآخرين ﴿على الله﴾ متعلق بقوله: ﴿بعزيز﴾ بمتعذر ولا صعب ومتعسر بل هو هين عليه يسير لشمول قدرته على كل مقدور ولذلك يقدر على الشيء وضده فإذا قال لشيء كن كان من غير توقف ولا امتناع وقد أهلك القرون الماضية واستخلف الآخرين إلى أن جاء نوبة قريش فناداهم بقوله يا أيها الناس وبين أنهم محتاجون إليه احتياجاً كلياً وهو غني عنهم وعن عبادتهم ومع ذلك دعاهم إلى ما فيه سعادتهم وفوزهم وهو الإيمان والطاعة وهم مع احتياجهم لا يجيبونه فاستحقوا الهلاك ولم يبق إلا المشيئة ثم إنه تعالى شاء هلاكهم لإصرارهم فهلك بعضهم في بدر وبعضهم في غيره من المعارك وخلق مكانهم من يطيعونه تعالى فيما أمرهم به ونهاهم عنه ويستحقون بذلك فضله ورحمته واستمر الإفناء والإيجاد إلى يومنا هذا لكن لا على الاستعجال بل على الإمهال فإنه تعالى صبور لا يؤاخذ العصاة على العجلة ويؤخر العقوبة ليرجع التائب ويقلع المصر. ففي الآية وعظ وزجر لجميع الأصناف من الملوك ومن دونهم فمن أهمل أمر الجهاد لم يجد المهرب من بطش رب العباد ومن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جعل نفسه عرضة للهلاك والخطر وعلى هذا فقس. فينبغي للعاقل المكلف أن يعبد الله ويخافه ولا يجترىء على ما يخالف رضاه ولا يكون أسوأ من الجمادات مع أن الإنسان أشرف المخلوقات. قال جعفر الطيار رضي الله عنه: كنت مع النبي عليه السلام وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام: «بلّغ منّي السلام إلى هذا الجبل وقل له يسقيك إن كان فيه ماء» قال: فذهبت إليه وقلت: السلام عليك أيها الجبل فقال الجبل بنطق: لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال: بلّغ سلامي إلى رسول الله وقل له منذ سمعت قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ

﴿ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] بكيت لخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار بحيث لم يبق فيّ ماء.

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقال وزر يزر من الثاني وزراً بالفتح والكسر ووزر يوزر من الرابع حمل. والوزر الإثم والثقل والوازرة صفة للنفس المحذوفة وكذا أخرى والمعنى لا تحمل نفس آثمة يوم القيامة إثم نفس أخرى بحيث تتعرى منه المحمول عنها بل إنما تحمل كل منهما وزرها الذي اكتسبته بخلاف الحال في الدنيا فإن الجبابرة يأخذون الولي بالولي والجار بالجار وأما في قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] من حمل المضلين أثقالهم وأثقالاً غير أثقالهم فهو حمل أثقال ضلالهم مع أثقال إضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم ألا يرى كيف كذبهم في قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ﴾ [العنكبوت: ١٢] ومنه يعلم وجه تحميل معاصي المظلومين يوم القيامة على الظالمين فإن المحمول في الحقيقة جزاء الظلم وإن كان يحصل في الظاهر تخفيف حمل المظلوم ولا يجري إلا في الذنب المتعدي كما ذكرناه في أواخر الأنعام. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى في خلق كل واحد من الخلق سراً مخصوصاً به وله مع كل واحد شأن آخر فكل مطالب بما حمل كما أن كل بذر ينبت بنبات قد أودع فيه ولا يطالب بنبات بذر آخر لأنه لا يحمل إلا ما حمل عليه كما في «التأويلات النجمية»، قال الشيخ سعدي:

رطب ناورد چوب خر زهره بار چه تخم افكنى بر همان چشم دار

﴿وإن تدع﴾ صيغة غائبة أي: ولو دعت، وبالفارسية: [واكر بخواند] ﴿مثقلة﴾ أي: نفس أثقلتها الأوزار والمفعول محذوف أي: أحداً. قال الراغب: الثقل والخفة متقابلان وكل ما يترجح عما يوزن به أو يقدّر به يقال هو ثقيل وأصله في الأجسام ثم يقال في المعاني أثقله الغرم والوزر انتهى. فالثقل الإثم سمي به لأنه يثقل صاحبه يوم القيامة ويثبطه عن الثواب في الدنيا ﴿إلى حملها﴾ الذي عليها من الذنوب ليحمل بعضها. قيل في الأثقال المحمولة في الظاهر كالشيء المحمول على الظهر حمل بالكسر وفي الأثقال المحمولة في الباطن كالولد في البطن حمل بالفتح كما في «المفردات» ﴿لا يحمل منه شيء﴾ لم تجب لحمل شيء منه ﴿ولو﴾ للوصل ﴿كان﴾ أي: المدعو المفهوم من الدعوة وترك ذكره ليشمل كل مدعو ﴿ذا قربى﴾ ذا قرابة من الداعي كالأب والأم والولد والأخ ونحو ذلك إذ لكل واحد منهم يومئذٍ شأن يغنيه وحمل يعجزه. ففي هذا دليل أنه تعالى لا يؤاخذ بالذنب إلا جانيه وأن الاستغاثة بالأقربين غير نافعة لغير المتقين عن ابن عباس رضي الله عنهما يلقى الأب والأم ابنه فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول: لا أستطيع حسبي ما عليّ وكذا يتعلق الرجل بزوجته فيقول لها: إني كنت لك زوجاً في الدنيا فيثني عليها خيراً فيقول قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترين فتقول ما أيسر ما طلبت ولكن لا أطيق إني أخاف مثل ما تخوفت:

هيچ رحمى نه برادر به برادر دارد هيچ خيرى نه پدر را به پسر مى آيد
دختر ازپهلوى مادر بكند قصد فرار دوستى از همه خويش بسرمى آيد

قال في «الإرشاد»: هذه الآية نفي للتحمل اختياراً والأولى نفي له إجباراً. والإشارة أن الطاعة نور والعصيان ظلمة فإذا اتصف جوهر الإنسان بصفة النور أو بصفة الظلمة لا تنقل تلك

الصفة من جوهره إلى جوهر إنسان آخر أياً ما كان ألا ترى أن كل أحد عند الصراط يمشي في نوره لا يتجاوز منه إلى غيره شيء وكذا من غيره إليه ﴿إنما تنذر﴾ يا محمد بهذه الإنذارات. والإنذار الإبلاغ مع التخويف ﴿الذين يخشون﴾ يخافون ﴿ربهم﴾ حال كونهم ﴿بالغيب﴾ غائبين عن عذابه وأحكام الآخرة أو عن الناس في خلواتهم يعني: [در خلوتها أثر خشيت برايشان ظاهرت نه در صحبتها] فهو حال من الفاعل أو حال كون ذلك العذاب غائباً عنهم فهو حال من المفعول ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أي: راعوها كما ينبغي وجعلوها مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً. قال في «كشف الأسرار» وغاير بين اللفظين لأن أوقات الخشية دائمة وأوقات الصلاة معينة منقضية. والمعنى إنما ينفع إنذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل التمرد والفساد وإن كنت نذيراً للخلق كلهم وخص الخشية والصلاة بالذكر لأنهما أصلا الأعمال الحسنة الظاهرية والباطنية. أما الصلاة فإنها عماد الدين. وأما الخشية فإنها شعار اليقين وإنما يخشى المرء بقدر علمه بالله كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] فقلب لم يكن عالماً خاشياً يكون ميتاً لا يؤثر فيه الإنذار كما قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] ومع هذا جعل تأثير الإنذار مشروطاً بشرط آخر وهو إقامة الصلاة وامارة خشية قلبه بالغيب محافظة الصلاة في الشهادة وفي الحديث «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿تزكى﴾ تطهر من أوضار الأوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الإنذارات وأصلح حاله بفعل الطاعات ﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لا يتدنس إلا عليها ويقال: من يعطي الزكاة فإنما ثوابه لنفسه ﴿وإلى الله المصير﴾ أي: الرجوع لا إلى غيره استقلالاً واشتراكاً فيجازيهم على تزكيهم أحسن الجزاء.

واعلم أن ثواب التزكي عن المعاصي هو الجنة ودرجاتها وثواب التزكي عن التعلق بما سوى الله تعالى هو جماله تعالى كما أشار إليه بقوله: ﴿وإلى الله المصير﴾ فمن رجع إلى الله بالاختيار لم يبق له بما دونه قرار، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نـدادنـد صـاحـب دلان دل بـپـوسـت وكـرابـلـهـى داد بـى مـغـز اوسـت

مـى صـرف وحـدت كـسـى نـوش كـرد كـه دنـيـى وعـقـبـى فـرامـوش كـرد

والأصل هو العناية. وعن إبراهيم المهلب السائح رضي الله عنه قال: بينا أنا أطوف وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول بحبك لي ألا رددت عليّ قلبي فقلت: يا جارية من أين تعلمين أنه يحبك قالت بالعناية القديمة جيش في طلبي الجيوش وأنفق الأموال حتى أخرجني من بلاد الشرك وأدخلني في التوحيد وعرفني نفسي بعد جهلي إياها فهل هذا يا إبراهيم إلا لعناية أو محبة؟ قلت: وكيف حبك له؟ قالت: أعظم شيء وأجله قلت: وكيف هو؟ قالت: هو أرق من الشراب وأحلى من الجلاب. وإنما تتولد معرفة الله من معرفة النفس بعد تزكيتها كما أشار إليه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ففي هذا أن الولد يكون أعظم في القدر من الوالد فافهم رحمك الله وإياي بعنايته.

﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ تمثيل للكافر والمؤمن فإن المؤمن من أبصر طريق الفوز والنجاة وسلكه بخلاف الكافر فكما لا يستوي الأعمى والبصير من حيث الحس الظاهري إذ لا بصر للأعمى كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن من حيث الإدراك الباطني ولا بصيرة للكافر بل الكافر أسوأ حالاً من الأعمى المدرك للحق إذ لا اعتبار بحاسة البصر لاشتراكها بين جميع

الحيوانات. وفيه إشارة إلى حال المحجوب والمكاشف فإن المحجوب أعمى عن مطالعة الحق فلا يستوي هو والمكاشف الذي كوشف له عن وجه السر المطلق. وقال الكاشفي: ﴿وما يستوي الأعمى﴾ [وبرابر نيست نابينا يعني كافر يا جاهل يا كمراه ﴿والبصير﴾ وبينا يعني مؤمن يا عالم ياراه يافته].

﴿ولا﴾ لتأكيد نفي الاستواء ﴿الظلمات﴾ جمع ظلمة وهي عدم النور ﴿ولا﴾ للتأكيد ﴿النور﴾ هو الضوء المنتشر المعين للأبصار تمثيل للباطل والحق. فالكافر في ظلمة الكفر والشرك والجهل والعصيان والبطلان لا يبصر اليمين من الشمال فلا يرجى له الخلاص من المهالك بحال. والمؤمن في نور التوحيد والإخلاص والعلم والطاعة والحقانية بيده الشموع والأنوار أينما سار. وجمع الظلمات مع أفراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق يعني أن الحق واحد وهو التوحيد فالموحد لا يعبد إلا الله تعالى وأما الباطل فطرقه كثيرة وهي وجوه الإشراك فمن عابد للكواكب ومن عابد للنار ومن عابد للأصنام إلى غير ذلك فالظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي ذلك النور الواحد. وفيه إشارة إلى ظلمة النفس ونور الروح فإن المحجوب في ظلمة الغفلات المتضاعفة والمكاشف في نور الروح واليقظة.

﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ قدم الأعمى على البصير والظلمات على النور والظل على الحرور ليتطابق فواصل الآي وهو تمثيل للجنة والنار والثواب والعقاب والراحة والشدة. الظل بالفارسية [سايه]. قال الراغب: يقال لكل موضع لا تصل إليه الشمس ظل ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس ويعبر بالظل عن العز والمنعة وعن الرفاهية انتهى. والحرور: الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار وحر الشمس والحر الدائم والنار كما في «القاموس» فعول من الحر غلب على السموم وهي الريح الحارة التي تؤثر تأثير السم تكون غالباً بالنهار. والمعنى كما لا يستوي الظل والحرارة من حيث إن في الظل استراحة للنفس وفي الحرارة مشقة وألماً كذلك لا يستوي ما للمؤمن من الجنة التي فيها ظل وراحة وما للكافر من النار التي فيها حرارة شديدة. وفيه إشارة إلى أن البعد من الله تعالى كالحرور في إحراق الباطن والقرب منه كالظل في تفريح القلب.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وأوثرت صيغة الجمع في الطرفين تحقيقاً للتباين بين أفراد الفريقين والحي ما به القوة الحساسة والميت ما زال عنه ذلك وجه التمثيل أن المؤمن منتفع بحياته إذ ظاهره ذكر وباطنه فكر دون الكافر إذ ظاهره عاطل وباطنه باطل. وقال بعض العلماء: هو تمثيل للعلماء والجهال وتشبيه الجهلة بالأموات شائع ومنه قوله:

لا تعجبن الجهول خلته ... فإنه الميت ثوبه كفن

لأن الحياة المعتبرة هي حياة الأرواح والقلوب وذلك بالحكم والمعارف ولا عبرة بحياة الأجساد بدونها لاشتراك البهائم فيها.

قال بعض الكبار: الأحياء عند التحقيق هم الواصلون بالفناء التام إلى الحياة الحقيقية

وهم الذين ماتوا بالاختيار قبل أن يموتوا بالاضطرار ومعنى موتهم إفناء أفعالهم وصفاتهم وذواتهم في أفعال الحق وصفاته وذاته وإزالة وجودياتهم بالكلية طبيعة ونفساً وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «من أراد أن ينظر إلى ميت متحرك فلينظر إلى أبي بكر» فالحياة المعنوية لا يطرأ عليها الفناء بخلاف الحياة الصورية فإنها تزول بالموت فطوبى لأهل الحياة الباقية وللمقارنين بهم والآخذين عنهم. قال إبراهيم الهروي: كنت بمجلس أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال بعضهم: إن فلاناً أخذ العلم من فلان قال أبو يزيد المساكين أخذوا العلوم من الموتى ونحن أخذنا العلم من حي لا يموت وهو العلم اللدني الذي يحصل من طريق الإلهام بدون تطلب وتكلف، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نه مردم همين استخوانند وبوست نه هر صورتى جان ومعنى دروست
نه سلطان خريدار هربنده ايست نه در زير هر ژنده ايست

﴿إن الله يسمع﴾ كلامه إسماع فهم واتعاظ وذلك بإحياء القلب ﴿من يشاء﴾ أن يسمعه فينتفع بإنذارك ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ جمع قبر وهو مقر الميت وقبرته جعلته في القبر. وهذا الكلام ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات وإشباع في إقناطه عليه السلام من إيمانهم وترشيح الاستعارة اقترانها بما يلائم المستعار منه شبه الله تعالى من طبع على قلبه بالموتى في عدم القدرة على الإجابة فكما لا يسمع أصحاب القبور ولا يجيبون كذلك الكفار لا يسمعون ولا يقبلون الحق.

﴿إن﴾ ما ﴿أنت إلا نذير﴾ منذر بالنار والعقاب وأما الإسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى وقوله: ﴿إن الله يسمع﴾ الخ وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] وقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وغير ذلك لتمييز مقام الألوهية عن مقام النبوة كيلا يشتبها على الأمة فيضلوا عن سبيل الله كما ضل بعض الأمم السالفة فقال بعضهم عزيز ابن الله وقال بعضهم المسيح ابن الله وذلك من كمال رحمته لهذه الأمة وحسن توفيقه. يقول الفقير أيقظه الله القدير: إن قلت قد ثبت أنه عليه السلام أمر يوم بدر بطرح أجساد الكفار في القليب ثم ناداهم بأسمائهم وقال: «هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً» فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً الارواح فيها فقال عليه السلام: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً» فهذا الخبر يقتضي أن النبي عليه السلام أسمع من في القليب وهم موتى وأيضاً تلقين الميت بعد الدفن للإسماع وإلا فلا معنى له.

قلت: أما الأول فيحتمل أن الله تعالى أحيى أهل القليب حينئذٍ حتى سمعوا كلام رسول الله توبيخاً لهم وتصغيراً ونقمة وحسرة وإلا فالميت من حيث هو ميت ليس من شأنه السماع وقوله عليه السلام: «ما أنتم بأسمع» الخ يدل على أن الأرواح أسمع من الأجساد مع الأرواح لزوال حجاب الحس وانخراقه. وأما الثاني فإنما يسمعه الله أيضاً بعد إحيائه بمعنى أن يتعلق الروح بالجسد تعلقاً شديداً بحيث يكون كما في الدنيا فقد أسمع الرسول عليه السلام وكذا الملقن بإسماع الله تعالى وخلق الحياة وإلا فليس من شأن أحد الإسماع كما أنه ليس من شأن الميت السماع والله أعلم. قال بعض العارفين: [أي محمد عليه السلام دل در بو جهل چه

بندى كه اونه ازان اصلت كه طينت خبيث وى نقش نكين تو پذيرد دل در سلمان بنده پيش ازانكه تو قدم درميدان بعثت نهادى چندين سال كرد عالم سر كردان در طلب تو مى كشت ونشان تو ميجست] ولسان الحال يقول:

كرفت خواهم من زلف عنبر ينت را زمشك نقش كنم برك ياسمينت را

بتيغ هندى دست مرا جدا نكند اكر بكيرم يك ره سر آستينت را

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ حال من المرسل بالكسر أي: حال كوننا محقين أو من المرسل بالفتح أي: حال كونك محقاً أو صفة لمصدر محذوف أي: إرسالاً مصحوباً بالحق وأرسلناك بالدين الحق الذي هو الإسلام أو بالقرآن ﴿بشيراً﴾ حال كونك بشيراً للمؤمنين بالجنة وبالفارسية: [مژده دهنده] ﴿ونذيراً﴾ منذراً للكافرين بالنار وبالفارسية: [بيم كننده] ﴿وإن من أمة﴾ أي: ما من أمة من الأمم السالفة وأهل عصر من الأعصار الماضية ﴿إلا خلا﴾ مضى. قال الراغب الخلاء المكان الذي لا ساتر فيه من بناء وساكن وغيرهما. والخلو يستعمل في الزمان والمكان لكن لما تصور في الزمان المضيّ فسر أهل اللغة قولهم خلا الزمان بقولهم مضى وذهب ﴿فيها﴾ أي: في تلك الأمة ﴿نذير﴾ [بيم وآكاه كننده] من نبي أو عالم ينذرهم والاكتفاء بالإنذار لأنه هو المقصود الأهم من البعثة. قال في «الكواشي»: وأما فترة عيسى فلم يزل فيها من هو على دينه وداع إلى الإيمان. وفي «كشف الأسرار» الآية تدل على أن كل وقت لا يخلو من حجة خبرية وأن أول الناس آدم وكان مبعوثاً إلى أولاده ثم لم يخل بعده زمان من صادق مبلغ عن الله أو آخر يقوم مقامه في البلاغ والأداء حين الفترة وقد قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] لا يؤمر ولا ينهى. فإن قيل كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ [يس: ٦]. قلت: معنى الآية ما من أمة من الأمم الماضية إلا وقد أرسلت إليهم رسولاً ينذرهم على كفرهم ويبشرهم على إيمانهم أي: سوى أمتك التي بعثناك إليهم يدل على ذلك قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] وقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦] وقيل: المراد ما من أمة هلكوا بعذاب الاستئصال إلا بعد أن أقيم عليهم الحجة بإرسال الرسول بالأعذار والإنذار انتهى ما في «كشف الأسرار» وهذا الثاني هو الأنسب بالتوفيق بين الآيتين يدل عليه ما بعده من قوله «وإن يكذبوك إلخ» وإلا فلا يخفى أن أهل الفترة ما جاءهم نذير على ما نطق به قوله تعالى: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦] ويدل أيضاً أن كل أمة أنذرت من الأمم ولم تقبل استؤصلت فكل أمة مكذبة معذبة بنوع من العذاب وتمام التوفيق بين الآيتين يأتي في يس.

﴿وإن يكذبوك﴾ [واكر معاندان قريش ترا دروغ زن دارند وبر تكذيب استمرار نمايند پس بايشان وبتكذيب آنان مبالات مكن] ﴿فقد كذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم العاتية أنبياءهم ﴿جاءتهم﴾ [آمدند بديشان] وهو وما بعده استئناف أو حال أي: كذب المتقدمون وقد جاءتهم ﴿رسلهم بالبينات﴾ أي: المعجزات الظاهرة الدالة على صدق دعواهم وصحت نبوتهم

﴿وبالزبر﴾ كصحف شيث وإدريس وإبراهيم عليهم السلام جمع زبور بمعنى المكتوب من زبرت الكتاب كتبته كتابة غليظة وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له زبور كما في «المفردات» ﴿وبالكتاب المنير﴾ أي: المظهر للحق الموضح لما يحتاج إليه من الأحكام والدلائل والمواعظ والأمثال والوعد والوعيد ونحوها كالتوراة والإنجيل والزبور على إرادة التفصيل دون الجمع أي: بعض هذه المذكورات جاءت بعض المكذبين وبعضها بعضهم لا أن الجميع جاءت كلاً منهم.

﴿ثم أخذت﴾ بأنواع العذاب ﴿الذين كفروا﴾ ثبتوا على الكفر وداوموا عليه وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعلية الأخذ ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: إنكاري بالعقوبة وتعييري عليهم وبالفارسية: [پس چكونه بود انكار من برايشان بعذاب وعقاب]. قال في «كشف الأسرار»: [پيداكردن نشان ناخوشنودى چون بود حال كردانيدن من چون ديدى]. قال ابن الشيخ الاستفهام للتقرير فإنه عليه السلامﷺ علم شدة الله عليهم فحسن الاستفهام على هذا الوجه في مقابلة التسلية يحذر كفار هذه الأمة بمثل عذاب الأمم المكذبة المتقدمة والعاقل من وعظ بغيره:

نيك بخت آنكسى بود كه دلش ... آنچه نيكى دروست بپذيرد
ديكرانرا چو پند داده شود ... او ازان پند بهره بر كيرد

ويسلي أيضاً رسوله عليه السلام فإن التكذيب ليس ببدع من قريش فقد كان أكثر الأولين مكذبين وجه التسلي أنه عليه السلام كان يحزن عليهم وقد نهى الله عن الحزن بقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧] وذلك لأنهم كانوا غير مستعدين لما دعوا إليه من الإيمان والطاعة فتوقع ذلك منهم كتوقع الجوهرية من الحجر القاسي:

توان پاك كردن ژنك آينه ... وليكن نيايد زسنك آينه

مع أن الحزن للحق لا يضيع كما أن امرأة حاضت في الموقف فقالت: آه فرأت في المنام كأن الله تعالى يقول: أما سمعت أني لا أضيع أجر العاملين وقد أعطيتك بهذا الحزن أجر سبعين حجة. قال بعض الكبار لا يخفى أن أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين وعلى قدر ما يقاسيه منهم وكل من رد رسالة نبي ولم يؤمن بها أصلاً فإن لذلك النبي أجر المصيبة وللمصاب أجر على الله بعدد من رد رسالته من أمته بلغوا ما بلغوا وقس على هذا حال الولي الوارث الداعي إلى الله على بصيرة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ألم تر﴾ الاستفهام تقريري والرؤية قلبية أي: ألم تعلم يعني قد علمت يا محمد أو يا من يليق به الخطاب ﴿أن الله أنزل﴾ بقدرته وحكمته ﴿من السماء﴾ أي: من الجهة العلوية سماء أو سحاباً ﴿ماء﴾ مطراً ﴿فأخرجنا به﴾ أي: بذلك الماء. والالتفات من الغيبة إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بفعل الإخراج لما فيه من الصنع البديع المنبىء عن كمال القدرة والحكمة ولأن الرجوع إلى نون العظمة أهيب في العبارة. وقال الكاشفي: [عدول متكلم جهت تخصيص فعل است يعني ماتوانابيم كه بيرون آريم بدان آب] ﴿ثمرات﴾ جمع ثمرة وهي اسم

لكل ما يطعم من أحمال الشجر ﴿مختلفاً ألوانها﴾ وصف سببي للثمرات أي: أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها أو أصنافها على أن كلاً منها ذو أصناف مختلفة كالعنب فإن أصنافه تزيد على خمسين وكالتمر فإن أصنافه تزيد على مائة أو هيئاتها من الصفرة والحمرة والخضرة والبياض والسواد وغيرها ﴿ومن الجبال جدد﴾ مبتدأ وخبر. والجدد جمع جدة بالضم بمعنى الطريقة التي يخالف لونها ما يليها سواء كانت في الجبل أو في غيره والخطة في ظهر الحمار تخالف لونه وقد تكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه. ولما لم يصح الحكم على نفس الجدد بأنها من الجبال احتيج إلى تقدير المضاف في المبتدأ أي: ومن الجبال ما هو ذو جدد أي: خطط وطرائق متلونة يخالف لونها لون الجبل فيؤول المعنى إلى أن من الجبال ما هو مختلف ألوانه لأن بيض صفة جدد وحمر عطف على بيض فتلا عليه السلام القرائن الثلاث فإن ما قبلها فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها وما بعدها ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه أي: منهم بعض مختلف ألوانه فلا بد في القرينة المتوسطة بينهما من ارتكاب الحذف ليؤول المعنى إلى ما ذكر فيحصل تناسب القرائن. وفي «المفردات» أي: طرائق ظاهرة من قولهم طريق مجدود أي: مسلوك مقطوع ومنه جادة الطريق. وفي «الجلالين» الطرائق تكون في الجبال كالعروق ﴿بيض﴾ جمع أبيض صفة جدد ﴿وحمر﴾ جمع أحمر. وفي»كشف الأسرار»: [واز كوهها راهها بيدا شده از روندكان خطها سپيد وخطها سرخ در كوههاى سپيد وكوههاى سرخ] حمل صاحب «كشف الأسرار» الجدد على الطرائق المسلوكة والظاهر هو الأول لأن المقام لبيان ما هو خلقي على أن كون الطريقة بيضاء لا يستلزم كون الجبال كذلك إذ للجبال عروق لونها يخالف لونها وكذا العكس وهو أن كون الجبل أبيض لا يقتضي كون الطريقة كذلك فمن موافق ومن مخالف ﴿مختلف ألوانها﴾ أي: ألوان تلك الجدد إلا أن قوله مختلف ألوانها صفة لكل واحدة من الجدد البيض والحمر بمعنى أن بياض كل واحدة من الجدد البيض وكذا حمرة الجدد الحمر يتفاوتان بالشدة والضعف. فقوله: ﴿بيض وحمر﴾ وإن كان صفة لجدد فرب أبيض أشد بياضاً من أبيض آخر وكذا رب أحمر أشد حمرة من أحمر آخر فنفس البياض مختلف وكذا نفس الحمرة فلذلك جمع لفظ ألوان مضافاً إلى ضمير كل واحد من البيض والحمر فيكون كل واحد منهما من قبيل الكلي المشكك. ويحتمل أن يكون قوله مختلف ألوانها صفة ثالثة لجدد فيكون ضمير ألوانها للجدد فيكون تأكيداً لقوله ﴿بيض وحمر﴾ ويكون اختلاف ألوان الجدد بأن يكون بعضها أبيض وبعضها أحمر فتكون الجدد كلها على لونين بياض وحمرة إلا أنه عبر عن اللونين بالألوان لتكثير كل واحد منهما باعتبار محاله كذا في «حواشي ابن الشيخ».

يقول الفقير: من شاهد جبال ديار العرب في طريق الحج وغيرها وجد هذه الأقسام كلها فإنها وجددها مختلفة متلونة ﴿وغرابيب سود﴾ عطف على بيض فيكون من تفاصيل الجدد والصفات القائمة بها كالبيض والحمر كأنه قيل ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود غرابيب. وإنما وسط الاختلاف لأنه علم من الوصف بالغرابيب أنه ليس في الأسود اختلاف اللون بالشدة والضعف. ويجوز أن يكون غرابيب عطفاً على جدد فلا يكون داخلاً في تفاصيل الجدد بل يكون قسيمها كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد وهو السواد. فالغرض من الآية إما بيان اختلاف ألوان طرائق الجبال كاختلاف ألوان الثمرات فترى

الطرائق الجبلية من البعيد منها بيض ومنها حمر ومنها سود وإما بيان اختلاف ألوان الجبال نفسها وكل منها أثر دال على القدرة الكاملة كذا في «حواشي ابن الشيخ». والغرابيب جمع غربيب كعفريت يقال: أسود غربيب أي شديد السواد الذي يشبه لون الغراب وكذا يقال: أسود حالك كما يقال: أصفر فاقع وأبيض يقق محركة وأحمر قان لخالص الصفرة وشديد البياض والحمرة وفي الحديث «إن الله يبغض الشيخ الغربيب» يعني الذي يخضب بالسواد كما في «تفسير القرطبي» والذي لا يشيب كما في «المقاصد الحسنة» والسود جمع أسود. فإن قلت إذا كان الغربيب تأكيداً للأسود كالفاقع مثلاً للأصفر ينبغي أن يقال وسود غرابيب بتقديم السود إذ من حق التأكيد أن يتبع المؤكد ولا يتقدم عليه. قلت: الغرابيب تأكيد لمضمر يفسره ما بعده والتقدير سود غرابيب سود فالتأكيد إذاً متأخر عن المؤكد وفي الإضمار ثم الإظهار مزيد تأكيد لما فيه من التكرار وهذا أصوب من كون السود بدلاً من الغرابيب كما ذهب إليه الأكثر حتى صاحب «القاموس» كما قال وأما غرابيب سود بدل لأن تأكيد الألوان لا يتقدم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ومن الناس﴾ [واز آدميان] ﴿والدواب﴾ [واز چهار پايان] جمع دابة وهي ما يدب على الأرض من الحيوان وغلب على ما يركب من الخيل والبغال والحمير ويقع على المذكر ﴿والأنعام﴾ [واز چرند كان] جمع نعم محركة وقد يسكن عينه الإبل والبقر والضأن والمعز دون غيرها فالخيل والبغال والحمير خارجة عن الأنعام والمعنى ومنهم بعض ﴿مختلف ألوانه﴾ أو وبعضهم مختلف ألوانه بأن يكون أبيض وأحمر وأسود ولم يقل هنا ألوانها لأن الضمير يعود إلى البعض الدال عليه من ﴿كذلك﴾ تم الكلام هنا وهو مصدر تشبيهي لقوله مختلف أي: صفة لمصدر مؤكد تقديره مختلف اختلافاً كائناً كذلك أي: كاختلاف الثمار والجبال ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ يعني [هركه نداند قدرت خدايرا بر آفريدن اشيا وعالم نبود بتحويل هر چيزى از حالى بحالى چكونه از خداى تعالى ترسد ﴿إنما يخشى الله﴾] الخ. وفي «الإرشاد» وهو تكملة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨] بتعيين من يخشاه من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم أما في الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما في الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منها حقها اللائق بها من البيان أي: إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه كما قال عليه السلام: «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له» ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل عن هذه المعرفة امتنع إنذارهم بالكلية انتهى. وتقديم المخشي وهو المفعول للاختصاص وحصر الفاعلية أي: لا يخشى الله من بين عباده إلا العلماء ولو أخر لانعكس الأمر وصار المعنى لا يخشون إلا الله وبينهما تغاير ففي الأول بيان أن الخاشعين هم العلماء دون غيرهم وفي الثاني بيان أن المخشي منه هو الله دون غيره. وقرأ أبو حنيفة وعمر بن عبد العزيز وابن سيرين برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية استعارة للتعظيم فإن المعظم يكون مهيباً فالمعنى إنما يعظمهم الله من بين جميع عباده كما يعظم

المهيب المخشي من الرجال بين الناس وهذه القراءة وإن كانت شاذة لكنها مفيدة جداً وجعل عبد الله بن عمر الخشية بمعنى الاختيار أي: إنما يختار الله من بين عباده العلماء ﴿إن الله عزيز﴾ [غالبست در انتقام كشيدن از كسى كه نترسد از عقوبت او] ﴿غفور﴾ للخاشعين وهو تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب من عصيانه ومن حق من هذه صفته أن يخشى. قيل الخشية تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل يكون تارة بكثرة الجناية من العبد وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته وخشية الأنبياء من هذا القبيل. فعلى المؤمن أن يجتهد في تحصيل العلم بالله حتى يكون أخشى الناس فبقدر مراتب العلم تكون مراتب الخوف والخشية.

ـ روي ـ عن النبي ﷺ أنه سئل يا رسول الله أينا أعلم؟ قال: «أخشاكم لله سبحانه وتعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء» قالوا: يا رسول الله فأي الأصحاب أفضل؟ قال: «من إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك» قالوا: فأي الأصحاب شر؟ قال: «الذي إذا ذكرت لم يعنك وإذا نسيت لم يذكرك» قالوا: فأي الناس شر؟ قال: «اللهم اغفر للعلماء العالم إذا فسد فسد الناس» كذا في «تفسير أبي الليث»:

علم جندانكه بيشتر خوانى چون عمل در تونيست نادانى

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا عالمين ومحققين وفي الخوف والخشية صادقين ومحققين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ أي: يداومون على تلاوة القرآن ويعملون بما فيه إذ لا تنفع التلاوة بدون العمل والتلاوة القراءة أعم متتابعة كالدراسة والأوراد الموظفة والقراءة منها لكن التهجي وتعليم الصبيان لا يعد قراءة ولذا قالوا: لا يكره التهجي للجنب والحائض والنفساء بالقرآن لأنه لا يعد قارئاً وكذا لا يكره لهم التعليم للصبيان وغيرهم حرفاً حرفاً وكلمة كلمة مع القطع بين كل كلمتين ﴿وأقاموا الصلاة﴾ بآدابها وشرائطها وغاير بين المستقبل والماضي لأن أوقات التلاوة أعم بخلاف أوقات الصلاة وكذا أوقات الزكاة المدلول عليها بقوله: ﴿وأنفقوا﴾ في وجوه البر يعني: [ازدست بيرون كنند درويشانرا] ﴿مما رزقناهم﴾ أعطيناهم يعني: [از آنچه روزى داده ايم ايشانرا ﴿سراً وعلانية﴾] وهي ضد السر وأكثر ما يقال ذلك في المعاني دون الأعيان يقال أعلنته فعلن أي: في السر والعلانية أو إنفاق سر وعلانية أو ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين كيفما اتفق من غير قصد إليهما. وقال الكاشفي: ﴿سراً﴾ [پنهان از خوف آنكه بريا آميخته نكردد ﴿وعلانية﴾ واشكار بطمع آنكه سبب رغبت ديكران كردد بتصدق] فالأولى هي المسنونة والثانية هي المفروضة وفيهما إشارة إلى علم الباطن والظاهر وفيه بعث للمنفق على الصدقة في سبيل الله في عموم الأوقات والأحوال ﴿يرجون﴾ خبر إن ﴿تجارة﴾ تحصيل ثواب بالطاعة والتاجر الذي يبيع ويشتري وعمله التجارة وهي التصرف في رأس المال طالباً للربح قيل: وليس في كلامهم تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة وأما تجاه فأصله وجاه وتجوب فالتاء فيه للمضارعة ﴿لن تبور﴾ البوار فرط الكساد والوصف بائر. ولما كان فرط

الكساد يؤدي إلى الفساد عبر بالبوار عن الهلاك مطلقاً ومن الهلاك المعنوي ما في قولهم خذوا الطريق ولو دارت وتزوجوا البكر ولو بارت واسكنوا المدن ولو جارت. والمعنى لن تكسد ولن تهلك مطلقاً بالخسران أصلاً وبالفارسية: [فاسد نبود وزيان بدان نرسيد بلكه در روز قيامت متاع اعمال ايشان رواجي تمام يابد]. قال في «الإرشاد» قوله: ﴿لن تبور﴾ صفة للتجارة جيء بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لأنه اشتراء باق بفان والإخبار برجائهم من أكرم الأكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم.

﴿ليوفيهم أجورهم﴾ [التوفية: تمام بدادن] والأجر ثواب العمل وهو متعلق بلن تبور على معنى أنه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بحسب أعمالهم وخلوص نياتهم أجور أعمالهم من التلاوة والإقامة والإنفاق فلا وقف على لن تبور ﴿ويزيدهم﴾ [وزياده كند بر ثواب ايشانرا] ﴿من فضله﴾ أي: جوده وتفضله وخزائن رحمته ما يشاء مما لم يخطر ببالهم عند العمل ولم يستحقوا له بل هو كرم محض ومن فضله يوم القيامة نصبهم في مقام الشفاعة ليشفعوا فيمن وجبت لهم النار من الأقرباء وغيرهم ﴿إنه غفور﴾ تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أي: غفور لفرطاتهم. وفي «بحر العلوم» ستار لكل ما صدر عنهم مما من شأنه أن يستر محاه له عن قلوبهم وعن ديوان الحفظة ﴿شكور﴾ لطاعاتهم أي: مجازيهم عليها ومثيب.

وفي «التأويلات النجمية»: غفور يغفر تقصيرهم في العبودية شكور يشكر سعيهم مع التقصير بفضل الربوبية. قال أبو الليث: الشكر على ثلاثة أوجه: الشكر ممن دونه يكون بالطاعة وترك مخالفته. والشكر ممن هو شكله يكون بالجزاء والمكافأة. والشكر ممن فوقه يكون رضى منه باليسير كما قال: بعضهم الشكور هو المجازي بالخير الكثير على العمل اليسير والمعطي بالعمل في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير مجذوذة ومن عرف أنه الشكور شكر نعمته وآثر طاعته وطلب رحمته وشهد منته. قال الغزالي رحمه الله: وأحسن وجوه الشكر لنعم الله أن لا يستعملها في معاصيه بل في طاعاته. وخاصة هذا الاسم إنه لو كتبه إحدى وأربعين مرة من به ضيق في النفس وتعب في البدن وثقل في الجسم وتمسح به وشرب منه برىء بإذن الله تعالى وإن تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد بركة ذلك.

﴿وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ وهو القرآن ومن للتبيين أو للجنس أو للتبعيض ﴿هو الحق﴾ الصدق لا كذب فيه ولا شك ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ أي: حال كونه موافقاً لما قبله من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء في العقائد وأصول الأحكام وهو حال مؤكدة أي: أحقه مصدقاً لأن حقيته لا تنفك عن هذا التصديق ﴿إن الله بعباده﴾ متعلق بقوله: ﴿لخبير بصير﴾ وتقديمه عليه لمراعاة الفاصلة التي على حرف الراء أي: محيط ببواطن أمورهم وظواهرها فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب يعرف صدقها منه وتقديم الخبير للتنبيه على أن العمدة في ذلك العلم والإحاطة هي الأمور الروحانية.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إن الله بعباده﴾ من أهل السعادة وأهل الشقاوة ﴿لخبير﴾ لأنه خلقهم ﴿بصير﴾ بما يصدر منهم من الأخلاق والأعمال انتهى فقد أعلم الله تعالى حقية القرآن ووعد على تلاوته والعمل به الأجر الكثير ولا يحصل أجر التلاوة للأمي إذ لا تلاوة له بل للقارىء فلا بد من التعلم والاشتغال في جميع الأوقات، قال المولى الجامي:

چون زنفس وحديثش آيى تنك بكلام قديم كن آهنك
مصحفى جو چو شاهد مهوش بوسه زن دركنار خويشش كش
حرف او كن حواس جسماني وقف او كن قواى روحاني
دل بمعنى زبان بلفظ سپار چشم بر خط نه ونقط بكذار

وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور مطوقة بنور عند كل منبر ناقة من نوق الجنة ينادي منادٍ أين من حمل كتاب الله اجلسوا على هذه المنابر فلا روع عليكم ولا حزن حتى يفرغ الله مما بينه وبين العباد فإذا فرغ الله من حساب الخلق حملوا على تلك النوق إلى الجنة» وفي الحديث: «إن أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحرور والهدى يوم الضلالة فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمٰن وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان». ذكر في «القنية» أن الصلاة على النبي عليه السلام والدعاء والتسبيح أفضل من قراءة القرآن في الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها. فالمستحب بعد الفجر مثلاً ذكر الله تعالى كما هو عادة الصوفية إلى أن تطلع الشمس فإن هذا الوقت وإن جاز فيه قضاء الفوائت وسجدة التلاوة وصلاة الجنازة ولكن يكره التطوع فهو منهي عنه فيه وكذا المنذورة وركعتا الطواف وقضاء تطوع إذا أفسده لأنها ملحقة بالنفل إذ سبب وجوبها من جهته جعلنا الله وإياكم من المغتنمين بتلاوة كتابه والمتشرفين بلطف خطابه والواصلين إلى الأنوار والأسرار.

﴿ثم﴾ للترتيب والتأخير أي: بعدما أوحينا إليك أو بعد كتب الأولين كما دل ما قبله على كل منهما. وسئل الثوري على ماذا عطف بقوله ثم قال على إرادة الأزل والأمر المقضي أي: بعدما أردنا في الأزل ﴿أورثنا الكتاب﴾ أي: ملكنا بعظمتنا ملكاً تاماً وأعطينا هذا القرآن عطاء لا رجوع فيه. قال الراغب الوراثة انتقال قينة إليك عن غيرك من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد وسمي بذلك المنتقل عن الميت ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب قد ورث كذا انتهى وسيأتي بيانه ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ الموصول مع صلته مفعول ثان لأورثنا. والاصطفاء في الأصل تناول صفو الشيء بالفارسية: [بركزيدن وعباد اينجا بموضع كرامت است اكرچه كه نسبت عبوديت آدمرا حقيقت است] كما في «كشف الأسرار» والمعنى بالفارسية: [آنا نرا كه بركزيديم از بندكان ما «وهم الأمة بأسرهم زيرا آن روز كه اين آيت آمد مصطفى عليه السلام سخت شاد شد وازشادى كه بوى رسيد سه بار بكفت] امتى ورب الكعبة والله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم كما اصطفى رسولهم على جميع الرسل وكتابهم على كل الكتب وهذا الإيراث للمجموع لا يقتضي الاختصاص بمن يحفظ جميع القرآن بل يشمل من يحفظ منه جزءاً ولو أنه الفاتحة فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يكن واحد منهم يحفظ جميع القرآن ونحن على القطع بأنهم مصطفون كما في «المناسبات». قال الكاشفي: [عطارا ميراث خواند چه ميراث مالى باشدكه بى تعب طلب بدست آيد همچنين عطيه قرآن بى جست وجوى مؤمنان بمحض عنايت ملك منان بديشان رسيد وبيكانكان را درميراث دخل نيست دشمنان نيز

وبهر هاى أهل قرآن متفاوتست هركس بقدر استحاق واندازه استعداد خود از حقائق قرآن بهره مند شوند]:

زين بزم يكى جرعه طلاب كرد يكى جام

وفي «التأويلات النجمية»: إنما ذكر بلفظ الميراث لأن الميراث يقتضي صحة النسب أو صحة السبب على وجه مخصوص فمن لا سبب له ولا نسب له فلا ميراث له فالسبب هٰهنا طاعة العبد والنسب فضل الرب فأهل الطاعة هم أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١] فهم ورثوا الجنة بسبب الطاعة وأصل وراثتهم بالسببية المبايعة التي جرت بينهم وبين الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فهؤلاء أطاعوا الله بأنفسهم وأموالهم فأدخلهم الله الجنة جزاء بما كانوا يعملون وأهل الفضل هم أهل الله وفضله معهم بأن أورثهم المحبة والمعرفة والقربة كما قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية. ولما كانت الوراثة بالسبب والنسب وكان السبب جنساً واحداً كالزوجية وهما صاحبا الفرض وكان النسب من جنسين الأصول كالآباء والأمهات والفروع كل ما يتولد من الأصول كالأولاد والأخوة والأخوات وأولادهم والأعمام وأولادهم وهم صاحب فرض وعصبة فصار مجموع الورثة ثلاثة أصناف: صاحب الفرض بالسبب وصنف صاحب الفرض بالنسب وصنف صاحب الباقي وهم العصبة كذلك الورثة هٰهنا ثلاثة أصناف كما قال تعالى: ﴿فمنهم﴾ أي: من الذين اصطفينا من عبادنا ﴿ظالم لنفسه﴾ في العمل بالكتاب وهو المرجأ لأمر الله أي: الموقوف أمره لأمر الله إما يعذبه وإما يتوب عليه وذلك لأنه ليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩] الآية ولا من ضرورة الاصطفاء المنع عن الوصف بالظلم هذا آدم عليه السلام اصطفاه الله كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٣٣] وهو القائل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية. سئل أبو يزيد البسطامي قدس سره: أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف؟ فقال: نعم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] يعني إن كان الحق قدر عليه في سابق علمه شيئاً فلا بد من وقوعه.

واعلم أن الظلم ثلاثة: ظلم بين الإنسان وبين الله وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، وظلم بينه وبين الناس، وظلم بينه وبين نفسه وهو المراد بما في الآية كما في «المفردات». وتقديم الظلم بالذكر لا يدل على تقديمه في الدرجة لقوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] كما في «الأسئلة المقحمة». وقال بعضهم: قدم الظالم لكثرة الفاسقين ولأن الظلم بمعنى الجهل والركون إلى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان. وقال أبو الليث الحكمة في تقديم الظالم وتأخير السابق كي لا يعجب السابق بنفسه ولا ييأس الظالم من رحمة الله يعني: [ابتداء بظالم كرد تا شرم زده نكردند وبرحمت بى غايت او اميدوار باشند]:

نيايد از من آلوده طاعت خالص ولى برحمت وفضلت اميدوارى هست

وقال القشيري في الإرث يبدأ بصاحب الفرض وإن قل نصيبه فكذا هٰهنا بدأ بالظالم ونصيبه أقل من نصيب الآخرين [وكفته اند تقديم ظالم ازروى فضلست وتأخيرش ازراه عدل وحق سبحانه فضل را از عدل دوستر دارد وتأخير سابق جهت آنست كه تابثواب كه دخول

جنانست اقرب باشد يا بجهت آنكه اعتماد بر عمل خود نكند وبطاعت معجب نكرددكه عجب آتشيست كه چون برافروخته شود هزارخر من عبادت بدوسوخته شود]:

اى پسر عجب آتشى عجبست كرم ساز تنور بو لهبست
هركجا شعله ازو افروخت هرچه از علم وزهد ديدبسوخت

﴿ومنهم مقتصد﴾ يعمل بالكتاب في أغلب الأوقات ولا يخلو من خلط الشيء وبالفارسية: [وهست از ايشان كه راه ميان رفت نه هنر سابقان ونه تفريط ظالمان] فإن الاقتصاد بالفارسية: [ميان رفتن دركار] وإنما قال مقتصد بصيغة الافتعال لأن ترك الإنسان للظلم في غاية الصعوبة ﴿ومنهم سابق﴾ أصل السبق التقدم في السير ويستعار لاحراز الفضل فالمعنى متقدم إلى ثواب الله وجنته ورحمته ﴿بالخيرات﴾ بالأعمال الصالحة بضم التعليم والإرشاد إلى العلم والعمل والخير ما يرغب فيه الكل كالعقل والعدل والفضل والشيء النافع وضده الشر.

قال بعض الكبار: وهذه الخيرات على قسمين: قسم من كسب العبد بتقديم الخيرات، وقسم من فضل الرب بتواتر الجذبات إلى أن يسبق على الظالم لنفسه وعلي المقتصد بالسير بالله في الله وإن كان مسبوقاً بالذكر في الأخير كما كان حال النبي عليه السلام مسبوقاً بالخروج في آخر الزمان للرسالة سابقاً بالرجوع إلى الحضرة ليلة المعراج على جميع الأنبياء والرسل كما أخبر عن حال نفسه وحال سابقي أمته بقوله: «نحن الآخرون السابقون» أي: الآخرون خروجاً في عالم الصورة السابقون وصولاً إلى عالم الحقيقة. وعن جعفر الصادق رضي الله عنه بدأ بالظالمين إخباراً أنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه وإن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الإخلاص. وقد روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له».

وقال أبو بكر بن الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال العبد ثلاث: معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فإذا عصى دخل في حيز الظالمين وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين وإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين. والسابق على ضربين سابق ولد سابقاً وعاش سابقاً ومات سابقاً وسابق ولد سابقاً وعاش ظالماً ومات سابقاً فاسم الظالم عليهم عارية إذا ولدوا سابقين وماتوا سابقين ولا عبرة بالظلم العارض بل العبرة بالأزل والأبد لا بالبرزخ بينهما فأما من ولد ظالماً وعاش ظالماً ومات ظالماً من هذه الأمة فهو من أهل الكبائر الذين قال النبي عليه السلام فيهم: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». فعلى هذا المقتصد من مات على التوبة والسابق من عاش في الطاعة ومات في الطاعة. أو السابق هو الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام: «أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب». وأما المقتصد فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً. وأما الذين ظلموا فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته.

وهٰهنا مقالات أخر كثيرة ذكرنا بعضاً منها على ترتيب الآية وهو أن المراد بالطوائف الثلاث التالي للقرآن تلاوة مجردة والقارىء له العامل به والقارىء العامل بما فيه والمعلم له. أو من استغنى بماله ومن استغنى بدينه ومن استغنى بربه. أو الذي يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة والذي يدخله وقد أذن والذي يدخله قبل تأذين المؤذن وإنما كان الأول ظالماً لأنه نقص

نفس الأجر فلم يحصل لها ما حصل لغيرها. أو الذي يعبد الله على الغفلة والعادة والذي يعبده على الرغبة والرهبة والذي يعبده على الهيبة. أو الذي شغله معاشه عن معاده والذي اشتغل بالمعاش والمعاد جميعاً والذي شغله معاده عن معاشه. أو من يرتكب المعاصي غير مستحل لها ولا جاحد تحريمها ومن لا يزيد من الطاعات على الفرائض والواجبات ومن يكثر الطاعات ويبلغ النهاية فيها مع اجتناب المعاصي. أو من هو معذب ناج ومن هو معاتب ناج ومن هو مقرب ناج. أو الذي ترك الحرام والذي ترك الشبهة والذي ترك الفضل في الجملة. أو الذي رجحت سيئاته والذي ساوت حسناته سيئاته والذي رجحت حسناته. أو من ظاهره خير من باطنه ومن استوى ظاهره وباطنه ومن باطنه خير من ظاهره. أو من أسلم بعد فتح مكة ومن أسلم بعد الهجرة قبل الفتح ومن أسلم قبل الهجرة. أو أهل البدو يعني: [أهل باديه كه نه كمر جهاد بندند ونه دولت جماعت يابند] وأهل الحضر أي: الامصار وهم أصحاب الجماعات والجمعات وأهل الجهاد في سبيل الله. أو من لا يبالي من أين أخذ من الحلال أو الحرام ومن أخذ من الحلال ومن ترك الدنيا لما أنه في حلالها حساب وفي حرامها عذاب. أو الذي يطلب فوق القوت والكفاف والذي يطلب القوت لا الزيادة عليه والذي يتوكل على الله ويجعل جميع جهده في طاعته. أو الذي يدخل الجنة بشفاعة الشافعين والذي يدخلها برحمة الله وفضله والذي ينجو بنفسه وينجو غيره بشفاعته. أو الذي يضيع العمر في الشهوة والمعصية والذي يحارب فيهما والذي يجتهد في الزلات لأن محاربة الصديقين في الزلات ومحاربة الزاهدين في الشهوات ومحاربة التائبين في الموبقات. أو من يطلب الدنيا تمتعاً ومن يطلبها تلذذاً ومن يتركها تزاهداً. أو الذي يطلب ما لم يؤمر بطلبه وهو الرزق والذي يطلب ما أمر به وما لم يؤمر به والذي يطلب مرضاة الله ومحبته. أو أصحاب الكبائر وأرباب الصغائر والمجتنب عنهما جميعاً فهذا القائل إنما حمل الأمر على أشده. أو من يشتغل بعيب غيره ولا يصلح عيب نفسه ومن يطلب عيب نفسه ويطمع في عيب غيره أيضاً أو من يشتغل بعيب نفسه ولا يطلب عيب غيره أصلاً. أو الجاهل والمتعلم والعالم [يا آنكه انصاف ستاند وندهد وآنكه هم ستاند وهم دهد وآنكه او دهد ونستاند يا طالب نجاة ودرجات ومناجات يا ناظر از خود بخود ونكرنده از خود بآخرت وناظر از حق بحق يا آنكه پيوسته درخواب غفلت باشد وآنكه كاهى بيدار كردد وآنكه هميشه بيدار بود]. أو الزاهد لأنه ظلم نفسه بترك حظه من الدنيا والعارف والمحب. أو الذي يجزع عند البلاء والصابر على البلاء والمتلذذ بالبلاء. أو من ركن إلى الدنيا ومن ركن إلى العقبى ومن ركن إلى المولى.

نعيم هر دو جهان ميكنند برما عرض   دل ازمـيـانـه تـمـنـا نـدارد الا دوسـت

أو من جاد بنفسه ومن جاد بقلبه ومن جاد بروحه. أو من له علم اليقين ومن له عين اليقين ومن له حق اليقين. أو الذي يحب له لنفسه والذي يحبه الله والذي أسقط عنه مراده لمراد الحق لم ير لنفسه طلباً ولا مراداً لغلبة سلطان الحق عليه. أو من يراه في الآخرة بمقدار أيام الدنيا في كل جمعة مرة ومن يراه في كل يوم مرة ومن هو غير محجوب عنه ولو ساعة. أو من هو في ميدان العلم ومن هو في ميدان المعرفة ومن هو في ميدان الوجد. أو السالك والمجذوب والمجذوب السالك فالسالك هو المتقرب والمجذوب هو المقرب والمجذوب السالك هو المستهلك في كمالات القرب الفاني عن نفسه الباقي بربه. أو من هو مضروب

بسوط الأمل مقتول بسيف الحرص مضطجع عل باب الرجاء ومن هو مضروب بسوط الحسرة مقتول بسيف الندامة مضطجع على باب الكرم ومن هو مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على باب الهيبة.

اكر عاشقى خواهى آموختى ... بكشتن فرج يابى از سوختن
مكن كريه بركور مقتول دوست ... قل الحمد لله كه مقبول اوست

فالظالم على هذه الأقاويل كلها هو المؤمن.

وأما قول من قال: الظالم لنفسه آدم عليه السلام والمقتصد إبراهيم عليه السلام والسابق محمد عليه السلام ففيه أن الآية في حق هذه الأمة إلا أن يعاد الضمير في قوله منهم إلى العباد مطلقاً. فإن قلت هل يقال إن آدم ظلم نفسه؟ قلت: هو قد اعترف بالظلم لنفسه في قوله: «ربنا ظلمنا أنفسنا» وإن كان الأدب الإمساك عن مثل هذا المقال في حقه وإن كان له وجه في الجملة كما قال الراغب الظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة ويقال فيما يقل ويكثر من التجاوز ولهذا يستعمل في الذنب الكبير والصغير ولذلك قيل لآدم ظالم في تعديه ولإبليس ظالم وإن كان بين الظلمين بون بعيد انتهى ﴿بإذن الله﴾ جعله في «كشف الأسرار» متعلقاً بالأصناف الثلاثة على معنى ظلم الظالم وقصد المقتصد وسبق السابق بعلم الله وإرادته. والظاهر تعلقه بالسابق كما ذهب إليه أجلاء المفسرين على معنى بتيسيره وتوفيقه وتمكينه من فعل الخير لا باستقلاله. وفيه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها. قال القشيري قدس سره: كأنه قال يا ظالم ارفع رأسك فإنك وإن ظلمت فما ظلمت إلا نفسك ويا سابق اخفض رأسك فإنك وإن سبقت فما سبقت إلا بتوفيقي ﴿ذلك﴾ السبق بالخيرات ﴿هو الفضل الكبير﴾ من الله الكبير لا ينال إلا بتوفيقه أو ذلك الإيراث والاختيار فيكون بالنظر إلى جمع المؤمنين من الأمة وكونه فضلاً لأن القرآن أفضل الكتب الإلهية وهذ الأمة المرحومة أفضل جميع الأمم السابقة.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: الذي ذكر من العالم مع السابق في الإيراث واصطفاء ودخول الجنة ومن دقائق حكمته أنه تعالى ما قال في هذا المعرض الفضل العظيم لأن الفضل العظيم في حق الظالم أن يجمعه مع السابق في الفضل والمقام كما جمعه معه في الذكر.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿جنات عدن﴾ يقال عدن بمكان كذا إذا استقر ومنه المعدن لمستقر الجواهر كما في «المفردات» أي: بساتين استقرار وثبات وإقامة بلا رحيل لأنه لا سبب للرحيل عنها وهو إما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب أو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿يدخلونها﴾ جمع الضمير لأن المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومالهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وإن لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقاً لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريض على السعي في إدراك شؤون السابقين. وقال بعضهم: المراد بالأصناف الثلاثة الكافر والمنافق والمؤمن أو أصحاب المشأمة وأصحاب الميمنة ومن أريد بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة: ١٠] أو المنافقون والمتابعون بالإحسان وأصحاب النبي عليه

السلام أو من يعطي كتابه وراء ظهره ومن يعطي كتابه بشماله ومن يعطي كتابه بيمينه. فعلى هذه الأقوال لا يدخل الظالم في الجنات لكونه غير مؤمن وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وإرسال الرسول إليهم وإنزال الكتاب والأول هو الأصح وعليه عامة أهل العلم كما في «كشف الأسرار». قال أبو الليث في تفسير أول الآية وآخرها دليل على أن الأصناف الثلاثة كلهم مؤمنون. فأما أول الآية فقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ [فاطر: ٣٢] فأخبر أنه أعطى الكتاب لهؤلاء الثلاثة. وأما آخر الآية فقوله: ﴿يدخلونها﴾ إذ لم يقل يدخلانها.

- وروي - عن كعب الأحبار أنه قيل له ما منعك أن تسلم على يدي رسول الله عليه السلام قال: كان أبي مكنني من جميع التوراة إلا ورقات منعني أن أنظر فيها فخرج أبي يوماً لحاجة فنظرت فيها فوجدت فيها نعت أمة محمد وأن يجعلهم الله يوم القيامة ثلاثة أثلاث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ويدخلون الجنة وثلث تشفع لهم الملائكة والنبيون فأسلمت وقلت لعلي أكون من الصنف الأول وإن لم أكن من الصنف الثاني أو من الصنف الثالث فلما قرأت القرآن وجدتها في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿يدخلونها﴾.

وفي «التأويلات النجمية» لما ذكرهم أصنافاً ثلاثة رتبها ولما ذكر حديث الجنة والتنعم والتزين فيها ذكرهم على الجمع ﴿جنات عدن﴾ الآية نبه على أن دخولهم الجنة لا باستحقاق بل بفضله وليس في الفضل تميز فيما يتعلق بالنعمة دون ما يتعلق بالمنعم لأن في الخبر «إن من أهل الجنة من يرى الله سبحانه في كل جمعة بمقدار أيام الدنيا مرة ومنهم من يراه في كل يوم مرة ومنهم من هو غير محجوب عنه لحظة» كما سبق ﴿يحلون﴾ [التحلية: بازيور كردن] أي: يلبسون على سبيل التزين والتحلي نساء ورجالاً خبر ثان أو حال مقدرة ﴿فيها﴾ أي: في تلك الجنات ﴿من أساور من ذهب﴾ من الأولى تبعيضية والثانية بيانية. وأساور جمع أسورة وهو جمع سوار مثل كتاب وغراب معرب «دستواره» والمعنى يحلون بعض أساور من ذهب لأنه أفضل من سائر أفرادها أي: بعضاً سابقاً لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقال في سورة هل أتى ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] قيل يجمع لهم الذهب والفضة جميعاً وهو أجمل أو بعضهم يحلون بالذهب وهم المقربون وبعضهم يحلون بالفضة وهم الأبرار ﴿ولؤلؤاً﴾ بالنصب عطفاً على محل من أساور. واللؤلؤ الدر سمي بذلك لتلألئه ولمعانه والمعنى ويحلون لؤلؤاً. قال الكاشفي: [چنانچه پادشاهان عجم]. وقرىء بالجر عطفاً على ذهب أي: من ذهب مرصع باللؤلؤ ومن ذهب في صفاء اللؤلؤ وذلك لأنه لم يعهد الأسورة من نفس اللؤلؤ إلا أن تكون بطريق النظم في السلك. وقال في «بحر العلوم»: عطف على ذهب فإنهم يسورون بالجنسين أساور من ذهب ومن لؤلؤ وذلك على الله يسير وكم من أمر من أمور الآخرة يخالف أمور الدنيا وهذا منها ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ لا كحرير الدنيا فإنه لا يوجد من معناه في الدنيا إلا الاسم واللباس اسم ما يلبس وبالفارسية: [جامه وپوشش] والحرير من الثياب مارق كما في «المفردات» وثوب يكون سداه ولحمته ابريسما وإن كان في الأصل الابريسم المطبوخ كما في القهستاني. ويحرم لبسه على الرجال دون النساء إلا في الحرب ولكن لا يصلي فيه إلا أن يخاف العدو أو لضرورة كحكة أو جرب في جسده أو لدفع القمل ولا يلبسه وإن لم يتصل بجلده وهو الصحيح وجاز أن يكون عروة القميص وزره حريراً كالعلم في الثوب ولا بأس أن

يشد خماراً أسود من الحرير على العين الرامدة والناظرة إلى الثلج وأن تكون التكة حريراً ورخص قدر أربع أصابع كما هي. وقيل مضمومة ولا يجمع المتفرق من الحرير. ويجوز عند الإمام أن يجعل الحرير تحت رأسه وجنبه ويكره عندهما وبه أخذ أكثر المشايخ. وعلى هذا الخلاف تعليق الحرير على الجدر ولا بأس بالجلوس على بساط الحرير والصلاة على السجادة منه ويوضع ملاءة الحرير على مهد الصبي. ويلبس الرجل في الحرب وغيره بلا كراهة إجماعاً ما سداه ابريسم ولحمته وغيره سواء كان مغلوباً أو غالباً أو مساوياً للحرير وهو الصحيح. ويلبس عكسه أي: ما لحمته ابريسم وسداه غيره في حرب فقط. وكره إلباس الصبي ذهباً أو حريراً لئلا يعتاده والإثم على الملبس لأن الفعل مضاف إليه. وكذا يكره كل لباس خلاف السنة والمستحب أن يكون من القطن والكتان أو الصوف. وأحب الألوان البياض. ولبس الأخضر سنة. ولبس الأسود مستحب ولا بأس بالثوب الأحمر كما في الزاهدي الكل من القهستاني وقد سبق باقي البيان في سورة الحج وغيرها ﴿وقالوا﴾ أي: ويقولون عند دخول الجنة حمداً لربهم على ما صنع بهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وبالفارسية: [وكويند اين جمع چون ازحفره دوزخ برهند وبروضه بهشت برسند] ﴿الحمد لله﴾ أي: الإحاطة بأوصاف الكمال لمن له تمام القدرة ﴿الذي أذهب﴾ أزال ﴿عنا﴾ بدخولنا الجنة ﴿الحزن﴾ الحزن بفتحتين والحزن بالضم والسكون واحد وهو خشونة الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم ويضاده الفرح.

وفي «التأويلات النجمية»: سمي الحزن حزناً لحزونة الوقت على صاحبه وليس في الجنة وهي جوار الحضرة حزونة وإنما هي رضى واستبشار انتهى. والمراد جنس الجزن سواء كان حزن الدنيا أو حزن الآخرة من هم المعاش وحزن زوال النعم والجوع والعطش وقوت من الحلال وخوف السلطان ودغدغة التحاسد والتباغض وحزن الأعراض والآفات ووسوسة إبليس والسيآت ورد الطاعات وسوء العاقبة والموت وأهوال يوم القيامة والنار والمرور على الصراط وخوف الفراق وتدبير الأحوال وغير ذلك وفي الحديث «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن». قال أبو سعيد الخراز قدس سره: أهل المعرفة في الدنيا كأهل الجنة في الآخرة فتركوا الدنيا في الدنيا فتنعموا وعاشوا عيش الجنانيين بالحمد والشكر بلا خوف ولا حزن.

جنت نقدست اينجا ذوق ارباب حضور دردل ايشان نباشد حزن وغم تانفخ صور

﴿إن ربنا﴾ المحسن إلينا مع إساءتنا ﴿لغفور﴾ للمذنبين فيبالغ في ستر ذنوبهم الفائتة للحصر ﴿شكور﴾ للمطيعين فيبالغ في إثابتهم فإن الشكر من الله الإثابة والجزاء والوفاق.

وفي «التأويلات»: غفور للظالم لنفسه شكور للمقتصد والسابق وإنما قدم ما للظالم رفقاً بهم لضعف أحوالهم انتهى. ثم وصفوا الله بوصف آخر هو شكر له فقالوا:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿الذي أحلنا﴾ أنزلنا يقال حلت نزلت من حل الأحمال عند النزول ثم جرد استعماله للنزول فقيل: حل حلولاً وأحله غيره والمحلة مكان النزول كما في «المفردات» ﴿دار المقامة﴾ مفعول ثانٍ لأحل وليست بظرف لأنها محدودة. والمقامة بالضم مصدر تقول أقام يقيم إقامة ومقامة أي: دار الإقامة التي لا انتقال عنها أبداً فلا يريد النازل بها ارتحالاً منها ولا يراد به ذلك ﴿من فضله﴾ أي: من أنعامه وتفضله من غير أن يوجبه شيء من قبلنا من الأعمال فإن الحسنات فضل منه أيضاً فلا واجب عليه. وذلك أن دخول الجنة بالفضل والرحمة واقتسام الدرجات بالأعمال والحسنات هذا مخلوق تحت رق مخلوق مثله لا يستحق على سيده عوضاً لخدمته فكيف الظن بمن له الملك على الإطلاق أيستحق من يعبده عوضاً عن عبادته تعالى الله عما يقول المعتزلة من الإيجاب.

وفي «التأويلات» وبقوله: ﴿الذي أحلنا دار المقامة﴾ من فضله كشف القناع عن وجه الأحوال كلها فدخل كل واحد من الظالم والمقتصد والسابق في مقام أحله الله فيه من فضله لا بجهده وعمله وأن الذي أدخله الله الجنة جزاء بعمله فتوفيقه للعمل الصالح أيضاً من فضل الله وهذا حقيقة قوله عليه السلام: «قبل من قبل لا لعلة ورد من رد لا لعلة» ﴿لا يمسنا﴾ المس كاللمس وقد يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى والمعنى بالفارسية: [نميرسد مارا] ﴿فيها﴾ أي: في دار الإقامة في وقت من الأوقات ﴿نصب﴾ تعب بدن ولا وجع كما في الدنيا ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ كلال وفتور إذ لا تكليف فيها ولا كدّ وبالفارسية: [ماندكى وملال چه كلفتى ومحنتى نيست دروى بلكه همه عيش وحضور وفرح وسرورست] وإذا أرادوا أن يروه لا يحتاجون إلى قطع مسافة وانتظار وقت بل هم في غرفهم يلقون فيها تحية وسلاماً وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مقلة في جهة يرونه كما هم بلا كيفية كل صفة لهم أرادت الرؤية لقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] والفرق بين النصب واللغوب أن النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور للجوارح. قال أبو حيان هو لازم من تعب البدن فهي الجديرة لعمري بأن يقال فيها:

علياء لا تنزل الأحزان ساحتها   لو مسها حجر مسته سراء

والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الأول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما.

ـ روي ـ عن الضحاك رحمه الله قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة استقبلهم الولدان والخدم كأنهم اللؤلؤ المكنون فيبعث الله من الملائكة من معه هدية من رب العالمين وكسوة من كسوة الجنة فيلبسه فيريد أن يدخل الجنة فيقول الملك كما أنت ويقف ومعه عشرة خواتيم من خواتيم الجنة هدية من رب العالمين فيضعها في أصابعه مكتوب في أول خاتم منها ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وفي الثاني مكتوب ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق: ٣٤] وفي الثالث مكتوب «رفعت عنكم الأحزان والهموم» وفي الرابع مكتوب «زوجناكم الحور العين» وفي الخامس مكتوب ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦] وفي السادس مكتوب ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾ [المؤمنون: ١١١] وفي السابع مكتوب ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١] وفي الثامن مكتوب «صرتم آمنين لا تخافوا أبداً» وفي التاسع مكتوب «رافقتم النبيين والصديقين والشهداء» وفي العاشر مكتوب «في جوار من لا يؤذي الجيران» ثم يقول

الملك ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] فلما دخلوا ﴿قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ إلى آخر الآية [اى جوانمرد. قدر ترياق مار كزيده دند. قدر آتش سوزان پروانه داند. قدر پيرهن يوسف يعقوب غمكين داند اوكه مغرور سلامت خويش است اكر اورا ترياق دهى قدر آن چه داند جان بلب رسيده بايد تاقدر ترياق بداند درويشى دل شكسته غم خورده اندوه كشيده بايد تاقدر اين شناسد وعزاين خطاب بداندكه ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ باش تافردا كه آن درويش دلريش را در حظيره قدس بر سرير سرور نشانند وآن غلمان وولدان جاكرواريپش تخت دولت او سماطين بركشند شب محنت بپايان رسيده خورشيد سعادت از افق كرامت برآمده وحضرت عزت از الطاف وكرم روى بدرويش نهاده بزبان ناز ودلال همى كويد بنعت شكر ﴿الحمد لله﴾] الخ:

نماند اين شب تاريك ميرسد سحرش نماند ابر زخورشيد ميرود كدرش

نسأل الله الانكشاف.

﴿والذين كفروا﴾ جحدوا بوجود الله تعالى أو بوحدته ﴿لهم﴾ بمقابلة كفرهم الذي هو أكبر الكبائر وأقبح القبائح ﴿نار جهنم﴾ التي لا تشبه ناراً ﴿لا يقضى عليهم﴾ لا يحكم عليهم بموت ثان يعني: [وقتى كه در دوزخ باشند] ﴿فيموتوا﴾ ويستريحوا من العذاب ونصبه بإضمار أن لأنه جواب النفي ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ طرفة عين بل كلما خبت زيد استعارها يعني: [هركاه كه آتش فرونشيند زياده كنند احراق والتهاب اورا]. وقوله كلما خبت لا يدل على تخفيف عنهم بل على نقصان في النار ثم يزداد كما في «كشف الأسرار». قوله عنهم نائب مناب الفاعل ومن عذابها في موقع النصب أو بالعكس وإن كانت زائدة يتعين له الرفع ﴿كذلك﴾ أي: مثل هذا الجزاء الفظيع ﴿نجزي﴾ [جزاميدهيم] ﴿كل كفور﴾ مبالغ في الكفر أو في الكفران لا جزاء أخف وأدنى منه.

﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وهم﴾ أي: الكفار ﴿يصطرخون فيها﴾ يستغيثون وبالفارسية: [فرياد ميخواهند در دوزخ] والاصطراخ افتعال من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة دخلت الطاء فيه للمبالغة كدخولها في الاصطبار والاصطفاء والاصطناع والاصطياد استعمل في الاستغاثة بالفارسية [فرياد خواستن وشفاعت كردن خواستن] لجهر المستغيث صوته ﴿ربنا﴾ بإضمار القول يقولون ربنا ﴿أخرجنا﴾ من النار وخلصنا من عذابها وردنا إلى الدنيا ﴿نعمل صالحاً﴾ [عمل بسنديده] أي: نؤمن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية وذلك لأن قبول الأعمال مبني على الإيمان ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ قيدوا العمل الصالح بهذا الوصف إشعاراً بأنهم كانوا يحسبون ما فعلوه صالحاً والآن تبين خلافه إذ كان هوى وطبعاً ومخالفة يعني: [اكنون عذاب را معاينه ديديم ودانستيم كه كردارمادر دنيا شايسته نبود] ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام [والتعمير: زندكانى دادن] والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة وما نكرة موصوفة أو مصدر يراد به الزمان كقولك

آتيك غروب الشمس [والتذكر: پندكر فتن] والمعنى ألم نعطكم مهلة ولم نعمركم عمراً أو تعميراً أو وقتاً وزمناً يتذكر فيه من تذكر وإلى الثاني مال الكاشفي حيث قال بالفارسية: [آيا زندكانى نداديم وعمر ارزانى نداشتيم شمارا آن مقدار پندكيريد ودران عمر هركه خواهد كه پند كيرد] ومعنى يتذكر فيه أي: يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر لشأنه وإصلاح حاله وإن قصر إلا أن التوبيخ في المطاولة أعظم يعني إذا بلغ حد البلوغ يفتح الله له نظر العقل فيلزم حينئذٍ على المكلف أن ينظر بنظر العقل إلى المصنوعات فيعرف صانعها ويوحده ويطيعه فإذا بلغ إلى الثماني عشرة أو العشرين أو ما فوق ذلك يتأكد التكليف ويلزم الحجة أشد من الأول وفي الحديث «اعذر الله إلى امرىء وأخر أجله حتى بلغ ستين سنة» أي: أزال عذره ولم يبق منه موضعاً للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يتعذر ولعل تعيين الستين ما قال عليه السلام: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين» وأقلهم من يجوز ذلك فإذا بلغ الستين وجاوزها كانت السبعون آخر زمان التذكر لأن ما بعدها زمان الهرم وفي الحديث: «إن لله ملكاً ينادي كل يوم وليلة أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده وأبناء الستين ما قدمتم وما عملتم وأبناء السبعين هلموا إلى الحساب». وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره: إذا قام إليه شاب ليتوب يقول: يا هذا ما جئت حتى طلبوك ولا قدمت من سفر الجفاء حتى استحضروك يا هذا ما تركناك لما تركتنا ولا نسيناك لما نسيتنا أنت في إعراضك وعيننا تحفظك ثم حركناك لقربنا وقدمناك لأنسنا. وكان إذا قام إليه شيخ ليتوب يقول يا هذا أخطأت وأبطأت كبر سنك وتمردجنك هجرتنا في الصبى فعذرناك وبادرتنا في الشباب فمهلناك فلما قاطعتنا في المشيب مقتناك فإن رجعت إلينا قبلناك.

دل زدنيا زودتر كردد جوانا نرا خنك كهنكى از سردىء آبست مانع كوزه را

وكان جماعة من الصحابة ومن بعدهم إذا بلغ أربعين سنة أو رأى شيباً بالغ في الاجتهاد وطوى الفراش وأقبل على قيام الليل وأقل معاشرة الناس ولا فرق في ذلك بين الأربعين فما دونها لأن الأجل مكتوم لا يدري متى يحل أيقظنا الله وإياكم من رقدة الغافلين ﴿وجاءكم النذير﴾ عطف على الجملة الاستفهامية لأنها في معنى قد عمرناكم حيث إن همزة الإنكار إذا دخلت على حرف النفي أفادت التقرير كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا﴾ [الشرح: ١-٢] الخ لأنه في معنى قد شرحنا الخ. والمراد بالنذير رسول الله ﷺ وعليه الجمهور أو ما معه من القرآن أو العقل فإنه فارق بين الخير والشر أو موت الأقارب والجيران والإخوان أو الشيب وفيه أن مجيء الشيب ليس بعام للجميع عموم ما قبله. قال الكاشفي: [وأكثر علما برآنند كه مراد از نذير شيب است چه زمان شيب فرو نشاننده شعله حياتست وموسم پيرى زنك فزاينده آيينه ذات]:

نوبت پيرى چو زند كوس درد دل شود ازخوشدلى وعيش فرد
درتن واندام در آيد شكست لرزه كند پاى زستى چودست
موى سفيد از اجل آرد پيام پشت خم ازمرك رساند سلام

قيل: أول من شاب من ولد آدم عليه السلام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: ما هذا يا رب؟ قال: هذا وقار في الدنيا ونور في الآخرة فقال: رب زدني من نورك ووقارك، وفي الحديث: «إن الله يبغض الشيخ الغربيب» أي: الذي لا يشيب كما في «المقاصد الحسنة».

وقال في «الكواشي»: يجوز أن يراد بالنذير كل ما يوزن بالانتقال فلا بد من التنبه عند مجيئه ولذا قال أهل الأصول الصحيح من قولي محمد أن الحج يجب موسعاً يحل فيه التأخير إلا إذا غلب على ظنه أنه إذا أخر يفوت فإذا مات قبل أن يحج فإن كان الموت فجأة لم يلحقه إثم وإن كان بعد ظهور إمارات يشهد قلبه بأنه لو أخر يفوت لم يحل له التأخير ويصير مضيقاً عليه لقيام الدليل فإن العمل بدليل القلب أوجب عند عدم دلالته [در موضح آورده كه چون دوزخيان استغاثه كنند وبفرياد آيند وكويند خدايا مارا بدنيا فرست تا عمل خير كنيم بمقدار زمان دنيا از اول ابداع تا آخر انقطاع فرياد كنند تا حق سبحانه وتعالى جواب فرمايدكه زندكانى دادم شمارا ونذير فرستادم بشما كويند بلا زندكانى يافتيم ونذيررا ديديم خداى تعالى فرمايد] ﴿فذوقوا﴾ [پس بچشيد عذاب دوزخ فالفاء لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير ﴿فما﴾] الفاء للتعليل ﴿للظالمين﴾ على أنفسهم بالكفر والشرك ﴿من نصير﴾ يدفع العذاب عنهم. وفيه إشارة إلى أنهم كانوا في الدنيا نائمين ولذا لم يذوقوا الألم فلما ماتوا وبعثوا وتيقظوا تيقظاً تاماً ذاقوا العذاب وأدركوه ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض﴾ أي: يختص بالله علم كل شيء فيهما غاب عن العباد وخفي عليهم فكيف يخفى عليه أحوالهم وإنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ﴿إنه﴾ تعالى ﴿عليم بذات الصدور﴾ لم يقل ذوات الصدور لإرادة الجنس وذات تأنيث ذي بمعنى صاحب والمعنى عليم بالمضمرات صاحبة الصدور أي: القلوب وبالفارسية: [داناست بچيزها كه مضمراست درسينها] فحذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه وجعلت الخواطر القائمة بالقلب صاحبة له بملازمتها وحولها كما يقال للبن ذو الإناء ولولد المرأة وهو جنين ذو بطنها فالإضافة لأدنى ملابسة.

وفي «التأويلات النجمية» أي: عالم بإخلاص المخلصين وصدق الصادقين وهما من غيب سموات القلوب وعالم بنفاق المنافقين وجحد الجاحدين وهما من غيب أرض النفوس انتهى. ففيه وعد ووعيد وحكم الأول الجنة والقربة وحكم الثاني النار والفرقة. قيل: لا يا رب إلا ما لا خير فيه قال كذلك لا أدخل النار من عبادي إلا من لا خير فيه وهو الإيمان.

در خلائق روحهاى پاك هست روحهاى شيره كلناك هست

واجبست اظهار اين نيك وتباه همچنان اظهار كندمها زكاه

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿هو﴾ أي: الله تعالى وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ جمع خليفة وأما خلفاء فجمع خليف وكلاهما بمعنى المستخلف أي: جعلكم خلفاء في أرضه وألقى إليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها أو جعلكم خلفاء ممن كان قبلكم من الأمم وأورثكم ما بأيديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة. وفيه إشارة إلى أن كل واحد من الأفاضل والأراذل خليفة من خلفائه في أرض الدنيا. فالأفاضل يظهرون جمال صنائعه في مرآة أخلاقهم الربانية وعلومهم اللدنية. والأراذل يظهرون كمال بدائعه في مرآة

حرفهم وصنعة أيديهم. ومن خلافتهم أن الله تعالى استخلفهم في خلق كثير من الأشياء كالخبز فإنه تعالى يخلق الحنطة بالاستقلال والإنسان بخلافته يطحنها ويخبزها وكالثوب فإنه تعالى يخلق القطن والإنسان يغزله وينسج منه الثوب بالخلافة وهلمّ جرا ﴿**فمن**﴾ [پس هركه] ﴿**كفر**﴾ منكم نعمة الخلافة بأن يخالف أمر مستخلفه ولا ينقاد لأحكامه ويتبع هواه ﴿**فعليه كفره**﴾ أي: وبال كفره وجزاؤه وهو الطرد واللعن والنار لا يتعداه إلى غيره ﴿**ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً**﴾. قال الراغب المقت البغض الشديد لمن يراه متعاطياً لقبيح يعني: [نتيجه كفرايشان بنسبت مكر بغض رباني كه سبب غضب جاودانى همان تواند بود] ﴿**ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً**﴾ [مكر زياني در آخرت كه حرمانست ازجنت] والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والأصالة. والتنكير للتعظيم أي: مقتاً عظيماً ليس وراءه خزي وصغار وخساراً عظيماً ليس بعده شر وتبار.

﴿**قل**﴾ تبكيتاً لهم ﴿**أرأيتم**﴾ [آياديديد] ﴿**شركاءكم**﴾ أي: آلهتكم وأصنامكم والإضافة إليهم حيث لم يقل شركائي لأنهم جعلوهم شركاء الله وزعموا ذلك من غير أن يكون له أصل مّا أصلاً ﴿**الذين تدعون**﴾ [ميخوانيد ايشانرا ومى پرستيد] ﴿**من دون الله**﴾ أي: حال كونكم متجاوزين دعاء الله وعبادته ﴿**أروني**﴾ أخبروني وبالفارسية: [بنماييد وخبر كنيدمرا] وذلك لأن الرؤية والعلم سبب الأخبار فاستعمل الإراءة في الأخبار وهو بدل من أرأيتم بدل اشتمال كأنه قيل اخبروني عن شركائكم أروني ﴿**ماذا خلقوا من الأرض**﴾ أي: جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله والمراد من الاستفهام نفي ذلك وبالفارسية: [اين شركا چه چيز آفريده اند از زمين وآنچه درو برويست] ﴿**أم لهم**﴾ [آيا هست ايشانرا] ﴿**شرك في السموات**﴾ شركة مع الله في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الألوهية ذاتية ﴿**أم آتيناهم**﴾ أي: الشركاء ويجوز أن يكون الضمير للمشركين ﴿**كتاباً**﴾ينطق بإنا اتخذناهم شركاء ﴿**فهم على بينة منه**﴾ أي: حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية. ولما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو التقرير فقال: ﴿**بل**﴾ [نه چنين است بلكه] ﴿**إن**﴾ نافية أي: ما ﴿**يعد الظالمون**﴾ [وعده نمى دهند مشركان برخى ايشان كه اسلاف يا رؤسا واشرافند] ﴿**بعضاً**﴾ [برخى ديكررا كه اخلاف ويا اراذل واتباعند] ﴿**إلا غروراً**﴾ باطلاً لا أصل له وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وهو تغرير محض يسفه بذلك آراءهم وينبئهم على ذميم أحوالهم وأفعالهم وخسة هممهم ونقصان عقولهم بإعراضهم عن الله وإقبالهم على ما سواه. فعلى العاقل أن يصحح التوحيد ويحققه ولا يرى الفاعل والخالق إلا الله.

وعن ذي النون رضي الله عنه قال: بينا أنا أسير في تيه بني إسرائيل إذا أنا بجارية سوداء قد استلبها الوله من حب الرحمٰن شاخصة ببصرها نحو السماء فقلت: السلام عليك يا أختاه فقالت: وعليك السلام ياذا النون فقلت لها من أين عرفتني يا جارية فقالت: يا بطال إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم ادارها حول العرش فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فعرفت روحي روحك في ذلك الجولان فقلت: إني لأراك حكيمة علميني شيئاً مما علمك الله فقالت: يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الرب فحينئذٍ يقيمك على الباب ويوليك ولاية

جديدة ويأمر الخزان لك بالطاعة فقلت: يا أختاه زيديني فقالت: يا أبا الفيض خذ من نفسك لنفسك وأطع الله إذا خلوت يجبك إذا دعوت ولن يستجيب إلا من قلب غير غافل وهو قلب الموحد الحقيقي الذي زال عنه الشرك مطلقاً.

اكرچه آينه دارى از براى رخش ولى چه سودكه دارى هميشه آينه تار
بيا بصيقل توحيد زآينه بزدآى غبار شرك كه تاپاك كردد ا ز ژنكار

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

﴿إن الله يمسك السموات والأرض﴾ أي: يحفظهما بقدرته فإن الإمساك ضد الإرسال وهو التعلق بالشيء وحفظه ﴿أن تزولا﴾ الزوال الذهاب وهو يقال في كل شيء قد كان ثابتاً قبل أي: كراهة زوالهما عن أماكنهما فإن الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ فعلى هذا يكون مفعولاً له أو يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك منع يقال أمسكت عنه كذا أي: منعته فعلى هذا يكون مفعولاً به ﴿ولئن زالتا﴾ أي: والله لئن زالت السموات والأرض عن مقرهما ومركزهما بتخليتهما كما يكون يوم القيامة ﴿إن﴾ نافية أي: ما ﴿أمسكهما﴾ [نكاه ندارد ايشانرا] أي: ما قدر على إعادتهما إلى مكانهما ﴿من أحد﴾ [هيچ يكى] ومن مزيدة لتأكيد نفي الإمساك عن كل أحد ﴿من بعده﴾ من للابتداء أي: من بعد إمساكه تعالى أو من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين للقسم والشرط ﴿إنه﴾ سبحانه ﴿كان حليماً﴾ غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جنايات الكفار حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّاً لعظم كلمة الشرك ﴿غفوراً﴾ لمن رجع عن كلمة الكفر وقال بالوحدانية. والحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب كما في «المفردات». والفرق بين الحليم والصبور أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم يعني أن الصبور يشعر بأنه يعاقب في الآخرة بخلاف الحليم كما في المفاتيح ولعل هذا بالنسبة إلى المؤمنين دون الكفار. قال في «بحر العلوم»: الحليم مجازي أي: يفعل بعباده فعل من يحلم على المسيء ولا يعاجلهم بالعقوبة مع تكاثر ذنوبهم. وفي «شرح الأسماء»: للإمام الغزالي رحمه الله تعالى الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش. فعلى العاقل أن يتخلق بهذا الاسم بأن يصفح عن الجنايات ويسامح في المعاملات بل يجازي الإساءة بالإحسان فإنه من كمالات الإنسان.

بدى را بدى سهل باشد جزا اكر مردى احسن الى من اساء

- روي - عن بعضهم أنه كان محبوساً وكان يعرض غدوة وعشية ليقتل فرأى النبي عليه السلام في النوم فقال له: اقرأ وأشار إلى هذا الآية فقال: كم أقرأ؟ فقال: أربعمائة مرة فقرأ فلم يذكر عشرين ليلة حتى أخرج. ولعل سره أن السموات والأرض إشارة إلى الأرواح والأجساد فكما أن الله تعالى يحفظ عالم الصورة من أوجه وحضيضه فكذا يحفظ ما هو أنموذجه وهو عالم الإنسان. وأيضاً أن الجاني وإن كان مستحقاً للعقوبة لكن مقتضى الاسم الحليم ترك المعاجلة بل الصفح بالكلية ففي مداومة الآية استعطاف واستنزال للرحمة على الجسم والروح وطلب بقائهما.

واعلم أن التوحيد سبب لنظام العالم بأسره ألا يرى أنه لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله أي: لا يوجد من يوحد توحيداً حقيقياً فإنه إذا انقرض أهل هذا التوحيد وانتقل الأمر من الظهور إلى البطون يزول العالم وينتقض أجزاؤه لأنه إذا يكون كجسد بلا روح والروح إذا فارق الجسد يتسارع إلى الجسد البلي والفساد. ففي الآية أخبار عن عظيم قدرة الله على حفظ السموات والأرض وإمساكهما عن الزوال والذهاب وأن الإنسان الكامل من حيث إنه خليفة الله هو العماد المعنوي فيه يحفظ الله عالم الأرواح والأجسام.

وفي «الفتوحات المكية»: لا بد في كل إقليم أو بلد أو قرية من ولي به يحفظ الله تلك الجهة سواء كان أهل تلك الجهة مؤمنين أو كفاراً.

ـ يروى ـ أن آخر مولود في النوع الإنساني يكون بالصين فيسري بعد ولادته العقم في الرجال والنساء ويدعوهم إلى الله فلا يجاب في هذه الدعوة فإذا قبضه الله وقبض مؤمني زمانه بقي من بقي مثل البهائم لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حراماً فعليهم تقوم الساعة وتخرب الدنيا وينتقل الأمر إلى الآخرة.

مدار نظم امور جهان انسانست   جميع اهل جهان جسم وجان انسانست
فناى عالم صورت برحلتش مربوط   مقام بود سما اوت كرد بارض هبوط

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿وأقسموا بالله﴾ أقسم حلف أصله من القسامة وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول ثم صار اسماً لكل حلف كما في «المفردات» والضمير لمشركي مكة والمعنى بالفارسية: [وسوكند خوردند اهل مكة بخداى تعالى] **﴿جهد أيمانهم﴾** مصدر في موقع الحال أي: جاهدين في أيمانهم. والجهد والجهد الطاقة والمشقة. وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الوسع والإيمان بالفتح جمع يمين واليمين في الحلف مستعار من اليمين بمعنى اليد اعتباراً بما يفعل المحالف والمعاهد عنده. قال الراغب: أي: حلفوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم انتهى وكان أهل الجاهلية يحلفون بآبائهم وبالأصنام وبغير ذلك وكانوا يحلفون بالله ويسمونه جهد اليمين وهي اليمين المغلظة كما قال النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مطلب

أي كما أن الله تعالى أعلى المطالب كذلك الحلف به أعلى الاحلاف.

ـ روي ـ أن قريشاً بلغهم قبل مبعث رسول الله ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وحلفوا **﴿لئن جاءهم نذير﴾** أي: والله لئن جاء قريشاً نبي منذر **﴿ليكونن أهدى﴾** أطوع وأصوب ديناً **﴿من إحدى الأمم﴾** [از يكى امتان كذشته] أي: من كل من اليهود والنصارى وغيرهم لأن إحدى شائعة. والأمم جمع فليس المراد إحدى الأمتين اليهود والنصارى فقط ولم يقل من الأمم بدون إحدى لأنه لو قال لجاز أن يراد بعض الأمم وقوله في أواخر الأنعام ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦] أي: اليهود والنصارى ثم قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧] أي: إلى الحق لا ينافي العموم لأن تخصيص الطائفتين وكتابيهما إنما هو

لاشتهارهما بين الأمم واشتهارهما فيما بين الكتب السماوية. وقال بعضهم: معنى من إحدى الأمم من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدي والاستقامة ومنه قولهم للداهية هي إحدى الدواهي أي: العظيمة وإحدى سبع أي: إحدى ليالي عاد في الشدة وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان لما كان مركباً من الروح والجسد فبروحانيته يميل إلى الدين وما يتعلق به وببشريته يميل إلى الدنيا وما يتعلق بها الكافر والمؤمن فيه سواء إلا أن الكافر إذا مال إلى شيء من الدين بحسب غلبة روحانيته على بشريته وعاهد عليه ثم وقع في معرض الوفاء به لم توافقه نفسه لأنها مائلة إلى الكفر راغبة عن الدين وظلمة الكفر تحرّضه على نقض العهد فينقضه وأن المؤمن إذا مال إلى شيء من الدنيا بحسب غلبة بشريته على روحانيته وعاهد عليه وهو يريد الوفاء به يمنعه نور إيمانه عن ذلك ويحرضه على نقض العهد فينقضه وكذلك المريد الصادق إذا اشتد عليه القبض وملت نفسه من مقاساة شدة الرياضة والمجاهدة يمني نفسه بنوع من الرخص استمالة لها وربما عاهد الله عليه ويؤكد الشيطان فيه عهده ويمنيه وبعده فإذا وقع في معرض الوفاء وأراد أن يفي بعده فإذا صدقت إرادته تسبق عزيمته وتحرك سلسلة طلبه فينقض عهده مع النفس ويجدد عهد الطلب مع الله ويتمسك بدوام الذكر وملازمته إلى أن يفتح الله بمفتاح الذكر باب قلبه إلى الحضرة ويزهق بمجيء الحق باطل ما تمناه ﴿فلما جاءهم نذير﴾ وأي نذير أفضل الكل وأشرف الأنبياء والرسل عليهم السلام ﴿ما زادهم﴾ أي: النذير أو مجيئه على التسبب ﴿إلا نفوراً﴾ تباعداً عن الحق والهدي وبالفارسية: [مكر رميدن از حق ودورشدن].

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿استكباراً في الأرض﴾ بدل من نفوراً أو مفعول له يعني عتواً على الله وتكبراً عن الإيمان به وبالفارسية: [كردن كشى ازفرمان الهي]. قال في «بحر العلوم»: الاستكبار التكبر كالاستعظام والتعظم لفظاً ومعنى انتهى. قال بعض الكبار: إن الله تعالى قد أنشأك من الأرض فلا ينبغي لك أن تعلو على أمك.

زخـاك آفـريـدت خـداونـد پـاك   پس اى بـنـده افـتـادكى كـن چـوخـاك

﴿ومكر السيىء﴾ عطف على استكباراً أو على نفوراً وأصله أن مكروا المكر السيىء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل أن مع الفعل بالمصدر ثم أضيف اتساعاً. قال في «تاج المصادر»: [المكر: تاريك شدن شب] ومنه اشتق المكر لأنه السعي بالفساد في خفية. وقال الراغب: المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة وذلك ضربان محمود وهو أن يتحرى بذلك فعل جميل وعلى ذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] ومذموم وهو أن يتحرى به فعل قبيح انتهى ومنه الآية ولذا وصف بالسيىء والمعنى ما زادهم إلا المكر السيىء في دفع أمره عليه السلام بل وفي قتله وإهلاكه وبالفارسية: [وآنكه مكر كردند مكرى بد يعني حيله انديشيدند درهلاك كردن آن تدبير] ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾. قال في «القاموس»:

حاق به يحيق حيقاً وحيوقاً وحيقاناً أحاط به كأحاق وحاق بهم العذاب أحاط ونزل كما في «المختار» والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله والمعنى ولا يحيط المكر السيىء إلا بأهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وبالفارسية: [وأحاطه نميكنند مكر بدمكر بأهل وى يعني مكر هر ما كرى بوى احاطه كند واطراف وجوانب وى فرو كيرد وهرچه در باب قصد كسى انديشيده باشد در باره خود مشاهد نمايد]. قال في «بحر العلوم»: المعنى إلا حيقاً ملصقاً بأهله وهو استثناء مفرغ فيجب أن يقدر له مستثنى منه عام مناسب له من جنسه فيكون التقدير ولا يحيق المكر السيىء حيقاً إلا حيقاً بأهله وفي الحديث: «لا تمكروا ولا تعينوا ماكراً فإن الله يقول ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغياً فإن الله يقول إنما بغيكم على أنفسكم» وأما قوله عليه السلام: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فمعناه بالنسبة إلى نصرة الظالم أن تنصره على إبليس الذي يوسوس في صدره بما يقع منه في الظلم بالكلام الذي تستحليه النفوس وتنقاد إليه فتعينه على رد ما وسوس إليه الشيطان من ذلك وفي حديث آخر «المكر والخديعة في النار» يعني: أصحابهما لأنهما من أخلاق الكفار لا من أخلاق المؤمنين الأخيار وفي أمثالهم من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً فلا يصيب الشر إلا أهل الشر [وابن باميين را درين باب قطعه است اين دو بيت اينجا ثبت افتاد]:

دمها زدند وكوره تزوير تافتند   درباب من زروى حسد يكدو ناشناس

وايشان جزاى فعل بدخويش يافتند   زاعمال نفسهم همه نيكى بمن رسيد

جعلنا الله وإياكم ممن صفا قلبه من الغل والكدر وحفظنا من الوقوع في الخطر ﴿**فهل ينظرون**﴾ النظر هنا بمعنى الانتظار أي: ما ينتظرون وبالفارسية: [پس آيا انتظار ميبرند مكذبان ومكاران يعنى نمى برند وچشم نمى دارند] ﴿**إلا سنة الأولين**﴾ أي: سنة الله في الأمم المتقدمة بتعذيب مكذبيهم وماكريهم. والسنة الطريقة وسنة النبي طريقته التي كان يتحراها وسنة الله طريقة حكمته ﴿**فلن**﴾ الفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ﴿**تجد**﴾ [پس نيابى توالبته] ﴿**لسنة الله تبديلاً**﴾ بأن يضع موضع العذاب غير العذاب هو الرحمة والعفو ﴿**ولن تجد لسنة الله تحويلاً**﴾ بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم [والتحويل: بكردانيدن] ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما. وفي الآية تنبيه على أن فروع الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول إلى ثواب الله وجواره كما في «المفردات».

﴿**أو لم يسيروا في الأرض**﴾ الهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر أي: اقعد مشركو مكة في مساكنهم ولم يسيروا ولم يمضوا في الأرض إلى جانب، الشام واليمن والعراق للتجارة ﴿**فينظروا**﴾ بمشاهدة آثار ديار الأمم الماضية العاتية ﴿**كيف كان عاقبة الذين**﴾ جاءوا ﴿**من قبلهم**﴾ أي: هلكوا لما كذبوا الرسل وآثار هلاكهم باقية في ديارهم ﴿**وكانوا**﴾ أي: والحال أن الذين من قبلهم كعاد وثمود وسبأ كانوا ﴿**أشد منهم قوة**﴾ [سخترين ازمكيان ازروى توانايى] وأطول أعماراً فما نفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ﴿**وما كان الله ليعجزه من شيء**﴾ [الاعجاز: عاجز كردن] واللام ومن لتأكيد النفي والمعنى استحال من كل الوجوه أن يعجز الله تعالى شيء ويسبقه ويفوته ﴿**في السماوات ولا**﴾ تأكيد آخر لما النافية ففي هذا

الكلام ثلاثة تأكيدات ﴿في الأرض﴾ [پس هرچه خواهد كند وكسى بر حكم او پيشى نكيرد] ﴿إنه﴾ تعالى ﴿كان عليماً﴾ بليغ العلم بكل شيء في العالم مما وجد ويوجد ﴿قديراً﴾ بليغ القدرة على كل ممكن ولذلك علم بجميع أعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها فمن كان قادراً على معاقبة من قبلهم كان قادراً على معاقبتهم إذا كانت أعمالهم مثل أعمالهم والآية وعظ من الله تعالى ليعتبروا:

نرود مرغ سوى دانه فراز — چون دكر مرغ بيند اندر بند

پند كيراز مصائب دكران — تا نكيرند ديكران زتو پند

والإشارة أنه ما خاب له تعالى ولي ولا ربح له عدو فقد وسع لأوليائه فضلاً كثيراً ودمر على أعدائه تدميراً وسبب الفضل والولاية هو التوحيد كما أن سبب القهر والعداوة هو الشرك. قال بعض الكبار: ما أخذ الله من أخذ من الأمم إلا في آخر النهار كالعنين وذلك لأن أسباب التأثير الإلّهي المعتاد في الطبيعة قد مرت عليه وما آثرت فيه فدل على أن العنة فيه استحكمت لا تزول فلما عدمت فائدة النكاح من لذة وتناسل فرق بينهما إذ كان النكاح موضوعاً للالتذاذ أو للتناسل أولهما معاً أو في حق طائفة لكذا وفي حق أخرى لكذا وفي حق أخرى للمجموع وكذلك اليوم في حق من أخذ من الأمم إذا انقضت دورته وقع الأخذ الإلّهي في آخره انتهى كلامه قدس سره.

واعلم أن الله تعالى أمهل عباده ولم يأخذهم بغتة ليروا أن العفو والإحسان أحب إليه من الأخذ والانتقام وليعلموا شفقته وبره وكرمه وأن رحمته سبقت غضبه ثم إنهم إذا لم يعرفوا الفضل من العدل واللطف من القهر والجمال من الجلال أخذهم في الدنيا والآخرة بأنواع البلاء والعذاب وهي تطهير في حق المؤمن وعقوبة محضة في حق الكافر لأنه ليس من أهل التطهير إذ التطهير إنما يتعلق بلوث المعاصي غير الكفر عصمنا الله وإياكم مما يوجب سخطه وعذابه وعقابه.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾.

﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ جميعاً ﴿بما كسبوا﴾ من المعاصي وبالفارسية: [واكر مؤاخذه كرد خداى تعالى مردمانرا بجزاى آنچه كسب ميكنند از شرك ومعصيت چنانكه مؤاخذه كرد امم ماضيه] ﴿ما ترك على ظهرها﴾ الظهر بالفارسية: [پشت] والكناية راجعة إلى الأرض وإن لم يسبق ذكرها لكونها مفهومة من المقام ﴿من دابة﴾ من نسمة تدب عليها من بني آدم لأنهم المكلفون المجازون ويعضده ما بعد الآية أو من غيرهم أيضاً فإن شؤم معاصي المكلفين يلحق الدواب في الصحارى والطيور في الهواء بالقحط ونحوه. ولذا يقال: من أذنب ذنباً فجميع الخلق من الإنس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماؤه يوم القيامة وقد أهلك الله في زمان نوح عليه السلام جميع الحيوانات إلا ما كان منها في السفينة وذلك بشؤم المشركين وسببهم. وقال بعض الأئمة: ليس معناه أن البهيمة تؤخذ بذنب ابن آدم ولكنها خلقت لابن آدم فلا معنى لإبقائها بعد إفناء من خلقت له ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ وقت معين معلوم عند الله وهو يوم القيامة ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ [پس چون بيايد وقت هلاك ايشان] ﴿فإن الله كان

بعباده بصيراً﴾ فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

آنــرا بــلــوامــع رضــا بــنــوازد ايــن را بــلــوامــع غــضــب بــكــدازد
كس را بقضاى قدرتش كارى نيست آنــسـت صـلاح خـلـق كـومـيـسـازد

وفي الآية: إشارة إلى أنه ما من إنسان إلا ويصدر منه ما يستوجب المؤاخذة ولكن الله تعالى بفضله ورحمته يمهل ثم يؤاخذ من كان أهل المؤاخذة ويعفو عمن هو أهل العفو. ففي الآية بيان حلمه تعالى وإرشاد للعباد إلى الحلم فإن الحلم حجاب الآفات وملح الأخلاق. وساد أحنف بن قيس بعقله وحلمه حتى كان يتجرد لأمره مائة ألف سيف وكان أمراء الأمصار يلتجئون إليه في المهمات وهو المضروب به المثل في الحلم وقال له رجل: دلني على المروءة فقال: عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح ثم قال: ألا أدلك على أدوى الداء قال: بلى قال: اكتساب الذم بلا منفعة. ومن بلاغات الزمخشري «البأس والحلم حاتمي واحنفي، والدين والعلم حنيفي وحنفي» وفيه لف ونشر على الترتيب والبأس الشجاعة وفيها السخاوة إذ لا تكون الشجاعة إلا بسخاوة النفس ولا تكون السخاوة إلا بالشجاعة فإن المال محبوب لا يصدر إنفاقه إلا ممن غلب على نفسه. والجود منسوب إلى حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي. والحلم منسوب إلى الأحنف المذكور: والدين منسوب إلى إبراهيم بن الحنيف معلم أبي حنيفة رحمه الله والعلم منسوب إلى أبي حنيفة وفي هذا المعنى قيل:

الـفـقـه زرع ابـن مـسـعـود وعـلـقـمـة حــصــاده ثــم إبــراهــيــم دوّاس
نـعـمـان طـاحـنـه يـعـقـوب عـاجـنـه مـحـمـد خـابـز والآكـل الـنـاس

ثم إن الحلم لا بد وأن يكون في محله كما قيل:

أرى الـحـلـم في بـعـض الـمـواضـع ذلة وفـي بـعـضـهـا عـزاً يـسـود فـاعـلـه

وكذلك الإحسان فإنه إنما يحسن إذ وقع في موقعه:

هـر آنـكـس كـه بـردزد رحـمـت كـنـد بــبــازوى خــود كــاروان مــيــزنــد

ثم إن البصير هو المدرك لكل موجود برؤيته. وخاصية هذا الاسم وجود التوفيق فمن قرأه قبل صلاة الجمعة مائة مرة فتح الله بصيرته ووفّقه لصالح القول والعمل نسأل الله سبحانه أن يفتح بصيرتنا إلى جانب الملكوت ويأخذنا عن التعلق بعالم الناسوت ويحلم عنا باسمه الحليم ويختمنا بالخير ويجعلنا ممن أتى بقلب سليم:

تمت سورة الملائكة في أواخر شهر الله رجب
من سنة عشر ومائة وألف من هجرة من له أكمل الشرف

٣٦ ـ سورة يس

ثلاث وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾.

﴿يسٓ﴾ إما مسرود على نمط التعديل فلا حظ له من الإعراب أو اسم للسورة وعليه الأكثر فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هذه يس أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمر أي: اقرأ يس ويؤيد كونه اسم السورة قوله عليه السلام: «إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن خلق آدم بألفي عام فإذا سمعت الملائكة قالوا: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لألسن تتكلم بهذا وطوبى لأجواف تحمل هذا» [ودر خبرست كه چون دوستان حق در بهشت رسند از جناب جبروت ندا آيدكه از ديكران بسيار بشنيديد وقت آن آمدكه از ما شنويد «فيسمعهم سورة الفاتحة وطه ويس» مصطفى عليه السلام كفت] «كأن الناس لم يسمعوا القرآن حين سمعوا الرحمٰن يتلوه عليهم» كما في «كشف الأسرار». وقال بعضهم: إن الحروف المقطعة أسماء الله تعالى ويدل عليه أن علياً رضي الله عنه كان يقول: «يا كهيعص يا حمعسق» فيكون مقسماً به مجروراً أو منصوباً بإضمار حرف القسم وحذفه والمراد بحذفه أن لا يكون أثره باقياً وبإضماره أن يبقى أثره مع عدم ذكره ففي نحو الله لأفعلن يجوز النصب بنزع الخافض وأعمال فعل القسم المقدر ويجوز الجر أيضاً بإضمار حرف الجر أي: اقسم بيس أي: الله تعالى. وفي «الإرشاد»: لا مساغ للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين القسمين على شيء واحد قبل انقضاء الأول.

وقال بعض الحكماء الإلهية: إنها اسماء ملائكة هم أربعة عشر كما سبق بيانه في طسم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول كثير منهم أن معنى ﴿يس﴾ يا إنسان في لغة طيىء على أن المراد به رسول عليه السلام ولعل أصله يا أنيسين تصغير إنسان للتكبير فإن صيغة التصغير قد تكون لإظهار العطف والتعظيم ولا سيما أن المتكلم بصيغة التصغير هو الله تعالى وهو لا يقول ولا يفعل إلا ما هو صواب وحكمة فتكون «يا» من يس حرف نداء و«سين» شطر انيسين فلما كثر النداء به في ألسنتهم اقتصروا على شطره الثاني للتخفيف كما قالوا في القسم من الله أصله أيمن الله [واين خطاب باصورت رد بشريت مصطفاست عليه السلام چنانكه جاى ديكر كفت ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] ازانجاكه انسانيست وجنسيت آنست او مشاكل خلق است واين خطاب باانسان بروفق آنست وازآنجاكه شرف نبوتست وتخصيص رسالت خطاب باوى اينست كه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] واين

خطاب كه باصورت وبشريت ازبهر آن رفت كه تانقاب غيرت سازند وهر نامحرمرا برجمال وكمال وى اطلاع ندهند اين چنانست كه كويند]:

ارسلانم خوان تاكس نه بداندكه كيم

وعن ابن الحنفية معناه يا محمد دليله قوله بعده إنك لمن المرسلين وفي الحديد: «إن الله سماني بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله» ويؤيده أنه يقال لأهل البيت آل يس كما قيل سلام على آل طه ويس وسلام على آل خير النبيين.

لله دركمو يا آل ياسينا

يقول الفقير: يحتمل أن يكون المراد بآل يس أول من عظمه الله تعالى بما في سورة يس فلا يحصل التأييد. وقال الكاشفي: [حقيقت آنست كه دركلام عرب از كلمه بحر في تعبير ميكنند چنانچه.

قد قلت لها قفي فقالت ق

أي وقفت پس ميشايدكه حرف سين اشارت بكلمه ياسيد البشر أو يا سيد الأولين والآخرين وحديث «أنا سيد ولد آدم» تفسير اين حرف بود] كما قال في «العرائس»: لم يمدح عليه السلام بذلك نفسه ولكن أخبر عن معنى مخاطبة الحق إياه بقوله يس انتهى [وديكر ببايد دانست كه ازميان حروف سين را سويت اعتداليه هست كه ميان زبر وبينات او توافق وتساوى هست وهيچ حرفى ديكر آن حال ندارد لا جرم مخصوص بحضرت ختميه است ﷺ كه عدالت حقيقى خواه در طريق توحيد وخواه دراحكام شرع بدو اختصاص دارد.

تراست مرتبه اعتدال درهمه حال   كه در خصائص توحيد اعدل ازهمه

تمكن است ترا در مقام جمع الجمع   بدين فضيلت مخصوص افضلى ازهمه

واز فحواى كلمات سابقه روايح رياحين قلب القرآن يس استشمام ميتواند نمود] وسيجيء تمامه في آخر السورة إن شاء الله تعالى. وقال نعمة الله النقشبندي: يا من تحقق بينبوع بحر اليقين وسبح سالماً من الانحراف والتلوين. وشيخ نجم الدين [كفت قسمست بيمن نبوت حبيب وبسر مطهر او]. وقال البقلي: أقسم بيد القدرة الأزلية وسناء الربوبية. وقال القشيري: الياء يشير إلى يوم الميثاق والسين إلى سره مع الأحباب كأنه قال بحق يوم الميثاق وسرى مع الأحباب والقرآن الخ. وذهب قوم إلى أن الله تعالى لم يجعل لأحد سبيلاً إلى إدراك معاني الحروف المقطعة في أوائل السور وقالوا: إن الله تعالى متفرد بعلمها ونحن نؤمن بأنها من جملة القرآن العظيم ونكل علمها إليه تعالى ونقرأها تعبداً وامتثالاً لأمر الله وتعظيماً لكلامه وإن لم نفهم منهم ما نفهمه من سائر الآيات [درينابيع آورده كه هر حرفى از حروف مقطعه را سريست از اسرار خزانه غيب كه حضرت حق حبيب خودرا برآن اطلاع داده بعد ازان جبرائيل برآن نازل شده وجزخدا ورسول مقبول كسى برآن وقوف ندارد].

قال الشيخ ابن نور الدين في بعض وارداته: سألت رسول الله ﷺ عن أسرار المتشابهات من الحروف فقال: هي من أسرار المحبة بيني وبين الله فقلت: هل يعرفها أحد فقال: ولا يعرفها جدي إبراهيم عليه السلام هي من أسرار الله تعالى التي لا يطلع عليها نبي مرسل ولا ملك مقرب ويؤيده ما في الأخبار أن جبريل عليه السلام نزل بقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ فلما قال كاف قال النبي عليه السلام: «علمت» فقال ها فقال: «علمت» فقال: يا فقال: «علمت»

فقال عين فقال: «علمت» فقال صاد فقال: «علمت» فقال جبريل كيف علمت ما لم أعلم؟ يقول الفقير: لا شك أنه عليه السلام وصل إلى مقام في الكمال لم يصل إليه أحد من كمل الأفراد فضلاً عن الغير ويدل عليه عبوره ليلة المعراج جميع المواطن والمقامات فلهذا جاز أن يقال لم يعرف أحد من الثقلين والملائكة ما عرفه النبي عليه السلام فإن علوم الكل بالنسبة إلى علمه كقطرة من البحر فله عليه السلام علم حقائق الحروف بما لا مزيد عليه بالنسبة إلى ما في حد البشر وأما غيره فلهم علم لوازمها وبعض حقائقها بحسب استعداداتهم وقابلياتهم هذا ما يعطيه الحال والله تعالى أعلم بالخفايا والأسرار وما ينطوي عليه كتابه ويحيط به خطابه.

﴿والقرآن﴾ بالجر على أنه مقسم به ابتداء ﴿الحكيم﴾ أي: الحاكم كالعليم بمعنى العالم فإنه يحكم بما فيه من الأحكام أو المحكم من التناقض والعيب ومن التغير بوجه ما كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢] وهو الذي أحكم نظمه وأسلوبه وأتقن معناه وفحواه أو ذي الحكمة أي: المتضمن لها والمشتمل عليها فإنه منبع كل حكمة ومعدن كل عظة فيكون بمعنى النسب مثل تامر بمعنى ذي تمر أو هو من قبيل وصف الكلام بصفة المتكلم به أي: الحكيم قائله.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾.

﴿إنك﴾ يا أكمل الرسل وأفضل الكل وهو مخاطبة المواجهة بعد شرف القسم بنفسه وهو مع قوله: ﴿لمن المرسلين﴾ جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه السلام لست مرسلاً وما أرسل الله إلينا رسولاً. والإرسال قد يكون للتسخير كإرسال الريح والمطر وقد يكون ببعث من له اختيار نحو إرسال الرسل كما في «المفردات». قال في «بحر العلوم»: هو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب بين المرسل به والمرسل إليه اللذين أحدهما المقسم المنزل والآخر المقسم عليه المنزل إليه انتهى. وهذه الشهادة منه تعالى من جملة ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: ٤٣] ولم يقسم الله لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له. قال في «إنسان العيون»: من خصائصه عليه السلام أن الله تعالى أقسم على رسالته بقوله: ﴿يسٓ والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ قال الشيخ سعدي قدس سره:

نـدانـم كـدامـيـن سـخـن كـويـمـت   كـه والا تـرى زانـچـه مـن كـويـمـت

تـر اعـز لـولاك تـمـكـيـن بـس اسـت   ثـنـاى تـوطـه ويـس بـس اسـت

ومعنى ثناء طه أنه عليه السلام صلى في الليالي حتى تورمت قدماه فقال تعالى: طه أي: يا طه أو يا طالب الشفاعة وهادي البشر ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أي: لتقع به في التعب. وقال بعضهم: الطاء تسعة والهاء خمسة معناه يا من هو كالقمر المنير ليلة البدر ومعنى ثناء يٓس ما ذكر من الأقسام على رسالته مع أنه يحتمل أن يراد بيس يا سيد البشر ونحوه على ما سلف وذلك ثناء من الله أي: ثناء.

﴿على صراط مستقيم﴾ خبر آخر لأن أي: متمكن على توحيد وشرائع موصلة إلى الجنة والقربة والرضى واللذة واللقاء وفي موضع إنك لعلى هدى مستقيم [يعني كه تو از مرسلانى بر طريقى راست بردينى درست وشريعتي پاك وسيرتي پسنديده] كما في «كشف الأسرار». فإن

قلت: أي: حاجة إلى قوله ﴿على صراط مستقيم﴾ ومن المعلوم أن الرسل لا يكونون إلا على صراط مستقيم؟ قلت: فائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحاً وإن دل عليه ﴿لمن المرسلين﴾ التزاماً فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال: إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت استقامته وقد نكره ليدل به على أنه أرسل من بين الصرط على صراط مستقيم لا يوازيه صراط ولا يكتنه وصفه في الاستقامة فالتنكير للتفخيم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿يسٓ﴾ إلى ﴿مستقيم﴾ إلى سيادة النبي عليه السلام وإلى أنه ما بلغ أحد من المرسلين إلى رتبته في السيادة وذلك لأنه تعالى أقسم بالقرآن الحكيم إنه لمن المرسلين على صراط مستقيم إلى قاب قوسين من القرب أو أدنى أي: بل أدنى من كمال القرب كما قال ﷺ: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» فإن لكل نبي مرسل سيرة إلى مقام معين على صراط مستقيم هو صراط الله كما أن النبي عليه السلام أخبر أنه رأى ليلة المعراج في كل سماء بعض الأنبياء حتى قال عليه السلام: «رأيت موسى عليه السلام في السماء السادسة ورأى إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة» وقد عبر عنهم إلى كمال رتبة ما بلغ أحد من العالمين إليها.

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾.

﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ نصب على المدح بإضمار أعني والتقدير أعني بالقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم إنك لمن المرسلين لتنذر الخ وهو مصدر بمعنى المفعول أي: المنزل كما تقول العرب هذا الدرهم ضرب الأمير أي: مضروبه عبر به عن القرآن لكمال عراقته في كونه منزلاً من عند الله تعالى كأنه نفس التنزيل [وتنزيل بناء كثرات ومبالغه است اشارت است كه اين قرآن بيكبار ازآسمان فرو آمد بلكه بكرات ومرات فروآمد بمدت بيست وسه سال سيزده سال بمكة وده سال بمدينه نجم نجم آيت آيت سورت سورت چنانكه حاجت بود ولائق وقت بود]. والعزيز الغالب على جميع المقدورات المتكبر الغني عن طاعة المطيعين المنتقم ممن خالفه ولم يصدق القرآن. وخاصية هذا الاسم وجود الغنى والعز صورة أو حقيقة أو معنى فمن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعانه الله تعالى وأعزه فلم يحوجه إلى أحد من خلقه. وفي «الأربعين الإدريسية» يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله. قال السهروردي: من قرأه سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً أهلك الله خصمه وإن ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير إليهم بيده فإنهم ينهزمون. والرحيم المتفضل على عباده المؤمنين بإنزال القرآن ليوقظهم من نوم الغفلة ونعاس النسيان. وخاصية هذا الاسم رقة القلب والرحمة للمخلوقين فمن داومه كل يوم مائة كان له ذلك ومن خاف الوقوع في مكروه ذكره مع قرينه وهو اسم الرحمٰن أو حمله. وفي «الأربعين الإدريسية»: يا رحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاذه. وقال السهروردي إذا كتبه ومحاه بماء وصب في أصل شجرة ظهر في ثمرها البركة ومن شرب من ذلك اشتاق لكاتبه وكذا إن كتب مع اسم الطالب والمطلوب وأمه فإنه يهيم ويدركه من الشوق ما لا يمكنه الثبات معه إن كان وجهاً يجوز فيه ذلك وإلا فالعكس. قال في «الإرشاد» في تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الإيمان به ترهيباً

وترغيباً حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن القرآن تنزيل من عزيز غني لا يحتاج إلى تنزيله لعلة بل هو رحيم اقتضت رحمته تنزيل القرآن فإنه حبل الله يعتصم به الطالب الصادق ويصعد إلى سرادقات عزته وعظمته. وفي «كشف الأسرار»: [عزيز به بيكانكان رحيم بمؤمنان اكر عزيز بود بى رحيم هركز اورا كسى نيابد واكر رحيم بود بى عزيز همه كس اورا يابد عزيز است تا كافران دردنيا اورا ندانند رحيم است در عقبى تا مؤمنان اورا بينند]:

دست رحمت نقاب خود بكشيد عاشقان ذوق وصل او بچشيد

ماند اهل حجاب در پرده ببلاى فراق او مرده

﴿لتنذر﴾ متعلق بتنزيل أي: لتخوف بالقرآن ﴿قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ ما نافية والجملة صفة مبينة لغاية احتياجهم إلى الإنذار. والمعنى لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة ولم يكونوا من أهل الكتاب ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾ [سبأ: ٤٤] يعني العرب وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ [الجمعة: ٢] إلى قوله: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ويجوز أن تكون ما موصولة أو موصوفة على أن تكون الجملة مفعولاً ثانياً لتنذر بحذف العائد. والمعنى لتنذر قوماً العذاب الذي أنذره أو عذاباً أنذره آباؤهم الأبعدون في زمن إسماعيل عليه السلام وإنما وصف الآباء في التفسير الأول بالأقربين وفي الثاني بالأبعدين لئلا يلزم أن يكونوا منذرين وغير منذرين فآباؤهم الأقدمون أتاهم النذير لا محالة بخلاف آبائهم الادنين وهم قريش فيكون ذلك بمعنى قوله: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨﴾ [المؤمنون: ٦٨]. فإن قلت: كيف هذا وقد وقعت الفترات في الأزمنة بين نبي ونبي حسبما يحكى في التواريخ وأما الحديث فقيل كان خالد مبعوثاً إلى بني عبس خاصة دون غيرهم من العرب وكان بين عهد عيسى وعهد نبينا عليه السلام. ويقال إن قبره بناحية جرجان على قلة جبل يقال له خدا وقد قال فيه الرسول عليه السلام لبعض من بناته جاءته «يا بنت نبي ضيعه قومه» كذا في «الأسئلة المقحمة». ويحتمل التوفيق بوجه آخر وهو أن المراد بالأمة التي خلا فيها نذير هي الأمة المستأصلة فإنه لم يستأصل قوم إلا بعد النذير والإصرار على تكذيبه وأيضاً إن خلو النذير في كل عصر يستلزم وجوده في كل ناحية والله أعلم ﴿فهم غافلون﴾ متعلق بنفي الإنذار مترتب عليه. والضمير للفريقين أي: لم ينذر آباؤهم فهم جميعاً لأجله غافلون عن الإيمان والرشد وحجج التوحيد وأدلة البعث والفاء داخلة على الحكم المسبب عما قبله فالنفي المتقدم سبب له يعني أن عدم إنذارهم هو سبب غفلتهم ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله لتنذر رداً لتعليل إنذاره فالضمير للقوم خاصة أي: فهم غافلون بما أنذر آباؤهم الأقدمون لامتداد المدة فالفاء داخلة على سبب الحكم المتقدم. والغفلة ذهاب المعنى عن النفس والنسيان ذهابه عنها بعد حضوره. قال بعضهم: الغفلة نوم القلب فلا تعتبر حركة اللسان إذا كان القلب نائماً ولا يضر سكونه إذا كان متيقظاً ومعنى التيقظ أن يشهده تعالى حافظاً له رقيباً عليه قائماً بمصالحه، قال المولى الجامي قدس سره:

رب نال يفوه بالقرآن وهو يفضي به إلى الخذلان

لعنتست اين كه بهر لهجه وصوت شود ازتو حضور خاطر فوت

فكر حسن غنا برد هوشت متكلم شود فرا موشت

نـشـود بـر دل تـوتـابـنـده كـيـن كـلام خـداسـت يـابـنـده
حـكـم لـعـنـت ز قـفـل بـى اخـلاص نـيـسـت بـاقـارئـان قـرآن خـاص
پـس مـصـلـى كـه درمـيـان نـمـاز مـيـكـنـد بـر خـداى عـرض نـيـاز
چـون در صـدق نـيـسـت بـاز بـرو مـيـكـنـد لـعـنـت آن نـمـاز بـرو

وفي الحديث «الغفلة في ثلاث الغفلة عن ذكر الله والغفلة فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وغفلة الرجل عن نفسه في الدين». وفي «كشف الأسرار»: [غافلان دواند يكى ازكار دين غافل واز طلب اصلاح خود بى خبر سربدنيا درنهاده ومست شهوت كشته وديده فكرت وعبرت برهم نهاده حاصل وى آنست كه رب العزه كفت] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٨٧] وفي الخبر: «عجبت لغافل وليس بمغفول عنه» [ديكر غافلى است پسنديده ازكار دنيا وترتيب معاش غافل سلطان حقيقت برباطن وى استيلا نموده درمكاشفه جلال احديت چنان مستهلك شده كه ازخود غائب كشته نه ازدنيا خبردارد نه از عقبا بزبان حال ميكويد]:

اين جهان دردست عقلست آن جهان دردست روح
پـاى هـمـت بـر قـفـاى هـر دوده سـالار زن

قالوا الصوفي كائن بائن:

هـركـه حـق دادنـور مـعـرفـتـش كـائـن بـائـن بـود صـفـتـش
جـان بـحـق تـن بـغـيـر حـق كـائـن تـن زحـق جـان زغـيـر حـق بـائـن
ظـاهـر أو بـخـلـق پـيـوسـتـه بـاطـن أو زخـلـق بـكـسـسـتـه
از درون آشـنـا وهـمـخـانـه وزبـرون درلـبـاس بـيـكـانـه

فأهل هذه الصفة هم المتيقظون حقيقة وإن ناموا لأنه لا تنام عين العارفين وما سواهم هم النائمون حقيقة وإن سهروا لأنه لم تنفتح أبصار قلوبهم [ودر وصايا واردست كه يا علي بامردكان منشين علي رضي الله عنه كفت يا رسول الله مردكان كيانند كفت اهل جهلت وغفلت] اللهم اجعلنا من أهل العلم والعرفان والإيقان والشهود والعيان وشرفنا بلقائك في الدارين واصرفنا عن ملاحظة الكونين آمين.

﴿لقد﴾ اللام جواب القسم أي: والله لقد **﴿حق القول﴾** وجب وتحقق **﴿على أكثرهم﴾** أي: أكثر القوم الذين تنذرهم وهم أهل مكة **﴿فهم لا يؤمنون﴾** أي: بإنذارك إياهم والفاء داخلة على الحكم المسبب عما قبله. واختلفوا فقال بعضهم: القول حكم الله تعالى إنهم من أهل النار. وفي «المفردات» علم الله بهم. وقال بعضهم: القول كناية عن العذاب أي: وجب على أكثرهم العذاب. والجمهور على أن المراد به قوله تعالى لإبليس عند قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ [ص: ٨٥] وهو المعنيّ بقوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] وهذا القول لما تعلق بمن تبع إبليس من الجنّ والإنس وكان أكثر أهل مكة ممن علم الله منهم الإصرار على اتباعه واختيار الكفر إلى أن يموتوا كانوا ممن وجب وثبت عليهم مضمون هذا القول لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب إصرارهم الاختياري على الكفر والإنكار وعدم تأثرهم من

التذكير والإنذار. ولما كان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم إصرارهم على الكفر إلى الموت كان قوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ متفرعاً في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول. قال الكاشفي [مراد آنانندكه خداى تعالى ميدانست كه ايشان بركفر ميرند يابر شرك كشته شوند چون أبو جهل واضراب او] وحقيقة هذا المقام أن الكل سعيداً كان أو شقياً يجرون في هذه النشأة على مقتضى استعداداتهم فالله تعالى يظهر أحوالهم على صفحات أعمالهم لا يجبرهم في شيء أصلاً فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غيره فلا يلومن إلا نفسه والأعمال أمارات وليست بموجبات فإن مصير الأمور في النهاية إلى ما جرى به القدر في البداية. وفي الخبر الصحيح روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ وفي يديه كتابان فقال للذي في يده اليمنى «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» ثم قال للذي بشماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» ثم قال بيده فنبذهما ثم قال: «فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير» وحكم الله تعالى على الأكثر بالشقاوة فدل على أن الأقل هم أهل السعادة وهم الذين سمعوا في الأزل خطاب الحق ثم إذا سمعوا نداء النبي عليه السلام أجابوه لما سبق من الإجابة لنداء الحق. وإنما كان أهل السعادة أقل لأن المقصود من الإيجاد ظهور الخليفة من العباد وهو يحصل بواحد مع أن الواحد على الحق هو السواد الأعظم في الحقيقة.

قال بعض الكبار: من رأى محمداً عليه السلام في اليقظة فقد رأى جميع المقربين لانطوائهم فيه ومن اهتدى بهداه فقد اهتدى بهدي جميع النبيين. والإسلام عمل. والإيمان تصديق. والإحسان رؤية أو كالرؤية فشرط الإسلام الانقياد وشرط الإيمان الاعتقاد وشرط الإحسان الإشهاد فمن آمن فقد أعلى الدين ومن أعلاه فقد تعرض لعلوه وعزه عند الله تعالى ومن كفر فقد أراد إطفاء نور الله والله متم نوره وفي «المثنوي»:

هركه بر شمع خدا آرد پفو شمع كى ميرد بسوز وپوزاو

لما قال المشركون يوم أحد أعل هبل أعل هبل أذلهم الله وهبلهم وهو صنم كان يعبد في الجاهلية وهو الحجر الذي يطأه الناس في العتبة السفلى من باب بني شيبة وهو الآن مكبوب على وجهه وبلط الملوك فوقه البلاط فإن كنت تفهم مثل هذه الأسرار وإلا فاسكت والله تعالى حكيم يضع الأمور كلها في مواضعها فكل ما ظهر في العالم فهو حكمة وضعه في محله لكن لا بد من الإنكار لما أنكره الشارع فإياك والغلط.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿إنا﴾ بمقتضى قهرنا وجلالنا ﴿جعلنا﴾ خلقنا أو صيرنا ﴿في أعناقهم﴾ جمع عنق بالفارسية [كردن] والضمير إلى أكثر أهل مكة ﴿أغلالاً﴾ عظيمة ثقالاً جمع غل، بالضم وهو ما يشد به اليد إلى العنق للتعذيب والتشديد سواء كان من الحديد أو غيره. وقال القهستاني: الغل الطوق من حديد الجامع لليد إلى العنق المانع عن تحرك الرأس. وفي «المفردات» أصل الغلل تدرع الشيء وتوسطه ومنه الغلل للماء الجاري مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه وغل

فلان قيد به. وقيل للبخيل هو مغلول اليد قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] انتهى ﴿فهي إلى الأذقان﴾ الفاء للنتيجة أو التعقيب. والأذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين بالفارسية [زنخدان] أي: فالأغلال منتهية إلى أذقانهم بحيث لا يتمكن المغلول معها من تحرك الرأس والالتفات وبالفارسية: [پس آن غلها وزنجيرها پيوسته شده بزنخدانهاى ايشان ونمى كذارندكه سرها بجنبانند] ووجه وصول الغل إلى الذقن هو إما كونه غليظاً عريضاً يملأ ما بين الصدر والذقن فلا جرم يصل إلى الذقن ويرفع الرأس إلى فوق وإما كون الطوق الغل الذي يجمع اليدين إلى العنق بحيث يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة يدخل فيها رأس العمود الواصل بين ذلك الطوق وبين قيد اليد خارجاً عن الحلقة إلى الذقن فلا يخليه يحرك رأسه ﴿فهم مقمحون﴾ رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم فإن الأقماح رفع الرأس إلى فوق مع غض البصر يقال قمح البعير قموحاً فهو قامح إذا رفع رأسه عند الحوض بعد الشرب إما لارتوائه أو لبرودة الماء أو لكراهة طعمه وأقمحت البعير شددت رأسه إلى خلف وأقمحه الغل إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه.

قال بعضهم لفظ الآية وإن كان ماضياً لكنه إشارة إلى ما يفعل بهم في الآخرة كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سبأ: ٣٣] الآية ولهذا قال الفقهاء كره جعل الغل في عنق عبده لأنه عقوبة أهل النار. قال الفقيه: إن في زماننا جرت العادة بذلك إذا خيف من الأباق بخلاف التقييد فإنه غير مكروه لأنه سنة المسلمين في المتمردين هذا والجمهور على أن الآية تمثيل لحال الأكثر في تصميمهم على الكفر وعدم امتناعهم عنه وعدم التفاتهم إلى الحق وعدم انعطاف أعناقهم نحوه بحال الذين غلت أعناقهم فوصلت الأغلال إلى أذقانهم وبقوا رافعين رؤوسهم غاضين أبصارهم فهم أيضاً لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم ولا يكادون يرون الحق أو ينظرون إلى جهته. وقال الراغب: قوله فهم مقمحون تشبيه بحال البعير ومثل لهم وقصد إلى وصفهم بالتأبي عن الانقياد للحق وعن الإذعان لقبول الرشد والتأبي عن الإنفاق في سبيل الله انتهى، وفي «المثنوي»:

كفت اغلالاً فهم به مقمحون	نيست آن اغلال برما از برون
بند پنهان ليك ازآهن را بتر	بند آهن را كند پاره بتر
بند آهن را توان كردن جدا	بند غيبى را نداند كس دوا
مرد را زنبور اكر نيشى زند	طبع او آن لحظه بر دفعى تند
زخم نيش اما چو ازهستى تست	غم قوى باشد نكردد درد ست

قال النقشبندي: هي أغلال الأماني والآمال وسلاسل الحرص والطمع بمزخرفات الدنيا الدنية وما يترتب عليها من اللذات الوهمية والشهوات البهيمية.

﴿وجعلنا﴾ أي: خلقنا لهم من كمال غضبنا عليهم وصيرنا ﴿من بين أيديهم﴾ [ازپيش روى ايشان] ﴿سداً﴾ [ديوارى وحجابى] قرأه حفص بالفتح والباقون بالضم وكلاهما بمعنى. وقيل: ما كان من عمل الناس بالفتح وما كان من خلق الله بالضم ﴿ومن خلفهم﴾ [واز پس ايشان] ﴿سداً﴾ [پرده ومانعى] ﴿فأغشيناهم﴾ [الإغشاء: بر پوشانيدن وكور كردن] والمضاف محذوف والتقدير غطينا أبصارهم وجعلنا عليها غشاوة وهو ما يغشى به الشيء وبالفارسية: [پس بپوشيديم جشمهاى ايشانرا] ﴿فهم لا يبصرون﴾ الفاء داخلة على الحكم المسبب عما قبله

لأن من أحاطه السد من جميع جوانبه لا يبصر شيئاً إذ الظاهر أن المراد ليس جهتي القدام والخلف فقط بل يعم جميع الجهات إلا أن جهة القدام لما كانت أشرف الجهات وأظهرها وجهة الخلف كانت ضدها خصت بالذكر. والآية إما تتمة للتمثيل وتكميل له أي: تكميل أي: وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سداً عظيماً ومن ورائهم سداً كذلك فغطينا بهما أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على أبصار شيء ما أصلاً. وإما تمثيل مستقل فإن ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطينا بهما أبصارهم بحيث لا يبصرون شيئاً قطعاً كاف في الكشف عن فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين من النظر في الأدلة والآيات. قال الإمام: المانع من النظر في الآيات والدلائل قسمان: قسم يمنع من النظر في الآيات التي في أنفسهم فشبه ذلك بالغل الذي يجعل صاحبه مقمحاً لا يرى نفسه ولا يقع بصره على بدنه. وقسم يمنع من النظر في آيات الآفاق فشبه بالسد المحيط فإن المحاط بالسد لا يقع نظره على الآفاق فلا تتبين له الآيات التي في الآفاق كما أن المقمح لا تتبين له الآيات التي في الأنفس فمن ابتلي بهما حرم من النظر بالكلية لأن الدلائل والآيات مع كثرتها منحصرة فيهما كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وقوله تعالى: **﴿إنا جعلنا في أعناقهم﴾** مع قوله: **﴿وجعلنا من بين أيديهم﴾** الخ إشارة إلى عدم هدايتهم لآيات الله تعالى في الأنفس والآفاق [محققان كويندكه سد پيش طول املست وطمع بقا وسد عقب غفلت ازجنايات كذشته وقلت ندم واستغفار برو هركه اورا دوسد چنين احاطه كرده باشدهر آينه چشم او پوشيده باشد از نظردر دلائل قدرت ونه بيند راه فلاح وهدايت] وفي «المثنوي»:

خلفهم سداً فأغشيناهمو | مى نه بيند بندرا پيش وپس او
رنك صحرا دارد آن سدى كه خاست | او نمى داند كه آن سر قضاست
شاهد تو سد زوى شاهداست | مرشدتو سد كفت مرشداست

[وآوردند كه أبو جهل سوكند خورد بلات وعزى كه اكر پيغمبررا عليه السلام درنماز بيند سر مبارك أو نعوذ بالله بشكند وعرب را ازو باز رهاند روزى ديدكه آن حضرت نماز مى كرد ودرحرم كعبه آن ملعون سنكى برداشت ونزد آن حضرت آمد وچون دست بالا برد كه سنك بروى زند دست أو بركردن چنبر شده سنك بردست أو چسبيد دركردنش بماند نوميد باز كشت قوم بني مخزوم دست اورا بجهد بسياراز كردن أو دور كردند وأين آيت يعني: **﴿إنا جعلنا في أعناقهم﴾** الخ آمد كه ما ايشانرا بازداشتيم چنانچه مغلولان ازكارها بازداشته شوند ومخزومى ديكركه وليد بن مغيره است كفت من بروم وبدين سنك محمدرا عليه السلام بكشم نعوذ بالله چون بنزديك آن حضرت آمد نابينا شد تا حس وآواز مى شنيد وكس را نديد] فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه وأخبرهم بالحال فنزل في حقه قوله تعالى: **﴿وجعلنا من بين أيديهم﴾** الخ فيكون ضمير الجمع في الآيتين على طريقة قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل واحد منهم [وكفته اند اين آيت حرزى نيكوست كسى راكه ازدشمن ترسد اين آيت برروى دشمن خواند الله تعالى شر آن دشمن ازوى بازدارد دشمن را ازوى در حجاب كند چنانكه بارسول خدا كرد آن شب كه كافران قصدوى كردند بدر سراى وى آمدند تا بر سروى هجوم برند رسول خدا علي را رضي الله عنه برجاي خود خوابانيد وبيرون آمد وبايشان بركذشت وأين

آيت مى خواند ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً﴾ الخ ودشمنان اورا نديدند ودر حجاب بماندند رسول بر كذشت وقصد مدينه كرد وآن ابتداى هجرت بود] كذا في «كشف الأسرار». وقال «إنسان العيون» لما خرج عليه السلام من بيته الشريف أخذ حفنة من تراب ونثره على رؤوس القوم عند الباب وتلا ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ إلى قوله: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ فأخذ الله تعالى أبصارهم عنه عليه السلام فلم يبصروه.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ أي: مستو عند أكثر أهل مكة إنذارك إياهم وعدمه لأن قوله: ﴿ءأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ وإن كانت جملة فعلية استفهامية لكنه في معنى مصدر مضاف إلى الفاعل فصح الإخبار عنه فقد هجر فيه جانب اللفظ إلى المعنى ومنه «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» وهمزة الاستفهام وأم لتقرير معنى الاستواء والتأكيد فإن معنى الاستفهام منسلخ منهما رأساً بتجريدهما عنه لمجرد الاستواء كما جرد حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم: «اللهم اغفر لنا أيتها العصابة» فكما أن هذا جرى على صورة النداء وليس بنداء كذلك ﴿ءأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ على صورة الاستفهام وليس باستفهام ﴿لا يؤمنون﴾ [نمى كردند ايشان كه علم قديم موت ايشان بر كفر حكم كرده است بسبب اختيار ايشان] وهو استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء. قال في «كشف الأسرار»: أي من أضله الله هذا الضلال لم ينفعه الإنذار.

ـ روي ـ أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى دعا غيلان القدري فقال: يا غيلان بلغني أنك تتكلم في القدر فقال: يا أمير المؤمنين إنهم يكذبون عليّ قال: يا غيلان اقرأ أول سورة يس إلى قوله: ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ فقال غيلان: يا أمير المؤمنين والله لكأني لم أقرأها قط قبل اليوم أشهدك يا أمير المؤمنين أني تائب مما كنت أتكلم به في القدر فقال عمر بن عبد العزيز: اللهم إن كان صادقاً فتب عليه وثبته وإن كان كاذباً فسلط عليه من لا يرحمه واجعله آية للمؤمنين قال: فأخذه هشام بن عبد الملك فقطع يديه ورجليه قال بعضهم: أنا رأيته مصلوباً على باب دمشق. دلت الحكاية على أن القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى وقال الإمام المطرزي في «المغرب»: والقدرية هم الفرقة المجبرة الذين يثبتون كل الأمر بقدر الله وينسبون القبائح إليه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. ولما بين كون الإنذار عندهم كعدمه عقبه ببيان من يتأثر منه فقيل:

﴿إنما تنذر﴾ أي: ما ينفع إنذارك ﴿من اتبع الذكر﴾ أي: القرآن بالتأمل فيه أو الوعظ والتذكير ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان ﴿وخشي الرحمٰن بالغيب﴾ أي: خاف عقابه تعالى والحال أنه غائب عن العقاب على أنه حال من الفاعل أو والحال إن العقاب غائب عنه أي: قبل نزول العقاب وحلوله على أنه حال من المفعول أو حال كونه غائباً عن عيون الناس في خلوته ولم يغتر برحمته فإنه منتقم قهار كما أنه رحيم غفار وكيف يؤمن سخطه وعذابه بعد أن قال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [المعارج: ٢٨] ومن كان نعمته بسبب رحمته أكثر فالخوف منه أتم مخافة أن يقطع عنه النعم المتواترة فظهر وجه ذكر الرحمٰن مع الخشية مع أن

الظاهر أن يذكر معها ما ينبىء عن القهر.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿**وخشي الرحمٰن بالغيب**﴾ أي: بنور غيبتي يشاهد وخامة عاقبة الكفر والعصيان ويتحقق عنده بشواهد الحق كمالية حلاوة الإيمان ورفعة رتبة العرفان ﴿**فبشره**﴾ أي: من اتبع وخشي وحد الضمير مراعاة اللفظ من ﴿**بمغفرة**﴾ عظيمة لذنوبه ﴿**وأجر كريم**﴾ حسن مرضى لأعماله الصالحة لا يقادر قدره وهو الجنة وما فيها مما أعده الله لعباده الجامعين بين اتباع ذكره وخشيته والفاء لترتيب البشارة أو الأمر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية. يقول الفقير: رتب التبشير بمثنى على مثنى فالتأمل في القرآن أو التأثر من الوعظ يؤدي إلى الإيمان المؤدي إلى المغفرة لأن الله تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء والخشية تؤدي إلى الحسنات المؤدية إلى الأجر الكريم لأنه تعالى قال: ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]. قال بعضهم: الإنذار لا يؤثر إلا في أصحاب الذكر لأنهم في مشاهدة عظمة المذكور فبركة موعظة الصادق تزيد لهم تعظيم الله تعالى وإجلاله وإذا زاد هذا المعنى زادت العبودية وزال التعب وحصل الإنس مع الرب.

واعلم أن الجنة دار جمال وأنس وتنزل إلهي لطيف. وأما النار فهي دار جلال وجبروت فالاسم الرب مع أهل الجنة والاسم الجبار مع أهل النار أبد الآبدين ودهر الداهرين وقد قال تعالى: «هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي» وإنما كان الحق تعالى لا يبالي بذلك لأن رحمته سبقت غضبه في حق الموحدين أو في حق المشركين ويكون المراد بالرحمة رحمة الإيجاد من العدم لأنها سابقة على سبب الغضب الواقع منهم فلذلك كان تعالى لا يبالي بما فعل بالفريقين. ولو كان المراد من عدم المبالاة ما توهمه بعضهم لما وقع الأخذ بالجرائم ولا وصف الحق نفسه بالغضب ولا كان البطش الشديد هذا كله من المبالاة والتهم بالمأخوذ كذا في «الفتوحات المكية».

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

﴿**إنا**﴾ من مقام كمال قدرتنا والجمع للتعظيم ولكثرة الصفات. وقال بعضهم لما في إحياء الموتى من حظ الملائكة وينافيه الحصر الدال عليه قوله: ﴿**نحن**﴾ قال في «البحر»: كرر الضمير لتكرير التأكيد ﴿**نحيي الموتى**﴾ نبعثهم بعد مماتهم ونجزيهم على حسب أعمالهم فيظهر حينئذٍ كمال الإكرام والانتقام للمبشرين والمنذرين من الأنام. والإحياء جعل الشيء حياً ذا حس وحركة والميت من أخرج روحه وقد أطلق النبي عليه السلام لفظ الموتى على كل غني مترف وسلطان جائر وذلك في قوله عليه السلام: «أربع يمتن القلب الذنب على الذنب وكثرة مصاحبة النساء وحديثهن وملاحاة الأحمق تقول له ويقول لك ومجالسة الموتى قيل: يا رسول الله وما مجالسة الموتى؟ قال: كل غني مترف وسلطان جائر».

وفي «التأويلات النجمية»: نحيي قلوباً ماتت بالقسوة بما نمطر عليها من صوب الإقبال والزلفة انتهى فالإحياء إذاً مجاز عن الهداية ﴿**ونكتب**﴾ أي: نحفظ ونثبت في اللوح المحفوظ يدل عليه آخر الآية أو يكتب رسلنا وهم الكرام الكاتبون وإنما أسند إليه تعالى ترهيباً ولأنه الآمر به ﴿**ما قدموا**﴾ أي: أسلفوا من خير وشر وإنما أخر الكتابة مع أنها مقدمة على الإحياء لأنها ليست مقصودة لذاتها وإنما تكون مقصودة لأمر الإحياء ولولا الإحياء والإعادة لما ظهر

للكتابة فائدة أصلاً ﴿وآثارهم﴾ أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده أي: آثارهم التي أبقوها من الحسنات كعلم علموه أو كتاب ألفوه أو حبيس وقفوه أو بناء شيء من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البرّ قال الشيخ سعدي:

نمرد آنكه ماند پس از وى بجاى — پل ومسجد وخان ومهمان سراى
هر آن كو نماند از پسش ياد كار — درخت وجودش نياورد بار
وركرفت آثار خيرش نماند — نشايد پس از مرك الحمد خواند

ومن السيئات كوظيفة وظفها بعض الظلمة على المسلمين مسانهة أو مشاهرة وسكة أحدثها فيها تحسيرهم وشيء أحدث فيه صدّ عن ذكر الله من ألحان وملاهي ونحوه قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣] أي: بما قدم من أعماله وأخر من آثاره وفي «المثنوي»:

هركه بنهد سنت بد اى فتى — تا در افتد بعد او خلق از عمى
جمع كردد بر وى آن جمله بزه — كوسرى بودست وايشان دم غزه

فعلى العدول أن يرفعوا الأحداث التي فيها ضرر بين للناس في دينهم ودنياهم وإلا فالراضي كالفاعل وكل مجزي بعمله:

از مكافات عمل غافل مشو — كندم از كندم برويد جو ز جو
كين چنين كفتست پير معنوي — كاى برادر هرچه كارى بدروى

وقال بعض المفسرين: هي آثار المشائين إلى المساجد ولعل المراد أنها من جملة الآثار كما في «الإرشاد».

ـ روي ـ أن جماعة من الصحابة بعدت دورهم عن المسجد النبوي فأراد النقلة إلى جوار المسجد فقال عليه السلام: «إن الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليها فالزموا بيوتكم» والله تعالى لا يترك الجزاء على الخطى سواء كانت في حسنة أو في سيئة وفي الحديث: «أعظم الناس أجراً من يصلي ثم ينام». واختلف فيمن قربت داره من المسجد هل الأفضل له أن يصلي فيه أو يذهب إلى الأبعد فقالت طائفة: الصلاة في الأبعد أفضل لكثرة الثواب الحاصل بكثرة الخطى. وقال بعضهم: الصلاة في الأقرب أفضل لما ورد «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» ولإحياء حق المسجد ولماله من الجوار وإن كان في جواره مسجد ليس فيه جماعة وبصلاته فيه يحصل الجماعة كان فعلها في مسجد الجوار أفضل لما فيه من عمارة المسجد وإحيائه بالجماعة وأما لو كان إذا صلى في مسجد الجوار صلى وحده فالبعيد أفضل ولو كان إذا صلى في بيته صلى جماعة وإذا صلى في المسجد صلى وحده ففي بيته أفضل.

قال بعضهم: جار المسجد أربعون داراً من كل جانب. وقيل: جار المسجد من سمع النداء. قال في مجمع الفتاوى: رجل لو كان في جواره مسجدان يصلي في أقدمهما لأن له زيادة حرمة وإن كانا سواء أيهما أقرب يصلي هناك وإن كان فقيهاً يذهب إلى الذي قومه أقل حتى يكثر بذهابه وإن لم يكن فقيهاً يخير قالوا: كل ما فيه الجماعة كالفرائض والتراويح فالمسجد فيه أفضل فثواب المصلين في البيت بالجماعة دون ثواب المصلين في المسجد بالجماعة وفي الحديث: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته، وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفاً» وفي رواية «سبعة وعشرين» وذلك لأن فرائض اليوم والليلة سبع عشرة

ركعة والرواتب عشر فالجميع سبع وعشرون. وأكثر العلماء على أن الجماعة واجبة. قال بعضهم: سنة مؤكدة وفي الحديث: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس وأنظر إلى أقوام يتخلفون عن الجماعة فاحرّق بيوتهم» وهذا يدل على جواز إحراق بيت المتخلف عن الجماعة لأن الهم على المعصية لا يجوز من الرسول عليه السلام لأنه معصية فإذا جاز إحراق البيت على ترك الواجب أو السنة المؤكدة فما ظنك في ترك الفرض وفي الحديث: «بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» وفيه إشارة إلى أن كل ظلمة ليست بعذر لترك الجماعة بل الظلمة الشديدة وإطلاق اللفظ يشعر بأن المتحري للأفضل ينبغي أن لا يتخلف عن الجماعة بأي وجه كان إلا أن يكون العذر ظاهراً والأعذار التي تبيح التخلف عن الجماعة هي المرض الذي يبيح التيمم ومثله كونه مقطوع اليد والرجل من خلاف أو مفلوجاً أو لا يستطيع المشي أو أعمى والمطر والطين والبرد الشديد والظلمة الشديدة في الصحيح وكذا الخوف من السلطان أو غيره من المتغلبين جعلنا الله وإياكم ممن قام بأمره في جميع عمره ﴿**وكل شيء**﴾ من الأشياء كائناً ما كان سواء كان ما يصنعه الإنسان أو غيره وهو منصوب بفعل مضمر يفسره قوله: ﴿**أحصيناه**﴾ ضبطناه وبيناه. قال ابن الشيخ: أصل الإحصاء العد ثم استعير للبيان والحفظ لأن العد يكون لأجلهما. وفي «المفردات» الإحصاء التحصيل بالعدد يقال: أحصيت كذا وذلك من لفظ الحصى واستعمال ذلك فيه لأنهم كانوا يعتمدون عليه في العد اعتمادنا فيه على الأصابع ﴿**في إمام مبين**﴾ أصل عظيم الشأن مظهر لجميع الأشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ سمي إماماً لأنه يؤتم به ويتبع. قال الراغب: الإمام المؤتم به إنساناً كان يقتدى بقوله وبفعله أو كتاباً أو غير ذلك محقاً كان أو مبطلاً وجمعه أئمة نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] أي: بالذي يقتدون به وقيل بكتابهم ﴿**وكل شيء أحصيناه في إمام مبين**﴾ فقد قيل: إشارة إلى اللوح المحفوظ انتهى. وفي الأحصاء ترغيب وترهيب فإن المحصي لم يصح منه الغفلة في حال من الأحوال بل راقب نفسه في كل وقت ونفس وحركة وسكنة. وخاصية هذا الاسم تسخير القلوب فمن قرأه عشرين مرة على كل كسرة من الخبز والكسر عشرون فإنه يسخر له الخلق. فإن قيل: ما فائدة تسخير الخلق؟ قلت: دفع المضرة أو جلب المنفعة وأعظم المنافع التعليم و«الإرشاد» واختار بعض الكبار ترك التصرف والالتفات إلى جانب الخلق بضرب من الحيل فإن الله تعالى يفعل ما يريد والأهم تسخير النفس الأمارة حتى تنقاد للأمر وتطيع للحق فمن لم يكن له أمارة على نفس كان ذليلاً في الحقيقة وإن كان مطاعاً في الظاهر.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿**وكل شيء**﴾ مما يتقربون به إلينا ﴿**أحصيناه في إمام مبين**﴾ أي: أثبتنا آثاره وأنواره في لوح محفوظ قلوب أحبابنا انتهى.

واعلم أن قلب الإنسان الكامل اسم مبين ولوح إلهي فيه أنوار الملكوت منتقشة وأسرار الجبروت منطبعة مما كان في حد البشر دركه وطوق العقل الكلي كشفه وإنما يحصل هذا بعد التصفية بحيث لم يبق في القلب صورة ذرة مما يتعلق بالكونين ومعنى التصفية إزالة المتوهم ليظهر المتحقق فمن لم يدر المتوهم من المتحقق حرم من المتحقق، قال المولى الجامي قدس سره:

سككى مى شد استخوان بدهان كرده رد بر كنار آب روان

بسكه آن آب صاف وروشن بود عكس آن استخوان در آب نمود
برد بيچاره سك كمان كه مكر هست در آب استخوان دكر
لب چو بكشاد سوى آن بستاد استخوان ازدهان در آب فتاد
نيست را هستى توهم كرد بهر آن نيست هست راكم كرد

فعلى العاقل أن يجلو المرآة ليظهر صورة الحقيقة وحقيقة الوجود ويحصل كمال العيان والشهود نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الصفوة ويحفظنا من الكدورات والهفوة إنه غاية المقصود ونهاية الأمل من كل علم وعمل.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية﴾ إلى قوله: **﴿خامدون﴾** يشير إلى أصناف ألطافه مع أحبائه وأنواع قهره مع أعدائه كما في «التأويلات النجمية» أمر الله تعالى سيد المرسلين ﷺ بإنذار مشركي مكة بتذكيرهم قصة أصحاب القرية ليحترزوا عن أن يحل بهم ما نزل بكفار أهل تلك القرية. قال في «الإرشاد» ضرب المثل يستعمل على وجهين: الأول في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها فالمعنى اجعل أصحاب القرية مثلاً لأهل مكة في الغلو في الكفر والإصرار على تكذيب الرسل أي: طبق حالهم بحالهم على أن مثلاً مفعول ثان وأصحاب القرية مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه. والثاني في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد إلى تطبيقها بنظيرة لها فالمعنى اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل فقوله أصحاب القرية أي: مثل أصحاب القرية على تقدير المضاف كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وهذا المقدر بدل من الملفوظ أو بيان له. والقرية انطاكية من قرى الروم وهي بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة قاعدة بلاد يقال لها العواصم وهي ذات عين وسور عظيم من صخر داخله خمسة أجبل دورها اثنا عشر ميلاً كما في «القاموس» ويقال لها انتاكية بالتاء بدل الطاء وهو المسموع من لسان الملك في قصة ذكرت في «مشارع الأشواق». قال الإمام السهيلي: نسبت انطاكية إلى انطقيس وهو اسم الذي بناها ثم غيرت. وفي «التكملة» وكانت قصتهم في أيام ملوك الطوائف. وفي «بحر العلوم» انطاكية من مدائن النار بشهادة النبي عليه السلام حيث قال: «أربع مدائن من مدائن الجنة مكة والمدينة وبيت المقدس وصنعاء اليمن وأربع مدائن من مدائن النار أنطاكية وعمورية وقسطنطينية وظفار اليمن» وهو كقطام بلد باليمن قرب صنعاء إليه ينسب الجزع وهو بالفتح خرز فيه سواد وبياض يشبه به الأعين وكانت انطاكية إحدى المدن الأربع التي يكون فيها بطارقة النصارى وهي انطاكية والقدس والاسكندرية وورومية ثم بعدها قسطنطينية. قال في «خريدة العجائب»: رومية الكبرى مدينة عظمية في داخلها كنيسة عظيمة طولها ثلاثمائة ذراع وأركانها من نحاس مفرغ مغطى كلها بالنحاس الأصفر وبها كنيسة أيضاً بنيت على هيئة بيت المقدس وبها ألف حمام وألف فندق وهو الخان ورومية أكبر من أن يحاط بوصفها ومحاسنها وهي للروم مثل مدينة فرانسة للافرنج كرسي ملكهم ومجتمع أمرهم وبيت ديانتهم وفتحها من اشراط الساعة **﴿إذ جاءها المرسلون﴾** بدل من أصحاب القرية بدل الاشتمال لاشتمال الظروف على ما حل فيها كأنه قيل واجعل وقت مجيء

المرسلين مثلاً أو بدل من المضاف المقدر كأنه قيل واذكر لهم وقت مجيء المرسلين وهم رسل عيسى عليه السلام إلى أهل انطاكية.

﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ بدل من إذ الأولى أي: وقت أرسلنا اثنين إلى أصحاب القرية وهما يحيى ويونس ونسبة إرسالهما إليه تعالى بناء على أنه بأمره تعالى فكانت الرسل رسل الله. ويؤيده مسألة فقهية وهي أن وكيل الوكيل بإذن الموكل بأن قال الموكل له اعمل برأيك يكون وكيلاً للموكل لا للوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل إياه وينعزل إذا عزله الموكل الأول ﴿فكذبوهما﴾ أي: فأتياهم فدعواهم إلى الحق فكذبوهما في الرسالة بلا تراخ وتأمل وضربوهما وحبسوهما على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما وسيأتي ﴿فعززنا﴾ أي: قويناهما فحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن القصد ذكر المعزز به وبيان تدبيره اللطيف الذي به عز الحق وذل الباطل يقال عزز المطر الأرض إذا لبدها وسددها وأرض عزاز أي: صلبة وتعزز اللحم اشتد وعز كأنه حصل في عزاز يصعب الوصول إليه. وفي «تاج المصادر» [التعزيز والتعزة: ليرومندكردند] ومنه الحديث «إنكم لمعزز بكم» أي: مشدد [وفرونشاندن باران زمين را] انتهى ﴿بثالث﴾ هو شمعون الصفار ويقال له شمعون الصخرة أيضاً رئيس الحواريين وقد كان خليفة عيسى عليه السلام بعد رفعه إلى السماء. قال في «التكملة»: اختلف في المرسلين الثلاثة فقيل: كانوا أنبياء رسلاً أرسلهم الله تعالى وقيل: كانوا من الحواريين أرسلهم عيسى ابن مريم إلى أهل القرية المذكورة ولكن لما كان إرساله إياهم عن أمره أضاف الإرسال إليه انتهى علم منه أن الحواريين لم يكونوا أنبياء لا في زمان عيسى ولا بعد رفعه وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «ليس بيني وبينه نبي» أي: بين عيسى وإن احتمل أن يكون المراد النبي الذي يأتي بشريعة مستقلة وهو ينافي وجود النبي المقرر للشريعة المتقدمة ﴿فقالوا﴾ أي: جميعاً ﴿إنا إليكم مرسلون﴾ مؤكدين كلامهم لسبق الإنكار لما أن تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم. قال في «كشف الأسرار»: [قصه آنست كه رب العالمين وحى فرستاد بعيسى عليه السلام كه من ترا بآسمان خواهم برد حواريان را يكان يكان ودوان ودوان بشهرها فرست تا خلق را بدين حق دعوت كنند عيسى ايشانرا حاضر كرد ورئيس ومهترايشان شمعون وايشانرا يكان يكان ودوان دوان قوم بقوم فرستاد وشهر شهر ايشانرا نامزد مى زد وايشانرا كفت چون من بآسمان رفتم شماهر كجاكه معين كرده ام ميرويد ودعوت ميكنيد واكر زبان آن قوم ندانيد در آن راه كه ميرويد شمارا فرشته پيش ايد جامى شراب بر دست نهاده از ان شراب نوراني بازخوريد تاز بان ان قوم بدانيد ودوكس را بشهر انطاكية فرستاد] وكانوا عبدة أصنام. وقال أكثر أهل التفسير: ارسل إليهم عيسى اثنين قبل رفعه ولما أمرهما أن يذهبا إلى القرية قالا: يا نبي الله إنا لا نعرف لسان القوم فدعا الله لهما فناما بمكانهما فاستيقظا وقد حملتهما الملائكة وألقتهما إلى أرض أنطاكية فكلم كل واحد صاحبه بلغة القوم فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار الذي ينحت الأصنام وهو صاحب يس لأن الله تعالى ذكره في سورة يس في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [القصص: ٢٠] فسلما عليه فقال: من أنتما؟ فأخبراه بأنهما من رسل عيسى [آمده ايم تا شمارا بردين حق دعوت كنيم وراه راست وملت پاك شما نماييم كه دين حق توحيداست وعبادت خداى يكتا پير كفت شمارا برراستى اين سخن هيچ معجزه هست كفتند آرى] نحن نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله وكان للرسل من المعجزة ما

للأنبياء بدعاى عيسى [پيركفت مرا پسريست ديوانه وياخود دير كاه تاوى بيماراست ودرد وى علاج اطبانه پذيرد خواهم كه اورا به بينيد ايشانرا بخانه برد] فدعوا الله تعالى ومسحا المريض فقام بإذن الله صحيحاً:

قدم نهادي وبرهر دوديده جاكردى بيكنفس دل بيمار را دوا كردى

فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما إلى الملك واسمه بحناطيس الرومي او انطيخس او شلاحن فطلبهما فأتياه فاستخبر عن حالهما فقالا: نحن رسل عيسى ندعوك إلى عبادة رب وحده فقال: ألنا رب غير آلهتنا؟ قالا: نعم وهو من أوجدك وآلهتك، من آمن به دخل الجنة ومن كفر به دخل النار وعذب فيها أبداً فغضب وضربهما وحبسهما فانتهى ذلك إلى عيسى فأرسل ثالثاً وهو شمعون لينصرهما فإنه رفع بعده كما قاله البعض فجاء القرية متنكراً أي: لم يعرف حاله ورسالته وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا حديثه إلى الملك فأنس به وكان شمعون يظهر موافقته في دينه حيث كان يدخل معه على الصنم فيصلي ويتضرع وهو يظن أنه من أهل دينه كما قال الشيخ سعدي في قصة صنم سومنات لما دخل الكنيسة متنكراً وأراد أن يعرف كيفية الحال:

بتك را يكى بوسه دادم بدست كه لعنت برو باد وبربت پرست

بتقليد كافر شدم روز چند برهمن شدم در مقالات زند

فقال شمعون للملك يوماً: بلغني أنك حبست رجلين دعواك إلى إله غير إلهك فهل لك أن تدعوهما فأسمع كلامهما وأخاصمهما عنك فدعاهما. وفي بعض الروايات لما جاء شمعون إلى انطاكية دخل السجن أولاً حتى انتهى إلى صاحبيه فقال لهما: ألم تعلما أنكما لا تطاعان إلا بالرفق واللطف:

چو بينى كه جاهل بكين اندراست سلامت بتسليم دين اندراست

قال: وإن مثلكما مثل امرأة لم تلد زماناً من دهرها ثم ولدت غلاماً فأسرعت بشأنه فأطعمته الخبز قبل أوانه فغص به فمات فكذلك دعوتكما هذا الملك قبل أوان الدعاء ثم انطلق إلى الملك يعني بعد التقرب إليه استدعاهما للمخاصمة فلما حضرا قال لهما شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال: صفاه وأوجزا قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال: وما برهانكما على ما تدعيانه قالا: ما يتمنى الملك فجيء بغلام مطموس العينين أي: كان لا يتميز موضع عينيه من جبهته فدعوا الله حتى انشق له موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فتعجب الملك فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال: ليس لي عنك سر مكتوم إن آلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال له الملك: إن هنا غلاماً مات منذ سبعة أيام كان لأبيه ضيعة قد خرج إليها وأهله ينتظرون قدومه واستأذنوا في دفنه فأمرتهم أن يؤخروه حتى يحضر أبوه فهل يحييه ربكما فأمر بإحضار ذلك الميت فدعوا الله علانية ودعا شمعون سراً فقام الميت حياً بإذن الله [كفت چون جانم از كالبد جدا كشت مرا بهفت وادىء آتش بكذرانيدند ازآنكه بكفر مرده ام] وأنا أحذركم عما أنتم فيه من الشرك فآمنوا [وكفت اينك درهاى آسمان مى بينم كشاده وعيسى پيغمبر ايستاده زير عرش واز بهر اين ياران شفاعت ميكند وميكويدكه بار خدايا ايشانرا نصرت ده كه ايشان رسولان من اند] حتى أحياني

الله وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وكلمته وأن هؤلاء الثلاثة رسل الله قال الملك: ومن الثلاثة قال الغلام شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قول الغلام قد أثر في الملك أخبره بالحال وأنه رسول المسيح إليهم ونصحه فآمن الملك فقط كما حكاه القشيري خفية على خوف من عتاة ملئه وأصر قومه فرجموا الرسل بالحجارة وقالوا: إن كلمتهم واحدة وقتلوا حبيب النجار وأبا الغلام الذي أحيى لأنه أيضاً كان قد آمن ثم إن الله تعالى بعث جبريل فصاح عليهم صيحة فماتوا كلهم كما سيجيء تمام القصة. وقال وهب بن منبه وكعب الأحبار: بل كفر الملك أيضاً وأصروا جميعاً هو وقومه على تعذيب الرسل وقتلهم ويؤيده حكاية تماديهم في اللجاج والعناد وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولو آمن الملك وبعض قومه كما قال بعضهم لكان الظاهر أن يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك أو قتلوا كدأب النجار الشهيد ولم ينقل ذلك مع أن الناس على دين ملوكهم لا سيما بعد وضوح البرهان.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾.

﴿قالوا﴾ أي: أهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة **﴿ما أنتم إلا بشر﴾** آدمي **﴿مثلنا﴾** هو من قبيل قصر القلب فالمخاطبون وهم الرسل لم يكونوا جاهلين بكونهم بشراً ولا منكرين لذلك لكنهم نزلوا منزلة المنكرين لاعتقاد الكفار أن الرسول لا يكون بشراً فنزلوهم منزلة المنكرين للبشرية لما اعتقدوا التنافي بين الرسالة والبشرية فقلبوا هذا الحكم وعكسوه وقالوا: **﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾** أي: أنتم مقصورون على البشرية ليس لكم وصف الرسالة التي تدعونها فلا فضل لكم علينا يقتضي اختصاصكم بالرسالة دوننا ولو أرسل الرحمٰن إلى البشر رسلاً لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة على زعمهم **﴿وما أنزل الرحمٰن من شيء﴾** من وحي سماوي ومن رسول يبلغه فكيف صرتم رسلاً وكيف يجب علينا طاعتكم وهو تتمة الكلام المذكور لأنه يستلزم الإنكار أيضاً **﴿إن أنتم﴾** أي: ما أنتم **﴿إلا تكذبون﴾** في دعوى رسالته.

﴿قالوا ربنا يعلم﴾ بعلمه الحضوري **﴿إنا إليكم لمرسلون﴾** وإن كذبتمونا استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم في التوحيد مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الإنكار.

﴿وما علينا﴾ أي: من جهة ربنا **﴿إلا البلاغ المبين﴾** أي: إلا تبليغ رسالته تبليغاً ظاهراً مبيناً بالآيات الشاهدة بالصحة فإنه لا بد للدعوى من البينة وقد خرجنا من عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا وليس في وسعنا إجباركم على الإيمان ولا أن نوقع في قلوبكم العلم بصدقنا فإن آمنتم وإلا فينزل العذاب عليكم وفيه تعريض لهم بأن إنكارهم للحق ليس لخفاء حاله وصحته بل هو مبني على محض العناد والحمية الجاهلية.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿قالوا﴾ لما ضاقت عليهم الحيل ولم يبق لهم علل **﴿إنا تطيرنا بكم﴾** أصل التطير التفاؤل بالطير فإنهم يزعمون أن الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب للشر كما سبق في

النمل ثم استعمل في كل ما يتشاءم به والمعنى إنا تشاءمنا بكم جرياً على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وإن كان مستجلباً لكل شر ووبال ويتشاءمون بكل ما لا يوافقها وإن كان مستتبعاً لسعادة الدارين.

وقال النقشبندي: قد تشاءمنا بقدومكم إذ منذ قدمتم إلى ديارنا ما نزل القطر علينا وما أصابنا هذا الشر إلا من قبلكم اخرجوا من بيننا وارجعوا إلى أوطانكم سالمين وانتهوا عن دعوتكم ولا تتفوهوا بها بعد. وكان عليه السلام يحب التفاؤل ويكره التطير والفرق بينهما أن الفأل إنما هو من طريق حسن الظن بالله والتطير إنما هو من طريق الاتكال على شيء سواه وفي الخبر لما توجه النبي عليه السلام نحو المدينة لقي بريدة بن أسلم فقال: «من أنت يا فتى» قال بريدة فالتفت عليه السلام إلى أبي بكر فقال: «برد أمرنا وصلح» أي: سهل ومنه قوله: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة» ثم قال عليه السلام: «ابن من أنت يا فتى» قال: ابن أسلم فقال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه: «سلمنا من كيدهم». وفي الفقه: لو صاحت الهامة أو طير آخر فقال: رجل يموت المريض يكفر ولو خرج إلى السفر ورجع فقال: ارجع لصياح العقعق كفر عند البعض وفي الحديث: «ليس عبد إلا سيدخل في قلبه الطيرة فإذا أحس بذلك فليقل أنا عبد الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يذهب بالسيئات إلا الله أشهد أن الله على كل شيء قدير ثم يمضي بوجهه» يعني: يمضي مارّاً بوجهه أي: بجهة وجهه فعدى يمضي بالباء لتضمين معنى المرور قالوا: من تطير تطيراً منهياً عنه حتى منعه مما يريده من حاجته فإنه قد يصيبه ما يكرهه كما في «عقد الدر» **﴿لئن لم تنتهوا﴾** والله لئن لم تمتنعوا عن مقالتكم هذه ولم تسكتوا عنا وبالفارسية: [واكر نه باز ايستيد ازدعواى خود] **﴿لنرجمنكم﴾** [الرجم: سنكسار كردن] أي: لنرمينكم بالحجارة **﴿وليمسنكم منا عذاب أليم﴾** [وبشما رسد ازما عذابى دردنماى] أي: لا نكفي برجمكم بحجر أو حجرين بل نديم ذلك عليكم إلى الموت وهو العذاب الأليم أو ليمسنكم بسبب الرجم منا عذاب مؤلم. وفسر بعضهم الرجم بالشتم فيكون المعنى لا نكتفي بالشتم بل يكون شتمنا مؤدياً إلى الضرب والإيلام الحسي.

ـ حكي ـ أن دباغاً مر بسوق العطارين فغشي عليه وسقط فاجتمع عليه أهل السوق وعالجوه بكل ما يمكن من الأشياء العطرة فلم يفق بل اشتد عليه الحال ولم يدر أحد من أين صار مصروعاً ثم أخبر أقرباؤه بذلك فجاء أخوه وفي كمه شيء من نجاسة الكلب فسحقه حتى إذا وصلت رائحته إلى شمه أفاق وقام وهكذا حال الكفار كما قال جلال الدين قدس سره في «المثنوي»:

ناصحان او را بعنبر يا كلاب	مى دوا سازند بهر فتح باب
مر خبيثانرا نشايد طيبات	درخور ولايق نباشد اى ثقات
چون زعطر وحى كم كشتندوكم	بدفغان شان كه تطيرنا بكم
رنج وبيماريست مارا زين مقال	نيست نيكو وعظتان مارا بفال
كر بيا غازيد نصحى آشكار	ماكنيم آن دم شمارا سنكسار
ما بلغو ولهو فربه كشته ايم	در نصيحت خويش را نسرشته ايم
هست قوت ما دروغ ولاف ولاغ	شورش معده است مارازين بلاغ
هركرا مشك نصيحت سودنيست	لا جرم بابوى بدخو كردنيست

مشركانرازان نجس خواندست حق كاندرون پشك زادند از سبق
كرم كوزادست در سركين ابد مى نكرداند بعنبر خوى خود

﴿قالوا﴾ أي: المرسلون لأهل أنطاكية ﴿طائركم﴾ أي: سبب شؤمكم ﴿معكم﴾ لا من قبلنا وهو سوء اعتقادكم وقبح أعمالكم فالطائر بمعنى ما يتشاءم به مطلقاً ﴿أئن ذكرتم﴾ بهمزتين استفهام وشرط أي: وعظتم بما فيه سعادتكم وخوّفتم وبالفارسية: [آيا اكر پند داده مى شويد] وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أي: تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ إضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سبباً للشؤم أو مصححاً للتوعد أي: ليس الأمر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والتجاوز فيه عن الحد فلذلك أتاكم الشؤم أو في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب إكرامه والتبرك به. وهؤلاء القوم في الحقيقة هم النفس وصفاتها فإن أسرفت في موافقة الطبع ومخالفة الحق فكل من كان في يد مثل هذه النفس فهو لا يبالي بالوقوع في المهالك ولا يزال يدعو الناس إلى ما سلكه من شر المسالك:

هركرا باشد مزاج وطبع سست او نخواهد هيچ كس راتن درست

وكل من تخلص عنها وزكاها أفلح هو ومن تبعه ولذا وعظ الأنبياء والأولياء وذكروا ونبهوا الناس على خطاهم وإسرافهم وردوهم عن طريقة أسلافهم ولكن الذكرى إنما تنفع المؤمنين.

ـ حكي ـ أن غلام الخليل سعى بالصوفية إلى خليفة بغداد وقال: إنهم زنادقة فاقتلهم ولك ثواب جزيل فأحضرهم الخليفة وفيهم الجنيد والشبلي والنوري فأمر بضرب أعناقهم فتقدم أبو الحسين النوري فقال السياف: أتدري إلى ما تبادر؟ فقال: نعم فقال: وما يعجلك فقال: أوثر أصحابي بحياة ساعة فتحير السياف وأنهى الأمر إلى الخليفة فتعجب الخليفة ومن عنده من ذلك فأمر بأن يختبر القاضي حالهم فقال القاضي: يخرج إليّ واحد منهم حتى أبحث معه فخرج إليه أبو الحسين النوري فألقى إليه القاضي مسائل فقهية فالتفت عن يمينه ثم التفت عن يساره ثم أطرق ساعة ثم أجابه عن الكل ثم أخذ يقول وبعد فإن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد كلاماً أبكى القاضي ثم سأله القاضي عن التفاته فقال: سألتني عن المسائل ولا أعلم لها جواباً فسألت عنها صاحب اليمين فقال: لا علم لي ثم سألت صاحب الشمال فقال: لا علم لي فسألت قلبي فأخبرني قلبي عن ربي فأجبتك بذلك فأرسل القاضي إلى الخليفة إن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم [خليفه ايشانرا بخواند وكفت حاجتى خواهيد كفتند حاجت ما آنست كه مارا فراموش كنى نه بقبول خود مارا مشرف كردانى نه برد مهجوركه مارا رد توچون قبول تست خليفه بسيار بكريست وايشانرا با كرامى تمام روانه كرد چون درنهاد خليفه وقاضي عدل وإنصاف سرشته مى شد لا جرم بجانب حق ميل كردند ودرحق صوفيه محققين طريقه ظلم وإسراف سالك نشدند] عصمنا الله وإياكم من مخالفة الحق الصريح بعد وضوحه بالبرهان الصحيح.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ أبعد جوانب أنطاكية وبالفارسية: [وآد ازدورتر جايى ازان

شهر] ﴿رجل﴾ فيه إشارة إلى رجولية الجائي وجلادته وتنكيره لتعظيم شأنه لا لكونه رجلاً منكوراً غير معلوم فإنه رجل معلوم عند الله تعالى وكان منزله عند أقصى باب في المدينة وفي مجيئه من أقصى المدينة بيان لكون الرسل أتوا بالبلاغ المبين حتى بلغت دعوتهم إلى أقصى المدينة حيث آمن الرجل وكان دور السور اثني عشر ميلاً كما سبق ﴿يسعى﴾ حال كونه يسرع في مشيه فإن السعي المشي السريع وهو دون العدو كما في «المفردات» والمراد حبيب بن مرى النجار المشهور عند العلماء بصاحب يس كما سبق وجهه. وفي بعض التواريخ كان من نسل الاسكندر الرومي وإنما سمي حبيب النجار لأنه كان ينحت أصنامهم.

يقول الفقير: هذا ظاهر على تقدير أن يكون إيمانه على أيدي الرسل وهو الذي عليه الجمهور وأما قوله عليه السلام: «سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون» فمعناه إنهم لم يسجدوا للصنم ولم يخلوا بما هو من أصول الشرائع ولا يلزم من نحت الأصنام السجدة لها والأظهر أنه كان نجاراً كما في التعريف للسهيلي ولا يلزم من كونه نجاراً كونه ناحتاً للأصنام وقد قالوا: إنه ممن آمن برسول الله ﷺ وبينهما ستمائة سنة. وكان سبب إيمانه به أنه كان من العلماء بكتاب الله ورأى فيه نعته ووقت بعثته فآمن به ولم يؤمن بنبي غيره عليه السلام قبل مبعثه وقد آمن به قبل مبعثه أيضاً غير حبيب النجار كما قال السيوطي: أول من أظهر التوحيد بمكة وما حولها قس بن ساعدة وفي الحديث: «رحم الله قساً إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده» وورقة بن نوفل ابن عم خديجة رضي الله عنها وزيد بن عمرو بن نفيل وكذا آمن به عليه السلام قبل مبعثه وأظهر التوحيد تبع الأكبر. وقصته أنه اجتاز بمدينة الرسول عليه السلام وكان في ركابه مائة ألف وثلاثون ألفاً من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفاً من الرجالة فأخبر أن أربعمائة رجل من اتباعه من الحكماء والعلماء تبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فقالوا: إن شرف البيت إنما هو برجل يخرج يقال له محمد هذه دار إقامته ولا يخرج منها فبنى فيها لكل واحد منهم داراً واشترى له جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاءً جزيلاً وكتب كتاباً وختمه ورفعه إلى عالم عظيم منهم وأمره أن يدفع ذلك الكتاب لمحمد ﷺ إن أدركه وفي ذلك الكتاب أنه آمن به وعلى دينه وبنى له ﷺ داراً ينزلها إذا قدم تلك البلدة ويقال إنها دار أبي أيوب وأنه من ولد ذلك العالم الذي دفع إليه الكتاب فهو عليه السلام لم ينزل إلا في داره ووصل إليه عليه السلام الكتاب المذكور على يد بعض ولد العالم المسطور في أول البعثة أو حين هاجر وهو بين مكة والمدينة ولما قرىء عليه قال: «مرحباً بتبع الأخ الصالح» ثلاث مرات وكان إيمانه قبل مبعثه بألف سنة ويقال أن الأوس والخزرج من أولاد أولئك العلماء والحكماء. وذكر أنه حفر قبره بصنعاء قبل الإسلام فوجد فيه امرأتان لم تبليا وعند رؤوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر فلانة وفلانة ابنتي تبع ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وفي الحديث: «من مات وهو يعلم لا إله إلا الله دخل الجنة» وإنما لم يقل من مات وهو يؤمن أو يقول ليعلمنا أن كل موحد لله في الجنة يدخلها من غير شفاعة ولو لم يوصف بالإيمان كقس بن ساعدة وأضرابه ممن لا شريعة بين أظهرهم يؤمنون بها وبصاحبها فقس موحد لا مؤمن كما في «الفتوحات المكية» [كفتند حبيب نجار خانه داشت درآن كوشه ازشهر بدورتر جايى ازمردمان وكسب كردى هرروز آنچه كسب

وى بود يك نيمه بصدقه دادى ويك نيمه بخرج عيال كردى وخدايرا پنهان عبادت كردى وكس ازحال وى خبر نداشتى تا آن روزكه رسولان عيسى را رنجانيدند وجفا كردند ازان منزل خويش بشتاب بيامد وايمان خويش آشكارا كرد. وكفته اند أهل انطاكية دارها بردند وآن رسولا نرا باجهل تن كه ايمان آورده بودند كلوهاى شان سوراخ كردند ورسنها بكلو دركشيدند وازدار بياويختند خبر بحبيب نجار رسيدكه خدايرا مى پرستيد درغارى چنانكه ابدال دركوه نشينند وازخلق عزلت كيرند بشاب ازمنزل خويش بيامد] ﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فما قال عند ما جاء ساعياً ووصل إلى المجمع ورآهم مجتمعين على الرسل قاصدين قتلهم فقيل قال: ﴿يا قوم﴾ أصله يا قومي معناه بالفارسية: [اى كروه من] خاطبهم بياقوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وللاشارة إلى أنه لا يريد بهم إلا الخير وإنه غير متهم بإرادة السوء بهم. قال بعضهم: وكان مشهوراً بينهم بالورع واعتدال الأخلاق ﴿اتبعوا المرسلين﴾ المبعوثين إليكم بالحق تعرض لعنوان رسالتهم حثاً لهم على اتباعهم [قتاده كفت چون بيامد نخست رسولانرا بديد كفت شما باين دعوت كه ميكنيد هيچ مزد ميخواهيد كفتند ما هيچ مزد نميخواهيم وجز اعلاى كلمه حق واظهار دين الله مقصود نيست حبيب قوم را بكفت].

﴿اتبعوا من لا يسألكم﴾ [نمى خواهند ازشما] ﴿أجراً﴾ أجرة ومالاً على النصح وتبليغ الرسالة ﴿وهم مهتدون﴾ إلى خير الدين والدنيا والمهتدي إلى طريق الحق الموصل إلى هذا الخير إذا لم يكن متهماً في الدعوة يجب اتباعه وإن لم يكن رسولاً فكيف وهم رسل ومهتدون ومن قال الايغال هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها تكون الآية عنده مثالاً له لأن قوله وهم مهتدون مما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد لا محالة إلا أن فيه زيادة حث على اتباع الرسل وترغيب فيه فقوله: من لا يسألكم بدل من المرسلين معمول لاتبعوا الأول والثاني تأكيد لفظ للأول. قال في «الإرشاد»: تكرير للتأكيد وللتوسل به إلى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء إلى خير الدنيا والدين انتهى. وفيه ذم للمتشيخة المزوّرين الذين يجمعون بتلبيساتهم أموالاً كثيرة من الضعفاء الحمقى المائلين نحو أباطيلهم كما في «التأويلات النقشبندية»:

ره كاروان شير مردان زنند ولى جامه مردم اينان كنند

عصاى كليمند بسيار خوار بظاهر چنين زرد روى ونزار

[چون حبيب آن قوم را نصيحت كرد ايشان كفتند] وأنت مخالف لديننا ومتابع لهؤلاء الرسل فقال:

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وما لي﴾ وأي شيء عرض لي ﴿لا أعبد الذي فطرني﴾ خلقني وأظهرني من كتم العدل ورباني بأنواع اللطف والكرم وقد سبق الفطر في أول فاطر وهذا تلطف في «الإرشاد» بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره كما ينبىء عنه قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ مبالغة في التهديد أي: إليه تعالى لا إلى غيره تردون أيها القوم بعد البعثة للمجازاة

أو للمحاسبة. قال في «فتح الرحمٰن»: أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق. قال بعض العارفين العبودية ممزوجة بالفطرة والمعرفة فوق الخلقة والفطرة وهذا المعنى مستفاد من قول النبي عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة» ولو كانت المعرفة ممزوجة بالفطرة لما قال: «وأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه» بل المعرفة تتعلق بكشف جماله وجلاله صرفاً بالبديهة بغير علة واكتساب لقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]. قال بعضهم: العبد الخالص من عمل على رؤية الفطرة لا غير وأجل منه من يعمل على رؤية الفاطر ثم عاد على المساق الأول وهو إبراز الكلام في صورة النصيحة لنفسه فقال:

﴿ءأتخذ من دونه﴾ أي: دون الذي فطرني وهو الله تعالى ﴿آلهة﴾ باطلة وهي الأصنام وهو إنكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الإطلاق أي: لا أتخذ ثم استأنف لتعليل النفي فقال: ﴿إن يردن الرحمٰن بضر﴾ يعني: [اكرخواهد رحمن ضررى بمن رسد] والضر اسم لكل سوء ومكروه يتضرر به ﴿لا تغن عني شفاعتهم﴾ أي: الآلهة ﴿شيئاً﴾ أي: لا تنفعني شيئاً من النفع إذ لا شفاعة لهم فتنفع فنصب شيئاً على المصدرية وقوله: لا تغن جواب الشرط والجملة الشرطية استئناف لا محل لها من الإعراب ﴿ولا ينقذون﴾ الإنقاذ التخليص أي: لا يخلصونني من ذينك الضر والمكروه بالنصرة والمظاهرة وهو عطف على لا تغن وعلامة الجزم حذف نون الإعراب لأن أصله لا ينقذونني وهو تعميم بعد تخصيص مبالغة بهما في عجزهم وانتفاء قدرتهم. قال الإمام السهيلي: ذكروا أن حبيباً كان به داء الجذام فدعا له الحواري فشفي فلذلك قال: إن يردن الرحمٰن الخ انتهى. وقال بعضهم: إن المريض كان ابنه كما سبق إلا أن يقال لا مانع من ابتلاء كليهما أو أن مرض ابنه في حكم مرض نفسه فلذا أضاف الضر إلى نفسه ويحتمل أن الضر ضر القوم لأنه روى شفاء كثير من مرضاهم على يدي الرسل فأضافه حبيب إلى نفسه على طريقة ما قبله من الاستمالة وتعريفاً للإحسان بهم بطريق اللطف.

﴿إني إذاً﴾ أي: إذا اتخذت من دونه آلهة ﴿لفي ضلال مبين﴾ فإن إشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير إلا خيره ضلال بين لا يخفى على أحد ممن له تمييز في الجملة.

﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿إني آمنت بربكم﴾ الذي خلقكم ورباكم بأنواع النعم وإنما قال: آمنت بربكم وما قال آمنت بربي ليعلموا أن ربهم هو الذي يعبده فيعبدوا ربهم ولو قال إني آمنت بربي لعلهم يقولون أنت تعبد ربك ونحن نعبد ربنا وهو آلهتهم ﴿فاسمعون﴾ أجيبوني في وعظي ونصحي واقبلوا قولي كما يقال سمع الله لمن حمده أي: قبله فالخطاب للكفرة شافههم بذلك إظهاراً للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل. وإضافة الرب إلى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الأصنام أرباباً كما في «الإرشاد»: وإنما أكده إظهاراً لصدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط. ولما فرغ من نصيحته لهم وثبوا عليه فوطؤوه بأرجلهم حتى خرجت إمعاؤه من دبره ثم ألقي في البئر وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه. وقال السدي رجموه يعني

[ايشان اورا سنك مى زدند تا هلاك شد وهو يقول رب اهد قومي آن دليل است بركمال وفرط شفقت وى بر خلق اين آنچنان است كه أبو بكر الصديق بني تيم را كفت آنكه كه اورا مى رنجانيدند واز دين حق بادين باطل ميخواندند كفت «اللهم اهد بني تيم فإنهم لا يعلمون يأمرونني بالرجوع من الحق إلى الباطل» كمال شفقت ومهربانىء ابو بكر رضي الله عنه برخلق خدا غرفه بود از بحر نبوت عربى عليه السلام بآن خبركه كفت «ما صب الله تعالى شيئاً في صدري إلا وصببته في صدر أبي بكر» وخلق مصطفى عليه السلام باخلق چنان بود كه كافران بقصدوى برخاسته بودند ودندان عزيزوى ميشكستند ونجاست برمهر نبوت مى انداختند وآن مهتر عالم دست شفقت بر سر ايشان نهاده كه] «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» وفي «المثنوي»:

طبع را كشتند در حمل بدى ... نا حمولى كر بود هست ازدى

اى مسلمان خود ادب اندر طلب ... نيست الا حمل ازهر بى ادب

وقال الحسن: خرقوا خرقاً في حلق حبيب فعلقوه من وراء سوء المدينة. وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه. وقيل: ألقي في البئر وهو الرس وقبره في سوق أنطاكية. قيل: طوّل معهم الكلام ليشغلهم بذلك عن قتل الرسل إلى أن قال: إني آمنت بربكم فاسمعون فوثبوا عليه فقتلوه وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل كما في «حواشي ابن الشيخ» وكذا قال الكاشفي: [وبقولي آنست بسلامت بيرون رفتند وحبيب كشته شد وقولي آنست كه پيغمبران وملك ومؤمنان كشته شدند] كما قال أبو الليث في تفسيره وقتلوا الرسل الثلاثة.

چون سفيها نراست اين كار وكيا ... لازم آمد يقتلون الأنبيا

﴿قيل ادخل الجنة﴾ قيل له أي: الحبيب النجار ذلك لما قتلوه إكراماً له بدخولها حينئذٍ كسائر الشهداء. وقيل معناه البشري بدخول الجنة وإنه من أهلها يدخلها بعد البعث لا أنه أمر بدخولها في الحال لأن الجزاء بعد البعث وإنما لم يقل قيل له لأن الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة إلى بيانه والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل: قيل ادخل الجنة وكذا قوله تعالى: ﴿قال﴾ إلى آخره فإنه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل: قال متمنياً علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطاعة جرياً على سنن الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء وليعلموا أنهم كانوا على خفاء عظيم في أمره وإنه كان على الحق وأن عداوتهم لم تكسبه إلا سعادة ﴿يا ليت قومي﴾ يا في مثل هذا المقام لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه [اى كاشكى قوم من] ﴿يعلمون بما غفر لي ربي﴾ ما موصولة أي: بالذي غفر لي ربي بسببه ذنوبي أو مصدرية أي: بمغفرة ربي والباء صلة يعلمون أو استفهامية وردت على الأصل وهو أن لا تحذف الألف بدخول الجار والباء متعلقة بغفر أي: بأي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم لإعزاز الدين حتى قتل ﴿وجعلني من المكرمين﴾ أي: المنعمين في الجنة وإن كان على النصف إذ تمامه إنما يكون بعد تعلق الروح بالجسد يوم القيامة وفي الحديث المرفوع «نصح قومه حياً وميتاً» [اكرآن قوم اين كرامت ديدندى ايشان نيز ايمان آوردندى] وهكذا ينبغي للمؤمن

أن يكون ناصحاً للناس لا يلتفت إلى تعصبهم وتمردهم ويستوي حاله في الرضى والغضب.
قال حمدون القصار: لا يسقط عن النفس رؤية الخلق بحال ولو سقط عنها في وقت لسقط في المشهد الأعلى في الحضرة ألا تراه في وقت دخول الجنة يقول: يا ليت قومي يعلمون يحدّث نفسه إذ ذاك. يقول الفقير وذلك لأن حجاب الإمكان الذي هو متعلق بجانب النفس والخلق والكثرة لا يزول أبداً وإن كان الانسلاخ التام ممكناً لا كامل البشر عند كمال الشهود فإن هذا الانسلاخ لا يخرجهم عن حد الحدوث والإمكان بالكلية والا يلزم أن ينقلب الحادث الممكن واجباً قديماً وهو محال. قال في «كشف الأسرار»: [نشان كرامت بنده آنست كه مردوار درآيد وجان ودل وروز كار فداى حق ودين اسلام كند چنانكه حبيب كرد تا از حضرت عزت اين خلعت كرامت بدور سيدكه ﴿ادخل الجنة﴾ دوستان او چون بآن عقبه خطرناك رسند بايشان خطاب آيد ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] بازايشانرا بشارت دهندكه ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠] احمد بن حنبل رحمة الله در نزع بود بدست اشارت مى كرد وبزبان دند نه مى كفت عبد الله پسرش كوش بردهان او نهاد تاچه شنود او درخويشتن مى كفت «لا بعد لا بعد» پسرش كفت اى پدر اين چه حالتست كفت اى عبد الله وقتى باخطراست بدعا مددى ده اينك ابليس بر ايستاده وخاك ادبار برسر مى ريزد وميكويدكه جان ببردى اززخم ما ومن ميكويم «لا بعد» هنوز نه بايك نفس مانده جاى خطراست نه جاى ايمن وكار موقوف بعنايت حق. أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كويد يكى را درخاك مى نهادم سه بار روى او بجانب قبله كردم هربار روى ازقبله بكردانيد پس ندايى شنيدكه اى على دست بدار آنكه ما ذليل كرديم تو عزيز نتوانى كرد وكذا العكس در خبر آيد كه بنده مؤمن چون از سراى فانى روى بدان منزل بقا نهد غسال اورا بدان تخته چوب خواباند تا بشويد از جناب قدم بنعت كرم خطاب آيدكه اى مقربان دركاه دركريد چنانكه آن غسال ظاهر او بآب ميشويد ما باطن او بآب رحمت ميشوييم ساكنان حضرت جبروت كويند پادشاها مارا خبركن تا آنچه نورست كه ازدهان وى شعله مى زند وكويد از نور جلال ماست كه از باطن وى پرظاهر تجلى ميكند حبيب نجار چون بآن مقام دولت رسيد اورا كفتند ﴿ادخل الجنة﴾ أي: در آى درين جاى ناز دوستان وميعادرا زمحبان ومنزل آسايش مشتاقان تاهم طوبى بينى هم زلفى هم حسنى. طوبى عيش بى عتابست. وزلفى ثواب بى حسابست. وحسنى ديدار بى حجابست حبيب چون آن نواخت وكرامت ديد كفت ﴿يا ليت قومي يعلمون﴾ الخ آرزو كردكه كاشكى قوم من دانستندى كه ماكجا رسيديم وچه ديديم تواخت حق ديديم وبمغفرت الله رسيديم]:

آنجايكه ابرار نشستند نشستيم صدكونه شراب از كف اقبال چشيديم
مارا همه مقصود بخشايش حق بود المنة لله كه بمقصود رسيديم

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وما أنزلنا على قومه﴾ أي: قوم حبيب وهم أهل أنطاكية ﴿من بعده﴾ أي: من بعد قتله ﴿من جند﴾ [عسكر] ﴿من السماء﴾ لإهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك ﴿وما كنا منزلين﴾ وما صح في حكمتنا أن ننزل لإهلاك قومه جنداً

من السماء لما أن قدرنا لكل شيء سبباً حيث أهلكنا بعض الأمم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالإغراق وجعلنا إنزال الجند من السماء من خصائصك في الانتصار من قومك. وفي الآية استحقار لأهل أنطاكية ولإهلاكهم حيث اكتفى في استئصالهم بما يتوسل به إلى زجر نحو الطيور والوحوش من صيحة عبد واحد مأمور وإيماءً إلى تفخيم شأن الرسول عليه السلام لأنه إذا كان أدنى صيحة ملك واحد كافياً في إهلاك جماعة كثيرة ظهر أن إنزال الجنود من السماء يوم بدر والخندق لم يكن إلا تعظيماً لشأنه وإجلالاً لقدره لا لاحتياج الملائكة إلى المظاهرة والمعاونة فإنه قيل كما لم ينزل عليهم جنداً من السماء لم يرسل إليهم جنداً من الأرض أيضاً فما فائدة قوله من السماء فالجواب أنه ليس للاحتراز بل لبيان أن النازل عليهم من السماء لم يكن إلا صيحة واحدة أهلكتهم بأسرهم.

﴿إن كانت﴾ أي: ما كانت الأخذة أو العقوبة على أهل أنطاكية **﴿إلا صيحة واحدة﴾** [مكر يك فرياد كه جبرائيل هردوبازى درشهر ايشان كرفته صيحه زد] **﴿فإذا هم﴾** [پس آنجا ايشان] **﴿خامدون﴾** ميتون لا يسمع لهم حس ولا يشاهد لهم حركة شبهوا بالنار الخامدة رمزاً إلى أن الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد يقال خمدت النار سكن لهبها ولم ينطفىء جمرها وهمدت إذا طفىء جمرها. قال في «الكواشي»: لم يقل هامدون وإن كان أبلغ لبقاء أجسادهم بعد هلاكهم ووقعت الصيحة في اليوم الثالث من قتل حبيب والرسل أو في اليوم الذي قتلوهم فيه. وفي رواية في الساعة التي عادوا فيها بعد قتلهم إلى منازلهم فرحين مستبشرين وإنما عجل الله عقوبتهم غضباً لأوليائه الشهداء فإنه تعالى يغضب لهم كما يغضب الأسد لجروه نسأل الله أن يحفظنا من موجبات غضبه وسخطه وعذابه.

﴿يَحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يا حسرة على العباد﴾ المصرين على العناد تعالى فهذه من الأحوال التي حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى: **﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾** فإن المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنين من الثقلين فقوله: **﴿يا حسرة﴾** نداء للحسرة عليهم والحسرة وهي أشد الغم والندامة على الشيء الفائت لا تدعي ولا يطلب إقبالها لأنها مما لا تجيب والفائدة في ندائها مجرد تنبيه المخاطب وإيقاظه ليتمكن في ذهنه أن هذه الحالة تقتضي الحسرة وتوجب التلهف فإن العرب تقول يا حسرة يا عجباً للمبالغة في الدلالة على أن هذا زمان الحسرة والتعجب والنداء عندهم يكون لمجرد التنبيه. وقد جوز أن يكون تحسراً عليهم من جهة الله بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم شبه استعظام الله لجناياتهم على أنفسهم بتحسر الإنسان على غيره لأجل ما فاته من الدولة العظمى من حيث إن ذلك التحسر يستلزم استعظام ما أصاب ذلك الغير والإنكار على ارتكابه والوقوع فيه ويؤيده قراءة يا حسرتا لأن المعنى يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار أي: لكونها مشابهة بالمنادى المضاف في طولها بالجار المتعلق. وفي «بحر العلوم» قوله: **﴿ما يأتيهم﴾** الخ حكاية حال ماضية مستمرة أي: كانوا في الدنيا على الاستمرار يستهزئون بمن يأتيهم من الرسول من غاية الكبر ويستحقرون ويستنكفون عن قبول دينه ودعوته وفيه تسلية لرسول الله ﷺ

عن استهزاء قومه. وفي «تفسير العيون» قوله: ﴿يا حسرة على العباد﴾ بيان حال استهزائهم بالرسل أي: يقال يوم القيامة يا حسرة وندامة على الكفار حيث لم يؤمنوا برسلهم وقوله: ﴿ما يأتيهم﴾ الخ تفسير لسبب الحسرة النازلة بهم وفي الحديث «إن المستهزئين بالناس في الدنيا يفتح لهم يوم القيامة باب من أبواب الجنة فيقال لهم هلم هلم فيأتيه أحدهم بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه فلا يزال يفعل به ذلك حتى يفتح له الباب فيدعى إليه فلا يجيب من الإياس». وقال مالك بن دينار قرأت في زبور داود طوبى لمن لم يسلك سبيل الآثمين ولم يجالس الخاطئين ولم يدخل في هزؤ المستهزئين، وفي «المثنوي»:

پاره دوزى ميكنى اندر دكان زير اين دكان تو مدفون دو كان
هست اين دكان كر آيى زودباش تيشه بستان وتكش را مى تراش
تاكه تيشه ناكهان بر كان نهى ازد كان وپاره دوزى وارهى
پاره دوزى چيست خورد آب ونان مى زنى اين پاره بر دلق كران
هر زمان مى درد اين دلق تنت پاره بروى مى زنى زين خوردنت
پاره بركن ازين قعر دكان تابر آرد سر به پيش تو دو كان
پيش ازان كين مهلت خانه كرى آخر آيد تو نبردى زو برى
پس ترا بيرون كند صاحب دكان وين دكانرا بركنند از روى كان
تو ز حسرت كاه بر سر مى زنى كاه ريش خام خود بر ميكنى
كاى دريغا آن من بود اين دكان كور بودم برنخوردم زين مكان
اى دريغا بود ما را برد باد تا ابد يا حسرة شد للعباد

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ألم يروا﴾ وعيد للمشركين في مكة بمثل عذاب الأمم الماضية ليعتبروا ويرجعوا عن الشرك أي: ألم يعلم أهل مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ كم خبرية. والقرن القوم المقترنون في زمن واحد أي: كثرة إهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفاً ومن غيرهم بشؤم تكذيبهم وقوله ألم يروا معلق عن العمل فيما بعده لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية لأن أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم تر أن زيداً لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه فالجملة منصوبة المحل بيروا ﴿أنهم إليهم لا يرجعون﴾ بدل من أهلكنا على المعنى أي: ألم يعلموا كثرة إهلاكنا القرون الماضية والأمم السالفة كونهم أي: الهالكين غير راجعين إليهم أي: إلى هؤلاء المشركين أي: أهلكوا إهلاكاً لا رجوع لهم من بعده في الدنيا وبالفارسية: [ومشاهده نكردند كه هلاك شدكان سوى اينان بازنمى كردند يعنى بدنيا معاودت نمى كنند] أفلا يعتبرون ولم لا ينتبهون فكما أنهم مضوا وانقرضوا إلى حيث لم يعودوا إلى ما كانوا فكذلك هؤلاء سيهلكون وينقرضون أثرهم ثم لا يعودون. وقال بعضهم: ألم يروا أن خروجهم من الدنيا ليس كخروج أحدهم من منزله إلى السوق أو إلى بلد آخر ثم عودته إلى منزله عند إتمام مصلحته هناك بل هو مفارق من الدنيا أبداً فكونهم غير راجعين إليهم عبارة عن هلاكهم بالكلية ويجوز أن يكون المعنى أن الباقين لا يرجعون إلى المهلكين بسبب

الولادة وقطعنا نسلهم وأهلكناهم كما في «التفسير الكبير» [سلمان فارسي رضي الله عنه هركاه كه بخرابى بر كذشتى توقف كردى دل بدادند ومال ورفتكان آن منزل ياد كردى كفتى كجايند ايشان كه اين بنا نهادند واين مسكن ساختند وبزارى بناليدى وجان بردر باختند تا آن غرفها بياراستند چون دلبران نهادند وچون كل بشكفتند برك بريختند ودر كل خفتند]:

سل الطارم العالي الذرى عن قطينه نجا ما نجا من بؤس عيش ولينه
فلما استوى في الملك واستعبد العدى رسول المنايا تله لجبينه

وهذه الآية ترد قول أهل الرجعة أي: من يزعم أن من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد الموت كما حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له إن قوماً يزعمون أن علياً رضي الله عنه مبعوث قبل يوم القيامة فقال: بئس القوم نحن إذا نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه أي: لو كان راجعاً لكان حياً والحي لا تنكح نساؤه ولا يقسم ميراثه كما قال الفقهاء إذا بلغ إلى المرأة وفاة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الأول فهي امرأته لأنها كانت منكوحته ولم يعترض شيء من أسباب الفرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لا يقربها حتى تنقضي عدتها من النكاح الثاني. ويجب إكفار الروافض في قولهم بأن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا فينتقمون من أعدائهم ويملأون الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وذلك القول مخالف للنص نعم إن روحانية علي رضي الله عنه من وزراء المهدي في آخر الزمان على ما عليه أهل الحقائق ولا يلزم من ذلك محذور قطعاً لأن الأرواح تعين الأرواح والأجسام في كل وقت وحال فاعرف هذا ﴿**وإن كل لما جميع لدينا محضرون**﴾ إن نافية وتنوين كل عوض عن المضاف إليه. ولما بمعنى إلا. وجميع فعيل بمعنى مفعول جمع بين كل وجميع لأن الكل يفيد الإحاطة دون الاجتماع والجميع يفيد أن المحشر يجمعهم. ولدينا بمعنى عندنا ظرف لجميع أو لما بعده. والمعنى ما كل الخلائق إلا مجموعين عندنا محضرون للحساب والجزاء. وهذه الآية بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا وإن من مات ترك على حاله ولو لم يكن بعد الموت بعث وجمع وحبس وعقاب وحساب لكان الموت راحة للميت ولكنه يبعث ويسأل فيكرم المؤمن والمخلص والصالح والعادل ويهان الكافر والمنافق والمرائي والفاسق والظالم فيفرح من يفرح ويتحسر من يتحسر فللعباد موضع التحسر إن لم يتحسروا اليوم.

واعلم أنه غلبت على أهل زماننا مخالفة أهل الحق ومعاداة أولياء الله واستهزاؤهم ألا ترون أنهم يستمعون القول من المحققين فيتبعون أقبحه ويقعون في أولياء الله ويستهزئون بهم وبكلماتهم المستحسنة إلا من يشاء الله به خيراً من أهل النظر وأرباب الإرادة وقليل ما هم فكما أن الله تعالى هدد كفار الشريعة في هذا المقام من طريق العبارة كذلك هدد كفار الحقيقة من طريق الإشارة فإنه لم يفت منهم أحد ولم ينفلت من قبضة القدرة إلى يومنا هذا ولم يكن لواحد منهم عون ولا مدد وكلهم رجعوا إليه وأحضروا لديه وعوتبوا بل عوقبوا على ما هم عليه. ثم اعلم أن الله تعالى جعل هذه الأمة آخر الأمم فضلاً منه وكرماً ليعتبروا بالماضين وما جعلهم عبرة لأمة أخرى وأنه تعالى قد شكا لهم من كل أمة وما شكا إلى أحد من غيرهم شكايتهم إلا ما شكا إلى نبيهم المصطفى ﷺ ليلة المعراج كما قال عليه السلام: «شكا ربي من أمتي شكايات: الأولى: أني لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد. والثانية: أني لا أدفع أرزاقهم إلى غيرهم وهم يدفعون عملهم إلى غيري. والثالثة: أنهم يأكلون رزقي

ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي. والرابعة: أن العزة لي وأنا المعز وهم يطلبون العز من سواي. والخامسة أني خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها».

فغان از بديها كه در نفس ماست نه فعل نكوهست نه كفتار راست
دوخواهنده بودن بمحشر فريق ندانم كدامين دهندم طريق
خدايا دو چشمم زباطل بدوز بنورم كه فردا بنارت مسوز

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وآية﴾ علامة عظيمة ودلالة واضحة على البعث والجمع والإحضار وهو خبر مقدم للاهتمام به وقوله ﴿لهم﴾ أي: لأهل مكة إما متعلق بآية لأنها بمعنى العلامة أو بمضمر هو صفة لها والمبتدأ قوله ﴿الأرض الميتة﴾ اليابسة الجامدة وبالفارسية: [خشك وبى كياه] ﴿أحييناها﴾ استئناف مبين لكيفية كون الأرض الميتة آية كأن قائلاً قال كيف تكون آية فقال: أحييناها والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة وهي صفة تقتضي الحس والحركة والمعنى هٰهنا هيجنا القوى النامية فيها وأحدثنا نضارتها بأنواع النباتات في وقت الربيع بإنزال الماء من بحر الحياة وكذلك النشور فإنا نحيي الأبدان البالية المتلاشية في الأجداث بإنزال رشحات من بحر الجود فنعيدهم أحياء كما أبدعناهم أولاً من العدم ﴿وأخرجنا منها﴾ أي: من الأرض ﴿حباً﴾ الحب الذي يطحن والبزر الذي يعصر منه الدهن وهو جمع حبة والمراد جنس الحبوب التي تصلح قواماً للناس من الأرز والذرة والحنطة وغيرها ﴿فمنه﴾ أي: فمن الحب ﴿يأكلون﴾ تقديم الصلة ليس لحصر جنس المأكول في الحب حتى يلزم أن لا يؤكل غيره بل هو لحصر معظم المأكول فيه فإن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به ومنه صلاح الإنس حتى إذا قلّ قلّ الصلاح وكثر الضر والصياح وإذا فقد فقد النجاح باختلال الأشباح والأرواح ولأمر مّا قال عليه السلام: «أكرموا الخبز فإن الله أكرمه فمن أكرم الخبز أكرمه الله» وقال عليه السلام: «أكرموا الخبز فإن الله سخر له بركات السموات والأرض والحديد والبقر وابن آدم ولا تسندوا القصعة بالخبز فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع» وقال عليه السلام: «اللهم متعنا بالإسلام وبالخبز فلولا الخبز ما صمنا ولا صلينا ولا حججنا ولا غزونا وارزقنا الخبز والحنطة» كما في «بحر العلوم». قال في «شرعة الإسلام»: ويكرم الخبز بأقصى ما يمكن فإنه يعمل في كل لقمة يأكلها الإنسان من الخبز ثلاثمائة وستون صانعاً أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزانة الرحمة ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الخباز، قال الشيخ سعدي قدس سره:

ابروباد ومه وخورشيد وفلك دركارند تاتونانى بكف آرى وبغفلت نخورى
همه ازبهر توسر كشته وفرمان بردار شرط انصاف نباشد كه توفرمان نبرى

ومن إكرام الخبز أن يلتقط الكسرة من الأرض وإن قلت فيأكلها تعظيماً لنعمة الله تعالى وفي الحديث: «من أكل ما يسقط من المائدة عاش في وسعة وعوفي في ولده وولد ولده من

الحمق» ويقال إن التقاط الفتات مهور الحور العين ولا يضع القصعة على الخبز ولا غيرها إلا ما يؤكل به من الأدام. ويكره مسح الأصابع والسكين بالخبز إلا إذا أكله بعده. وكذا يكره وضع الخبز جنب القصعة لتستوي. وكذا يكره أكل وجه الخبز أو جوفه ورمي باقيه لما في كل ذلك من الاستخفاف بالخبز والاستخفاف بالخبز يورث الغلاء والقحط كذا في «شرح النقاية والعوارف».

ـ وذكر ـ أن الأرز خلق من عرق النبي عليه السلام. زعم بعضهم أن أهل الهند لما منعوا من إخراجه إلى الروم أطعموه البط ثم ذبحوه فأخرجوه خيفة منهم بهذه الحيلة. قال بعض الكبار: من لم يأكل الأرز بهذا الزعم فليأكل السم.

﴿وجعلنا فيها﴾ وخلقنا في الأرض ﴿جنات﴾ بساتين مملوءة ﴿من نخيل﴾ جمع نخلة ﴿وأعناب﴾ جمع عنب أي: من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعاً دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع. فإن قلت: لم ذكر النخيل دون التمور حتى يطابق الحب والأعناب في كونها مأكولة لأن التمور والحب والأعناب كلها مأكولة دون النخيل. قلت لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وذلك لأنها أول شجرة استقرت على وجه الأرض وهي عمتنا لأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام وهي تشبه الإنسان من حيث استقامة قدّها وطولها وامتياز ذكرها من بين النبات واختصاصها باللقاح ورائحة طلعها كرائحة المني ولطلعها غلاف كالمشيمة التي يكون الولد فيها ولو قطع رأسها ماتت كما قالوا أقرب الجماد إلى النبات المرجان لأنه ينبت في البحر كالنبات ويكون له أغصان وأقرب النبات إلى الحيوان النخل لأنها تموت بقطع رأسها ولا تثمر بدون اللقاح كما ذكر وأقرب الحيوان إلى الإنسان الفرس يعني: [ازحيثيت شعور وزيركى] ويرى المنامات كبني آدم ولو أصاب جمار النخلة آفة هلكت والجمار من النخلة كالمخ من الإنسان وإذا تقارب ذكورها وإناثها حملت حملاً كثيراً لأنها تستأنس بالمجاورة وإذا كانت ذكورها بين إناثها ألقحتها بالريح وربما قطع ألفها من الذكور فلا تحمل لفراقه ويعرض لها العشق وهو أن تميل إلى نخلة أخرى ويخف حملها وتهزل وعلاجه أن يشد بينها وبين معشوقها الذي مالت إليه بحبل أو يعلق عليها سعفة منه أو يجعل فيها من طلعه. ومن خواص النخلة أن مضغ خوصها يقطع رائحة الثوم وكذا رائحة الخمر. وأما العنب فقد جاء في بعض الكتب المنزلة أتكفرون بي وأنا خالق العنب وله خواص كثيرة وكذا الزبيب روي أنه أهدي إلى رسول الله ﷺ الزبيب فقال: «بسم الله كلوا نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفىء الغضب ويرضي الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفي اللون» وماء الكرم الذي يتقاطر من قضبانها بعد كسحها ينفع للجرب شرباً ويجمع ويسقى للمشغوف بالخمر بعد شرب الخمر من غير علمه فيبغض الخمر قطعاً. وأول من استخرج الخمر جمشيد الملك فإنه توجه مرة إلى الصيد فرأى في بعض الجبال كرمة وعليها عنب فظنها من السموم فأمر بحملها حتى يجرّ بها ويطعم العنب لمن يستحق القتل فحملوه فتكسرت حباته فعصروها وجعلوا ماءها في ظرف فما عاد الملك إلى قصره إلا وقد تخمر العصير فأحضر رجلاً وجب عليه القتل فسقاه من ذلك فشربه بكره ومشقة ونام نومة ثقيلة ثم انتبه وقال: اسقوني منه فسقوه أيضاً مراراً فلم يحدث فيه إلا السرور والطرب فسقوا غيره وغيره فذكروا أنهم انبسطوا بعدما شربوه ووجدوا سروراً وطرباً فشرب الملك فأعجبه ثم أمر

بغرسه في سائر البلاد وكانت الخمر حلالاً في الأمم السالفة فحرمها الله تعالى علينا لأنها مفتاح لكل شر وجالبة لكل سوء وضرّ ومميتة للقلب ومسخطة للرب في الحديث «خير خلكم خل خمركم» وذلك لأن انقلاب الخمر إلى الخل مرضاة للرب. وفيه خواص كثيرة وأكثر الناس السعال والتنحنح في مجلس معاوية فأمر بشرب خل الخمر. والخل ورد فيه «نعم الأدام» وقد تعيش به كثير من السلف الكرام نسأل الله القناعة على الدوام ﴿وفجرنا﴾ الفجر شق الشيء شقاً واسعاً كما في «المفردات». قال بعضهم: التفجير كالتفتيح لفظاً ومعنى وبناء التفعيل للتكثير والمعنى بالفارسية: [دركشاديم وروانه كرديم] ﴿فيها﴾ أي: في الأرض ﴿من العيون﴾ جمع عين وهي في الأصل الجارحة ويقال لمنبع الماء عين تشبيهاً بها في الهيئة وفي سيلان الماء منها ومن عين الماء اشتق ماء معين أي: ظاهر للعيون ومعنى من العيون من ماء العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة على رأي الأخفش.

واعلم أن تفجير الأنهار والعيون في البلاد رحمة من الله تعالى على العباد إذ حياة كل شيء من الماء وللبساتين منه النضارة والنماء. والعيون إما جارية وإما غير جارية والجارية غير الأنهار إذ هي أكثر وأوسع من العيون ومنبعها غير معلوم غالباً كالنيل المبارك حيث لم يوجد رأسه وغير الجارية هي الآبار. وفي الدنيا عيون وآبار كثيرة وفي بعضها خواص زائدة كعين شبرم وهي بين أصفهان وشيراز وهي من عجائب الدنيا وذلك أن الجراد إذا وقعت بأرض يحمل إليها من ذلك العين ماء في ظرف أو غيره فيتبع ذلك الماء طيور سود تسمى السمرمر ويقال له السوادية بحيث إن حامل الماء لا يضعه إلى الأرض ولا يلتفت وراءه فتبقى تلك الطيور على رأس حامل الماء في الجو كالسحابة السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التي بها الجراد فتصيح الطير عليها فتقتلها فلا يرى شيء من الجراد متحركاً بل يموت من أصوات تلك الطيور.

يقول الفقير: في حد الروم أيضاً عين يقال لها ماء الجراد وهي مشهورة في جميع البلاد الرومية ينقل ماؤها من بلدة إلى بلدة القتل الجراد إذا استولت وقد حصلت تلك الخاصية لها بنفس من أنفاس بعض الأولياء وإن كان التأثير في كل شيء من الله تعالى ولهذا نظائر منها أن في قبر إبراهيم بن أدهم قدس سره ثقبة إذا قصد ظالم بسوء البلدة التي فيها ذلك القبر المنيف يخرج من تلك الثقبة نحل وزنابير تلسعه ومن يتبعه فيتفرقون، وفي «المثنوي»:

اوليـــاراهـــســت قـــوت ازآلـــه تـيــر جــســتــه بــاز كــردانــد زراه

نسأل الله العصمة والتوفيق والشرب من عين التحقيق.

﴿ليأكلوا من ثمره﴾ متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لأنه من مبادي الأثمار أي: وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ورتبنا مبادىء أثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل ويواظبوا على الشكر أداء لحقوقنا ففيه إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة ﴿وما عملته أيديهم﴾ عطف على ثمره وأيديهم كناية عن القوة لأن أقوى جوارح الإنسان في العمل يده فصار ذكر اليد غالباً في الكناية ومثله ذلك بما قدمت أيديكم وفي كلام العجم [بدست خويش كردم بخويشتن] وأنت لا تنوي اليد بعينها كما في «كشف الأسرار» والمعنى وليأكلوا من الذي عملته أيديهم وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما. وقيل ما نافية والمعنى أن الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكد الأول قراءة عملت بلا هاء

فإن حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها ﴿أفلا يشكرون﴾ إنكار واستقباح لعدم شكرهم النعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: يرون هذه النعم أو يتنعمون بها فلا يشكرونها بالتوحيد والتقديس والتحميد [صاحب بحر الحقائق فرموده كه معنى آيت بزبان اهل اشارت آنست كه زمين دلرازنده كرديم بباران عنايت وبيرون آورديم ازان حب طاعت تا ارواح ازان غذامى يابند وساختيم بوستانها ازنخيل اذكار واعناب أشواق وعيون حكمت دروى روان كرديم تا ازاثمار مكاشفات ومشاهدات تمتع مى كيرند از نتايج اعمال كه كرده اند از صدقات وخيرات آياسپاس دارى نميكنند يعنى سپاس نمى بايد داشت برين نعم ظاهره وباطنه تا موجب مزيد آن شودكه] ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]:

كر شكر كنى زياده كردد نعمت وزدل ببرد دغدغه بيش وكمت
پس زود بسر منزل مقصود رسى از منهج شكر آكه نلغزد قدمت

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ سبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقاداً وقولاً أي: اعتقاد البعد عنه والحكم به فإن العلم كما يكون علماً للأشخاص كزيد وعمرو وللأجناس كأسامة يكون للمعاني أيضاً لكن علم الأعيان لا يضاف وهذا لا يجوز بغير إضافة كما في الآية أقيم مقام المصدر وبين مفعوله بإضافته إليه والمراد بالأزواج الأصناف والأنواع جمع زوج بالفارسية: [جفت] خلاف الفرد ويقال للأنواع أزواج لأن كل نوع زوج بقسميه. وفي سبحان استعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من إخلال الكفرة بذلك والحالة هذه فإن التنزيه لا ينافي التعجب. والمعنى أسبح الذي أوجد الأصناف والأنواع سبحانه أي: أنزهه عما لا يليق به عقداً وعملاً تنزيهاً خاصاً به حقيقاً بشأنه فهو حكم منه تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به كما فعله الكفار من الشرك وما تركوه من الشكر وتلقين للمؤمنين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه.

وقال بعضهم سبحان مصدر كغفران أريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء على أن تكون الجملة أخبار من الله بالتنزه والمعنى تنزه تعالى بذاته عن كل ما لا يليق به تنزهاً خاصاً ومن هو خالق الأصناف والأنواع كيف يجوز أن يشرك به ما لا يخلق شيئاً بل هو مخلوق عاجز.

قال ابن الشيخ: والتنزيه يتناول التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد الجازم وباللسان مع ذلك الاعتقاد وهو الذكر الحسن وبالأركان معهما جميعاً وهو العمل الصالح والأول هو الأصل والثاني ثمرة الأول والثالث ثمرة الثاني وذلك لأن الإنسان إذا اعتقد شيئاً ظهر من قلبه على لسانه وإذا قال ظهر صدقه في مقاله من أفعال جوارحه فاللسان ترجمان الجنان والأركان ترجمان اللسان ﴿مما تنبت الأرض﴾ بيان للأزواج والمراد كل ما ينبت فيها من الأشياء المذكورة وغيرها ﴿ومن أنفسهم﴾ أي: خلق الأزواج من أنفسهم أي: الذكر والأنثى ﴿ومما لا يعلمون﴾ أي: والأزواج مما لا يطلعهم على خصوصياته لعدم قدرتهم على الإحاطة بها ولما

أنه لم يتعلق بها شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية. قال القرطبي: أي من أصناف خلقه في البر والبحر والسماء والأرض ثم يجوز أن يكون ما يخلقه لا يعلمه البشر ويعلمه الملائكة ويجوز أن لا يعلمه مخلوق. يقال: دواب البحر والبر ألف صنف لا يعلم الناس أكثرها.

قال في «بحر العلوم»: ويجوز أن يكون المعنى مما لا يدركون كنهه مما خلق من الأشياء من الثواب والعقاب كما قال عليه السلام: «أربع لا تدرك غايتها شرور النفس وخداع إبليس وثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار» ومنه الروح فإنه ما بلغنا أن الله تعالى اطلع أحداً على حقيقة الروح. وفي الآية إشارة إلى أنه ما من مخلوق إلا وقد خلق شفعاً إذ الفردية من أخص أوصاف الربوبية كما قال عبد العزيز المكي رحمه الله خلق الأزواج كلها ثم قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ليستدل بذلك أن خالق الأشياء منزه عن الزوج وإلى أن في كل شيء دليلاً على وجوده تعالى ووحدته وكمال قدرته. قال في «كشف الأسرار»: [هريكى برهستى الله كواه وبريكانكىء وى نشان نه كواهى دهنده را خردنه نشان دهنده را زبان]:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال في «أنيس الوحدة وجليس الخلوة» [وقتى پادشاهى بوداورا بكفر وزندقه ميلى بود وزيرى داشت عاقل ومسلمان خواست كه پادشاهرا ازان باز آورد وعادت وزير آنچنان بودكه هرسال پادشاهرا يكبار ضيافت كردى چون وقت ضيافت در رسيد پادشاهرا دعوت كرد بزمين شورستان كفت آنجاى چه چاى ميزبانيست وزير كفت آنجا بوستانهاى خوش وانهار دلكش روان وعمارتهاى كران ظاهر شده است بى آنكه كسى مباشرت واقدام نموده پادشاه چون اين سخن دور از عقل شنيد بخنديد وكفت در عقل چه كونه كنجد كه بنابى بنا كننده ظاهر شود وزير كفت ظاهر شدن عالم علوى وسفليست باچندين عجائب وغرائب بى آفريدكارى چه كونه معقول بود پادشاهرا اين سخن عظيم خوش آمد واورا سعادت وهدايت روى نمود]:

چشمها وكوشهارا بسته اند جز مراآنهاكه از خود رسته اند
جز عنايت كى كشايد چشم را جز محبت كى نشاند خشم را
چون كريزم زانكه بى توزنده نيست بى خداونديت بود بنده نيست
توبه بى توفيقت اى نور بلند چيست جز بدريش توبه ريش خند

نسأل الله الوقوف على أسراره والاستنارة بأنوار آثاره إنه الظاهر في المجالي بحسن أسمائه وصفاته والباطن بحقائق كمالاته في غيب ذاته.

﴿**وآية لهم**﴾ أي: علامة عظيمة لأهل مكة على كمال قدرتنا وهو مبتدأ خبره قوله ﴿**الليل**﴾ المظلم كأنه قيل كيف كان آية فقيل ﴿**نسلخ منه النهار**﴾ المضيء أي: نزيل النهار ونكشفه على مكان الليل ونلقي ظله بحيث لا يبقى معه شيء من ضوئه الذي هو شعاع الشمس في الهواء مستعار من السلخ وهي إزالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال وإن غلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب بمعنى أخرجتها عنه ﴿**فإذا هم مظلمون**﴾ داخلون في الظلام مفاجأة فإن إذا للمفاجأة أي: ليس لهم بعد ذلك أمر سوى الدخول فيه. وفيه رمز إلى أن الأصل هو الظلمة والنور عارض متداخل في الهواء فإذا خرج منه أظلم فعلى هذا المعنى كان الواقع عقيب إذهاب الضوء عن مواضع ظلمة الليل هو ظهور الظلمة كما كان الواقع عقيب سلخ الإهاب هو ظهور المسلوخ وأما على معنى الإخراج فالواقع بعده وإن كان

هو الإبصار دون الإظلام والمقام مقام أن يقال فإذا هم مبصرون لكن لما كان الليل زمان ترح وألم وعدم إبصار والنهار وقت فرح وسرور وإبصار جعل الليل كأنه يفاجئهم عقيب إخراج النهار من الليل بلا مهلة إذ زمان السرور ليس فيه مهلة حكماً وإن كان ممتداً بخلاف زمان الغم فإنه كان فيه المهلة وإن كان قصيراً كما قيل سنة الوصل سنة وسنة الهجر ألف سنة، وقيل:

ويوم لا أراك كألف شهر وشهر لا أراك كألف عام

قال الحافظ:

آندم كه باتو باشم يكساله هست روزى واندم كه بى توباشم يكلحظه هست سالى

محن الزمان كثيرة لا تنقضي وسروره يأتيك كالأعياد

وفي الخبر عن سلمان رضي الله عنه قال: الليل موكل به ملك يقال له شراهيل فإذا حان وقته أخذ خرزة سوداء فدلاها من قبل المغرب فإذا نظرت إليها الشمس وجبت» أي: سقطت في أسرع من طرفة العين وقد أمرت أن لا تغرب حتى ترى الخرزة فإذا غربت جاء الليل وقد نشرت الظلمة من تحت جناحي الملك فلا تزال الخرزة معلقة حتى يجيء ملك آخر يقال له هراهيل بخرزة بيضاء فيعلقها من قبل المطلع فإذا رأتها الشمس طلعت في طرفة عين وقد أمرت أن لا تطلع حتى ترى الخرزة البيضاء فإذا طلعت جاء النهار وقد نشر النور من تحت جناحي الملك فلنور النهار ملك موكل ولظلمة الليل ملك موكل عند الطلوع والغروب كما وردت الأخبار ذكره السيوطي في كتاب «الهيئة السنية». قال في «كشف الأسرار»: [بزركى رامپر سيدندكه شب فاضلتر يا روز جواب دادكه شب فاضلتركه درهمه شب آسايش وراحت بود والراحة من الجنة ودر روز همه رنج ودشوارى بود اندر طلب معاش والمشقة من النار]. يقول الفقير: فكون النهار زمان سرور بالنسبة إلى العامة أيضاً إذا كانت ليلة الإفطار فإن للصائم فرحة عند ذلك كما ورد في الحديث [وبزركى كفت شب حظ مخلصانست كه عبادت باخلاص كنند ريا دران نه وروز حظ مرائيانست كه عبادت بريا كنند اخلاص دران نه وحى آمد ببعض انبياكه] كذب من ادعى محبتي إذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها أنا مطلع عليكم أسمع وأرى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وآية لهم الليل**﴾ البشرية ﴿**نسلخ منه النهار**﴾ الروحانية ﴿**فإذا هم مظلمون**﴾ بظلمة الخلقية فإن الله خلق الخلق بظلمة ثم رش عليهم من نوره.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿**والشمس**﴾ معطوف على الليل أي: وآية لهم الشمس المضيئة المشرقة على صحائف الكائنات كإشراق نور الوجود مطلق الفائض على هياكل الموجودات حسب التجليات الإلهية كأنه قيل كيف كانت آية فقيل: ﴿**تجري**﴾ أو حال كونها جارية وسائرة ﴿**لمستقر لها**﴾ فيه وجوه: الأول أن اللام في المستقر للتعليل والمستقر اسم مكان أي: تجري لبلوغ مستقر واحد معين ينتهي إليه دورها في آخر السنة فشبه بمستقر المسافر إذا قطع سيره. والثاني: أن اللام بمعنى إلى والمستقر كبد السماء أي: وسطها والمعنى تجري إلى أن تبلغ إلى وسط السماء

وتستقر فيه شبه بطؤ حركتها فيه بالوقفة والاستقرار وإلا فلا استقرار لها حقيقة كما قال في «المفردات»: الزوال يقال في شيء قد كان ثابتاً ومعلوم أن لا ثبات للشمس فكيف يقال زوال الشمس فالجواب قالوه لاعتقادهم في الظهيرة أن لها ثباتاً في كبد السماء وكما قال في «شرح التقويم»: فإن قلت: لم سميت السيارة بها وليست السموات بساكنة؟ قلت: لسرعة حركتها بالنسبة إلى حركة الكواكب الباقية فإن حركتها في غاية البطؤ ولذلك تسمى ثوابت. والثالث أن اللام لام العاقبة والمستقر مصدر ميمي أي: تجري بحيث يترتب على جريها استقرارها في كل برج من البروج الاثني عشر على نهج مخصوص بأن تستقر في كل برج شهراً ويأخذ الليل من النهار في نصف الحول والنهار من الليل في النصف الآخر منه وتبلغ نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية انحطاطها في الشتاء ويترتب عليه اختلاف الفصول الأربعة وتهيئة أسباب معاش الأرضيات وتربيتها. والرابع أن المعنى المنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود إليها إلى العام القابل فالمستقر اسم زمان أي: تجري إلى زمان استقرارها وانقطاع حركتها عند خراب العالم أو إلى وقت قرارها وتغير حالها بالطلوع من مغربها كما قال أبو ذر رضي الله عنه: دخلت المسجد ورسول الله عليه السلام جالس فلما غابت الشمس قال عليه السلام: «يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس» فقلت: الله ورسوله أعلم فقال: «تذهب تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد ولا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها» وفهم من الحديث أن المستقر أيضاً تحت العرش والمراد بالسجدة الانقياد ويجوز أن تكون على حقيقتها فإن الله تعالى قادر على أن يخلق فيها حياة وإدراكاً يصح معهما سجدتها كما سبق نظائرها.

قال بعض العارفين: تسجد بروحها عند العرش كما تسجد الروح عند النوم إذا باتت على طهارة.

قال إمام الحرمين وغيره من الفضلاء: لا خلاف أن الشمس تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين والليل يطول عند قوم ويقصر عند قوم آخرين وعند خط الاستواء يكون الليل والنهار مستويين أبداً والأرض مدورة مسيرة خمسمائة عام كأنها نصف كرة مدورة فيكون وسطها أرفع ولذلك سموا الجزيرة التي هي وسط الأرض كلها المستوي فيها الليل والنهار قبة الأرض وحول الأرض البحر الأعظم المحيط فيها ماء غليظ منتن لا تجري فيه المراكب وحول هذا البحر جبل قاف خلق من زمرد أخضر وسماء الدنيا مقبية عليه ومنه خضرتها. وسئل الشيخ أبو حامد رضي الله عنه عن بلاد بلغار كيف يصلون لأن الشمس لا تغرب عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع فقال: يعتبر صومهم وصلاتهم بأقرب البلاد إليهم والأصح عند أكثر الفقهاء أنهم يقدرون الليل والنهار ويعتبرون بحسب الساعات كما قال عليه السلام في حق الدجال: «يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة فيقدر الصلاة والصيام في زمنه» ﴿**ذلك**﴾ الجري البديع المنطوي على الحكم العجيبة التي تتحير في فهمها العقول والافهام ﴿**تقدير العزيز**﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور ﴿**العليم**﴾ المحيط علمه بكل معلوم. قال في «المفردات»: التقدير تبيين كمية الشيء. وتقدير الله الأشياء على وجهين: «أحدهما»: بإعطاء القدرة. «والثاني»: أن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضته الحكمة. وذلك

أن فعل الله ضربان: ضرب أوجده بالفعل ومعنى إيجاده بالفعل إظهاره. وضرب إجراه بالقوة وقدره على وجه لا يتأتى غير ما قدر فيه كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير مني الآدمي أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات. فتقدير الله على وجهين: أحدهما بالحكم منه أن يكون كذا ولا يكون كذا إما على سبيل الوجوب وإما على سبيل الإمكان. والثاني بإعطاء القدرة عليه. وفي الآية إشارة إلى شمس نور الله فإنها ﴿**تجري لمستقر لها**﴾ وهو قلب استقر فيه رشاش نور الله ﴿**ذلك**﴾ المستقر ﴿**تقدير العزيز**﴾ الذي لا يهتدي إليه أحد إلا به ﴿**العليم**﴾ الذي يعلم حيث يجعل رسالته فليس كل قلب مستقراً لذلك النور فلا بد من التهيئة والتصقيل إلى أن يتلطف ويزول منه كل ثقيل مما يتعلق بظلمات الكون والفساد.

كوهر انواررا دلهاى پاك آمد صدق

﴿**والقمر قدرناه**﴾ بالنصب بإضمار فعل يفسره الظاهر كما في زيداً ضربته أي: وقدرنا القمر قدرناه أي: قدرنا له وعينا ﴿**منازل**﴾ وهي ثمان وعشرون مقسومة على الاثني عشر برجاً كما استوفينا الكلام عليها في أوائل سورة يونس ينزل القمر كل ليلة في واحدة من تلك المنازل لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين أو ليلة إن كان تسعة وعشرين وقد صام عليه السلام ثمانية أو تسعة رمضانات خمسة منها كانت تسعة وعشرين يوماً والباقي ثلاثين وقد قال عليه السلام: «شهرا العيد لا ينقصان» أي حكمهما إذا كانا تسعاً وعشرين مثل حكمهما إذا كانا ثلاثين في الفضل وقد صح أن دور هذه الأمة هو الدور القمري العربي الذي حسابه مبني على الشهر لا الدور الشمسي الذي مبني حسابه على الأيام ﴿**حتى عاد**﴾ [تا عود كرد ماه]. وقال ابن الشيخ: حتى صار القمر في آخر الشهر وأول الشهر الثاني في دقته واستقواسه واصفراره ﴿**كالعرجون**﴾ فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وهو عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة. والعذق بالكسر في النخل بمنزلة العنقود في الكرم بالفارسية [خوشه خرما]. والشماريخ جمع شمراخ أو شمروخ ما عليه البسر من العيدان ﴿**القديم**﴾ العتيق فإذا قدم وعتق دق وتقوس واصفر شبه به القمر في آخر الشهر في هذه الوجوه الثلاثة أي: في عين الناظر وإن كان في الحقيقة عظيماً بنفسه فالقديم ما تقادم عهده بحكم العادة ولا يشترط في إطلاق لفظ القديم عليه مدة بعينها إذ يقال لبعض الأشياء قديم وإن لم يمض عليه حول وقيل أقل هذا القديم الحول فمن حلف كل مملوك قديم لي فهو حر عتق من مضى عليه الحول. قال في «كشف الأسرار»: [ازروى حكمت كفته اندكه زيادت ونقصان ماه از آنست كه در ابتداى آفرينش نور أو بر كمال بود بخود نظرى كرد عجبى دروى پيدا شد رب العزة جبريل را فرمود تا پرخويش برروى ماه زد وآن نور ازوى بستاد ابن عباس رضي الله عنهما كفت آن خطهاكه برروى ماه مى بينيد نشان پر جبرائيل است نور ازوى بست اما نقش برجاى بماند ونقش كلمه توحيداست برپيشانى ماه نبشت «لا اله إلا الله محمد رسول الله» ياخود حروفى كه ازان اسم جميل حاصل ميشود چون نور ازماه بستدند اورا از خدمت دركاه منع كردند ماه ازفرشتكان مدد خواست تا از بهروى شفاعت كردند كفتند بارخدايا ماه درخدمت دركاه عزت خوى كرده هيج روى آن دارد كه بيكباركى اورا مهجور كنى رب العزة شفاعت ايشان قبول كرد واورا دستورى داد تا هر ما هى بيكبار سجود كند درشب

چارده اكنون هرشب كه برآيد وبوقت خدمت نزديكتر مى كردد نوروى مى افزايد تاشب چهارده كه وقت سجود بود نورش بكمال رسد بازچون از چهارده در كذرد هرشب در نوروى نقصان مى آيد ازبساط خدمت دورتر مى كردد]. وقيل شبيه الشمس عبد يكون ابداً في ضياء معرفته وهو صاحب تمكين غير متلون أشرقت شمس معرفته من بروج سعادته دائماً لا يأخذه كسوف ولا يستره حجاب. وشبيه القمر عبد تكون أحواله في التنقل وهو صاحب تلوين له من البسط ما يرقيه إلى حد الوصال ثم يرد إلى الفترة ويقع في القبض مما كان به من صفاء الحال فيتناقص ويرجع إلى نقصان أمره إلى أن يرفع قلبه من وقته ثم يجود عليه الحق فيوفقه لرجوعه عن فترته وإفاقته من سكرته فلا يزال يصفو حاله إلى أن يقرب من الوصال ويرتقي إلى ذروة الكمال فعند ذلك يقول بلسان الحال:

مـا زلـت أنـزل مـن ودادك مـنـزلاً تـتـحـيـر الألـبـاب عـنـد نـزولـه

وفي «التأويلات النجمية»: وبقوله: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ يشير إلى قمر القلب فإن القلب كالقمر في استفادة النور من شمس الروح أولاً ثم من شمس شهود الحق تعالى ثانياً وله ثمانية وعشرون منزلاً على حسب حروف القرآن كما أن للقمر ثمانية وعشرون منزلاً فالقلب ينزل في كل حين منها بمنزل وهذه أسماؤها الإلفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذلة والرأفة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والضرر والطلب والظمأ والعشق والغيرة والفتوة والقربة والكرم واللين والمروءة والنور والولاية والهداية واليقين فإذا صار إلى آخر منازله فقد تخلق بخلق القرآن واعتصم بحبل الله وله آن أن يعتصم بالله ولهذا قال الله تعالى لنبيه في قطع منازل العبودية ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] ويقال للمؤمن في الجنة اقرأ وارق يعني اقرأ القرآن وارتق في مقامات القرب وبقوله ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ يشير إلى سير قمر القلب في منازله فإذا ألف الحق تعالى في أول منزله ثم بر بالإيمان والعمل الصالح ثم تاب وتوجه إلى الحضرة ثم ثبت على تلك التوبة جعل له الجمعية مع الله فيستنير قمر قلبه بنور ربه حتى يصير بدراً كاملاً ثم يتناقص بدنوه من شمس شهود الحق تعالى قليلاً كلما ازداد دنوه من الشمس ازداد في نفسه نقصاناً إلى أن يتلاشى ويخفى ولا يرى له أثر وهذا مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به النبي ﷺ في قوله: «الفقر فخري» لأنه عليه السلام كلما ازداد دنوه إلى الحضرة ليلة المعراج ازداد في فقره عن الوجود كما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨-٩] كمل هٰهنا فقره عن الوجود فوجده الله تعالى عائلاً فأغناه بجوده انتهى.

واعلم أن القمر مرآة قابلة لأن تكتسب النور من قرص الشمس حسب المحاذاة بينهما ولما كان دور الشمس بطيئاً كان ظهور أثرها دائراً على حصول الفصول الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ولما كان دور القمر سريعاً كان ظهور أثره في الكون سريعاً وإلى القمر ينظر القلب في سرعة الحركة ولهذا السر أسكن الله آدم في فلك القمر لمناسبة باطنه به في سرعة حركاته وتقلباته. ثم إن القمر مرئي مدرك وأما الشمس في إشراقها وإضاءتها وتلألؤ شعاعها لا تدرك كيفيتها وكميتها على ما هي عليه من تمنعها وامتناعها واحتيج إلى طريق يتوصل به إلى أبصارها بقدر الوسع فأفادت الفكرة والخبرة أن يأخذ الإنسان إناءً كثيفاً ويملأه ماءً صافياً نظيفاً ويضعه في مقابلة الشمس لتنعكس صورة من الشمس في الماء فيلاحظ الإنسان

الشمس بغير دفع تلألؤ الأضواء ويراها في أسفل قعر الإناء فإن اللطيف من شأنه القبول والكثيف من شأنه الإمساك فقبل الماء وأمسك الإناء وهذا تدبير من يريد إبصار الشمس الظاهرة بمقلته الباصرة فإذا كان الشمس الظاهرة المتناهية لا يدرك عكسها بالاستعدادات السابقة والتدبيرات اللاحقة فما ظنك بشمس عالم الأحدية الإلهية الربوبية الغير المتناهية وإن نسبتها إليه في الإنارة والإضاءة والظهور والإظهار ودفع أنوار العظمة ليست إلا كذرّة في الآفاق والسبع الطباق أو كقطرة بالنسبة إلى البحار الزاخرة أو كجزء لا يتجزأ بالنسبة إلى الدنيا والآخرة سبحان الله وله المثل الأعلى في الأرض والسماء فإذا عرفت هذا المثال عرفت حال القلب مع شمس الربوبية وانعكاس نورها فيه. قال الشيخ المغربي قدس سره:

نخست ديده طلب كن پس آنكهى ديدار ... از آنكه يار كند جلوه بر اولو الأبصار
تراكه چشم نباشد چه حاصل از شاهد ... تراكه كوش نباشد چه سود از كفتار
اكرچه آينه دارى از براى رخش ... ولى چه سود كه دارى هميشه آينه تار
بيا بصيقل توحيد ز آينه بزدآى ... غبار شرك كه تا پاك كردد از ژنكار

وقال أيضاً:

كجا شود بحقيقت عيان جمال حقيقت ... اكر مظاهر وآينه مجاز نباشد
مجوى دردل ما غير دوست زانكه نيابى ... از آنكه در دل محمود جز اياز نباشد
به پيش عقل مكو قصهاى عشق كه آنرا ... قبول مى نكند آنكه عشقباز نباشد

﴿لا الشمس ينبغي لها﴾ هو أبلغ من لا ينبغي للشمس كما أن أنت لا تكذب بتقديم المسند إليه آكد من لا تكذب أنت لاشتمال الأول على تكرر الإسناد. ففي ذكر حرف النفي مع الشمس دون الفعل دلالة على أن الشمس مسخرة لا يتيسر لها إلا ما أريد بها وقدر لها وينبغي أن الانفعال وثلاثيه بغي يبغي بمعنى طلب تجاوز الاقتصار فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوز وإما استعمال انبغى ماضياً فقليل. قال في «كشف الأسرار»: يقال بغيت الشيء فانبغى لي أي: استسهلته فتسهل لي وطلبته فتيسر لي والمعنى لا الشمس يصح لها ويتسهل وبالفارسية: [نه آفتاب سزد مرورا وشايد] ﴿أن تدرك القمر﴾ في سرعة سيره فإن القمر أسرع سيراً حيث يقطع فلكه ويدور في منازله الثماني والعشرين في شهر واحد بخلاف الشمس فإنها أبطأ منه حيث لا تقطع فلكها ولا تدور في تلك المنازل المقسومة على الاثني عشر برجاً إلا في سنة فيكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوماً فهي لا تدرك القمر في سرعة سيره فإنه تعالى جعل سيرها أبطأ من سير القمر وأسرع من سير زحل وهو كوكب السماء السابعة وذلك لأن الشمس كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زماناً كثيراً في مسامته شيء واحد فتحرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبث في بقعة واحدة بقدر ما يخرج النبات من الأرض والأوراق والثمار من الأشجار وبقدر ما ينضج الثمار والحبوب ويجف فلو أدركت القمر في سرعة سيره لكان في شهر واحد صيف وشتاء فيختل بذلك أحكام الفصول وتكوّن النبات وتعيش الحيوان ويجوز أن يكون المعنى ليس للشمس أن تدرك القمر في آثاره ومنافعه مع قوة نورها وإشراقها فإن لكل واحد منهما آثاراً ومنافع تخصه وليس للآخر أن يدركه فيها كما قالوا الثمرة تنضجها الشمس ويلونها القمر ويعطيها الطعم الكوكب. وقالوا إن سهيلاً وهو كوكب يمنّي يعطي الحجر اللون الأحمر فيصير عقيقاً. ويجوز أن يكون معنى أن تدرك القمر أي: في مكانه فإن القمر في

السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة فهي لا تدركه في مكانه ولا يجتمعان في موضع أو لا تدركه في سلطانه أي: نوره الذي هو برهان لوجوده فإن نوره إنما يكون بالليل فليس للشمس أن تجامعه في وقت من أوقات ظهور سلطانه بأن تطلع بالليل فتطمس نوره فسلطان القمر بالليل وسلطان الشمس بالنهار ولو أدركت الشمس القمر لذهب ضوءه وبطل سلطانه ودخل النهار على الليل. وفي بعض التصاوير لا ينبغي للشمس أن تدرك سلطان القمر فتراه ناقصاً وذلك أن الله تعالى لما قبض نور القمر سأله القمر أن لا ترى الشمس نقصانه. وقال بعض الكبار: جعل الله شهورنا قمرية ولم يجعلها شمسية تنبيهاً من الله تعالى للعارفين من عباده أن آية القمر بمحوه عن العالم لمن اعتبر في قوله تعالى وتدبر ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**﴾ أي: في علو المرتبة والشرف فكان ذلك تقوية لكتم آياتهم التي أعطاها للمحمديين العربيين وأجراها وأخفاها فيهم يعني: أن آيات المحمديين ليست بظاهرة في ظواهرهم غالباً كآية القمر وستظهر كراماتهم في الآخرة التي هي آثار ما في بواطنهم من العلوم والكشوف والحقائق والخوارق ﴿**ولا الليل سابق النهار**﴾ أي: ولا الليل يسبق النهار فيعجزه من أن ينتهي إليه ويجيء الليل بعده ولكن الليل يعاقب النهار ويناوبه. وقيل: المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس في محو نورها فيكون عكساً للأول فالمعنى لا يصح للقمر أيضاً أن يطلع في وقت ظهور سلطان الشمس وضوئها بحيث يغلب نورها ويصير الزمان كله ليلاً فهما يسيران الدهر ولا يدخل أحدهما على الآخر ولا يجتمعان إلا عند إبطال الله هذا التدبير ونقض هذا التأليف وتطلع الشمس من مغربها ويجتمع معها القمر كما قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٩] وذلك من أشراط الساعة. فإن قلت إذا كان هذا عكس ما ذكر قبله كان المناسب أن يقال ولا الليل مدرك النهار. قلت: إيراد السبق مكان الإدراك لأنه الملائم لسرعة سيره. وفيه إشارة إلى أنه كما لا يصير القمر شمساً والشمس قمراً فكذلك قمر القلب بتوجهه إلى شمس شهود الحق يتنور بنورها كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] ولكنه لا يصير الرب تعالى عبداً ولا العبد رباً فإن للرب الربوبية وللعبد العبودية تعالى الله تعالى عما يقول أصحاب الحلول وأرباب الفضول ﴿**وكل**﴾ أي: وكلهم على أن التنوين عوض عن المضاف إليه الذي هو الضمير العائد إلى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطلعهما فإن اختلاف الأحوال يوجب تعدداً ما في الذات أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها ﴿**في فلك**﴾ مخصوص معين من الأفلاك السبعة. وفي «بحر العلوم» في جنس الفلك كقولهم كساهم الأمير حلة يريدون كساهم هذا الجنس والفلك مجرى الكواكب ومسيرها وتسميته بذلك لكونه كالفلك كما في «المفردات» والجار متعلق ﴿**يسبحون**﴾ السبح المر السريع في الماء أو في الهواء واستعير لمر النجوم في الفلك كما في «المفردات». وقال في «كشف الأسرار»: والسبح الانبساط في السير كالسباحة في الماء وكل من انبسط في شيء فقد سبح فيه والمعنى يسيرون بانبساط وسهولة لا مزاحم لهم سير السابح في سطح الماء. وأخرج السيوطي في كتاب «الهيئة السنية» خلق الله بحراً دون السماء جارياً في سرعة السهم قائماً في الهواء بأمر الله تعالى لا يقطر منه قطرة يجري فيه الشمس والقمر والنجوم فذلك قوله تعالى: ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ والقمر يدور دوران العجلة في لجة غمر ذلك البحر فإذا أحب الله أن يحدث الكسوف حرف الشمس عن العجلة فتقع في غمر ذلك البحر ويبقى سائراً على العجلة النصف

أو الثلث أو ما شاء الرب تعالى للحكمة الربانية واقتضاء الاستعداد الكوني. قال المنجمون قوله تعالى: ﴿يسبحون﴾ يدل على أن الشمس والقمر والكواكب السيارة أحياء عقلاء لأن الجمع بالواو والنون لا يطلق على غير العقلاء. وقال الإمام الرازي: إن أرادوا القدر الذي يصح به التسبيح فنقول به لأن كل شيء يسبح بحمده وإن أرادوا شيئاً آخر فذلك لم يثبت والاستعمال لا يدل عليه كما في قوله تعالى في حق الأصنام ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الصافات: ٩٢] وقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]. وقال الإمام النسفي جمع يسبحون بالواو والنون لأنه تعالى وصفها بصفات العقلاء كالسباحة والسبق والإدراك وإن لم يكن لها اختيار في أفعالها بل مسخرة عليها يفعل بها ذلك تجبراً. يقول الفقير: هنا وجه آخر هو أن صيغة العقلاء باعتبار مبادي حركات الأفلاك والنجوم فإن مبادي حركاتها جواهر مجردة عن مواد الأفلاك في ذواتها ومتعلقة بها في حركاتها ويقال لتلك الجواهر النفوس الفلكية على أنه ليس عند أهل الله شيء خال عن الحياة فإن سرّ الحياة سار في جميع الأشياء أرضية كانت أو سماوية لا سيما الشمس والقمر اللذان هما عينا هذا التعين الكوني:

جمله ذرات زمين وآسمان مظهر سرّ حياتست أي: جوان

كى تواند يافتن آنرا خرد هست او سرى خرد كى پى برد

نسأل الله تعالى حقيقة الإدراك والحفظ عن الزلق والهلاك.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿**وآية لهم**﴾ أي: علامة عظيمة لأهل مكة على كمال قدرتنا وهو خبر مقدم لقوله: ﴿**أنا حملنا ذريتهم**﴾ [الحمل: برداشتن]. قال في «القاموس» ذرأ كجعل خلق والشيء كثر ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين انتهى. قال الراغب: الذرية أصلها الصغار من الأولاد وإن كان يقع على الصغار والكبار في المتعارف ويستعمل في الواحد والجمع وأصله الجمع انتهى ويطلق على النساء أيضاً لا سيما مع الاختلاط مجازاً على طريقة تسمية المحل باسم الحال لأنهم مزارع الذرية كما في حديث عمر رضي الله عنه حجوا بالذرية يعني النساء وفي الحديث نهى عن قتل الزراري يعني النساء والمعنى أنا حملنا أولادهم الكبار الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم ﴿**في الفلك**﴾ [در كشتى] وهو هٰهنا مفرد بدليل وصفه بقوله: ﴿**المشحون**﴾ أي: المملوء منهم ومن غيرهم والشحناء عداوة امتلأت منها النفوس كما في «المفردات» أو حملنا صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم يعني: [برداشتيم فرزندان خرد وزنان ايشانرا كه آنانرا قوت سفر نيست بر خشكى] وتخصيص الذرية بمعنى الضعفاء الذين يستصحبونهم في سفر البحر مع أن تسخير البحر والفلك نعمة في حق أنفسهم أيضاً لما أن استقرارهم في السفن أشق واستمساكهم فيها أعجب.

﴿**وخلقنا لهم من مثله**﴾ مما يماثل الفلك ﴿**ما يركبون**﴾ من الإبل فإنها سفائن البر فتعريف الفلك للجنس لأن المقصود من الآية الاحتجاج على أهل مكة ببيان صحة البعث وإمكانه. استدل عليه أولاً بإحياء الأرض الميتة وجعلها سبباً لتعيشهم. ثم استدل عليه بتسخير الرياح والبحار والسفن الجارية فيها على وجهه يتوسلون بها إلى تجارات البحر ويستصحبون

من يهمهم حمله من النساء والصبيان كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠]. وقيل تعريفه للعهد الخارجي والمراد فلك نوح عليه السلام المذكور في قوله: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧] فيكون المعنى أنا حملنا ذريتهم أي: أولادهم إلى يوم القيامة في ذلك الفلك المشحون منهم ومن سائر الحيوانات التي لا تعيش في الماء ولولا ذلك لما بقي للآدمي نسل ولا عقب وخلقنا لهم من مثله أي: مما يماثل ذلك الفلك في صورته وشكله من السفن والزوارق وبالفارسية: [چون زورق وصندل وناو]. فإن قلت فعلى هذا لم لم يقل حملناهم وذريتهم مع أن أنفسهم محمولون أيضاً. قلت: إشارة إلى أن نعمة التخليص عامة لهم ولأولادهم إلى يوم القيامة ولو قيل: حملناهم لكان امتناناً بمجرد تخليص أنفسهم من الغرق وجعل السفن مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كونها صنعتهم بأقدار الله تعالى وإلهامه بل لمزيد اختصاص أهلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧] والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لأنها باختيارهم كما أن التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وأما قوله تعالى في سورة المؤمنين ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢٢] فبطريق التغليب وجعل بعضهم المعنى الثاني أظهر لأنه إذا أريد بمثل الفلك الإبل لكان قوله: ﴿وخلقنا لهم﴾ الخ فاصلاً بين متصلين لأن قوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ متصل بالفلك واعتذر عنه في «الإرشاد» بأن حديث خلق الإبل في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الإبل والفلك فكأنها نوع منه. وقيل: المراد بالذرية الآباء والأجداد فإن الذرية تطلق على الأصول والفروع لأنها من الذرء بمعنى الخلق فيصلح الاسم للأصل والنسل لأن بعضهم خلق من بعض فالآباء ذريتهم لأن منهم ذرأ الأبناء. وفيه أن الذرية في اللغة لم تقع إلا على الأولاد وعلى النساء كما ذكر اللهم إلا أن يراد ذرية أبيهم آدم عليه السلام وهم الأصول والفروع إلى قيام الساعة والعلم عند الله تعالى [كفتند سه چيزرا الله تعالى راند بكمال قدرت خويش شتران در صحرا وميغ در هوا وكشتى در دريا] وفهم من الامتنان بالحمل جواز ركوب البحر إلا من دخول الشمس العقرب إلى آخر الشتاء فإنه لا يجوز ركوبه حينئذٍ لأنه من الإلقاء إلى التهلكة كما في شرح «حزب البحر» للشيخ الزروقي قدس سره.

﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ الخ من تمام الآية فإنهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] وفي تعليق الإغراق وهو بالفارسية [غرقه كردن] بمحض المشيئة إشعار بأنه قد تكامل ما يوجب هلاكهم من معاصيهم ولم يبق إلا تعلق مشيئته تعالى به. قال في «بحر العلوم»: وهو محمول على الفرض والتقدير بدليل قوله ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [يس: ٤٣،٤٤] الخ والمعنى أن نشأ إغراقهم نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك وبالفارسية [واكر خواهيم أهل كشتى راكه مراد ذريت مذكوره است غرقه سازيم ودر آب كشيم] فإن الغرق الرسوب في الماء ﴿فلا صريخ لهم﴾ فعيل بمعنى مفعول أي: مصرخ وهو المغيب بالفارسية [فريادرس] والصريخ أيضاً صوت المستصرخ والمعنى فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وبالفارسية: [پس هيچ فريادرسى نيست مر ايشانرا كه از غرقه شدن نكاه دارد] قبل الوقوع ﴿ولا هم ينقذون﴾ ينجون منه بعد وقوعه يقال أنقذه واستنقذه إذا خلصه من ورطة ومكروه ﴿إلا رحمة

منا ومتاعاً إلى حين﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة أي: لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الأشياء إلا لرحمة عظيمة ناشئة من قبلنا داعية إلى الإغاثة والإنقاذ وتمتع بالفارسية [برخور دارى وانتفاع دادن] بالحياة مترتب عليهما إلى زمان قدر لآجالهم. وفي الآية رد على ما زعم الطبيعي من أن السفينة تحمل بمقتضى الطبيعة وأن المجوف لا يرسب فقال تعالى في رده: ليس الأمر كذلك بل لو شاء الله تعالى إغراقهم لأغرقهم وليس ذلك بمقتضى الطبيعة وإلا لما طرأ عليها آفة ورسوب.

والإشارة إلى أن المنعم عليه ينبغي أن لا يأمن في حال النعمة عذاب الله تعالى فإن كفار الأمم السالفة آمنوا من بطشه تعالى فأخذوا من حيث لا يشعرون فكيف يأمن أهل مكة وأهل السفينة لكن لا يعرفون قدر النعمة إلا بعد تحولها عنهم ولا قدر العافية إلا بعد الابتلاء بمصيبة.

قال الشيخ سعدي: [پادشاهى باغلام عجمى در كشتى نشسة بود غلام دريا را هر كزنديده بود ومحنت كشتى نكشيده كريه وزارى درنهاد ولرزه براندامش افتاد چندانكه ملاطفت كردند آرام نكرفت ملك را عيش از ومنغص شد چاره ندانستند حكيمى دران كشتى بود ملك را كفت اكر فرمان دهى من اورا بطريقى خاموش كنم كفت غايت لطف باشد فرمود تا غلام را بدريا انداختند بارى چند غوطه بخورد مويش كرفتند وسوى كشتى آوردند بهر دودست درسكان كشتى آويخت چون بر آمد بكوشه بنشست وقرار كرفت ملك را عجب آمد وپرسيد درين چه حكمت بود كفت اي خداوند اول محنت غرق شدن نچشيده بود قدر سلامت كشتى نمى دانست همچنان قدر عافيت كسى داندكه بمصيبت كرفتار آيد]:

اى سير ترا نان جوين خوش ننمايد معشوق منست آنكه بنزديك توز شتست
حوران بهشتى را دوزخ بود اعراف از دوز خيان پرس كه اعراف بهشتست

فلا بد من مقابلة النعمة بالشكر والعطاء بالطاعة والاجتهاد في طريق التوحيد والمعرفة فإن المقصود من الإمهال هو تدارك الحال.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾ يشير إلى حمله عباده في سفينة الشريعة خواصهم في بحر الحقيقة وعوامهم في بحر الدنيا فإن من نجا من تلاطم أمواج الهوى في بحر الدنيا إنما نجا بحمله للعناية في سفينة الشريعة وكذا من نجا من تلاطم أمواج الشبهات في بحر الحقيقة إنما نجا بحمله لعواطف إحسان ربه في سفينة الشريعة بملاحية أرباب الطريقة ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ وهو جناح همة المشايخ الواصلين الكاملين ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ يعني العوام في بحر الدنيا والخواص في بحر الحقيقة بكسر سفينة الشريعة فمن ركب من المتمنين بحر الحقيقة بلا سفينة الشريعة أو كسروا السفينة أغرقوا فادخلوا ناراً ﴿فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون إلا رحمة منا﴾ وهم المشايخ فإنهم صورة رحمة الحق تعالى ﴿ومتاعاً إلى حين﴾ أي: إلى حين تدركهم العناية الأزلية انتهى.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: لكفار مكة بطريق الإنذار وبالفارسية: [وچون كفته شود مر

كافرانراكه] ﴿اتقوا﴾ [بترسيد] ﴿ما بين أيديكم﴾ أي: العقوبات النازلة على الأمم الماضية الذين كذبوا رسلهم واحذروا من أن ينزل بكم مثلها إن لم تؤمنوا جعلت الوقائع الماضية باعتبار تقدمها عليهم كأنها بين أيديهم ﴿وما خلفكم﴾ من العذاب المعد لكم في الآخرة بعد هلاككم جعلت أحوال الآخرة باعتبار أنها تكون بعد هلاكهم كأنها خلفهم أو ما بين أيديكم من أمر الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم من الدنيا فلا تغتروا بها وقيل غير ذلك وما قدمناه أولى لأن الله خوف الكفار في القرآن بشيئين أحدهما العقوبات النازلة على الأمم الماضية والثاني عذاب الآخرة ﴿لعلكم ترحمون﴾ إما حال من واو اتقوا أي: راجين أن ترحموا أو غاية لهم أي: كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله وجواب إذا محذوف أي: اعرضوا عن الموعظة حسبما اعتادوه وتمرنوا عليه وزادوا مكابرة وعناداً كما دلت عليه الآية الثانية.

كسى راكه پندار در سر بود ... مپندار هركزكه حق بشنود
ز علمش ملال آيد ازوعظ ننك ... شقايق بباران نرويد زسنك

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم﴾ أي: احذروا من الدنيا وما فيها من شهواتها ولذائذها ﴿وما خلفكم﴾ من الآخرة وما فيها من نعيمها وحورها وقصورها وأشجارها وأثمارها وأنهارها وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين منها ﴿لعلكم ترحمون﴾ بمشاهدة الجمال ومكاشفة الجلال وكمالات الوصال. وقال بعضهم: ﴿اتقوا ما بين أيديكم﴾ من أحوال القيامة الكبرى ﴿وما خلفكم﴾ من أحوال القيامة الصغرى فإن الأولى تأتي من جهة الحق والثانية تأتي من جهة النفس بالفناء في الله وبالتجرد عن الهيئات البدنية في الثانية والنجاة منها والرحمة هي الخلاص من الغضب بالكلية فإنه ما دامت في النفس بقية فالعبد لا يخلو عن غضب وحجاب وتشديد بلاء وعذاب.

﴿وما﴾ نافية ﴿تأتيهم﴾ تنزل إليهم ﴿من﴾ مزيدة لتأكيد العموم ﴿آية﴾ تنزيلية كائنة ﴿من﴾ تبعيضية ﴿آيات ربهم﴾ التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله وسوابغ آلائه الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها ﴿إلا كانوا عنها﴾ متعلق بقوله: ﴿معرضين﴾ يقال: أعرض أي: أظهر عرضه أي: ناحيته والجملة حال من مفعول تأتي والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي: وما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال من الأحوال إلا حال إعراضهم عنها على وجه التكذيب والاستهزاء ويجوز أن يراد بالآيات ما يعم الآيات التنزيلية والتكوينية فالمراد بإتيانهم ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الأمور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالألوهية إلا كانوا تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي إلى الإيمان به تعالى فكل ما في الكون فهو صورة صفة من صفاته تعالى وسر من أسرار ذاته.

مغربى آنچه عالمش خواند ... عكس رخسارتست در مرآت
وانچه او آدمش همى داند ... نسخه عالمست مظهر ذات

وقال المولى الجامي قدس سره:

جهان مرآت حسن شاهد ماست ... فشاهد وجهه في كل ذرات

ثم إن أعظم الآيات وأكبر العلامات الرجال البالغون الكاملون في الدين من أرباب الحقيقة وأهل اليقين فمن وفق للقبول والتسليم وتربى بتربيتهم الحسنة إلى أن يحصل على

القلب السليم نجا وكان مقبلاً مقبولاً. ومن قابلهم بالإعراض ونازلهم بالاعتراض هلك وكان مدبراً مردوداً.

قال بعض الكبار: من عدم الإنصاف إيمان الناس بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم الإيمان بها إذا أتى بها أحد من العلماء الوارثين لهم فإن البحر واحد وإذا لم يؤمنوا بما جاءت به الأولياء فلا أقل من أن يأخذوه منهم على سبيل الحكاية وكما جاءت الأنبياء بما تحيله العقول من الصفات وآمنا به كذلك يجب الإيمان بما جاء به الأولياء المحفوظون وكما سلمنا ما جاء به الأصل كذلك نسلم ما جاء به الفرع بجامع الموافقة انتهى.

وأما قول أبي حنيفة رضي الله عنه ما أتانا عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين وما أتانا عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ تارة ونترك أخرى وما أتانا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال فإنما هو بالنظر إلى الاجتهاد الظاهر الذي يختلف فيه العلماء والإعراض فيه انتقال من الأدنى إلى الأعلى بحسب الدليل الأقوى وقد يفتح الله على الطالب على لسان شيخه بعلوم لم تكن عند الشيخ لحسن أدبه مع الله ومع شيخه. وسأل الأعمش أبا حنيفة عن مسائل فأجاب فقال الأعمش من أين لك هذا قال مما حدثتنا به فقال: يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة وهي الجماعة المنسوبة إلى الصندل وهو شجر طيب الرائحة قلبت النون ياء كما يقال صندلاني وصيدلاني والمراد من يبيع مواد الأدوية. ومن علامة العلم المكتسب دخوله في ميزان العقول وعلامة العلم الموهوب أن لا يقبله ميزان إلا في النادر وترده العقول من حيث أفكارها. ومن أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الإخلاص فيه فإذا رأيت يا أخي هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم أن المقبل به ممكور به فالإقبال إلى الله تعالى إنما هو بالإخلاص فإن وجه الرياء إلى الغير حفظنا الله تعالى وإياكم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: للكافرين بطريق النصيحة **﴿أنفقوا﴾** على المحتاجين **﴿مما رزقكم الله﴾** أي: بعض ما أعطاكم بطريق التفضل والإنعام من أنواع الأموال فإن ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره **﴿قال الذين كفروا﴾** بالصانع تعالى وهم زنادقة كانوا بمكة. والزنديق من لا يعتقد إلهاً ولا بعثاً ولا حرمة شيء من الأشياء **﴿للذين آمنوا﴾** تهكماً بهم وبما كانوا عليه من تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى حيث كانوا يقولون لو شاء الله لأغنى فلاناً ولو شاء الله لأعزه ولو شاء لكان كذا وكذا وإنما حمل على التهكم لأن المعطلة ينكرون الصانع فلا يكون جوابهم المذكور عن اعتقاد وجدّ **﴿أنطعم﴾** من أموالنا حسبما تعظوننا به وبالفارسية: [آيا طعام دهيم] أي: لا نطعم فإن الهمزة للإنكار والطعام في الأصل البر وقوله عليه السلام في ماء زمزم «إنه طعام طعم وشفاء سقم» فتنبيه منه إنه غذاء بخلاف سائر المياه **﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾** أي: على زعمكم يعني: [خداكه بزعم شما قادرست بر اطعام خلق بايستى كه ايشانرا طعام دهد چون او طعام نداد مانيز نمى دهيم] **﴿إن أنتم﴾** [نيستيد شما اى مؤمنان] **﴿إلا في ضلال مبين﴾** الضلال العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً ولهذا صح أن يستعمل فيمن يكون منه خطأ ما كما في

«المفردات». والمعنى في خطأ بين بالفارسية: [كمراهى آشكارا] حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى [واين سخن ازايشان خطا بود براى آنكه بعض مردم را خداى تعالى توانكر ساخته وبعضى را دوريش كذشته وبجهت ابتلا حكم في فرموده كه اغنيا مال خدايرا بفقرا دهند پس مشيت را بهانه ساختن وامر الهى راكه بانفاق فرموده فرو كذاشتن محض خطا وعين جفاست]:

درويش را خدا بتوانكر حواله كرد تاكار او بسازد وفارغ كند دلش

ازروى بخل اكرنشود ملتفت بوى فردا بود ندامت واندوه حاصلش

وفي الحديث «لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولو شاء لجعلكم فقراء لا غني فيكم ولكنه ابتلى بعضهم ببعض لينظر كيف عطف الغني وكيف صبر الفقير» وهذه الآية ناطقة بترك شفقتهم على خلق الله وجملة التكاليف ترجع إلى أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وهم قد تركوا الأمرين جميعاً وقد تمسك البخلاء بما تمسكوا به حيث يقولون لا نعطي من حرم الله ولو شاء لأغناه نعم لو كان مثل هذا الكلام صادراً عن يقين وشهود وعيان لكان مفيداً بل توحيداً محضاً يدور عليه كمال الإيمان ولكنهم سلكوا طريق التقليد والإنكار والعناد ومن لم يهد الله فما له من هاد. وكان لقمان يقول. إذا مر بالأغنياء: يا أهل النعيم لا تنسوا النعيم الأكبر وإذا مر بالفقراء يقول: إياكم أن تغبنوا مرتين. وعن علي رضي الله عنه أن المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام.

قال الفضيل رحمه الله: من أراد عز الآخرة فليكن مجلسه مع المساكين نسأل الله تعالى فضله الكثير ولطفه الوفير فإنه مسبب الأسباب ومنه فتح الباب وفي «المثنوي»:

ما عيال حضرتيم وشير خواه كفت الخلق عيال للاله

آنكه او از آسمان باران دهد هم تواند كو زرحمت نان دهد

كل يوم هو في شأن بخوان مرورا بى كار وبى فعلى مدان

﴿ويقولون﴾ أي: أهل مكة لرسول الله ﷺ والمؤمنين إنكاراً واستبعاداً ﴿متى﴾ [كى است] ﴿هذا الوعد﴾ بقيام الساعة والحساب والجزاء. ومعنى طلب القرب في هذا إما بطريق الاستهزاء وإما باعتبار قرب العهد بالوعد. والوعد يستعمل في الخير والشر والنفع والضر والوعيد في الشر خاصة. والوعد هنا يتضمن الأمرين لأنه وعد بالقيامة وجزاء العباد إن خيراً فخير وإن شراً فشر. قال في «كشف الأسرار»: : إنما ذكر بلفظ الوعد دون الوعيد لأنهم زعموا أن لهم الحسنى عند الله إن كان الوعد حقاً.

يقول الفقير: هذا إنما يتمشى في المشركين دون المعطلة وقد سبق أنهم زنادقة كانوا بمكة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في وعدكم فقولوا متى يكون وهذا الاستعجال بهجوم الساعة والاستبطاء لقيام القيامة إنما وقع تكذيباً للدعوة وإنكاراً للحشر والنشر ولو كان تصديقاً وإقراراً واستخلاصاً من هذا السجن وشوقاً إلى الله تعالى ولقائه لنفعهم جداً ولما قامت عليهم القيامة عند الموت كما لا تقوم على المؤمنين بل يكون الموت لهم عيداً وسروراً! وفي «المثنوي»:

خلق در بازار يكسان مى روند آن يكى در ذوق وديكر دردمند

همچنان درمرك وزنده مى رويم نيم در خسران ونيمى خسرويم

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**ما ينظرون**﴾ جواب من جهته والنظر بمعنى الانتظار أي: ما ينتظر كفار مكة ﴿**إلا صيحة واحدة**﴾ لا تحتاج إلى ثانية هي النفخة الأولى التي هي نفخة الصعق والموت والصيحة رفع الصوت ﴿**تأخذهم**﴾ مفاجأة وتصل إلى جميع أهل الأرض. والأخذ حوز الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩] وتارة بالقهر نحو ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقال أخذته الحمى ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخيذ ﴿**وهم يخصمون**﴾ أصله يختصمون فقلبت التاء صاداً ثم أسكنت وأدغمت في الصاد الثانية ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وخاصمته نازعته وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر بالضم أي: جانبه وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب وهو الجانب الذي فيه العروة. والمعنى والحال أنهم يتخاصمون ويتنازعون في تجاراتهم ومعاملاتهم ويشتغلون بأمور دنياهم حتى تقوم الساعة وهم في غفلة عنها فلا يغتروا لعدم ظهور علامتها ولا يزعموا أنها لا تأتيهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تهيج الساعة والدجلان يتبايعان قد نشرا أثوابهما فلا يطويانها والرجل يلوط حوضه فلا يستقي منه والرجل قد انصرف بلبن لقحته فلا يطعمه والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يأكلها ثم تلا ﴿**تأخذهم وهم يخصمون**﴾.

ـ روي ـ أن الله تعالى يبعث ريحاً بمانية ألين من الحرير وأطيب رائحة من المسك فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الخلق مائة عام لا يعرفون ديناً وعليهم تقوم الساعة وهم في أسواقهم يتبايعون. فإن قلت: هم ما كانوا منتظرين بل كانوا جازمين بعدم الساعة والصيحة. قلت: نعم إلا أنهم جعلوا منتظرين نظراً إلى ظاهر قولهم متى يقع لأن من قال متى يقع الشيء الفلاني يفهم من كلامه أنه ينتظر وقوعه.

﴿**فلا يستطيعون**﴾ الاستطاعة استفعال من الطوع وذلك وجود ما يصير به الفعل متأتياً أي: لا يقدرون ﴿**توصية**﴾ مصدر بالفارسية: [وصيت كردن] والوصية اسم من الإيصاء يقال وصيت الشيء بالشيء إذا وصلته به وسمي إلزام شيء من مال أو نفقة بعد الموت بالوصية لأنه لما أوصى به أي: أوجب وألزم وصل ما كان من أمر حياته بما بعده من أمر مماته والتنكير للتعميم أي: في شيء من أمورهم إذ كانت فيما بين أيديهم.

قال ابن الشيخ: لا يستطيعون توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة فإذا لم يقدروا عليها يكونون أعجز عما يحتاجون فيه إلى زمان طويل من أداء الواجبات ورد المظالم ونحوها لأن القول أيسر من الفعل فإذا عجزوا عن أيسر ما يكون من القول تبين أن الساعة لا تمهلهم بشيء ما واختيار الوصية من جنس الكلمات لكونها أهم بالنسبة إلى المحتضر فالعاجز عنها يكون أعجز عن غيرها ﴿**ولا إلى أهلهم**﴾ الأهل يفسر بالأزواج والأولاد بالعبيد والإماء والأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن الملك. قال الراغب: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب وعبر بأهل الرجل عن امرأته. ﴿**يرجعون**﴾ إن كانوا في خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيث ما كانوا وبالفارسية: [پس نتوانند وصيت كردن با حاضران ونه بسوى ايشان كر غائب باشند باز كردند يعني مجال از بازار بخانه رفتن نداشته باشند الحاصل

دران وقت كه دربازار بخصومت وجدال ومعاملات مشغول باشند ومهمات دنيايى سازند يكبار اسرافيل بصور در دمد وهمه خلق برجاى بميرند] إلا ما شاء الله كما يأتي في سورة الزمر إن شاء الله تعالى.

واعلم أن الموت يدرك الإنسان سريعاً والإنسان لا يدرك كل الأماني فعلى العبد أن يتدارك الحال بقصر الآمال، قال الشيخ سعدي قدس سره:

تو غافل در انديشه سود ومال ... كه سرمايه عمر شد پايمال
غبار هوى چشم عقلت بدوخت ... شموس هوس كشت عمرت بسوخت
خبر دارى اى استخوان قفس ... كه جان تو مرغيست نامش نفس
چو مرغ ازقفس رفت وبكسست قيد ... دكر ره نكردد بسعى تو صيد
نكه دار فرصت كه عالم دميست ... دمى پيش دانا به از عالميست
سكندر كه برعالمى حكم داشت ... دران دم كه بكذشت عالم كذاشت
ميسر نبودش كزو عالمى ... ستانند ومهلت دهندش دمى
دل اندر دلارام دنيا مبند ... كه ننشست باكس كه دل برنكند
سر ازجيب غفلت برآور كنون ... كه فردا نمانى بحسرت نكون
طريقى بدست آر وصلحى بجوى ... شفيعى بر انكيز وعذري بكوى
كه يك لحظه صورت نبندد امان ... چو پيمانه پر شد بدور زمان

دعا عمرو بن العاص رضي الله عنه حين احتضاره بالغل والقيد فلبسهما ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن التوبة مبسوطة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه» ثم استقبل القبلة فقال: اللهم أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا هذا مقام العائذ بك فإن تعف فأهل العفو أنت وإن تعاقب فيما قدمت يداي سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين فمات وهو مغلول مقيد فبلغ الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: استسلم الشيخ حين أيقن بالموت ولعله ينفعه. ومن السنة حسن الوصية عند الموت وإن كان الذي يوصي عند الموت كالذي يقسم ماله عند الشبع. ومن مات بغير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة ويتزاور الأموات ويتحدثون وهو ساكت فيقولون إنه مات من غير وصية فيوصي بثلث ماله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الضرار في الوصية من الكبائر ويوصي بإرضاء خصومه وقضاء ديونه وفدية صلاته وصيامه جعلنا الله وإياكم من المتداركين لحالهم والمتفكرين في مآلهم والمكثرين من صالحات الأعمال والمنتقلين من الدنيا على اللطف والجمال.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿**ونفخ في الصور**﴾ أي: ينفخ في الصور وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع والنفخ نفخ الريح في الشيء وبالفارسية: [دردميد] والجمهور على إسكان واو الصور. وفيه وجهان:

أحدهما أنه القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام وفيه بعدد كل روح ثقبة هي مقامه

فالمعنى ونفخ في القرن نفخاً هو سبب لحياة الموتى.

والثاني جمع صورة كصوف جمع صوفة ويؤيد هذا الوجه قراءة بعض القراء ونفخ في الصور بفتح الواو فالمعنى ونفخ في الصور الأرواح وذلك أيضاً بنفخ القرن والمراد النفخة الثانية التي يحيي الله بها كل ميت لا النفخة الأولى التي يميت الله بها كل حي وبينهما أربعون سنة تبقى الأرض على حالها مستريحة بعدما مر بها من الأهوال العظام والزلازل وتمطر سماؤها وتجري مياهها وتطعم أشجارها ولا حي على ظهرها من المخلوقات فإذا مضى بين النفختين أربعون عاماً أمطر الله من تحت العرش ماء غليظاً كمني الرجال يقال له ماء الحيوان فتنبت أجسامهم كما ينبت البقل وتأكل الأرض ابن آدم إلا عجب الذنب فإنه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف فينشأ الخلق من ذلك وتركب عليه أجزاؤه كالهباء في شعاع الشمس فإذا تكاملت الأجساد يحيي الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور فيطير كل روح إلى جسده ثم ينشق عنه القبر **﴿فإذا هم﴾** بغتة من غير لبث أي: الكفار كما دل عليه ما بعد الآية **﴿من الأجداث﴾** أي: القبور جمع جدث محركة وهو القبر كما في «القاموس». فإن قيل أين يكون في ذلك الوقت أجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال. أجيب بأن الله يجمع أجزاء كل ميت في الموضع الذي أقبر فيه فيخرج من ذلك الموضع وهو جدثه **﴿إلى ربهم﴾** أي: إلى دعوة ربهم ومالك أمرهم على الإطلاق وهي دعوة إسرافيل للنشور أو إلى موقف ربهم الذي أعد للحساب والجزاء وقد صح أن بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر وكل من الجارين متعلق بقوله: **﴿ينسلون﴾** كما دل عليه قوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] أي: يسرعون بطريق الإجبار دون الاختيار لقوله تعالى: ﴿لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] من نسل الثعلب ينسل أسرع في عدوه والمصدر نسل ونسلان وإذا المفاجأة بعد قوله: **﴿ونفخ في الصور﴾** إشارة إلى كمال قدرته تعالى وإلى أن مراده لا يتخلف عن إرادته زماناً حيث حكم بأن النسلان وهو سرعة المشي وشدة العدو ويتحقق في وقت النفخ لا يتخلف عنه مع أن النسلان لا يكون إلا بعد مراتب وهي جمع الأجزاء المتفرقة والعظام المتفتة وتركيبها وإحياؤها وقيام الحي ثم نسلانه. فإن قيل قال تعالى في آية أخرى ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] وقال هٰهنا **﴿فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾** والقيام غير النسلان وقد صدر كل واحد منهما في موضعه بإذا المفاجأة فيلزم أن يكونا معاً. والجواب من وجهين:

الأول: أن القيام لا ينافي المشي السريع لأن الماشي قائم ولا ينافي النظر أيضاً.

والثاني: أن الأمور المتعاقبة التي لا يتخلل بينها زمان ومهلة تجعل كأنها واقعة في زمان واحد كما إذا قيل مقبل مدبر.

﴿قالوا﴾ أي: الكفار في ابتداء بعثهم من القبور منادين لويلهم وهلاكهم من شدة ما غشيهم من أمر القيامة **﴿يا ويلنا﴾** أحضر فهذا أوانك ووقت مجيئك. وقال الكاشفي: [اى واى برما] فويل منادي أضيف إلى ضمير المتكلمين وهو كلمة عذاب وبلاء كما أن ويح كلمة رحمة **﴿من﴾** استفهام **﴿بعثنا من مرقدنا﴾** كان حفص يقف على مرقدنا وقفة لطيفة دون قطع نفس لئلا يتوهم أن اسم الإشارة صفة لمرقدنا ثم يبتدىء هذا ما وعد الرحمٰن على أنها جملة مستأنفة ويقال لهذه الوقفة وقفة السكت وهي قطع الصوت مقداراً أخصر من زمان النفس. والبعث [برانكيختن] والمرقد إما مصدر أي: من رقادنا وهو النوم أو اسم مكان أريد به الجنس فينتظم

مرقد الكل أي: من مكاننا الذي كنا فيه راقدين وبالفارسية: [كه برانكيخته يعني پيدار كرد مارا زخوابكاه ما] فإن كان مصدراً تكون الاستعارة الأصلية تصريحية فالمستعار منه الرقاد والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلي وإن كان اسم مكان تكون الاستعارة تبعية فيعتبر التشبيه في المصدر لأن المقصود بالنظر في اسم المكان وسائر المشتقات إنما هو المعنى القائم بالذات وهو الرقاد هٰهنا لا نفس الذات وهي هٰهنا القبر الذي ينام فيه واعتبار التشبيه في المقصود الأهم أولى. قال في «الأسئلة المقحمة»: إن قيل أخبر الكفار بأنهم كانوا في القبر قبل البعث في حال الرقاد وهذا يرد عذاب القبر قلت: إنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياماً أو أن الله تعالى يرفع عنه العذاب بين النفختين فكأنهم يرقدون في قبورهم كالمريض يجد خفة ما فينسلخ عن الحس بالمنام فإذا بعثوا بعد النفخة الآخرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل ويؤيد هذا الجواب قوله عليه السلام: «بين النفختين أربعون سنة وليس بينهما قضاء ولا رحمة ولا عذاب إلا ما شاء ربك» أو أن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها وافتضحوا على رؤوس الإشهاد وصار عذاب القبر في جنبها كالنوم قالوا من بعثنا من مرقدنا وذلك إن عذاب القبر روحاني فقط. وقول الإمام الأعظم رحمه الله إن سؤال القبر للروح والجسد معاً أراد به بيان شدة تعلق أحدهما بالآخر كأرواح الشهداء ولذا عدوا أحياء وأما عذاب يوم القيامة فجسداني وروحاني وهو أشد من الروحاني فقط ﴿**هذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون**﴾ جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة والعائد محذوف أي: هذا البعث هو الذي وعده الرحمٰن في الدنيا وأنتم قلتم متى هذا الوعد إنكاراً وصدق فيه المرسلون بأنه حق وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنين عدل به عن سنن سؤال الكفار تذكيراً لكفرهم وتقريعاً لهم عليه وتنبيهاً على أن الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمٰن الذي وعدكم ذلك في كتبه وأرسل إليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس بالبعث الذي تتوهمونه وهو بعث النائم من مرقده حتى تسألوا عن الباعث وإنما هذا البعث الأكبر ذو الإفزاع والأهوال.

﴿**إن كانت**﴾ أي: ما كانت النفخة الثانية المذكورة ﴿**إلا صيحة واحدة**﴾ حصلت من نفخ إسرافيل في الصور وقيل صيحة البعث هو قول إسرافيل على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والأعضاء المتمزقة والشعور المنتشرة إن الله المصور الخالق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فاجتمعوا وهلموا إلى العرض وإلى جبار الجبابرة.

يقول الفقير: الظاهر إن هذا ليس غير النفخ في الحقيقة فيجوز أن يكون المراد من أحدهما المراد من الآخر أو أن يقال ذلك أثناء النفخ بحيث يحصل هو ولنفخ معاً إذ ليس من ضرورة التكلم على الوجه المعتاد حتى يحصل التنافي بينهما ﴿**فإذا هم**﴾ بغتة من غير لبث ما طرفة عين وهم مبتدأ خبره قوله: ﴿**جميع**﴾ أي: مجموع وقوله: ﴿**لدينا**﴾ أي: عندنا متعلق بقوله: ﴿**محضرون**﴾ للفصل والحساب. وفيه من تهوين أمر البعث والحشر والإيذان باستغنائهما عن الأسباب ما لا يخفى كما هو عسير على الخلق يسير على الله تعالى لعدم احتياجه إلى مزاولة الأسباب ومعالجة الآلات كالخلق وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ٣٥]. وفي الآية إشارة إلى الحشر المعنوي الحاصل لأهل السلوك في الدنيا وذلك أن العالم الكبير صورة الإنسان وتفصيله فكما أنه تتلاشى أجزاؤه وقت قيام الساعة بالنفخ الأول ثم تجتمع بالنفخ الثاني فيحصل الوجود بعد العدم كذلك الإنسان العاشق يتفرق أنياته

ويتقطع تعيناته وقت حصوله العشق بالجذبة القوية الإلهية ثم يظهر ظهوراً آخر فيحصل البقاء بعد الفناء فإذا وصل إلى هذه المرتبة يكون هو إسرافيل وقته كما جاء في «المثنوي»:

هين كه اسرافيل وقتند اوليا ... مرده را زايشان حياتست ونما

جان هريك مرده از كورتن ... برجهد زآواز شان اندر كفن

فالرقاد: هو غفلة الروح في جدث البدن ولا يبعثه في الحقيقة غير فضل الله تعالى وكرمه ولا يفنيه عنه إلا تجلي من جلاله والأنبياء والأولياء عليهم السلام وسائط بين الله تعالى وبين أرباب الاستعداد فمن ليس له قابلية الحياة لا ينفعه النفخ.

همه فيلسوفان يونان وروم ... ندانند كردانكبين از زقوم

ز وحشى نيايدكه مردم شود ... بسعى اندر وتربيت كم شود

بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد ... نه زنكى بكر ما به كردد سفيد

نسأل الله المحسان كثير الإحسان.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿فاليوم﴾ أي: فيقال للكفار حين يرون العذاب المعد لهم اليوم أي: يوم القيامة وهو منصوب بقوله: ﴿لا تظلم نفس﴾ من النفوس برة كانت أو فاجرة والنفس الذات والروح أيضاً ﴿شيئاً﴾ نصب على المصدرية أي: شيئاً من الظلم بنقص الثواب وزيادة العقاب ﴿ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ أي: إلا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي والأوزار أيها الكفار على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد أو إلا بما كنتم تعملونه أي: بمقابلته أو بسببه فقوله: ﴿لا تظلم نفس﴾ ليأمن المؤمن وقوله: ﴿ولا تجزون﴾ الخ لييأس الكافر. فإن قلت ما الفائدة في إيثار طريق الخطاب عند الإشارة إلى يأس المجرم والعدول عن الخطاب عند الإشارة إلى أمان المؤمن. فالجواب أن قوله: ﴿لا تظلم نفس شيئاً﴾ يفيد العموم وهو المقصود في هذا المقام فإنه تعالى لا يظلم أحداً مؤمناً كان أو مجرماً وأما قوله: ﴿لا تجزون﴾ فإنه يختص بالكافر فإنه تعالى يجزي المؤمن بما لم يعمله من جهة الوراثة وجهة الاختصاص الإلهي فإنه تعالى يختص برحمته من يشاء من المؤمنين بعد جزاء أعمالهم فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أضعافاً مضاعفة:

فضل أو بي نهايت وپايان ... لطف او از تصورت بيروز

فيض أو هم سعد آرامبذول ... أجر او ميشده غير ممنون

﴿إن أصحاب الجنة﴾ الخ من جملة ما سيقال لهم يومئذٍ زيادة لحسرتهم وندامتهم فإن الأخبار بحسن حال أعدائهم أثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة ﴿اليوم﴾ أي: يوم القيامة مستقرون ﴿في شغل﴾ قال في «المثنوي»: الشغل بضم الغين وسكونها العارض الذي يذهل الإنسان. وفي «الإرشاد» والشغل هو الشان الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه أهم عنده من الكل إما لإيجابه كمال المسرة والبهجة أو كمال المساءة والغم

والمراد هنا هو الأول والتنوين للتفخيم أي: في شغل عظيم الشأن ﴿فاكهون﴾ خبر آخر لأن من الفكاهة بفتح الفاء وهي طيب العيش والنشاط بالتنعم وأما الفكاهة بالضم فالمزاح والشطارة أي: حديث ذوي الإنس ومنه قول علي رضي الله عنه لا بأس بفكاهة يخرج بها الإنسان من حد العبوس والمعنى متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير. ويجوز أن يكون فاكهون هو الخبر وفي شغل متعلق به ظرف لغوله أي: متلذذون في شغل فشلغهم شغل التلذذ لا شغل فيه تعب كشغل أهل الدنيا. والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها تنزيل للمترقب المتوقع منزلة الواقع للإيذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وهم الكفار ثم إن الشغل فسر على وجوه بحسب اقتضاء مقام البيان ذلك:

منها افتضاض الأبكار وفي الحديث: «إن الرجل ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع» فقال رجل من أهل الكتاب: إن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال عليه السلام: «يفيض من جسد أحدهم عرق مثل المسك الأذفر فيضمر بذلك بطنه» وفي الحديث: «إن أحدهم ليفتض في الغداة الواحدة مائة عذراء». قال عكرمة: فتكون الشهوة في أخراهن كالشهوة في أولاهن وكلما افتضها رجعت على حالها عذراء ولا تجد وجع الافتضاض أصلاً كما في الدنيا وجاء رجل فقال: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدينا؟ قال: «والذي نفسي بيده أن المؤمن ليفضي في اليوم الواحد إلى ألف عذراء» [عبد الله بن وهب كفت كه درجنت غرفه ايست كه ويرا عاليه كفته مى شود دروى حوريست ويرا غنچه كفته مى شود هر كاه كه دوست خداى بوى آيد آيد بوى جبرائيل اذن دهد ويرا پس بر خيزد براطرافش باوى چهار هزار كنيزك باشدكه جمع كنند دامنهاى وى وكيسوهاى ويرا بخور كنند از براى وى بمجمرهاى بى آتس. كفته اند در صحبت بهشتيان مني ومذي وفضولات نباشد چنانكه دردنيا بلى لذت صحبت آن باشدكه زير هر تار موى يك قطره عرق بيايدكه رنكش رنك عرق بود وبويس بوى مشك]. وفي «الفتوحات المكية»: ولذة الجماع هناك تضاعف على لذة جماع أهل الدنيا أضعافاً مضاعفة فيجد كل من الرجل والمرأة لذة لا يقدر قدرها لو وجداها في الدنيا غشي عليهما من شدة حلاوتها لكن تلك اللذة إنما تكون بخروج ريح إذ لا مني هناك كالدنيا كما صرحت به الأحاديث فيخرج من كل من الزوجين ريح كرائحة المسك وليس لأهل الجنة أدبار مطلقاً لأن الدبر إنما خلق في الدنيا مخرجاً للغائط ولا غائط هناك ولولا أن ذكر الرجل أو فرج المرأة يحتاج إليه في جماعهم لما كان وجد في الجنة فرج لعدم البول فيها ونعيم أهل الجنة مطلق والراحة فيها مطلقة إلا راحة النوم فليس عندهم من نعيم راحته شيء لأنهم لا ينامون ولا يعرف شيء إلا بصده.

ومنها سماع الأصوات الطيبة والنغمات اللذيذة [چون بنده مؤمن دربهست آرزوى سماع كند رب العزت اسرافيل بفرستد تا برجانب راست وى بايستد وقرآن خواندن كيرد داود برچپ بايستد زبور خواندن كيرد بنده سماع همى كند تاوقت وى خوش كردد وجان وى در شهود جانان مستغرق رب العزت در آن دم پرده جلال بردارد ديدار بنمايد بنده بجام شراب طهور بنوازد طه ويس خواندن كيرد جان بنده آنكه بحقيقت درسماع آيد]. ثم إنه ليس في الجنة سماع المزامير والأوتار بل سماع القرآن وسماع أصوات الأبكار المغنية والأوراق والأشجار ونحو ذلك كما سبق بعض ما يتعلق بهذا المقام في أوائل سورة الروم وأواخر الفرقان. قال بعض

العلماء: السماع محرك للقلب مهيج لما هو الغالب عليه فإن كان الغالب عليه الشهوة والهوى كان حراماً وإلا فلا. قال بعض الكبار: إذا كان الذكر بنغمة لذيذة فله في النفس أثر كما للصورة الحسنة في النظر ولكن السماع لا يتقيد بالنغمات المعروفة في العرف إذ في ذلك الجهل الصرف فإن الكون كله سماع عند صاحب الاستماع فالمنتهى غني عن تغني أهل العرف فإن محركه في باطنه وسماعه لا يحتاج إلى الأمر العارض الخارج المقيد الزائد.

ومنها التزاور يعني: [شغل ايشان دربهشت زرايت يكديكرست اين بزيارت آن ميرود وآن بزيارت اين مى آيد وقتى پيغمبران بزيارت صديقان واوليا وعلما روند وقتى صديقان واوليا وعلما بزيارت پيغمبران روند وقتى همه بهم جمه شوند بزيارت دركاه عزت وحضرت الهيت روند] وفي الحديث: «إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة في رحال الكافور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً». قال بعض الكبار: إن أهل النار يتزاورون لكن على حالة مخصوصة وهي أن لا يتزاور إلا أهل كل طبقة مع أهل طبقته كالمحرور يزور المحرورين والمقرور يزور المقرورين فلا يزور المقرور محروراً وعكسه بخلاف أهل الجنة للإطلاق والسراح الذي لأهلها المشاكل للنعيم ضد ما لأهل النار من الضيق والتقييد.

ومنها ضيافة الله تعالى [خدايرا عز وجل دو ضيافت است مر بندكانرا يكى اندر ربض بهشت بيرون بهشت ويكى اندر بهشت ولكن آن ضيافت كه دربهشت است متكرر ميشود چنانكه] رؤيت وما ظنك بشغل من سعد بضيافة الله والنظر إلى وجهه وفي الحديث: «إذا نظروا إلى الله نسوا نعيم الجنة».

ومنها شغلهم عما فيه أهل النار على الإطلاق وشغلهم عن أهاليهم في النار لا يهمهم ولا يبالون بهم ولا يذكرونهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم يعني: [بهشتيانرا چندان ناز ونعيم بودكه ايشانرا پرواى اهل دوزخ نبود نه خبرايشان پرسند نه پرواى ايشان دارندكه نام ايشان برند] وذلك لأن الله تعالى ينسيهم ويخرجهم من خاطرهم إذ لو خطر ذكرهم بالبال تنغص عيش الوقت [وكفته اند شغل بهشتيان ده پيزاست ملكى كه در وعزل نه. جوانى كه با او پيرى نه. صحتى بردوام كه با اوبيمارى نه. عزى پيوسته كه با اوذل نه. راحتى كه بااوشدت نه. نعمتى كه با او محنت نه بقايى كه با اوفنانه، حياتى كه با اومرك نه. رضايى كه با اوسخط نه. انسى كه بااو وحشت نه] والظاهر أن المراد بالشغل ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية أي: شغل كان. وفي الآية إشارة إلى أن أهل النار لا نعم لهم من الطعام والشراب والنكاح وغيرها لأن النعيم من تجلي الصفات الجمالية وهم ليسوا من أهله لأن حالهم القهر والجلال غير أن بعض الكبار قال: أما أهل النار فينامون في أوقات ببركة سيدنا محمد ﷺ وذلك هو القدر الذي ينالهم من النعيم فنسأل الله العافية انتهى وهذا كلام من طريق الكشف وليس ببعيد إذ قد ثبت في تذكرة القرطبي أن بعض العصاة ينامون في النار إلى وقت خروجهم منها ويكون عذابهم نفس دخولهم في النار فإنه عار عظيم وذل كبير ألا يرى أن من حبس في السجن كان هو عذاباً له بالنسبة إلى مرتبته وإن لم يعذب بالضرب والقيد ونحوهما ثم إنا نقول والعلم عند الله تعالى [ودربحر الحقائق كويد مراد از اصحاب جنت طالبان بهشت اندكه مقصد ايشان نعيم جنات بود حق سبحانه وتعالى ايشانرا بتنعم مشغول

كرداند وآن حال اكرچه نسبت بادوزخيان ازجلائل احوال است نسبت باطلبان حق بغايت فرو مى نمايد واينجا سر «أكثر أهل الجنة البله» پى توان برد]. وعن بعض أرباب النظر أنه كان واقفاً على باب الجامع يوم الجمعة والخلق قد فرغوا من الصلاة وهم يخرجون من الجامع قال: هؤلاء حشو الجنة وللمجالسة أقوام آخرون. وقد قرىء عند الشبلي رحمه الله قوله تعالى: ﴿**إن أصحاب الجنة**﴾ الخ فشهق شهقة وغاب فلما أفاق قال مساكين: لو علموا أنهم عما شغلوا لهلكوا يعني: [بيچاركان اكرداندكه ازكه مشغول شده اند في الحال درورطه هلاك مى افتند. ودر كشف الأسرار از شيخ الإسلام الأنصاري نقل ميكندكه مشغول نعمت بهشت ازان عامه مؤمنانست اما مقربان حضرت از مطالعه شهود وملاحظه نور وجود يك لحظه بانعيم بهشت نپردازند] قال علي رضي الله عنه: لو حجبت عنه ساعة لمت.

روزيكه مرا وصل تودر چنك آيد ... از حال بهشتيان مرا ننك آيد
وربي تو بصحراى بهشتم خوانند ... صحراى بهشت بر دلم تنك آيد

وفي «التأويلات النجمية»: إن لله تعالى عباداً استخصهم للتخلق بأخلاقه في سر قوله: «كنت سمعه وبصره فبي يسمع وبي يبصر» فلا يشغلهم شأن اشتغالهم بأبدانهم مع أهلهم عن شأن شهود مولاهم في الجنة كما أنهم اليوم مستديمون لمعرفته بأي حال من حالاتهم ولا يقدح اشتغالهم باستيفاء حظوظهم من معارفهم. فعلى العاقل أن يكون في شغل الطاعات والعبادات لكن لا يحتجب به عن المكاشفات والمعاينات فيكون له شغلان: شغل الظاهر وهو من ظاهر الجنة وشغل الباطن وهو من باطنها فمن طلبه تعالى لم يضره أن يطلب منه لأن عدم الطلب مكابرة له في ربوبيته ومن طلب منه فقط لم ينل لقاءه. قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: رأيت رب العزة في منامي فقال لي: يا معاذ كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.

واعلم أن كل مطلوب يوجد في الآخرة فهو ثمرة بذر طلبه في الدنيا سواء تعلق بالجنة أو بالحق كما قال عليه السلام: «يموت المرء على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه» ﴿**هم**﴾ الخ استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسراراً من شركة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة وهم مبتدأ والضمير لأصحاب الجنة ﴿**وأزواجهم**﴾ عطف عليه والمراد نساؤهم اللاتى كن لهم في الدنيا أو الحور العين أو أخلاؤهم كما في قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] ويجوز أن يكون الكل مراداً فقوله وأزواجهم إشارة إلى عدم الوحشة لأن المنفرد يتوحش إذا لم يكن له جليس من معارفه وإن كان في أقصى المراتب ألا ترى أنه عليه السلام لحقته الوحشة ليلة المعراج حين فارق جبريل في مقامه فسمع صوتاً يشابه صوت أبي بكر رضي الله عنه فزالت عنه تلك الوحشة لأنه كان يأنس به وكان جليسه في عامة الأوقات ولأمر ما نهى النبي عليه السلام عن أن يبيت الرجل منفرداً في بيت ﴿**في ظلال على الأرائك متكئون**﴾ قوله متكئون خبر المبتدأ والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل ويجوز أن يكون في ظلال خبراً ومتكئون على الأرائك خبراً ثانياً. والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب والظل ضد الضح بالفارسية [سايه] أو جمع ظلة كقباب جمع قبة وهي الستر الذي يسترك من الشمس. والأرائك جمع أريكة وهي كسفينة سرير في حجلة وهي محركة موضع يزين بالثياب والستور للعروس كما في «القاموس». قال في «المختار»: الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة أي: لا

أريكة وتسميتها بالأريكة إما لكونها في الأصل متخذة من الأراك وهو شجر يتخذ منه المسواك أو لكونها مكاناً للإقامة فإن أصل الأروك الإقامة على رعي الأراك ثم تجوز به في سائر الإقامات. والاتكاء الاعتماد بالفارسية: [تكيه زدن] أي: معتمدون في ظلال على السرر في الحجال والاتكاء على السرر دليل التنعم والفراغ. قال في «كشف الأسرار»: [معنى آنست كه ايشان وجفتان ايشان زير سايها اند بناها وخيمها كه از براى ايشان ساخته اند خيمهاست از مرواريد سفيد چهار فرسنك در چهار فرسنك آن خيمه زده شصت ميل ارتفاع آن ودران خيمه سريرها وتختها نهاده هر تختى سيصد كزار ارتفاع آن بهشتى چون خواهدكه بران تخت شودتخت بزمين پهن باز شودتا بهشتى آسان بى رنج بران تخت شود]. فإن قيل كيف يكون أهل الجنة في ظلال والظل إنما يكون حيث تكون الشمس وهم لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً. أجيب بأن المراد من الظل ظل أشجار الجنة من نور العرش لئلا يبهر أبصار أهل الجنة فإنه أعظم من نور الشمس. وقيل من نور قناديل العرش كذا في «حواشي ابن الشيخ». وقال في «المفردات»: ويعبر بالظل عن العز والمنعة وعن الرفاهة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١] أي: في عزة ومنعة وأظلني فلان أي: حرسني وجعلني في ظله أي: في عزه ومنعته وندخلهم ظلاً ظليلاً كناية عن نضارة العيش انتهى. وقال الإمام في سورة النساء: إن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة وهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة قال عليه السلام: «السلطان ظل الله في الأرض». وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى يقول لأقوام فارغين عن الالتفات إلى الكونين مراقبين للمشاهدات إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم أي: أشكالهم فارغبوا أنتم إليّ واشتغلوا بي وتنعموا بنعيم وصالي وتلذذوا بمشاهدة جمالي فإنه لا لذة فوقها رزقنا الله وإياكم ذلك قال الحافظ:

صحبت حور نخواهم كه بود عين قصور   باخيال تواكر باد كرى پردازم

وقال أيضاً:

نعيم أهل جهان پيش عاشقان يك جو

﴿لهم فيها فاكهة﴾ الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة في المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان مالهم فيها من مجالس الإنس ومحافل القدس تكميلاً لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة والفاكهة الثمار كلها والمعنى لهم في الجنة غاية مناهم فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه عظيمة لا توصف جمالاً وبهجة وكمالاً ولذة كما روي أن الرمانة منها تشبع السكن وهو أهل الدار والتفاحة تنفتق عن حوراء عيناء وكل ما هو من نعيم الجنة فإنما يشارك نعيم الدنيا في الاسم دون الصفة. وفيه إشارة إلى أن لا جوع في الجنة لأن التفكه لا يكون لدفع ألم الجوع ﴿ولهم ما يدعون﴾ الجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها وما عبارة عن مدعو عظيم الشأن معين أو مبهم. ويدعون أصله يدتعيون على وزن يفتعلون من الدعاء لا من الادّعاء بمعنى الإتيان بالدعوى وبالفارسية: [دعوى كردن بركسى] فبناء افتعل الشيء فعله لنفسه وإعلاله أنه استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها فحذفت لاجتماع الساكنين فصار يدتعون ثم أبدلت التاء دالاً فأدغمت الدال في الدال فصار يدعون والمعنى ولهم ما يدعون الله به لأنفسهم من مدعو عظيم الشأن أو كل ما يدعون به كائناً ما كان

من أسباب البهجة وموجبات السرور. قال ابن الشيخ: أي: ما يصح أن يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب كما قال الإمام ليس معناه أنهم يدعون لأنفسهم شيئاً فيستجاب لهم بعد الطلب بل معناه لهم ذلك فلا حاجة إلى الدعاء كما إذا سألك أحد شيئاً فقلت: لك ذلك وإن لم تطلبه ويجيء الادعاء بمعنى التمني كما قال في «تاج المصادر» [الادعاء: آرزو خواستن] من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه عليّ فالمعنى ولهم ما يتمنونه وبالفارسية: [ومرايشانرا آنچه خواهند وآرزو برند وابن عباس رضي الله عنهما كفت كه بهشتى از أطعمه وأشربه بى آنكه بزبان آرد پيش خود حاضر بيند].

﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩﴾.

﴿سلام﴾ بدل من ما يدعون كأنه قيل ولهم سلام وتحية يقال لهم ﴿قولا﴾ كائناً ﴿من﴾ جهة ﴿رب رحيم﴾ أي: يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك أو بدونها مبالغة في تعظيمهم فقولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له والأوجه أن ينتصب قولاً على الاختصاص أي: بتقدير أعني فإن المقام مقام المدح من حيث إن هذا القول صادر من رب رحيم فكان جديراً بأن يعظم أمره وفي الحديث «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم».

سلام دوست شنيدن سعادتست وسلامت بوصل يار رسيدن فضيلتست وكرامت

قال في «كشف الأسرار» [معنى سلام آنست كه سلمت عبادي من الحرقة والفرقة واشارت رحمت درين موضع آنست كه ايشانرا برحمت خويش قوت وطاقت دهد تا بى واسطه كلام حق بشنوند وديدار وى بينند وايشانرا دهشت وحيرت نبود].

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن سلامه تبارك وتعالى كان قولاً منه بلا واسطة وأكده بقوله رب ليعلم أنه ليس بسلام على لسان سفير وقوله رحيم فالرحمة في تلك الحالة أن يرزقهم الرؤية حال ما يسلم عليهم ليكمل لهم النعمة. وفي «حقائق البقلي» سلام الله أزلي إلى الأبد غير منقطع عن عباده الصادقين في الدنيا والآخرة لكن في الجنة يرفع عن آذانهم جميع الحجب فيسمعون سلامه وينظرون إلى وجهه كفاحا:

سلامت من دلخسته درسلام توباشد زهى سعادت اكر دولت سلام توبابم

قال في «كشف الأسرار»: [سلام خداوند كريم بربندكان ضعيف دو ضرب است يكى بسفير وواسطه ويكى بى سفير وبى واسطه اما آنچه بواسطه است اول سلام مصطفاست عليه السلام وذلك في قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي: محمد چون مؤمنان برتو آيند ونواخت ما طلبند تو بنيابت ما برايشان سلام كن وبكوى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٥٤] باز چون روز كار حيات بنده برسد وبريد مرك در رسد دران دم زدن بازپسين ملك الموت را فرمان آيدكه توبريد حضرت مايى بفرمان ما قبض روح بنده ميكنى نخست اورا شربت شادى ده ومرهمى بردل خسته بروى نه بروى سلام

كن ونعمت بروى تمام كن اينست كه رب العزت كفت ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٤] آن فرشتكان ديكركه اعوان ملك الموت اند چون آن نواخت وكرامت بينندهمه كويند ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] أي: بنده مؤمن خوشدلى وديعت جان تسليم كردى نوشت بادوسلام ودرود مرترا باد ازسراى حكم قدم درساخت بهشت نه كه كار كارتست ودولت دولت تو وازان پس چون ازحساب وكتاب ديوان قيامت فارغ شود بدربهشت رسد ورضوان اورا استقبال كند كويد ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] سلام ودرود برشماخوش كشتيد وپاك آمديد وپاك زندكانى كرديد اكنون دررويد درين سراى جاودان ونازونعيم بى كران وازان پس كه در بهشت آيد بغرفه خويش آرام كيرد فرستادكان ملك آيندواورا مژده دهند وسلام رسانند وكويند ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤] چون كوش بنده ازشنيدن سلام واسطه پرشود وازدرود فرشتكان پرشود آرزوى ديدارحق وسلام وكلام متكلم مطلب كند كويد بزبان افتقار درحالت انكسارى بساط انبساط كه. أي معدن ناز من اين نياز من تاكى. أي شغل جان من اين شغل جان من تاكى. أي همراز دل من اين انتظار دل من تاكى. أي ساقى سر من اين تشنكى من تاكى. أي مشهود جان من اين خبر پرسيدن من تاكى. خداوندا موجود دل عارفانى در ذكر يكانه آرزوى مشتقانى دروجود يكانه هيچ روى آن دارد خداونداكه ديدار بنمايى وخود سلام كنى برين بنده] فيتجلى الله عز وجل ويقول سلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله: ﴿**سلام قولاً من رب رحيم**﴾. قيل: سبعة أشياء ثواب لسبعة أعضاء لليد ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣] للرجل ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] للبطن ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ [الطور: ١٩] للعين ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] للفرج ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] للأذن ﴿**سلام قولا**﴾ للسان ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠].

﴿**وامتازوا**﴾ يقال مازه عنه يميزه ميزا أي عزله ونحاه فامتاز والتمييز الفصل بين المتشابهات ودل الامتياز على أنه حين يحشر الناس يختلط المؤمن والكافر والمخلص والمنافق ثم يمتاز أحد الفريقين عن الآخر كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم: ١٤] وهو عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما ويجوز أن يكون معطوفاً على مضمر ينساق إليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قيل بعد بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عيناً وامتازوا عنهم وانفردوا ﴿**اليوم**﴾ وهو يوم القيامة والفصل والجزاء ﴿**أيها المجرمون**﴾ إلى مصيركم فكونوا في السعير وفنون عذابها ولهبها بدل الجنة لهم وألوان نعمها وطربها وبالفارسية: [وجدا شويد آنروز أي: مشركان ازموحدان واى منافقان از مخلصان كه شما بزندان دشمنان مى رانند وايشانرا ببوستان دوستان خوانند]. وعن وقتادة اعتزلوا عما ترجون وعن كل خير أو تفرقوا في النار لكل كافر بيت من النار ينفرد به ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين لا يرى ولا يرى وهو على خلاف ما للمؤمن من الاجتماع بالإخوان وعذاب الفرقة عن القرناء والأصحاب من أسوء العذاب وأشد العقاب.

وفي «التأويلات»: يشير إلى امتياز المؤمن والكافر في المحشر والمنشر بابيضاض وجه المؤمن واسوداد وجه الكافر وبإيتاء كتاب المؤمن بيمينه وبإيتاء كتاب الكافر بشماله وبثقل

الميزان وبخفته وبالنور وبالظلمة وثبات القدم على الصراط وزلة القدم عن الصراط وغير ذلك.
قال بعض الكبار: اعلم أن أهل النار الذين لا يخرجون منها أربع طوائف: المتكبرون، والمعطلة، والمنافقون، والمشركون ويجمعها كلها المجرمون قال تعالى: ﴿**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾ أي: المستحقون لأن يكونوا أهلاً لسكنى النار فهؤلاء أربع طوائف هم الذي لا يخرجون من النار من إنس وجن وإنما جاء تقسيمهم إلى أربع طوائف من غير زيادة لأن الله تعالى ذكر عن إبليس أنه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار إلا بواسطته فهو يأتي للمشرك من بين يديه ويأتي للمتكبر عن يمينه ويأتي للمنافق عن شماله ويأتي للمعطل من خلفه وإنما جاء للمشرك من بين يديه لأن المشرك بين يديه جهة غيبية فأثبت وجود الله ولم يقدر على إنكاره فجعله إبليس يشرك بالله في ألوهيته شيئاً يراه ويشاهده وإنما جاء للمتكبر من جهة اليمين لأن اليمين محل القوة فلذلك تكبر لقوته التي أحس بها من نفسه وإنما جاء للمنافق من جهة شماله الذي هو الجانب الأضعف لكون المنافق أضعف الطوائف كما أن الشمال أضعف من اليمين ولذلك كان في الدرك الأسفل من النار ويعطي كتابه بشماله وإنما جاء للمعطل من خلفه لأن الخلف ما هو محل نظر فقال له ما ثم شيء فهذه أربع مراتب لأربع طوائف ولهم من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم وهي منازل عذابهم فإذا ضربت الأربع التي هي المراتب في السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلاً عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة انتهى كلامه.

﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم**﴾ الخ من جملة ما يقال لهم يوم القيامة بطرق التقريع والإلزام والتبكيت بين الأمر بالامتياز وبين الأمر بدخول جهنم بقوله تعالى: ﴿**ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ**﴾ [يس: ٦٤] الخ والعهد والوصية التقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد هٰهنا ما كلفهم الله تعالى على ألسنة الرسل من الأوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى: ﴿**يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ**﴾ [الأعراف: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [البقرة: ١٦٨] وغيرها من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى والمراد ببني آدم المجرمون والمعنى بالفارسية: [أيا عهد نكرده ام شمارا يعني عهد كردم وفرمودم شمارا] ﴿**أن لا تعبدوا الشيطان**﴾ إن مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالأمر والنهي أو مصدرية حذف منها الجار أي: ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشيطان والمراد بعبادة الشيطان عبادة غير الله لأن الشيطان لا يعبده أحد ولم يرد عن أحد أنه عبد الشيطان إلا أنه عبر عن عبادة غير الله بعبادة الشيطان لوقوعها بأمر الشيطان وتزيينه والانقياد فيما سوّله ودعا إليه بوسوسته فسمي إطاعة الشيطان والانقياد له عبادة له تشبيهاً لها بالعبادة من حيث إن كل واحد منهما ينبىء عن التعظيم والاجلال ولزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته تعالى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أطاع شيئاً عبده دل عليه ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ**﴾ [الجاثية: ٢٣] والمعنى بالفارسية: [نپرستيد شيطانرا يعني بتان بفرموده شيطان] ﴿**إنه لكم عدو مبين**﴾ أي: ظاهر العداوة لكم يريد أن يصدكم عما جبلتم عليه من الفطرة وكلفتم به من الخدمة وهو تعليل

لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه ووجه عداوة إبليس لبني آدم أنه تعالى لما أكرم آدم عليه السلام عاداه إبليس حسداً والعاقل لا يقبل من عدوه وإن كان ما يلقاه إليه خيراً إذ لا أمن من مكره فإن ضربة الناصح خير من تحية العدو. قال الشيخ سعدي قدس سره: [دشمن چون ازهمه حيلتي درماند سلسله دوستى بجنباند پس آنكاه بدوستى كارهاً كندكه هيچ دشمن نتواند كرد]:

حذركن زانچه دشمن كويد آن كن   كه بر زانوا زنى دست تغابن

كرت راهى نمايد راست چون تير   ازان بر كرد وراه دست چپ كير

قال بعض الكبار: اعلم أن عداوة إبليس لبني آدم أشد من معاداته لأبيهم آدم عليه السلام وذلك أن بني آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم فجمع بينه وبين إبليس اليبس الذي في التراب فبين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله إنه لناصح وما صدقه الأبناء لكونه لهم ضداً من جميع الوجوه فبهذا كانت عداوة الأبناء أشد من عداوة الأب ولما كان العدو محجوباً عن إدراك الأبصار جعل الله لنا علامات في القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر فنتحفظ بتلك العلامة من إلقائه وإعانة الله عليه بالملك لذي جعله الله مقابلاً له غيباً بغيب انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى كمال رأفته وغاية مكرمته في حق بني آدم إذ يعاتبهم معاتبة الحبيب للحبيب ومناصحة الصديق للصديق وأنه تعالى يكرمهم ويجعلهم عن أن يعبدوا الشيطان لكمال رتبتهم واختصاص قربتهم بالحضرة وغاية ذلة الشيطان وطرده ولعنه من الحضرة وسماه عدواً لهم وله وسمي بني آدم الأولياء والأحباب وخاطب المجرمين منهم كالمعتذر الناصح لهم ألم أعهد إليكم ألم أنصح ألم أخبركم عن خباثة الشيطان وعداوته لكم وإنكم أعز من أن تعبدوا مثله ملعوناً مهيناً.

﴿وأن اعبدوني﴾ لأن مثلكم يستحق لعبادة مثلي فإني أنا العزيز الغفور وإني خلقتكم لنفسي وخلقت المخلوقات لأجلكم وعززتكم وأكرمتكم بأن أسجدت لكم ملائكتي المقربين وعبادي المكرمين وهو عطف على أن لا تعبدوا وإن فيه كما هي فيه أي: وحدوني بالعبادة ولا تشركوا بها أحداً وتقديم النهي على الأمر لما أن حق التخلية التقدم على التحلية وليتصل به قوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥] فإنه إشارة إلى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والإسلام وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١] والمقصود بقوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] والتنكير للتفخيم. قال البقلي: طلب الحق منهم ما خلق في فطرتهم من استعداد قبول الطاعة أي: اعبدوني بي لا بكم فهذا صراط مستقيم حيث لا تنقطع العبودية عن العباد أبداً ولا يدخل في هذا الصراط اعوجاج واضطراب أصلاً وكل قول يقبل الاختلاف بين المسلمين إلا قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فإنه غير قابل للاختلاف فمعناه متحقق وإن لم يتكلم به أحد. قال الواسطي: من عبد الله لنفسه فإنما يعبد نفسه ومن عبده لأجله فإنه لم يعرف ربه ومن عبده بمعنى أن العبودية جوهرة فطرة الربوبية فقد أصاب ومن علامات العبودية ترك الدعوى واحتمال البلوى وحب المولى وحفظ الحدود والوفاء بالعهود وترك الشكوى عند المحنة وترك المعصية عند النعمة وترك الغفلة عند الطاعة. قال بعض الكبار: لا يصح مع العبودية رياسة أصلاً لأنها ضد لها ولهذا قال المشايخ رضوان الله عليهم آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الجاه.

واعلم أنه كم نصح الله ووعظ وأنذر وحذر ووصل القول وذكر ولكن المجرمين لم يقبلوا النصح ولم يتعظوا بالوعظ ولم يعملوا بالأمر بل عملوا بأمر الشيطان وقبلوا إغواءه إياهم فليرجع العاقل من طريق الحرب إلى طريق الصلح قال الشيخ سعدي قدس سره:

نه ابليس در حق ما طعنه زد كزاينان نيايد بجز كاربد
فغان ازبديها كه درنفس ماست كه ترسم شودظن ابليس راست
چو ملعون پسند آمدش قهرما خدايش بر انداخت ازبهرما
كجا بر سر آيم ازين عارونك كه بااو بصلحيم وباحق بجنك
نظر دوست نادر كند سوى تو كه درروى دشمن بودروى تو
ندانى كه كمترنهد دوست پاى چوبيندكه دشمن بوددر سراى

وقال أيضاً من طريق الإشارة:

نه مارا درميان عهد ووفا بود جفا كردى وبدعهدى نمودى
هنوزت ارسر صلحست بازآى كزان محبوبتر باشى كه بودى

﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ جواب قسم محذوف والخطاب لبني آدم. وفي «الإرشاد» الجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان أن جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الأمم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان والخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم وتشديد اللام الخلق أي: المخلوق ولما تصور من الجبل العظم قيل للجماعة العظيمة جبل تشبيهاً بالجبل في العظم وإسناد الإضلال إلى الشيطان مجاز والمراد سببيته كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وإلا فالهداية والإضلال و«الإرشاد» والإغواء صفة الله تعالى في الحقيقة بدليل قوله عليه السلام: «بعثت داعياً ومبلغاً وليس إليّ من الهدى شيء وخلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء» والمعنى وبالله لقد أضل الشيطان منكم خلقاً كثيراً يعني صار سبباً لضلالهم عن ذلك الصراط المستقيم الذي أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لأجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق أخبارها وبقي مدى الدهر آثارها.

وقال بعضهم: وكيف تعبدون الشيطان وتنقادون لأمره مع أنه قد أضل منكم يا بني آدم جماعة متعددة من بني نوعكم فانحرفوا بإضلاله عن سواء السبيل فحرموا من الجنة الموعودة لهم ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون إنها لضلالهم وطاعتهم إبليس أو فلم تكونوا تعقلون شيئاً أصلاً حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب. وقال الكاشفي: [ايا نيستيد شماكه تعقل كنيد وخودرا دردام فريب او بيفكنيد]. وفي «كشف الأسرار» هو استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل وفي الحديث «قسم الله العقل ثلاثة أجزاء فمن كانت فيه فهو العاقل حسن المعرفة بالله» أي: الثقة بالله في كل أمر والتفويض إليه والائتمار له على نفسك وأحوالك والوقوف عند مشيئته لك في كل أمر دنيا وآخرة «وحسن الطاعة لله» وهو أن تطيعه في كل أموره «وحسن الصبر» لله وهو أن تصبر في النوائب صبراً لا يرى عليك في الظاهر أثر النائبة كذا في «درر الأصول».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ عن صراط مستقيم عبوديتي وأبعدكم عن جواري وقربتي ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ لتعلموا أن الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل فلا تظلموا على أنفسكم وارجعوا إلى ربكم واعلم أن العقل نور يستضاء به كما قال في «المثنوي»:

كربصورت وانمايد عقل رو ... تيره باشد روز پيش نوراو
ورمثال احمقى پيدا شود ... ظلمت شب پيش اوروشن بود
اندك اندك خوى كن بانور روز ... ورنه خفاشىء بمانى بى فروز
عقل كل راكفت ما زاغ البصر ... عقل جزئي ميكند هرسونظر

ثم اعلم أن الجاهل الأحمق والضال المطلق في يد الشيطان يقوده حيث يشاء ولو علم حقيقة الحال وعقل أن الله الملك المتعال واهتدى إلى طريق التوحيد والطاعة لحفظه الله من تلك الساعة فإن التوحيد حصنه الحصين ومن دخل فيه أمن من مكر العدو المهين ومن خرج عنه طالباً للنجاة أدركه الهلاك ومات في يد الآفات ومن أهمل نفسه فلم يتحرك لشيء كان كمجنون لا يعرف شمساً من فيء فنسأل الله الاشتغال بطاعته واستيعاب الأوقات بعبادته وطرد الشيطان بأنوار الخدمة وقهر النفس بأنواع الهمة.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿هذه جهنم التي كنتم﴾ أيها المرجون ﴿توعدون﴾ أي: توعدونها على ألسنة الرسل في الدنيا في أزمنتها المتطاولة بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] وغير ذلك وهو استئناف يخاطبون به من خزنة جهنم بعد تمام التوبيخ والتقريع والإلزام والتبكيت عند إشرافهم على شفير جهنم ﴿اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون﴾ يقال: صلي اللحم كرمي يصليه صلياً شواه وألقاه في النار وصلى النار قاسى حرها وأصله أصليوها فاعل كاحشيوا وهو أمر تنكيل وإهانة كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩] والمعنى ادخلوها وقاسوا حرها وفنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وفي ذكر اليوم ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم يعني أن أيام لذاتكم قد مضت ومن هذا الوقت واليوم وقت عذابكم. قال أبو هريرة رضي الله عنه: أوقدت النار ألف عام فابيضت ثم أوقدت ألف عام فاحمرت ثم أوقدت ألف عام فاسودت فهي سوداء كالليل المظلم وهي سجن الله تعالى المجرمين قال النبي عليه السلام لجبرائيل: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط» قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار. قال بعضهم: ذكر النار شديد فكيف القطيعة والفضيحة فيها ولذا ورد فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة.

وعن السري السقطي رحمه الله: أشتهي أن أموت ببلدة غير بغداد مخافة أن لا يقبلني قبري فافتضح عندهم. وقال العطار رحمه الله: لو أن ناراً أوقدت فقيل من قبل الرحمٰن من ألقى نفسه فيها صار لاشياً لخشيت أن أموت من الفرح قبل أن أصل إلى النار لخلاصي من العذاب الأبدي فانظر إلى إنصاف هؤلاء السادات كيف أساءوا الظن بأنفسهم مع أنهم موحدون توحيداً حقيقياً عابدون عارفون وقد جعل دخول النار مسبباً عن الكفر والشرك والأوزار.

خدايا بعزت كه خوارم مكن ... بذل كنه شرمسارم مكن

مـرا شـر مـسـاری زروی تـوبـس | دکـر شـر مـسارم مـکـن پـیـش کـس
بـلـطـفـم بـخـوان یـابـران ازدرم | نـدارد بـجـز آسـتـانـت سـرم
بـحـقـت کـه چـشـم زبـاطـل بـدوز | بـنـورت کـه فـردا بـنـارم مـسـوز

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ الختم في الأصل الطبع ثم استعير للمنع والأفواه جمع فم وأصل فم فوه بالفتح وهو مذهب سيبويه والبصريين كثوب وأثواب حذفت الهاء حذفاً على غير قياس لخفائها ثم الواو لاعتدالها ثم أبدل الواو المحذوفة ميماً لتجانسهما لأنهما من حروف الشفة فصار فم فلما أضيف رد إلى أصله ذهاباً به مذهب أخواته من الأسماء. وقال الفراء جمع فوه بالضم كسوق وأسواق وفي الآية التفات إلى الغيبة للإيذان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الإيمان إلى أن ذلك من مقتضيات الختم لأن الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية والمعنى تمنع أفواههم من النطق ونفعل بها ما لا يمكنهم معه أن يتكلموا فتصير أفواههم كأنها مختومة فتعترف جوارحهم بما صدر عنها من الذنو. **﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾** باستنطاقنا إياها **﴿بما كانوا يكسبون﴾** فتنطق الأربع بما كسبوه من السيئات والمراد جميع الجوارح لا أن كل عضو يعترف بما صدر منه [والكسب: حاصل كردن كسى چيزى را] والمعنى بالفارسية: [امروز مهر مى نهيم بر دهنهاى ايشان چون ميكويد كه مشرك نبوده ايم وتكذيب رسل نكرده وشيطانرا نپرستيده وسخن كويد بامادستهاى ايشان وكواهى دهد پايهاى ايشان بآنچه بودند در دنيا ميكردند]. قال بعضهم لما قيل لهم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠] جحدوا وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين وما عبدنا من دونك من شيء وما أطعنا الشيطان في شيء من المنكرات فيختم على أفواههم وتعترف جوارحهم بمعاصيهم. والختم لازم للكفار أبداً. أما في الدنيا فعلى قلوبهم كما قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]. وأما في الآخرة فعلى أفواههم ففي الوقت الذي كان الختم على قلوبهم كان قولهم بأفواههم كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠] فلما ختم على أفواههم أيضاً لزم أن يكون قولهم بأعضائهم لأن الإنسان لا يملك غير القلب واللسان والأعضاء فإذا لم يبق القلب واللسان تعين الجوارح والأركان. وفي «كشف الأسرار» [روز قيامت عمل كافران بركافران عرضه كنند وصحيفهاى كردار ايشان بايشان نمايند آن رسواييها بينند وكردها برمثال كوههاى عظيم انكار كنند وخصومت دركيرند وبر فرشتكان دعوى دروغ كنند كويند ما اين كه در صحيفهاست نكرده ايم وعمل ما نيست همسايكان برايشان كواهى دهند همسايكانرا دروغ زن كيرند أهل وعشيرت كواهى دهند وايشانرا نيز دروغ زن كيرند پس رب العزة مهر بردهنهاى ايشان نهد وجوارح ايشان بسخن آردتا بر كردهاى ايشان كواهى دهند] وعن أنس رضي الله عنه: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مم أضحك» قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «في مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم يقول: بلى فيقول: لا أجيز عن نفسي إلا شاهداً مني فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً فعنكنّ

كنت أناضل» أي: أدافع وأول عظم من الإنسان ينطق يوم يختم على الأفواه فخذه من رجله الشمال وكفه كما جاء في الحديث. والسر في نطق الأعضاء والجوارح بما صدر عنها ليعلم أن ما كان عوناً على المعاصي صار شاهداً فلا ينبغي لأحد أن يلتفت إلى ما سوى الله ويصحب أحداً غير الله لئلا يفتضح ثمة بسبب صحبته.

نكشود صائب ازمدد خلق هيچ كار   از خلق روى خود به خدا ميكنيم ما

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الغالب على الأفواه الكذب كما قال: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] والغالب على الأعضاء الصدق ويوم القيامة يوم يسأل الصادقين عن صدقهم فلا يسأل الأفواه فإنها كثيرة الكذب ويسأل الأعضاء فإنها كثيرة الصدق فتشهد بالحق أما الكفار فشهادة أعضائهم عليهم مبيدة لهم وأما العصاة من المؤمنين الموحدين فقد تشهد عليهم أعضاؤهم بالعصيان ولكن تشهد لهم بعض أعضائهم أيضاً بالإحسان كما جاء في بعض الأخبار المروية المسندة أن عبداً تشهد عليه أعضاؤه بالزلة فتتطاير شعرة من جفن عينيه فتستأذن بالشهادة له فيقول الحق تعالى: تكلمي يا شعرة جفن عين عبدي واحتجي عن عبدي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي مناد هذا عتيق الله بشعرة [دركشف الأسرار فرمودكه چنانكه جوارح اعدا بر افعال بدايشان كواهى ميدهد همچنين اعضاى بر طاعت ايشان اقامت شهادت كند چنانچه در آثار آورده اندكه حق سبحانه وتعالى بنده مؤمن را خطاب كندكه چه آورده او شرم داردكه عبادات وخيرات خود برشمارد حق سبحانه اعضاى ويرا بسخن در آورد تاهريك اعمال خودرا باز كويند انامل كواهى بردهد بر تسبيحات] كما قال عليه السلام لبعض النساء: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات مستنطقات» يعني: بالشهادة يوم القيامة ولذا سن عد الأذكار بالأصابع وإن لم يعلم العقد المعهود يعدّهن بأصابعه كيف شاء كما في «الأسرار المحمدية».

وقال بعض العرفاء معنى الختم على الأفواه وتكلم الأيدي وشهادة الأرجل تغيير صورهم وحبس ألسنتهم عن النطق وتصوير أيديهم وأرجلهم عن صورة تدل بهيئاتها وأشكالها على أعمالها وتنطق بألسنة أحوالها على ما كان من هيئة أفعالها انتهى. فكما أن هيئة أعضاء المجرمين تدل على قبح أحوالهم وسوء أفعالهم كذلك شكل جوارح المؤمنين يدل على حسن أحوالهم وجمال أفعالهم وكل إناء يترشح بما فيه فطوبى للسعداء ومن يتبعهم في زيهم وهيئاتهم وطاعاتهم وعباداتهم.

پى نيك مردان بيايد شتافت   كه هركين سعادت طلب كرد يافت
وليكن تو دنبال ديو خسى   ندانم كه درصالحان كى رسى
پيمبر كسى را شفاعت كرست   كه برجاده شرع پيغمبرست

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿ولو نشاء﴾ لو للمضي إن دخل على المضارع ولذا لا يجزمه أي: ولو أردنا عقوبة المشركين في الدنيا هم أهل مكة **﴿لطمسنا على أعينهم﴾** طمس الشيء إزالة أثره بالكلية يقال طمسته أي: محوته واستأصلت أثره كما في «القاموس» أي: لسوينا أعينهم ومحوناها بأن أزلنا

ضوءها وصورتها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن وتصير مطموسة ممسوخة كسائر أعضائهم وبالفارسية: [هرآينه نايبدا كنيم يعني رقم محو كشيم بر چشمهاى ايشان] يعني كما أعمينا قلوبهم ومحونا بصائرهم لو نشاء لأعمينا أبصارهم الظاهرة وأزلناها بالكلية فيكون عقوبة على عقوبة ﴿فاستبقوا الصراط﴾ الاستباق افتعال وبالفارسية: [بر يكديكر پيش كرفتن] والصراط من السبيل ما لا التواء فيه بل يكون على سبيل القصد وانتصابه بنزع الجار لأن الصراط مسبوق إليه لا مسبوق أي: فأرادوا أن يستبقوا ويتبادروا إلى الطريق الواسع الذي اعتادوا سلوكه وبالفارسية: [پس پيشى كيرند وآهنك كنند راهى راكه در سلوك آن معتادند] ﴿فأنى يبصرون﴾ أي: فكيف يبصرون الطريق وجهة السلوك إلى مقاصدهم حين لا عين لهم للابصار فضلاً عن غيره أي: لا يبصرون لأن أنى بمعنى كيف وكيف هنا إنكار فتفيد النفي وحاصله تهديد لأهل مكة بالطمس فإن الله تعالى قادر على ذلك كما فعل بقوم لوط حين كذبوه وراودوه عن ضيفه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى طمس عين الظاهر بحيث لا يكون لها شق فكيف تبكي حتى تشهد بالبكاء على صاحبها ويشير أيضاً إلى طمس عين الباطن فإذا كانت مطموسة كيف يبصر بها الحق والباطل ليرجع من الباطل إلى الحق وإذا لم يبصر بها الحق كيف يخاف من الباطل ليحترق قلبه بنار الخوف فيسيل منه الدمع ليشهد له بالبكاء من الخوف.

كريه وزارى دليل رهبتست هركرا اين نيست اهل شقوتست

﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ المسخ تحويل الصورة إلى ما هو أقبح منها سواء كان ذلك التحويل بقلبها إلى صورة البهيمية مع بقاء الصورة الحيوانية أو بقلبها حجراً ونحوه من الجمادات بإبطال القوى الحيوانية. والمعنى ولو نشاء نسقطهم عن رتبة التكليف ودرجة الاعتبار لغيرنا صورهم بأن جعلناهم قردة وخنازير كما فعلنا بقوم موسى أي: بني إسرائيل في زمان داود عليه السلام أو بأن جعلناهم حجارة ومدرة وهذا أشد من الأول وأقبح لأن الأول خروج عن رتبة الإنسانية إلى الحيوانية وهذا عن الحيوانية إلى الجمادية التي ليس فيها شعور أصلاً وقطعاً ﴿على مكانتهم﴾ بمعنى المكان إلا أن المكانة أخص كالمقامة والمقام أي: مكانهم ومنزلهم الذي هم فيه قعود وبالفارسية: [برجاى خويش تاهم آنجا افسرده شوند] وقال بعضهم: لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم ﴿فما استطاعوا مضياً﴾ ذهاباً وإقبالاً إلى جانب أمامهم أي: لم يقدروا أن يبرحوا مكانهم بإقبال. أصله مضوي قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء وكسرت الضاد قبل الياء لتسلم الياء ومن قرأ مضياً بكسر الميم فإنما كسرها اتباعاً للضاد ﴿ولا يرجعون﴾ أي: ولا رجوعاً وإدباراً إلى جهة خلفهم فوضع موضع الفعل لمراعاة الفاصلة وليس مساق الشرطين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دثار امثالهم أحقاء بأن يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس إلا عدم تعلق المشيئة الإلهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ لفعلناها لكنا لم نفعل جرياً على سنن الرحمة العامة والحكمة التامة الداعيتين إلى إمهالهم زماناً إلى أن يتوبوا ويؤمنوا ويشكروا النعمة أو إلى أن يتولد منهم من يتصف بذلك.

قال بعض الحكماء: المسخ ضربان خاص وهو تشويه الخلق بالفتح وعام في كل زمان

وهو تبديل الخلق بالضم وذلك أن يصير الإنسان متخلقاً بخلق ذميم من أخلاق بعض الحيوانات نحو أن يصير في شدة الحرص كالكلب أو الشره كالخنزير أو الغمارة كالثور. فعبارة الآية في تحويل الصورة وإشارتها في تحويل الصفات الإنسانية بالصفات السبعية والشيطانية فلا يقدرون على إزالة هذه الصفات ولا يقدرون على رجوعهم إلى صفاتهم الإنسانية فمن مسخه الله في الدنيا بصفات حشره في صورة صفته الممسوخة كما جاء في الحديث الصحيح «إن آزر يحشر على صفة ضبع». قال في «حياة الحيوان»: في الحديث: «يلقي إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعص فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزي من أن يكون أبي في النار فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيح متلطخ وهو بكسر الذال والخاء المعجمتين ذكر الضباع الكثيرة الشعر فيؤخذ بقوائمه ويلقى في النار والحكمة في كون آزر مسخ ضبعاً دون غيره من الحيوان أن الضبع تغفل عما يجب التيقظ له وتوصف بالحمق فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه وقبل خديعة عدوه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق لأن الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى في حجرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ولأن آزر لو مسخ كلباً أو خنزيراً كان فيه تشويه لخلقه فأراد الله تعالى إكرام إبراهيم عليه السلام بجعل أبيه على هيئة متوسطة». قال في «المحكم»: يقال خزيته أي: ذللته فلما خفض إبراهيم عليه السلام له جناح الذل من الرحمة لم يخز بصفة الذل يوم القيامة فإذا كان حال إبراهيم فما ظنك بغيره ممن لم يأت الله بقلب سليم فينبغي أن لا يلتفت إلى الاكتساب بل يؤخذ بصالحات الأعمال وخالصات الأحوال نرجو من الله المتعال أن لا يفضحنا يوم السؤال.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿ومن نعمره﴾ [التعمير: زندكانى دادن] والعمر مدة عمارة البدن بالروح أي: ومن نطل عمره في الدنيا وبالفارسية: [هركرا عمر دراز دهيم] **﴿ننكسه في الخلق﴾** [التنكيس: نكونسار كردن] وهو أبلغ والنكس أشهر وهو قلب الشيء على رأسه ومنه نكس الولد إذا خرج رجله قبل رأسه والنكس في المرض أن يعود في مرضه بعد إفاقته والنكس في الخلق وهو بالفارسية: [آفرينش] الرد إلى أرذل العمر والمعنى نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه أولاً فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتنتقض بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود إلى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والإدراك.

أراني كل يوم في انتقاص ولا يبقى على النقصان شيء

﴿أفلا يعقلون﴾ أي: أيرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ فإنه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرج وأن عدم إيقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما.

نزد قدرت كارها دشوار نيست

وفي «البحر»: فإن لم نفعلها بكم في الدنيا نفعلها بكم في الآخرة إن لم تتوبوا عن الكفر

والمعاصي فإنه روي أن بعض الناس من هذه الأمة يحشرون على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسين أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمياً وبعضهم صماً وبكماً وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع إلى غير ذلك وسيجيء تفصيله في محله. قال أبو بكر الوراق قدس سره: من عمره الله بالغفلة فإن الأيام والأحوال مؤثرة فيه حالاً فحالاً من طفولة وشباب وكهولة وشيبة إلى أن يبلغ ما حكى الله عنه من قوله: ﴿**ومن نعمره ننكسه في الخلق**﴾ ومن أحياه الله بذكره فإن تلون الأحوال لا يؤثر فيه فإنه متصل الحياة بحياة الحق حي به وبقربه قال الله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. قال في «كشف الأسرار»: [اين بندكانرا تنبيهي است عظيم بيدار كردن ايشان ازخواب غفلت يعني كه خودرا دريابيد وروز كار جوانى وقوت بغنيمت داريد وعمل كنيد پيش ازانكه نتوانيد] قال النبي ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وفراغك قبل شغلك» [پس اكر روز كار جوانى ضايع كند ودر عمل تقصير كند برسر پيرى وعجز عذري باز خواهد هم نكوبود] قال النبي عليه السلام: «إذا بلغ الرجل تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب أسير الله في الأرض وشفع في أهل بيته وإذا بلغ مائة سنة استحيى الله عز وجل منه أن يحاسبه» أي: رضي عنه وسامح في حسابه، قال الشيخ سعدي قدس سره:

دلم ميدهد وقت وقت اين اميد ... كه حق شرم دارد زموى سفيد
عجب دارم ار شرم دارد زمن ... كه شرمم نمى آيد از خويشتن

﴿**وما علمناه الشعر**﴾ رد وإبطال لما كانوا يقولون في حقه عليه السلام من أنه شاعر وما يقوله شعر والظاهر في الرد أن يقال أنه ليس بشاعر وأن ما يتلوه عليكم ليس بشعر إلا أن عدم كونه شاعراً لما كان ملزوماً لعدم كون معلمه علمه الشعر نفي اللازم وأريد نفي الملزوم بطريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح.

قال الراغب: يقال: شعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي: علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته. فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت شعري وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام والشاعر المختص بصناعته. وفي «القاموس»: الشعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية وإن كان كل علم شعراً والجمع إشعار يقال شعر به كنصر وكرم علم به وفطن له وعقله. والشعر عند الحكماء القدماء ليس على وزن وقافية ولا الوزن والقافية ركن في الشعر عندهم بل الركن في الشعر إيراد المقدمات المخيلة فحسب ثم قد يكون الوزن والقافية معينين في التخيل فإن كانت المقدمة التي تورد في القياس الشعري مخيلة فقط تمحض القياس شعرياً وإن انضم إليها قول إقناعي تركبت المقدمة من معنيين شعري وإقناعي وإن كان الضميم إليه قولاً يقينياً تركبت المقدمة من شعريّ وبرهانيّ.

قال بعضهم: الشعر إما منطقي وهو المؤلف من المقدمات الكاذبة وإما اصطلاحي وهو كلام مقفى موزون على سبيل القصد والقيد الأخير يخرج ما كان وزنه اتفاقياً كآيات شريفة اتفق جريان الوزن فيها أي: من بحور الشعر الستة عشر نحو قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقوله: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣] وقوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ

﴿قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣] ونحو ذلك وكلمات شريفة نبوية جاء الوزن فيها اتفاقياً من غير قصد إليه وعزم عليه نحو قوله عليه السلام حين عثر في بعض الغزوات فأصاب إصبعه حجر فدميت.

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله يوم حنين حين نزل ودعا واستنصر أو يوم فتح مكة:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله يوم الخندق:

باسم الإله وبه بدأنا ولو عبدنا غيره شقينا

وغير ذلك سواء وقع في خلال المنثورات والخطب أم لا.

والمراد بالشعر الواقع في القرآن الشعر المنطقي سواء كان مجرداً عن الوزن أم لا والشعر المنطقي أكثر ما يروج بالاصطلاحي. قال الراغب: قال بعض الكفار للنبي عليه السلام: إنه شاعر فقيل لما وقع في القرآن من الكلمات الموزونة والقوافي. وقال بعض المحصلين أرادوا به أنه كاذب لأن ظاهر القرآن ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الأغتم من العجم فضلاً عن بلغاء العرب فإنما رموه بالكذب لأن أكثر ما يأتي به الشاعر كذب ومن ثمة سموا الأدلة الكاذبة شعراً. قال الشريف الجرجاني في «حاشية المطالع»: والشعر وإن كان مفيداً للخواص والعوام فإن الناس في باب الإقدام والإحجام أطوع للتخييل منهم للصدق إلا أن مداره على الأكاذيب ومن ثمة قيل أحسن الشعر أكذبه فلا يليق بالصادق المصدوق لما شهد به قوله تعالى: ﴿**وما علمناه الشعر**﴾ الآية والمعنى وما علمنا محمداً الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فإن الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات وأوهام واهية فأين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والأحكام الباهرة الموصلة على سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشؤون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله أنى يؤفكون. وفي الآية: إشارة إلى أن النبي عليه السلام معلم من عند الله لأنه تعالى علمه علوم الأولين والآخرين وما علمه الشعر لأن الشعر قرآن إبليس وكلامه لأنه قال رب اجعل لي قرآناً قال تعالى قرآنك الشعر.

قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في قوله تعالى: ﴿**وما علمناه الشعر**﴾ اعلم أن الشعر محل للإجمال واللغز والتورية أي: وما رمزنا لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً ولا ألغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئاً ولا أجملنا له الخطاب حيث لم يفهم انتهى وهل يشكل على هذه الحروف المقطعة في أوائل السور ولعله رضي الله عنه لا يرى أن ذلك من قبيل المتشابه أو أن المتشابه ليس مما استأثر الله بعلمه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير قوله: ﴿**وما علمناه الشعر**﴾ إلى أن كل أقوال وأعمال وأحوال تجري على العباد في الظاهر والباطن كلها تجري بتعليم الحق تعالى حتى الحرف والصنائع وذلك سر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وتعليمه الصنائع لعباده على ضربين بواسطة وبغير واسطة أما بالواسطة فبتعليم بعضهم بعضاً وأما بغير الواسطة فكما علم داود عليه السلام صنعة اللبوس وكل حرفة وصنعة يعملها الإنسان من قريحته بغير تعليم أحد فهي من هذا القبيل انتهى، وفي «المثنوي»:

قابل تعليم وفهمست اين جسد ليك صاحب وحى تعليمش دهد
جمله حرفتها يقين از وحى بود اول اوليك عقل آنرا فزود
هيچ حرفت را ببين كين عقل ما داند او آموختن بى اوستا
كرچه اندر مكر موى اشكاف بد هيچ بيشه رام بى استاد شد

ثم حكى قصة قابيل فإنه تعلم حفر القبر من الغراب حتى دفن أخاه هابيل بعد قتله وحمله على عاتقه أياماً **﴿وما ينبغي له﴾** البغاء الطلب والانبغاء انفعال منه يقال بغيته أي: طلبته فانطلب. قال الراغب: هو مثل قوله النار ينبغي أن تحرق الثوب أي: هي مسخرة للإحراق والمعنى وما يصح لمحمد الشعر ولا يتسخر ولا يتسهل ولا يتأتى له لو طلبه أي: جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يكن لسانه يجري به إلا منكسراً عن وزنه بتقديم وتأخير أو نحو ذلك كما جعلناه أمياً لا يهتدي للخط ولا يحسنه ولا يحسن قراءة ما كتبه غيره لتكون الحجة أثبت وشبهة المرتابين في حقية رسالته ادحض فإنه لو كان شاعراً لدخلت الشبهة على كثير من الناس في أن ما جاء به يقوله من عند نفسه لأنه شاعر صناعته نظم الكلام. وقال في «إنسان العيون» والحاصل أن الحق الحقيق بالاعتماد وبه تجتمع الأقوال أن المحرم عليه ﷺ إنما هو إنشاء الشعر أي: الإتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه وهذا هو المعنى بقوله: **﴿وما علمناه الشعر﴾** فإن فرض وقوع كلام موزون منه عليه السلام لا يكون ذلك شعراً اصطلاحاً لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه أنه إذا أنشد بيتاً من الشعر متمثلاً به أو مسنداً لقائله لا يأتي به موزوناً. وادعى بعض الأدباء أنه عليه السلام كان يحسن الشعر أي: يأتي به موزوناً قصداً ولكنه كان لا يتعاطاه أي: لا يقصد الإتيان به موزوناً قال: وهذا أتم وأكمل مما لو قلنا إنه كان لا يحسن وفيه أن في ذلك تكذيباً للقرآن.

وفي «التهذيب» للبغوي: من أئمتنا قيل كان عليه السلام يحسن الشعر ولا يقوله والأصح أنه كان لا يحسنه ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون. ثم رأيته في «ينبوع الحياة» قال: كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالإسلام حفظاً لنفسه وماله يعرض في كلامه بأن النبي عليه السلام كان يحسن الشعر يقصد بذلك تكذيب كتاب الله تعالى في قوله: **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾** الآية الكل في «إنسان العيون». يقول الفقير أغناه الله القدير: هذا ما قالوه في هذا المقام وفيه إشكال كما لا يخفى على ذوي الإفهام لأنهم حين حملوا الشعر في هذا الكلام على المنطقي ثم بنوا قوله وما ينبغي له على القريض لم يتجاوب آخر النظم بأوله والظاهر أن المراد وما ينبغي له من حيث نبوته وصدق لهجته أن يقول الشعر لأن المعلم من عند الله لا يقول إلا حقاً وهذا لا ينافي كونه في نفسه قادراً على النظم والنثر ويدل عليه تمييزه بين جيد الشعر ورديئه أي: موزونه وغير موزونه على ما سبق ومن كان مميزاً كيف لا يكون قادراً على النظم في الإلهيات والحكم لكن القدرة لا تستلزم الفعل في هذا الباب صوناً عن إطلاق لفظ الشعر والشاعر الذي يوهم التخييل والكذب وقد كان العرب يعرفون فصاحته وبلاغته وعذوبة لفظه وحلاوته منطقه وحسن سرده والحاصل أن كل كمال إنما هو مأخوذ منه كما سبق في أواخر الشعراء. وكان أحب الحديث إليه ﷺ الشعر أي: ما كان مشتملاً على حكمة أو وصف جميل من مكارم الأخلاق أو نصرة الإسلام أو ثناء على الله ونصيحة للمسلمين. وأيضاً كان أبغض الحديث إليه ﷺ الشعر أي: ما كان فيه كذب وقبح

وهجو ونحو ذلك. وأما ما روي من أنه عليه السلام كان يضع لحسان في المسجد منبراً فيقوم عليه يهجو من كان يهجو رسول الله والمؤمنين فذلك من قبيل المجاهدة التي أشير إليها في قوله: «جاهدوا بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم».

شاعران شيران شدند وهجوشان همچو چنكال وچو دندانست دان
تيزكن دندان وموزى قطع كن اين چنين باشد مكافات بدان

﴿إن هو﴾ أي: ما القرآن ﴿إلا ذكر﴾ أي: عظة من الله تعالى وإرشاد للإنس والجن كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤] ﴿وقرآن مبين﴾ أي: كتاب سماوي بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدين فكم بينه وبين ما قالوا. فعطف القرآن على الذكر عطف الشيء على أحد أوصافه فإن القرآن ليس مجرد الوعظ بل هو مشتمل على المواعظ والأحكام ونحوها فلا تكرار. قال في «كشف الأسرار»: [هرپيغمبرى كه آمد برهان نبوت وى ازراه ديدها در آمد چو آتش ابراهيم وعصا ويد بيضاء موسى وإحياء موتاى عيسى عليهم السلام وبرهان نبوت محمد عربي أزراه دلها در آمد بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم اكرچه مصطفى را نيز معجزات بسيار بود كه محل اطلاع ديدها بود چون انشقاق قمر وتسبيح حجر وكلام ذئب وإسلام ضب وغير آن إما مقصود آنست كه موسى تحدى بعصا كرد وعيسى تحدى بإحياء موتى كرد ومصطفى عليه السلام تحدى بكلام كرد ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] عصاى موسى هرچند درو صفت ربانى تعبيه بودازدرخت عوسج بود ودم عيسى هرچندكه درو لطف الهى تعبيه بود اما وديعت سنيه بشر بود اى محمد توكه مى روى دمى وچوبى باخود مبر چوب نفقه خران باشد ودم نصيب بيماران توصفت قديم ما قرآن مجيد باخود بير تا معجزه تو صفت ما بود].

﴿لينذر﴾ أي: القرآن متعلق بقوله وقرآن أو بمحذوف دل عليه قوله إلا ذكر وقرآن أي إلا ذكر أنزل لينذر ويخوف ﴿من كان حياً﴾ أي: عاقلاً فهيماً يميز المصلحة من المفسدة ويستخدم قلبه فيما خلق له ولا يضيعه فيما لا يعنيه فإن الغافل بمنزلة الميت وجعل العقل والفهم للقلب بمنزلة الحياة للبدن من حيث إن منافع القلب منوطة بالعقل كما أن منافع البدن منوطة بالحياة. وفيه إشارة إلى أن كل قلب تكون حياته بنور الله وروح منه يفيده الإنذار ويتأثر به وأمارة تأثره الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة والمولى.

وقال بعضهم: من كان حياً أي: مؤمناً في علم الله فإن الحياة الأبدية بالإيمان يعني أن إيمان من كان مؤمناً في علم الله بمنزلة الحياة للبدن لكونه سبباً للحياة الأبدية. قال ابن عطاء: من كان في علم الله حياً أحياه الله بالنظر إليه والفهم عنه والسماع منه والسلام عليه. وقال الجنيد: الحي من كان حياته بحياة خالقه لا من تكون حياته ببقاء نفسه ومن كان بقاؤه ببقاء نفسه فإنه ميت في وقت حياته ومن كان حياته بربه كان حقيقة حياته عند وفاته لأنه يصل بذلك إلى رتبة الحياة الأصلية وتخصيص الإنذار بمن كان حي القلب مع أنه عام له ولمن كان ميت القلب لأنه المنتفع به ﴿ويحق القول﴾ أي: يجب كلمة العذاب وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] ﴿على الكافرين﴾ المصرين على الكفر لأنه إذا انتفت الريبة إلا المعاندة فيحق القول عليهم وفي إيرادهم بمقابلة من كان حياً إشعار بأنهم لخلوهم عن آثار

الحياة وأحكامها التي هي المعرفة أموات في الحقيقة كالجنين ما لم ينفخ فيه الروح فالمعرفة تؤدي إلى الإيمان والإسلام والإحسان التي لا يموت أهلها بل ينتقل من مكان إلى مكان. قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه: حالة النوم وحالة الانتباه إشارة إلى الغفلة ويقظة البصيرة فوقت الانتباه كوقت انتباه القلب في أول الأمر ثم الحركة إلى الوضوء إشارة إلى التوبة والإنابة ثم الشروع في الصلاة إشارة إلى التوجه الإلهي والعبور من عالم الملك والناسوت والدخول في عالم الملكوت ففي الحركات بركات كما أشار إليه المولوي في قوله:

فرقتي لو لم تكن في ذا السكوت — لم يقل إنا إليه راجعون

ثم إن الإنذار صفة النبي عليه السلام في الحقيقة وقد قرىء لتنذر بتاء الخطاب ثم صفة وارثه الأكمل الذي هو على بصيرة من أمره.

قال الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: إن الوعظ لا يليق بمن لم يعرف المراتب الأربع لأنه يعالج مرض الصفراء بعلاج البلغم أو السوداء نعم يحصل له الثواب إذا كان لوجه الله تعالى ولكن لا يحصل الترقي قدر ذرة فإنه لا بد أن يعرف الواعظ أن أية آية تتعلق بالطبيعة وأية آية تتعلق بالنفس ولذلك بكى الأصحاب دماً فمن وجب عليه القول الأزلي بموت قلبه وقساوته كالكافرين والغافلين فلا يتأثر بالإنذار إذ الباز الأشهب إنما يصيد الصيد الحي فنسأل الله الحياة واليقظة والتأثر من كل الإنذار والتنبيه والعظة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَـٰرِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿**أولم يروا**﴾ الهمزة للإنكار والتعجيب والواو للعطف على مقدر والضمير للمشركين من أهل مكة أي: ألم يتفكروا ولم يعلموا علماً يقينياً هو في حكم المعاينة أي: قد رأوا وعلموا ﴿**أنا**﴾ بمقتضى جودنا ﴿**خلقنا لهم**﴾ أي: لأجلهم وانتفاعهم ﴿**مما عملت أيدينا**﴾ العمل كل فعل من الحيوان يقصد فهو أخص من الفعل أي: مما تولينا إحداثه بالذات لم يشاركنا فيه غيرنا بمعاونة وتسبب وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تمثيلية من عمل يعمل بالأيدي لأنه تعالى منزه عن الجوارح. قال الكاشفي: [ميان مردمان مثاليست هركارى كه تنهاكند كويند من اين مهم بدست خود ساخته ام يعني ديكر مرا درساختن يارى نداده] وإنما تخاطب العرب بما يستعملون في مخاطباتهم [اينجا نيز ميفرمايدكه ما آفريديم براى ايشان بخود بى مشاركت غيري]. قال الراغب: الأيدي جمع يد بمعنى الجارحة خص لفظ اليد لقصورنا إذ هي أجل الجوارح التي يتولى بها الفعل فيما بيننا. وقال العتبي: الأيدي هنا القوة والقدرة وقوله عملت أيدينا حكاية عن الفعل وإن لم يباشر الفعل باليد هذا كقوله جرى بناء هذه القنطرة وهذا القصر على يدي فلان. وفي الخبر على اليد ما أخذت حتى تؤديه فالأمانة مؤداة وإن لم تباشر باليد فيقول ما لي في يد فلان أو اليتيم تحت يد القيم فاليد يكنى بها عن الملكة والضبط.

وقال في «الأسئلة المقحمة»: الأيدي هنا صلة وهو كقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] ومذهب العرب الكناية باليد والوجه عن الجملة انتهى وهذه المعاني متقاربة في الحقيقة ﴿**أنعاماً**﴾ مفعول خلقنا آخر جمعاً بينه وبين أحكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى: ﴿**فهم**﴾ الخ جمع نعم وهو المال الراعية وهي الإبل والبقر والغنم والمعز مما في سيره نعومة أي: لين

ولا يدخل فيها الخيل والبغال والحمر لشدة وطئها الأرض وخص بالذكر من بين سائر ما خلق الله من المعادن والنبات والحيوان غير الأنعام لما فيها من بدائع الفطرة كما في الإبل وكثرة المنافع كما في البقر والغنم أي: الضأن والمعز ﴿فهم لها مالكون﴾. قال ابن الشيخ: الفاء للسببية ومالكون من ملك السيد والتصرف أي: فهم لسبب ذلك مالكون لتلك الأنعام بتمليكنا إياها وهم متصرفون فيها بالاستقلال يختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم.

﴿وذللناها لهم﴾ [التذليل: خوار وذليل ومنقاد كردن] والذل بالضم ويكسر ضد الصعوبة. وفي «المفردات» الذل ما كان عن قهر والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر وذلت الدابة بعد شماس ذلاً وهي ذلول ليست بصعبة. والمعنى وصيرنا تلك الأنعام منقادة لهم وبالفارسية: [رام كرديم انعام را براى ايشان] بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها من الركوب والحمل والسوق إلى ما شاءوا والذبح مع كمال قوتها وقدرتها فهو نعمة من النعم الظاهرة ولهذا ألزم الله الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣] ﴿فمنها ركوبهم﴾ بفتح الراء بمعنى المركوب كالحلوب بمعنى المحلوب أي: فبعض منها مركوبهم أي: معظم منافعها الركوب وقطع المسافات وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب. قال الكاشفي: [پس بعضى ازان مركوب ايشانست كه بران سوارى كنند چون شتر] والركوب في الأصل كون الإنسان على ظهر حيوان وقد يستعمل في السفينة والراكب اختص في التعارف بممتطي البعير [والامتطاء: مركب ومطيه كرفتن] ﴿ومنها يأكلون﴾ أي: وبعض منها يأكلون لحمه وشحمه.

﴿ولهم فيها﴾ أي: في الأنعام المركوبة والمأكولة ﴿منافع﴾ أخر غير الركوب والأكل كالجلود والأصواف والأوبار والأشعار والنسيلة أي: النتائج وكالحراثة بالثيران ﴿ومشارب﴾ من اللبن جمع مشروب والشرب تناول كل مائع ماء كان أو غيره ﴿أفلا يشكرون﴾ أي: أيشاهدون هذه النعم التي يتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها بأن يوحدوه ولا يشركوا به في العبادة فقد تولى المنعم أحداث تلك النعم ليكون أحداثها ذريعة إلى أن يشكروها فجعلوها وسيلة إلى الكفران كما شكا مع حبيبه وقال:

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٌ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿واتخذوا﴾ أي: مع هذه الوجوه من الإحسان ﴿من دون الله﴾ أي: متجاوزين الله المتفرد بالقدرة المتفضل بالنعمة ﴿آلهة﴾ من الأصنام وأشركوها به تعالى في العبادة ﴿لعلهم ينصرون﴾ رجاء أن ينصروا من جهتهم فيما أصابهم من الأمور أو ليشفعوا لهم في الآخرة ثم استأنف فقال:

﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ أي: لا تقدر آلهتهم على نصرهم والواو لوصفهم الأصنام بأوصاف العقلاء ﴿وهم﴾ أي: المشركون ﴿لهم﴾ أي: لآلهتهم ﴿جند﴾ عسكر ﴿محضرون﴾ أثرهم في النار أي: يشيعون عند مساقهم إلى النار ليجعلوا وقوداً لها وبالفارسية: [سپاه اند حاضر كرده شد كان فرداكه لشكر ايشانند با ايشان حاضر شوند فردوزخ]. قال الكواشي: روي أنه يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه كأنهم جنده فيحضرون في النار هذا لمن أمر بعبادة نفسه أو كان جماداً:

عـابـد ومـعـبـود بـاشـد در جـحـيـم حـسـرت ايـشـان شـود تـاكـه عـظـيـم

﴿فلا يحزنك قولهم﴾ الفاء لترتيب النهي على ما قبله والنهي وإن كان بحسب الظاهر متوجهاً إلى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه إلى رسول الله ﷺ ونهي له عن التأثر منه بطريق الكناية على أبلغ وجه وآكده فإن النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية. وقد يوجه النهي إلى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا أرينك هٰهنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبىء عنه ما ذكر من اتخاذهم الأصنام آلهة فإن ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وأنهم شركاء الله تعالى في المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن كذا في «الإرشاد». قال ابن الشيخ: الفاء جزائية أي: إذا سمعت قولهم في الله أن له شريكاً وولداً وفيك أنك كاذب شاعر وتألمت من أذائهم وجفائهم فتسل بإحاطة علمي بجميع أحوالهم وبأني أجازيهم على تكذيبهم إياك وإشراكهم بي ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾. قال في «الإرشاد»: تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الإشعار فإن العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعاً أي: نعلم بعلمنا الحضوري عموم ما يضمرون في صدورهم من العقائد الفاسدة ومن العداوة والبغض وجميع ما يظهرون بألسنتهم من كلمات الكفر والشرك بالله والإنكار للرسالة فنجازيهم على جميع جناياتهم الخافية والبادية.

بـآشـكـار ونـهـان هـرچـه كـفـتـى وكـردى جـزا دهـد بـتـو دانـاى آشـكـار ونـهـان

وتقديم السر على العلن إما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كأنه علمه تعالى بما يسرون أقدم منه بما يعلنون مع استوائهما في الحقيقة فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة وإما لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه مضمر في القلب قبل ذلك فتعلق علمه بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة. وفي الآية إشارة إلى أن كلام الأعداء الصادر من العداوة والحسد جدير أن يحزن قلوب الأنبياء مع كمال قوتهم وأنهم ومتابعيهم مأمورون بعدم الالتفات وتطييب القلوب في مقاساة الشدائد في الله بأن لها ثمرات كريمة عند الله وللحساد مطالب بها عند الله كما قال: ﴿إنا نعلم ما يسرون﴾ من الحسد والضغائن ﴿وما يعلنون﴾ من العداوة والطعن وأنواع الجفاء وإذا علم العبد أن ألمه آت من الحق هان عليه ما يقاسيه لا سيما إذا كان في الله كما في «التأويلات النجمية». قال بعض الكبار: ليخفف ألم البلاء علمك بأن الله هو المبتلي.

هـرچـه ازجـانـان مـى آيـد صـفـا بـاشـد مـرا

هذا، قال في «برهان القرآن» قوله: ﴿فلا يحزنك قولهم إنا نعلم﴾ وفي يونس ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥] تشابهاً في الوقف على قولهم في السورتين لأن الوقف عليه لازم وإن فيهما مكسورة في الابتداء لا في الحكاية ومحكي القول فيهما محذوف ولا يجوز الوصل لأن النبي ﷺ منزه عن أن يخاطب بذلك انتهى. قال في «بحر العلوم» قوله: ﴿إنا﴾ الخ تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرىء أنا بفتح الهمزة على حذف لام التعليل جاز وعليه تلبية رسول الله ﷺ «لبيك إن الحمد والنعمة لك» كسر أبو حنيفة وفتح

الشافعي وكلاهما تعليل انتهى. وفي «الكواشي» وزعم بعضهم أن من فتح ﴿إنا﴾ بطلت صلاته وكفر وليس كذلك لأنه لا يخلو إما أن يفتحها تعليلاً فمعناه كالمكسورة أو يفتحها بدلاً من قولهم وليس بكفر أيضاً لجواز أن يخاطب هو ﷺ والمراد غيرة نحو ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] بل إن اعتقد أن محمداً عليه السلام يحزن لعلمه تعالى سرهم وعلانيتهم فقد كفر أو يفتحها معمولة قولهم عند من يعمل القول بكل حال وليس بكفر أيضاً انتهى كلامه بإجمال.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان إنكارهم البعث بعد ما شاهدوا في أنفسهم أوضح دلائله وأعدل شواهده كما أن ما سبق مسوق لبيان بطلان إشراكهم بالله بعدما عاينوا فيما بأيديهم ما يوجب التوحيد والإسلام. والهمزة للإنكار والتعجيب والواو للعطف على مقدر والرؤية قلبية والنطفة الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل.

- روي - أن جماعة من كفار قريش منهم أبيّ بن خلف ووهب بن حذافة بن جمع وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة اجتمعوا يوماً فقال أبيّ بن خلف: ألا ترون إلى ما يقول محمد أن الله يبعث الأموات ثم قال: واللات والعزى لأذهبن إليه ولأخصمنه وأخذ عظماً بالياً فجعل يفته بيده ويقول: يا محمد إن الله يحيي هذا بعدما رمّ قال عليه السلام: «نعم ويبعثك ويدخلك جهنم» فنزلت رداً عليه في إنكاره البعث لكنها عامة تصلح رداً لكل من ينكره من الإنسان لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وفي «الإرشاد» وإيراد الإنسان موضع المضمر لأن مدار الإنكار متعلق بأحواله من حيث هو إنسان كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٧] والمعنى ألم يتفكر الإنسان المنكر للبعث أياً من كان ولم يعلم علماً يقينياً أنا خلقناه من نطفة وبالفارسية: [آيا نديد وندانست ابيّ وغير او آنراكه ما بيافريديم اورا از آبى مهين در قرارى مكين چهل روز اور در طور نطفه نكه داشتيم تا مضغه كشت مصطفى عليه السلام كفت «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله عز وجل إليه ملكاً بأربع كلمات فيقول: اكتب أجله ورزقه وإنه شقي أو سعيد» آنكه تقطيع هيكل أو صورت شخص او در ظهور آورديم واورا كسوت بشريت پوشانيديم وازان قرار مكين باين فضاى رحيب آورديم واز بستان پرازخون اورا شير صافى داديم وبعقل وفهم وسمع وبصر ودل وجان اورا بياراستيم وبقبض وبسط ومشي وحركات اورا قوت ديديم وچون ازان نطفه باين رتب رسانيديم وسخن كوى ودلير كشت] **﴿فإذا هو﴾** [پس آنكاه او] **﴿خصيم﴾** شديد الخصومة والجدال بالباطل **﴿مبين﴾** أي: مبين في خصومته أو مظهر للحجة وهو عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الإنكار والتعجيب كأنه قيل أولم ير أنا خلقناه من أخس الأشياء وأمهنها ففاجأ خصومتنا في أمر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة فهذا حال الإنسان الجاهل الغافل ونعم ما قيل:

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

أعلمه القوافي كل حين ... فلما قال قافية هجاني

وما قيل:

لقد ربيت جرواً طول عمري فلما صار كلباً عض رجلي

قال السمرقندي: العامل في إذا المفاجأة معنى المفاجأة وهو عامل لا يظهر استغنى عن إظهاره بقوة ما فيها من الدلالة عليه ولا يقع بعدها إلا الجملة المركبة من المبتدأ والخبر وهو في المعنى فاعل لأن معنى ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ فاجأه خصومة بينة كما أن معنى قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] فاجأهم قنوطهم أو مفعول أي: فاجأ الخصومة وفاجأوا القنوط يعني خاصم خالقه مخاصمة ظاهرة وقنطوا من الرحمة.

﴿وضرب لنا مثلاً﴾ عطف على الجملة الفجائية أي: ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلاً أي: أورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الأمر وهي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي إنكار إحيائنا العظام ونفي قدرتنا عليه. قال ابن الشيخ المثل يستعار للأمر العجيب تشبيهاً له في الغرابة بالمثل العرفي الذي هو القول السائر ولا شك أن نفي قدرة الله على البعث مع أنه من جملة الممكنات وأنه تعالى على كل شيء قدير من أعجب العجائب ﴿ونسي خلقه﴾ عطف على ضرب داخل في حيز الإنكار والتعجيب والمصدر مضاف إلى المفعول أي: خلقنا إياه من النطفة أي: ترك التفكر في بدء خلقه ليدله ذلك على قدرته على البعث فإنه لا فرق بينهما من حيث إن كلاً منهما إحياء موات وجماد. وقال البقلي في «خلق الإنسان والوجوه الحسان»: من علامات قدرته أكثر مما يكون في الكون لأن الكونين والعالمين في الإنسان مجموعون وفيه علمه معلوم لو عرف نفسه فقد عرف ربه لأن الخليقة مرآة الحقيقة تجلت الحقيقة في الخليقة لأهل المعرفة ورب قلب ميت أحياه بجمالته بعد موته بجهالته ﴿قال﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عن حكاية ضرب المثل كأنه قيل أي: مثل ضرب أو ماذا قال فقيل: قال ﴿من يحيي العظام﴾ منكراً له أشد النكير مؤكداً له بقوله: ﴿وهي رميم﴾ أي: بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد حيث لا جلد عليها ولا لحم ولا عروق ولا أعصاب يقال رمّ العظم يرم رمة بكسر الراء فيهما أي: بلى فهو رميم وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبراً للمؤنثة لأنه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرفات. وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميت وهو الشافعي ومالك وأحمد وأما أصحابنا الحنفية فلا يقولون بنجاسته كالشعر ويقولون المراد بإحياء العظام ردها إلى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس. واختلفوا في الآدمي هل يتنجس بالموت. فقال أبو حنيفة: يتنجس لأنه دموي إلا أنه يطهر بالغسل كرامة له وتكره الصلاة عليه في المسجد. وقال الشافعي وأحمد لا يتنجس به ولا تكره الصلاة عليه فيه وعن مالك خلاف والأظهر الطهارة وأما الصلاة عليه في المسجد فالمشهور من مذهبه كراهتها كقول أبي حنيفة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد تبكيتاً لذلك الإنسان المنكر بتذكير ما نسيه من فطرة الدالة على حقيقة الحال وإرشاده الطريقة للاستشهاد بها ﴿يحييها﴾ أي: تلك العظام ﴿الذي أنشأها﴾ أوجدها ﴿أول مرة﴾ أي: في أول مرة ولم تكن شيئاً فإن قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة

على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو من النصوص القاطعة الناطقة بحشر الأجساد استدلالاً بالابتداء على الإعادة وفيه رد على من لم يقل به وتكذيب له ﴿**وهو**﴾ أي: الله المنشىء ﴿**بكل خلق عليم**﴾ مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والإيجاد إنشاء وإعادة محيط بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفروعها وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلاً من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل.

وفي «بحر العلوم» بليغ العلم بكل شيء من المخلوقات لا يخفى عليه شيء من الأجزاء المتفتتة وأصولها وفروعها فإذا أراد أن يحيي الموتى يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها ويحيون كما كانوا أحياء وهو معنى حشر الأجساد والأرواح وبعث الموتى. قال القاضي عضد الدين في «المواقف» هل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها أو يفرقها ويعيد فيها التأليف والحق إنه لم يثبت ذلك ولا نجزم فيه نفياً ولا إثباتاً لعدم الدليل على شيء من الطرفين وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] لا يرجح أحد الاحتمالين لأن هلاك الشيء كما يكون بإعدام أجزائه يكون أيضاً بتفريقها وإبطال منافعها انتهى. فالجسم المعاد هو المبتدأ بعينه أي: بجميع عوارضه المشخصة سواء قلنا إن المبتدأ قد فني بجميع أعضائه وصار نفياً محضاً وعدماً صرفاً ثم إنه تعالى أعاده بإعادة أجزائه الأصلية وصفاته الحالة فيها أو قلنا إن المبتدأ قد فني بتفرق أجزائه الأصلية وبطلان منافعها ثم إنه تعالى ألف بين الأجزاء المتفرقة وضم بعضها إلى بعض على النمط السابق وخلق فيها الحياة.

واعلم أن المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلاً ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الأكثرون كقولهم: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: ١٠] وقولهم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] ومن قال: ﴿**من يحيي العظام وهي رميم**﴾ قاله على طريق الاستبعاد فأبطل الله استبعادهم بقوله: ﴿**ونسي خلقه**﴾ أي: نسي أنا خلقناه من تراب ثم من نطفة متشابهة الأجزاء ثم جعلنا له من ناصيته إلى قدمه أعضاء مختلفة الصور وما اكتفينا بذلك حتى أودعناه ما ليس من قبيل هذه الأجرام وهو النطق والعقل واللذان بهما استحق الإكرام فإن كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محلاً للحياة أصلاً ويستبعدون إعادة النطق والعقل إلى محل كانا فيه. ومنهم من ذكر شبهة وإن كانت في آخرها تعود إلى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين:

الأول: أنه بعد العدم لم يبق شيئاً فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود فأجاب تعالى عن هذه الشبهة بقوله: ﴿**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة**﴾ يعني أنه كما خلق الإنسان ولم يك شيئاً مذكوراً كذلك يعيده وإن لم يبق شيئاً مذكوراً.

والثاني: أن من تفرقت أجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه في أبدان السباع وبعضه في حواصل الطيور وبعضه في جدران المنازل كيف يجتمع وأبعد من هذه أنه لو أكل إنسان إنساناً وصارت أجزاء المأكول داخلة في أجزاء الآكل فإن أعيدت أجزاء الآكل لا يبقى للمأكول أجزاء تتخلق منها أعضاؤه وإن أعيدت الأجزاء المأكولة إلى بدن المأكول وأعيد المأكول بأجزائه لا تبقى للآكل أجزاء يتخلق منها فأبطل الله هذه الشبهة بقوله: ﴿**وهو بكل خلق عليم**﴾. ووجهه أن في الآكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول أيضاً كذلك فإذا أكل

إنسان إنساناً صارت الأجزاء الأصلية للمأكول فضلة بالنسبة إلى الآكل والأجزاء الأصلية للآكل وهي ما كان قبل الأكل هي التي تجمع وتعاد مع الآكل والأجزاء المأكولة مع المأكول والله بكل خلق عليم يعلم الأصل من الفضل فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل ويجمع الأجزاء الأصلية للمأكول وينفخ فيه الروح وكذلك يجمع الأجزاء المتفرقة في البقاع المتباعدة بحكمته وقدرته.
قال بعض الأفاضل: لما كان تمسكهم بكون العظام رميمة من وجهين:

أحدهما: اختلاط أجزاء الأبدان والأعضاء بعضها مع بعض فكيف يميز أجزاء بدن من أجزاء رميمة يابسة جداً مع أن الحياة تستدعي رطوبة البدن. أشار إلى جواب الأول بقوله: **﴿وهو بكل خلق عليم﴾** فيمكنه تمييز أجزاء الأبدان والأعضاء. وإلى جواب الثاني بقوله: **﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾** بدل من الموصول الأول وعدم الاكتفاء بعطف الصلة للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة. والشجر من النبت: ماله ساق والخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد وهو إلى السواد أقرب فلهذا سمي الأسود أخضر والأخضر أسود.

وقيل: سواد العراق للموضع الذي تكثر فيه الخضرة ووصف الشجر بالأخضر دون الخضراء نظراً إلى اللفظ فإن لفظ الشجر مذكر ومعناه مؤنث لأنه جمع شجرة كثمر وثمرة والجمع مؤنث لكونه بمعنى الجماعة. والمعنى خلق لأجلكم ومنفعتكم من الشجر الأخضر كالمرخ والعفار ناراً والمرخ بالخاء المعجمة شجر سريع الورى والعفار بالعين المهملة كسحاب شجر آخر تقدح منه النار.

قال الحكماء: لكل شجر نار إلا العناب فمن ذلك يدق القصار الثوب عليه ويتخذ منه المطرقة والعرب تتخذ زنودها من المرخ والعفار وهما موجودان في أغلب المواضع من بوادي العرب يقطع الرجل منهما غصنين كالمسواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتنقدح النار بإذن الله تعالى وذلك قوله تعالى: **﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾** إذا للمفاجأة والجار متعلق بتوقدون والضمير راجع إلى الشجر [والإيقاد: آتش افروختن] أي: تشعلون النار من ذلك الشجر لا تشكون في أنها نار تخرج منه كذلك لا تشكون في أن الله يحيي الموتى ويخرجهم من القبور للسؤال والجزاء من الثواب والعقاب فإن من قدر على إحداث النار وإخراجها من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفية كان أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضاً فطرأ عليه اليبوسة والبلى وعلم منه أن الله تعالى جامع الأضداد ألا يرى أنه جمع الماء والنار في الخشب فلا الماء يطفىء النار ولا النار تحرق الخشب.

ويقال إن الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من الثلج ونصفها من النار فلا الثلج يطفىء النار ولا النار تذيب الثلج. وفي الآية إشارة إلى شجرة أخضر البشرية ونار المحبة فمصباح القلوب إنما يوقد منه. قال بعض الكبار: ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت وكما تنحدر من معارف القلب آثار إلى الجوارح فكذلك قد ترتفع من أحوال الجوارح التي هي من عالم الشهادة آثار إلى القلب والحاصل أنه ينقدح الظاهر بالأعمال فيحدث منها نور يتنور به البال ويزيد الحال.

ادخلوا الأبيات من أبوابها واطلبوا الأغراض من أسبابها

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

نسأل الله الدخول في الطريق والوصول إلى منزل التحقيق **﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض﴾** الهمزة للإنكار وإنكار النفي إيجاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام فهمزة الإنكار وإن دخلت على حرف العطف ظاهراً لكنها في التحقيق داخلة على كلمة النفي قصداً إلى إثبات القدرة له وتقريرها.

والمعنى: أليس القادر المقتدر الذي أنشأ الأناسي أول مرة وأليس الذي جعل لهم من الشجر الأخضر ناراً وأليس الذي خلق السموات أي: الإجرام العلوية وما فيها والأرض أي: الإجرام السفلية وما عليها مع كبر جرمهما وعظم شأنهما وبالفارسية: [آيانيست آنكس كه بيافريد آسمانها وزمينها بابزركى اجرام ايشان] **﴿بقادر﴾** في محل النصب لأنه خبر ليس **﴿على أن يخلق﴾** في الآخرة **﴿مثلهم﴾** أي: مثل الأناسي في الصغر والحقارة بالنسبة إليهما ويعيدهم أحياء كما كانوا فإن بديهة العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما فهو على خلق الأناسي أقدر كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] أو مثلهم في أصول الذات وصفاتها وهو المعاد فإن المعاد مثل الأول في الاشتمال على الأجزاء الأصلية والصفات المشخصة وإن غايره في بعض العوارض لأن أهل الجنة جرد مرد وأن الجهنمي ضرسه مثل أحد وغير ذلك. وقال شرف الدين الطيبي: لفظ مثل هٰهنا كناية عن المخاطبين نحو قولك مثلك يجود أي: على أن يخلقهم.

وفي «التأويلات النجمية»: قال: إن الإعادة في معنى الابتداء فإذا قررتم بالابتداء فأي إشكال بقي في جواز الإعادة في الانتهاء ثم قال الذي قدر على خلق النار في الأغصان من المرخ والعفار قادر على خلق الحياة في الرمية البالية ثم زاد في البيان بأن قال القدرة على مثل الشيء كالقدرة عليه لاستوائهما بكل وجه وأنه يحيي النفوس بعد موتها في العرصة كما يحيي الإنسان من النطفة والطير من البيضة ويحيي القلوب بالعرفان لأهل الإيمان كما يحيي نفوس أهل الكفر بالهوى والطغيان.

دل عاشق چوباغ وفيض حق ابر بهارآسا حياة تازه بخشد حق دمادم باغ دلهارا

﴿بلى﴾ جواب من جهته تعالى وتصريح بما أفاده الاستفهام الإنكاري من تقرير ما بعد النفي وإيذان بتعين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الإلزام.

قال ابن الشيخ: هي مختصة بإيجاب النفي المتقدم ونقضه فهي هٰهنا لنقض النفي الذي بعد الاستفهام أي: بلى إنه قادر كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي: بلى أنت ربنا. وفي «المفردات» بلى جواب استفهام مقترن بنفي نحو ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾. ونعم يقال في الاستفهام المجرد نحو: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤] ولا يقال هٰهنا بلى فإذا قيل ما عندي شيء فقلت: بلى فهو رد لكلامه فإذا قلت نعم فإقرار منك انتهى **﴿وهو الخلاق العليم﴾** عطف على ما يفيده الإيجاب أي: بلى هو قادر على ذلك والمبالغ في

العلم والخلق كيفا وكماً. وقال بعضهم: كثير المخلوقات والمعلومات يخلق خلقاً بعد خلق ويعلم جميع الخلق.

ـ ذكر البرهان الرشيدي ـ أن صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة أن يثبت للشيء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها. وأيضاً فالمبالغة تكون في صفات تفيد الزيادة والنقصان وصفات الله منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي.

وقال الزركشي في «البرهان»: التحقيق إن صيغة المبالغة قسمان:

«أحدهما»: ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل.

«والثاني»: بحسب زيادة المفعولات ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة إذ الفعل الواقع قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفات الله وارتفع الإشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع. وقال في «الكشاف»: المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لأنه بليغ في قبول التوبة ينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه ﴿**إنما أمره**﴾ أي: شأنه تعالى ﴿**إذا أراد شيئاً**﴾ وجود شيء من الأشياء خلقه ﴿**أن يقول له كن**﴾ أي: أن يعلق به قدرته ﴿**فيكون**﴾ قرىء بالنصب على أن يكون معطوف على يقول والجمهور على رفعه بناء على أنه في تقدير فهو يكون بعطف الجملة الاسمية على الاسمية المتقدمة وهي قوله ﴿**إنما أمره أن يقول له كن**﴾ فالمعنى فهو يحدث من غير توقف على شيء آخر أصلاً.

وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما أراده بأمر الآمر المطاع للمأمور المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وهو قول أبي منصور الماتريدي لأنه لا وجه لحمل الكلام على الحقيقة إذ ليس هناك قول ولا آمر ولا مأمور لأن الأمر إن كان حال وجود المكون فلا وجه للأمر وإن كان حال عدمه فكذلك إذ لا معنى لأن يؤمر المعدوم بأن يوجد نفسه.

قال النقشبندي: والتعقيب في فيكون إنما نشأ من العبارة وإلا فلا تأخير ولا تعقيب في سرعة نفوذ قضائه سبحانه [وكويند اين كن كلمه علامتيست كه چون ملائكة بشنوند دانندكه خير حادث خواهد شد]:

حرفيست كاف ونون زتو امير صنع او ازقاف تابقاف بدين حرف كشته دال

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإرادة الأزلية كما تعلقت بإيجاد المكونات تعلقت القدرة الأزلية على وفق الحكمة الأزلية بالمقدورات إلى الأبد على وفق الإرادة بإشارة أمر كن فيكون إلى الأبد ما شاء في الأزل انتهى. فإن قلت إرادته قديمة فلو كان القول قديماً صار المكون قديماً. قلت: تعلق الإرادة حادث في وقت معين وهو وقت وجود المكون في الخارج والعين فلا يلزم ذلك. وعن بعض الكبار في قوله عليه السلام: «إن الله فرد يحب الفرد» إن مقام الفردية يقتضي التثليث فهو ذات وصفة وفعل وأمر الإيجاد يبتني على ذلك وإليه الإشارة بقوله: ﴿**إنما أمره**﴾ الخ فهو ذات وإرادة وقول والقول مقلوب اللقاء بعد الإعلال فليس عند الحقيقة هناك قول وإنما لقاء الموجد اسم فاعل بالموجد اسم مفعول وسريان هويته إليه وظهور صفته وفعله فيه فافهم هذه الدقيقة وعليها يدور سر قوله تعالى: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى**﴾

[الحجر: ٢٩] إذ لا نفخ هناك أصلاً وإنما هو تصوير قال الحسين النوري قدس سره: ابدأ الأكوان كلها بقوله كن إهانة وتصغيراً ليعرف الخلق إهانتها ولا يركنوا إليها ويرجعوا إلى مبدئها ومنشئها فشغل الخلق زينة الكون فتركهم معه واختار من خواصه من أعتقهم من رق الكون وأحياهم به فلم يجعل للعلل عليهم سبيلاً ولا للآثار فيهم طريقاً:

محو معنى وفارع از صورم نيست از جلوه صور خبرم
تاشدم از سواى حق فانى يافتم من وجود حقانى
شد زمن غائب عالم اكوان ديده ام كشت پرزنور جهان

﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ الملكوت والرحموت والرهبوت والجبروت مصادر زيدت الواو والتاء فيها للمبالغة في الملك والرحمة والرهبة والجبر.

قال في «المفردات»: الملكوت مختص بملك الله تعالى والملك ضبط الشيء والتصرف فيه بالأمر والنهي أي: فإذا تقرر ما يوجب تنزهه تعالى وتنزيهه أكمل إيجاب من الشؤون المذكورة كالإنشاء والإحياء وأن إرادته لا تتخلف عن مراده ونحو ذلك فنزهوا الله الذي بيده أي: تحت قدرته وفي تصرف قبضته ملك كل شيء وضبطه وتصرفه عما وصفوه تعالى به من العجز وتعجبوا مما قالوه في شأنه تعالى من النقصان وبالفارسية: [پس وصف كنيد به پاكى وبى عيبى آنكسى راكه بدست اقتدار اوست پادشاهى همه چيز] ﴿وإليه﴾ لا إلى غيره إذ لا مالك سواه على الإطلاق ﴿ترجعون﴾ تردون بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم وهو وعد للمقرين ووعيد للمنكرين يعني: [وعده دوستانست ووعيد دشمنان اينانرا شديد العقابست وآنانرا] طوبى لهم وحسن مآب فالخطاب للمؤمنين والكافرين.

وفي «التأويلات النجمية»: أثبت لكل شيء ملكوتاً وملكوت الشيء ما هو الشيء به قائم ولو لم يكن للشيء ملكوت يقوم به لما كان شيء والملكوتات قائمة بيد قدرته. ﴿وإليه ترجعون﴾ بالاختيار أهل القبول وبالاضطرار أهل الرد عصمنا الله من الرد بفضله وسعة كرمه اهـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كنت لا أعلم ما روي في فضل يس وقراءتها كيف خصت به فإذا أنه لهذه الآية، وفي الحديث: «اقرأوا سورة يس على موتاكم» قال الإمام: وذلك لأن الإنسان حينئذٍ ضعيف القوة وكذا الأعضاء لكن القلب يكون مقبلاً على الله تعالى بكليته فإذا قرىء عليه هذه السورة الكريمة تزداد قوة قلبه ويشتد تصديقه بالأصول فيزداد إشراق قلبه بنور الإيمان وتتقوى بصيرته بلوامع العرفان انتهى.

يقول الفقير أغناه الله القدير: وأيضاً إن المشرف على النزع يناسبه خاتمة السورة إذ الملكوت الذي هو الروح القائم هو به وسر الفائض عليه من ربه يرجع إلى أصله حينئذٍ وينسلخ عن عالم الملك وقتئذٍ وإليه الإشارة بالقول المذكور لابن عباس رضي الله عنهما وفي الحديث «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس».

خدايت لشكرى داده زقرآن پس آنكه قلب آن لشكر ز يس

قيل: إنما جعل يس قلب القرآن أي: أصله ولبه لأن المقصود الأهم من إنزال الكتب بيان أنهم يحشرون وأنهم جميعاً لديه محضرون وأن المطيعين يجازون بأحسن ما كانوا يعملون ويمتاز عنهم المجرمون وهذا كله مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه وأتمه.

ونقل عن الغزالي أنه إنما كانت قلب القرآن لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر وهذا المعنى مقرر فيها بأبلغ وجه فشابهت القلب الذي يصح به البدن. وقال أبو عبد الله: القلب أمير على الجسد وكذلك يس أمير على سائر السور موجود فيه كل شيء. ويجوز أن يقال في وجه شبهه بالقلب إنه لما كان القلب غائباً عن الإحساس وكان محلاً للمعاني الجليلة وموطناً للإدراكات الخفية والجلية وسبباً لصلاح البدن وفساده شبه الحشر به فإنه من عالم الغيب وفيه يكون انكشاف الأمور والوقوف على حقائق المقدور وبملاحظته وإصلاح أسبابه تكون السعادة الأبدية وبالإعراض عنه وإفساد أسبابه يبتلى بالشقاوة السرمدية.

وقال النسفي: يمكن أن يقال في كونه قلب القرآن إن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة الوحدانية والرسالة والحشر وهو الذي يتعلق بالقلب والجنان وأما الذي باللسان والأركان ففي غير هذه السورة فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سماها قلباً. وآخر الحديث المذكور: «من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن ثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرىء عنده إذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكراته لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه ويقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان»، وفي الحديث: «إن في القرآن لسورة تشفع لقارئها ويغفر لسامعها تدعى في التوراة المعمة» قيل: يا رسول الله وما المعمة؟ قال: «تعم صاحبها بخير الدارين وتدفع عنه أهاويل الآخرة وتدعى الدافعة والقاضية» قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: «تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة» وفي الحديث: «من قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها كان له ثواب صدقة ألف دينار في سبيل الله ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف بركة وألف رحمة ونزع منه كل داء وغل» وفي الحديث «من قرأ سورة يس في ليلة أصبح مغفوراً له». وعن يحيى بن كثير قال: «بلغنا أنه من قرأ يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح» وفي الحديث: «اقرأوا يس فإن فيها عشر بركات ما قرأها جائع إلا شبع وما قرأها عار إلا اكتسى وما قرأها أعزب إلا تزوج وما قرأها خائف إلا أمن وما قرأها مسجون إلا فرج وما قرأها مسافر إلا عين على سفره وما قرأها رجل ضلت له ضالة إلا وجدها وما قرئت عند ميت إلا خفف عنه وما قرأها عطشان إلا روي وما قرأها مريض إلا برىء» وفي الحديث «يس لما قرئت له» وفي الحديث «من دخل المقابر وقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذٍ وكان له بعدد من فيها حسنات».

وفي «ترجمة الفتوحات» [وچون ببالين محتضر حاضر شوى سورة يس بخوان شيخ اكبر قدس سره ميفرمايدكه وقتى بيمار بودم ودرين مرض مراغشيانى شد بحدى كه مرا از جمله مردكان شمردند دران حالت قومى ديدم منظر هاى كريه وصورتهاى قبيح ميخواستندكه بمن اذيتي رسانند وشخصي ديدم بغايت خوب روى باقوت تمام وازوى بوى خوش مى آمد آن طائفه را ازمن دفع كرد وتابدان حدكه ايشانرا مقهور كردانيد واورا پرسيدم توكيستى كفت من سوره يس ام ازتو دفع ميكنم چون ازان حالت بهوش آمدم پدر خودرا ديدم كه ميكريست

وسورة يس ميخواند دران لحظه ختم كرد اورا از آنچه مشاهده كرده بودم خبر دادم وبعد ازان بمدتى از رسول الله ﷺ بمن رسيدكه] «اقرأوا على موتاكم يس».

قال الإمام اليافعي: قد جاء في الحديث: «إن عمل الإنسان يدفن معه في قبره فإن كان العمل كريماً أكرم صاحبه وإن كان لئيماً آلمه» أي: إن كان عملاً صالحاً آنس صاحبه وبشره ووسع عليه قبره ونوّره وحماه من الشدائد والأهوال وإن كان عملاً سيئاً فزع صاحبه وروّعه وأظلم عليه قبره وضيقه وعذبه وخلى بينه وبين الشدائد والأهوال والعذاب والوبال كما جاء في «المثنوي»:

در زمانه مرترا سه همره اند	آن يكى وافى واين يك غدر مند
آن يكى رايان وديكر رخت ومال	وآن سوم وافيست وان حسن الفعال
مال نايد باتو بيرون از قصور	يار آيد ليك آيد تا بكور
چون ترا روز اجل آيد به پيش	يار كويد از زبان حال خويش
تابدينجا بيش همره نيستم	بر سر كورت زمانى بيستم
فعل تو وافيست زوكن ملتحد	كه در آيد باتو در قعر لحد
بس پيمبر كفت بهر اين طريق	باو فاتر از عمل نبود رفيق
كربود نيكوابد يارت شود	وربود بد در لحد مارت شود

وعن بعض الصالحين في بعض بلاد اليمن أنه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس سمع في القبر صوتاً ودقاً عنيفاً ثم خرج من القبر كلب أسود فقال له الشيخ الصالح: ويحك أيّ شيء أنت؟ فقال: أنا عمل الميت قال: فهذا الضرب فيك أم فيه قال: فيّ وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت بينه وبيني وضربت وطردت.

قال اليافعي: قلت لما قوي عمله الصالح غلب عمله الصالح وطرد عنه بكرم الله ورحمته ولو كان عمله القبيح أقوى لغلبه وأفزعه وعذبه نسأل الله الكريم الرحيم لطفه ورحمته وعفوه وعافيته لنا ولأحبابنا لإخواننا المسلمين اللهم أجب دعاءنا بحرمة سورة يس.

تمت سورة يس في ثاني ذي القعدة الشريف من الشهور المنسلكة
في سلك سنة عشر ومائة وألف

٣٧ ـ سورة الصافات

إحدى أو اثنتان وثمانون ومائة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾﴾

﴿والصافات صفاً﴾ الواو للقسم والصافات جمع صافة بمعنى جمع صافية بمعنى جماعة صافة فالصافات بمعنى الجماعات الصافات ولو قيل والصافين وما بعدها بالتذكير لم يحتمل الجماعات. والصف أن يجعل الشيء على خط مستقيم كالناس والأشجار وبالفارسية: [رسته كردن] تقول صففت القوم من باب ردّ فاصطفوا إذا أقمتم على خط مستو لأداء الصلاة أو لأجل الحرب.

أقسم الله سبحانه بالملائكة الذين يصفون للعبادة في السماء ويتراصون في الصف أي: بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على أن المراد إيقاع نفس الفعل من غير قصد إلى المفعول واللاتي يقفن صفاً صفاً في مقام العبودية والطاعة، وبالفارسية: [وبحق فرشتكان صف بركشيده در مقام عبوديت صف بركشيدنى] أو الصافات أنفسها أي: الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مواقف الطاعة ومنازل الخدمة وفي الحديث: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم» قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «يتمون الصفوف المقدّمة ويتراصون في الصف» [والتراص: نيك در يكديكر بايستادن]. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أراد أن يفتتح بالناس الصلاة قال استووا تقدم يا فلان تأخر يا فلان إن الله عز وجل يرى لكم بالملائكة إسوة.

يقول: والصافات صفاً يعني: [خداى تعالى مى نمايد برشمارا به بملائكه اقتدا كويد] والصافات صفاً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ترد الملائكة صفوفاً صفوفاً لا يعرف كل ملك منهم من إلى جانبه لم يلتفت منذ خلقه الله تعالى. وفي «القاموس» والصافات صفاً الملائكة المصطفون في الهواء يسبحون ولهم مراتب يقومون عليهاصفوفاً كما يصطف المصلون انتهى. وقال بعضهم: الصافات أجنحتها في الهواء منتظرة لأمر الله تعالى فيما يتعلق بالتدبير وقيل غير ذلك وقوله تعالى في أواخر هذه السورة ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الصافات: ١٦٥] يحتمل الكل. قال بعض الكبار: الملائكة على ثلاثة أصناف مهيمون في جلال الله تعالى تجلى لهم في اسمه الجليل فهيمهم وأفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه وصنف

مسخرون ورأسهم القلم الأعلى سلطان عالم التدوين والتسطير وصنف أصحاب التدبير للأجسام كلها من جميع الأجناس كلها وكلهم صافون في الخدمة ليس لهم شغل غير ما أمروا به وفيه لذتهم وراحتهم.

وفي الآية بيان شرف الملائكة حيث أقسم بهم وفضل الصفوف وقد صح أن الشيطان يقف في فرجة الصف فلا بد من التلاصق والإنضمام والاجتماع ظاهراً وباطناً. **﴿فالزاجرات زجراً﴾** يقال زجرت البعير إذا حثثته ليمضي وزجرت فلاناً عن سوء فانزجر أي: نهيته فانتهى فزجر البعير كالحث له وزجر الإنسان كالنهي.

وفي «كشف الأسرار» الزجر الصرف عن الشيء بتخويف. وفي «المفردات»: الزجر طرد بصوت ثم يستعمل في الطرد تارة وفي الصوت أخرى.

وفي «تاج المصادر»: [الزجر: تهديد كردن وبانك برستور زدن تابرود] أي: الفاعلات للزجر والزاجرات لما نيط بها زجره من الأجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشيطان عن الوسوسة والإغواء وعن استراق السمع كما يأتي. قال بعضهم: يعني الملائكة الذين يزجرون السحاب ويؤلفونه ويسوقونه إلى البلد الذي لا مطر به **﴿فالتاليات ذكراً﴾** مفعول التاليات وأما صفاً وزجراً فمصدران مؤكدان لما قبلهما بمعنى صفاً بديعاً وزجراً بليغاً أي: التاليات ذكراً عظيم الشأن من آيات الله وكتبه المنزلة على الأنبياء عليهم السلام وغيرهما من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد.

أو المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات أنفسها في صفوف الجماعات وإقدامها في الصلاة الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله الدارسات شرائعه وأحكامه. أو طوائف الغزاة الصافات أنفسهم في مواطن الحرب كأنهم بنيان مرصوص. أو طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقاً والعدو في المعارك طرداً التاليات آيات الله وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك لا يشغلهم عن الذكر مقابلة العدوّ وذلك لكمال شهودهم وحضورهم مع الله وفي الحديث: «ثلاثة أصوات يباهي الله بهن الملائكة: الأذان والتكبير في سبيل الله ورفع الصوت بالتلبية». أو نفوس العابدين الصافات عند أداء الصلاة بالجماعة الزاجرات الشياطين بقراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم التاليات القرآن بعدها. ويقال **﴿فالتاليات ذكراً﴾** أي: الصبيان يتلون في الكتاب فإن الله تعالى يحول العذاب عن الخلق ما دامت تصعد هذه الأربعة إلى السماء أولها أذان المؤذنين. والثاني: تكبير المجاهدين. والثالث: تلبية الملبين. والرابع: صوت الصبيان في الكتاب [صاحب تأويلات فرموده كه سوكند ميخورد بنفوس سالكان طريق توحيدكه در مواقف مشاهده صف بركشيده دواعي شيطاني ونوازع شهوات نفساني را زجرى نمايند وبأنواع ذكر لساني يا قلبي يا سري يا روحي بحسب أحوال خود اشتغال ميفرمايند].

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿والصافات صفاً﴾** يشير إلى صفوف الأرواح وجاء أنهم لما خلقوا قبل الأجساد كانوا في أربعة صفوف. كان الصف الأول أرواح الأنبياء والمرسلين. وكان الصف الثاني أرواح الأولياء والأصفياء. وكان الصف الثالث أرواح المؤمنين والمسلمين. وكان الصف الرابع أرواح الكفار والمنافقين **﴿فالزاجرات زجراً﴾** هي الإلهامات الربانية الزاجرات

للعوام عن المناهي والخواص عن رؤية الطاعات والأخص عن الالتفات إلى الكونين **﴿فالتاليات ذكراً﴾** هم الذاكرون الله تعالى كثيراً والذاكرات انتهى وهذه الصفات إن أجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتيبها في الفضل إما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وإن أجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى أن طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلاً أو على العكس.

وفي «تفسير الشيخ» وغيره وجاء بالفاء للدلالة على أن القسم بمجموع المذكورات **﴿إن إلهكم﴾** يا أهل مكة فإن الآية نزلت فيهم إذ كانوا يقولون بطريق التعجب أجعل الآلهة إلهاً واحداً أو يا بني آدم وبالفارسية: [وبدرستى كه خداى شمادرذات وحدانيت خود] **﴿لواحد﴾** لا شريك له فلا تتخذوا آلهة من الأصنام والدنيا والهوى والشيطان. والجملة جواب للقسم والفائدة فيه مع أن المؤمن مقر من غير حلف والكافر غير مقرّ ولو بالحلف تعظيم المقسم به وإظهار شرفه وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم وقد أنزل القرآن على لغتهم وعلى أسلوبهم في محاوراتهم. وقيل تقدير الكلام فيها وفي مثلها ورب الصافات ورب التين والزيتون. وفي «المفردات»: الوحدة الانفراد والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة ثم يطلق على كل موجود حتى أنه ما من عدد إلا ويصح وصفه به فيقال عشرة واحدة ومائة واحدة. فالواحد لفظ مشترك يستعمل في خمسة أوجه:

الأول: ما كان واحداً في الجنس أو في النوع كقولنا الإنسان والفرس واحد في الجنس وزيد وعمرو واحد في النوع.

والثاني: ما كان واحداً بالاتصال إما من حيث الخلقة كقولك شخص واحد وإما من حيث الصناعة كقولك حرفة واحدة.

«والثالث» ما كان واحداً لعدم نظيره إما في الخلقة كقولك الشمس واحدة وإما في دعوى الفضيلة كقولك فلان واحد دهره وكقولك هو نسيج وحده.

«والرابع»: ما كان واحد الامتناع التجزي فيه إما لصغره كالهباء وإما لصلابته كالماس.

«والخامس» للمبتدأ إما لمبدأ العدد كقولك واحد اثنين وإما لمبدأ الخط كقولك النقطة الواحدة والوحدة في كلها عارضة فإذا وصف الله عز وجل بالواحد فمعناه هو الذي لا يصح عليه التجزىء ولا التكثر ولصعوبة هذه الوحدة قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [الزمر: ٤٥] انتهى.

قال الغزالي رحمه الله: الواحد هو الذي لا يتجزىء ولا يثنى. أما الذي لا يتجزىء فكالجواهر الواحد الذي لا ينقسم فيقال إنه واحد بمعنى أنه لا جزء له وكذا النقطة لا جزء لها والله تعالى واحد بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام على ذاته. وأما الذي لا يثنى فهو الذي لا نظير له كالشمس مثلاً فإنها وإن كانت قابلة للقسمة بالوهم متجزئة في ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهي لا نظير لها إلا أنه يمكن لها نظير فما في الوجود موجود ينفرد بخصوص وجود إلا ويتصور أن يشاركه فيه غيره إلا الله تعالى فإنه الواحد المطلق أزلاً وأبداً فالعبد إنما يكون واحداً إذا لم يكن في أبناء جنسه نظير له في خصلة من خصال الخير وذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه وبالإضافة إلى الوقت إذ يمكن أن يظهر في وقت آخر مثله وبالإضافة إلى بعض الخصال

دون الجميع فلا وحدة على الإطلاق إلا لله تعالى انتهى. ولا يوحده تعالى حق توحيده إلا هو إذ كل شيء وحده أي: أثبت وجوده وفعله بتوحيده فقد جحده بإثبات وجود نفسه وفعله وإليه الإشارة بقول الشيخ أبي عبد الله الأنصاري قدس سره تعالى:

ما وحد الواحد من واحد   إذ كل من ينعته جاحد

فإذا أفنى الوجود المجازي صح التوحيد الحقيقي الذاتي وكل شيء من الأشياء عين مرآة توحيده كما قالوا:

ففي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

وذلك لأن كل شيء واحد بهويته أو بانتهائه إلى الجزء الذي لا يتجزىء أو بغير ذلك:

تادم وحدت زدى حافظ شوريده حال   خامه توحيد كش برورق اين وآن

قال الشيخ الزروقي في «شرح الأسماء»: من عرف أنه الواحد أفرد قلبه له فكان واحداً به وقد فسر قوله عليه السلام «إن الله وتر يحب الوتر» يعني: القلب المنفرد له. وخاصة هذا الاسم الواحد إخراج الكون من القلب فمن قرأه ألف مرة خرج الخلائق من قلبه فكفى خوف الخلق وهو أصل كل بلاء في الدنيا والآخرة وسمع عليه السلام رجلاً يقول في دعائه: «اللهم إني أسألك باسمك الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال: «سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى». وفي «الأربعين الإدريسية» يا واحد الباقي أول كل شيء وآخره. قال السهرودي يذكره من توالت عليه الأفكار الرديئة فتذهب عنه وإن قرأه الخائف من السلطان بعد صلاة الظهر خمسمائة مرة فإنه يأمن ويفرج همه ويصادقه أعداؤه ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما**﴾ خبر ثانٍ لأن أي: مالك السموات والأرض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها إلى كمالاتها ﴿**ورب المشارق**﴾ أي: مشارق الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقاً تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها يعني إذا كانت المشارق بهذا العدد تكون المغارب أيضاً بهذا العدد فتغرب في كل يوم من مغرب منها وأما قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمٰن: ١٧] فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما وقوله: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٩] أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة وإعادة الرب في المشارق لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم كما ذكر آنفاً. تلخيصه هو رب جميع الموجودات وربوبيته لذاته لا لنفع يعود إليه بخلاف تربية الخلق والربوبية بمعنى المالكية والخالقية ونحوهما عامة وبمعنى التربية خاصة بكل نوع بحسبه فهو مربي الأشباح بأنواع نعمه ومربي الأرواح بلطائف كرمه ومربي نفوس العابدين بأحكام الشريعة ومربي قلوب المشتاقين بآداب الطريقة ومربي أسرار المحبين بأنوار الحقيقة والرب عنوان الأدعية فلا بد للداعي من استحضاره لساناً وقلباً حتى يستجاب في دعائه اللهم ربنا إنك أنت الواحد وحدة حقيقية ذاتية لا انقسام لك فيها فاجعل توحيدنا توحيداً حقانياً ذاتياً سرياً لا مجازية فيه وإنك أنت الرب الكريم الرحيم فكما أنك ربنا وخالقنا فكذا مربينا ومولينا فاجعلنا في تقلبات أنواع نعمك شاغلين بك فارغين عن غيرك وأوصل إلينا من كل خيرك ﴿**إنا زينا السماء الدنيا**﴾ أي: القربى منكم ومن الأرض وأما بالنسبة إلى العرش فهي البعدي. والدنيا تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب ﴿**بزينة**﴾ عجيبة بديعة ﴿**الكواكب**﴾ بالجر بدل من زينة على أن المراد بها الاسم أي: يزان به لا المصدر فإن الكواكب بأنفسها وأوضاع بعضها

عن بعض زينة وأي زينة. وفيه إشارة إلى أن الزينة التي تدرك بالبصر يعرفها الخاصة والعامة وإلى الزينة التي يختص بمعرفتها الخاصة وذلك أحكامها وسيرها والكواكب معلقة في السماء كالقناديل أو مكوكبة عليها كالمسامير على الأبواب والصناديق وكون الكواكب زينة للسماء الدنيا لا يقتضي كونها مركوزة في السماء الدنيا ولا ينافي كون بعضها مركوزة فيما فوقها من السموات لأن السموات إذا كانت شفاعة وأجراماً صافية فالكواكب سواء كانت في السماء الدنيا أو في سماوات أخرى فهي لا بد وأن تظهر في السماء الدنيا وتلوح منها فتكون سماء الدنيا مزينة بالكواكب.

«والحاصل»: أن المراد هو التزيين في رأي العين سواء كانت أصول الزينة في سماء الدنيا أو في غيرها وهذا مبني على ما ذهب إليه أهل الهيئة من أن الثوابت مركوزة في الفلك الثامن وما عدا القمر في السنة المتوسطة وإن لم يثبت ذلك فحقيقة العلم عند الله تعالى **﴿وحفظاً﴾** منصوب بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً برمي الشهب **﴿من كل شيطان مارد﴾** أي: خارج عن الطاعة متعر عن الخير من قولهم شجر أمرد إذا تعرى من الورق ومنه الأمرد لتجرده عن الشعر.

وفي «التأويلات النجمية» بقوله: **﴿إنا زينا﴾** الخ يشير إلى الرأس فإنه بالنسبة إلى البدن كالسماء مزين **﴿بزينة الكواكب﴾** الحواس وأيضاً زين سماء الدنيا بالنجوم وزين قلوب أوليائه بنجوم المعارف والأحوال وكما حفظ السموات بأن جعل النجوم للشياطين رجوماً كذلك زين القلوب بأنوار التوحيد فإذا قرب منها الشياطين رجموهم بنور معارفهم كما قال: **﴿وحفظاً من كل شيطان مارد﴾** يعني: من شياطين الإنس.

وحكي أن أبا سعيد الخراز قدس سره رأى إبليس في المنام فأراد أن يضربه بالعصا فقال: يا أبا سعيد أنا لا أخاف العصا وإنما أخاف من شعاع شمس المعرفة:

بسوزد نور پاك اهل عرفان دير ناري را

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿لا يسمعون إلا الملأ الأعلى﴾ أصل يسمعون يتسمعون فأدغمت التاء في السين وشددت والتسمع وتعديته بإلى لتضمنه معنى الإصغاء. والملأ جماعة يجتمعون على رأي فيملأون العيون رواء والنفوس جلالة وبهاء والملأ الأعلى الملائكة أو أشرافهم أو الكتبة وصفوا بالعلو لسكونهم في السموات العلى، والجن والإنس هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض وهذا كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء منهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في أثناء ذلك من العذاب. والمعنى: لا يتطلبون السماء والإصغاء إلى الملائكة الملكوتية يعني: [ملائكه كه مطلع اند بر بعضى از اسرار لوح بايكديكر ميكويند ايشانرا نمى شنوند بلكه طاقت شنودن وكوش فرانهادن ندارند] **﴿ويقذفون﴾** القذف الرمي البعيد ولاعتبار البعد فيه قيل منزل قذف وقذيف وقذفته بحجر رميت إليه حجراً منه قذفه بالفجور أي: يرمون وبالفارسية: [وانداخته مى شوند] **﴿من كل جانب﴾** من جميع جوانب السماء إذا قصدوا الصعود إليها **﴿دحوراً﴾** علة للقذف أي: للدحور وهو الطرد يقال دحره دحراً ودحوراً إذا طرده

وأبعده ﴿ولهم﴾ في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب ﴿عذاب واصب﴾ دائم غير منقطع من وصب الأمر وصوباً إذا دام. قال في «المفردات»: الوصب السقم اللازم ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه. والخطف الاختلاس بسرعة والمراد اختلاس الكلام أي: كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة أي: لا يسمع جماعة الشياطين إلا الشيطان الذي خطف أي: اختلس الخطفة أي: المرة الواحدة يعني كلمة واحدة من كلام الملائكة وبالفارسية: [وانرا قوت استماع كلام ملائكه نيست مكر كسى كه درربايد يك ربودن يعنى بد زدد سخنى ازفرشته] ﴿فأتبعه﴾ أي: طبعه ولحقه وبالفارسية: [پس ازپى در آيد اورا]. قال ابن الكمال: الفرق بين اتبعه وتبعه أنه يقال اتبعه اتباعاً إذا طلب الثاني اللحوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه ﴿شهاب﴾. قال في «القاموس»: الشهاب ككتاب شعلة من نار ساطعة انتهى والمراد هنا ما يرى منقضاً من السماء ﴿ثاقب﴾. قال في «المفردات»: الثاقب النير المضيء يثقب بنوره وإضاءته ما يقع عليه انتهى أي: مضى في الغاية كأنه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين إذا صعدوا لاستراق السمع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه إذ رمى بنجم فاستنار فقال عليه السلام: «ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية» فقالوا: يموت عظيم أو يولد عظيم فقال: «إنه لا يرمىٰ لموت أحد ولا لحياته ولكن الله إذا قضى أمراً يسبحه حملة العرش وأهل السماء السابعة يقولون» أي: أهل السماء السابعة «لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم فيستخبر أهل كل سماء أهل سماء حتى ينتهي الخبر إلى السماء الدنيا فيتخطف الجن فيرمون فما جاءوا به على وجهه هو حق ولكنهم يزيدون فيه ويكذبون فما ظهر صدقه فهو من قسم ما سمع من الملائكة وما ظهر كذبه فهو من قسم ما قالوه».

قيل: كان ذلك في الجاهلية أيضاً لكن غلظ المنع وشدّد حين بعث النبي عليه السلام.
قيل: هيئة استراقهم أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا فيسمع من فوقهم الكلام فيلقيه إلى من تحته ثم هو يلقيه إلى الآخر حتى إلى الكاهن فيرمون بالكوكب فلا يخطىء أبداً فمنهم من يقتل ومنهم من يحرق بعض أعضائه وأجزائه ومنهم من يفسد عقله وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيه وربما ألقاه قبل أن يدركه ولأجل أن يصيبهم مرة ويسلمون أخرى لا يرتدعون عن الاستراق بالكلية كراكب البحر للتجارة فإنه قد يصيبه الموج وقد لا يصيبه فلذا يعود إلى ركوب البحر رجاء السلامة. ولا يقال إن الشيطان من النار فلا يحترق لأنه ليس من النار الصرف كما أن الإنسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية إذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثم إن المراد بالشهاب شعلة نار تنفصل من النجم لا أنه النجم نفسه لأنه قار في الفلك على حاله.

«وقالت الفلاسفة»: إن الشهب إنما هي أجزاء نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الأبخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التي دون الفلك انتهى.

وقال بعض كبار أهل الحقيقة: لولا الأثير الذي هو بين السماء والأرض ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن في الأرض لشدة البرد الذي في السماء الدنيا فهو يسخن العالم لتسري فيه الحياة بتقدير العزيز العليم وهذا الأثير الذي هو ركن النار متصل بالهواء والهواء حار رطب ولما في الهواء من الرطوبة إذا اتصل بهذا الأثير أثر فيه لتحركه اشتعالاً في بعض أجزاء الهواء

الرطبة فبدت الكواكب ذوات الأذناب لأنها هواء محترق لا مشتعل وهي سريعة الاندفاع وإن أردت تحقيق هذا فانظر إلى شرر النار إذا ضرب الهواء النار بالمروحة يتطاير منها شرر مثل الخيوط في رأى العين ثم تنطفىء كذلك هذه الكواكب وقد جعلها الله رجوماً للشياطين الذين هم كفار الجن كما قال الله تعالى انتهى كلامه قدس سره.

قال بعضهم: لما كان كل نير يحصل في الجو مصابيح لأهل الأرض فيجوز أن تنقسم إلى ما تكون باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد وهي الكواكب المركوزة في الأفلاك وإلى ما لا تبقى بل تضمحل وهو الحادث بالبخار الصاعد على ما ذهب إليه الفلاسفة أو بتحريك الهواء الأثير وإشعاله على ما ذهب إليه بعض الكبار فلا يبعد أن يكون هذا الحادث رجماً للشيطان. يقول الفقير أغناه الله القدير: قول بعض الكبار يفيد حدوث بعض الكواكب ذوات الأذناب من التحريك المذكور وهي الكواكب المنقضة سواء كانت ذوات أذناب أو لا وهذا لا ينافي ارتكاز الكواكب الغير الحادثة في أفلاكها أو تعليقها في السماء أو بأيدي الملائكة كالقناديل المعلقة في المساجد أو كونها ثقباً في السماء أو عروقاً نيرة من الشمس على ما ذهب إلى كل منها طائفة من أهل الظاهر والحقيقة.

قال قتادة: جعل الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدي بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به، فعلى طالب الحق أن يرجم شيطانه بنور التوحيد والعرفان كيلا يحوم حول جنانه ويكون كالملأ الأعلى في الاشتغال بشأنه:

كاه كويى اعوذوكه لا حول ... ليك فعلت بود مكذب قول

بحقيقت بسوز شيطانرا ... ساز از نور حال درمانرا

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾﴾

﴿فاستفتهم﴾ خطاب للنبي عليه السلام والضمير لمشركي مكة [والاستفتاء: فتواى خواستن] والفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من الأحكام يقال استفتيته فأفتاني بكذا.

قال بعضهم: الفتوى من الفتى وهو الشاب القوي وسمي الفتوى فتوى لأن المفتي يقوي السائل في جواب الحادثة وجمعه فتاوى بالفتح والمراد بالاستفتاء هنا الاستخبار كما في قوله تعالى في قصة أهل الكهف ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٢٢] وليس المراد سؤال الاستفهام بل التوبيخ. والمعنى فاستخبر يا محمد مشركي مكة توبيخاً واسألهم سؤال محاجة **﴿أهم﴾** [آيا ايشان] **﴿أشد خلقاً﴾** أقوى خلقة وأمتن بنية أو أصعب على الخالق خلقاً أو أشق إيجاداً **﴿أم من﴾** أي: أم الذي **﴿خلقنا﴾** من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة ومن لتغليب العقلاء على غيرهم **﴿إنا خلقناهم﴾** أي: خلقنا أصلهم وهو آدم وهم من نسله **﴿من طين لازب﴾** لاصق يلصق ويعلق باليد لا رمل فيه. قال في «المفردات»: اللازب الثابت الشديد الثبوت ويعبر بالازب عن الواجب فيقال ضربة لازب اهـ والباء بدل من الميم والأصل لازم مثل مكة وبكة كما في «كشف الأسرار».

والمراد إثبات المعاد ورد استحالتهم وتقريره أن استحالة المعاد إما لعدم قابلية المادة ومادتهم الأصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي إلى الجزء الأرضي وهما باقيان قابلان الإنضمام بعد وإما لعدم قدرة الفاعل وهو باطل فإن من قدر على خلق هذه

الأشياء العظيمة قادر على ما يعتد به بالإضافة إليها وهو خلق الإنسان وإعادته سيما ومن الطين اللازب بدأهم وقدرته ذاتية لا تتغير فهي بالنسبة إلى جميع المخلوقات على السواء [پس هركاه خورشيد قدرت ازافق ارادت طلوع نمايد ذرات مقدورات در هواى ابداع وفضاى اختراع بجلوه در آيند] قدس سره:

كـايـنـك زعـدم سـوى وجـود آمـده ايـم

قال الشيخ سعدي قدس سره:

بـامـرش وجـود از عـدم نـقـش بـسـت   كه داند جزاو كردن ازنيست هست

دكـرره بـكـتـم عـدم در بـرد   واز آنـجـا بـصـحـراى مـحـشـر بـرد

وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى أودع في الطينة الإنسانية خصوصية لزوب ولصوق يلصق بكل شيء صادفه فصادف قوما الدنيا فلصقوا بها وصادف قوماً الآخرة فلصقوا بها وصادف قوماً نفحات ألطاف الحق فلصقوا بها فأذابتهم وجذبتهم عن أنانيتهم بهويتها كما تذيب الشمس الثلج وتجذبه إليها فطوبى لعبد لم يتعلق بغير الله تعالى.

قال الحافظ:

غـلام هـمـت آنـم كـه زيـر چـرخ كـبـود   زهـرچـه رنـك تـعـلـق پـذيـرد آزادسـت

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿بل عجبت ويسخرون﴾. قال سعدي المفتي إضراب عن الأمر بالاستفتاء أي: لا تستفتهم فإنهم معاندون ومكابرون لا ينفع فيهم الاستفتاء وانظر إلى تفاوت حالك وحالهم أنت تعجب من قدرة الله تعالى على خلق هذه الخلائق العظيمة ومن قدرته على الإعادة وإنكارهم للبعث وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث. وقال قتادة: عجب نبي الله من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك أن النبي عليه السلام كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه ولم يؤمنوا عجب من ذلك النبي عليه السلام فقال الله تعالى: **﴿بل عجبت ويسخرون﴾** والسخرية الاستهزاء والعجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل: لا يصح على الله التعجب إذ هو علام الغيوب لا يخفى عليه خافية. والعجب في صفة الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار الشديد والذم كما في قراءة بل عجبت بضم التاء وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما في حديث «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة ونخوة».

وفي «فتح الرحمٰن» هي عبارة عما يظهره الله في جانب المتعجب منه من التعظيم والتحقير حتى يصير الناس متعجب منه انتهى. وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال: إن الله تعالى لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله فقال: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥] أي: هو كما تقوله.

وفي «المفردات»: بل عجبت ويسخرون أي: عجبت من إنكارهم البعث لشدة تحققك بمعرفته ويسخرون بجهلهم. وقرأ بعضهم بل عجبت بضم التاء وليس ذلك إضافة التعجب إلى نفسه في الحقيقة بل معناه إنه مما يقال عنده عجبت أو تكون عجبت مستعارة لمعنى أنكرت

نحو: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٧٣] انتهى ﴿وإذا ذكروا﴾ أي: ودأبهم المستمر أنهم إذا وعظوا بشيء من المواعظ وبالفارسية: [وچون پندداده شوندبه چيزى] ﴿لا يذكرون﴾ ولا يتعظون وبالفارسية: [ياد نكنند آنرا وبدان پند پذير نشوند]. وفيه إشارة إلى أنهم نسوا الله غاية النسيان بحيث لا يذكرونه وإذا ذكروا يعني بالله تعالى لا يتذكرون ﴿وإذا رأوا آية﴾ أي: معجزة تدل على صدق القائل بالبعث ﴿يستسخرون﴾ [الاستسخار: افسوس داشتن] والسين والتاء للمبالغة والتأكيد أي: يبالغون في السخرية والاستهزاء أو للطلب على أصله أي: يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها يعني: [يكديكررا بسخريه مى خوانند] ﴿وقالوا إن هذا﴾ [نيست اين كه ماديدم] إن نافية بمعنى ما وهذا إشارة إلى ما يرونه من الآية الباهرة ﴿إلا سحر مبين﴾ ظاهر سحريته.

وفيه إشارة إلى أن أهل الإنكار إذا رأوا رجلاً يكون آية من آيات الله يسخرون منه ويعرضون عن الإيمان به ويقولون لما يأتي به إن هذا إلا سحر مبين لانسداد بصائرهم عن رؤية حقيقة الحال بغطاء الإنكار ونسبة أهل الهدى إلى الضلال.

چون نباشد چشم ويرانور جان كفت وكوى وجه باقى شد خيال

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أئذا﴾ أي: أنبعث إذا ﴿متنا﴾ وبالفارسية: [آيا برانكيختكان باشيم چون ميريم ما] ﴿وكنا ترابا﴾ [وباشيم خاك] ﴿وعظاماً﴾ [واستخوانهاى بى كوشت وپوست] أي: كان بعض أجزائنا تراباً وبعضها عظاماً وتقديم التراب لأنه منقلب من الأجزاء البالية ﴿أئنا لمبعوثون﴾ أي: لانبعث فإن الهمزة للإنكار الذي يراد به النفي وتقديم الظرف لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إلى حالة منافية له غاية المنافاة ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ الهمزة للاستفهام والواو للعطف وآباؤنا رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه أي: وآباؤنا الأولون أي: الأقدمون أيضاً مبعوثون ومرادهم زيادة الاستبعاد بناء على أنهم أقدم فبعثهم أبعد على زعمهم ﴿قل﴾ تبكيتاً لهم ﴿نعم وأنتم داخرون﴾ نعم بفتحتين يقع في جواب الاستخبار المجرد من النفي ورد الكلام الذي بعد حرف الاستفهام والخطاب لهم ولآبائهم على التغليب. والدخور أشد الصغار والذلة يقال ادخرته فدخر أي: أذللته فذل والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم أي: كلكم مبعوثون والحال أنكم صاغرون أذلاء على رغم منكم ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ لا تحتاج إلى نعم الأخرى وهي إما ضمير مبهم يفسره خبره أو ضمير البعثة المذكورة في ضمن نعم لأن المعنى نعم مبعوثون والجملة جواب شرط مضمر أو تعليل لنهي مقدر أي: إذا أمر الله بالبعث فإنما هي الخ ولا تستصعبوه فإنما هي الخ. والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه أو إبله إذا صاح عليها وهي النفخة الثانية ﴿فإذا هم﴾ إذا للمفاجأة والضمير للمشركين. وفي بعض التفاسير للخلائق كلهم أي: فإذا هم قائمون من مراقدهم أحياء ﴿ينظرون﴾ حيارى أو يبصرون كما كانوا أو ينتظرون ما يفعل بهم ﴿وقالوا﴾ أي: المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق

والتقرر ﴿يا ويلنا﴾ الويل الهلاك أي: يا هلاكنا احضر فهذا أوان حضورك. وقال الكاشفي: [اى واى برما] ﴿هذا يوم الدين﴾ تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف أي: اليوم الذي نجازي فيه بأعمالنا وإنما علموا ذلك لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضاً فتقول لهم الملائكة بطريق التوبيخ والتقريع ﴿هذا يوم الفصل﴾ أي: القضاء أو الفرق بين فريقي الهدى والضلال ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ أي: كنتم على الاستمرار تكذبون به وتقولون إنه كذب ليس له أصل أبداً فيقول الله تعالى للملائكة ﴿احشروا الذين ظلموا﴾ الحشر يجيء بمعنى البعث وبمعنى الجمع والسوق وهو المراد هٰهنا دون الأول كما لا يخفى والمراد بالظالمين المشركون من بني آدم [جمع كنيدوبهم آريد آنانرا كه ستم كردند برخود بشرك] ﴿وأزواجهم﴾ أي: أشباههم من أهل الشرك والكفر والنفاق والعصيان عابد الصنم مع عبدته وعابد الكواكب مع عبدتها واليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى والمجوس مع المجوس وغيرهم من الملل المختلفة ويجوز أن يكون المراد بالأزواج نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ من الأصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ الضمير للظالمين وأزواجهم ومعبوديهم أي: فعرّفوهم طريق جهنم ووجهوهم إليها وفيه تهكم بهم.

ويقال: الظالم في الآية عام على من ظلم نفسه وغيره فيحشر كل ظالم مع من كان معيناً له أهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنى مع أهل الزنى وأهل الربا مع أهل الربا وغيرهم كل مع مصاحبه [درقوت القلوب آورده كه يكى از عبد الله بن مبارك قدس سره پرسيدكه من خياطم واحيانا براى ظلمه چامه مى دوزم ناكاه ازعوان ايشان نباشيم ابن مبارك فرمودنى توكه ازاعوان نيستى بلكه از ظالمانى اعوان ظلمه آنها اندكه سوزن ورشته بتو ميفروشند]. وفي الفروع ويكره للخفاف والخياط أن يستأجر على عمل من زي الفساق ويأخذ في ذلك أجراً كثيراً لأنه إعانة على المعصية [نقليست كه يكبار امام اعظم رضي الله عنه را محبوس كردنديكى از ظلمه بيامدكه مر اقلمى تراش كن كفت ترسم كه ازان قوم باشم كه حق تعالى ميفرمايد] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أي: أتباعهم وأعوانهم وأقرانهم المقتدين بهم في أفعالهم وفي الحديث «امرؤ القيس قائد لواء الشعراء إلى النار» كما في «تذكرة القرطبي»:

يـار ظـالـم مـبـاش تـانـشـوى روز حـشـر ازشـمـاره ايـشـان

ـ ويروى ـ ان ابن المبارك رؤي في المنام فقيل له: ما فعل بك ربك؟ فقال: عاتبني وأوقفني ثلاث سنين بسبب أني نظرت باللطف يوماً إلى مبتدع فقال: إنك لم تعاد عدوى فكيف حال القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.

وفي «الروضة»: يجيب دعوة الفاسق والورع أن لا يجيب ويكره للرجل المعروف الذي يقتدى به أن يتردد إلى رجل من أهل الباطل وأن يعظم أمره بين الناس فإنه يكون مبتدعاً أيضاً ويكون سبباً لترويج أمره الباطل واتباع الناس له في اعتقاده الفاسد وفعله الكاسد.

والحاصل أن أرباب النفوس الأمارة كانوا يدلون في الدنيا على صراط الجحيم من حيث الأسباب من الأقوال والأفعال والأخلاق فلذا يحشرون على ما ماتوا وكذلك من أعان صاحب فترة في فترته أو صاحب زلة في زلته كان مشاركاً له في عقوبته واستحقاق طرده وإهانته كما

اشتركت النفوس والأجساد في الثواب والعقاب نسأل الله العمل بخطابه والتوجه إلى جنابه والسلوك بتوفيقه والاهتداء إلى طريقه إنه المعين ﴿**وقفوهم**﴾ قفوا أمر من وقفه وقفاً بمعنى حبسه لا من وقف وقوفاً بمعنى دام قائماً فالأول متعد والثاني لازم.

والمعنى: احبسوا المشركين أيها الملائكة عند الصراط كما قال بطريق التعليل ﴿**إنهم مسؤولون**﴾ عما ينطق به وقوله تعالى: ﴿**ما لكم**﴾ [چيست بشماكه] ﴿**لا تناصرون**﴾ حال من معنى الفعل في مالكم أي: ما تصنعون حال كونكم غير متناصرين وحقيقته ما سبب عدم تناصركم وأن لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص من العذاب كما كنتم تزعمون في الدنيا كما قال أبو جهل يوم بدر نحن جميع منتصر يعني: [ما همه هم پشتيم يكد يكررا تاكين كشيم از محمد] وتأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت لأنه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجاء منها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذٍ أشد وقعاً وتأثيراً وفي الحديث: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة عن شبابه فيم أبلاه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن عمله ماذا عمل به».

قال بعض الكبار مقام السؤال صعب قوم يسألهم الملك وقوم يسألهم الملك فالذين تسألهم الملائكة أقوام لهم أعمال صالحة تصلح للعرض والكشف وأقوام لهم أعمال لا تصلح للكشف وهم قسمان: الخواص يسترهم الحق عن اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والآخرة وأقوام هم أهل الزلات يخصهم الله تعالى برحمته فلا يفضحهم وأما الأغيار والأجانب فيقال لهم كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً فإذا قرأوا كتابهم يقال لهم فما جزاء من عمل هذا فيقولون جزاؤه النار فيقال لهم ادخلوا بحكمكم كما أن جبرائيل جاء في صورة البشر إلى فرعون وقال ما جزاء عبد عصى سيده وادعى العلو عليه وقد رباه بأنواع نعمه قال جزاؤه الغرق قال: اكتب لي فكتب له صورة فتوى فلما كان يوم الغرق أظهر الفتوى وقال: كن غريقاً بحكمك على نفسك. ويجوز أن يقال لهم في بعض أحوال استيلاء الفزع عليهم ما لكم لا تناصرون فيكون منقطعاً عما قبله.

قال في «بحر العلوم»: والآية نص قاطع ينطق بحقية الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعر واحد من السيف يعبره أهل الجنة وتزل به أقدام أهل النار وأنكره بعض المعتزلة لأنه لا يمكن العبور عليه وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين وأجيب بأن الله قادر أن يمكن من العبور عليه ويسهله على المؤمنين حتى أن منهم من يجوزه كالبرق الخاصف ومنهم كالريح الهابّة ومنهم كالجواد إلى غير ذلك، وفي «سلسلة الذهب» للمولى الجامي:

هركه باشد زمؤمن وكافر	بر سرپل كنند شان حاضر
هركه كافر بود چو بنهد پاى	قعر دوزخ بود مر او راجاى
مؤمنانرا زحق رسد تأييد	ليك بر قدر قوت توحيد
هر كرا بر طريقت نبوى	ره نبودست غير راست روى
دوزخ از نور او كند پرهيز	بكذرد همچو برق خاطف تيز
ياچو مرغ پران وباد وزان	ياچو چيزى دكر سبكترازان
وانكه ضعفى بود در ايمانش	نبود زان كذشتن آسانش
بلكه درربخ آن كذركه تنك	باشد اورا بقدر ضعف درنك
ليك يابد خلاص آخر كار	كرچه بيند مشقت بسيار

وفي الحديث: «إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك وقيل للعالم قف هٰهنا فاشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت فقام مقام الأنبياء» وقد جاء في الفروع رجلان تعلما علماً كعلم الصلاة أو نحوها أحدهما يتعلم ليعلم الناس والآخر يتعلم ليعمل به فالأول أفضل لأن منفعة تعليم الخلق أكثر لكونه خيراً متعدياً فكان هو أفضل من الخير اللازم لصاحبه وقد جاء في الآثار «إن مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء الليلة» خصوصاً إذا كان مما يتعلق بالعلم بالله وقد قل أهله في هذا الزمان وانقطعت مذاكرته عن اللسان لانقطاع ذوق الجنان وانسداد البصيرة والعياذ بالله من الخذلان والحرمان ﴿**بل هم اليوم مستسلمون**﴾ [الاستسلام: كردن نهادن] يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع وأصله طلب السلامة.

والمعنى: منقادون ذليلون خاضعون بالاضطرار لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكل مستسلم غير منتصر كقوم متحابين انكسرت سفينتهم فوقعوا في البحر فأسلم كل واحد منهم صاحبه إلى الهلكة لعجزه عن تنجية نفسه فضلاً عن غيره بخلاف حال المتحابين في الله. قال الحافظ:

يار مردان خدا باش كه دركشتى نوح هست خاكى كه بآبى نخرد طوفانرا

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿**وأقبل**﴾ حينئذٍ [والاقبال: پيش آمدن وروى فراكسى كردن]. يقال: أقبل عليه بوجهه وهو ضد الإدبار ﴿**بعضهم**﴾ هم الاتباع أو الكفرة ﴿**على بعض**﴾ هم الرؤساء أو القرناء حال كونهم ﴿**يتساءلون**﴾ يسأل بعضهم بعضاً سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال ولذا فسر بيتخاصمون كأنه قيل كيف يتساءلون فقيل: ﴿**قالوا**﴾ أي: الاتباع للرؤساء أو الكفرة للقرناء ﴿**إنكم كنتم تأتوننا**﴾ في الدنيا ﴿**عن اليمين**﴾ عن القوة والإجبار فتتجبروننا على الغي والضلال فاتبعناكم خوفاً منكم بسبب القهر والقوة وبها يقع أكثر الأعمال. أو عن الناحية التي كان منها الحق فتصرفوننا عنها كما في «المفردات». أو عن الجهة التي كنا نأمنكم منها لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم فأنتم أضللتمونا كما في «فتح الرحمٰن» فاليمين إذا بمعنى الحلف والأول أوفق للجواب الآتي كما في «الإرشاد». ويقال: من أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين لتلبيس الحق عليه. ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات. ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل تكذيب القيامة. ومن أتاه من خلفه أتاه من قبل تخويفه بالفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة. وفي الآية إشارتان:

«الأولى»: أن دأب أهل الدنيا أنهم يلقون ذنب بعضهم على بعض ويدفعون عن أنفسهم ويبرئون اعراض الإخوان من تهمة الذنوب ويتهمون أنفسهم بها كما كان عيسى عليه السلام إذا رأى قد سرق شيئاً يقول له أسرقت؟ فيقول: لا والذي لا إله إلا هو فيقول عيسى: صدقت وكذبت عيناي.

«والثانية»: أن من كان مؤمناً حقيقياً لا يقدر أحد على إضلاله ومن كان مؤمناً تقليدياً

يضل بإضلال أهل الهوى والبدع ويزول إيمانه بأدنى شبهة كما أشار بنفي الإيمان في الجواب الآتي ﴿**قالوا**﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال الرؤساء أو القرناء فقيل: قالوا: ﴿**بل لم تكونوا مؤمنين**﴾ أي: لم نمنعكم من الإيمان بالقوة والقهر أو بنحو ذلك بل لم تؤمنوا باختياركم وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه ﴿**وما كان لنا عليكم من سلطان**﴾ من قهر وتسلط نسلب به اختياركم. والسلاطة التمكن من القهر سلطه فتسلط ومنه سمي السلطان بمعنى الغالب والقاهر والسلطان يقال في السلاطة أيضاً ومنه ما في الآية ونظائرها ﴿**بل كنتم قوماً طاغين**﴾ مختارين للطغيان مصرين عليه والطغيان مجاوزة الحد في العصيان ﴿**فحق علينا**﴾ أي: لزم وثبت علينا ﴿**قول ربنا**﴾ وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] ﴿**إنا لذائقون**﴾ أي: العذاب الذي ورد به الوعيد وبالفارسية: [بدرستى كه چشند كانيم عذاب را دران روز] ﴿**فأغويناكم**﴾ فدعوناكم إلى الغي والضلال دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم الغي على الرشد وبالفارسية: [پس ما شمارا دعوت كرديم بكمراهى وكژراهى بجهت آنكه] ﴿**إنا كنا غاوين**﴾ ثابتين على الغواية فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا أمثالنا في الغواية وبالفارسية: [ما بوديم كمراهان خواستيم كه شما نيز مثل ما باشيد در مثل است كه خر من سوخته خر من سوخته طلبد:

من مستم وخواهم كه توهم مست شوى تا همچو من سوخته همدست شوى

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾

حق سبحانه وتعالى فرمودكه] ﴿**فإنهم**﴾ أي: الأتباع والمتبوعين ﴿**يومئذٍ**﴾ [آنروز] ﴿**في العذاب**﴾ متعلق بقوله: ﴿**مشتركون**﴾ حسبما كانوا مشتركين في الغواية ﴿**إنا كذلك**﴾ أي: مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية وهو الجمع بين الضالين والمضلين في العذاب ﴿**نفعل بالمجرمين**﴾ المتناهين في الإجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى: ﴿**إنهم كانوا إذا قيل لهم**﴾ بطريق الدعوة والتلقين بأن يقال قولوا: ﴿**لا إله إلا الله يستكبرون**﴾ يتعظمون عن القول، وقع ذكر لا إله إلا الله في القرآن في موضعين: أحدهما في هذه السورة. والثاني في سورة القتال في قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وليس في القرآن لهما ثالث.

وفي «التلويح»: لا يخفى أن الاستثناء هٰهنا بدل من اسم لا على المحل والخبر محذوف أي: لا إله موجود في الوجود إلا الله انتهى. قال الهندي: ويجوز في المستثنى النصب على الاستثناء ولا يضعف إلا في نحو لا إله إلا الله من حيث إنه يوهم وجهاً ممتنعاً وهو الإبدال من اللفظ انتهى. قال العصام لأن إيهام البدل هٰهنا من اللفظ إيهام الكفر وبينه وبين قصد المخبر بالتوحيد تناف ﴿**ويقولون أئنا**﴾ [آياما] ﴿**لتاركوا آلهتنا**﴾ [ترك كنند كانيم عبادات خداى خودرا] ﴿**لشاعر مجنون**﴾ أي: لأجل قول شاعر مغلوب على عقله يعنون محمداً ﷺ وهمزة الاستفهام للإنكار أي: ما نحن بتاركي عبادة آلهتنا وهي الأصنام وبالفارسية: [ما بسخن أو ترك عبادت اصنام نكنيم] ولقد كذبوا في ذلك حيث جننوه وشعروه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلاً وأحسنهم

رأياً وأشدهم قولاً وأعلاهم كعباً في المآثر والفضائل كلها وأطولهم باعاً في العلوم والمعارف بأسرها ويشهد بذلك خطبة أبي طالب في تزويج خديجة الكبرى في محضر بني هاشم ورؤساء مضر على ما سبق في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الآية ﴿**بل جاء بالحق**﴾ أي: ليس الأمر على ما قالوه من الشعر والجنون بل جاء محمد بالحق وهو التوحيد ﴿**وصدق المرسلين**﴾ جميعاً في مجيئهم بذلك فما جاء به هو الذي أجمع عليه كافة الرسل فأين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة:

هركرا در عقل كل باشد كمال نيست او مجنون اى شوريده حال

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿**إنكم**﴾ بما فعلتم من الإشراك وتكذيب الرسول والاستكبار ﴿**لذائقوا العذاب الأليم**﴾ والالتفات إلى الخطاب لإظهار كمال الغضب عليهم ﴿**وما تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾ أي: الإجزاء ما كنتم تعملونه من السيئات أو إلا ما كنتم تعملونه منها. قال ابن الشيخ ولما كان المقام مظنة أن يقال كيف يليق بالكريم الرحيم المتعالي عن النفع والضر أن يعذب عباده أجاب عنه بقوله: ﴿**وما تجزون**﴾ الخ وتقريره أن الحكمة تقتضي الأمر بالخير والطاعة والنهي عن القبيح والمعصية ولا يكمل المقصود من الأمر والنهي إلا في الترغيب في الثواب والترهيب بالعقاب ولما وقع الاخبار بذلك وجب تحقيقه صوناً للكلام عن الكذب فلهذا السبب وقعوا في العذاب انتهى. فعلى العاقل أن يحذر من يوم القيامة وجزائه فينتقل من الإنكار إلى الإقرار ومن الشك إلى اليقين ومن الكبر إلى التواضع ومن الباطل إلى الحق ومن الفاني إلى الباقي ومن الشرك إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص. وسئل علي رضي الله عنه ما علامة المؤمن قال أربع: أن يطهر قلبه من الكبر والعداوة. وأن يطهر لسانه من الكذب والغيبة. وأن يطهر قلبه من الرياء والسمعة. وأن يطهر جوفه من الحرام والشبهة وأعظم الكبر أن يتكبر عن قول لا إله إلا الله الذي هو أساس الإيمان وخير الاذكار وكلمة الإخلاص وبه يترقى العبد إلى جميع المراتب الرفيعة لكن بشرائطه وأركانه [حسن بصري را پرسيدند كه چه كويى درين خبر كه] «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» قال لمن عرف حدها وأدى حقها:

هركرا از خدا بود تأييد نشود كار او بجز توحيد
ذكر توحيد مايه حالست چون ازان بكذرى همه قالست

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿**إلا عباد الله المخلصين**﴾ استثناء منقطع من ضمير ذائقون وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة إلى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس إلا من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلاً ولكون الاستثناء منقطعاً وإلا بمعنى لكن.

قال في «كشف الأسرار»: تم الكلام هٰهنا أي: عند قوله تعالى: ﴿**إلا ما كنتم تعملون**﴾ والمعنى إنكم لذائقوا العذاب الأليم لكن عباد الله المخلصين لا يذوقونه. والمخلصون بالفتح من أخلصه الله لدينه وطاعته واختاره لجناب حضرته كقوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] أي: اصطفاهم الله تعالى فلهم سلامة من الأزل إلى الأبد. والمخلص بالكسر من أخلص عبادته لله تعالى ولم يشرك بعبادته أحداً كقوله تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾

[النساء: ٤٦]. وحقيقة الفرق بينهم على ما قال بعض العارفين أن الصادق والمخلص بالكسر من باب واحد وهو من تخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً والصديق والمخلص بالفتح من باب واحد وهو من تخلص من شوائب الغيرية أيضاً والثاني أوسع فلكاً وأكثر إحاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق ومخلص بالكسر من غير عكس فرحم الله حفصاً حيث قرأ بالفتح حيثما وقع في القرآن ﴿أولئك﴾ الخ استئناف فكأن سائلاً سأل ما لهؤلاء المخلصين من الأجر والثواب فقيل: أولئك الممتازون عما عداهم بالإضافة والإخلاص ﴿لهم﴾ بمقابلة إخلاصهم في العبودية ﴿رزق﴾ لا يدانيه رزق ولا يحيط به وصف على ما يفيده التنكير والرزق اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله ﴿معلوم﴾ الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال والظاهر أن معناه معلوم وجوداً وقدراً وحسناً ولذة وطيباً ووقتاً بكرة وعشياً أو دواماً كل وقت اشتهوه فإن فيه فراغ الخاطر وإنما يضطرب أهل الدنيا في حق الرزق لكون أرزاقهم غير معلومة لهم كما في الجنة:

تشنكانرا نمايد اندر خواب — همه عالم بچشم چشمه آب

هركرا چشمه شد جدا لب او — كى بماند بآنكه در لب جو

﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فواكه﴾ بدل من رزق جمع فاكهة وهي كل ما يتفكه به أي: يتنعم بأكله من الثمار كلها رطبها ويابسها وتخصيصها بالذكر لأن أرزاق أهل الجنة كلها فواكه أي: ما يأكل بمجرد التلذذ دون الاقتيات وبالفارسية: [قوت كرفتن] لأنهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم على حالة تقتضي البقاء فهي محكمة محفوظة من التحلل المحوج إلى البدل بخلاف خلقة أهل الدنيا فإنها على حالة تقتضي الفناء فهي ضعيفة محتاجة إلى ما يحصل به القوام اللهم إلا خلقة بعض الأفراد المصونة من التحلل والتفسخ دنيا وبرزخاً.

وقال بعضهم: لأن الفواكه من اتباع سائر الأطعمة فذكرها مغن عن ذكرها. يقول الفقير: والظاهر أن الاقتصار على الفواكه للترغيب والتشويق من حيث إنه لا يوجد في أغلب ديار العرب خصوصاً في الحجاز أنواع الفواكه ﴿وهم مكرمون﴾ عنده لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولى الهمم. وقال بعضهم لما فصل خصائص رزقهم بين أن ذلك الرزق يصل إليهم بالتعظيم والإكرام لأن مجرد المطعوم من غير إعزاز وإكرام يليق بالبهائم. ولما ذكر مأكولهم وصف مساكنهم فقال: ﴿في جنات النعيم﴾ النعيم النعمة أي: في جنات ليس فيها إلا النعيم بالإضافة للاختصاص والظرف يقرر محل الرزق والإكرام أو خبر آخر لقول هم مثل قوله: ﴿على سرر﴾ [برتختهاى آراسته] جمع سرير وهو الذي يجلس عليه من السرور إذ كان كذلك لأولي النعمة وسرير الميت يشبه به في الصورة وللتفاؤل بالسرور الذي يلحق بالميت برجوعه إلى الله وخلاصه من السجن المشار إليه بقوله عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن» ويجوز أن يتعلق على سرر بقوله: ﴿متقابلين﴾ أي: حال كونهم متقابلين على سرر وهو حال من الضمير في قوله على سرر والمعنى بالفارسية: [روى در روى يكديكر تابديدار هم شاد وخرم باشند] والتقابل وهو أن ينظر بعضهم وجه بعض أتم للسرور والإنس. وقيل: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم ثم إن استئناس بعضهم برؤية بعض صفة الأبرار فإن

من صفة الأحرار لا يستأنسوا إلا بمولاهم. وسئل يحيى بن معاذ رضي الله عنه هل يقبل الحبيب بوجهه على الحبيب؟ فقال: وهل يصرف الحبيب وجهه عن الحبيب وذلك لكون أحدهما مرآة للآخر فالله تعالى يتجلى للمقربين كل لحظة فيدوم عليهم انسهم الباطن حال كون ظواهرهم مستغرقة في نعيم الجنان، قال الكمال الخجندي:

دولت آن نيست كه يابم دو جهان زير نكين

دولت اينست وسعادت كه ترا يافته ام

ولما ذكر مأكل المخلصين ومسكنهم ذكر بعده صفة شربهم فقال:

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿يطاف عليهم﴾ استئناف مبني على ما نشأ عن حكاية تكامل مجالس أنسهم. والطواف الدوران حول الشيء وكذا الإطافة كما قال في «التهذيب»: [الإطافة: كرد چيزى بركشتن] والمعنى بالفارسية: [كردانيده ميشود برايشان يعني ساقيان بهشت وخادمان برسر ايشان مى كردانند] **﴿بكأس﴾** [جامى تر] أي باناء فيه خمر فإن الكأس يطلق على الزجاجة ما دام فيها خمر وإلا فهو قدح وإناء **﴿من معين﴾** صفة كأس أي: كائنة من شراب معين أي: ظاهر للعين أو من نهر معين أي: جار على وجه أرض الجنة فإن في الجنة أنهاراً جارية من خمر كأنهار جارية من ماء. قال في ا«المفردات»: هو من قولهم معن الماء جرى فهو معين وقيل ماء معين هو من العين والميم زائدة فيه انتهى. وفي الآية إشارة إلى أن قوماً شربوا ومشربهم الشراب بالكأس والشراب معين محسوس وقوماً شربوا ومشربهم الحب والحب مغيب مستور وقوماً شربوا ومشربهم المحبوب هو سر مكنون.

نسيم الحب يحييكم رحيق الحب يلهيكم

من المحبوب تأتيكم إلى المحبوب ينهيكم

﴿بيضاء﴾ لوناً أشد من لون اللبن والخمر البيضاء لم تر في الدنيا ولن ترى وهذا من جملة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. وبيضاء تأنيث أبيض صفة أيضاً لكأس وكذا قوله: **﴿لذة للشاربين﴾** لكل من يشرب منها. ووصفها بلذة إما للمبالغة أي: كأس لذيذة عذبة شهية طيبة صارت في لذتها كأنها نفس اللذة أو لأنها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ وصفها باللذة بياناً لمخالفتها لخمور الدنيا لانقطاع اللذة عن خمور الدنيا كلها رأساً بالكلية **﴿لا فيها غول﴾** بخلاف خمور الدنيا فإن فيها غولاً كالصداع ووجع البطن وذهاب العقل والإثم فهو من قصر المسند إليه على المسند. يعني إن عدم الغول مقصور على الاتصاف بفي إذ خمور الجنة لا تتجاوز الاتصاف بفي كخمور الدنيا وبالفارسية: [نيست دران شراب آفتى وعلتى كه بر خمر دنيا مرتب است چون فساد حال وذهاب عقل وصداع سر وخواب وجزآن] وهي صفة لكأس أيضاً وبطل عمل لا وتكررت لتقدم خبرها. والغول اسم بمعنى الغائلة يطلق على كل أذية ومضرة. قال في «المفردات»: قال تعالى في صفة خمر الجنة **﴿لا فيها غول﴾** نفياً لكل ما نبه عليه بقوله: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] وبقوله: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠] انتهى يقال غاله الشيء إذا أخذه من حيث لم يدر وأهلكه من حيث لا يحس به ومنه سمي السعلاة غولاً بالضم والسعلاة سحرة الجن كما سبق في سورة الحجر. قال في

«بحر العلوم»: ومنه الغول الذي يراه بعض الناس في البوادي ولا يكذبه ولا ينكره إلا المعتزلة من جميع أصناف الناس حتى جعلوه من كذبات العرب مع أنه يشهد بصحته قوله عليه السلام: «إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان» انتهى.

قال ابن الملك عند قوله عليه السلام: «لا عدوى ولا طيرة ولا غول» هو واحد الغيلان وهي نوع من الجن كانت العرب يعتقدون أنه في الفلاة يتصرف في نفسه ويتراءى للناس بألوان مختلفة وأشكال شتى ويضلهم عن الطريق ويهلكهم. فإن قيل ما معنى النفي وقد قال عليه السلام: «إذا تغولت الغيلان» أي: تلونت لوناً بصور شتى «فعليكم بالأذان». أجيب بأنه كان ذلك في الابتداء ثم دفعه الله عن عباده. أو يقال المنفي ليس وجود الغول بل ما يزعمه العرب من تصرفه في نفسه انتهى أي: من تلونه بالصور المختلفة واغتياله أي: إضلاله وإهلاكه والغول يطلق على ما يهلك كما في ا«المفردات»، وفي «المثنوي»:

ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز

أخذ ذكر الحق من الأذان في الحديث وأراد بالغيلان ما يضل السالك أياً كان ﴿ولا هم﴾ أي: المخلصون ﴿عنها﴾ أي: عن خمر الجنة ﴿ينزفون﴾ يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله من السكر وبالكسر من أنزف الرجل إذا سكر وذهب عقله أو نفد شرابه. وفي «المفردات»: نزف الماء نزحه كله من البئر شيئاً بعد شيء ونزف دمه ودمعه أي: نزح كله ومنه قيل سكران نزف أي: نزف فمه بسكره. وقرىء ينزفون أي: بالكسر من قولهم أنزف القوم إذا نزف ماء بئرهم انتهى. ثم إنه أفرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما أنه من معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه. والمعنى لا فيها نوع من أنواع الفساد من مغص أي: وجع في البطن أو صداع أو حمى أو عربدة أي: سوء خلق والمعربد مؤذ نديمه في سكره «قاموس» أي: لا لغو ولا تأثيم ولا هم يسكرون.

وفي «بحر العلوم» وبالجملة ففي خمر الدنيا أنواع من الفساد من السكر وذهاب العقل ووقوع العداوة والبغضاء والصداع والخسارة في الدين والدنيا حتى جعل شاربها كعابد الوثن ومن القيء والبول وكثيراً ما تكون سبباً للقتال والضراب والزنى وقتل النفس بغير حق كما شوهد من أهلها ولا شيء من ذلك كله في خمر الجنة.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قال بعض العرفاء جميع البلاء والارتكابات ليس إلا لكثافتنا فلولا هذه الكثافة لما عرض لنا الأمراض والأوجاع ولم يصدر منا ما يقبح في العقول والأوضاع ألا يرى أنه لا مرض في عالم الآخرة ولا شيء مما يتعلق بالكثافة ولكن معرفة الله تعالى لا تحصل لو لم تكن تلك الكثافة فهي مدار الترقي والتنزل ولذلك لا يكون للملائكة ترق وتدل فهم على خلقتهم وجبلتهم الأصلية ﴿وعندهم﴾ أي: عند المخلصين ﴿قاصرات الطرف﴾ القصر الحبس والمنع وطرف العين جفنه والطرف تحريك الجفن وعبر به عن النظر لأن تحريك الجفن يلازمه النظر.

والمعنى حور قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفاً إلى غيرهم ولا يبغين بهم بدلاً لحسنهم عندهن ولعفتهن كما في بعض التفاسير ﴿**عين**﴾ صفة بعد صفة لموصوف ترك ذكره للعلم به. جمع عيناء بمعنى واسعة العين وأصله فعل بالضم كسرت الفاء لتسلم الياء والمعنى حسان الأعين وعظامها. قال في «المفردات»: يقال للبقر الوحشي عيناء وأعين لحسن عينه وبها شبه الإنسان ﴿**كأنهن**﴾ أي: القاصرات ﴿**بيض**﴾ بفتح الباء جمع بيضة وهو المعروف سمي البيض لبياضه والمراد به هنا بيض النعام يعني: [خايه شتر مرغ] ﴿**مكنون**﴾ ذكر المكنون مع أنه وصف به الجمع فينبغي أن يؤنث اعتباراً للفظ الموصوف ومكنون أي: مستور من كننته أي: جعلته في كن وهو السترة شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان أي: لم تنله الأيدي فإن ما مسته الأيدي يكون متدنساً.

وقال الطبري أولى الأقاويل أن يقال: إن البيض هو الجلدة التي في داخل القشرة قبل أن يمسها شيء لأنه مكنون يعني هو البيض أول ما ينحى عنه قشره.

يقول الفقير أغناه الله القدير: ذكر الله تعالى في هذه الآيات ما كان لذة الجسم ولذة الروح. أما لذة الجسم فالتنعم بالفواكه وأنواع النعم والخمر التي لم يكن عند العرب أحب منها والتمتع بالأزواج الحسان. وأما لذة الروح فالسرور الحاصل من الإكرام والإنس الحاصل من صحبة الإخوان والانبساط الحاصل من النظر إلى وجوه الحسان وفي الحديث: «ثلاث يجلين البصر النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» قال ابن عباس رضي الله عنهما والاثمد عند النوم نسأل الله لقاءه وشهوده ونطلب منه فضله وجوده:

دارم اندك روشنايى در بصر بى جمال او ولى فيه النظر

قال بعض العرفاء: البيضة حلال لطيف ولكن أهل التصوف لا يأكلها لأنها ناقصة وإنما كمالها إذا كانت دجاجة وكذا لا يحصل منها الشبع التام وكذا من مرق العمارة لعدم طهارته فلتكن هذه المسألة نقلاً وفاكهة لأهل الإرادة ومن الله الوصول إلى أسباب السعادة ﴿**فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**﴾ معطوف على يطاف أي: ليشرب عباد الله المخلصون في الجنة فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب في الدنيا فيقبل بعضهم على بعض حال كونهم يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى عليهم ولهم في الدنيا وبالفارسية: [مى پرسند از احوال دنيا وما جراى ايشان بادوست ودشمن] فالتعبير عنهم بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتماً. وفي الآية إشارة إلى أن أهل الجنة هم الذين كانوا ممن لم يقبلوا على الله بالكلية وإن كانوا مؤمنين موحدين وإلا كانوا في مقعد صدق مع المقربين ﴿**قال قائل منهم**﴾ في تضاعيف محاوراتهم وأثناء مكالماتهم ﴿**إني كان لي**﴾ في الدنيا ﴿**قرين**﴾ مصاحب وجليس وبالفارسية: [مرايارى وهمنشينى بود] ﴿**يقول**﴾ لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الإيمان والتصديق بالبعث ﴿**أئنك**﴾ [آياتو] ﴿**لمن المصدقين**﴾ المعتقدين والمقرين بالبعث ﴿**أئذا متنا**﴾ [آيا چون بميريم] ﴿**وكنا ترابا**﴾ [وخاك كرديم] ﴿**وعظاماً**﴾ [واستخوانهاى كهنة] ﴿**أئنا لمدينون**﴾ جمع مدين من الدين بمعنى الجزاء ومنه كما تدين تدان أي: لمبعوثون ومحاسبون ومجزيون أي: لا نبعث ولا نجزي ﴿**قال**﴾ أي: ذلك القائل بعدما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا ﴿**هل أنتم**﴾ [آياشما] ﴿**مطلعون**﴾ [الاطلاع: ديده ور شدن] أي: ناظرون

إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين المكذب بالبعث يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه فقال جلساؤه: أنت أعرف به منا فاطلع أنت ﴿فاطلع﴾ عليه يعني: [فرونكيرد برايشان] ﴿فرآه﴾ أي: قرينه ﴿في سواء الجحيم﴾ في وسط جهنم وبالفارسية: [درميان آتش دوزخ] وسمي وسط الشيء سواء لاستواء المسافة منه إلى جميع الجوانب. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى أهل النار ويناظرونهم» لأن لهم في توبيخ أهل النار لذة وسروراً.

يقول الفقير: لا شك أن الجنة في جانب الأوج والنار في طرف الحضيض فلأهل الجنة النظر إلى النار وأهلها كما ينظر أهل الغرف إلى من دونهم وأما سرورهم لعذابهم مع كونهم مؤمنين رحماء فلأن يوم القيامة يوم ظهور اسم المنتقم والقهار ونحوهما فكما أنهم في الدنيا رحماء بينهم أشداء على الكفار كذلك لا يرحمون الأعداء كما لا يرحمهم الله إذ لو رحمهم لأدخلهم الجنة نسأل الله ثوابه وجنته ﴿قال﴾ أي: القائل مخاطباً لقرينه متشمتاً به حين رآه على صورة قبيحة ﴿تالله إن﴾ أي: إن الشأن ﴿كدت﴾ قاربت وبالفارسية: [بخداى كه نزديك توبودى كه] ﴿لتردين﴾ [مراهلاك كردى وتباه] أي: لتهلكني بالإغواء والردى الهلاك والارداء الإهلاك وأصله ترديني بياء المتكلم فحذفت اكتفاء بالكسرة ﴿ولولا نعمة ربي﴾ بالهداية والعصمة ﴿لكنت من المحضرين﴾ الإحضار لا يستعمل إلا في الشر كما في «كشف الأسرار» أي: من الذين أحضروا العذاب ما أحضرته أنت وأمثالك.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولولا نعمة ربي﴾ حفظه وخصمته وهدايته ﴿لكنت من المحضرين﴾ معكم فيما كنتم فيه من الضلالة في البداية وفيما أنتم فيه من العذاب والبعد في النهاية وإنما أخبر الله تعالى عن هذه الحالة قبل وقوعها ليعلم أن غيبة الأشياء وحضورها عند الله سواء لا يزيد حضورها في علم الله شيئاً ولا ينقص غيبتها من علمه شيئاً سواء في علمه وجودها وعدمها بل كانت المعدومات في علمه موجودة:

برو علم يك ذره پوشيده نيست ... كه پيدا وپنهان بنزدش يكيست

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿أفما نحن بميتين﴾ رجوع إلى محاورة جلسائه بعد إتمام الكلام مع قرينه سروراً بفضل الله العظيم والنعيم المقيم فإن تذكر الخلود في الجنة لذة عظيمة والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام أي: أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي: بمن شأنه الموت ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٣٥] التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] أي: لا نموت في الجنة أبداً سوى موتتنا الأولى في الدنيا ونصبها على المصدر من اسم الفاعل يعني إنه مستثني مفرغ معرب على حسب العوامل منصوب بميتين كما ينصب المصدر بالفعل المذكور قبله في مثل قولك ما ضربت زيداً إلا ضربة واحدة كأنه قيل وما نحن نموت موتة إلا موتتنا الأولى وقيل نصبها على الاستثنا المنقطع بمعنى لكن الموتة الأولى قد كانت في الدنيا. وقيل إلا هنا بمعنى بعد وسوى ﴿وما نحن بمعذبين﴾ كالكفار فإن النجاة من العذاب أيضاً نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها كما أن العذاب محنة عظيمة مستدعية

لتمني الموت كل ساعة. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه «الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده». وفي الآية إشارة إلى أن مات الموتة الأولى وهي الموتة الإرادية عن الصفات النفسانية الحيوانية فقد حيي بحياة روحانية ربانية لا يموت بعدها أبداً بل ينقل المؤمن من دار إلى دار في جوار الحق ولا يعذب بنار الهجران وآفة الحرمان:

هركه فانى شد ازارادت خويش زندكى يافت او زمهجت خويش
از عذاب والم مسلم كشت در جوار خدا منعم كشت

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿إن هذا﴾ أي: الأمر العظيم الذي نحن فيه من النعمة والخلود والأمن من العذاب **﴿لهو الفوز العظيم﴾** الفوز الظفر مع حصول السلامة أي: لهو السعادة والظفر بكل المراد الدنيا وما فيها تحتقر دونه كما تحتقر القطرة من البحر المحيط والحبة من البيدر الكبير **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾** أي: لنيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون ويجتهد المجتهدون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانقطاع المشوبة بفنون الآلام والبلايا والصداع. قال الكاشفي: [ازبراى اين نعمتها پس بايدكه عمل كنند كان نه براى مال وجاه دنياكه برشرف زوال وصدد انتقال است]:

كربار كشى بار نكارى بارى وركار كنى براى يارى بارى
ورروى بخاكراهى خواهى ماليد برخاك ره طرفه سوارى بارى

ويحتمل أن يكون قوله إن هذا الخ من كلام رب العزة فهو ترغيب في طلب ثواب الله بطاعته ويقال فليحتمل المحتملون الأذى لأنه قد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات كما قال جلال الدين الرومي قدس سره:

حفت الجنة بمكروهاتنا حفت النيران من شهواتنا

يعني: جعلت الجنة محفوفة بالأشياء التي كانت مكرهة لنا وجعلت النار محاطة بالأشياء التي محبوبة لنا فما بين المرء وبين الجنة حجاب إلا المكاره وهو حجاب عظيم صعب خرقه وما بين النار وبينه حجاب إلا الشهوات وهو حجاب حقير سهل لأهله والعياذ بالله من الإقبال على الشهوات والإدبار عن الكرامات في الجنات.

قال في «كشف الأسرار»: [پس عارفان سزاتراندكه براميد ديدار جلال احديت ويافت حقائق قربت وتباشير صبح وصلت ديده ديده ودل فرا كنند وجان ورواه درين بشارت نثار كنند] يعني إن هبت نفحة من نفحات الحق من جنات القدس أو شم رائحة من نسيم القرب أو بدت شطبة من الحقائق وتباشير الوصلة حق للعارف أن يقول إن هذا لهو الفوز العظيم وبالحري أن يقول: **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾** بل لمثل هذه الحالة تبذل الأرواح وتفدى الأشباح كما قيل:

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن بات من سلمى على اليأس طاويا

والحاصل: أن لكل من العابدين والعارفين حصة من إشارة هذا في الآية وكان بعض الصلحاء يصلي الضحى مائة ركعة ويقول لهذا خلقنا وبهذا أمرنا يوشك أولياء الله أن يكفوا ويحمدوا أي: على ما آتاهم الله في مقابلة مجاهداتهم وطاعاتهم من الأجر الجزيل والثواب الجميل. وقد ثبت أن كثيراً من الصلحاء تلوا عند النزع قوله تعالى: **﴿لمثل هذا﴾** إلى آخر ما أشير إليه لما شاهده من حيث مقامه فنسأل الله القلب السليم في الدنيا والنعيم المقيم في العقبى ولله تعالى ألطاف لا تحويها الأفكار.

ـ حكي ـ أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى من أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت يا رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله فيقول في الخامسة رضيت يا رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت يا رب قال موسى عليه السلام: فمن أعلاهم منزلة؟ فقال أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر والكل فوز لكن الفوز بالأعلى فوز عظيم ألا ترى أنه لا تستوي الرعية والسلطان في الدنيا فإن كل للرعية عباء فللسلطان قباء وإن كان لهم حجرة فله غرفة وإن كان لهم كسرة خبز فله ألوان نعمة وهكذا فقد تفاوتت الهمم في الدنيا واختلف الأغراض ولذا تفاوت المراتب في العقبى وتباين الأعواض فمن وجد الله تعالى وجد الجنة أيضاً بكل ما فيها ولكن ليس كل من يجد الجنة بأسرها يصل إلى الله تعالى والإنسان به والاحتظاظ بلقائه المستغرق جميع الأوقات وشهوده المستوعب لكل الحالات فكن عالي الهمة فإن علو الهمة من الإيمان وغاية الإيمان الإحسان ونهايته الاستغراق في شهود المنان **﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم﴾** الهمزة للتقرير والمراد حمل الكفار على إقرار مدخولها وذلك إشارة إلى نعيم الجنة. وخير وارد على سبيل التهكم والاستهزاء بهم وانتصاب نزلاً على الحالية وهو ما يهيأ من الطعام الحاضر للنازل أي: الضيف ومنه إنزال الأجناد لأرزاقهم.

والزقوم: اسم شجرة صغيرة الورق مرة كريهة الرائحة تكون بتهامة يعرفها المشركون سميت بها الشجرة الموصوفة بقوله إنها شجرة الخ. وفي «المفردات»: شجرة الزقوم عبارة عن أطعمة كريهة في النار ومنه استعير زقم فلان وتزقم إذا ابتلع شيئاً كريهاً.

والمعنى: أن نعم الجنة والرزق المعلوم للمؤمنين فيها خير طعاماً يعني أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم أي: ثمرها فأيهما خير في كونهما نزلاً وفي ذكره دلالة على أن ما ذكره من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يعد ويرفع للنازل ولهم وراء ذلك ما تقصر عنه الإفهام وكذلك الزقوم لأهل النار ويقال أصل النزل الفضل والزيادة والريع ومنه قولهم العسل ليس من إنزال الأرض أي: من ريعها وما يحصل منه فاستعير للحاصل من الشيء فانتصاب نزلاً على التمييز. والمعنى أذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير حاصلاً أم شجرة الزقوم التي حاصلها الألم والغم **﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾** محنة وعذاباً لهم في الآخرة فإن الفتن في اللغة الإحراق أو ابتلاء في الدنيا حيث فتنوا وضلوا عن الحق بسببه فإن الفاتن قد يطلق على المضل عن الحق فإن الكفار لما سمعوا كون هذه الشجرة في النار فتنوا به في دينهم وتوسلوا به إلى الطعن في القرآن والنبوة والتمادي في الكفر وقالوا:

كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها أقدر على خلق الشجرة في النار وحفظه من الإحراق ﴿**إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم**﴾ أي: تنبت في قعر جهنم فمنبتها في قعرها وأغصانها ترتفع إلى دركاتها ولما كان أصل عنصرها النار لم تحرق بها كسائر الأشجار ألا ترى أن السمك لما تولد في الماء لم يغرق بخلاف ما لم يتولد فيه. ولعله رد على ابن الزبعرى وصناديد قريش وتجهيل لهم حيث قال ابن الزبعرى لهم: إن محمداً يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان البربر الزبد والتمر فأدخلهم أبو جهل بيته وقال: يا جارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال استهزاء تزقموا فهذا ما توعدكم به محمد فقال تعالى: ﴿**إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم**﴾ فليس الزقوم ما فهم هؤلاء الجهلة الضلال ﴿**طلعها**﴾ أي: حملها وثمرها الذي يخرج منها ويطلع مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل. والطلع شيء يخرج من النخل كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود ﴿**كأنه**﴾ [كويا او] ﴿**رؤوس الشياطين**﴾ في تناهي القبح والهول لأن صورة الشيطان أقبح الصور وأكرهها في طباع الناس وعقائدهم ومن ثمة إذا وصفوا شيئاً بغاية القبح والكراهة قالوا: كأنه شيطان وإن لم يروه فتشبيه الطلع برؤوس الشياطين تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك قال تعالى حكاية ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝﴾ [يوسف: ٣١]. وفيه إشارة إلى أن من كان هٰهنا معلوماته في قبح صفات الشياطين يكون هناك مكافأته في قبح صورة الشياطين ﴿**فإنهم**﴾ [بس دوز خيان] ﴿**لآكلون منها**﴾ أي: من الشجرة ومن طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف إليه ﴿**فمالئون منها البطون**﴾ لغلبة الجوع أو للقسر على أكلها وإن كرهوها ليكون ذلك نوعاً آخر من العذاب. وفيه إشارة إلى أنهم كانوا لها في مزرعة الآخرة أعني الدنيا زارعين فما حصدوا إلا ما زرعوا. والمالىء: اسم فاعل من ملأ الإناء ماء يملؤه فهو مالىء ومملوء. والبطون جمع بطن وهو خلاف الظهر في كل شيء ﴿**ثم إن لهم عليها**﴾ أي: على الشجرة التي ملأوا منها بطونهم بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبىء عنه كلمة ثم فتكون للتراخي الزماني ويجوز أن تكون للرتبى من حيث إن كراهة شرابهم وبشاعته لما كانت أشد وأقوى بالنسبة إلى كراهة طعامهم كان شرابهم أبعد من طعامهم من حيث الرتبة فيكونون جامعين بين أكل الطعام الكريه البشيع وشرب شراب الأكره الأبشع ﴿**لشوباً من حميم**﴾ الشوب الخلط والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره أي: شراباً من دم أو قيح أسود أو صديد ممزوجاً مشوباً بماء حار غاية الحرارة يقطع إمعاءهم ﴿**ثم إن مرجعهم**﴾ أي: مصيرهم ﴿**لإلى الجحيم**﴾ أي: إلى درجاتها أو إلى نفسها فإن الزقوم والحميم نزل يقدّم إليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝﴾ [الرحمٰن: ٤٣-٤٤] يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم من الجحيم إلى شجره الزقوم فيأكلون منها إلى أن يتملؤوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون إلى الجحيم كما يرد الإبل عن موارد الماء ويؤيده قراءة ابن مسعود «ثم إن منقلبهم» وفي الحديث: «يا أيها الناس اتقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فلو أن قطرة من الزقوم قطرت لأمرّت على أهل الدنيا معيشتها فكيف بمن هو طعامه وشرابه وليس له طعام غيره» ﴿**إنهم ألفوا آباءهم ضالين**﴾ تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير أن يكون لهم ولآبائهم شيء يتمسك به أصلاً. والإلفاء بالفاء الوجدان وبالفارسية: [يافتن] وضالين مفعول ثان لقوله ألفوا بمعنى وجدوا.

والمعنى: وجدوهم ضالين في نفس الأمر عن الهدى وطلب الحق ليس لهم ما يصلح شبهة فضلاً عن صلاحية الدليل ﴿فهم﴾ أي: الكافرون الظالمون ﴿على آثارهم﴾ أي: آثار الآباء جمع أثر بالفارسية [پى] ﴿يهرعون﴾ يسرعون من غير أن يتدبروا أنهم على الحق أو لا مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل، والإهراع: الإسراع الشديد كأنهم يزعجون ويحثون حثاً على الإسراع على آثارهم ﴿ولقد﴾ جواب قسم أي: وبالله لقد ﴿ضل﴾ [كمراه شد] ﴿قبلهم﴾ أي: قبل قومك قريش ﴿أكثر الأولين﴾ من الأمم السابقة أضلهم إبليس ولم يذكر لأن في الكلام دليلاً فاكتفى بالإشارة ﴿ولقد أرسلنا فيهم﴾ [وبتحقيق ما فرستاديم درميان ايشان] يعني الأكثرين ﴿منذرين﴾ أي: أنبياء أولى عدد كثير ذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبته الوخيمة ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أي: آخر أمر الذين أنذروا من الهول والفظاعة والهلاك لما لم يلتفتوا إلى الإنذار ولم يرفعوا لهم رأساً. والخطاب إما للرسول أو لكل أحد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وسماع أخبارهم وحيث كان المعنى أنهم أهلكوا إهلاكاً فظيعاً استثنى منهم المخلصون بقوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي: الذين أخلصهم الله بتوفيقهم للإيمان والعمل بموجب الإنذار يعني أنهم نجوا مما أهلك به كفار الأمم الماضية.

وفي الآية تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببيان أنه تعالى أرسل قبله رسلاً إلى الأمم الماضية فأنذروهم بسوء عاقبة الكفر والضلال فكذبهم قومهم ولم ينتهوا بالإنذار وأصروا على الكفر والضلال فصبر الرسل على أذاهم واستمروا على دعوتهم إلى الله تعالى فاقتد بهم وما عليك إلا البلاغ ثم إن عاقبة الإصرار الهلاك وغاية الصبر النجاة والفوز بالمراد. فعلى العاقل تصحيح العمل بالإخلاص وتصحيح القلب بالتصفية.

قال الواسطي: مدار العبودية على ستة أشياء: التعظيم والحياء والخوف والرجاء والمحبة والهيبة. فمن ذكر التعظيم يهيج الإخلاص. ومن ذكر الحياء يكون العبد على خطرات قلبه حافظاً. ومن ذكر الخوف يتوب العبد من الذنوب ويأمن من المهالك. ومن ذكر الرجاء يسارع إلى الطاعات. ومن ذكر المحبة يصفو له الأعمال. ومن ذكر الهيبة يدع التملك والاختيار ويكون تابعاً في إرادته لإرادة الله تعالى ولا يقول إلا سمعنا وأطعنا.

وقد صح أن ذا القرنين لما دخل الظلمات قال لعسكره ليرفع كل منكم من الأحجار التي تحت أقدام الافراس فإنها جواهر فمن رفع بلغ نهاية الغنى ومن خالف وأنكر ندم وبقي في التحسر أبداً:

كاشكى بهر امتحان بارى — كردمى نان ذخيره مقدارى
تا كنون نقد وقت من كشتى — وقتم اينسان بمقت نكذشتى
كاشكى كزكهر بكردم بار — برسكندر نكردمى انكار
تانيفتادمى ازان تقصير — در حجاب وخجالت وتشوير
آين بود حال كافر ومسلم — كاو درين تنك موطن ومظلم
چون رشيد ازخدا كتاب ورسول — آن برد پيش رفت اين بقبول
نزدند از سر فساد وغلو — كافران جز در عناد وعتو
مؤمنان كرده در پيمبر روى — هم سمعنا وهم أطعنا كوى
شد بلايا نهايت انكار — شد عطايا نهايت اقرار

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾

ومن الله التوفيق بطريق التحقيق.

﴿**ولقد نادينا نوح**﴾ نوع تفصيل لحسن عاقبة المنذرين بالكسر وسوء خاتمة المنذرين بالفتح. والنداء الدعاء بقرينة فلنعم المجيبون. والمعنى وبالله لقد دعانا نوح وهو أول المرسلين حين يئس من إيمان قومه بعدما دعاهم إليه أحقاباً ودهوراً فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً ونفوراً فأجبناه أحسن الإجابة حيث أوصلناه إلى مراده من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون ﴿**فلنعم المجيبون**﴾ أي: فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ﴿**ونجيناه**﴾ [التنجية: نجات دادن] ﴿**وأهله**﴾ [وكسان او] ﴿**من الكرب العظيم**﴾ [ازاندوه بزرك] أي: من الغرق أو من أذى قومه دهراً طويلاً. والكرب الغم الشديد والكربة كالغمة وأصل ذلك من كرب الأرض وهو قلبها بالحفر فالغم يثير النفس إثارة ذلك ويصح أن يكون الكرب من كربت الشمس إذا دنت للمغيب ﴿**وجعلنا ذريته**﴾ نسله ﴿**هم**﴾ فحسب ﴿**الباقين**﴾ حيث أهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً. وقد روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير أبنائه وأزواجهم وهم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة. قال قتادة: إنهم كلهم من ذرية نوح وكان له ثلاثة أولاد: سام وحام ويافث. فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى. وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب والسند والهند والنوبة والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم. ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك.

قال في «كشف الأسرار»: [أصحاب التورايخ كفتند فرزاندن يافث هفت بودند نامهاى ايشان ترك وخزر وصقلاب وتاريس ومنسلك وكمارى وصين ومسكن ايشان ميان مشرق ومهب شمال بود وهرچه ازين جنس مردم اند از فرزندان اين هفت برادرانند وهمچنين فرزندان حام بن نوح هفت بودند نامهاى ايشان سند وهند وزنج وقبط وحبش ونوب وكنعان ومسكن ايشان ميان چنوب ودبور وصبابود وجنس سياهان همه ازفرزندان اين هفت برادرانند اما فرزندان سام ميكويند پنج بودند وقومى ميكويندكه هفت بودندارم وارفخشد وعالم ويفر واسود وتارخ وتورخ ارم پدرعاد وثمود بودار فحشد بدر عرب بود از ايشان فالغ وقحطان بود فالغ جد ابراهيم عليه السلام قحطان ابو اليمن بود وعالم بدر خراسان واسود پدر فارس ويفر پدر روم بود وتورخ پدر ارمين بود صاحب ارمينيه وتارخ پدر كرمان بود وابن ديار واقطاع همه بنام ايشان باز ميخوانند وبعد ازنوع خليفه وى سام بود برسر فرزندان نوح فرمانده بود وكارساز ومسكن وى زمين عراق بود وايران شهر] وقيل يشتوا بأرض خوخى ويصيف بالموصل [ونوح راپسرچهارمين بودنام او يام] وهو الغريق ولم يكن له عقب ﴿**وتركنا عليه**﴾ أبقينا على نوح ﴿**في الآخرين**﴾ من الأمم وبالفارسية: [درميان پسينيان] ﴿**سلام على نوح**﴾ أي: هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة أنزلناها فلم ينتصب السلام لأن الحكاية لا تزال عن وجهها. والمعنى يسلمون عليه تسليماً ويدعون له على الدوام أمة بعد أمة ﴿في

العالمين﴾ بدل من قوله في الآخرين لكونه أدل منه على الشمول والاستغراق لدخول الملائكة والثقلين فيه. والمراد الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها أبداً في العالمين من الملائكة والثقلين جميعاً.

وفي «تفسير القرطبي» جاءت الحية والعقرب لدخول السفينة فقال نوح: لا أحملكما لأنكما سبب الضر والبلاء فقالا: احملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما **﴿سلام على نوح في العالمين﴾** لم يضراه ذكره القشيري.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بهذا إلى أن المستحق لسلام الله هو نوح روح الإنسان لأنه ما جاء أن الله سلم على شيء من العالمين غير الإنسان كما قال تعالى ليلة المعراج: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» فقال عليه السلام: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» وما قال وعلى ملائكتك المقربين. وإنما كان اختصاص الإنسان بسلام من بين العالمين لأنه حامل الأمانة الثقيلة التي أعرض عنها غيره فكان أحوج شيء إلى سلام الله ليعبر بالأمانة على الصراط المستقيم الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف ولهذا قال النبي عليه السلام: «تكون دعوة الرسل حينئذٍ رب سلم سلم» وهل سمعت أن يكون لغير الإنسان العبور على الصراط وإنما اختصوا بالعبور على الصراط لأنهم يؤدون الأمانة إلى أهلها وهو الله تعالى فلا بد من العبور على صراط الله الموصل إليه لأداء الأمانة **﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾** الكاف متعلقة بما بعدها أي: مثل ذلك الجزاء الكامل من إجابة الدعاء وإبقاء الذرية والذكر الجميل وتسليم العالمين أبداً نجزي الكاملين في الإحسان لا جزاء أدنى منه فهو تعليل لما فعل بنوح من الكرامات السنية بأنه مجازاة له على إحسانه **﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾** تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال إيمانه. وفيه إظهار لجلالة قدر الإيمان وأصالة أمره وترغيب في تحصيله والثبات عليه. وفي «كشف الأسرار»: خص الإيمان بالذكر والنبوة أشرف منه بياناً لشرف المؤمنين لا لشرف نوح كما يقال إن محمداً عليه السلام من بني هاشم. قال عباس بن عطاء أدنى منازل المرسلين أعلى مراتب النبيين وأدنى مراتب النبيين أعلى مراتب الصديقين وأدنى مراتب الصديقين أعلى مراتب المؤمنين **﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾** أي: المغايرين لنوح وأهله وهم كفار قومه أجمعين [والإغراق: غرقه كردن يعني آنكه ديكرانرا بآب كشتيم] وهو عطف على نجيناه. وثم لما بين الإنجاء والإغراق من التفاوت وكذا إذا كان عطفاً على تركنا وليس للتراخي لأن كلاً من الإنجاء والإبقاء إنما هو بعد الإغراق دون العكس كما يقتضيه التراخي **﴿وإن من شيعته﴾** أي: ممن شايع نوحاً وتابعه في أصول الدين **﴿لإبراهيم﴾** وإن اختلفت فروع شريعتيهما ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي أو أكثري. وعن ابن عباس رضي الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته أو ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الأنبياء هود وصالح وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة. وفي بعض التفاسير أن الضمير عائد إلى حضرة صاحب الرسالة ﷺ وإن كان غير مذكور فإبراهيم وإن كان سابقاً في الصورة لكنه متابع لرسول الله في الحقيقة ولذا اعترف بفضله ومدح دينه ودعا فيه حيث قال: **﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾** [البقرة: ١٢٩] الآية:

پيش آمدند بسى انبيا وتو كر آخر آمدى همه را پيشوا تويى
خوان خليل هست نمكدان خوان تو برخوان اصطفا نمك انبيا تويى

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إذ جاء ربه﴾ منصوب باذكر ﴿بقلب سليم﴾ الباء للتعدية أي: بقلب سليم من آفات القلوب بل من علاقة من دون الله مما يتعلق بالكونين ومعنى مجيئه به ربه إخلاصه له كأنه جاء به متحضناً إياه بطريق التمثيل وإلا فليس القلب مما ينقل من مكان إلى مكان حتى يجاء به ﴿إذ قال﴾ الخ بدل من إذ الأولى ﴿لأبيه﴾ آزر بن باعر بن ناحور بن فالغ بن سالح بن ارفخشد بن سام بن نوح ﴿وقومه﴾ وكانوا عبدة الأصنام ﴿ماذا تعبدون﴾ استفهام إنكاري وتوبيخ أي: أي شيء تعبدون ﴿أإفكا آلهة دون الله تريدون﴾ الإفك أسوء الكذب أي: أتريدون آلهة من دون الله إفكاً أي: للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لأن الأهم مكافحتهم بأنهم على أفك آلهتهم وباطل شركهم ﴿فما ظنكم﴾ أي: أي شيء ظنكم فما مبتدأ خبره ظنكم ﴿برب العالمين﴾ إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أن يغفل عنكم أو لا يؤاخذكم بما كسبت أيديكم أي: لا ظن فكيف القطع. قال في «كشف الأسرار»: [دردل ابراهيم بود كه بتان ايشان را كيدى سازد تا حجت برايشان الزام كنند وآشكارا نمايد كه ايشان مبعودى را نشايند روزى پدر وياران وى كفتندكه أي إبراهيم بيا تا بصحرا بيرون شويم وبعيد كاه ما برويم] ﴿فنظر﴾ ابراهيم ﴿نظرة في النجوم﴾ جمع نجم وهو الكوكب الطالع أي: في علمها وحسابها إذ لو نظر إلى النجوم أنفسها لقال إلى النجوم وكان القوم يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه واعتل في التخلف عن عيدهم أي: عن الخروج معهم إلى معبدهم ﴿فقال إني سقيم﴾. قال في «المفردات»: السقم والسقم المرض المختص بالبدن والمرض قد يكون في البدن وفي النفس. وقوله: ﴿إني سقيم﴾ فمن التعريض والإشارة به إما إلى ماض وإما إلى مستقبل وإما إلى قليل مما هو موجود في الحال إذ كان الإنسان لا ينفك من خلل يعتريه وإن كان لا يحس به ويقال مكان سقيم إذا كان فيه خوف انتهى. وقال ابن عطاء: إني سقيم من مخالفتكم وعبادتكم الأصنام أو بصدد الموت فإن من في عنقه الموت سقيم وقد فوجىء رجل فاجتمع عليه الناس وقالوا: مات وهو صحيح فقال أعرابي: أصحيح من الموت في عنقه وأياً ما كان فلم يقل إلا على تأويل فإن العارف لا يقع في انهتاك الحرمة أبداً وكان ذلك من إبراهيم لذب عن دينه وتوسل إلى إلزام قومه.

قال عز الدين بن عبد السلام: الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام فإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً. وواجب إن كان ذلك المقصود واجباً فهذا ضابطه. وفي «الأسئلة المقحمة»: ومن الناس من يجوّز الكذب في الحروب لأجل المكيدة والخداع وإرضاء الزوجة والإصلاح بين المتهاجرين والصحيح أن ذلك لا يجوز أيضاً في هذه المواضع لأن الكذب في نفسه قبيح والقبيح في نفسه لا يصير حسناً باختلاف الصور والأحوال وإنما يجوز في هذه المواضع بتأويل وتعريض لا بطريق التصريح. ومثاله يقول

الرجل لزوجته: إذا كان لا يحبها كيف لا أحبك وأنت حلالي وزوجتي وقد صحبتك وأمثال هذه فأما إذا قال صريحاً بأني أحبك وهو يبغضها فيكون كذباً محضاً ولا رخصة فيه. مثاله كان رسول الله ﷺ إذا أراد النهضة نحو يمينه كان يسأل عن منازل اليسار ليشبه على العدو من أي: جانب يأتيه وأما إذا كان يقصد جانباً ويقول أمضي إلى جانب آخر فهذه من قبيلها انتهى.

وكان القوم يتطيرون من المريض فلما سمعوا من إبراهيم ذلك هربوا منه إلى معبدهم وتركوه في بيت الأصنام فريداً ليس معه أحد وذلك قوله تعالى: ﴿فتولوا عنه﴾ فأعرضوا وتفرقوا عن إبراهيم ﴿مدبرين﴾ هاربين مخافة العدوى أي: السراية. وقال بعضهم: إن المراد بالسقم هو الطاعون وكان أغلب الأسقام وكانوا يخافون العدوى. يقول الفقير: المشهور إن الطاعون قد فشا في بني إسرائيل ولم يكن قبلهم إلا على رواية كما قال عليه السلام: «الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم» ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ أي: ذهب إليها في خفية وأصله الميل بحيلة من روغة الثعلب وهو ذهابه في خفية وحيلة. قال في «القاموس»: راغ الرجل والثعلب روغاً وروغاناً مال وحاد عن الشيء. وفي «تاج المصادر»: [الروغ والروغان: روباهى كردن] [والروغ: پنهان سوى چيزى شدن]. وفي «التهذيب» [الروغ والروغان: دستان كردن] ﴿فقال﴾ للأصنام استهزاء [چون ديد ايشانرا آراسته وخوانهاى طعام درپيش ايشان نهاده] ﴿ألا تأكلون﴾ [آيا نمى خوريد ازين طعامها] وكانوا يضعون الطعام عند الأصنام لتحصل له البركة بسببها ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ أي: ما تصنعون غير ناطقين بجوابي وبالفارسية: [چيست شمارا كه سخن نمى كوييد ومرا جوابى ندهيد] ﴿فراغ عليهم﴾ فمال مستعلياً عليهم حال كونه يضربهم ﴿ضرباً باليمين﴾ أو حال كونه ضارباً باليمين فالمصدر بمعنى الفاعل أي: ضرباً شديداً قوياً وذلك لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقوة الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته. وقيل: بالقوة والمتانة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لأنه يقوي الكلام ويؤكده. وقيل بسبب الحلف وهو قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧] فلما رجعوا من عيدهم إلى بيت الأصنام وجدوها مكسورة يعني: [پاره پاره كشته] فسألوا عن الفاعل فظنوا أن إبراهيم عليه السلام فعله فقيل فائتوا به ﴿فأقبلوا﴾ أي: توجه المأمورون بإحضاره ﴿إليه﴾ إلى إبراهيم. قال ابن الشيخ: إليه يجوز أن يتعلق بما قبله وبما بعده ﴿يزفون﴾ حال من واو أقبلوا أي: يسرعون من زفيف النعام وهو ابتداء عدوها. قال في «المفردات»: أصل الزفيف في هبوب الريح وسرعة النعامة التي تخلط الطيران بالمشي وزفزف النعام إذا أسرع ومنه استعير زف العروس استعارة ما تقتضي السرعة لا لأجل مشيها ولكن للذهاب بها على خفة من السرور ﴿قال﴾ أي: بعدما أتوا به وجرى بينهم وبينه من المحاورات ما نطق به قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء: ٦٢] إلى قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥] ﴿أتعبدون﴾ همزة الاستفهام للإنكار ﴿ما تنحتون﴾ ما تنحتونه من الأصنام فما موصولة. والنحت نحت الشجر والخشب ونحوهما من الأجسام وبالفارسية: [تراشيدن يعني آيامى پرستيد آنچه مى تراشيد از سنك وچوب بدست خود] ﴿والله خلقكم﴾ حال من فاعل تعبدون مؤكدة للإنكار والتوبيخ أي: والحال أنه تعالى خلقكم والخالق هو الحقيق بالعبادة دون المخلوق ﴿وما تعملون﴾ أي: وخلق ما تعملونه من الأصنام وغيرها فإن جواهر أصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وإن كان بفعلهم لكنه بأقدار الله تعالى إياهم

عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والأسباب فلم يلزم أن يكون الشيء مخلوقاً لله تعالى ومعمولاً لهم وظهر من فحوى الآية أن الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للعباد حسبما قالته أهل السنة والجماعة وبالاكتساب يتعلق الثواب والعقاب.

قال المولى الجامي:

فعل ماخواه زشت وخواه نكو ... يك بيك هست آفريده او
نيك وبد كرچه مقتضاى قضاست ... اين خلاف رضا وآن برضاست

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿قالوا﴾ [كفت نمرود وخواص او]. وقال السهيلي في «التعريف»: قائل هذه المقالة لهم فيما ذكر الطبري اسمه الهيزن رجل من أعراب فارس وهم الترك وهو الذي جاء في الحديث «بينا رجل يمشي في حلة يتبختر فيها فخسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» **﴿ابنوا له بنياناً﴾** [بنا كنيد براى سوختن ابراهيم بنايى واز هيزم پرساخته آتش دران زنيد].

- روي - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: بنوا حائطاً من حجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملأوه حطباً وأشعلوه ناراً وطرحوه فيها كما قال: **﴿فألقوه في الجحيم﴾** في النار الشديدة الإيقاد وبالفارسية: [پس طرح كنيد ودر افكنيد اورا در آتش سوزان] من الجحمة وهي شدة التأجج والالتهاب واللام عوض عن المضاف إليه أي: ذلك البنيان **﴿فأرادوا به كيداً﴾** أي: شراً وهو أن يحرقوه بالنار عليه السلام لما قهر لهم بالحجة وألقمهم الحجر قصداً أن يكيدوا به ويحتالوا لإهلاكه كما كاد أصنامهم بكسره إياهم لئلا يظهر للعامة عجزهم والكيد ضرب من الاحتيال كما في «المفردات» **﴿فجعلناهم الأسفلين﴾** الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيراً على علو شأنه عليه السلام بجعل النار عليه برداً وسلاماً على ما سبق تفصيل القصة في سورة الأنبياء. فإن قلت لم ابتلاه تعالى بالنار في نفسه؟ قلت: لأن كل إنسان يخاف بالطبع من ظهور صفة القهر كما قيل لموسى عليه السلام ﴿وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١] فأراه تعالى أن النار لا تضر شيئاً إلا بإذن الله تعالى وإن ظهرت بصورة القهر وصفته وكذلك أظهر الجمع بين المتضادين بجعلها برداً وسلاماً. وفيه معجزة قاهرة لأعدائه فإنهم كانوا يعبدون النار والشمس والنجوم ويعتقدون وصف الربوبية لها فأراهم الحق تعالى أنها لا تضر إلا بإذن الله تعالى. وقد ورد في الخبر «أن النمرود لما شاهد النار كانت على إبراهيم برداً وسلاماً قال: إن ربك لعظيم نتقرب إليه بقرابين فذبح تقرباً إليه آلافاً كثيرة فلم ينفعه لإصراره على اعتقاده وعمله وسوء» حاله، قال المولى الجامي:

يافت ناكاه آن حكيمك راه ... پيش جمعى زاو لياء الله
فصل دى بود ومنقلى آتش ... شعله ميزد ميان ايشان خوش
شد بتقريب آتش ومنقل ... از خليلى برى زنقص وخلل
ذكر آن قصه كهن بتمام ... كه برونار كشت برد وسلام

آن حكيمك زجهل واستكبار كفت بالطبع محرق آمدنار
آنچه بالطبع محرقست كجا كردد از مقتضاى طبع جدا
يكى از حاضران زغيرت دين كفت هين دامنت بيار وببين
منقل آتشش بدامان ريخت آتش خجلتش زجان آنكيخت
كفت دركن ميان آتش دست هيچ كرمى ببين در آتش هست
چون نه دستش بسوخت نى دامن شدازان جهل او برو روشن
طبع راهم مسخر حق ديد حانش ازتيركى عقل رهيد
اكر آن علم او يقين بودى قصه اوكى اينچنين بودى
علم كامد يقين زبيم زوال بيقين ايمن است درهمه حال

﴿وقال﴾ إبراهيم بعدما أنجاه الله تعالى من النار قاله لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخاً لهم أو لمن هاجر معه من أهله فيكون ذلك ترغيباً لهم ﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ أي: مهاجر من أرض حرّان أو من بابل أو قرية بين البصرة والكوفة يقال لها من مزبحره إلى حيث أمرني ربي وهو الشام أو إلى حيث أتجرد فيه لعبادته تعالى أي: موضع كان فإن الذهاب إلى ذات الرب محال إذ ليس في جهة. وفي «بحر العلوم»: ولعله أمره الله تعالى بأن يهجر دار الكفر ويذهب إلى موضع يقدر على زيارة الصخرة التي هي قبلته وعلى عمارة المسجد الحرام أو هي القرية التي دفن فيها كما أمر نبينا بالهجرة من مكة إلى المدينة.

وفي بعض التواريخ: دفن إبراهيم بأرض فلسطين وهي بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين المهملة البلاد التي بين الشام وأرض مصر منها الرملة وغزة وعسقلان وغيرها ﴿سيهدين﴾ إلى مقصدي الذي أردت وهو الشام أو إلى موضع يكون فيه صلاح ديني وبت القول بذلك لسبق الوعد أو للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى حيث قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢] ولذلك أتى بصيغة التوقع. وهذه الآية أصل في الهجرة من ديار الكفر إلى أرض يتمكن فيها من إقامة وظائف الدين والطاعة وأول من فعل ذلك إبراهيم هاجر مع لوط وصار إلى الأرض المقدسة. قال في «كشف الأسرار»: [برذوق أهل معرفت ﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ اشارتست بانقطاع بنده ومعنى انقطاع باحق بريدنست در بدايت بجهد ودر نهايت بكل بدايت تن درسعى وزبان در ذكر وعمر در جهد ونهايت باخلق عاريت وباخود بيكانه واز تعلق آسوده]:

وصل ميسر نشود جز بقطع قطع نخست از همه بريدنست

فمن بقي له في القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت لم ينفتح له باب العلم بالله من حيث المشاهدة ولم يدخل عالم الحقيقة. واسطى [كفت خليل از خلق بحق مى شد وحبيب ازحق بخلق مى آمد اوكه از خلق بحق پثود حق را بدليل شناسد واوكه ازحق بخلق آيد دليل را بحق شناسد].

ـ روي ـ أن إبراهيم عليه السلام لما جعل الله النار عليه برداً وسلاماً وأهلك عدوه النمرود وتزوج بسارة وكانت أحسن النساء وجهاً وكانت تشبه حواء في حسنها عزم الانتقال من أرض بابل إلى الشام [پس روى مبارك بشام نهاد ودران راه هاجر بدست ساره خاتون افتاد وآنرا بإبراهيم بخشيد وچون ملك يمين وى شد دعا كرده كه] ﴿رب﴾ [اى پرودكار من] ﴿هب لي

من الصالحين﴾ المراد ولد كامل الصلاح عظيم الشأن فيه أي: بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لأن لفظ الهبة على الإطلاق خاص به وإن كان قد ورد مقيداً بالأخ في قوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥٣] ولقوله تعالى: **﴿فبشرناه بغلام حليم﴾** فإنه صريح في أن المبشر به غير ما استوهبه عليه السلام. والغلام الطارّ الشارب والكهل ضد أو من حين يولد إلى أن يشيب كما في «القاموس».

وقال بعض أهل اللغة: الغلام من جاوز العشر وأما من دونها فصبي والحليم من لا يعجل في الأمور ويتحمل المشاق ولا يضطرب عند إصابة المكروه ولا يحركه الغضب بسهولة. والمعنى بالفارسية: [پس مژده داديم اورا بفرزندى بردبار يعني چون ببلوغ رسد حليم بود] ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة إنه غلام وإنه يبلغ أوان الحلم فإن الصبي لا يوصف بالحلم وإنه يكون حليماً أي: حلم يعادل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فاستسلم. قال الكاشفي: [پس خداى تعالى إسماعيل را ازهاجر بوى ارزانى داشت وبحكم سبحانه از زمين شام هاجر يسر آورده را بمكة برد وإسماعيل آنجا نشو ونمايافت] **﴿فلما بلغ﴾** الغلام **﴿معه﴾** مع إبراهيم **﴿السعي﴾** الفاء فصيحة معربة عن مقدر أي: فوهبنا له فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه في أشغاله وحوائجه ومصالحه ومعه متعلق بالسعي وجاز لأنه ظرف فيكفيه رائحة من الفعل لا يبلغ لاقتضائه بلوغهما معاً حد السعي ولم يكن معاً كذا في «بحر العلوم». وتخصيصه لأن الأدب أكمل في الرفق والاستصلاح فلا نستسعيه قبل أوانه لأنه استوهبه لذلك وكان له يومئذٍ ثلاث عشرة سنة **﴿قال﴾** إبراهيم: **﴿يا بني﴾** [اى پسرك من تصغير شفقت است]**﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾** قرباناً لله تعالى أي: أرى هذه الصورة بعينها أو ما هذه عبارته وتأويله. وقيل: إنه رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله تعالى هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى فمن ثمة سمي يوم عرفة ثم رأى في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر **﴿فانظر ماذا﴾** منصوب بقوله: **﴿ترى﴾** من الرأي فيما ألقيت إليك وبالفارسية: [پس در نكر درين كارچه چيزى بيني رأى تو چه تقاضا ميكند] فإنما يسأله عما يبديه قلبه ورأيه أي: شيء هل هو الإمضاء أو التوقف فقوله ترى من الرأي الذي يخطر بالبال لا من رؤية العين وأنما شاوره فيه وهو أمر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فتثبت قدمه إن جزع ويأمن إن سلم ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وتكون سنة في المشاورة. فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك **﴿قال يا أبت افعل﴾** [كفت اى پدربكن] **﴿ما تؤمر﴾** [آنچه فرموده شدى بدان] أي: ما تؤمر به فحذف الجار أولاً على القاعدة المطردة ثم حذف العائد إلى الموصول بعد انقلابه منصوباً بإيصاله إلى الفعل أو حذفاً دفعة أو افعل أمرك إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمراً وصيغة المضارع حيث لم يقل ما أمرت للدلالة على أن الأمر متعلق به متوجه إليه مستمر إلى حين الامتثال به ولعله فهم من كلامه أنه رأى ذبحه مأموراً به ولذا قال: ما تؤمر وعلم أن رؤيا الأنبياء حق وإن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بأمر. وإنما أمر به في المنام دون اليقظة مع أن غالب وحي الأنبياء أن يكون في اليقظة ليكون مبادرتهما إلى الامتثال أدل على كمال الإنقياد والإخلاص. قالوا: رؤيا الأنبياء حق من قبيل الوحي فإنه يأتيهم

الوحي من الله إيقاظاً إلا لا تنام قلوبهم أبداً ولأنه لطهارة نفوسهم ليس للشيطان عليهم سبيل. وفي «أسئلة الحكم» لم أمر الله تعالى إبراهيم بذبح ولده في المنام ورؤيا الأنبياء حق وقتل الإنسان بغير حق من أعظم الكبائر. قيل: أمره في المنام دون اليقظة لأنه ليس شيء أبغض إلى الله من قتل المؤمن ﴿**ستجدني**﴾ [زود باشدكه يابى مرا] ثم استعان بالله في الصبر على بلائه حيث استثنى فقال: ﴿**إن شاء الله**﴾ ومن أسند المشيئة إلى الله تعالى والتجأ إليه لم يعطب ﴿**من الصابرين**﴾ على الذبح أو على قضاء الله تعالى قال: الذبيح من الصابرين أدخل نفسه في عداد الصابرين فرق عليه وموسى عليه السلام تفرق بنفسه حيث قال للخضر: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩] فخرج والتفويض أسلم من التفرد وأوفق لتحصيل المرام ولما كان إسماعيل في مقام التسليم والتفويض إلى الله تعالى وقف وصبر ولما كان موسى في صورة المتعلم ومن شأن المتعلم أن يتعرض لأستاذه بالاعتراض فيما لم يفهمه خرج ولم يصبر. وقال بعضهم: ظاهر موسى تعرض وباطنه تسليم أيضاً لأنه إنما اعترض على الخضر بغيرة الشرع ﴿**فلما أسلما**﴾ أي: استسلم إبراهيم وابنه لأمر الله وانقادا وخضعا له وبالفارسية: [پس هنكام كه كردن نهادند خدايرا] يقال: سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد قرىء بهن جميعاً وأصلها من قولك سلم هذا لفلان إذا خلص له ومعناه سلم أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه ومعناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله تعالى. وعن قتادة في أسلما أسلم إبراهيم ابنه وإسماعيل نفسه ﴿**وتله للجبين**﴾. قال في «القاموس»: تله صرعه وألقاه على عنقه وخده. والجبين أحد جانبي الجبهة فللوجه فوق الصدغ جبينان عن يمين الجبهة وشمالها. قال الراغب: أصل التل المكان المرتفع والتليل العنق وتله للجبين أسقطه على التل أو على تليله. وقال غيره صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض لمباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمٰن ويحزنا الشيطان وكان ذلك عند الصخرة من منى أو في الموضع المشرف على مسجد منى أو في المنحر الذي ينحر فيه اليوم.

ـ وروي ـ أن إبليس عرض لإبراهيم عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى إبراهيم لأمر الله تعالى وعزم على الذبح ومنه شرع رمي الجمرات في الحج فهو من واجبات الحج يجب بتركه الفدية باتفاق الأئمة.

قال في «التأويلات النجمية»: ومن دقة النظر في رعاية آداب العبودية في حفظ حق الربوبية في القصة أن إسماعيل أمر أباه أن يشد يديه ورجليه لئلا يضطرب إذا مسه ألم الذبح فيعاتب ثم لما هم بذبحه قال: افتح القيد عني فإني أخشى أن أعاتب فيقال لي أمشدود اليد حبيبي يطيعني:

ولو بيد الحبيب سقيت سماً ... لكان السم من يده يطيب

وقد قيل ضرب الحبيب يطيب:

ازدست تومشت بردهان خوردن ... خوشتركه بدست خويش نان خوردن

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ

﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وناديناه أن﴾ مفسرة لمفعول ناديناه المقدر أي: ناديناه بلفظ هو قولنا ﴿يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ بالعزم على الإتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وبالفارسية: [بدرستى كه راست كردى خوابى كه ديده بودى].

وفي «شرح الفصوص» للمولى الجامي أي: حققت الصورة المرئية وجعلتها صادقة مطابقة للصورة الحسية الخارجية بالإقدام على الذبح والتعرض لمقدماته وقد قيل إنه أمرّ السكين بقوته على حلقه مراراً فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين.

آن تـوكـل تـو خـلـيـلانـه تـرا تـا نـبـرد تـيـغـت اسـمـاعـيـل را

فعند ذلك وقع النداء. وفي الخبر سأل نبينا عليه السلام جبريل: هل أصابك مشقة وتعب في نزولك من السماء قال: نعم في أربعة مواضع:

الأول: حين ألقي إبراهيم في النار كنت تحت العرش قال الله تعالى: أدرك عبدي فأدركته وقلت له: هل لك من حاجة فقال: أما إليك فلا.

والثاني: حين وضع إبراهيم السكين على حلق إسماعيل كنت تحت العرش قال الله تعالى: أدرك عبدي فأدركته طرفة عين فقلبت السكين.

والثالث: حين شجك الكفار وكسروا رباعيتك يوم أحد قال الله تعالى: أدرك دم حبيبي فإنه لو سقط من دمه على الأرض قطرة ما أخرجت منها نباتاً ولا شجراً فقبضت دمك بكفي ثم رميته في الهواء.

والرابع: حين ألقي يوسف في الجب قال الله تعالى: أدرك عبدي فأدركته قبل أن وصل إلى قعر الجب وأخرجت حجراً من أسفل البئر فأجلسته عليه.

وجواب لما محذوف إيذاناً بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل: كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من رفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق أحد لمثله وإظهار فضلهما بذلك على العالمين مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك.

قال بعض العارفين: الإنسان مجبول على حب الولد فاقتضت غيرة الخلة ومقام المحبة أن يقطع علاقة القلب عن غيره فأمر بذبح ولده امتحاناً واختباراً له ببذل أحب الأشياء في سبيل الله من غير توقف وإشعاراً للملائكة بأنه خليل الله لا يسعه غير الحق فليس المبتغى منه تحصيل الذبح إنما هو إخلاء السر عنه وترك عادة الطبع.

وقال المولى الجامي: غلبت عليه محبة الحق حتى تبرأ من أبيه في الحق ومن قومه وتصدى لذبح ابنه في سبيل الله وخرج عن جميع ماله مع كثرته المشهورة لله تعالى.

ـ ورد ـ في الخبر: أنه كان له خمسة آلاف قطيع من الغنم فتعجب الملائكة من كثرة ماله مع خلته العظيمة عند الله فخرج يوماً خلف غنمه وكلاب قطائع الأغنام عليها أطواق الذهب فطلع ملك في صورة آدمي على شرف الوادي فسبح قائلاً: سبوح قدوس رب الملائكة والروح فلما سمع الخليل تسبيح حبيبه أعجبه وشوّقه نحو لقائه فقال: يا إنسان كرر ذكر ربي فلك

نصف مالي فسبح بالتسبيح المذكور فقال: كرر تسبيح خالقي فلك جميع أموالي مما ترى من الأغنام والغلمان وكانوا خمسة آلاف غلام فأنصفت الملائكة وسلمت بخلته كما سلمت بخلافة آدم وهذا من جملة الأسرار التي جعل بها أباً ثانياً لنا.

يقول الفقير أغناه الله القدير: سمعت من شيخي قدس سره إنه قال: إن إبراهيم له الإحراز بجميع مراتب التوحيد من الأفعال والصفات والذات وذلك لأن الحجب الكلية ثلاثة هي المال والولد والبدن فتوحيد الأفعال إنما يحصل بالفناء عن المال وتوحيد الصفات بالفناء عن الولد وتوحيد الذات بالفناء عن الجسم والروح فتلك الحجب على الترتيب بمقابلة هذه المقامات من التوحيد فأخذ الله من إبراهيم المال تحقيقاً للتوحيد الأول وابتلاه بذبح الولد تحقيقاً للتوحيد الثاني وبجسمه حين رمى به في نار نمرود تحقيقاً للتوحيد الثالث فظهر بهذا كله فناؤه في الله وبقاؤه بالله حققنا الله وإياكم بحقيقة التوحيد وأوصلنا وإياكم إلى سر التجريد والتفريد ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما بإحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فإنه عليه السلام كان مأموراً بالذبح ولم يحصل. قال في «الأسئلة المقحمة» وهذه القصة حجة على المعتزلة فإن الآية تدل على أن الله تعالى قد يأمر بالشيء ولا يريده فإنه تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده ولم يرد ذلك منه والمعتزلة لا يجوزون اختلاف الأمر والإرادة ﴿إن هذا﴾ [بدرستى كه اين كار] ﴿لهو البلاء المبين﴾ الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة إذ لا شيء أصعب منها. قال البقلي: أخبر سبحانه وتعالى أن هذا بلاء في الظاهر ولا يكون بلاء في الباطن لأن في حقيقته بلوغ منازل المشاهدات وشهود أسرار حقائق المكاشفات وهذا من عظائم القربات وأصل البلاء ما يحجبك عن مشاهدة الحق لحظة ولم يقع هذا البلاء بين الله وبين أحبابه قط فالبلاء لهم عين الولاء.

قال الحريري: البلاء على ثلاثة أوجه على المخالفين نقم وعقوبات وعلى السابقين تمحيص وكفارات وعلى الأولياء والصديقين نوع من الاختبارات.

جاميا دل بغم ودرد نه اندرره عشق   كه نشد مردره آنكس كه نه اين درد كشيد

﴿وفديناه بذبح﴾ بما يذبح بدله فيتم به الفعل المأمور وهو فرى الأوداج وإنهار الدم أي: جعلنا الذبح بالكسر اسم لما يذبح فداء له وخلصناه به من الذبح وبالفارسية: [وفدا داديم إسماعيل را بكبشى] والفادي في الحقيقة هو إبراهيم وإنما قال وفديناه لأنه تعالى هو المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء أو الإسناد ﴿عظيم﴾ أي: عظيم الجثة سمين وهي السنة في الأضاحي كما قال عليه السلام: «عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم» أو عظيم القدر لأنه يفدي به الله نبياً ابن نبي وأي نبي من نسله سيد المرسلين.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما سمي الذبح عظيماً لأنه فداء نبيين عظيمين أحدهما أعظم من الآخر وهما إسماعيل ومحمد عليهما السلام لأنه كان محمد في صلب إسماعيل انتهى.

وفي «أسئلة الحكم»: لم عظَّم الله الذبح مع أن البدن أعظم في القربان من الكبش لأنها تنوب عن سبعة الجواب لشدة المناسبة بين الكبش وبين النفس المسلمة الفانية في الله فإنه خلق مستسلماً للذبح فحسب فيكون الكبش في الآخرة صورة الموت يذبح على الصراط كما كان صورة الفناء الكلي والتسليم والانقياد ولذلك المعنى عظمه الله تعالى لأن فضل كل شيء

بالمعنى لا بالصورة إذ فضل الصورة تابع لفضل المعنى بخلاف البدنة فإن المقصود الأعظم منها الركوب وحمل الأثقال عليها قيل: كان ذلك كبشاً من الجنة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به إسماعيل وحينئذٍ تكون النار التي نزلت في زمن هابيل لم تأكله بل رفعته إلى السماء وحينئذٍ يكون قول بعضهم فنزلت النار فأكلته محمولاً على التسمح كما في «إنسان العيون». ويحتمل أن تتجسم الروح كما تتجسم المعاني وتبقى أبداً فلا ينافي أن تأكله النار في زمن هابيل أن يذبحه إبراهيم ثانياً. وروي أنه هرب من إبراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقي سنة في الرمي. وروي أنه رمي الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده كما سبق. وروي أنه لما ذبحه قال جبريل: «الله أكبر الله أكبر» فقال الذبيح: «لا إله إلا الله والله أكبر» فقال إبراهيم: «الله أكبر ولله الحمد» فبقي سنة.

واعلم أن الذبح ثلاثة: وهو ذبح هابيل ثم ذبح إبراهيم ثم ذبح الموت في صورة الكبش. وكذا الفداء فإنه فداء إسماعيل بكبش هابيل وفداء المؤمنين يوم القيامة يفدى عن كل مؤمن بكافر يأخذ المؤمن بناصيته فيلقيه في النار وفداء الله عن الحياة الأبدية بالموت يذبح في صورة الكبش على الصراط فيلقي به في النار بشارة لأهل الجنة بالخلود الدائم وتبكيتاً لأهل النار بالعقوبة الدائمة. ففيه إشارة إلى مراتب التوحيد فذبح هابيل إشارة إلى توحيد الأفعال وذبح يحيى إلى توحيد الصفات وذبح إبراهيم إلى توحيد الذات لأنه مظهر توحيد الذات والفناء الكلي في ذات الله تعالى فذبحه أعظم من كل ذبح وفداؤه أتم من كل فداء. قالوا: إن الدم إذا تعين على الحاج فلا يسقط عمن تعين عليه ولما تعين ذبح ولد إبراهيم لم يسقط عنه الدم أصلاً ففداه الله تعالى بكبش عظيم حيث جعله بدل إفساد نبي مكرم فحصل الدم وبعد أن وجب فلا يرتفع ولذا من نذر بذبح ولده لزمه شاة عند الحنفية فصارت صورة ولد إبراهيم صورة الكبش يساق إلى الجنة يدخل فيها في أي: صورة شاء فذبحت صورة الكبش ولبست صورة ولد إبراهيم صورة الكبش وهذا سبب العقيقة التي كل إنسان مرهون بعقيقته ولو لم يفد الله بالكبش لصار ذبح الناس واحداً من أبنائهم سنة إلى يوم القيامة.

وتحقيق المقام أنه كان كبش ظهر في صورة ابن إبراهيم في المنام لمناسبة واقعة بينهما وهي الاستسلام والانقياد فكان مراد الله الكبش لا ابن إبراهيم فما كان ذلك المرئي عند الله إلا الذبح العظيم متمثلاً في صورة ولده ففدى الحق ولده بالذبح العظيم وهذا كما أن العلم يرى في صورة اللبن فليس ما يرى في حضرة الخيال عين اللبن وحقيقته فلو تجاوز إبراهيم عليه السلام عما رآه في حضرة الخيال إلى المعنى المقصود منه بأن يعبر ذبح ابنه في منامه بذبح الكبش الذي في صورته لما ظهر لأهل الآفاق كمال فنائه وتمام استسلامه وكذلك انقياد ابنه لكن الله سبحانه أراد إراءة استسلامهما وإظهار انقيادهما لأمره تعالى فأخفى عليه تعبير رؤياه وستر المقصود من المنام حتى صدق الرؤيا وفعل ما فعل لتلك الحكمة العلية.

واختلف في أن الذبيح إسماعيل وإسحاق فذهب أكثر المفسرين إلى الأول لوجوده ذكرت في التفاسير ولأن قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج ولم يكن إسحاق ثمة. وفي «فضائل القدس»: كان في السلسلة التي في وسط القبة على صخرة الله درة يتيمة وقرنا كبش إبراهيم وتاج كسرى معلقات فيها أيام

عبد الملك بن مروان فلما صارت الخلافة إلى بني هاشم حولوا إلى الكعبة حرسها الله انتهى.

يقول الفقير: هذا يقتضي أن لا تأكل النار الكبش الذي جاء فداء لأن بقاء القرن من موجبات ذلك وأكل النار القربان كان عادة إلهية من لدن آدم إلى زمان نبينا عليه السلام ثم رفع عن قربان هذه الأمة.

اللهم إلا أن يحمل على أحد وجوه: الأول: أن معنى أكل النار القربان إحراقه بحيث يخرج عن الانتفاع به وهذا لا يوجب كون القرنين حريقين بالكلية.

والثاني: أن الذي كان يحرقه النار ليس جثة القربان بمجموعها من القرن إلى القدم بل ثروبه وأطايب لحمه كما روي أن بني إسرائيل كانوا إذا ذبحوا قرباناً وضعوا ثروبه وأطايب لحمه في موضع فيدعو النبي فتأتي نار فتأكله فلا يلزم أن يكون جميع أجزائه مأكولة محروقة.

والثالث: أنه محمول على التمسح كما سبق في قربان هابيل. فإن قلت: قد صح أن عبد المطلب نذر أن يذبح ولداً إن سهل الله حفر بئر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما سهل الله فخرج السهم على عبد الله والد رسول الله منعه أخواله ففداه بمائة من الإبل ولذلك سنت الدية بمائة فقد روي أنه فرق لحوم القرابين المذكورة إلى الفقراء ولم تأكلها النار فكيف كان سنة إلهية بين جميع الملل. قلت: المتقرب إن كان جاهلياً فلا شك أن قربانه غير معتد به وإن كان إسلامياً فلا بد أن يكون في محضر نبي من الأنبياء إذ هو الذي يدعو فتأتي النار كما لا يخفى على من له حظ أو في من علم التفسير والتأويل.

وذهب إلى الثاني بعض أرباب الحقائق والتوفيق بين الروايتين عند التحقيق أن صورة الذبح جرى في الظاهر إلى حقيقة إسماعيل أولاً ثم سرى ثانياً إلى حقيقة إسحاق لتحققه أيضاً بمقام الإرث الإبراهيمي من التسليم والتفويض والإنقياد الذي ظهر في صورة الكبش ولهذا السر اشتركا في البشارة الإلهية ﴿وبشرناه بغلام حليم وبشرناه بإسحاق﴾ فكان إسماعيل وإسحاق مختلفين في الصورة والتشخص متفقين في المعنى والحقيقة فإن شئت قلت إن الذبيح هو إسماعيل وإن شئت قلت: إنه إسحاق فأنت مصيب في كل من القولين في الحقيقة لما عرفت أن أحدهما عين الآخرة في التحقق بسر إبراهيم عليه وعليهما السلام إلى يوم القيامة ﴿وتركنا عليه﴾ أي: أبقينا على إبراهيم ﴿في الآخرين﴾ من الأمم ﴿سلام على إبراهيم﴾ أي: هذا الكلام بعينه كما سبق في قصة نوح ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾ الكاف متعلقة بما بعدها وذلك إشارة إلى إبقاء ذكره الجميل فيما بين الأمم لا إلى ما أشير إليه فيما سبق فلا تكرار أي: مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين لأجزاء أدنى منه يعني أن إبراهيم من المحسنين وما فعلناه به مما ذكر مجازاة له على إحسانه ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ الراسخين في الإيمان على وجه الإيقان والإطمئنان.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: من عبادنا المخلصين لا من عباد الدنيا والهوى والسوى ﴿وبشرناه﴾ أي: إبراهيم، والتبشير بالفارسية: [مژده دادن] وهو الإخبار بما يظهر سروراً في المخبر به ومنه تباشير الصبح لما ظهر من أوائل ضوئه ﴿بإسحاق﴾ من سارة رضي الله عنها ﴿نبياً من الصالحين﴾ أي: مقضياً بنبوته مقدراً كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة إلى وجود المبشر به وقت البشارة فإن وجود ذي الحال ليس بشرط وإنما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿نبياً﴾ أي: ملهماً من الحق تعالى كما قال بعضهم حدثني قلبي عن ربي ﴿من الصالحين﴾ أي: من المستعدين لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة انتهى. وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وإيماء إلى أنه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الإطلاق وقد سبق الكلام المشبع فيه في أواخر سورة يوسف ﴿وباركنا عليه﴾ على إبراهيم في أولاده، وبالفارسية: [وبركت داديم بر إبراهيم] ﴿وعلى إسحاق﴾ بأن أخرجنا من صلبه أنبياء من بني إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا ﴿ومن ذريتهما محسن﴾ في عمله أو لنفسه بالإيمان والطاعة ﴿وظالم لنفسه﴾ بالكفر والمعاصي ﴿مبين﴾ ظاهر ظلمه.

وفيه تنبيه على أن الظلم في أولادها وذريتهما لا يعود عليهما بعيب ولا نقيصة وأن المرء يجازي بما صدر من نفسه طاعة أو معصية لا بما صدر من أصله وفرعه كما قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وأن النسب لا تأثير له في الصلاح والفساد والطاعة والعصيان فقد يلد الصالح العاصي والمؤمن الكافر وبالعكس ولو كان ذلك بحسب الطبيعة لم يتغير ولم يتخلف. وفيه قطع لأطماع اليهود المفاخرين بكونهم أولاد الأنبياء وفي الحديث «يا بني هاشم لا تأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم» الواو في تأتوني واو الصرف ولهذا نصب وتأتوني حذف نون تأتون علامة للنصب وهذه النون نون الوقاية أي: لا يكون أعمال الناس وأنسابكم مجتمعين فائتوني بالأعمال والغرض تقبيح افتخارهم لديه عليه السلام بالأنساب حين يأتي الناس بالأعمال.

أتفخر باتصالك من عليّ وأصل البولة الماء القراح
وليس بنافع نسب زكي تدنسه صنائعه القباح

وقال بعضهم:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

وقبيلة باهلة عرفوا بالدناءة لأنهم كانوا يأكلون بقية الطعام مرة ثانية ويأكلون نقي عظام الميتة:

كر بنكرى باصل همه بنى آدمند زان اعتبار جمله عزيز ومكرمند
بيش اندناس صورت نسناس سيرتان خلقي كه آدمند بخلق وكرم كمند

وفي المثل: «ذهب الناس وما بقي إلا النسناس» وهم الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس أو هم خلق في صورة الناس وقال بعضهم:

أصل را اعتبار چندان نيست روى همچو ورد خندان نيست
مى زغوره شود شكر ازنى عسل از نحل حاصلست بقى

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾

فعلى العاقل ترك الاغترار بالأنساب والأحساب والاجتهاد فيما ينفعه يوم الحساب. وكان زين العابدين رضي الله عنه يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي وتقبح سريرتي ومن الله التوفيق ﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ المنان في صفة الله تعالى

المعطي ابتداء من غير أن يطلب عوضاً يقال منّ عليه منا إذا أعطاه شيئاً ومنّ عليه منة إذا أعد نعمته عليه وامتن وهو مذموم من الخلق لا من الحق كما قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٧] والمعنى وبالله لقد أنعمنا على موسى وأخيه هارون بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ من تعذيب فرعون وأذى قومه القبط وقد سبق معنى الكرب في هذه السورة ولما كانت النتيجة عبارة عن التخليص من المكروه وهي لا تقتضي الغلبة أتبعها بقوله: ﴿ونصرناهم﴾ أي: موسى وهارون وقومهما ﴿فكانوا﴾ بسبب ذلك ﴿هم﴾ فحسب ﴿الغالبين﴾ على عدوهم فرعون وقومه غلبة لا غاية وراءها بعد أن كان قومهما في أسرهم وقسرهم مقهورين تحت أيديهم. وفيه إشارة إلى تنجية موسى القلب وهارون السر من غرق بحر الدنيا وماء شهواتها ونصرتهما مع صفاتهما على فرعون النفس وصفاتها فليصبر المجاهدون على أنواع البلاء إلى أن تظهر آثار الولاء فإن آخر الليل ظهور النهار وغاية الخريف والشتاء طلوع الأزهار والأنوار، قال الحافظ:

چه جورها كه كشيدند بلبلان ازدى ببوى آنكه دكر نوبهار باز آمد

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١١٨ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٢ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٢٨ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٣ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٣٤ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٣٥﴾

﴿وآتيناهما﴾ بعد ذلك المذكور من النتيجة ﴿الكتاب المستبين﴾ أي: البليغ والمتناهي في البيان والتفصيل وهو التوراة فإنه كتاب مشتمل على جميع العلوم التي يحتاج إليها في مصالح الدين والدنيا قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ [المائدة: ٤٤]. فاستبان مبالغة بان بمعنى ظهر ووضح وجعل الكتاب بالغاً في بيانه من حيث إنه لكماله في بيان الأحكام وتمييز الحلال عن الحرام كأنه يطلب من نفسه أن يبينها ويحمل نفسه على ذلك وقيل: هذه السين كهي في قوله يستسخرون فإن بان واستبان وتبين واحد نحو عجل واستعجل وتعجل فيكون معناه الكتاب المبين ﴿وهديناهما﴾ بذلك الكتاب ﴿الصراط المستقيم﴾ الموصل إلى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الأحكام. وفي «كشف الأسرار»: وهديناهما دين الله الإسلام أي: ثبتناهما عليه واستعير الصراط المستقيم من معناه الحقيقي وهو الطريق المستوي للدين الحق وهو ملة الإسلام وهذا أمر تحقق عقلاً فقد نقل اللفظ إلى أمر معلوم من شأنه أن ينص عليه ويشار إليه إشارة عقلية ولأجل تحققه سميت هذه الاستعارة بالتحقيقية. وفيه إشارة إلى إيتاء العلوم الحقيقية والإلهامات الربانية والهداية بذلك إلى الحضرة الواحدية والأحدية ﴿وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون﴾ أي: أبقينا عليهما فيما بين الأمم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل فهم يسلمون عليهما يقولون سلام على موسى وهارون ويدعون لهما دعاء دائماً إلى يوم الدين ﴿إنا كذلك﴾ أي: مثل هذا الجزاء الكامل

﴿نجزي المحسنين﴾ الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصراً عنه ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ يشير إلى أن طريق الإحسان هو الإيمان فالإيمان هو مرتبة الغيب والإحسان هو مرتبة المشاهدة ولما كان الإيمان ينشأ عن المعرفة كان الأصل معرفة الله والجري على مقتضى العلم فالإنسان من حيث ما يتغذى نبات ومن حيث ما يحس ويتحرك حيوان ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار وإنما فضيلته بالنطق والعلم والفهم وسائر الكمالات البشرية وفي الحديث: «ما فضلكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بسرّ وقر في صدره» ومن آثار هذا السر الموقور ثباته يوم موت الرسول عليه السلام وعدم تغيره كسائر الأصحاب حيث صعد المنبر وقرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية فكان إيمانه أقوى وثباته أوفى ومشاهدته أعلى ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ أي: إلى بني إسرائيل وهو إلياس بن ياسين بن شير بن فخاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهو من سبط هارون أخي موسى بعث بعد موسى هذا هو المشهور وعليه الجمهور.

ودل عليه ما في بعض المعتبرات أن الموجود من الأنبياء بأبدانهم العنصرية أربعة: اثنان في السماء إدريس وعيسى واثنان في الأرض الخضر وإلياس فإدريس وإلياس اثنان من حيث الهوية والتشخص.

وقال جماعة من العلماء منهم أحمد بن حنبل: إن إلياس هو إدريس أي: أخنوخ بن متوشلخ بن لمك وكان قبل نوح كما قالوا خمسة من الأنبياء لهم اسمان إلياس هو إدريس ويعقوب هو إسرائيل ويونس هو ذو النون وعيسى هو المسيح ومحمد هو أحمد صلوات الله عليهم أجمعين ووافقهم في ذلك بعض أكابر المكاشفين فعلى هذا معناه أن هوية إدريس مع كونها قائمة في أنيته وصورته في السماء الرابعة ظهرت وتعينت في أنية إلياس الباقي إلى الآن فتكون من حيث العين والحقيقة واحدة ومن حيث التعين الصوري اثنتين كنحو جبرائيل وميكائيل وعزرائيل يظهرون في الآن الواحد في مائة ألف مكان بصور شتى كلها قائمة بهم وكذلك أرواح الكمل كما يروى عن قضيب البان الموصلي قدس سره أنه كان يرى في زمان واحد في مجالس متعددة مشتغلاً في كل بأمر غير ما في الآخر وليس معناه أن العين خلع الصورة الإدريسية ولبس الصورة الإلياسية وإلا لكان قولاً بالتناسخ ﴿إذ قال﴾ أي: اذكر وقت قوله: ﴿لقومه ألا تتقون﴾ أي: عذاب الله تعالى وبالفارسية: [آيانمى ترسيد از عذاب الهي] ﴿أتدعون بعلا﴾ أتعبدونه أي: لا تعبدوه ولا تطلبوا منه الخير. والبعل هو الذكر من الزوجين ولما تصور من الرجل استعلاء على المرأة فجعل سائسها والقائم عليها شبه كل مستعل على غيره به فسمي باسمه فسمى العرب معبودهم الذي يتقربون به إلى الله بعلا لاعتقادهم ذلك. فالبعل اسم صنم كان لأهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك وكان من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله أربعة أوجه وفي عينيه ياقوتتان كبيرتان فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ وتتركون عبادته ﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم للإشعار ببطلان آرائهم أيضاً. ثم إن الخلق حقيقة في الاختراع والإنشاء والإبداع ويستعمل أيضاً بمعنى التقدير والتصوير وهو المراد به هٰهنا لأن الخلق بمعنى الاختراع لا يتصور من غير الله حتى

يكون هو أحسنهم كما قال الراغب. إن قيل قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] يدل على أنه يصح أن يوصف غيره بالخلق. قيل ذلك معناه أحسن المقدرين أو يكون على تقدير ما كانوا يعبدون ويزعمون أن غير الله يبدع فكأنه قيل: وهب أن هٰهنا مبدعين وموجودين فالله تعالى أحسنهم إيجاداً على ما يعتقدون كما قال خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم انتهى.

وعبد الخالق عند الصوفية المتحققين هو الذي يقدر الأشياء على وفق مراد الحق لتجليه له بوصف الخلق والتقدير فلا يقدر إلا بتقديره له تعالى.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إذا بلغ العبد في مجاهدة نفسه بطريق الرياضة في سياستها وسياسة الخلق مبلغاً ينفرد فيه باستنباط أمور لم يسبق إليها ويقدر مع ذلك على فعلها والترغيب فيها كان كالمخترع لما لم يكن له وجود قبل إذ يقال لواضع الشطرنج إنه الذي وضعه واخترعه حيث وضع ما لم يسبق إليه انتهى.

يقول الفقير: إن بعض الكمل كانوا يتركون في مكانهم بدلاً منهم على صورتهم وشكلهم ويكونون في أكنة في آن واحد كما روي عن قضيب البان فيما سبق فهو من أسرار هذا المقام لأنه إنما يقدر عليه بعد المظهرية للاسم الخالق والوصول إلى سره فاعرف واكتم وصن وصم ﴿فكذبوه﴾ أي: إلياس ﴿فإنهم﴾ بسبب تكذيبهم إياه ﴿لمحضرون﴾ لمدخلون في النار والعذاب لا يغيبون منها ولا يخفف عنهم كقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] لأن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عرفاً ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثناء متصل من فاعل كذبوه. وفيه دلالة على أن من قومه من لم يكذبه ولم يحضر في العذاب وهم الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للإيمان والعمل بموجب الدعوة والإرشاد ﴿وتركنا عليه﴾ وأبقينا على إلياس ﴿في الآخرين﴾ من الأمم ﴿سلام على إل ياسين﴾ أي: هذا الكلام بعينه فيدعون له ويثنون عليه إلى يوم القيامة وهو لغة في إلياس كسيناء في سينين فإن كل واحد من طور سيناء وطور سينين بمعنى الآخر زيد في أحدهما الياء والنون فكذا إلياس وإلياسين وقرىء بإضافة آل إلى ياسين لأنهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا إلياس والآل هو نفس الياس ﴿إنا كذلك﴾ مثل هذا الجزاء الكامل ﴿نجزي المحسنين﴾ إحساناً مطلاقاً ومن جملتهم إلياس ﴿إنه﴾ لا شبهة إن الضمير لإلياس فيكون إلياس وإلياسين شخصاً واحداً وليس الياسين جمع إلياس كما دل عليه ما قبله من قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصافات: ٧٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الصافات: ١٠٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الصافات: ١٢٠] ﴿من عبادنا المؤمنين﴾. قال الكاشفي: [إيمان اسميست من جميع كمالات صوري ومعنوي ونام بندكى بتشريفيست خاص ازبراى اهل اختصاص]:

اكر بنده خويش خوانى مرا به از مملكت جاودانى مرا
شهانى كه با بخت فرخنده اند همه بندكان ترا بنده اند

ـ روي ـ أنه بعث بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل النبي عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله وعبدوا الأوثان وكانت الأنبياء من بني إسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة وبنو إسرائيل كانوا متفرقين بأرض الشام وكان سبط منهم حلوا ببعلبك ونواحيها من أرض الشام وهم السبط الذين كان منهم الناس فلما أشركوا وعبدوا الصنم المذكور وتركوا العمل بالتوراة بعث الله إلياس

إليهم نبياً وتبعه يسع بن أخطوب وآمن به وكان على سبط إلياس ملك اسمه أجب وكان له امرأة يقال لها أزبيل يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم وكانت تبرز للناس وتقضي بينهم وكانت قتالة للأنبياء والصالحين يقال: إنها هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وقد تزوجت سبعة من ملوك بني إسرائيل وقتلتهم كلهم غيلة وكانت معمرة يقال إنها ولدت سبعين ولداً وكان لزوجها أجب جار صالح يقال له مزدكى وكانت له جنينة يعيش منها في جنب قصرهما فحسدته في ذلك حتى إذا خرج الملك إلى سفر بعيد أمرت جمعاً من الناس أن يشهدوا على مزدكى أنه سب زوجها أجب فأطاعوها فيه وكان في حكم ذلك الزمان يحل قتل من سبب الملك إذا قامت عليه البينة فأحضرته فقالت له: بلغني أنك شتمت الملك فأنكر فأحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور فأمرت بقتله وأخذت جنينة غصباً ثم لما قدم الملك أوحى الله إلى إلياس أن يخبرهما بأن الله قد غضب عليهما لوليه مزدكى حين قتلاه ظلماً وآلى على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ولم يردا الجنينة على ورثة مزدكى أن يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين حتى تتعرى عظامهما من لحومهما فلما سمعا ذلك اشتد غضبهما إلى الياس ولم يظهر منهما ولا من قومهما إلا المخالفة والعصيان والإصرار إلى أن همّ الملك بتعذيب إلياس وقتله فلما أحس إلياس بالشر خرج من بينهم لأن الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين وارتقى إلى أصعب جبل وأرفعه فدخل مغارة فيه يقال إنه بقي فيها سبع سنين يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله تعالى ستره كما وقع مثله لأصحاب الكهف فلما طال عصيانهم دعا عليهم بالقحط والجوع سبع سنين فقال الله تعالى: يا إلياس أنا أرحم بخلقي من ذلك وإن كانوا ظالمين ولكن أعطيك مرادك ثلاث سنين فقحطوا بتلك المدة فلم يقلعهم ذلك عن الشرك ولما رأى ذلك منهم إلياس دعا الله تعالى بأن يريحه منهم فقيل له: اخرج يوم كذا إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس في ذلك اليوم ومعه خادمه أليسع فوصل الموضع الذي أمر فاستقبله فرس من نار وجميع الآلة من النار حتى وقف بين يديه فركب عليه فانطلق به الفرس إلى جانب السماء فناداه أليسع ما تأمرني فقذف إليه إلياس بكسائه من الجو الأعلى.

يعني: [كه ترا خليفه خويش كردم بربنى اسرائيل] ورفع الله إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً.

وقال بعضهم: كان قد مرض وأحس بالموت فبكى فأوحى الله إليه لِمَ تبكي؟ أحرصاً على الدنيا أم جزعاً من الموت أم خوفاً من النار؟ قال: لا ولكن وعزتك وجلال إنما جزعي كيف يحمدك الحامدون بعدي ولا أحمدك ويذكرك الذاكرون بعدي ولا أذكرك ويصوم الصائمون بعدي ولا أصوم ويصلي المصلون بعدي ولا أصلي فقيل له: يا إلياس لأوخرنك إلى وقت لا يذكرني ذاكر يعني يوم القيامة وسلط الله على قومه عدواً لهم من حيث لا يشعرون فأهلكم وقتل أجب وامرأته أزبيل في جنينة مزدكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين فيها إلى أن بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله أليسع وبعثه إلى بني إسرائيل وأيده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه ويطيعونه وحكم الله فيهم قائم إلى أن فارقهم أليسع.

ـ روي ـ أن الياس والخضر عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وهما آخر من يموت من بني آدم. وقيل إن إلياس موكل بالفيافي جمع

فيفاة بمعنى الصحراء والخضر موكل بالبحار وذكر أنهما يقولان عند افتراقهما من الموسم ما شاء الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله. ما شاء الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله. ما شاء الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله. ما شاء الله ما شاء الله توكلنا على الله حسبنا الله ونعم الوكيل [محمد بن أحمد العابد كويد در مسجد اقصى نشسته بودم روز آزينه بعد ازنماز ديكركه دو مرد ديدم يكى برصفت وهيئت ما وآن ديكر شخصى عظيم بود قدى بلند وپيشانى فراخ پهن صدر وذراعين اين شخص عظيم ازمن دورنشست وآن پيركه برصفت وقدما بود فرا پيش آمد وسلام كرد جواب سلام دادم وكفتم «من أنت رحمك الله» توكيستى وآنكه ازما دور نشسته است كيست كفت من خضرم واو برادرم إلياس از كفتار ايشان دردل من هراس آمد وبلرزيدم خضر كفت «لا بأس عليك نحن نحبك» ماترا دوست داريم چه انديشه برى. آنكه كفت هركه روز آزينه نماز ديكر بكزارد وروى بسوى قبله كند رتا بوقت فروشدن آفتاب همى كويد «يا الله يا رحمٰن» رب العزة دعاى وى مستجاب كرداند وحاجت وى روا كند كفتم «آنستني آنسك الله بذكره» كفتم طعام توچه باشد كفت كرفس وكماءة كفتم طعام الياس چه باشد كفت دو رغيف خوارى هرشب وقت افطار كفتم مقام او كجا باشد كفت در جزائر دريا كفتم شماكى فراهم آييد كفت چون يكى از اولياء الله از دنيا بيرون شود هردو بروى نماز كنيم ودر موسم عرفات فراهم آييم وبعد از فراغ مناسك او موى من بازكند ومن موى اوباز كنم كفتم اولياء الله را همه شناسى كفت قومى معدودرا شناسم كفت چون رسول خدا صلوات الله عليه ازدنيا بيرون شد زمين بالله ناليدكه «بقيت لا يمشي عليّ نبي إلى يوم القيامة» رب العالمين كفت من از اين امت مردانى را بديدارم دلها انبيا باشد. آنكه خضر برخاست تارود من تيز برخاستم تاباوى باشم كفت توبا من نتوانى بود من هر روز نماز بامداد بمكه كزارم در مسجد حرام وهمچنان نشينم نزديك ركن شامى در حجر تا آفتاب برآيد آنكه طواف كنم ودو ركعت خلف المقام بكزارم ونماز پيشين بمدينه مصطفى عليه السلام كزارم ونماز شام بطورسينا ونماز خفتن بر سد ذو القرنين وهمه شب آنجا پاس دارم چون وقت صبح باشد نماز بامداد بامكه برم درمسجد حرام] **﴿وإن لوطاً﴾** هو لوط بن هاران أخي إبراهيم الخليل عليه السلام **﴿لمن المرسلين﴾** إلى قومه وهم أهل سدوم بالدال المهملة فكذبوه وأرادوا إهلاكه فقال: رب نجني وأهلي مما يعملون فنجاهم الله وأهله فذلك قوله تعالى **﴿إذ نجيناه﴾** أي: اذكر وقت تنجيتنا إياه ولا يتعلق بما قبله لأنه لم يرسل إذ نجى **﴿وأهله أجمعين﴾** [وهمه اهل بيت اورا ازدختران وغير ايشان] **﴿إلا عجوزاً﴾** هي امرأة الخائنة واهلة كانت كافرة وكان نكاح الوثنيات والإقامة عليهن جائزاً في شريعته وسميت المرأة المسنة عجوزاً لعجزها عن كثير من الأمور كما في «المفردات». **﴿في الغابرين﴾** صفة لها بمعنى إلا عجوزاً مقدراً غبورها لأن الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم فلم يكن بد من تقدير مقدر أي: الباقين في العذاب والهلاك وقيل للباقي غابر تصوراً بتخلف الغبار عن الذي يعدو فيخلفه أو الماضين الهالكين وقيل غابر تصورا لمضي الغبار عن الأرض. والمعنى بالفارسية: [مكر پيره زنى كه زن اوبودچه اواقرار كرفت در بازار ماندكان بعذاب وبالوط همراهى نكرد] قال الشيخ سعدي:

بابدان يار كشت همسر لوط ... خاندان نبوتش كم شد
سك اصحاب كهف روزى چند ... پى نيكان كرفت ومردم شد

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿ثم دمرنا﴾ التدمير إدخال الهلاك على الشيء أي: أهلكنا ﴿الآخرين﴾ بالائتفاك بهم وإمطار الحجارة عليهم فإنه تعالى لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطراً من حجارة وبالفارسية: [پس هلاك كردم ديكرانرا از قوم وى وديار ايشان وقتى زير وزبر ساختيم] فإن في ذلك شواهد على جلية أمره وكونه من جملة المرسلين وتقدم ذكر قصته في سورة هود والحجر فارجع ﴿وإنكم﴾ يا أهل مكة ﴿لتمرون عليهم﴾ أي: على ديار قوم لوط المهلكين ومنازلهم في متاجركم إلى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فإن سدوم في طريق الشام وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الحجر: ٧٦] ﴿مصبحين﴾ حال من فاعل تمرون أي: حال كونكم داخلين في الصباح ﴿وبالليل﴾ أي: وملتبسين بالليل أي: مساء ولعلها وقعت بقرب منزل يمر به المرتحل عنه صباحاً والقاصد له مساء ويجوز أن يكون المعنى نهاراً وليلاً على أن يعمم المرور للأوقات كلها من الليل والنهار ولا يخصص بوقتي الصباح والمساء ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أفتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فإن من قدر على إهلاك أهل سدوم واستئصالهم بسبب كفرهم وتكذيبهم كان قادراً على إهلاك كفار مكة واستئصالهم لاتحاد السبب ورجحانه لأنهم أكفر من هؤلاء وأكذب كما يشهد به قوله: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ [القمر: ٤٣] وكان النبي عليه السلام يقول لأبي جهل «إن هذا أعتى على الله من فرعون».

فعلى العاقل أن يعتبر ويؤمن بوحدانية الحق ويرجع إلى أبواب فضله وكرمه ورحمته ويؤدب عجوز نفسه الأمارة ويحملها على التسليم والامتثال كي لا تهلك مع أهل القهر والجلال.

قال بعض الكبار: لا بد من نصرة لكل داخل طريق أهل الله عز وجل ثم إذا حصلت فإما أن يعقبها رجوع إلى الحال الأول من العبادة والاجتهاد وهم أهل العناية الإلّهية وإما أن لا يعقبها رجوع فلا يفلح بعد ذلك أبداً انتهى أي: فيكون كالمصر على ذنبه ابتداء وانتهاء. ثم إن الله تعالى ركب العقل في الوجود الإنساني ومن شأنه أن يرى ويختار أبداً الأصلح والأفضل في العواقب وإن كان على النفس في المبدأ مؤونة ومشقة وأما الهوى فهو على ضد ذلك فإنه يؤثر ما يدفع به المؤذي في الوقت وإن كان يعقبه مضرة من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر أكل الحلاوات واللعب في الشمس على أكل الاهليلج والحجامة ولهذا قال النبي عليه السلام: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات».

تو بركره توسنى در كمر نكر تا نپيچد زحكم توسر
اكر پالهنك از كفت در كسيخت تن خويشتن كشت وخونت بريخت

ففيه إشارة إلى فكر العواقب. وجاء في الأمثال [وقتى زنبورى مورى را ديدكه بهزار

حيله دانه بخانه ميكشيد ودران رنج بسيارى ديد اورا كفت اى مور اين چه رنجست كه برخود نهاده واين چه بارست كه اختيار كرده بيا مطعم ومشرب من ببين كه هر طعام كه لطيف ولذيذ ترست تا ازمن زياده نيايد بپادشاهان نرسد هر آنجاكه خواهم كزينم وخورم درين سخن بودكه برپريد وبدكان قصابى برمسلوخى نشست قصاب كاردكه دردست داشت بران زنبور مغرور زد ودوياره كرد وبرزمين انداخت ومور بيامد وپاى كشان اورامى برد وكفت «رب شهوة ساعة أورثت صاحبها حزناً طويلاً» زنبور كفت مرا بجايى مبركه نخواهم مور كفت هركه از روى حرص وشهوت جايى نشيندكه خواهد بجايى كشندش كه نخواهد] نسأل الله أن يوفقنا لإصلاح الطبيعة والنفس ويجعل يومنا خيراً من الأمس في التوجه إلى جنابه والرجوع إلى بابه إنه هادى القلوب الراجعة في الأوقات الجامعة ومنه المدد كل يوم لكل قوم ﴿**وإن يونس**﴾ بن متى بالتشديد وهو اسم أبيه أو أمه. وفي «كشف الأسرار» اسم أبيه متى واسم أمه تنجيس كان يونس من أولاد هود كما في «أنوار المشارق» وهو ذو النون وصاحب الحوت لأنه التقمه.

وأما ذو النون المصري من أولياء هذه الأمة فقيل: إنما سمي به لأنه ركب سفينة مع جماعة فقد واحد منهم ياقوتاً فلم يجده فآل رأيهم إلى أن هذا الرجل الغريب قد سرقه فعوتب عليه فأنكر الشيخ فحلف فلم يصدقوه بل أصروا على أنه ليس إلا فيه فلما اضطر توجه ساعة فأتى جميع الحوت من البحر في فيها يواقيت فلما رأوا ذلك اعتذروا عن فعلتهم فقام وذهب إلى البحر ولم يغرق بإذن الله تعالى فسمي ذا النون. ﴿**لمن المرسلين**﴾ إلى بقية ثمود وهم أهل نينوى بكسر النون الأولى وفتح الثانية وقيل بضمها قرية على شاطىء دجلة في أرض الموصل.

وفي كلام الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالأندلس حيث كنت فيه وقست أثر رجل واحد منهم في الأرض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثي شبر انتهى. ولما بعث إليهم دعاهم إلى التوحيد أربعين سنة وكانوا يعبدون الأصنام فكذبوه وأصروا على ذلك فخرج من أظهرهم وأوعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث أو بعد أربعين ليلة ثم إن قومه لما أتاهم إمارات العذاب بأن أطبقت السماء غيماً أسود يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدنيتهم حتى صار بينهم وبين العذاب قدر ميل أخلصوا الله تعالى بالدعاء والتضرع بأن فرقوا بين الأمهات والأطفال وبين الاتن والجحوش وبين البقر والعجول وبين الإبل والفصلان وبين الضأن والحملان وبين الخيل والإفلاء ولبسوا المسوح ثم خرجوا إلى الصحراء متضرعين ومستغفرين حتى ارتفع الضجيج إلى السماء فصرف الله عنهم العذاب وقبل توبتهم ويونس ينتظر هلاكهم فلما أمسى سأل محتطباً مر بقومه كيف كان حالهم فقال: هم سالمون وبخير وعافية وحدثه بما صنعوا فقال: لا أرجع إلى قوم قد كذبتهم وخرج من ديارهم مستنكفاً خجلاً منهم ولم ينتظر الوحي وتوجه إلى جانب البحر وذلك قوله تعالى: ﴿**إذ أبق**﴾ أي: أذكر وقت إباقه أي: هربه وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه بطريق المجاز تصويراً لقبحه فإنه عبد الله فكيف يفر بغير الإذن وإلى أين يفر والله محيط به وقد صح أنه لا يقبل فرض الآبق ولا نفله حتى يرجع فإذا كان الأدنى مأخوذاً بزلة فكيف الأعلى. ﴿**إلى الفلك المشحون**﴾ أي: المملوء من الناس والدواب والمتاع ويقال المجهز الذي فرغ من جهازه يقال شحن السفينة ملأها كما في «القاموس».

ـ روي ـ أن يونس لما دخل السفينة وتوسطت البحر احتبست عن الجري ووقفت فقال الملاحون: هنا عبد آبق من سيده وهذا رسم السفينة إذا كان فيها عبد آبق لا تجري. وقال الإمام فقال الملاحون: إن فيكم عاصياً وإلا لم يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقال التجار: قد جربنا مثل هذا فإذا رأينا نقترع فمن خرج سهمه نرميه في البحر لأن غرق الواحد خير من غرق الكل فاقترعوا ثلاث مرات فخرجت القرعة على يونس في كل مرة وذلك قوله تعالى: ﴿فساهم﴾ المساهمة المقارعة يعني: [باكسى قرعه زدن] والسهم ما يرمي به من القداح ونحوه. والمعنى فقارع أهل الفلك من الآبق وألقوا السهام على وجه القرعة. والمفهوم من تفسير الكاشفي أن الضمير إلى يونس يعني: [يونس قرعه زد باهل كشتى سه نوبت] ﴿فكان من المدحضين﴾ فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر والغلبة. قال في «القاموس»: دحضت رجله زلقت والشمس زالت والحجة دحوضاً بطلت انتهى. فالإدحاض بالفارسية: [باطل كردن حجت] وحين خرجت القرعة على يونس قال: أنا العبد الآبق أو يا هؤلاء أنا والله العاصي فتلفف في كسائه ثم قام على رأس السفينة فرمى بنفسه في البحر يعني: [يونس كليم در سرخود كشيده خود رادربحر افكند] ﴿فالتقمه الحوت﴾ الالتقام الابتلاع يعني: [لقمه كردن وفرو بردن] يقال لقمت اللقمة والتقمتها إذا ابتلعتها أي: فابتلعه السمك العظيم. قال الكاشفي: [حق تعالى وحي فرستاد بما هي كه در آخرين ديارها باشد تاپيش كشتى رمده دهن بازكرده]. وقال في «كشف الأسرار»: فصادفه حوت جاء من قبل اليمن فابتلعه فسفل به إلى قرار الأرضين حتى سمع تسبيح الحصى ﴿وهو مليم﴾ حال من مفعول التقمه أي: داخل في الملامة ومعنى دخوله في الملامة كونه يلام سواء استحق اللوم أم لا أو آتي بما يلام عليه فيكون المليم بمعنى من يستحق اللوم سواء لاموه أم لا يقال: ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه أو يلوم نفسه يعني: [واوملامت كننده بود نفس خودراكه چرا ازقوم كريختى] فالهمزة على هذا للتعدية لا على التقديرين الأولين.

ـ روي ـ أن الله تعالى أوحى إلى السمكة أني لم أجعله لك رزقاً ولكن جعلت بطنك له وعاء فلا تكسري منه عظماً ولا تقطعي منه وصلاً فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة كما دل عليه كونه منبوذاً على الساحل وهو سقيم. قال الكاشفي: [سه روز ياهفت روز اشهر آنست كه چهل روز درشكم ماهى بود وآن ماهى هفت دريارا بكشت وحق سبحانه وتعالى كوشت ويوست اورا نازك وصافى ساخته بود چون آبكينه تايونس عجائب وغرائب بحر را مشاهده كرد وپيوسته بذكر حق سبحانه وتعالى اشتغال داشت] ﴿فلولا أنه﴾ [پس اكرنه آنست كه يونس] ﴿كان من المسبحين﴾ في بطن الحوت وهو قوله: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أو من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح مدّة عمره. وعن سهل من القائمين بحقوق الله قبل البلاء ذكراً أو صلاة أو غيرهما ﴿للبث﴾ لمكث حياً أو ميتاً ﴿في بطنه﴾ أي: في بطن الحوت ﴿إلى يوم يبعثون﴾ يعني: [تاآن روز كه خلق را برانكيزند از قبور].

قال في «كشف الأسرار»: فيه ثلاثة أوجه: **أحدها** يبقى هو والحوت إلى يوم البعث. **والثاني**: يموت الحوت ويبقى هو في بطنه. **والثالث**: يموتان ثم يحشر يونس من بطنه فيكون بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة فلم يلبث لكونه من المسبحين، وفيه حث على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه وإشارة إلى أن خلاص يونس القلب إذا التقمه حوت النفس لا يكون إلا بملازمة

ذكر الله ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء والعمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع يجد متكئاً. وفي الوسيط كان يونس عبداً صالحاً ذاكراً لله فلما وقع في بطن الحوت قال الله: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ الآية وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً ذكر الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] قال الله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [يونس: ٩١] وعن الشافعي أنفس ما يداوي به الطاعون التسبيح لأن الذكر يرفع العقوبة والعذاب كما قال الله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾. وعن كعب قال: سبحان الله يمنع العذاب. وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بجلد رجل فقال في أول جلده سبحان الله فعفا عنه.

ذكر حق شافع بود دركاه را راضى وخشنود كند الله را

قال في «كشف الأسرار»: [خداوند كريم چون يونس را درشكم ما هى بزندان كرد نام الله چراغ ظلمت اوبود يا الله أنس ورحمت اوبود هرچندكه ازروى ظاهر ماهى بلاى يونس بود اما ازروى باطن خلوتكاه وى بود ميخواست بى زحمت اخيار بادوست رازى كويد چنانكه يونس را درشكم ماهى خلوتكاه ساختند خليل را درميان آتش نمرود خلوتكاه ساختند وصديق اكبررا بامهتر عالم دران كوشه غار خلوتكاه ساختند همچنين هركجا مؤمنين وموحدين است اوراخلوتكاهى است وآن سينه عزيزوى است وغار سورى نزول كاه لطف الهى وموضع نظر رباني] روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة فقال تعالى: ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في يوم وليلة عمل صالح قال: نعم فشفعوا له فأمر الحوت فقذفه بالساحل في أرض نصيبين» وهي بلدة قاعدة ديار ربيعة وذلك قوله تعالى: ﴿فنبذناه بالعراء﴾ النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به. والعراء ممدوداً مكان لا سترة فيه وهو من التعري سمي به الفضاء الخالي عن البناء والأشجار المظلة لتعريه عما يستر أهله ومعاري الإنسان الأعضاء التي من شأنها أن تعرى كاليد والوجه والرجل. والإسناد المعبر في قوله فنبذناه من قبيل إسناد الفعل إلى السبب الحامل على الفعل فالمعنى فحملنا الحوت على لفظه ورميه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت ﴿وهو سقيم﴾ أي: عليل البدن من أجل ما ناله في بطن الحوت من ضعف بدنه فصار كبدن الطفل ساعة يولد لا قوة له أو بلي لحمه ونتف شعره حتى صار كالفرخ ليس عليه شعر وريش ورق عظمه وضعف بحيث لا يطيق حر الشمس وهبوب الرياح. وفيه إشارة إلى أن القلب وإن تخلص من سجن النفس وبحر الدنيا يكون سقيماً بانحراف مزاجه القلبي بمجاورة صحبة النفس واستراق طبعه ﴿وأنبتنا عليه﴾ أي: فوقه مظلة عليه ﴿شجرة من يقطين﴾ يفعيل مشتق من قطن بالمكان إذا أقام به كاشتقاق الينبوع من نبع فهو موضوع لمفهوم كلي متناول للقرع والبطيخ والقثاء والقثد والحنظل ونحوها مما كان ورقه كله منبسطاً على وجه الأرض ولم يقم على ساق واحدته يقطينة. وفي «القاموس» اليقطين ما لا ساق له من النبات ونحوه وبهاء القرعة الرطبة انتهى أطلق هنا على القرع استعمالاً للعام في بعض جزئياته. قال ابن الشيخ: ولعل إطلاق اسم الشجرة على القرع مع أن الشجر في كلامهم اسم لكل نبات يقوم على ساقه ولا ينبسط على وجه الأرض مبني على أنه تعالى أنبت عليه شجرة صارت عريشاً لما نبت

تحتها من القرع بحيث استولى القرع على جميع أغصانها حتى صارت كأنها شجرة من يقطين وكان هذا الإنبات كالمعجزة ليونس فاستظل بظلها وغطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليها كما يقع على سائر العشب وكان يونس حين لفظه البحر متغيراً يؤلمه الذباب فسترته الشجرة بورقها. قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنك تحب القرع قال: «أجل هي شجرة أخي يونس» وعن أبي يوسف لو قال رجل: إن رسول الله كان يحب القرع مثلاً فقال الآخر أنا لا أحبه فهذا كفر يعني: إذا قاله على وجه الإهانة والاستخفاف وإلا فلا يكفر على ما قاله بعض المتأخرين. وروي أنه تعالى قيض له أروية وهي الأنثى من الوعل تروح عليه بكرة وغشية فيشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره وعادت قوته ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾ هم قومه الذين هرب منهم المراد إرساله السابق وهو إرساله إليهم قبل أن خرج من بينهم والتقمه الحوت. أخبر أولاً بأنه من المرسلين على الإطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى مائة ألف جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه إلى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه وبين قومه من إنذاره إياهم عذاب الله وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لإيمانهم بظهور إمارته ليعلم أن إيمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الإرسال كما هو المتبادر من ترتب الإيمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي ﴿أو يزيدون﴾ أي: في مرأى الناظر فإنه إذا نظر إليهم قال: إنهم مائة ألف أو يزيدون عليها عشرين ألفاً أو ثلاثين أو سبعين فأو التي للشك بالنسبة إلى المخاطبين إذ الشك على الله محال والغرض وصفهم بالكثرة وهذا هو الجواب عن كل ما يشبه هذا كقوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ [المرسلات: ٦] ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣] وغير ذلك ﴿فآمنوا﴾ أي: بعدما شاهدوا علائم حلول العذاب إيماناً خالصاً ﴿فمتعناهم﴾ أي: بالحياة الدنيا وأبقيناهم ﴿إلى حين﴾ قدره الله سبحانه لهم وهذا كناية عن رد العذاب عنهم وصرف العقوبة.

- روي - أن يونس عليه السلام نام يوماً تحت الشجرة فاستيقظ وقد يبست فخرج من ذلك العراء ومر بجانب مدينة نينوى فرأى هنالك غلاماً يرعى الغنم فقال له من أنت يا غلام فقال من قوم يونس قال فإذا رجعت إليهم فاقرأ عليهم مني السلام وأخبرهم إنك قد لقيت يونس ورأيته فقال الغلام: إن تكن يونس فقد تعلم أن من يحدث ولم يكن له بينة قتلوه وكان في شرعهم أن من كذب قتل فمن يشهد لي فقال له يونس تشهد لك هذه الشجرة وهذه البقعة فقال الغلام ليونس: مرهما بذلك فقال لهما: إذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له قالتا نعم فرجع الغلام إلى قومه فأتى الملك فقال: إني لقيت يونس وهو يقرأ عليكم السلام فأمر الملك أن يقتل فقال: إن لي بينة فأرسل معه جماعة فانتهوا إلى الشجرة والبقعة فقال لهما الغلام أنشدكما الله عز وجل أي: أسألكما بالله تعالى هل أشهدكما يونس؟ قالتا: نعم فرجع القوم مذعورين فأتوا الملك فحدثوه بما رأوا فتناول الملك يد الغلام فأجلسه في منزله وقال له: أنت أحق مني بهذا المقام والملك فأقام بهم الغلام أربعين سنة.

- روي - في بعض التفاسير: أن قومه آمنوا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى يونس لأن النبي إذا هاجر لم يرجع إليهم مقيماً فيهم.

- وروي - أنه لما استيقظ فوجد أنه قد يبست الشجرة فأصابته الشمس حزن لذلك حزناً شديداً فجعل يبكي فبعث الله إليه جبرائيل وقال: قل له: أتحزن على شجرة لم تخلقها أنت

ولم تنبتها ولم تربها وأنا الذي خلقت مائة ألف من الناس أو يزيدون تريد مني أن أستأصلهم في ساعة واحدة وقد تابوا وتبت عليهم فأين رحمتي يا يونس وأنا أرحم الراحمين وما أحسن ما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترغيباً للعبد فيما يوصله إلى ما خلق له وتفضيلاً لهذا الموصل على هدم النشأة الإنسانية وإن كان ذلك الهدم واقعاً بموجب الأمر وكان للهادم رتبة إعلاء كلمة الله وثواب الشهادة «ألا أنبئكم بما هو خير لكم وأفضل من أن تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم ذكر الله» أي: ما هو خير لكم مما ذكر ذكر الله تعالى فأبقاء هذه النشأة أفضل من هدمها وإن كان بالأمر.

وفي «كشف الأسرار» [درقصه آورده اندكه چون يونس عليه السلام ازان ظلمت نجات يافت وازان محنت برست وباميان قوم خودشد وحى آمدبوى كه فلان مرد فخارى را كوى تا آن خنورهاى ويرانهاكه باين يكسال ساخته وپرداخته همه بشكند وبتلف آرد يونس باين فرمان كه آمده اندوهكين كشت وبران فخار بخشايشى كرد وكفت بار خدايا مرا رحمت مى آيد بران مردكه يكساله عمل وى تباه خواهى كرد ونيست خواهد شد الله تعالى كفت اى يونس بخشايش مى نمايى بمردى كه عمل يكساله وى تباه ونيست ميشود وبرصد هزار مرد از بندكان من بخشايش ننمودى وهلاك وعذاب ايشان خواستى «يا يونس لم تخلقهم ولو خلقتهم لرحمتهم» بشر حافى را رحمه الله بخواب ديدند كفتند حق تعالى باتوچه كرد كفت بامن عتاب كرد كفت اى بشر آن همه خوف ووجل در دنيا ترا ازبهر چه بود «اما علمت أن الرحمة والكرم صفتي» فردا مصطفى عربى را عليه السلام دركنهكاران امت شفاعت دهدتا آنكه كه كويد خداوند مرا درحق كسانى شفاعت ده كه هرنيكى نكرده اند فيقول الله عز وجل يا محمد اين يكى مراست حق من وسراى منست آنكه خطاب آيدكه «اخرجوا من النار من ذكرني مرة في مقام أو خاف مني في وقت» اين آن رحمتست كه سؤال دروى كم كشت اين آن لطف است كه انديشه دروى نيست كشت اين آن كرم است كه وهم درو متحير كشت اين آن فضلست كه حد آن ازغايت اندازه در كذشت. اى بنده اكر طاعت كنى قبول برمن. ورسؤال كنى عطا برمن. وركناه كنى عفو برمن. آب درجوى من. راحت دركوى من. طرب در طلب من. انس باجمال من. سروربقاى من. شادى بلقاى من]. قال الكاشفي: ﴿فمتعناهم إلى حين﴾ [پس برخور دارى داديم ايشانرا تاهنكام اجل ايشان وبعد ازانكه متقاضى اجل باسترداد وديعت روح متوجه كردد نه بمدافعت ابطال منع او ميسراست ونه ببذل اموال دفع او متصور]:

روزى كه اجل دست كشايد بستيز وزبهر هلاك بر كشد خنجرتيز
نه وقت جدل بود نه هنكام دخيل نه روى مقاومت نه يارای كريز

وصارت قصة يونس آخر القصص لما فيها من ذكر عدم الصبر على الأذى والإباق كما أنهم أخروا ذكر الحلاج في المناقب لما صدر منه من الدعوى على الإطلاق ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص من ذكر السلام وما يتبعه للتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع الكبار وأولي العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة قاله البيضاوي والشيخ رشيد الدين في «كشف الأسرار» وأورده المولى أبو السعود في تفسيره بصيغة التمريض.

يقول الفقير: وجهه أن إلياس ويونس سواء في أن كلاً منهما ليس من أرباب الشرائع

الكبار وأولي العزم من الرسل فلا بد لتخصيص أحدهما بالسلام من وجه وأن التسليم المذكور في آخر السورة شامل لكل من ذكر هنا ومن لم يذكر فحينئذٍ كان الظاهر أن يقتصر على ذكر سلام نوح ونحوه ثم يعمم عليهم وعلى غيرهم ممن لم يكن في درجتهم ﴿فاستفتهم﴾ [پس پرس از ايشان] أي: إذا كان الله موصوفاً بنعوت الكمال والعظمة والجلال متفرداً بالخلق والربوبية وجميع الأنبياء مقرين بالعبودية داعين للعبيد إلى حقيقة التنزيه والتوحيد فاستخبر على سبيل التوبيخ والتجهيل قريشاً وبعض طوائف العرب نحو جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح فإنهم كانوا يقولون إن الله تعالى تزوج من الجن فخرجت منها الملائكة فهم بنات الله ولذا يسترهن من العيون فأثبتوا الأولاد لله تعالى ثم زعموا أنها من جنس الإناث لا من جنس الذكور وقسموا القسمة الباطلة حيث جعلوا الإناث لله تعالى وجعلوا الذكور لأنفسهم فإنهم كانوا يفتخرون بذكور الأولاد ويستنكفون من البنات ولذا كانوا يقتلونهن ويدفنونهن حياء قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النحل: ٥٨] الآية ومن هنا أنه من رأى في المنام أنه اسود وجهه فإنه يولد له بنت والذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن إثباته للخالق كما قال تعالى: ﴿ألربك البنات﴾ اللاتي هن أوضع الجنسين ﴿ولهم البنون﴾ الذين هم أرفعهما. وفيه تفضيل لأنفسهم على ربهم وذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢١-٢٢] أي: قسمة جائرة غير عادلة. وفيه إشارة إلى كمال جهالة الإنسان وضلالته إذا وكل إلى نفسه الخسيسة وخلي إلى طبيعته الركيكة إنه يظن بربه ورب العالمين نقائص لا يستحقها أدنى عاقل بل غافل من أهل الدنيا:

بری ذاتش ازتهمت ضد وجنس غنی ذاتش از تهمت جن وانس
نه مستغنی از طاعتش پشت کست نه برحرف اوجای انکشت کس

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

ثم انتقل إلى تبكيت آخر فقال: ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً﴾ الإناث ككتاب جمع الأنثى أي: بل أم خلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الأجسام ورذائل الطبائع إناثاً والأنوثة من أخس صفات الحيوان ولو قيل لأدناهم فيك أنوثة لتمزقت نفسه من الغيظ لقائله ففي جعلهم الملائكة أناثاً استهانة شديدة بهم ﴿وهم شاهدون﴾ حال من فاعل خلقنا مفيد للاستهزاء والتجهيل أي: والحال إنهم حاضرون حينئذٍ فيقدمون على ما يقولون فإن أمثال هذه الأمور لا تعلم إلا بالمشاهدة إذ لا سبيل إلى معرفتها بطريق العقل الصرف بالضرورة أو بالاستدلال إذ الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم بل من اللوازم الخارجية وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم شاهداً أي: حاضراً عند خلقهم إذ أسباب العلم هذه الثلاثة فكيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا خلقهم ثم استأنف فقال: ﴿ألا﴾ حرف تنبيه يعني:

[بدانكه] ﴿إنهم من إفكهم﴾ أي: من أجل كذبهم الأسوء وهو متعلق بقوله ﴿ليقولون ولد الله﴾ [بزاد خداى تعالى يعني براى او بزادند آن] يعني مبني مذهبهم الفاسد ليس إلا الإفك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعاً. والولد يعم الذكور والإناث والقليل والكثير وفيه تجسيم له تعالى وتجويز الفناء عليه لأن الولادة مختصة بالأجسام القابلة للكون والفساد ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في قولهم ذلك كذباً بيناً لا ريب فيه ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ بفتح الهمزة على أنها همزة استفهام للإنكار والاستبعاد دخلت على ألف الافتعال أصله أاصطفى فحذفت همزة الافتعال التي هي همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام. والاصطفاء أخذ صفوة الشي لنفسه أي: أتقولون أنه اختار البنات على البنين من نقصانهن رضي بالأخص الأدنى وبالفارسية: [آيا بركزيد خداى تعالى دخترانرا كه مكروه طباع شما اند به پسران كه ماده افتخار واستظهار شما ايشانند] ﴿ما لكم﴾ أي: شيء لكم في هذه الدعوى. وقال الكاشفي: [چيست شمارا قسمت] ﴿كيف تحكمون﴾ على الغني عن العالمين بهذا الحكم الذي تقضي ببطلانه بديهة العقول ارتدعوا عنه فإنه جور وبالفارسية: [چكونه حكم ميكنيد ونسبت ميدهيد بخداى آنراكه براى خود نمى پسنديد]. قال ابن الشيخ جملتان استفهاميتان ليس لأحديهما تعلق بالأخرى من حيث الإعراب استفهم أولاً عما استقر لهم وثبت استفهام إنكار ثم استفهم استفهام تعجب من حكمهم هذا الحكم الفاسد وهو أن يكون أحسن الجنسين لأنفسهم وأخسهما لربهم ﴿أفلا تذكرون﴾ بحذف إحدى التائين من تتذكرون والفاء للعطف على مقدر أي: أتلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فإنه مركوز في عقل زكي وغبي ثم انتقل إلى تبكيت آخر فقال: ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ أي: هل لكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسي أو عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الناطق بصحة دعواكم وبالفارسية: [پس بياريد آن كتاب منزل را] فالباء للتعدية ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيها فإذا لم ينزل عليكم كتاب سماوي فيه ذكر ذلك الحكم فلم تصرون على الكذب ثم التفت إلى الغيبة للإيذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكي جناياتهم لآخرين فقال: ﴿وجعلوا بينه﴾ تعالى ﴿وبين الجنة﴾ الجنة بالكسر جماعة الجن والملائكة كما في «القاموس» والمراد هنا الملائكة وسموا جنة لاجتنانهم واستتارهم عن الأبصار ومنه سمي الجنين وهو المستور في بطن الأم والجنون لأنه خفاء العقل. والجنة بالضم الترس لأنه يجن صاحبه ويستره. والجنة بالفتح لأنها كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض فمن له اجتنان عن الأعين جنس يندرج تحته الملائكة والجن المعروف. قالوا: الجن واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شراً كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً فهو ملك. قال الراغب الجن يقال على وجهين: أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس فعلى هذا يدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة. وقيل: بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة أخيار وهم الملائكة وأشرار وهم الشياطين وأوساط فهم أخيار وأشرار وهم الجن ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ [الجن: ١-١٤] ﴿نسباً﴾ النسب والنسبة اشتراك من جهة الأبوين وذلك ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسبة بين الإخوة وبني

العم وقيل فلان نسيب فلان أي: قريبه. والمعنى وجعل المشركون بما قالوا نسبة بين الله وبين الملائكة وأثبتوا بذلك جنسية جامعة له وللملائكة. وفي ذكر الله الملائكة بهذا الاسم في هذا الموضع إشارة إلى أن من صفته الاجتنان وهو من صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك. وفيه إشارة إلى جنة الإنسان وقصور نظر عقله عن كمال أحدية الله وجلال صمديته إذا وكل إلى نفسه في معرفة ذات الله وصفاته فيقيس ذاته على ذاته وصفاته فيثبت له نسباً كما له نسب ويثبت له زوجة وولداً كما له زوجة وولد ويثبت له جوارح كما له جوارح ويثبت له مكاناً كما له مكان تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهو يقول تبارك وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]:

جهان متفق بر الهيتش فرومانده از كنه ماهيتش
بشر ما وراى جلالش نيافت بصر منتهاى كمالش نيافت
نه ادراك در كنه ذاتش رسد نه فكرت بنور صفاتش رسد

ثم إن هذا وهو قوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه﴾ الخ عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وإنما أعيد ذكره تمهيداً لما يعقبه من قوله: ﴿ولقد علمت الجنة﴾ أي: وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسباً وهم الملائكة ﴿إنهم﴾ أي: الكفرة ﴿لمحضرون﴾ النار معذبون بها لا يغيبون عنها لكذبهم وافترائهم في ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذي يدعي هؤلاء المشركون لهم تلك النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكماً مؤكداً.

قال في «كشف الأسرار»: [نحويان كفتند چون ان ازقفاى علم وشهادت آيد مفتوح بايد مكر كه در خبر لام آيد آنكه مكسور باشد] كقول العرب أشهد أن فلاناً عاقل وإن فلاناً لعاقل وجهه أن إن المكسورة لا تغير معنى الجملة واللام الداخلة على الخبر لتأكيد معنى الجملة. ثم إن الله تعالى نزه نفسه عما قالوه من الكذب فقال: ﴿سبحان الله﴾ أي: تنزه تعالى تنزهاً لائقاً بجنابه ﴿عما يصفون﴾ به من الولد والنسب أو نزهوه تنزيهاً عن ذلك أو ما أبعد وما أنزه من هؤلاء خلقه وعبيده عما يضاف إليه من ذلك فهو تعجب من كلمتهم الحمقاء وجعلتهم العوجاء ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثناء منقطع من الواو في يصفون أي: يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين الذين أخلصهم الله بلطفه من ألواث الشكوك والشبهات ووفقهم للجريان بموجب اللب برءاء من أن يصفوه به. وجعل أبو السعود قوله سبحان الله عما يصفون بتقدير قول معطوف على علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به من الولد والنسب لكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جملتهم برءاء من ذلك الوصف بل نصفه بصفات العلى فيكون المستثنى أيضاً من كلام الملائكة ﴿فإنكم﴾ أيها المشركون عود إلى خطابهم لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام ﴿وما تعبدون﴾ ومعبوديكم وهم الشياطين الذين أغووهم ﴿ما أنتم﴾ ما نافية وأنتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليباً للمخاطب على الغائب ﴿عليه﴾ الضمير لله وعلى متعلقة بقوله: ﴿بفاتنين﴾ الفاتن هنا بمعنى المضل والمفسد يقال فتن فلان على فلان امرأته أي: أفسدها عليه وأضلها حاملاً إياها على عصيان زوجها فعدى الفاتن بعلى لتضمينه معنى الحمل والبعث. والمعنى ما أنتم بفاتنين أحداً من عباده أي: بمضلين ومفسدين بحمله على المعصية والخلاف فمفعول فاتنين محذوف

﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ منهم أي: داخلها لعلمه تعالى بأنه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من أهل النار لا محالة فيضلون بتقدير الله من قدر الله أن يكون من أهل النار وأما المخلصون منهم فإنهم بمعزل عن إفسادهم وإضلالهم فهم لا جرم برءاء من أن يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به. قوله صال بالكسر أصله صالي على وزن فاعل من الصلي وهو الدخول في النار يقال صلي فلان النار يصلى صلياً من الباب الرابع دخل فيها واحترق فاعل كقاض فلما أضيف إلى الجحيم سقط التنوين وأفرد حملاً على لفظ من. واحتج أهل السنة والجماعة بهذه الآية وهي قوله: ﴿فإنكم﴾ الخ على أنه لا تأثير لإلقاء الشيطان ووسوسته ولا لأحوال معبودهم في وقوع الفتنة وإنما المؤثر هو قضاء الله وتقديره وحكمه بالشقاوة ولا يلزم منه الجبر وعدم لوم الضال والمضل بما كسبا لما أشير إليه من أنهم لا يقدرون على إضلال أحد إلا إضلال من علم الله منه اختيار الكفر والإصرار عليه وعلم الله وتقديره وقضاؤه فعلاً من أفعال المكلفين لا ينافي اختيار العبد وكسبه.

هركه در فعل خود بود مختار ... فعل او دور باشد از اجبار
بهر آن كرد امر ونهي عباد ... تاشود ظاهر انقياد وعناد
زايد از انقياد حب ورضا ... وزخلاف وعناد سوء قضا
پس بود امر ونهي شرط ظهور ... فعلها را ز بنده مأمور

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿وما منا﴾ حكاية اعتراف الملائكة للرد على عبدتهم كأنه قيل ويقول الملائكة الذين جعلتموهم بنات الله وعبدتموهم بناء على ما زعمتم من أن بينهم وبينه تعالى مناسبة وجنسية جامعة وما منا أحد أي: ملك على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه فالموصوف المقدر في الآية مبتدأ وقوله: ﴿إلا له مقام معلوم﴾ صفة وما منا مقدم خبره أي: أحد استثنى منه من له مقام معلوم ليس منا يعني لكل واحد منا مرتبة في المعرفة والعبادة والانتهاء إلى أمر الله في تدبير العالم مقصور عليها لا يتجاوزها ولا يستطيع أن ينزل عنها قدر ظفر خضوعاً لعظمته وخشوعاً لهيبته وتواضعاً لجلاله كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه. ففيه تنبيه على فساد قول المشركين أنهم أولاد الله لأن مبالغتهم في إظهار العبودية تدل على اعترافهم بالعبودية فكيف يكون بينه تعالى وبينهم جنسية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح» بل والعالم مشحون بالأرواح فليس فيه موضع بيت ولا زاوية إلا وهو معمور بما لا يعلمه إلا الله ولذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالتستر في الخلوة وأن لا يجامع الرجل امرأته عريانين. وقال السدي: ﴿إلا له مقام معلوم﴾ في القربة والمشاهدة. وقال أبو بكر الوراق قدس

سره: ﴿إلا له مقام معلوم﴾ يعبد الله عليه كالخوف والرجاء والمحبة والرضى يعني: [مراد مقامات سنيه است چون خوف ورجا ومحبت ورضاكه هريك از مقربان حظائر ملكوت ومقدسان صوامع جبروت در مقامى ازان ممكن اند].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للملك مقاماً معلوماً لا يتعدى حده وهو مقام الملك الروحاني أو الكروبي فالروحاني لا يعبر عن مقامه إلى مقام الكروبي والكروبي لا يقدم على مقام الروحاني فلا عبور لهم من مقامهم إلى مقام فوق مقامهم ولا نزول لهم إلى مقام دون مقامهم ولهم بهذا فضيلة على إنسان بقي في أسفل سافلين في الدرك الأسفل من النار واللذين عبروا منهم عن أسفل سافلين بالإيمان والعمل الصالح وصعدوا إلى أعلى عليين بل ساروا إلى مقام قاب قوسين بل طاروا إلى منزل أو أدنى فضيلة عليهم ولهذا أمروا بسجدة أهل الفضل منهم فقعوا له ساجدين فللإنسان أن يتنزل من مقام الإنسانية إلى دركة الحيوانية كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وله أن يترقى بحيث يعبر عن المقام الملكي ويقال له تخلقوا بأخلاق الله انتهى. وقال جعفر رضي الله عنه: الخلق مع الله على مقامات شتى من تجاوز حده هلك فللأنبياء مقام المشاهدة وللرسل مقام العيان وللملائكة مقام الهيبة وللمؤمنين مقام الدنو وللعصاة مقام التوبة وللكفار مقام الغفلة والطرد واللعنة.

وقال الحسين قدس سره: المريدون يتحولون من مقام إلى مقام والمرادون يتجاوزون المقامات إلى رب المقامات. وقال بعضهم: العارف يأكل في هذه الدار الحلوى والعسل فهذا مقامه والكامل المحقق يأكل فيها الحنظل لا يتلذذ فيها بنعمة لاشتغاله بما كلفه الله تعالى من الشكر عليها وغير ذلك من تحمل هموم الناس فكم من فرق بين المقامين وأهل الفناء وإن تألموا هنا ولكن ذلك ليس بألم بل أشد العذاب والألم فيما إذا رأى أهل الذوق مراتب أهل الفناء فوقهم وأقله التألم من تقدمهم.

باش تافانى شود احوال تو بكزرد از حال كل تا حال تو
از مقامى ساز بقعه خويش را كه بماند جمله زير بال تو

﴿وإنا لنحن الصافون﴾ في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وبالفارسية: [وبدرستى كه ماصف كشيدكانيم در مواقف در طاعات ومواضع خدمت]. قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: ليس للملائكة نافلة إنما هم دائماً في فرائض بعدد أنفاسهم فلا نفل لهم بخلاف البشر انتهى. قيل إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين، يقول الفقير: الاصطفاف في الصلاة حصل بفعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في أول ما صلى من الصلوات وهي صلاة الظهر فإنه لما نزل من المعراج وزالت الشمس أمر فصيح بأصحابه الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصلى به عليه السلام جبريل وصلى النبي عليه السلام بالناس إلا أن يتفق نزول الآية في ذلك الوقت ولكن كلام القائل يقتضي كونهم مقيمين للصلاة فرادى قبل نزولها كما قال قتادة: كان الرجال والنساء يصلون معاً حتى نزلت ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤﴾ [الصافات: ١٦٤] فتقدم الرجال وتأخر النساء فكانوا يصلون منفردين حتى نزلت ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ المقدسون لله تعالى عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لإبراز صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط.

قال البيضاوي: ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف انتهى. قال بعض الكبار: للملائكة الترقي في العلم لا في العمل فلا يترقون بالأعمال كما لا نترقى بأعمال الآخرة إذا انتقلنا إليها وأما الإنسان فله الترقي في العلم والعمل ولو أن الملائكة ما كان لها الترقي في العلم ما قبلت الزيادة حين علمت الأسماء كلها فإنه زادهم علماً بالأسماء لم يكن عندهم.

قال البقلي رحمه الله: لما كانوا من أهل المقامات افتخروا بمقاماتهم في العبودية من الصلاة والتسبيح ولو كانوا من أهل الحقائق في المعرفة لفنوا عن ملاحظة طاعاتهم من استيلاء أنوار مشاهدة الحق.

وفي «التأويلات النجمية»: ولو كان من مفاخر الملك أن يقولوا وإنا لنحن الصافون يعني في الصلاة والعبودية فإن للإنسان معه شركة في هذا وللإنسان صف يحبه الله وليس للملك فيه شركة وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤] وأن يقولوا: ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ أيضاً للإنسان معهم شركة ومن مفاخر الإنسان أن يقولوا: إنا لنحن المحبون وإنا لنحن المحبوبون وهم المخصوصون به في الترقي من مقام المحبية إلى مقام المحبوبية انتهى وهذا بالنسبة إلى أكاملهم وأفاضلهم:

لفظ إنسان يكى ولى هركس زده ازوى بقدر خويش نفس
جنبش هركسى زجاى ويست روى هركس بفكر ورأى ويست
تا بر اهل طلب خداى مجيد متجلى نشد باسم مريد
بارادت كسى نشد موصوف بمحبت كسى نشد معروف

﴿وإن كانوا ليقولون﴾ إن هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وفي الإتيان بأن المخففة واللام إشارة إلى أنهم كانوا يقولون ما قالوه مؤكدين جادّين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره. والمعنى وأن الشان كان قريش تقول قبل المبعث: ﴿لو أن عندنا ذكراً من الأولين﴾ أي كتاباً من كتب الأولين من التوراة والإنجيل وبالفارسية: [اكربودى نزديك ما كتابي كه سبب بند ونصيحت بودى] ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ أي لأخلصنا العبادة لله ولما خالفنا كما خالفوا ﴿فكفروا به﴾ الفاء فصيحة أي فجاءهم ذكر أي ذكر سيد الأذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والأسفار وهو القرآن فكفروا به وأنكروه وقالوا في حقه وفي حق من أنزل عليه ما قالوا ﴿فسوف يعلمون﴾ أي عاقبة كفرهم وغائلته من المغلوبية في الدنيا والعذاب العظيم في العقبى وهو وعيد لهم وتهديد. وفيه إشارة إلى تنزل الإنسان إلى الدرك الأسفل وإلى أن مآل الدعوى بلا تطبيق للصورة بالمعنى خزي وقهر وجلال عصمنا الله الملك الكريم المتعال.

قال بعضهم: وكان الملامية الذين هم أكابر القوم لا يصلون مع الفرائض إلا ما لا بد منه من مؤكدات النوافل خوفاً أن يقوم بهم دعوى أنهم أتوا بالفرائض على وجه الكمال الممكن وزادوا على ذلك فإنه لا نفل إلا عن كمال فرض ونعم ما فهموا ولكن ثم ما هو أعلى وهو أن يكثروا من النوافل توطئة لمحبة الله لهم ثم يرون ذلك جبراً لبعض ما في فرائضهم من النقص وفي الحديث «حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم» وفي المرفوع: «النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها» ولكون الهدية سبباً للمحبة قال عليه السلام: «تهادوا تحابوا».

واعلم أن القرآن ذكر جليل أنزل تذكيراً للناس وطرداً للوسواس الخناس فإنه كلما ذكر الإنسان خنس الشيطان أي تأخر والقرآن وإن كان كله ذكراً لكن ما كل آي القرآن يتضمن ذكر الله فإن فيه حكاية الأحكام المشروعة وفيه قصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وإن كان في ذلك الأجر العظيم من حيث هو قرآن بالإصغاء إلى القارىء إذا قرأه من نفسه وغيره فذكر الله إذا سمع في القرآن أتم من استماع قول الكافرين في الله ما لا ينبغي فالأول من قبيل استماع القول الأحسن والثاني من استماع القول الحسن فاعرف ذلك. ويستحب لقارىء القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس وكان كبار السلف يقرأون على سبيل التأني والتدبر للوقوف على أسراره وحقائقه كما حكي أن الشيخ العطار قدس سره كان يختم في أوائله في كل يوم ختمة وفي كل ليلة ختمة ثم لما آل الأمر إلى الشهود وأخذ الفيض من الله ذي الجود بقي في السبع الأول من القرآن أكثر من عشرين سنة ومن الله العناية والهداية **﴿ولقد سبقت﴾** أي وبالله لقد تقدمت في الأزل أو كتبت في اللوح المحفوظ ثم إن السبق والتقدم الموقوف على الزمان إنما هو بالنسبة إلى الإنسان وإلا فالأمر بالإضافة إلى الله كائن على ما كان **﴿كلمتنا﴾** وعدنا على مالنا من العظمة **﴿لعبادنا﴾** الذين أخلصوا لنا العبادة في كل حركة وسكون **﴿المرسلين﴾** الذين زدناهم على شرف الإخلاص في العبودية شرف الرسالة ثم فسر ذلك الوعد بطريق الاستئناف فقال: **﴿إنهم لهم﴾** خاصة **﴿المنصورون﴾** فمن نصرناه فلا يغلب كما أن من خذلناه لا يغلب ثم عمم فقال: **﴿وإن جندنا﴾** أي من المرسلين وأتباعهم المؤمنين والجند العسكر **﴿لهم﴾** أي لا غيرهم **﴿الغالبون﴾** على أعدائهم في الدنيا والآخرة وإن رؤي أنهم مغلوبون في بعض المشاهد لأن العاقبة لهم والحكم للغالب والنادر كالمعدوم والمغلوبية لعارض كمخالفة أمر الحاكم وطمع الدنيا والعجب والغرور ونحو ذلك لا تقدح في النصر المقضي بالذات. والنصر منصب شريف لا يليق إلا بالمؤمن وأما الكافر فشأنه الاستدراج وغاية الخذلان. وقال بعضهم: لم يرد بالنصر هذا النصر المعهود بل الحجة لأن الحق إنما يتبين من الباطل بالحجة لا بالسيف فأراد بذلك أن الحجة تكون للأنبياء على سائر الأمم في اختلاف الأطوار والأعصار. وقال الحسن البصري رحمه الله: أراد بالنصرة هذه النصرة بعينها دون الحجة ثم قال ما انتهى إلى أن نبياً قتل في حرب قط.

يقول الفقير: أراد الحسن المأمور بالحرب منصور لا محالة بخلاف غير المأمور وهو التوفيق بين قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٢١] ونظائره وبين هذه الآية وأمثالها. والحاصل أن المؤمنين المخلصين هم المنصورون والغالبون لأن المستند إلى المولى الغالب العزيز هو المنصور المظفر الغالب القاهر وأعداءهم هم المنهزمون المغلوبون لأن المستند إلى غير الله خصوصاً إلى الحصون والقلاع المبنية من الأحجار هو المنهزم المدمر المغلوب المقهور:

تكيه بر غير بود جهل وهوى نيست آنجام اعتماد سوى

ثم إن جنده تعالى هم مظاهر اسمه العزيز والمنتقم ومظاهر قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وفي «التأويلات النجمية»: جنده الذين نصبهم لنشر دينه وأقامهم لنصر الحق وتبيينه فمن

أراد إذلالهم فعلى أذقانه يخرّ. والجند كما ورد في الحديث: «جندان جند الوغى وجند الدعاء» فلا بد لجند الوغى من عمل الوغى وشغل الحرب ولجند الدعاء من عمل الدعاء وشغل الأدب فمن وجد في قلبه الحضور واليقظة فليطمع في الإجابة ومن وجد الفتور والغفلة فليخف عدم الإصابة:

كى دعاى تو مستجاب شود كه بيك روى دردو محرابى

وفي الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم» أي عاداهم «حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال» ولا شك أن الملوك العثمانية خاتمة هذه الطائفة وعيسى والمهدي عليهما السلام خاتمة الخاتمة والصيحة الواحدة الآخذة كل من بقي على الأرض عند قيام الساعة من الكفرة الفجرة خاتمة خاتمة الخاتمة ﴿**فتول عنهم**﴾ أي إذا علمت أن النصرة والغلبة لك ولأتباعك فأعرض عن كفار مكة واصبر على أذاهم ﴿**حتى حين**﴾ أي مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال فالآية محكمة لا منسوخة بآية القتال ﴿**وأبصرهم**﴾ على أسوء حال وأفظع نكال حل بهم من القتل والأسر والمراد بالأمر بأبصارهم الإيذان بغاية قربه كأنه بين يديه يبصره في الوقت وإلا فمتعلق الأبصار لم يكن حاضراً عند الأمر ﴿**فسوف يبصرون**﴾ ما يقع حينئذٍ من الأمور.

وفي «التأويلات»: وأبصر أحوالهم فسوف يبصرون جزاء ما عملوا من الخير والشر انتهى. وسوف للوعيد ليتوبوا ويؤمنوا دون التبعيد لأن تبعيد الشيء المحذر منه كالمنافي لإرادة التخويف به ولما نزل ﴿**فسوف يبصرون**﴾ قالوا استعجالاً واستهزاء لفرط جهلهم متى هذا فنزل قوله تعالى: ﴿**أفبعذابنا يستعجلون**﴾ أي أبعد هذا التكرير من الوعيد يستعجلون بعذابنا والهمزة للإنكار والتعجب يعني تعجبوا من هذا الأمر المستنكر وبالفارسية: [آيا بعذاب ما شتاب ميكنند ووقت نزول آن مى پرسند]. وفي التوراة «أبي يغترون أم عليّ يجترئون؟» يعني: [بمهلت دادن وفراكذشتن من فريفته شوند يا بر من ديرى كنند ونمى ترسند] ﴿**فإذا نزل**﴾ العذاب الموعود ﴿**بساحتهم**﴾. قال في «المفردات»: الساحة المكان الواسع ومنه ساحة الدار انتهى. وفي «حواشي» ابن الشيخ الساحة الفناء الخالي عن الأبنية وفناء الدار بالكسر ما امتد من جوانبها معداً لمصالحها وبالفارسية: [پيشكاه منزل] والمعنى بفنائهم وقربهم وحضرتهم كأنه جيش قد هزمهم فأناخ بفنائهم بغتة ﴿**فساء صباح المنذرين**﴾ فبئس صباح المنذرين صباحهم أي صباح من أنذر بالعذاب وكذبه فلم يؤمن واللام للجنس فإن أفعال المدح والذم تقتضي الشيوع والإبهام والتفصيل فلا يجوز أن تكون للعهد. والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الإغارة في الصباح سموها صباحاً وإن وقعت ليلاً. قال الكاشفي: [آورده اندكه درميان عرب قتل وغارت واسر بسيار بود هر لشكركه قصد قبيله داشتندى شب همه شب راه پيموده وقت سحر كه خواب كرانيست بحواله ايشان آمدندى ودست بقتل وغارت واسر وتاراج بر كشاده قوم را مستأصل كردندى وبدين سبب كه اغلب غارت در صباح واقع مى شد غارت را صباح نام نهادند وهرچند دروقتى ديكر وقوع يافتى همان صباح كفتندى] ﴿**وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون**﴾ تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما في إطلاق الفعلين عن المفعول من الإيذان بأن ما يبصره عليه السلام من فنون المسار وما يبصرون من أنواع المضار

لا يحيط به الوصف والبيان. وفي «البرهان» حذف الضمير من الثاني اكتفاء بالأول ﴿سبحان ربك﴾ خطاب للنبي عليه السلام وقوله: ﴿رب العزة﴾ بدل من الأول ﴿عما يصفون﴾ أي نزه يا محمد من هو مربيك ومكفلك ومالك العزة والغلبة على الإطلاق عما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه من الأولاد والأزواج والشركاء وغير ذلك من الأشياء التي من جملتها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب. قال في «بحر العلوم»: أضاف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذي العزة كقولك صاحب صدق لاختصاصه بالصدق فلا عزة إلا له على أن العزة ذاتية أو لمن أعزه من الأنبياء وغيرهم فالعزة حادثة كائنة بين خلقه وهي وإن كانت صفة قائمة بغيره تعالى إلا أنها مملوكة له مختصة به يضعها حيث يشاء كما قال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] وفيه إشعار بالسلوب والإضافات كما في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨] وذلك أن قوله سبحان إشارة إلى السلوب كالجلال فإن كل منهما يفيد ما أفاد الآخر في قولنا سبحان ربنا عن الشريك والشبيه وجل ربنا عنهما. وقوله ربك رب العزة إشارة إلى الإضافات كالإكرام وإنما قدم السلب على الإضافة لأن السلوب كافية فيها ذاته من حيث هو هو بخلاف الإضافات فإنه لا بد من تحققها من غيره لأن الإضافة لا توجد إلا عند وجود المضافين. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام سبحان الله كلمة مشتملة على سلب النقص والعيب عن ذات الله وصفاته فما كان من أسمائه سلباً فهو مندرج تحت هذه الكلمة كالقدوس وهو الطاهر من كل عيب والسلام وهو الذي سلم من كل آفة فنفينا بسبحان الله كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه. ثم إن المرسلين لما كانوا وسائط بين الله وبين عباده نبه على علو شأنهم بقوله: ﴿وسلام﴾ وسلامة ونجاة من كل المكاره وفوز بجميع المآرب ﴿على المرسلين﴾ الذين يبلغون رسالات الله إلى الأمم ويبينون لهم ما يحتاجون إليه من الأمور الدينية والدنيوية أولهم آدم وآخرهم محمد عليهم السلام فهو تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم فيما سبق لأن تخصيص كل واحد بالذكر يطول وفي الحديث «إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين فإنما أنا أحدهم» كما في «فتح الرحمٰن» و«حواشي» ابن الشيخ وغيرهما وفي الحديث «إذا صليتم عليّ فعمموا» أي للآل والأصحاب. قال في «المقاصد الحسنة»: لم أقف عليه بهذا اللفظ ويمكن أن يكون بمعنى صلوا عليّ وعلى أنبياء الله فإن الله بعثهم كما بعثني انتهى ﴿والحمد لله رب العالمين﴾. قال الشيخ عز الدين: الحمد لله كلمة مشتملة على إثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته تعالى فما كان من أسمائه متضمناً للإثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير فهو مندرج تحتها فأثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه وكل جلال أدركناه. قال المولى أبو السعود: هذا إشارة إلى وصفه تعالى بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه بجميع صفاته السلبية وإيذان باستتباعها للأفعال الجميلة التي من جملتها إفاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية وإسباغه عليهم وعلى من اتبعهم من فنون النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى وإشعار بأن ما وعده من النصرة والغلبة قد تحقق. والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وجل في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده مع ما فيه من الإشعار بأن توفيقه عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد انتهى. وقال بعضهم: والحمد

لله على إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين وعلى كل حال يعني هو المحمود في كل من الحالات ساء أم سرّ نفع أم ضرّ:

در بـــلا ودر ولا الـــحـــمـــد خـــوان ايـــن بـــود آيـــيـــن پـــاك عـــاشـــقـــان

وعن علي رضي الله تعالى عنه: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الخ. وفي بعض النسخ من أحب أن يكال له وإليه الإشارة بقوله الكاشفي: [هركه دوست ميداردكه برو پيمايند مزد ثواب را به پيمانه بزركتر بايدكه آخر كلام او از مجلس اين آيت باشد]. يقول الفقير: أصلحه الله القدير فللمؤمن أن يتدارك حاله بشيئين قبل أن يقوم من مجلسه أحدهما يجلب الأجر الجزيل وهو بالآية المذكورة. والثاني بالكفارة وهو بما أشار إليه النبي عليه السلام في قوله: «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فقد غفر له» يعني من الصغائر ما لم يتعلق بحق آدمي كالغيبة كما في شرح الترغيب المسمى «بفتح القريب» فعلى العاقل أن لا يغفل في مجلسه بل يذكر ربه لأنسه ويختمه بما هو من باب التخلية والتحلية والتصفية والتجلية وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

تمت سورة الصافات والحمد لله رب الكائنات في أوائل المحرم
من سنة إحدى عشرة ومائة وألف تم المجلد السابع
ويليه المجلد الثامن إن شاء الله تعالى أوله سورة صَ

فهرس السور والآيات

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات